البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

تصدرها

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء لكهنؤ الهند

الاشتراكات السنوية :

★ فى الهنـد : مأة روبيـــة

ثمن النسخة عشر روبيات :

★ فى العالم العربى وفى جميع

دول العالم .

۲۰/ دولاراً بالبريد السطحى .

و ۳٦ دولاراً بالبريد الجوى .

عنوان المراسلات :

مكتب البعث الاسلامى ،

(مؤسسه الصحافه والنشر)

ندوة العلماء ص . ب ۹۳

لكناؤ (الهنـــــد)

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o. NADWAT UL ULAMA
P. O. Box : No. 93.
Lucknow. (INDIA)

إلى إخواننا القراء الـكرام

إن مجلتكم « البعث الاسلامى » تبـــدأ اليوم عامهـــــا **الثامن و الثلاثين** ، و ذلك بتوفيق الله تعالى وحـده ، فحمد الله تعالى على ما أكرمنا به من الاستمرار فى خدمة البعث الاسلامى ، وندعوه أن يؤيدنا بالاستقامه الثبات و الصمود على هذه الجبهة الدقيقة فى فى الظروف القاسة التى تجتازها الأمة الاسلامية ويتعرض لها المسلمون فى كل مكان ، نحو دينهم و شريعتهم و رسالتهم العالمية .

و بمجرد توفيق الله و مشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية فى المجلة كما يراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت بغـلاء أسعار الورق و الطباعة و أجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته فى سبيل دعم المجلة و توسعة نطاق المشتركين الجدد فيها ، ويشاطرنا فى أداء بعض الواجب الذى نتحمله الآن .

و على ذلك قررنا زيادة فى قيمـــة الاشتراكات ، رجاء أن تكون فى صالح المجلة .

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشــأهــا :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الإسلامي

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

125490
3 11 95

العــــدد الأول - المجلد الثامن و الثلاثون

شعبان ورمضان ١٤١٢هـ - فبراير ومارس ١٩٩٢م

المــــراسلات :

البعث الإســلامـــي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٣ لكناؤ - الهند

ALBASS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama

P. O. Box 93, Lucknow (INDIA)

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

المسجد البابري . له الله وحده !

سوف لا ينسى تاريخ الهند الإسلامي ، اليوم السادس من شهر ديسمبر ١٩٩٢م المصادف ١٠ من شهر جمادى الأخرى ١٤١٣هـ ، ويوم الأحد بالتعيين ، تلك الساعات الحالكة السوداء ، التي انقض فيها طوائف مسلحة من الإرهابيين المتطرفين من الجماعات الهندوسية المتعصبة على المسجد البابري ، على مرأى ومسمع من زعمائهم وقادتهم، وهدّموه من غير رحمة ولا هوادة ، وأتوا على قواعده من السقف ، فلم يذروا له عيناً ولا أثراً ، بل وقد تمكنوا من تأسيس (معبد راما) ورفع قواعده عالية على أنقاض هذا المسجد الأثري العظيم ، الذي كان قد بناه الملك المغولي « ظهير الدين بابر» في عام ١٥٢٨م .

لقد تم تدمير هذا المسجد خلال تجمع هندوسي كبير لأولئك الشباب الهندوس الذين تجمعوا من جميع أنحاء البلاد في مدينة (أيودهيا) لأداء بعض تقاليد الديانة الهندوسية في سبيل بناء (معبد راما) في عدد هائل بلغ إلى ربع مليون إنسان ، وذلك بدعوة من الأحزاب الهندوسية المتطرفة التي ساندتها حكومة الولاية الشمالية ، وهي حكومة (بهارتيا جانتا) (B.J.P.) التي تمثل النظريات المتطرفة وتدعو المسلمين إلى الانذياب في تيار القومية الهندوسية ، لكي يكونوا أمة وثنية واحدة ، ولا يتميزوا بالامتيازات العقائدية والحضارية ، غير أن المسلمين لم يرضوا بأن يتنازلوا عن الشخصية الإسلامية وميزاتها في أي حال ، ووافقوا على مبدأ التعايش السلمى لجميع الديانات والمذاهب والنظريات وتكافؤ الفرص للجميع بالحرية الدينية والفكرية في ضوء دستور البلاد الذي ينص على توفير الحرية الكاملة لأتباع الديانات سواء كانوا مسلمين أو غيرهم ، وينص على منح الحقوق الكاملة لتأسيس المؤسسات والمراكز الدينية والمدارس

والمعابد ، وكان المسلمون في الهند أحق بأن يتمتعوا بهذه الحرية الدينية ، ويستقلوا بشخصيتهم الإسلامية ، خاصة وقد كانت لهم مجهودات ضخمة وتضحيات عظيمة وإسهامات كبيرة في حرب تحرير البلاد من الاستعمار الانجليزي ، وقادوا هذه الحرب باسم (حركة الخلافة) التي قامت ضد الاستعمار الانجليزي ، وساندهم فيها زعماء الهندوس الكبار وشاركوهم جنباً إلى جنب ، وقد شهد تاريخ هذه البلاد يوم ذاك نماذج رائعة للائتلاف القومي ، والانسجام الطائفي في قضية محاربة الاستعمار الانجليزي الغاشم وطرده من هذه البلاد الواسعة الأرجاء .

ولما استقلت البلاد في عام ١٩٤٧م وبيض الله وجه المسلمين بطرد المستعمر البغيض من هذه البلاد وآل الحكم فيها إلى أبناء هذه البلاد ، واجه المسلمون أوضاعاً بشعة من الاضطرابات الطائفية على أوسع نطاق ، نتيجة لبذرة الكراهية والعداوة التي زرعها المستعمر الانجليزي ضد الإسلام والمسلمين ، وظلت تنمو شجرتها وتثمر ثمارها ، ولم تتوقف الاضطرابات الطائفية ، واستمرت موجتها تنطلق من حين لآخر في أنحاء هذه البلاد المختلفة ، وتؤخر عجلة الحياة إلى الوراء ، وقد كان للجماعات المتطرفة دور كبير في إشعال نار العداوة ضد المسلمين واعتبارهم عائقاً كبيراً في سبيل تقدم الحضارة الهندوسية - إذا كان لها وجود - .

وإن العنصر المتطرف الذي تظاهر بهذا الاتجاه العدائي ضد المسلمين كان بمعزل عن المساهمة في حرب التحرير التي تولاها الزعماء المسلمون والهندوس ببسالة منعدمة النظير، وذلك هو العنصر الذي طالب المسلمين دائماً بمغادرة هذه البلاد إلى الجزيرة العربية ، والتنازل عن تراثهم ومقدساتهم وتاريخهم العلمي والحضاري ، وما كانت قضية المسجد البابري إلا جزءاً من هذه المطالبة التي أثاروها على أساس بعض الأساطير المزعومة التي تقول : إن هذا المسجد مبنى على أنقاض معبد راما الذي تولّد في هذا المكان ، وقد ساعد بعض الزعماء الهندوس الكبار بإيعاز من الاستعمار الراحل في تهويل الموضوع وربطه

بالعقيدة الهندوسية . فبينما كان المسلمون في حي المسجد يصلون فيه ، ويرفعون صوت التوحيد من منارته خمس مرات في كل يوم وليلة . إذا بطائفة من الهندوس احتلت فيه بالأوثان في وقت متأخر لإحدى ليالي شهر ديسمبر عام ١٩٤٩م ، وبعد ذلك بمدة قصيرة أغلقت أبواب المسجد على المسلمين ، وما تمكنوا من الدخول في المسجد منذ ذلك التاريخ .

رفعت القضية من قبل المسلمين إلى المحكمة التي قضت بمنع الصلاة وأداء العبادة لكلا الفريقين في المسجد حتى الحكم النهائي فيها . وظلت القضية رهينة المحكمة وإجراءاتها الطويلة العريضة . ولم يسأم المسلمون من طول الانتظار ، لأنهم وثقوا في ربهم ورب هذا المسجد أن الحق الأبلج لابد من أن ينبثق فجره في وقت قريب ، وفعلاً تحقق الأمل ، إلا أن العصبية الهندوسية لم تراع في ذلك إلا ولا ذمة ، ورفضت الخضوع أمام حكم أيّ محكمة ، بحجة أن القضية تتعلق بصميم العقيدة التي هي فوق كل حكم ومحكمة ، ذلك هو المنطق الذي ألبس هذه القضية لباس التعقيد والتزوير ، وأعيي كل محاولة بذلت في سبيل حل القضية على جميع المستويات الرسمية والشعبية ، وبطريق المفاوضات التي جرت على الصعيدين الرسمي والشعبي ، ولا شك فإنها استهلكت كثيراً من طاقات القوم والوطن وشغلت القوي والأفكار التي كانت متجهة نحو ترقية البلاد وترفيه الشعب ، وإنقاذهما من العواقب المريرة للديون الأجنبية التي تراكمت على هذه البلاد ، والتي تتهدد بمستقبل مظلم وخيم .

و بصرف النظـــــر عن كل ذلك قضى البرلمان الديني للهندوس (DHARAM SANSAD) المنعقد في الثامن من شهر نوفمبر المنصرم عام ١٩٩٢م أن بناء (معبد راما) سوف يبدأ من اليوم السادس من شهر ديسمبر القادم ، وقام بالبتّ في هذا الموضوع نهائياً دون قبول أي تغيير أو تأخير في هذا الحكم التاريخي ، وأعلن زعماء الحركات الهندوسية المتطرفة أن عدداً ضخماً من المتطوعين الهندوس لبناء معبد راما في مدينة (أيودهيا) يتجمعون من جميع أنحاء الهند في هذا

والمعابد ، وكان المسلمون في الهند أحق بأن يتمتعوا بهذه الحرية الدينية ، ويستقلوا بشخصيتهم الإسلامية ، خاصة وقد كانت لهم مجهودات ضخمة وتضحيات عظيمة وإسهامات كبيرة في حرب تحرير البلاد من الاستعمار الانجليزي ، وقادوا هذه الحرب باسم (حركة الخلافة) التي قامت ضد الاستعمار الانجليزي ، وساندهم فيها زعماء الهندوس الكبار وشاركوهم جنباً إلى جنب ، وقد شهد تاريخ هذه البلاد يوم ذاك نماذج رائعة للائتلاف القومي ، والانسجام الطائفي في قضية محاربة الاستعمار الانجليزي الغاشم وطرده من هذه البلاد الواسعة الأرجاء .

ولما استقلت البلاد في عام ١٩٤٧م وبيض الله وجه المسلمين بطرد المستعمر البغيض من هذه البلاد وآل الحكم فيها إلى أبناء هذه البلاد ، واجه المسلمون أوضاعاً بشعة من الاضطرابات الطائفية على أوسع نطاق ، نتيجة لبذرة الكراهية والعداوة التي زرعها المستعمر الانجليزي ضد الإسلام والمسلمين ، وظلت تنمو شجرتها وتثمر ثمارها ، ولم تتوقف الاضطرابات الطائفية ، واستمرت موجتها تنطلق من حين لآخر في أنحاء هذه البلاد المختلفة ، وتؤخر عجلة الحياة إلى الوراء ، وقد كان للجماعات المتطرفة دور كبير في إشعال نار العداوة ضد المسلمين واعتبارهم عائقاً كبيراً في سبيل تقدم الحضارة الهندوسية - إذا كان لها وجود - .

وإن العنصر المتطرف الذي تظاهر بهذا الاتجاه العدائي ضد المسلمين كان بمعزل عن المساهمة في حرب التحرير التي تولاها الزعماء المسلمون والهندوس ببسالة منعدمة النظير، وذلك هو العنصر الذي طالب المسلمين دائماً بمغادرة هذه البلاد إلى الجزيرة العربية ، والتنازل عن تراثهم ومقدساتهم وتاريخهم العلمي والحضاري ، وما كانت قضية المسجد البابري إلا جزءاً من هذه المطالبة التي أثاروها على أساس بعض الأساطير المزعومة التي تقول : إن هذا المسجد مبنى على أنقاض معبد راما الذي تولّد في هذا المكان ، وقد ساعد بعض الزعماء الهندوس الكبار بإيعاز من الاستعمار الراحل في تهويل الموضوع وربطه

بالعقيدة الهندوسية . فبينما كان المسلمون في حي المسجد يصلون فيه ، ويرفعون صوت التوحيد من منارته خمس مرات في كل يوم وليلة ، إذا بطائفة من الهندوس احتلت فيه بالأوثان في وقت متأخر لإحدى ليالي شهر ديسمبر عام ١٩٤٩م ، وبعد ذلك بمدة قصيرة أغلقت أبواب المسجد على المسلمين ، وما تمكنوا من الدخول في المسجد منذ ذلك التاريخ .

رفعت القضية من قبل المسلمين إلى المحكمة التي قضت بمنع الصلاة وأداء العبادة لكلا الفريقين في المسجد حتى الحكم النهائي فيها ، وظلت القضية رهينة المحكمة وإجراءاتها الطويلة العريضة . ولم يسأم المسلمون من طول الانتظار ، لأنهم وثقوا في ربهم ورب هذا المسجد أن الحق الأبلج لابد من أن ينبثق فجره في وقت قريب . وفعلاً تحقق الأمل ، إلا أن العصبية الهندوسية لم تراع في ذلك إلا ولا ذمة . ورفضت الخضوع أمام حكم أيّ محكمة . بحجة أن القضية تتعلق بصميم العقيدة التي هي فوق كل حكم ومحكمة . ذلك هو المنطق الذي ألبس هذه القضية لباس التعقيد والتزوير ، وأعيي كل محاولة بذلت في سبيل حل القضية على جميع المستويات الرسمية والشعبية . وبطريق المفاوضات التي جرت على الصعيدين الرسمي والشعبي . ولا شك فإنها استهلكت كثيراً من طاقات القوم والوطن وشغلت القوي والأفكار التي كانت متجهة نحو ترقية البلاد وترفيه الشعب ، وإنقاذهما من العواقب المريرة للديون الأجنبية التي تراكمت على هذه البلاد ، والتي تتهدد بمستقبل مظلم وخيم .

و بصرف النظـــــر عن كل ذلك قضى البرلمان الديني للهندوس (DHARAM SANSAD) المنعقد في الثامن من شهر نوفمبر المنصرم عام ١٩٩٢م أن بناء (معبد راما) سوف يبدأ من اليوم السادس من شهر ديسمبر القادم ، وقام بالبتّ في هذا الموضوع نهائياً دون قبول أي تغيير أو تأخير في هذا الحكم التاريخي ، وأعلن زعماء الحركات الهندوسية المتطرفة أن عدداً ضخماً من المتطوعين الهندوس لبناء معبد راما في مدينة (أيودهيا) يتجمعون من جميع أنحاء الهند في هذا

الموعد ، الأمر الذي أدهش جميع الجهات المتعلقة بهذه القضية سواء في المسلمين و الحكومة المركزية ، وشعوراً بخطورة هذا الإعلان النهائي ومع بدء انطلاق المتطوعين لبناء معبد راما من أنحاء البلاد المختلفة طلبت الحكومة المركزية من المحكمة العليا التدخل في الموضوع ، فأصدرت المحكمة قراراً بإبقاء المسجد البابري على حالته ومنع أي عمل يشير إلى هدم أو بناء ، وبناءاً على هذا القرار أمرت المحكمة بإحضار كبير وزراء ولاية أترابراديش (التي يحكم فيها حزب « بهارتيا جانتا ») لكي يقدم أمام المحكمة حلفاً على أن حكومته لا تسمح ببدء أي عملية بنائية لمعبد راما ، وأنها مسئولة عن صيانة عمارة المسجد عن أي ضرر ، وأن المتطوعين الهندوس الذين يتجمعون في مدينة (أيودهيا) لا يقومون إلا بالمشاركة في طقوس مذهبية ينجزها النساك الهندوس ، وبذلك وحده تتسنى لهم العودة إلى مناطقهم وبلدانهم .

استجابت الحكومة الولايية لقرار المحكمة العليا وأعطت ضماناً مؤكداً ومواعيد جازمة حول أن المتجمعين سوف لا يقومون إلا بمشاركة رمزية في التقاليد المذهبية فحسب ، وتحملت مسئولية الصيانة والحفاظ الكامل للمسجد ، من غير أن يكون هناك ما يعني انتهاك حرمته أو يشير إلى بدء عملية للبناء ، ولا شك فإنه لم يكن هناك بعد دلك مجال للشك في نوايا المسئولين ، وكانت الحياة تسير سيرها الطبيعي ولكن المسلمين في الهند كلها كانوا يتوجسون خيفة نحو هذه القضية وكان التجمع التطوعي بالعدد الهائل يثير تساؤلات في نفوسهم ، إذ فوجئوا بعد ظهر هذا اليوم أن المسجد قد استشهد بأيدي الهندوس المتطرفين الإرهابيين على مرأي من زعمائهم وقادتهم ، وبمشهد من حكومة الولاية وكبير الوزراء .

وقامت ضجة عظيمة في طول البلاد وعرضها أثارت رد فعل عنيف ضد الإرهابية الهندوسية التي تجرأت على هدم المسجد العظيم ، وخرج المسلمون للاستنكار والاحتجاج على هذه المأساة .التي استباحها الطوائف الهندوسية الإرهابية . وجرحت قلوبهم وسودت حياتهم ، ولم

يتمكنوا من خنق انطباعاتهم الشديدة على هذه الوقاحة والنذالة سوى الاحتجاج الشديد وإبداء سخطهم وغضبهم على هذه الهمجية التي لا يوجد لها نظير ، ورغم أن الحكومة المركزية فرضت حظر التجول في جميع أنحاء ومدن وعواصم الهند إلا أن موجات الاستنكار والغضبة الشديدة حطمت الحواجز وظهرت في أشكال عديدة من المظاهرات الشعبية، وتفاقم الوضع الذي قاومته الحكومة بقوة البوليس والسلاح . التي ذهب ضحيتها آلاف مؤلفة أغلبها من المسلمين ، وسببت خسائر هائلة من الأرواح والأموال وتوقف حركة التجارة والصناعة والإنتاج القومي إلى مدة لا تعتبر قصيرة ، هذا بجانب التوتر العصبي وارتفاع نسبة النقمة والكراهية بين العلاقات الثنائية وانهيار الثقة المتبادلة بين الطائفتين . ومهما كانت المسئولية في ذلك تتجه إلى حكومة الولاية وكبير وزرائها إلا أن الحكومة المركزية لا تستطيع أن تتبرأ عن مسئوليتها نحو تدمير المسجد البابري وحدوث هذه المآسي في البلاد .

لم تكن جريمة هدم المسجد البابري السوداء كسائر الحوادث والمآسي التي يواجهها المسلمون على مستوى الهند والبلدان الأخرى . ولكنها مؤامرة خطيرة ذات جذور عميقة تعمدتها الإرهابية الهندوسية ونفذتها بتخطيط دقيق وبعد تدريبات مبيتة في الظلام ، (كما شهدت بذلك وسائل الإعلام المتعددة) وهي في الواقع تحدٍ سافر للوجود الإسلامي في هذه البلاد ، وتحدٍ مروع للشعار الإيماني والشخصية الإسلامية في الهند ، يتهدد مقدسات المسلمين و مؤسساتهم العلمية و الدينية ونشاطاتهم الدعوية والفكرية وتميزاتهم الإسلامية بالانهيار والذوبان وبالنهاية الأليمة الأخيرة - لا قدر الله - ويهدد المجتمع المسلم في هذه البلاد بالتجرد عن جميع خصائصه وامتيازاته الدينية .

إن المسلمين في هذه البلاد يواجهون هذا التحدي الصارخ والتهديدات الوقحة في ظروف قاسية مريرة ترتفع فيها الإرهابية الهندوسية برأسها بجراءة ووقاحة بالغتين ومن غير حياء أو انزواء . وهي لا تقصد إلا ابتلاع الميزة الإسلامية وآثارها المنتشرة في طول هذه البلاد وعرضها ، وإطفاء الجذوة الإيمانية التي تشتعل في قلوب

المسلمين ، وإن المؤشرات التي توافرت في هذه الجريمة الكبرى تشير إلى أن هذه الإرهابية التي تمثلت فيها بجميع أوضارها ونواياها سوف لاتألو جهداً في استخدام السلاح تحقيقاً لهذا الغرض السيئ الخسيس . الذي يتولى هدم هذه البلاد وتوقيف نشاطاتها العملية في مجال السياسة والاجتماع والاقتصاد ، وتجفيف منابع خيراتها والقضاء على ثرواتها المنوعة ، و ليس معنى ذلك إلا إعادة عقارب الساعة إلى الوراء ووضع الحد على جميع حركات النمو والرقى ، ورمى البلاد إلى أحضان الاستعمار الأجنبي وتثبيت مخالبه في هذه الأرض التي لم تمض على استقلالها إلا خمسة وأربعون عاماً فقط ، ولكن كيف يرضى بهذا المصير المؤلم أبناء هذه البلاد ؟ .

إن المسلمين في هذه البلاد عضو لازم لا يكتمل جسمها بدونهم ، وجزء أكيد لا تتم بنيتها بغيرهم ، لذلك فإن الطوائف الهندوسية المتطرفة التي تتعصب ضد المسلمين وتحمل في غضون نفسها أحقاداً وضغائن نحوهم ، ولا تسمح لهم بالبقاء في هذه البلاد ، وتبذل كل نوع من المؤامرات ضدهم ، والتي تحلم بتحويل هذه البلاد إلى دولة هندوسية وثنية خالصة ، يجب على هذه الطوائف المتطرفة أن تعرف جيداً أن هذه البلاد ستلقى مصيرها المشئوم الأخير قبل أن يغادر المسلمون هذه البلاد ، وأن حلمها ليس إلا كابوساً ثقيلاً يزعجها في النوم واليقظة ويدنيها إلى الفشل والإخفاق ، مهما تمادت في الغي والفساد وقامت بإعداد الوسائل الهدامة والاعتماد على التطرف والإرهابية .

أما المسلمون الذين هم خير أمة أخرجت للناس فلا ينبغي أن يتناسوا وظيفتهم في الحياة ومكانتهم بين شعوب العالم وعلاقتهم بالله تبارك وتعالى والتجاءهم إليه في كل حال من الشدة والرخاء وفي الضراء والسراء ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وحسبنا الله وهو خير الناصرين .

﴿ ربّنا إنّنا ظلمنا أنفُسَنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين ﴾ فاغفرلنا وارحمنا يا ربّ العالمين .

سعيد الأعظمي

بيان سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي
رئيس ندوة العلماء في الهند
حول هدم المسجد البابري

إن حادث هدم المسجد البابري التاريخي القديم وإزالة وجوده رغم الوعود المؤكدة للحفاظ عليه وحراسته . حادث ألصق وصمة عار على جبين الهند كلها . و قضى على تقاليدها عبر القرون . وإرثها في السماحة والحرية الدينية و حب الأمن والسلام . وضيّع جهود المكافحين المضحين لاستقلال البلاد و حرّيتها . و أوقف بلاد الهند أمام الرأي العالمي وعلى مستوى الشعوب العالمية في موقف الذلّ والهوان .

وإن المسئولية الأولى لهذا الحادث الفظيع تقع على عاتق الجماعات الطائفيه الهندوسية المتطرفة التي أثارت الجنون الديني الأعمى باسم بناء معبد راما ثم تقع على حكومة أترابراديش التي قامت على هذا الأساس وعلى هذه الوعود . والتي رغم وعودها المتكررة للحفاظ على المسجد البابري لم تؤد مسئوليتها . وكانت متفرجة محضة على كل ما وقع . بل إنها شجعت هذه الإجراءات العمياء . وإلا لم يكن من المتصور أن يقع هذا الحادث بكل سهولة وحرية في ساعات معدودة . وللأسف الشديد اضطر إلى أن أقول : إن الحكومة المركزية تقع عليها المسئولية أيضا . ويحق للمطّلعين الواقعيين أن يشتكوا منها . إذ أنها رغم إرسال القوات المركزية لحراسه المسجد كانت متفرجة من بعيد لم

تتدخل لوقف هذه الإجراءات ، ولم تبذل أي جهد رغم تصريحاتها وبياناتها المتكررة للحفاظ على المسجد .

إن ما لصق بوجه الهند بسبب هذا الحادث من عار يجب لغسله وإزالته عمل الشئ الكثير ، ومن متطلبات الوفاء للبلاد وحب الوطن والواقعية أن تقوم الحكومة - مع بناء المسجد كما وعدت به الحكومة في موضعه نفسه من جديد و بسرعة ممكنة - بالحظر الكامل على الجماعات والمنظمات الطائفية المتطرفة المتعصبة ، ومحاسبتها ومعاقبتها وإيقاف نشاطاتها الهدّامة ، وأن تقام حركة قوية سريعة جريئة و واقعية لبثّ روح الوحدة في البلاد ، والثقة المتبادلة ، والحفاظ على أماكن العبادة والواجبات الدينية والمراكز العلمية واحترام الإنسانية ، وأن تعقد احتفالات عامة أسبوعية وغيرها ، وأن تراقب المنشورات والصحافة وتُستخدم لتحقيق هذا الغرض ، وتكون ترجمانا لذلك ، وان الأضرار البالغة التي لحقت هذه البلاد داخليا وخارجياً بجراء هذا الحادث يجب أن تبذل جهود عظيمة جبارة لإزالتها ، كما يجب أن يتم كل ذلك فوق اعتبار المصالح السياسية والمتطلبات الحزبية ، وحب السلطة والبقاء في الحكم وميول العنصرية والعواطف الحادة ، بكل إخلاص وحبّ صادق للوطن ، وتكريم للإنسان وإلا فإن هذه البلاد ستتعرض لشرّ مستطير ، ولا يوجد عندي طريق لوقاية البلاد من هذا الخطر وإخراجها مما أحدق بها إلا هذا الطريق

أبو الحسن علي الحسني الندوي

• • • • • •

وبيان آخر لسماحته :

[وتلقينا هذا البيان حول وضع الحظر على الجماعة الإسلامية في الهند ، لسماحته ، من سعادة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي عميد كلية اللغة العربية وآدابها بجامعة ندوة العلماء ، نقدمه أيضاً إلى قرائنا الكرام] [التحرير]

لقد أدلى سماحة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي الأمين العام لندوة العلماء ورئيس هيئة قوانين الأحوال الشخصية للمسلمين ، ببيان استنكار لفرض الحكومة الهندية حظراً على الجماعة الإسلامية وبخاصة بمناسبة حظرها على المنظمات الهندوسية المتطرفة التي قامت بالإرهاب والتشجيع على العدوان المصحوب بهدم المسجد البابري الذي جر إلى فساد جو الأمن في البلاد ، وبالاساءة إلى عواطف المسلمين المكلومة ثم انتشار القتل وسفك الدماء ، فإن الجماعة الإسلامية لا صلة لها بأعمال العنف والتطرف ولا بسياسة الإرهاب الطائفي ، إن ضم الجماعة الإسلامية إلى المنظمات المتطرفة العدوانية التي فرض عليها الحظر ، أمر لائق بالادانة من الجميع ، وهو يلقى من المسلمين في داخل البلاد وخارجها كل استنكار وشجب ، وذلك لأن هذه الجماعة معروفة لدى الأوساط العلمية والدينية بأنها جماعة إصلاحية فكرية ، إنه لفت نظر المسئولين في الحكم إلى ضرورة الرجوع من ذلك ، كما لفت نظرهم لإعادة الاستقرار وبسط الأمن في البلاد إلى التزام الإنصاف مع الجميع فلا يكون إجحاف وظلم لأي طائفة ولا يكون فيه موضع شكوى للأقلية الإسلامية التي تعاني انطباعاً نفسياً شديدا من هدم مسجدها الأثري العظيم

....

التوجيه الإسلامي

في رحاب سورة النور

[الحلقة الثانية]

الدكتور حمد لقمان الأعظمي الندوي
رئيس قسم الدراسات الإسلامية - كلية إعداد المعلمين
حائل - السعودية

الضمانات الوقائية المانعة من وقوع الفحشاء :

والإسلام لا يشدد في عقوبة الزنا هذا التشديد إلا بعد تحقيق الضمانات الوقائية المانعة من وقوع الفعل ، ومن أبرزها :

= ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانيةً أو مشركةً ﴾ (سورة النور، الآية : ٣) عزل الجناة عن المجتمع لتضييق فرص الغواية .

= ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ﴾ (سورة النور، الآية : ٢٧) عدم استباحة حرمة البيت من الداخلين . والاستئذان ، حتى لا تقع أعينهم على عورات ومفاتن تثير الشهوات . وفي الحديث « إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فلينصرف » (١) .

= ﴿ قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى

---

(١) ابن كثير .ج/٢ ، ص/٤٤٦

لهم • إنّ الله خبيرٌ بما يصنعون • وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن و يحفظن فروجهن و لا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن و لا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ... ﴾ (١) .

غض البصر محاولة للاستعلاء على رغبة الاطلاع على المفاتن والانزلاق نحوها ، وحفظ الفروج هو الخطوة التالية لتحكيم الإرادة ، وفي الصحيح عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « إياكم والجلوس في الطريق ، ثم بين حق الطريق فقال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكـــــر ، قال بعض السلف : النظر سهم سم إلى القلب ، ولذلك أمر الله بحفظ الفروج كما أمر بحفظ الأبصار التي هي بواعث ذلك (٢) ﴿ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ﴾ (سورة النور، الآية : ٢٢) فإذا بقي بعد ذلك في المجتمع الإسلامي أيامى فقراء وفقيرات تعجز مواردهم الخاصة عن الزواج فعلى الجماعة أن تزوجهم ، « وقد ذهب جماعة من العلماء إلى وجوب ذلك على كل من قدر عليه » (٣) .

وبعد كل هذا فالشرع يدرأ الحدود ما كان هناك مخرج منه ، لقوله -ﷺ- : « أدرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله فإن الإمام أن يخطئ في العفو خيرٌ من أن يخطئ في العقوبة » لذلك يطلب شهادة أربعة عدول يقرون برؤية الفعل ، أو

---

(١) سورة النور، الآية : ٢٠-٢١ .

(٢) ابن كثير : ج/٢ ، ص/٤٥٦ . (٣) ابن كثير : ج/٢ ، ص/٤٥٨

اعترافاً لا شبهة في صحته .

عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله -ﷺ- : « ادفعوا الحدود ما وجدتم له مدفعاً » (١) .

خطورة القذف :

ومن باب العلاج وقطع طرق الزنا وتنظيف البيئة ، فقد شدد الإسلام على جريمة القذف ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادةً أبداً وأولئك هم الفاسقون • إلا الذين تابوا من بعد ذلك و أصلحوا فإن الله غفورٌ رحيمٌ ﴾ (سورة النور، الآية : ٤-٥) . إن ترك الألسنة تلقى التهم على المحصنات وهن العفيفات الحرائر - بدون دليل قاطع - يترك المجال فسيحاً لكل من شاء أن يقذف بريئة أو بريئاً بتلك التهمة النكراء ثم يمضى آمناً ، فتصبح الجماعة وتمسى وإذا أعراضها مجرحة وسمعتها ملوثة . لذا شدد القرآن الكريم في عقوبة القذف ، فجعلها قريبة من عقوبة الزنا .

مواقف وقضايا :

عن عكرمة ، قال : لما نزلت ﴿ والذين يرمون المحصنات .. ﴾ شق ذلك على الصحابة . وقال سعد بن عبادة : والله إن أنا رأيت لكاع تفخذها رجل ، فقلت بما رأيت . إن في ظهري لثمانين .

و عن رواية ابن عباس : قال سعد بن عبادة : أهكذا أنزلت

(١) سنن ابن ماجة باب الستر على المؤمن دفع الحدود بالشبهات : ج/٢ ، ص/٢٠ . وسنن الترمذي باب الحدود .

يا رسول الله ؟ لو أتيت لكاع قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيّجه أو أحركه حتى آتي بأربعة شهداء فو الله ما كنت لآتي بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته . فقال رسول الله -ﷺ- : « يا معشر الأنصار ، أما تسمعون ما يقول سيدكم . قالوا : لا تلمه فإنه رجل غيور . ما تزوج فينا قط إلا عذراء ولا طلق امرأة له . فاجترأ رجل منا أن يتزوجها . قال سعد : يا رسول الله بأبي وأمي . والله إني لأعرف أنها من الله وأنها حق . ولكن عجبت لو وجدت لكاع قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه أو أحركه حتى آتي بأربعة شهداء . والله لا آتي بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته . فوالله ما لبثوا إلا يسيراً حتى جاء هلال بن أمية من حديقة له فرأي بعينيه وسمع بأذنيه . فأمسك حتى أصبح . فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ وهو جالس مع أصحابه . فقال : يا رسول الله إني جئت أهلي عشاء فوجدت رجلاً مع أهلي . رأيت بعيني وسمعت بأذني . فكره رسول الله ﷺ ما أتاه . وثقل عليه جداً حتى عرف ذلك في وجهه . فقال هلال : والله يا رسول الله إني لأرى الكراهة في وجهك مما أتيت به . والله يعلم إني صادق . ما قلت إلا حقا . وإني لأرجو أن يجعل الله فرجاً . قال : واجتمعت الأنصار . فقالوا : ابتلينا بما قال سعد : أيجلد هلال بن أمية وتبطل شهادته في المسلمين فهم رسول الله ﷺ بضربه . إنه لكذلك يريد أن يأمر بضربه ورسول الله ﷺ جالس مع أصحابه إذ نزل عليه الوحي فأمسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا أن الوحي قد نزل . حتى فرغ فأنزل الله تعالى : ﴿ والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين • والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين • ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين • والخامسة أن غضب الله عليها إن

كان من الصادقين • ولو لا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله توّابٌ حكيمٌ ﴾ (سورة النور، الآية : ٦-١٠) .

فقال رسول الله : « أرسلوا إليها » فجاءت ، فلما اجتمعا عند رسول الله ، قيل لها : فكذبت ، فقال رسول الله ﷺ : « إن الله يعلم أن أحدكما كاذب ، فهل منكما تائب ؟» فقال هلال : يا رسول الله ، بأبي وأمي ، لقد صدقت ، وما قلت إلا حقاً ، فقال رسول الله ﷺ : « لاعنوا بينهما » فقيل لهلال : يا هلال ، اشهد ، فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ، فقيل له عند الخامسة : يا هلال ، إتق الله فإن عذاب الله أشد من عذاب الناس وإنها الموجبة التي توجب عليك العذاب ، فقال هلال : والله لا يعذبني الله عليها ، كما لم يجلدني رسول الله عليها ، فشهد الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، ثم قيل لها اشهدي فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ، وقيل لها عند الخامسة اتقى الله فإن عذاب الله أشد من عذاب الناس ، وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب ، فتلكأت ساعة ثم قالت : و الله لا أفضح قومي ، فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ، ففرق الرسول بينهما و قضى أن الولد لها ولا يدعى لأب ولا يرمى ولدها (١) .

وتفاصيل قصة هلال بن أمية ، رواها أصحاب الصحاح الستة والإمام أحمد في مسنده وابن جرير الطبري في تفسيره ، عن ابن عباس وأنس ابن مالك - رضي الله عنهم - .

وقيل نازلة عويمر بن أشقر كانت قبله وهو حديث صحيح مشهور

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبري : ج/١٨، ص/٨٢

خرجه الأئمة . قال أبو عبد الله بن أبي صفرة : الصحيح أن القاذف لزوجه « عويمر» و « هلال بن أمية » خطأ (١) .

نقف قليلاً أمام هذا الحدث المثير لندرسه من زاويتين :

الأولى : الدراسة التحليلية لنستشف الفروق الفردية بين الصحابة من خلال انفعالاتهم وتعبيراتهم . ولنرى كيف صنعت تربية رسول الله -ﷺ- للناس بهذا القرآن .

الثانية : دراسة تاريخية توثيقية للتوفيق بين الروايتين المتعلقتين بحادثة اللعان قصة « هلال بن أمية » وقصة « عويمر العجلاني » أيهما أصح وأسبق ؟ وكيف الطريق للتوفيق بينهما ؟

نعود الآن إلى الصحابي الجليل الكريم « سعد بن عبادة » - رضي الله تعالى عنه - وغيرته وشدة تشبعه بمعاني الشرف والسمو . فهذا حكم ينزل بعقوبة القذف فيشق على هذه النفوس لأن فيه إرهاقاً لهم واعناتاً . وغالباً ما يقذف الرجل امرأته إلا صادقاً . لما في ذلك من تشهير بعرضه وشرفه وكرامة أبنائه .

١- فإذا قذف الرجل زوجته . تحمل عقاب الرمي ثمانين جلدة .

٢- وإذا سكت سكت على مضض وحرج وضيق .

٣- وإذا سارع فقتلها يُقتل .

كل هذه المعاني والآلام يعبر عنها سعد بن عبادة - رضي الله تعالى عنه- بلهجة ملؤها الدهشة والاستغراب : أهكذا أنزلت يا رسول الله ؟ فإن في تطبيقه على الأزواج حرجاً وأي حرج .

والرسول -ﷺ- يعبر عن تبرمه وتحرجه قائلاً : « يا معشرالأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم » ؟ .

---

(١) القرطبي : ج/١٢ . ص/١٨٤

والأنصار يلطفون الجو قائلين : « يا رسول الله لا تلمه إنه رجل غيور ، ما تزوج فيناقط إلا عذراء ، ولا طلق امرأة له فاجترأ رجل منا أن يتزوجها .

ويستدرك « سعد » - رضي الله تعالى عنه - هذا الموقف الحرج ويبرر دهشته ويعبر عن مرارة هذا التصور قائلاً : يا رسول الله بأبي وأمي ، والله إني لأعرف أنها من الله وأنها لحق ولكن عجبت لو وجدت لكاع قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته .

وسعد بن عبادة في هذا التعبير (يا رسول الله بأبي وأمي) يبدى محبته الشديدة للرسول -ﷺ- « ولما قدم النبي المدينة كان يبعث إليه كل يوم جفنة من ثريد اللحم أو ثريد بلبن أو غيره ، فكانت جفنة « سعد » تدور مع رسول الله -ﷺ- في بيوت أزواجه » (١) .

إن هذا الانفعال والحماس الشديد نابع من شدة غيرة « سعد » وكأنه لا يكاد يتصور أن يدنس فراشه و ينتهك عرضه ، و هــو يرى ويسمع ، ثم يضبط نفسه ، فيردف قائلاً : « إن وجدت مع امرأتي رجلاً أمهله حتى آتي بأربعة ! والله لأضربنه بالسيف غير مصفح عنه » (٢).

فقال رسول الله -ﷺ- : « أتعجبون من غيره سعد ، لأنا أغير منه ، والله أغير مني » .

والكلمات والمواقف تؤكد أنه لم يكن هناك تشريع يعالج (حادثة اللعان» والأمة الإسلامية في حاجة إلى تشريع دقيق لحماية العلاقات الزوجية ، ولحماية شرفها ، ولذلك ما يلبث هذا التصور المرير الذي لا يطيقه سعد بن عبادة في خياله ، ما يلبث إلا أن يتحقق ، فما لبثوا

---

(١) سير أعلام النبلاء : ج/١، ص/٢٧٥ . (٢) القرطبي : ج/١٢ ، ص/١٨٣

إلا يسيراً حتى جاء هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، فجاء من أرضه عشاءً فوجد عند أهله رجلاً فرأي بعينيه وسمع بأذنيه، فلم يهيجه حتى أصبح فغدا على رسول الله -ﷺ- فقال : يا رسول الله إني جئت أهلي عشاء فوجدت عندها رجلاً فرأيت بعيني وسمعت، إلخ .

والحكمة تتطلب أن ينزل التشريع عند ا شعور بالحاجة فتستقبله نفوس الناس باللهفة إليه وإدراك ما فيه من حكمة ورحمة، وشاءت حكمة الله أن يختار لهذا الابتلاء (هلال بن أمية) الذي عرف بصلاحه وتقواه، وقد شهد (بدراً) . ويقول عنه كعب بن مالك في قصة توبته : « فذكروا لي رجلين صالحين شهداً بدراً » (١) .

وبدون شك كان هذا ابتلاءً وأي ابتلاء، ابتلاء أخرج الرسول -ﷺ- وأدهش الأنصار والمسلمين، حتى اعتبر الأنصار أنه ابتلاء لهم « وقالوا : قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة، الآن يضرب رسول الله -ﷺ- هلال بن أمية ويبطل شهادته في الناس » وهكذا جاء هذا التشريع لمواجهة موقف صعب وعلاجه، وقد اشتد ذلك على رسول الله -ﷺ- كما يروى البخاري « حدثني عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنه - أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي -ﷺ- بشريك بن سحماء » فقال النبي -ﷺ- : « البيّنة أو حد في ظهرك » فقال : يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة ؟ فجعل النبي - ﷺ - يقول : « البينة و إلا حدّ في ظهرك، إلخ » (٢) .

(يتبع)

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة : ج/٢، باب : ه، ل : ص/٦٠٧

(٢) ابن كثير : ج/٣ (النور) ص/٤٢٧ .

دور الأمة الإسلامية

في إنقاذ البشرية وإسعادها

[هـــــذه المحاضرة القيمة ألقاها سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي في مقر المؤسسة الإسلامية في (LEICESTER) لدى زيارته الأخيرة لها في شهر سبتمبر المنصرم ١٩٩٢م

وكانت المحاضرة الأولى في هذا المركز الإسلامي في نفس هذا الشهر لعام ١٩٩١م نشرها المركز بالانجليزية بعنوان .

(Dawah in the West the Quranic Paradigm)]

[التحرير]

الحمد للّه رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين ، محمد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين ، أما بعد !

حضرات الإخوان ، والضيوف الكرام ، والمستمعين العظام !

إنني أحمد اللّه تبارك وتعالى على أنه أتاح لي فرصة أخرى لهذا اللقاء الكريم الحبيب ، والاجتماع بهذه المجموعة الطيبة الهادفة السليمة ، المتألمة لما يعانيه العالم ، بصفة عامة ، ولما تعانيه هذه القطعة التي كتبت لها القيادة العالمية ، والتوجيه - لحكمة يعلمها اللّه - بصفة خاصة ، إنني سعيد بأن اللّه سبحانه وتعالى أتاح لي هذه الفرصة للحديث في هذا المكان الرئيسي الحساس الذي لا يزال له نفوذ كبير ، والذي لا تزال له مكانة مرموقة واحترام زائد .

إخواني ! وأنا كذلك أحمد اللّه تبارك وتعالى على أنني أتحدث إليكم أولا باللغة العربية التي هي لغة القرآن ، والتي هي لغة الإيمان ،

ولغة الرسالة المحمدية ، والتي كانت ولا تزال - إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها - لغة ، لا أقول إنها لغة الإسلام الرسمية ، لأنني لا أومن بالرسميات ، ولكن لغة الإسلام الدينية ، ولغة الإسلام الإيمانية ، ولغة الإسلام العلمية ، ولغة الإسلام العقلية والثقافية .

إخواني ! إنني تلميذ صغير من تلاميذ مدرسة القرآن العامرة الخالدة ، وإن الله يشرفني ويكرمني ويمنحني فرصة القراءة وبعض التدبر في القرآن ، وأشعر بهذا النسب المشترك بيننا وبينكم ، النسب العقلي والإيماني ، وأقول اعتماداً على ذلك إنكم كلكم تقرؤن القرآن ، ومن طبيعة الإنسان أنه إذا رأى شيئاً غريباً تملكه الحيرة في بعض الأحيان ، وتملكه الدهشة في بعض الأحيان ، ويملكه الروع في بعض الأحيان ، ولكن هذه الدهشة تزول سريعاً أو على فترة ، وهذه الحيرة تزول كذلك ، ولكنني أقول لكم بكل صراحة - وقد ألقى الله في روعى أن يكون هذا موضوع حديثي اليوم - إنني كلما مررت بهذه الآية الكريمة التي هي من آخر آيات سورة الأنفال وهي : ﴿ إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض و فسادٌ كبيـــر ﴾ (سورة الأنفال ، الآية : ٧٢) ، أنا أتساءل ، كرجل واع ، وكرجل يعيش في هذا العالم ، إنني أحار ، ويملكني العجب ، بل تملكني الدهشة والحيرة ، لمن يقال هذا ؟ ومتى يقال هذا ؟ وفي أي مكان يقال هذا ؟

يقال هذا لحفنة (١) بشرية - إذا قيست إلى العالم المتمدن المعمور، وإلى النفوس البشرية العائشة الموجودة في ذلك الزمان يعني في سني الهجرة الأولى - فقد كان المسلمون في تلك الفترة الزمنية ، قطرة أمام البحر الإنساني الزاخر ، كانوا حفنة بشرية فقط ، كانت حول مدينة

---

(١) الحفنة (بفتح الحاء) والحفنة (بضم الحاء) : مل ء الكفين .

يثرب ، (المدينة المنورة العزيزة المحترمة التي نفديها بنفوسنا وأرواحنا ، ولكن اسمها القديم يثرب) بل كانت حول الجزيرة العربية إمبراطوريتان واسعتان ممتدتان إلى أقصى العالم ، قد توزعتا العالم - كما يقول المؤرخون الأوربيون - العالم المتمدن المعمور ، توزعته إمبراطوريتان ، الإمبراطورية البازنطينية التي خلفت الإمبراطورية الرومية ، والتي كان مقرها قسطنطينية ، والإمبراطورية الساسانية ، الإمبراطورية الإيرانية ، قد استحوذتا وسيطرتا على العالم المتمدن المعمور ، وكان هذا البحر المدني الحضاري يموج حول الجزيرة كلها ، كانت هنالك حضارات ، وكانت هنالك فلسفات ، وكانت هنالك مؤسسات علمية ، وكانت هنالك فتوح مدنية وعقلية وسياسية ، واقتصادية وعمرانية .

ما نسبة هذه الحفنة البشرية التي كانت قد وجدت في المدينة المنورة بفضل دخول الإسلام أولا في المدينة ، وبعد ذلك انتقال عدد قليل من مكة إليها ، وتعرفون كلكم أن الهجرة ليست بالأمر الهين ، فإن الهجرة هي مغادرة الوطن والأهل ، والانتقال من بيئة إلى بيئة أخرى ، إنها تطلب تضحية كبيرة ، وهمة عالية ، إنها تطلب مخاطرة بالمال ، ومخاطرة بالنفس ، ومخاطرة بالأهل .

وقد كان إحصاء المسلمين في المدينة بأمر رسول الله - ﷺ - فلم يتجاوز عددهم ألفاً وخمس مائة (١٥٠٠) رجل ، وقد كان ذلك كما يرى بعض أصحاب السير ، عند الخروج إلى أحد ، وقد كانت غزوة أحد في شوال سنة ثلاث من الهجرة ، فكان ذلك بعد ما مضى على الهجرة ثلاثة أعوام ، وجزم بعض علماء السير وشراح الحديث بأن ذلك كان عند حفر الخندق ، وقد كانت غزوة الخندق - أو غزوة الأحزاب - في شوال

سنة خمس من الهجرة ، فكان أمد الإحصاء أطول من الأول (١) .

على كل حال كانوا حفنة بشرية ، كانوا حفنة بشرية مغمورة في بحر هائج مائج من البشر ، ومن الحضارات ومن الثقافات ، ومن الألسن واللغات ، ومن المدنيات والزخارف ، ومن المظاهر الخلابة ، يقال لهذه الحفنة البشرية ﴿ إلا تفعلوه ﴾ يعني إن لم تتألفوا ، ولم تكونوا وحدة بشرية مميزة تقوم على العقيدة الممتازة والهدف الواضح إلى إنقاذ البشرية وإسعادها ، وعلى نمط خاص من الحياة والقيم والأقدار الخاصة ، و على التصميم على القيام بالدعوة ، و إن لم تتخذوا الحياة الإيمـــانية الخلقية المثلي شعاركم ، و لم تكونوا نموذجاً فريداً للإنسانية ، و لم تصمموا علـــى نشر الدعوة الإسلامية إلى أقاصى الأرض ، وعلى إخراج البشرية من الظلمات إلى النور ، ومن الدمار والهلاك والشقاء إلى السعادة الأبدية ، ﴿ إلا تفعلوه تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير﴾ .

لمن يقال هذا ؟ ومتى يقال هذا ؟ وفي أي بيئة وفي أي محيط يقال هذا ؟ ولكن كما يقال : « العبرة بالقيمة ، ليست العبرة بالقامة » فكان هؤلآء المسلمون الذين يتجاوز عددهم ألفاً وبضع مئات ، هؤلآء كانوا صغيرين في القامة (٢) ، لكنهم كانوا كبيرين في القيمة ،

---

(١) جاء في صحيح البخاري ، عن أبي وائل عن حذيفة ، قال : قال النبي -ﷺ- : « اكتبوا لي من يلفظ بالإسلام من الناس » فكتبنا له ألفاً وخمس مائة (١٥٠٠) رجل ، وقلنا نخاف ونحن ألف وخمس مائة ؟ ولقد رأيتنا أبتلينا حتى أن الرجل ليصلي وحده و هو خائف » (الجامع الصحيح للبخاري ، الجزء الأول ، كتاب الجهاد ، باب كتابة الامام الناس) .

(٢) المراد بالقامة هنا الكمية والعدد الكبير، وثروة من الوسائل والطاقات .

والعبرة بالقيمة لا بالقامة ، وقد أثبت التاريخ الإنساني المدون ، المحفوظ الموثوق به والمعتمد عليه ، أنه دائماً غلبت وانتصرت القيمة على القامة ، وانتصرت القيمة الصغيرة على القامة الكبيرة ، هذا تاريخ الديانات ، هذا تاريخ الحركات الإصلاحية ، هذا تاريخ المدنيات ، هذا تاريخ المغامرات ، المغامرات السياسية ، والمغامرات المدنية ، والمغامرات العلمية ، دائماً غلبت القيمة على القامة .

فالقضية قضية القيمة ليست قضية القامة ، فكان المسلمون في المدينة المنورة صغاراً وقليلين في القامة ، ولكنهم كانوا كبيرين شامخين في القيمة ، والعبرة بالقيمة لا بالقامة .

فيا إخواني ! أقول لكم إنني كلما مررت بهذه الآية الكريمة على كثرة مروري ومرور كل مسلم بها عند التلاوة - والحمد لله كلكم تقرؤن القرآن ، وقد تقرؤنه أكثر مني - ولكني أقول لكم بصراحة ، ولا أجاملكم ولا أتملق ، ولا أتظاهر بالعاطفة الإيمانية والإجلال القرآني ، أقول لكم بكل إخلاص وبكل صراحة ، إنني كلما مررت بهذه الاية الكريمة دهشت ، وقلت : يا سبحان الله ! ﴿ إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ أيها المسلمون المعدودون بالمئات إن لم تقوموا بالدعوة الإيمانية ، إن لم تقوموا بدعوة التوحيد ، إن لم تقوموا بالدعوة إلى العبودية الخالصة لله تبارك وتعالى ، والخضوع لحكمه ، وإنه لا خالق غيره ، ولا رب غيره ، ولا معبود غيره ، ولا حاكم غيره ، ولا قوي غيره ، إن لم تقوموا بهذه الدعوة ، تعرفون ماذا ستكون عاقبة الإنسانية ؟

تكون عاقبة الإنسانية وخيمة ، ذميمة ، شنيعة ، هنا في الدنيا التناحر ، تناحر أفراد البشرية ، يتناحرون ويتقاتلون ، يقتل بعضهم

بعضاً ، ويسفكون الدماء ، ويرتعون في الشهوات ، ويعبدون النفس ، ويعبدون الهوى ، ويبتدعون طرائق للظلم والإهانة والاستبداد والقهر. هذا سيكون مصير الإنسانية أن لم تقوموا أنتم بالواجب وبما أسعدكم الله به وفرضه عليكم ، فأنا أقول لكم إن هذه المراكز الدعوية والتربوية مع إجلالي ومعرفتي لقيمتها ولغناءها ولفائدتها ، إنها في الحقيقة قطرة في البحر ، ما نسبتها إلى هذا البحر الزاخر المائج الهائج ، الذي يزخر هنا في أوربا ، ومن هنا تمتد أمواج هذا البحر وعواصف هذا القطر إلى العالم الخارجي ، ما هي الاشتراكية ؟ ما هي الرأسمالية ؟ ما هي الشهوانية ؟ ما هي عبادة النفس ؟ ما هو استعباد الإنسان للإنسان ، كلها عواصف هو جاء ، ورياح مشئومة ، رياح تقضى على البقية الباقية من الشعور الإنساني ، والمبادئ الفاضلة ، والقيم الإنسانية ، فهنا بحر مواج من المادية ، وهذا البحر من ورائه ومعه ثروة زاخرة ، ومدد كبير من الرقى الثقافي ، وتقدم كبير في مراكز الطبع وآلات النشر والإذاعة ، هذه أوربا كلها غنية في كل ما يستطيع أن يصلح الإنسان ، ويستطيع أن يفيد الإنسان ، ولكنها تحولت و اتجهت لسوء قيادة الموجهين و المربين ، و للمعركة الحاسمة و الحرب الشعواء التي وقعت بين الكنيسة و الدولة ، و بين العلم والدين (١) اتجهت إلى الإفساد بدل الإصلاح ، إلى نشر عبادة النفس ، والاندفاع وراء الشهوات اندفاعاً أهوج ، اندفاعاً متحمساً متهوراً ، فأصبحت أوربا تملك زمام العالم ، وترتفع راياتها على الشرق الإسلامي

(١) يرجع للاطلاع عليه إلى كتاب درابر (Drapper) المشهور (Conflict Between Religion and Science) « الصراع بين الدين والعلم » .

من أقصاه إلى أقصاه ، وكانت هنالك إمبراطورية سياسية ، وإمبراطورية فكرية ، وكان استعماراً سياسياً ، واستعماراً ثقافياً ، واستعماراً فكرياً ، واستعماراً خلقياً ، واستعماراً توجيهياً .

إن الله سبحانه وتعالى قد مكن لهذه الحفنة البشرية التي وجدت وتكونت في المدينة المنورة بفضل تعاليم الإسلام ، من انتزاع السلطة - إذا صح هذا التعبير - والسيطرة على النفوس ، من جماعة إلى جماعة ، ومن أمة إلى أمة ، لا لمآرب النفس ، ولا للشهوات ، ولا للأغراض الخسيسة الفردية أو السيادة العنصرية أو القومية ، ولكن لصالح الإنسانية ، مكن الله لهذه الحفنة البشرية أن تظهر وتتغلب ، وتملك زمام القيادة ، زمام القيادة العقائدية ، زمام القيادة الخلقية ، زمام القيادة الفكرية ، زمام القيادة العلمية ، وزمام القيادة السياسية كذلك ، قد مكن الله لهذه الحفنة البشرية في القرن الأول في عصر النبي -ﷺ- وفي عصر الخلفاء الراشدين حتى فتحوا الإمبراطورية البازنطينية و وصلوا إلى قسطنطينية في عصر محمد الفاتح .

وكذلك امتلكوا الإمبراطورية الفارسية الساسانية ، إذا قال إنسان : إن هذه الإمبراطورية ستزول ، رأى الناس إليه عجباً و دهشة واستغراباً ، وظنوا بعقله سوءاً ، ما كان يتصور ذلك ، ولكن كل ذلك وقع لإرادة الله سبحانه وتعالى .

فالذي نحتاج إليه ، والذي جرت به سنة الله تبارك وتعالى في تاريخ الديانات ، وفي تاريخ الحركات الإصلاحية حتى في النبوات ، هو أن تقوم قلة مهما بلغت من ضآلّة العدد والعدد ، تقوم بإخلاص وبعزم ، وبوعي ، وبعقل ، وبحكمة ، وبتعاون ، وبتجريد النية لخدمة الدين فقط ، هنالك ينزل الله نصره ، وقد جاءت في القرآن الكريم تصريحات كثيرة بأن الله سبحانه وتعالى ينصر الضعيف على القوي ، وينصر القليل على الكثير ، جاءت في هذا المعنى آيات ، فيقول الله :

﴿ يا أيها الذي آمنواإن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾

(سورة محمد ، الآية : ٧) .

ويقول :

﴿ كم من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئةً كثيرةً بإذن الله • والله مع الصابرين ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٢٤٩) .

فالمهم الآن أن تقوم منظمة وتقوم جماعة مؤمنة ، جماعة صاحبة دعوة ، صاحبة مبدأ ، صاحبة غاية ، تقوم بإخلاص ، وبإيمان وبحماس ، وبتعاون ، وباتحاد ، وبتجريد النية والقلوب من حب الدنيا ومن حب الرئاسة ، ومن التنافس في القيادات والعظمة ، هنالك ينصر الله سبحانه و تعالى ، و أتجرأ و أقول لكم - و استغفر الله ربي ، و أعوذ به - وأقول : ﴿ إلا تفعلوه تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير﴾ أيها المسلمون في أوربا ، أيها المسلمون في أمريكا ، أيها المسلمون في انجلترا ، وأتشجع وأقول أيها المسلمون في البلاد العربية ، التي يحارب في كثير من بقاعها الإسلام ، ويتخوف من الإسلام ما لا يتخوف من الشيوعية ، وما لا يتخوف من الصهيونية ، وما لا يتخوف من المسيحية الصليبية ، وما لا يتخوف من فساد المجتمع ، وانهيار المبادئ الخلقية والقيم المعنوية ، يتخوف من الإسلام أكثر مما يتخوف من أي شئ ، أقول لكم أيها الإخوان ! ﴿ إلا تفعلوه تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير﴾ الآن هنالك حرب واحدة تشن الآن وتقوم ، وهي الحرب بين الإسلام وبين اللاإسلام ، وبين عبادة الله وبين عبادة النفس ، وبين التعاليم الإسلامية وبين تقديس القيم الغربية ، وإحلالها محل تعاليم الكتب السماوية ، هذه هي الحرب الوحيدة القائمة الآن وهي حرب مسعورة مسجورة .

هذه كلمتي التي حضرتني الآن ، وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يمنحنا من قوة الإرادة وحسن النية والإخلاص والعزم حتى نقوم بنشر الإسلام في هذه القارة التي أفسدت العالم كله زمناً طويلاً ، والتي لا تزال لها سلطة كبيرة في إفساد المسئولين عن المعارف والتربية

لمسئولين عن الثقافة ، والمسئولين عن الجامعات والكليات ، فلا يزال ها أثر في ربوعنا الشرقية ، في مناطقنا ، وفي بلادنا الشرقية بما يها البلاد العربية .

ونختم هذه الكلمة بترجمة أبيات لشاعر الإسلام الدكتور محمد قبال الفارسية مقتطفة من كتابي « روائع إقبال » .

قول محمد إقبال مخاطباً للمسلم :

أيها المسلم ! أنت للناموس الأزلي حارس وأمين ، ولسيد هذا الكون سار ويمين (١) لقد كانت نشأتك من التراب ، ولكن بك قوام العالم بقاء الأمم ، اشرب كأساً فائضة من اليقين ، وانهض من حضيض الظن التخمين ، انتبه من السبات العميق الذي طال أمده ، واشتدت وطأته .

الغياث من الأفرنج الذين خلبوا العقول وسحروا النفوس ، الغياث ن هؤلآء الذين خدعوا مرة بالرقة والدلال ، ومرة بالقيود والأغلال ، ارة مثلوا دور « شيرين » وطوراً لعبوا دور « أبرويز» (٢) لقد صبح العالم كله خراباً بياناً بإغاراتهم وغزوهم .

يا باني الحرم ! و يا خليفة إبراهيم ! انهض لبناء العالم من ـديد ، انتبه من السبات العميق الذي طال أمده ، وأشدت وطأته (٢) .

ونسأل الله أن يوفقكم ويوفقنا لنستحق نصر الله رغم قلة عددنا عددنا ورغم كثرة عدد هؤلآء المنافسين للإسلام وأعداء الإنسانية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

-- --- --

(١) يعني أنه آلة بيد القدرة الإلهية ، وجارحة لها .

(٢) يشير إلى قصة غرامية فارسية قديمة تمثل فيها « شيرين » دور المرأة فاتنة التي هام بها الأبطال ، و « أبرويز» دور الملك القاهر الذي عشقها استأثر بها .

(٣) زبور عجم ١١٦-١١٨ باختصار ، وهي زيادة في المحاضرة عند نقلها كتابتها ، مقتبسة ، من « روائع إقبال » .

أهداف الغزو الفكري

[الحلقة الثالثة]

بقلم : الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ المساعد بجامعة الأزهر وقطر

ويوضح هذا العداء ، ويذكر بعض أسبابه المستشرق بيكر ، فيقول : «إن هناك عداء من النصرانية للإسلام ، بسبب أن الإسلام عندما انتشر في العصور الوسطى ، أقام سداً منيعاً في وجه الاستعمار ، وانتشار النصرانية ثم امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها » (١) .

ويقول في هذا المعنى « لورانس بروان » : « إن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع و الإخضاع ، وفي حيويته . إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الغربي » (٢) ثم بين « لورانس بروان » : أن خطر المسلمين هو الخطر العالمي الوحيد في هذا العصر ، الذي يجب أن تجتمع له القوى ، وتجيش له الجيوش ، وتلتفت إليه الأنظار ، فيقول حاكياً أراء المبشرين : « إن القضية الإسلامية تختلف عن القضية اليهودية ، إن المسلمين يختلفون عن اليهود في دينهم ، إنه دين دعوة ، إن الإسلام ينتشر بين النصارى أنفسهم وبين غير النصارى ، ثم إن المسلمين كان لهم كفاح طويل في أوربا ، فأخضعوها في مناسبات كثيرة ، على أن الفرق الأساسي بين

---

(١) أنظر : المصدر السابق : ص/٧٠٥

(٢) راجع المصدر السابق : ص/٧٠٥ . وأنظر : عمر فروخ والخالدي التبشير والاستعمار : ص/١٨٤ ط. المكتبة العصرية بيروت

المسلمين واليهود - كما يراه المبشرون - هو أن المسلمين لم يكونوا يوماً ما أقلية موطوءة بالأقدام » .. ثم يقول : « إننا من أجل ذلك نرى المبشرين ينصرون اليهود على المسلمين في فلسطين . لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودي . والخطر الأصفر (باليابان وتزعمها على الصين) وبالخطر البلشفي . إلا أن هذا التخويف كله لم يتفق (لم نجده ولم يتحقق) كما تخيلناه . إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا . وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم (١) عدونا الألد . ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا . أما الشعوب الصفر . فإن هناك دولا ديمقراطية كبيرة . تتكفل بمقاومتها . ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام » (٢)..

ولقد اشترك الاستعمار الغربي . والجهد التبشيري . والحقد الصليبي . في حرب المسلمين . وتشتيت تراثهم . ونهب ديارهم . يخيم عليهم سحابة سوداء . من البغضاء والكراهية . يتمثل هذا فيما حدث في عام ١٩١٨م عندما دخل اللورد اللنبي القدس . وأعلن : « الآن انتهت الحروب الصليبية » كان هذا القائد يعبر عن الروح الأوربية . الروح الصليبية التي ظلت متوهجة في أعماقهم طوال تلك الحقب . وبنفس الحقد الذي صدر عن الجنرال الانجليزي . كان مسلك الجنرال الفرنسي « غورو » قائد الجيش الفرنسي في دمشق حين ذهب إلى قبر صلاح الدين . بعد أن جاءه راكباً سيارة مكشوفة . وترجل إلى القبر .

---

(١) الواقع أن اليهود لم يضطهدهم المسلمون . ولكنهم هم الذين يضطهدون المسلمين ويتآمرون عليهم .

(٢) انظر : الدكتور توفيق يوسف الواعي . الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية : ص/٧٠٦ و انظر عمر فروخ والخالدي . التبشير والاستعمار : ص/١٨٤

وقال قولته المشهورة : « نحن هنا يا صلاح الدين » وفي اليوم التالي عمل الشئ نفسه في حمص ، حيث ذهب إلى قبر « خالد بن الوليد » - رضي الله عنه - وقال : « نحن هنا يا خالد » (١) .

هذا الحقد ، والضغن ، والمقت ، كان سبباً قوياً ، في الإغارة على المسلمين ، بشتى الأساليب ، والطرق ، والأشكال ، والألوان ، وما زالت تلك الموجة ، تعلو ، وتشتد ، وتمتد ، ثقافياً وفكرياً ، لتخريب قواعد الإسلام ، والأخلاق الإسلامية ، و إشاعة الأفكار، والتيارات الهدامة (٢) - وشغل الأمة الإسلامية ، بكل ما هو هامشي في حياتها ، حتى لا تدرك اليقظة الواعية ، ولا تنتبه إلى ما يحاك حولها .

لقد وجد الغربيون ، أن خير طريق لغزو العالم الإسلامي وإخضاعه ، هو سلوك الغزو الفكري ، فوضعوا الخطط ، وحاكوا المؤامرات ، للغارة على الأفكار ، والمفاهيم الإسلامية ، وعلى كل ما له صلة بالإسلام ، حضارة وثقافة ، وصارت قاعدتهم التي ارتكزوا عليها: « إذا أرهبك عدوك فأفسد فكره ينتحر به ، ومن ثم تستعبده » وانطلقت الصيحة إلى ضرورة نقل المعركة من ساحة الحرب ، إلى ميدان الفكر والمعرفة (٣) . فأغاروا على حضارة الإسلام وثقافته . سعياً وراء هد

---

(١) انظر الدكتور توفيق الواعي الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضا[رة] العربيه ص ٧٠٧

وانظر كذلك نجيب الكيلاني الإسلامية والقوى المضادة ص [illegible]

ط مؤسسة الرسالة ١٤٠٢ هـ

(٢) راجع الدكتور توفيق يوسف الواعي . الحضارة الإسلامية مقا[رنة] بالحضارة العربيه ص ٧٠٧

وراجع أنور الجندي . المد الإسلامي في القرن الخامس عشر ٢٨٦

(٣) أنظر عز الدين الخطيب التميمي وآخرين . نظرات في [الثقافة] الإسلامية . ص ٢٢

وراجع عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني . أجنحة المكر الثلاثة ص [illegible]

عقائده وأفكاره ، ونشر الأفكار الغربية بديلاً عنها .

ولا شك أن الغزو الفكري أعمق أثراً ، وأشد فتكاً في حياة الأمة من الغزو المسلح ، لأنه يتسلل إلى عقولها وقلوب أبنائها . ذلك أن الأمم تقاس بمقوماتها العقدية ، والفكرية ، وقيمها الخلقية .

فالغزو الفكري الأخلاقي أخطر من الغرو المادي المسلح ، لأنه يمضي بين الناس ، في صمت ونعومة وخفاء في الأهداف ، مما يجعل الناس تدريجياً يتقبلون كل جديد، ولو خالف قيمهم، وعقائدهم ، وأفكارهم ، دون معارضة ، ويتقبلون الذوبان في بوتقة أعدائهم ، وهم ينظرون ولا يشعرون (١) ..

وإذا كان العداء الصليبي للإسلام والمسلمين سبباً رئيسياً دفع بالغرب الى « الغزو الفكري » للمجتمعات الإسلامية فإن هناك أسباباً أخرى - عير العداء الصليبي - ساعدت على انتشار « الغزو الفكري » و عملت على هزيمة المسلمين أمام هدا الغرو ، و نجد ذلك واضحاً في « ثانيا .. »

ثانياً : الاستعمار الغربي للمجتمعات الإسلامية :

لقد تعرض المجتمع الإسلامي في أسيا ، وإفريقيا ، للطابع الأيديولوجي ، للمجتمع الأوربي ، سواء الحديث منه في القرن التاسع عشر ، أو المعاصر في القرن العشرين ، ولم تكن للمجتمع الإسلامي مناعة في رفض هذا الطابع وتحديه ، وعدم تقبله .

فتعرض للغزو الأوربي ، من أجل الصناعة الغربية ، منذ أثمر عهد

(١) انظر : عز الدين الخطيب التميمي وآخرين ، نظرات في الثقافة الإسلامية : ص/٣٤ .

النهضة الأوربية ثمرته في التحرر والخلاص ، من سلطة الكنيسة ، و
استرداد الإنسان الأوربي حرية الحركة في التجارة ، وفي شئون ا
على العموم ، وحرية التفكير والتوجيه السياسي (١) .

وكان الوضع في البداية قبل الاستعمار تربصاً من جانب المج
الأوربي بالمجتمعات الإسلامية ، وانقضاضاً عليها من جانب ، ب
كان استسلاماً من أي مجتمع إسلامي ، تعرض للترص والانقضاء
وقبولاً للوصاية الأجنبية والاستغلال الأوربي من جانب آخر (٢)
هو مسجل في صفحات التاريخ أن المجتمع الإسلامي [illegible]
للاستعمار ، فقد احتلت بريطانيا الهند في سنة ١٨٥٩م ،
الجزيرة الإسلامي [illegible] شبه الجزيرة العربية في سنة [illegible]
ومصر في سنة ١٨٨٢ م والسودان في سنة ١٨٩٨ م
واحتلت فرنسا الجزائر في سنة ١٨٣٠م وتونس في سنة
والمغرب في سنة ١٩١٢م
واحتلت إيطاليا طرابلس الغرب في سنة ١٩١١م
واحتلت هولاندا جزر الأرخبيل الأندونيسية تماماً بعد عام [illegible]
وروسيا احتلت القرم قبل القرن التاسع عشر في [illegible]
وسيطرت بأشرافها على المجتمعات الإسلامية في وسط آسيا
أذربيجان ، وكازاخستان ، وأوزبكستان وتركمنستان [illegible]
، سيطرة تامة في القرن التاسع عشر ولم يسلم من الأجنبي
سوى اليمن والحجاز وإيران [illegible] شيئاً (٣)

---

(١) انظر [illegible]
[illegible] ١٩٦٣م [illegible]
(٢) راجع [illegible]

ولا يخفي أن وقوع المجتمعات الإسلامية تحت سيطرة الاستعمار زاد من اتساع السوق الاستهلاكية لمنتجات الغرب الصناعية ، وهذا أدى إلى تفوق الصناعة الغربية ، وكلما قوي المجتمع الأوربي وتفوق صناعياً ، كلما زادت رقعة استعماره في قارة إفريقيا وقارة آسيا ..

وكلما زادت قبضة أوربا على ما تم استعماره ، وكلما اتسع نفوذها السياسي والاستغلالي ، كلما زاد ضعف المجتمع الإسلامي الذي وقع تحت سلطة الاستعمار ، وزادت تبعيته وتقبله لما يأتي من الغرب .

ويوم أن تحرك المجتمع الأوربي لاستعمار المجتمعات الإسلامية ، كان في قمة مجده ، بما أنجزه من الفصل بين الكنيسة والدولة ، واستقلاله بالسلطة الزمنية ، وبالحرية الفردية ، في التفكير ، والتوجيه ، وبالحرية السياسية ، كما كان في أشد الأوضاع حرصاً على اتجاه (العلمانية) كمثال للإنسانية ..

استصحب الاستعمار معه هذا الاتجاه بما يستتبعه في الحكم ، والتوجيه ، والتشريع ، والاقتصاد : في المجتمع الإسلامي الذي يتمكن منه .

وباستصحاب الاستعمار اتجاه العلمانية ، ومحاولة تطبيق هذا الاتجاه ، في المجتمع الإسلامي ، وهو مجتمع يغاير في خصائصه ، وتاريخه ، وواقعه .. المجتمع الأوربي ، اضطر هذا الاستعمار إلى أن يسلك طريقاً يمكنه من هذا التطبيق ، وهو طريق عزل المجتمع الإسلامي كلية عن ماضيه ، وعن تراثه العقلي ، والروحي ، والتوجيهي ، والسلوكي ..

فإذا ما تم عزله أصبحت قيادته ميسرة ، وطيعة للمستعمر ، وبالأخص للأجيال التي تنشأ في ظل هذه العزلة (١) .

---

(١) راجع المصدر السابق · ص/٥٤

ثالثاً : تقدم الغرب العلمي :

لقد كان الغرب يملك تقدماً علمياً فائقاً ، وتقدماً مادياً هائلاً ، وعبقرية تنظيمية مبدعة ، وروحاً من الجلد والصبر على العمل والانتاج ، وروحاً عملية في مواجهة المشكلات سواء من ناحية الدراسة أو من ناحية التنفيذ (١) .

ولا شك أن التقدم العلمي المذهل للغرب ، كان قوياً دقاقاً ، له من القوة والانتشار والاستيلاء ، ما بهر العقول ، وفتن الألباب ، ولا غرو فقد بز بذلك كل تقدم علمي عرفه العالم ، وسمعت عنه البشرية في التاريخ المترامي الأطراف . واستطاع أن يخرج من الأسرار ، ويكشف من الاختراعات ما جعل أبصار الناس وعقولهم تتعلق به (٢) وخاصة أن هذا العلم أصبح في خدمة الإنسان في كثير من مناحيه فاتجهت الأنظار والعقول والقلوب من الغرب متطلعة إلى مزيد من الكشوفات التي يحققها (٣) .

لقد واجه العالم الإسلامي مشكلة تقدم الغرب العلمي [illegible] وهذا التحدي السافر على طريق واحد وهو صاحب الحضارة العريقة والرسالة الدينية الخاتمة ، وصاحب الوصاية على البشرية بعد أن نسخت كل الديانات والمذاهب القديمة بمواريثه من موارد النبوة وحجته المشرقة . وصاحب الرقعة الواسعة والثقافة المنتشرة ويقود

---

(١) أنظر محمد قطب : واقعنا المعاصر ص ٢٤٢ ط مؤسسة المدينة ١٤٠٦هـ .

(٢) راجع الدكتور توفيق يوسف الواعي : الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ص ٦١٠ .

(٣) [illegible]

الكبرى التي كان يحسب لها ألف حساب . فكان تحدي الحضارة المادية الآلية للعالم الإسلامي أعظم من تحديها لأي أمة ، ولأي حضارة ، ولأي ثقافة ، وقد صاحب تلك الحضارة مذاهب فكرية ، وفلسفات مادية ، ونظم سياسية ، واقتصادية ، وعمرانية ، واجتماعية ، وخلقية ، وكان لابد أن ينظر الناس - وخاصة الشعوب المتخلفة - إلى هذه المذاهب ، والفلسفات ، والنظم نظرة تقدير واحترام ، لأنها نتاج تلك الشعوب المتقدمة ، وحصاد تلك الأمم المتطورة التي فتتت الذرة ، وصنعت الطائرة والصاروخ ، وأدارت الأقمار (١) وغزت الفضاء لتراقب سلوكيات الإنسانية كلها - وخاصة تحركات المجتمعات الإسلامية - ولتكتشف من الفضاء الواسع ، ما يزيدها من العلم تمكيناً وأصبحت المجتمعات الإسلامية تمجد الحضارة الأوربية ، والتقدم العلمي والصناعي ، واستطاع الغرب أن ينقل الانتاج المادي إلى المجتمعات الإسلامية ، في إفريقيا وفي آسيا ، لاستخدام هذا الانتاج في تيسير الحياة ، والتغلب على صعوبات المشاق التي تصحب عادة الحياة الإنسانية المتخلفة ، أو البدائية ، وذلك ليكون شواهد مادية ، ترى وتختبر في التطبيق وفي واقع الحياة (٢) . [يتبع]

---

(١) الدكتور توفيق يوسف الواعي ، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية . ص/٦٨٦

(٢) الدكتور محمد البهي ، الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر : ص/٥٤ .

الدعوة الإسلامية :

أمثلة ثابتة

دكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » الرياض

يضرب الله الأمثال المعقولة بالأشياء المحسوسة لتكون أقرب في ذهن السامع وأدعى لحفظ والوعي حيث يفهم حسن الدلالة ويتأصل المعنى المقصود [illegible] والتوجيه الإسلامي [illegible]

[illegible] كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء [illegible] مثل [illegible] الأمثال للناس لعلهم [illegible] الكلمة الطيبة هي [illegible] التي هي [illegible] الإخلاص [illegible] لا إله إلا الله التي هي [illegible] وحاجة [illegible] في لفظها لا إله [illegible] أن يرتبط بها القلوب « إلا الله » [illegible] لله وحده [illegible] المستحق للعبادة وهو المعبود بحق [illegible] باطل ولذا [illegible] لا إله إلا الله [illegible] العرف [illegible] المثل [illegible] ويتسم بذلك [illegible] الدلالة [illegible] له المثل [illegible]

ـمل .

وأما العلامة الفعلية : فمن إدراك ما يجب أن تكون عليه الجوارح
ـلاً ، وما ينبعث من القلب اعتقاداً ، وفق دلالة هذه الكلمة التي هي
ـن للنفس من المؤثرات ، وحجاب يحمى المرء من إباحة الدم والعرض
لمال .. كما أخبر بذلك رسول الله -ﷺ- في قوله الكريم : « أمرت أن
ـاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ،
ـذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم ، إلا بحقها ، وحسابهم على
ـه » .

وأما مقاتلة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - لمانعي الزكاة ، وهم
ـولون لا إله إلا الله ، ويشهدون أن محمداً رسول الله ، فإن السر يبرز
حواره مع عمربن الخطاب الذي تجلى به الحكم الشرعي عندما قال :
ـف تقاتلهم وهم يشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ،
ـسول الله -ﷺ- يقول كذا ثم أورد الحديث الآنف الذكر ..
فقال - رضي الله عنه - يا عمر : أليست الزكاة من حق « أن لا إله
الله » ، ورسول الله يقول : إلا بحقها ، قال عمر -رضي الله عنه-
ـي ، عندها قال عمر : فأدركت أنه أفقه مني .

ولما كانت كلمة الإخلاص خيراً وبركة على النفس لأنها أنقذتها من
ـلال ، وطهرت القلب من الرجس والشك ، ودفعت البدن للعمل النافع
ـمر ، فإن النخلة المحسوسة في حياة الإنسان ، والتي ضرب الله بها
ـل ذات منافع كثيرة ، وخيرات وميرة ، فهي تؤتي أكلها كل حين
ـن ربها ، كما قال الربيع بن أنس في تفسير « كل حين » أي كل
ـوة وعشية ، لأن ثمر النخل يؤكل أبداً ليلاً ونهاراً ، صيفاً وشتاءً ،
تمراً او رطباً أو بسراً ، كذلك عمل المؤمن ، يصعد أول النهار
ـضره ، وبركة إيمانه لا تنقطع أبداً ، بل تصل إليه في كل وقت

(تفسير الطبري) .

والشجرة الطيبة هي النخلة ، قال بعض اللغويين المراد كشجرة طيبة التمر ، معللين ذلك ، كما قال الطبري في تفسيره : بصحة الخبر في ذلك عن رسول الله -ﷺ- ، فيما رواه عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله -ﷺ- : « إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي ؟ فوقع الناس في شجر البوادي ، قال عبد الله : ووقع في نفسي أنها النخلة ، فاستحييت ، ثم قالوا : حدثنا ما هي يا رسول الله ؟ قال : فقال : هي النخلة » (أخرجه البخاري) .

والعرب الذين نزل القرآن الكريم بلغتهم ، والنخلة هي الشجرة الأساسية في بيئتهم يدركون الدلالة اللغوية وما يعينه تقريب ضرب المثل بالنخلة ، لفوائد النخلة ، وقيمتها في حياتهم : غذاء وظلاً ، ووقوداً ، ومنافع أخرى لأنهم يتعاملون مع ذلك بين الفينة والفينة ، نظراً بالعين ، ومنفعة في الغذاء ، وفوائد يدركها كل فرد فقد روى عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : إنه ليهل علينا الشهر ، ثم الشهر ، ثم الشهر ، يعني ثلاثة شهور ، وما أوقد في بيت رسول الله ناراً ، قال لها ابن الزبير : وما طعامكم يا خالة ؟ قالت : الأسودان التمر والماء .

ولعل الحكمة والله أعلم في تمثيل الإسلام الذي مدخله وعلامته البارزة : شهادة الإخلاص ، لا إله إلا الله وهي الكلمة الطيبة ، بالشجرة الطيبة ، أن الشجرة عموماً لا تكون شجرة ، إلا بثلاثة أشياء : قاعدة راسخة وهي العروق الممتدة في الأرض ليكون من الحياة والغذاء وأصل قائم ، وهو الساق الذي بنموه ترتفع الشجرة ، وفرع عال ، وهو من الأساس ينمو معها ، إلا أنه يرتفع بنمو الساق ، ويتكون فيه الثمر من قوة و نمـــاء القاعدة ، و تشبعها غذاء بالعروق .. و كذلك الإسلا

لا يتم إلا باداء أركانه الخمسة التي هي جذور العقيدة ، ثم ترتفع مكانته بالإيمان الذي لا يتم إلا مع ثلاثة أشياء : تصديق بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالبدن .

وإذا كان الإيمان لا يدرك حقيقته ، إلا من وقر في قلبه تصديقاً ، ودل عليه بلسانه قولاً ، وصدق ذلك كله ما يصدر عن جوارح البدن من أعمال ، فإن المثل الذي ضرب الله به لا يكون خلافاً للمعنى ، لأن للنخلة من المنافع والفوائد ، ما يجعلها موطن الاهتمام قديماً وحديثاً .

فقديماً كانت هي الزاد والظل ، وهي التي تتحمل الإهمال وقلة المياه ، وهي التي لا شوك فيها ، ولا يتساقط ورقها ، وهي التي قليلة التكلفة عظيمة المنفعة ، كثيرة المصالح ..

وحديثاً ينبئ العلم الحديث ، وتتوافر الدراسات والبحوث ، عن فوائد عديدة ، حتى أنها أصبحت مركز بحث مستقل للزراعيين وللصحيين .

فهي فاكهة من ألذ الفواكه ، شهية بطعمها ، بل هي أشهى وألذ فواكه الصيف ، الذي يلائمه الغذاء الخفيف سريع الهضم ، بل إن بعض ثمار النخيل ، الذي يزيد في التسمية عند العرب في شتى بلادهم عن مائتى نوع ، يتفاضل طعماً ، ويتميز استطابة ، مع أنه في أصوله : يتماثل شكلاً ومنظراً ، ويتوازى نمواً في أصوله وفروعه ، وتنمو هذه الأنواع من النخيل بجوار بعضها و في تربة واحدة ، و تسقى بماء واحد ، ومع هذا يكون لبعضها لون غير اللون الآخر ، وتتمايز النوعيات في المذاق والرغبة ، كما أخبر الله جلت قدرته بقوله الكريم : ﴿ وفي الأرض قطع متجاورات • وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان • يسقى بماءٍ واحد • ونفضل بعضها على بعض في الأكل • إن في ذلك لآيات لقومٍ يعقلون ﴾ (سورة الرعد ، الآية : ٤) .

ومع هذا الطعم واللذاذة فقد اختص الله من سائر أنواع الثمار والمطعومات : طلع النخلة وهو التمر بمزايا ، فهو لا يفسد بالحرارة أو البرودة ، ولا يتأثر بالجفاف أو الرطوبة ، كما هي الحال في كثير من الفواكه ، التي لها عمر محدود ، إذا لم تؤكل فيه فسدت ، وأصبحت غير صالحة للاستعمال البشري ، وهو أيضاً لا يتأثر بالوعاء الذي يحمل فيه ، أو المدة مهما طالت ، ولا تتأثر قيمته الغذائية ، ولا ما فيه من المنافع بالجو أو المكث ، وهو كثير المنافع الطبية ، سهل الهضم ، ولذا قال عنه ابن القيم : إنه فاكهة وغذاء ودواء ، وشراب وحلوى .

وقد ألف في التمر كتب طبية عديدة تبين مزاياه ، ومنافعه ، وقد أحصا واحد ممن ألف في التمر وفوائده الطبية ، تسعة فيتامينات ، وثلاثة عشر نوعاً من المعادن ، وعشرة من الأحماض ، وثمانية عشر نوعاً من المواد الأخرى ، ولكل من هذه الأشياء خصائص في بناء الجسم ونموه وفي وقايته من الأمراض

يشير إلى هذا ؟ في فصل الصيف الذي تعطي النخلة فيه ثمارها ، وتجود بأنواع طيبة وشهية مما يحمله فرعها الثابت في السماء علوا وارتفاعا ، حيث ان النخلة تعتبر من أطول الأشجار ، وأكثرها نفعا وأجودها عطاء ، ولذا تعتبر شجرة مباركة وجذعها جر بشرى الله ﷺ بعد تركه الخطبة عليه

ونلاحظ في هذا المنظر من أهمية النخل الذي ذكره الله في كتابه الكريم عشرين مرة ، شرحا لفائدتين طبيتين عن ثمار النخلة ، وذلك بقدر ما يسمح به هذا الحيز ، حتى لا يزهد ناشئتنا في التمر والاهتمام به كغذاء رئيسي من ناحية ، ولأنه جزء من بيئتنا التي يجب أن نرتبط به طباعنا ، وسائر أحوالنا .

الفائدة الأولى : في قصة مريم عند ما جاءها المخاض فأمرت بقول

الله عزو جل : ﴿ وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ﴾ (سورة مريم ، الآية : ٢٥) قال بعض العلماء : ولو علم طعاماً خيراً من التمر لأطعم مريم إياه ، وما ذلك إلا أن النفساء ، تحتاج خلال نفاسها لمزيد من المقومات والملينات ، والمهدئات ، وسبحان الله لا يوجد شئ أفضل من التمر لتلكم الأشياء ، فالتمر به منجم معادن ، وخاصة الحديد ، كمقومات ، وبه سليكوز، كملين ، وينشط حركة المعدة ، فيه فيتامين (ب) المهدي ، ناهيك عما به من عناصر حيوية للجسم ، ولذا روى عن عمرو بن ميمون : ما من شئ خير للنفساء من التمر والرطب (شجرة المعجزات : ص/٤٩) .

والفائدة الثانية : جاء في سنة رسول الله -ﷺ- ، كما قال أنس بن مالك - رضي الله عنه - : « كان رسول الله -ﷺ- يفطر قبل أن يصلي على رطبات ، فإن لم تكن رطبات فتميرات ، فإن لم تكن تميرات حساحسوات من ماء » (رواه أبو داؤد والترمذي وقال حسن صحيح) .

تقول بعض كتب الطب : إن الصائم يعتريه نقص بعض أنواع من السكاكر ، ولذا كان الصوم مفيداً لمريض السكر خاصة ، فيكون الصائم بحاجة إلى ما يمده بالطاقة ، وكذا بعض العناصر الحيوية الهامة ، التي بتغيرها في الإفطار والسحور بالبدائل الغذائية ، تعد نعمة من الله لتنقية الجسم وتطهيره بالصوم ، وكأنها تغيير زيت السيارة مثلاً : والتمر سريع الهضم والامتصاص خلال ساعة من تناوله ، مما يسرع في إمداد الجسم بالطاقة ، وتعويضه بالعناصر المعدنية والفيتامينات ، والكربو هيدرات مع ما يقوم به التمر إثر ما به من مواد سلليوزيه تساعد المعدة على عملياتها الهضمية ، وكذلك تنظيفها وتطهيرها إن نقص نسبة السكر في الجسم أثناء الصيام ، هي التي تسبب الإحساس بالجوع ، وليست قلة الطعام والشراب ، هي سر ذلك ولذا كان السر في

الإقطار بالتمر ، وكذلك السحور ، وخاصة أن سكر الفركتوز يعوض السكر المحترق في الدم ، نتيجة الحركة ، وبذل الجهد ، فلا يفتر الصائم ، ولا يتعب ناهيك عن أنه يقوي الكبد والقلب والدم ، لما يحتويه من معادن عديدة سهلة وسريعة الامتصاص ، فخلال ساعة يهضم التمر ، كالعسل فسبحان المنعم المتفضل على عباده (شجرة المعجزات : ص/٤٠-٤١) .

ولو لا فضل الله سبحانه على أهل المناطق الصحراوية ، التي يقل فيها نماء الأشجار المثمرة ، عدا شجر النخل ، كالمملكة العربية السعودية ، و الجزائر ، و المغرب ، و موريتانيا ، و السودان و غيرها ، حيث أكثر ما يتوفر عندهم التمر كغذاء رئيسي ، لأصيبوا بأمراض عديدة لا يعلم مداها إلا الله جل وعلا ، فكانت النخلة جديرة بهذا التشبيه البليغ ، والمكانة التي يقترب بها إدراك أمر مهم في عقيدة المسلم ، وكمال إيمانه .

من أخبار أمية بن أبي الصلت :

أورد ابن كثير في تاريخه عن الطبراني أن أبا سفيان قال : خرجت أنا وأمية بن أبي الصلت الثقفي تجاراً إلى الشام فكلما نزلنا منزلاً أخذ أمية سفراً له يقرؤه علينا ، فكنا كذلك حتى نزلنا قرية من قرى النصارى فجاءوه ، وأكرموه وأهدوا إليه ، وذهب معهم إلى بيوتهم ، ثم رجع في وسط النهار، فطرح ثوبيه ، وأخذ ثوبين له أسودين فلبسهما، وقال لي : هل لك يا أبا سفيان في عالم من علماء النصارى ، إليه ينتهي علم الكتاب نسأله ؟ قلت : لا إرب لي فيه ، والله لئن حدثني بما أحب لا أثق به ، ولئن حدثني بما أكره لأجدن منه ، قال : فذهب وخالفه شيخ من النصارى ، فدخل علي ، فقال : ما يمنعك أن تذهب إلى هذا الشيخ ؟ قلت : لست على دينه ، قال : وإن ، فإنك تسمع منه عجباً

وتراه ، ثم قال لي : أتقضى أنت ؟ قلت : لا .. ولكن قرشي . قال : فما يمنعك من الشيخ ؟ فو الله إنه ليحبكم ويوصى بكم . قال : فخرج من عندنا . ومكث أمية عندهم ، حتى جاءنا بعد هدأة من الليل . فطرح ثوبيه . ثم انجدل على فراشه . فو الله ما نام ولا قام حتى أصبح ، كئيباً حزيناً . ساقطاً غبوقه على صبوحه ، ما يكلمنا ولا نكلمه ، ثم قال : ألا ترحل ؟ قلت : وهل بك من رحيل ؟ قال : نعم . فرحلنا فسرنا بذلك ليلتين ، ثم قال في الليلة الثالثة : ألا تحدث يا أبا سفيان ؟ قلت : وهل بك من حديث ؟ والله ما رأيت مثل الذي رجعت به من عند صاحبك ، قال : أما إن ذلك لشئ لست فيه ، إنما ذلك لشئ وجلت منه من منقلبي ، قلت : وهل لك من منقلب ؟ قال : إي والله لأموتن ثم لأحيين ، قلت : هل أنت قابل أمانتي ؟ قال : على ماذا ؟ قلت : على أنك لا تبعث ولا تحاسب . قال : فضحك ثم قال : بلى والله يا أبا سفيان ، لنبعثن ثم لنحاسبن ، وليدخلن فريق في الجنة ، وفريق في النار ، قلت : ففي أيهما أنت أخبرك صاحبك ؟ قال : لا علم لصاحبي بذلك لا فيّ ولا في نفسه ، قال : فكنا في ذلك ليلتين ، يعجب مني وأضحك منه ، حتى قدمنا غوطة الشام بدمشق فبعنا متاعنا ، وأقمنا بها شهرين ، ثم ارتحلنا حتى نزلنا قرية من قرى النصارى ، فلما رأوه جاءوه وأهدوا له ، وذهب معهم إلى بيعتهم ، فما جاء إلا بعد منتصف الليل ، فلبس ثوبيه وذهب إليهم ، قد جاء بعد هدأة الليل ، فطرح ثوبيه ، ورمى بنفسه على فراشه . فوالله ما نام ولا قام ، وأصبح حزيناً كئيباً لا يكلمنا ولا نكلمه .. وبعد فترة قال لي : أتذكر ما كان بيني وبين ذلك العالم النصراني ، فقد قلت له : أخبرني عن هذا النبي الذي ينتظر ، قال هو رجل من العرب ، قلت : فمن أي العرب هو ؟ قال : من أهل بيت تحجه العرب ، قلت : وفينا بيت تحجه العرب ، قال : هو

من إخوانكم من قريش ، فأصابني والله شئ ما أصابني مثله قط ، وخرج من يدى فوز الدنيا والآخرة ، وكنت أرجو أن أكون إياه ، قلت : فإذا كان ما كان مضفه لي ، قال : رجل شاب حين دخل في الكهولة ، بدؤ أمره ، يجتنب المظالم والمحارم ، ويصل الرحم ويأمر بصلتها ، وهو محوج كريم الطرفين ، متوسط في عشيرته ، أكثر جنده من الملائكة ، قلت : وما آية ذلك ؟ قال : قد رجفت الشام منذ هلك عيسى بن مريم – عليه السلام – ثمانين رجفة ، كلها فيها مصيبة ، وبقيت رجفة عامة فيها مصائب ، حتى إذا لم يبق بيننا وبين مكة إلا ليلتان أدركنا ركب من خلفنا ، فأخبرونا برجفة أصابت أهل الشام ، ودمرت أهلها ، فأقبل عليّ أمية ، فقال : كيف ترى قول النصراني يا أبا سفيان ؟ قلت : أرى وأظن والله أن ما حدثك به صاحبك حق ، ولما وصلنا مكة إذا رسول الله قد بعث وصار يدعو الناس ، ثم ذهب أبو سفيان في تجارة لليمن ، وقدم الطائف فنزل على أمية ، فقال : أتذكر قول النصراني ، قلت : نعم وقد كان ، قال : و من ؟ قلت : محمد بن عبد الله ، قال : ابن عبد المطلب ؟ قلت : ابن عبد المطلب ، ثم قصصت عليه بعض أخباره ، قال : فالله يعلم وأخذ يتصبب عرقاً ، ثم قال : يا أبا سفيان لعله ، إن صفته لهي ، ولئن ظهر وأنا حي ، لأطلبن من الله عزوجل في نصره عذراً ، ثم رجعت إليه بعد اليمن ، فأقبلت على أمية وقلت يا أبا عثمان قد كان من أمر الرجل ما بلغك وسمعته فأين أنت منه ؟ قال : والله ما كنت لأومن برسول من غير ثقيف أبداً (٢٠٢، ٢٠٣)

فكان هذا من شقاوته لأنه حسد رسول الله – ﷺ – نسأل الله السلامة والعافية

أهمية الإيمان وضرورته للإنسان

[الحلقة الثانية]

بقلم فضيلة الشيخ سعيد بن مسفر بن مفرح
ابها (المملكة العربية السعودية)

الضرورة الثانية :

إن الإيمان يقدم للإنسان التفسير الحقيقي لهذه الحياة وللإنسان . فهذه الحياة لغز محير حارث في فهمه العقول في القديم والحديث وعجزت كل الفلسفات أن تجيب أو تحل هذا اللغز. ويوم أن عجرت فسرت الحياة تفسيراً خاطئا مبنيا على الجهل والتخبط . وقالوا كما قال الله عز وجل : ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ فأجاب عليهم ربنا تبارك وتعالى بقوله : ﴿ وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون ﴾

وجاء الملاحدة في العصور الحديثة ليجددوا مقالة أسلافهم من ملاحدة العصور القديمة فقالوا عن هذه الحياة « ما الحياة إلا حرح يدفع وأرض تبلع وبطن بينهما لا يشبع » إنه لا فرق بين كافة هؤلاء وأولئك . لأن الفكرة جاءت وليدة الجهل بحقيقة الحياة .

إن هذه الحياة لها أسرار ولها معاني . ولا يمكن للإنسان معرفة هذه الأسرار وهذا المعنى . إلا بتعليم من خالق هذه الحياة وهو الله ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ وهذا العلم يأتي عن طريق الوحي والرسالات السماوية الداعية إلى الإيمان بالله والتلقي عن الله وعمارة الكون بطاعة الله ويومها يعرف الإنسان سر وجوده وسر هذه الحياة ثم ليتعامل معها على ضوء هذا العلم . فيسير في حياته

سيراً منسجماً مع حقائق الأمور فيشعر بالأمن والسعادة والرضا والاطمئنان .

أما معرفة الإنسان لنفسه فهذا لا يحصل إلا عن طريق الإيمان وبغير الإيمان لا يعرف الإنسان نفسه ولا من هو .

وقد يقول قائل كيف لا أعرف نفسي ، أنا ، فلان بن فلان ونحن نقول له لا أنت لا تعرف من أنت وحتى نؤكد لك صحة ما نقول نضرب لك هذا المثال ليتضح لك الأمر

لو أن هناك رجلاً اسمه حسن ثم حصل له حادث مروري أدى إلى بتر قدميه فماذا سيصبح اسمه بعد الحادث وبعد بتر قدميه ، هل سيصير محمد أو عبد الله أم سيبقى حسن رغم بتر قدميه إنه سيبقي حسن ثم مرت الأيام وبعد مدة وقع لحسن هذا حادث مروري اخر أدى بتر يديه فماذا سنسميه بعد ذلك سيبقي اسمه حسن رغم بتر يديه ، ومرت الأيام وتوالت المحن والمصائب على حسن وأصيب بفشل كلوي أدى إلى استئصال كليتيه ، فماذا سيصبح اسمه بعد استئصال كليتيه إنه سيبقي حسن لو قطعناه قطعة قطعة حتى يخرج منه شئ واحد ، هي الروح ، فإذا خرجت أصبح جنازة أو جثمان لأن حسن الحقيقي قد خرج ، أجل الإنسان اسمه حسن أو محمد لشئ هام فيه هي الروح . لا لعينيه ولا لأذنيه ولا لرجليه ولا ليديه ولا لجميع بدنه بدليل أن الإنسان إذا مات وخرجت منه الروح لم يعد له قيمة رغم وجود جميع الأجهزة في بدنه جهاز السمع والبصر والهضم وغيرها .

أجل الإنسان اسمه حسن وهذا الاسم للروح التي بين جنبيه ، ويمكننا أن نتسأل حسن هذا ما هي الروح سيقول لا أدري ، وإذا قال : لا أدري ، فقد اعترف أنه لا يعرف نفسه وهذا واقع أكثر العالمين اليوم لا يعرفون أنفسهم أي أرواحهم يعرفون فقط أجسامهم .

وقد جهلوا أرواحهم لأن الروح من أمر الله . يقول تعالى : ﴿ ويسئلونك عن الروح • قل الروح من أمر ربي ﴾ والكافر لا يعرف أمر الله . أجل هو إذاً لا يعرف نفسه . وأما المؤمن الذي يعرف أمر الله . فإنه يعرف روحه ويعرف عندئذ نفسه لأن الروح لا تعرف بالمقاييس الأرضيه ولا تخضع للموازين البشرية . ولا يمكن التعرف عليها إلا عن طريق الإيمان ولذا نلاحظ كيف اهتم الكفار بأجسامهم . فأوجدوا لها المستشفيات ووسائل الحماية والحفظ ولكنهم لما لم يعرفوا أرواحهم لم يعملوا لإسعادها لأنهم لا يعرفون أمر الله ولم يتعرفوا على دين الله .

كان أحد الشباب المسلم في بعثة دراسية في لندن وفي المطار وقف بجواز رجل إنجليزي تقف بجواره زوجته . وقد حاول أن يدعوه إلى الإسلام . فتدخلت زوجة الإنجليزي في النقاش . وقالت للشاب المسلم : ماذا تريد . قال لها : أريد أن تؤمني أنت ويؤمن زوجك بالله الذي لا إله إلا هو . قالت له : إذا أجبتني على سؤال آمنت . قال : ما هو السؤال ؟ قالت : كم طول الله في عرصه أستغفرالله . فقال لها الشاب : هل تحبين زوجك . قالت : نعم . قال : كم طول الحب في عرضه . قالت : الحب لا يخضع لمقاييس البشر . قال لها : سبحان الله الحب وهو عاطفة في النفس لا يخضع لمقاييس البشر وتريدين من خالق هذا الكون وخالق الإنسان وخالق الحب . أن يخضع لمقاييس البشر. قالت : أشهد أن لا إله إلا الله . وأن محمداً رسول الله . وهكذا أسلمت وأسلم زوجها . وعلم هذا الأخ أن هذه المرأة كانت منذ مدة تبحث عن الإسلام ولكن لديها هذه الشبهة . فلما غسلها من ذهنها . دخلت في دين الله .

إن البشرية اليوم رغم تطورها وابتكاراتها تهتم بغير الإنسان . انها تهتم بعين الإنسان وأذن الإنسان ورجل الإنسان ويد الإنسان . ولكنها أهملت الإنسان نفسه . أهملت روح الإنسان . لأنها لا تعرف

الإنسان وهكذا ستبقى البشرية في ضلالها وضياعها ، حتى تعود إلى أمر الله . و يوم تعود إلى أمر الله يحصل لها التعرف على نفسها وتحصل لها السعادة .

لقد سبح الإنسان في الفضاء ، وطور المادة ، وفجر الذرة ، ولكنه دمر نفسه ، لأنه لم يعرف الطريق إلى الإيمان الذي بواسطته يستطيع أن يعرف نفسه ثم يسعى في إسعادها .

يـــا خادم الجسم كم تسعى لخدمته
أتطلب الـــربح ممـــا فيه خسران
أقبل على الروح واستكمل فضائلها
فأنت بالـــروح لا بالجسم إنسان

الضرورة الثالثة :

إن الإيمان يزرع في قلب الإنسان الأمن والطمأنينة والراحة والاستقرار ، وينزع منه القلق والاضطراب والحيرة والضلال .

يقول تبارك وتعالى : ﴿ من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى • فلنحيينه حياةً طيبةً • ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ والحياة الطيبة : ليست حياة الجسد ، ولكنها حياة الروح والقلب في ظل الإيمان بالله عز وجل .. وهذا مجرب ومشاهد ، فإن البشرية اليوم رغم تطورها العلمي لم تستطيع أن تحقق للإنسان سعادته ، بل إن أعلى نسبة الافتخار في العالم ، هي في الدول المتطورة ، لأن ضغط الحياة المادية على النفس البشرية فجرها فلم تجد طريقاً للخلاص من معضلات الحضارة إلا بالموت عن طريق الافتخار ، للشعور بالضيق والضنك نتيجة الإعراض عن هدى الله . يقول تعالى : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشةً ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى • قال رب لم حشرتني أعمى و قد كنت بصيراً • قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها • و كذلك اليوم تنسى • وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب

الآخرة أشد وأبقى ﴾ .

ولعل سائلا يسأل ، ويقول : لماذا يشعر الإنسان بالقلق في ظل الكفر ؟ والجواب أن الإيمان يخبرك أيها الإنسان بسر وجودك وحكمة خلقك ، ولماذا جئت إلى هذه الحياة ، وما هو مصيرك بعد مغادرتها ، فيحصل للإنسان الأمن والطمأنينة ، لأنه عرف الحقيقة ، أما بعد الإيمان فماذا يدريك لماذا خلقت وإلى أين دور هذه الحياة ومن هذا العمى والجهل يتولد القلق والاضطراب لأن الإنسان على يقين انه سيموت وسينتقل من هذه الدنيا ، ولكنه لا يدري إلى أين سيذهب به فيحصل لديه القلق ، وينتزع الأمن نتيجة جهله بمصيره .

سأل الرجل المتعلم والحاصل على أعلى الدرجات ، دكتوراً أو بروفسوراً ، لماذا خلقت ؟ فيقول : لا أدري ، فتقول له : لماذا تأكل ؟ فيقول : لأعيش ، فنقول : لماذا تعيش ؟ قال : لآكل ، فتقول له : وبعد رحلة الأكل والعيش ، هذه ماذا يحدث ، فيقول : أموت ، فتكون الإجابة عليه تخلق عبر أطوار الخلق ثم تعاني في هذه الحياة من أجل أن تموت وتنتهي المسألة ، لو أن الهدف من خلقك هو الموت لما خلقت لأنك كنت ميتاً ، فلماذا إذا تخلق ما دام أنك تخلق لتموت لا والله ان هناك غاية من خلقك ألا وهي العبادة ، يقول تبارك وتعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ وهذا الهدف لا يعرفه إلا المؤمن ، فإذا عرفه استغرقت نفسه وأطمأن قلبه .

يقول عز وجل : ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله • ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ .

هذه هي الضرورات الثلاثة المهمة التي يوفرها الإيمان للإنسان ، ولذا نقول لكل عاقل إن الإيمان ضرورة لابد منها ، لترتفع عن درجة الحيوانية ولتعرف حقيقة الحياة ، وحقيقة نفسك ، ولتعيش في أمن وأمان واطمئنان لا يجده أهل الأرض كلهم .

بحث في التقليد والتلفيق

[الحلقة الثالثة]

بقلم : فضيلة الأستاذ خالد سيف الله رحماني
تعريب محمد رحمة الله المظفر فوري

التقليد للمجتهد :

والذي بلغ مكانة الاجتهاد واستوفى شروطه ، فلا خلاف في أنه جدير بالاجتهاد والعمل بما أداه إليه اجتهاده، ويجب عليه الإفتاء به ، ولا يجوز له اتباع ما أدى إليه اجتهاد الآخر اتفاقاً ، لوجوب اتباع اجتهاده اجماعاً .

والمسائل التي لم يسع الاجتهاد فيها ، هل يكتفي فيها على التقليد بالفقهاء الآخرين أم لا ؟ وقد اختلفت فيه آراء العلماء ونذكر معظمها فيما يأتي نقلاً عن الإمام أمير بادشاه :

١- الأكثر من العلماء على أنه ممنوع من تقليد غيره مطلقاً ، منهم أبو يوسف و محمد على ما ذكره أبو بكر الرازي و أبو منصور البغدادي ، و مالك على ما في أصول ابن مفلح ، و ذكر الباجي أنه قول أكثر المالكية ، و ذكر الروياني أنه مذهب عامة الشافعية ، و ظاهر نص الشافعي و أحمد وأكثر أصحابه ، و اختاره الرازي و الآمدي و ابن الحاجب .

٢- وقيل لا يمنع من التقليد قبل الاجتهاد ... وعليه الثوري وإسحاق

وأبو حنيفة ، على ما ذكره الكرخي والرازي ، قال القرطبي : وهو الذي ظهر من تمسكات مالك في الموطأ ، وعزاه أبو إسحاق الشيرازي إلى أحمد .

٣- وقيل يمنع عن التقليد ... إلا إن خشى الفوت ، أي فوت أداء ما يجب عليه ، كأن ضاق وقت الصلاة ..... وهو مروي عن ابن شريح ، وروى عن محمد أنه يقلد مجتهداً أعلم منه لا أدون منه ولا مساوياً له . وقال الشافعي في القديم : يجوز إن كان صحابياً راجحاً ، فإن استووا أي الصحابة في نظره بحسب العلم واختلفت فتواهم يخير فيقلد أيهم شاء ، ولا يجوز تقليد من عداهم .

٤- وقيل يمنع عن التقليد فيما يفتى به غيره لا فيما يخصه (١) .

وكما اني اعتقد أن القول الذي ينسب إلى الإمام أبي حنيفة هو أصوب ، لأن مراجعة الصحابة غيرهم في الأحكام الفقهية و لجوء المستفتين إليهم وعدم اجتهادهم بنفسهم أمر مسلم ثابت .

العدول عن مذهب فقهي إلى آخر في بعض المسائل :

هناك قضية ذات أهمية كبيرة تتعلق بالتقليد الشخصي ، وهي أن المقلد لمذهب فقهي خاص - مثلاً هو يقلد الإمام أبا حنيفة أو الإمام الشافعي فيجوز له - أن يترك ذلك المذهب الفقهي ويرفضه ويختار مذهباً آخر كلياً ، لكنه إذا عدل من مذهبه في بعض الأحكام الفروعية إلى مذهب آخر هل يجوز له أم لا ؟ أم يلزم عليه أن لا يحيد عن مذهبه قيد شعرة، فرأى بعض العلماء التزامه بمذهبه على وجه الكمال ، لا يعدل عنه في شئ ، إلا أن معظم الفقهاء و المحققين لا سيما العلامة

(١) تيسير التحرير : ٢٢٨/٤ .

ابن الهمام يرى - وهو الراجح - أن الالتزام بجميع فروع مذهب خاص ليس بأمر لا محيص عنه للمقلد .

وهو يقول : « فلو التزم مذهباً معيناً كأبي حنيفة والشافعي فهل يلزم الاستمرار عليه ، فلا يقلد غيره في مسألة من المسائل أم لا ؟ فقيل يلزم كما يلزم الاستمرار في حكم حادثة معينة قلد فيه ، ولأنه اعتقد أن مذهبه حق ، فيجب عليه العمل بموجب اعتقاده ، وقيل لا يلزم ، وهو الأصح ، لأن التزامه غير ملزم ، إذ لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله ، ولم يوجب على أحد أن يتمذهب بمذهب رجل من الأمة فيقلده في كل ما يأتي و يذر غيره ، و التزامه ليس بنذر ، حتى يلزم الوفاء به (١) .

ونقل الأمير بادشاه عن الإمام صلاح الدين العلائي : « والذي صرح به الفقهاء مشهور في كتبهم جواز الانتقال في آحاد المسائل والعمل فيها ، بخلاف مذهبه ، إذا لم يكن على وجه التتبع للرخص (٢) ، وبالجواز يقول العلامة ابن نجيم المصري ، وقال الآمدي بالعدول الجزئي ، لكنه يشترط بما لم يتصل عمله ، فلا مانع منه اتباع غيره فيها ، وبه يقول ابن الحاجب (٣) ، وكذلك ذهب إلى الجواز إمام الحرمين والإمام القدوري وابن دقيق العيد .

وقال الإمام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي نقلاً من الفتاوى الظهيرية : « من فعل فعلاً مجتهداً فيه أو قلد مجتهداً في فعل مجتهد فيه فلا عار ولا شناعة ولا إنكار عليه » (٤) .

(١-٢) تيسير التحرير : ٤/٢٥٢ .

(٣) عقد الجيد : ص/٦٥ . (٤) نفس المصدر : ص/٦٧

١ - العدول على أساس الدليل والبرهان :

والسبب في العدول هو كون براهين الفريق الثاني أقوي وأقطع بإزاء الأول ، و من ثم يسع المقلد أن يرجح رأى فقيه آخر لهذا السبب ، وبه يقول الإمام أحمد و ابن الصلاح و ابن همدان و القدوري من الأحناف . يقول الأمير بادشاه نقلاً عن الإمام العلائي : « والثانية إذا رأى القول المخالف لمذهب إمامه دليلاً قوياً راجحاً ، إذ المكلف مأمور باتباع نبيه -ﷺ- . وهذا هو الموافق لما روى عن الإمام أحمد والقدوري وعليه مشى طائفة من العلماء » (١) .

وقد نقل هذا الرأى الإمام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي عن الإمام النووي . و هذا هو مسلك الإمام ابن الهمام . و قد خالف أبا حنيفة - رحمه الله - في كثير من القضايا نظراً إلى قوة الدليل وقطعيته . لا يجدى ذكره شيئاً . و نقل عن العصام بن يوسف - و هو من الفقهاء المتقدمين - أنه كان يعدل في كثير من المتفرعات عن رأى الإمام الأعظم حتى في قضية رفع اليدين ولا يزال هو حنفي المسلك عده العلماء من الأحناف المتقدمين .

فيقول العلامة عبد الحي فرنغي محلي : ويعلم أيضاً أن الحنفي لو ترك في مسألة مذهب إمامه لقوة دليل خلافه لا يخرج به عن ربقة التقليد ، بل هو عين التقليد في صورة ترك التقليد ، ألا ترى إلى أن عصام بن يوسف ترك مذهب أبي حنيفة ، ومع ذلك هو معدود في الحنفية » (٢) .

(١) تيسير التحرير : ٢٥٥/٤ .

(٢) الفوائد البهية في تراجم الحنفية : ص/٤٨ ، طبع المكتبة المصطفائية .

ولم يشذ الشيخ عبد الحي - رحمه الله - في رأيه بل وافقه عليه ابن الهمام كذلك . يقول العلامة ابن عابدين وهو ينقل رأي العلامة ابن الهمام : « إذا صح الحديث وكان على خلاف المذهب عمل بالحديث ، ويكون ذلك مذهبه ، ولا يخرج مقلده عن كونه حنفياً بالعمل به ، فقد صح عن أبي حنيفة أنه قال : « إذا صح الحديث فهو مذهبي » (١) .

ولذلك فقد أجاز الفقهاء أن الصاحبين - الإمام أبا يوسف ومحمداً رحمها الله - لو خالفا الإمام أباحنيفة ، ورأيهما أقوى من حيث الدليل يفتي به ويترك قوله .

يقول ابن بخيم - رحمه الله - نقلاً عن الحاوي القدسي : « إن الإمام إذا كان في جانب وهما في جانب ، فالأصح أن الاعتبار لقوة المدرك » (٢) . حتى قال ابن عابدين الشامي : « في خزانة الروايات ، العالم الذي يعرف معنى النصوص والأخبار وهو من أهل الدراية يجوز له أن يعمل عليها ، وإن كان مخالفاً لمذهبه » (٣) .

وما تحدث به العلامة أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي في هذا الموضوع هو في غاية من الإيضاح والصراحة حيث يقول : التقليد نوعان :

١ - التقليد المباح ، ٢- التقليد الحرام .

والتثبت على التقليد والتمسك به رغم توافر الدلائل الواضحة محرم عنده ، وقد صرح بذلك في قوله : « والوجه الثاني أن يظن بفقيه أنه بلغ الغاية القصوى ، فلا يمكن أن يخطئ ، فمهما بلغه حديث صحيح صريح يخالف مقالته لم يتركه ، أو ظن أنه لما قلده كفله الله بمقالته ،

---

(١) شرح عقود رسم المفتي : ص/٦٧ ، طبع الجامعة الإسلامية العربية بهوفال - الهند .

(٢) البحر الرائق لابن نجيم : المجلد السادس ، ص/٢٦٩ .

(٣) الدرر المختار على الرد المحتار : ١/٥١ .

وكان كالسفيه المحجور عليه ، فإذا بلغه حديث واستيقن بصحته لم يقبله ، لكون ذمته مشغولة بالتقليد ، فهذا اعتقاد فاسد ، وقول كاسد ، ليس له شاهد من النقل والعقل » (١) .

ويبدو من أقوال المحققين من الأحناف - مثلاً ابن الهمام وابن نجيم والملا علي القاري - ومن الشافعية - الحافظ ابن حجر والإمام الغزالي - وآخرين من العلماء والأفاضل أنهم حيثما يجدون رأى إمامهم يخالف الدليل الواضح المنصوص عليه فإنهم يذرونه ولا يظنونه منافياً للتقليد والاتباع ، ويقلدون في ذلك أقوال أئمتهم التي أمروا فيها بالعمل بما جاء في النصوص وترك أقوال الفقهاء بإزائه .

يقول العلامة الشامي وهو يحكى عادة ابن الهمام : « اختار مسائل خارجة عن المذهب ، و مرة ارجح في مسألة قول الإمام مالك ، و قال : « هذا الذي أدين به » (٢) وهذا هو القول الصحيح ، وهذا الذي يفرق بين التقليد الجامد والمتزن الوسط .

٢ - العدول من مذهب فقهي إلى غيره بناءاً على متطلبات الزمان :

وهذا هو السبب الثاني للعدول ، فإن الرأى الذي ذهب إليه الفقهاء بالنظر إلى أوضاع عصر وظروفه فتغييره من أجل تطور صرورة العصر واحتياجاته أمر طبيعي ، لأن هذا العدول بمنزلة الضرورة .

يقول العلامة الشامي : « فكثير من الأحكام تختلف باختلاف الزمان ، لتغير عرف أهله أو لحدوث ضرورة أو فساد أهل الزمان ، بحيث لو

(١) عقد الجيد : ص/٧١-٧٢ (مع ترجمته الفارسية)

(٢) رسم المفتي : ص/١٠٢ .

بقي الحكم على ما كان عليه أولاً للزم منه المشقة والضرر بالناس ، ويخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير ، ودفع الضرر والفساد لبقاء العالم على أتم نظام وأحسن أحكام » (١) .

ونظائر هذا العدول نجدها في كثرة كثيرة عند الفقهاء ، فقد نقل صاحب « جامع الرموز» مذهب المالكية عن الزوج مفقود الخبر أن القاضي يحكم بالتفريق بعد التربص بأربعة أعوام ، ثم يقول : « فلو أفتى به في موضع الضرورة ينبغي أن لا بأس به على ما ظن » (٢) .

وهكذا روى الشيخ عبد الحي اللكنوي عن القهستاني وحسب المفتين (٣) .

قد تفرد الإمام محمد في قوله بفسخ النكاح من أجل الجنون ، لكن قوله هو المقبول دون رأى الشيخين ، وذلك نظراً إلى الضرورة ، هذا وغيره كثير من المسائل التي عدل فيها الفقهاء من أجل الضرورة ، ومسألة الاستئجار على تعليم القرآن والإمامة والأذان معروفة معلومة لدى كل عالم في هذا الباب (٤) .

يقول الشامي نقلاً عن الحاوي القدسي : « قول أبي يوسف ومحمد موافق قوله لا يتعدى عنه إلا فيما مست إليه الضرورة ، وعلم أنه لو كان أبو حنيفة رأى ما رأو لأفتى به » (٥) .

ومن الملاحظ أن العدول من أجل الضرورة لا يتضيق نطاقه فيما إذا

---

(١) رسائل ابن عابدين الشامي : ١٢٥/٢

(٢) جامع الرموز : ١٦٥/٢ .

(٣) راجع عمدة الرعاية في حل شرح الوقاية : ٢٩٢/٢ .

(٤) أنظر للتفصيل شرح عقود رسم المفتي : ص/٦٨ .

(٥) نفس المصدر : ص/٧٠ .

ان المعدول إليه أقوى وأرجح ، بل يجوز العدول من رأى أقوي إلى ما ونه .

يقول ابن عابدين : « فقد ذكر في حيض البحر في بحث ألوان دماء أقوالاً ضعيفة ، ثم قال : وفي المعراج عن فخر الأئمة : لو أفتى لفتي بشئ من هذه الأقوال في مواضع الضرورة طلباً للتيسير كان سناً . وكذا قال أبو يوسف في المنى إذا خرج بعد فتور الشهوة لا جب به الغسل ضعيفاً ، وأجاز العمل به للمسافر أو الضعيف الذي اف الريبة ، كما سيأتي في محله ، وذلك من مواضع الضرورة » (١) .

- **العدول من أجل السهولة واليسر :**

الواقع أن تتبع الرخص في مذاهب الفقهاء وبناء العمل عليها وفتح ذا الباب لعامة المسلمين أمر يؤدي إلى حدوث فتنة كبيرة . ولذلك فقد نع الفقهاء عن اختيار تلك الرخص التي سوغها الفقهاء المختلفون ، قرروه نوعاً من الفسق ، ونقل العلامة ابن عبد البر الإجماع على منعه عامة ، وروى عن الإمام أحمد في رواية أنه فاسق ، ورد عليه الشاطبي ي باب مستقل ، ووافق الإمام أحمد أبو إسحاق المروزي (٢) ، وقال بن أبي هريرة : لا يفسق (٢) . يقول الشوكاني : « وفي السنن بيهقي عن الأوزاعي » من أخذ بنوادر العلماء خرج عن الإسلام ، روى عنه أنه قال : يترك من قول أهل مكة المتعة والصرف ، ومن قول ل المدينة السماع وإتيان النساء في أدبارهن ، ومن قول أهل الشام حرب والطاعة ، ومن قول أهل الكوفة النبيذ » (٤) .

---

١) الشامي : ١/٥١ .

٢) أنظر تيسير التحرير : ٤/١٤٧ ، طبع دار الفكر العربي ، والموافقات لشاطبي : ٤/٩٢-٩٦ .

٢-٤) إرشاد الفحول : ص/٢٥٢ ، طبع المكتبة الأثرية

لكني كما اعتقد أن هذا المنع ليس بمطلق ، بل يحمل على تلك الصور التي تقبل فيها تفردات الفقهاء التي تخالف طبيعة الشريعة والدلائل المضبوطة في الشرع ورفضها السواد الأعظم من الأمة اتباعاً لهوى النفس المحض ، وإلى هذا أشار العلامة ابن دقيق العيد ، فقال : وقيل يجوز بشرط أن ينشرح له صدره وأن لا يكون قاصداً للتلاعب ، وأن لا يكون ناقضاً لما قد حكم عليه به .

أما المسائل الاجتهادية التي توجد فيها الرخصة والسهولة من ناحية والضيق والعسر من ناحية أخرى ، وتتوافر البراهين في كلتي الناحيتين ثم يتمسك أصحاب الفتوى بالطريق السهلة المتيسرة نظراً إلى حاجة الناس والتيسير لهم فهذا ليس بمحظور عليه ، ولهذه المسألة نظائر وأمثال في كتب الفقه . مثلاً في « باب المزارعة » و « المساقاة » فإنهما من هذا القبيل ، لأن الرخصة واليسر من طبيعة الشريعة الإسلامية ، وقد ذهب الإمام ابن الهمام إلى اتباع رخص مختلف المذاهب والمسالك فيقول : « (ويتخرج) أي يستنبط (منه) أي من جواز اتباع غير مقلده الأول وعدم التضييق عليه (جواز اتباعه رخص المذاهب) أي أخذه من المذاهب ما هو الأهون عليه فيما يقع من المسائل (ولا يمنع منه مانع شرعي إذ للإنسان أن يسلك) المسلك (الأخف عليه إذا كان له) أي للإنسان (إليه) أي ذلك المسلك الأخف (سبيل) ثم بين السبيل بقوله (بأن لم يكن عمل بآخر) أي بقول آخر مخالف لذلك الأخف (فيه) أي في ذلك المحل المختلف فيه (وكان -ﷺ- يحب ما خفف عليهم) في صحيح البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - بلفظ « منهم » وفي رواية بلفظ « ما يخفف عنهم » أي أمته ، وذكروا عدة أحاديث صحيحة دالة على هذا المعنى » (١) .

(١) تيسير التحرير: المجلد الرابع ، ص/٢٥٤ ، طبع دارالفكر العربي .

تأثير العبادات في إصلاح المجتمع

الأستاذ أيوب الندوي
محاضر في قسم اللغة العربية
الجامعة الملية الإسلامية - دلهي

الصوم : هو إمساك عن المفطرات الثلاث (الأكل والشرب والجماع) نهاراً من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع نية الصوم .

فالصوم - بادئي ذي بدء - حق الله محضا ولكن إذا رأيناه بالدقة وجدنا له علاقة وثيقة وقوية مع شخصية الفرد والمجتمع . ففي الظاهر : الصوم فريضة خالصة لله ، حيث يحرم الإنسان نفسه من الشهوات والملذات وإنه يترك غذاءه وشرابه ودلك لابتغاء مرضاة ربه ، وله ثواب أكبر عند الله سبحانه وتعالى ولكن الصوم له آثار بالغة في المجتمع الذي يعيشه الإنسان . يقول الأستاذ محمد قطب عن أهمية الصوم وأثره على المجتمع :

« إن الصوم في حقيقته عملية تجنيد . وكما تحتاج الأمم كلها لتجنيد أبنائها وتدريبهم على احتمال الجهد والمشقة توقعاً للاحتياج إليهم يوم الصراع فكذلك فرض الإسلام هذا التجنيد . ولكن على نطاق أوسع يشمل الروح والجسد في وقت واحد ويشمل الصغار والكبار والرجال والنساء ، لأنه تدريب لهم على الصراع الأكبر الصراع الدائم صراع الحياة التي يمارسها الجميع وتقع تبعاتها على الجميع (١) » .

---

(١) في النفس والمجتمع : ص/١٤١

يطهر الصوم الصائم من الكذب والخصام واللغو والعبث والقسوة والبخل ويعده ليتحلى بالتعاون والرحمة والبر والوفاء والشعور بآلام الآخرين في الفرح والحزن وفي الشدة والرخاء . يقول القرآن الكريم عن حكمة الصيام : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ١٨٣) وقال رسول الله ﷺ : « الصوم جنة » أي وقاية فالصوم يقي الصائم من أمور لا تليق به ومن مفسدات الحياة في نفسه ومجتمعه فإذا كان شخص صائماً فلا يرفث ولا يصخب وان سابّه أحد أو قاتله قال إني صائم ويجعله مصوناً من الخصام والجدال ، فهذا هو الصوم عمل اجتماعي قبل أن يكون عباده فردية .

فكما للصوم تأثير في بناء شخصية الفرد وتنمية قواه الروحية والنفسية وإعداده إعداداً أخلاقياً كذلك له تأثير بالغ في بناء شخصية المجتمع ، فلمكانة الصوم وتأثيره في شخصية المجتمع يناسب لنا أن نذكر قول العلامة السيد سليمان الندوي :

« إذا فكرنا في مختلف أحكام الإسلام وجدنا في مشروعية الصوم نكتة مخصوصة ، وجدنا فيه الإشارة إلى أن يعيش كل مسلم شهراً واحداً بين اثنى عشر شهراً ويأكل مرة لمدة في كل ليلة ونهارها ويطعم الجوعة وذوي الحاجة والفقراء والمساكين إذا استطاع ، وكذلك إذا فكرنا أحكام الفدية والكفارة وجدنا في جميعها إطعام الفقراء عوضا ينوب عنها وإلا فالصوم ، ووجدناها يتعلق بعضها مع بعض (١) » .

إن البشر كثيراً ما يخطي و ينسى ، و الغني ربما يطغى بغناه والصحيح يغتر بصحته و الشاب يحسب أن شبابه لا يفنى بل يدوم

---

(١) سيرة النبي ﷺ ج ٥ ص ٢٢٤

ما دامت حياته . فلأجل أن يكون المؤمن على وعي وحذر ، وعلى نشاط واستعداد ، وعلى جهد واجتهاد ، مادياً وروحياً ، فرض الله تعالى عليه الصيام . فبواسطة الصوم يعهد الغني أخاه الفقير والصحيح أخاه المريض والشاب أخاه الشيخ ، فهذا هو الهدف الاجتماعي الاسمى الذي فرض لأجله الصيام كما يقول الدكتور صبحي الصالح :

« الطابع الاجتماعي واضح جداً في هذين الركنين (الصوم والحج) فصوم رمضان رياضة روحية تصلح في شهر واحد ما أساء المرء فيه إلى نفسه ومجتمعه طوال أحد عشر شهراً . وفيه يتذكر المسلم في النهار وهو صائم بمن يبيت على الطوى في الليل وهو محروم . فليس كالصوم فريضة لتجديد الميثاق مع الله وتحقيق العدل الذي أمر به الله (١) » .

فهذه هي فريضة الصوم التي إذا حل شهرها لتجد العالم الإسلامي خاصة و المسلمين في العالم كله بوجه عام في جو مبارك مؤثر مثير . ولتحد الوحدة و المساواة و المؤاساة في جميع المجتمعات الإسلامية . ولكن دلك لا يتم إلا إذا أديت هذه الفريضة كما أمر القرآن الكريم . وكما شرح لنا رسول الله ﷺ بقوله وعمله وبين لنا نظرياً وعملياً

الحج : الحج من العبادات التي تمترج فيها الدنيا بالآخرة والأرض بالسماء فهو عبادة تشمل إنفاق المال وإتعاب البدن . فليس الحج عبادة مالية محضاً مثل الزكاة ، وكذلك ليس عبادة جسمانية كمثل الصلاة والصوم . والحج - في تعبير الفقهاء - قصد المؤمنين مكاناً مخصوصاً في أيام مخصوصة بأركان مخصوصة . يقول الإمام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي عن حقيقة الحج :

(١) الإسلام والمجتمع العصري : ص/١٦٢

« اعلم أن حقيقة الحج اجتماع جماعة عظيمة من الصالحين في زمان يذكر حال المنهم عليهم من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ومكان فيه آيات بينات قد قصده جماعات من أئمة الدين معظمين لشعائر الله متضرعين راغبين راجين من الله الخير وتكفير الخطايا (١) » .

فطرة الإنسان عجيبة فكما أنه يريد أن يخضع أمام قوة أكبر وأعظم منه ، فكذلك انه يبحث عن شئ يراه بعينه ، فيوجه إليه أشواقه و يقضى به حنينه و يشبع به رغبته الملحة في التعظيم والدنو ، فلإشباع هذه الحاجة البشرية فرض الله الحج وهذا ما أراد الأستاذ محمد قطب في كلمته عن الحج :

« إن حالات « الوجد » التي تستجيشها في وجدانهم زيارة الأماكن المقدسة وأداء الفريضة فيها لهي حالات عجيبة نادرة المثال في واقع الحياة ، حالات ترتفع فيها النفوس البشرية عن ملابسات الأرض ومطامع الأرض وشهوات الأرض وتتجرد لله خالصة تتوجه إليه أن يتقبلها في عباده ويمنحها مغفرته ورضوانه (٢) » .

وأما تأثير الحج في بناء المجتمع وإصلاحه فعظيم ، لأنه عبادة تمحى كل الفروق الاجتماعية بين الأجناس والألوان والفقراء والأغنياء ، إذا الجميع يكونون في ضيافة الله تعالى في بيته الحرام بملابس واحدة بيضاء ، وهذا ما ذكره الدكتور صبحي الصالح في وضوح الطابع الاجتماعي في الحج ، فيقول :

---

(١) حجة الله البالغة : ج/١ ، ص/٧٥ .

(٢) في النفس والمجتمع : ص/١٤٢ .

« أما الحج فعيد المسلمين الأكبر ومؤتمرهم السنوي العام لشئون دنيا والدين وأعظم مناسكه الوقوف على جبل عرفات . وقد تساوى حجاج في لباس الاحرام المؤلف من إزار ورداء ليس فيه شئ مخيط .. تميز منهم غنياً من فقير . ولا عالماً من أمي . ولا ملكاً من صعلوك نهم جميعاً يرددون على قلب رجل واحد كأنهم الملائكة الأطهار (لبيك للهم لبيك) (١) » .

وللحج دور كبير في تنظيم المجتمع المسلم وإصلاحه فهو يجمع لسلمين من شرق الأرض وغربها على صعيد واحد بالحب والتعاون يكتفون على شظف العيش وكفانا في هذا الصدد . قول الأستاذ صطفى السباعي :

« الحج ... إنه اجتماع وتعارف ولقاء وتعاون .. تطهير المسلم من ل آثار الانعزالية والأنانية والرخاوة والترف .. وإعداد له على روح تعاون والاجتماع والاعتماد على النفس والتحمل لشدة العيش وشظف حياة .. وانه في مكة طواف وسعي يدلان على ثبات على الخير التفاف حوله حتى نهاية الحياة . وانه في منى جمار ورمى يرمزان إلى كافحة الشر والرذيلة في الحياة حتى لقاء الله .. ذلك هو الحج جمعت كمة ثلاث كلمات الله المعجزات « ليشهدوا منافع لهم (٢) » .

ولقد ذكرالله غاية الحج وغرضه حينما قام سيدنا إبراهيم يبنى يتاً لله في واد غير ذي زرع و لم يكن حوله سكان و لا عمـــران فقال عالى :

---

١) الإسلام والمجتمع العصري : ص/١٦٢ .

٢) أخلاقنا الاجتماعية : ص/٤٥ .

﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامرٍ يأتين من كل فجٍ عميق • ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذروهم وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾ (سورة الحج ، الآية : ٢٧-٢٩)

الإسلام دين كامل ، دين الكل ، دين عالمي ، يشمل جميع طبقات البشر ، فإنه جعل الناس سواسية كأسنان المشط ، كلهم من أب واحد وأم واحدة كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً • واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ (سورة النساء ، الآية : ١) و كما قال الرسول صلوات الله و سلامه عليه : « لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض ، إلا بالتقوى (١) » وإنما اللون والجنس للتعارف كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا • إن أكرمكم عند الله أتقاكم • إن الله عليم خبير ﴾ (سورة الحجرات ، الآية : ١٢) .

+++ +++ +++

(١) مسند أحمد بن حنبل : الجزء الخامس ، ص/ ٤١١ ، هكذا في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث .

قراءة في ترجمة معاني « القرآن الكريم » عبر التاريخ

غياب « النص القرآني » باللغة العربية عن معظم التراجم

«موريس» و «سيل» من أوائل المعتنين بترجمات القرآن الكريم

بقلم : الدكتور حمد يوسف النجرامي الندوي

[لم تصل أوربا بعمقها الحضاري والتكنولوجي المتقدم إلى هذه المرحلة إلا بعد أن نهلت من العلوم والمعارف خلال حروبها المختلفة في الماضي . أما في أثناء حروبهم الصليبية ضد المسلمين فقد ركزوا اهتمامهم على الاستفادة من علوم المسلمين و جاءت ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغتهم هي الخطوة الأولى للتعرف على كنوز المسلمين] .

كان أول من اهتم وقام بترجمة معاني القرآن الكريم هو الأستاذ (ال. موريسي L. Moricci) وقام بترجمتها إلى اللغة الإيطالية . وكانت ترجمته هذه أساساً لجميع التراجم باللغات الأوربية المختلفة التي ظهرت فيما بعد . وفي عام ١٤٤٨م ظهرت الترجمة الأولى لمعاني القرآن الكريم باللغة الانجليزية والتي كانت نقلاً حرفياً لترجمة « موريسي » الإيطالي . وفي عام ١٧٣٤م قام المستشرق « جورج سيل » بترجمة معاني القرآن الكريم إلى الانجليزية مرة ثانية وكانت ترجمته موضوع اعجاب لدى المستشرقين لأن « سيل » لم يعتمد على الترجمة الإيطالية فحسب بل أضاف إلى الترجمة شرحاً . وتفسيراً للآيات الكريمة معتمداً على كتب التفاسير المقبولة والمتداولة في الشرق الإسلامي مثل الطبري وابن كثير والبيضاوي وقد قسم جورج سيل مقدمه إلى قسمين

فتحدث في القسم الأول عن التاريخ الجاهلي للعرب مشيراً إلى نشاط المسيحيين الذين كانوا يعيشون حينذاك في المنطقة العربية . وفي القسم الثاني بين « سيل » خصائص القرآن الكريم ، وأوجز تاريخ وعقائد بعض الفرق الإسلامية التي ظهرت على مسرح الشرق الإسلامي.

ترجمة « سيل » مرجع أساسي :

وقد كانت ترجمة « جورج سيل » هذه مرجعاً أساسياً لأولئك المستشرقين الذين اهتموا بالتراث الإسلامي ، وبعد قرن من الزمن أي في عام ١٨٤١م جاء المستشرق (ج. م. رادويل G. M. Radwal) بتنقيح ترجمة « جورج سيل » حيث حذف تلك الكلمات والمصطلحات العلمية التي كانت موجودة في ترجمته واستبدلها بالكلمات والمصطلحات التي كانت مستخدمة ومتداولة في عصره، ولكن بجانب هذا الجهد اللغوي اقترف «رادويل » جريمة التحريف في ترتيب السور في الكتاب الحكيم فوضع في ترجمته ترتيب السور على حسب نزولها فبدأ ترجمته من سورة العلق وانتهى إلى سورة المائدة .

وبعد حوالي أربعين سنة ألف المستشرق الألماني ميكسمو أستاذ اللغات الشرقية في جامعة أكسفورد لجنة من خبراء اللغات الشرقية لترجمة الأسفار وجميع الكتب المقدسة إلى اللغة الانجليزية ، فتم اختيار المستشرق (بامر Bamar) لترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الانجليزية ، فظهرت ترجمته في مجلدين ضخمين وقد قدم لهذه الترجمة المستشرق البريطاني المشهور نكلسون . وأصبحت الترجمة المذكورة مصدراً ومرجعاً عاماً لخبراء اللغات الشرقية وبالأخص المهتمين بالدراسات الإسلامية في الجامعات الأوربية وظهرت ترجمة « بامر» في عدة طبعات وآخرها في عام ١٩٢٢م .

وبجانب هذا هناك من المستشرقين الذين اكتفوا بترجمة معاني بعض السور المختارة من الكتاب العزيز . فعلى سبيل المثال في عام ١٨٤٢م قام المستشرق « دبلولين » بترجمة معاني بعض السور المختارة من القرآن الكريم وقد تناول « دبلولين » في ترجمته موضوعات تتعلق بالتوحيد والرسالة والوحي وقيام الساعة والملائكة والجنة والنار ، كما أشار إلى أسماء الأنبياء والكتب السماوية التي ورد ذكرها في السور المترجمة معانيها . وقد أعيد طبع هذه الترجمة في عام ١٨٧٩م واضيفت إليها مقدمة « حول علوم القرآن » وبجانب هذا هناك عدد من المستشرقين الذين سلكوا على درب « دبلولين » في ترجمة بعض السور المختارة من القرآن الكريم من بينهم « الاسقف سيل » والسير وليم ميور المعروف بعدائه للإسلام ورسوله ﷺ . والمستشرق ماركولين أستاذ اللغة العربية بجامعة أكسفورد قام بترجمة معاني سورة آل عمران مع التفسير المأخوذ من تفسير البيضاوي وفي عام ١٨٩٤م قام « الاسقف هير» (Wherr) بترجمة معاني القرآن الكريم في أربعة مجلدات وقد وضع ترجمة « سيل » أساساً لعمله .

محاربة لغة القرآن :

وقد ظهرت جميع هذه التراجم في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي . والملاحظ في جميع هذه التراجم ان النص القرآني باللغة العربية لا وجود له على الاطلاق والسبب واضح لا غموض فيه وهو القضاء على لغة القرآن الكريم الذي هو من الأهداف الرئيسية لحركة الاستشراق .

هذه بعض المحاولات لترجمة المستشرقين لمعاني القرآن الكريم أو لبعض سوره إلى اللغة الانجليزية . فماذا عن ترجمة توابع

المستشرقين أو بالأصح ربائب الاستعمار الصليبي الذين كانوا يعيشون في الشرق منفذين أهداف حركة الاستشراق الصليبية المتمثلة في تشويه عقيدة التوحيد والطعن في تعاليم ديننا الإسلامي الصحيح .

إن الحركة القاديانية الهدامة التي زرعتها الصليبية في شبه القارة الهندية واحتضنها الاستعمار المسيحي ، تعتبر من الحركات الأولى في الشرق الإسلامي التي اهتمت بترجمة معاني القرآن الكريم حيث ترجم في ١٩١٥م أول جزء من القرآن الكريم من قبل القاديانيين بناء على توجيهات الميرزا بشيرالدين وقد قام المترجم أولاً بإيراد المتن العربي ثم يليه النص القرآني بالحروف اللاتينية ثم يليه الترجمة من حيث ترقيم الآية .

وهذه الترجمة طبعاً غير مقبولة لأنها لا تمثل إلا وجهة نظر الفرقة القاديانية !

وفي عام ١٩١٨م قام المترجم القادياني المولوي محمد علي لاهوري بترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية مع إيراد النص العربي لكتاب الله ، وقد رحب المستشرقون في الغرب وتوابعهم في الشرق بالترجمة التي تشوه عقيدة التوحيد الخالصة والتي [illegible] سبحانه وتعالى في [illegible] على سبيل المثال لا [illegible] الحصر [illegible] إن القرآن الكريم يؤكد أن سيدنا عيسى بن مريم [illegible] الصلاة والسلام قد رفع إلى السماء ، ولكن المترجم القادياني [illegible] يدعي وفاة المسيح عليه الصلاة والسلام - ويبدو أن لاهوري متأثراً بالعقائد المجوسية وتحت هذا التأثير راح يقسم إرادته سبحانه وتعالى إلى قسمين . القسم الأول : يحتوي على الملائكة قوة الخير . والقسم الثاني هو قوة الشر المتمثلة في الجن [illegible]

، هذا التفسير أو التقسيم هو نفس التقسيم الذي قام به المجوس
لذين يقولون إن هناك قوتين : قوة الخير وقوة الشر . والصراع
ينهما دائر حتى تقوم الساعة . وبجانب هذا أنكر المترجم القادياني
ىجزات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - التي يؤكدها الكتاب
ـزيز . وتفسيره للجنة والنار يخالف العقيدة الإسلامية الخالصة
كلاً وموضوعاً وعلى الرغم من هذه الافتراءات والأكاذيب يدعى
ـترجم القادياني أن ترجمته لمعاني القرآن الكريم وشرحه للآيات
بينات لا تتعارض مع العقيدة الإسلامية الصحيحة التي أوضحها
أكدها علماء أهل السنة في مؤلفاتهم .

ـفسير الباطنية :

وفي عام ١٩٢٧م قام الأديب الهندي عبد الله يوسف على الذي كان
ـنتمي إلى طائفة « البهرة » الباطنية بترجمة معاني القرآن الكريم إلى
لغة الانجليزية . وفي الحقيقة أن نشأة المترجم في بيئة الباطنيين
ني كانت مليئة أيضاً بخرافات المتصوفين والوثنيين فضلاً عن
قافته الأوربية واعجابه باللغة الانجليزية كلها لعبت دوراً هاماً في
رجمته لمعاني كتاب الله . ففي هامش رقم ٢٨١٩ يؤكد المترجم بوجود
الإمام العادل » لشروعية الجهاد وفي هامش رقم ٥٧٤٩ يزعم أن الإمام
ـثل وحدة « النور الإلهي » وفي هامش ٤٩٤٩ يؤكد أن الإمام يهتدي
، النور الإلهي . ومن الواضح أن جميع هذه الادعاءات والمزاعم التي
ـتنقها جميع الفرق الباطنية . تخالف عقيدة التوحيد . وفي الترجمة
ـد عبد الله يوسف على يسلك منهج « التفسير الباطني » متأثراً
بي جعفر المنصور العكليني واتباعه . ويدعى في هامش رقم ٢٥٠٤
بعض الآيات في سورة البقرة تتضمن العقائد الباطنية وفي بعض

الأحيان نجد المترجم يخالف النص القرآني في شرح بعض الآيات ، ففي هامش رقم ٢٦٦٩ يزعم أن الزواج من أكثر من امرأة يعتبر ظلماً ، وهذه مخالفة صريحة للآية الكريمة التي تقول : ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ﴾ صدق الله العظيم .

إن عصر عبد الله يوسف علي كان عصراً ذهبياً للامبراطورية البريطانية التي كانت تحكم نصف الكرة الأرضية ، والمترجم تحت تأثير ثقافته الصليبية راح يقارن قصة يوسف - عليه السلام - الصادقة والواردة في القرآن الكريم بقصص وأساطير الحب والغرام الموجودة في التراث الإغريقي المسيحي ، والمترجم في صفحة ٥٩٢ وفي هامش ٢٧٦٤ يشبه قصة موسى - عليه السلام - مع ابنتي النبي شعيب - عليه السلام - بأحداث مسرحية (عطيل) الانجليزية للكاتب المسرحي وليم شكسبير .. كما قام المترجم بالترجمة بلغة شعرية ومن ثم عدل عن المتن الأصلي في الترجمة واكتفى بالاختصار والاجمال كما خالف المترجم في تفسير بعض آيات القرآن رأى الأئمة وأول بعض الآيات دون أي سند وحشد في التفسير والشرح شطحات صوفية

وفي رأيي فإن أوضح أخطاء المترجم هي عرض ترجمة معاني [illegible] في صورة شعرية . لأن القرآن ليس بشعر ومعانيه [illegible] بطريقة بعيدة عن الشعر لقوله تعالى ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكرٌ وقرآنٌ مبين ﴾ وقوله تعالى . ﴿ وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ﴾

اختلاف التفاسير :

ومن الواضح أن هذه التفاسير لا تتفق مع كتاب الله وسنة رسوله

المطهرة بل هي مخالفة صريحة لعقيدة التوحيد ومنهج السلف الصالح .

وبجانب هذا هناك ترجمة لبعض السور من كتاب الفرقان للشيخ بادشاه الحسن وهذه الترجمة باطنية الفكر والمنهج ، وقد نشرت الترجمة مدرسة الواعظين ، لاحدى الفرق الباطنية في مدينة (لكناؤ) بشمال الهند التي تعتبر من مراكز الباطنيين في شبه القارة الهندية .

وتجدر الإشارة إلى أن هناك بعض تراجم معاني القرآن الكريم قام بها بعض الباحثين في الشرق الإسلامي والذين لم يكونوا منتمين إلى حركة الاستشراق وتوابعها ولم يكونوا من معتنقي الأفكار الباطنية الخرافية .

وفي مقدمة هؤلآء الباحثين الدكتور عبد الحكيم النامي الذي كان بداية أمره قاديانياً ولكن الله سبحانه وتعالى أنعم عليه بنعمة الإسلام ، ففي عام ١٩٠٥م قام الدكتور النامي بترجمة معاني القرآن الكريم أولاً إلى الانجليزية ثم الأردية واهتم المترجم بإيراد النص العربي في الترجمتين ، وطبعت الترجمة الانجليزية في عام ١٩٠٥م بالعاصمة البريطانية .

وفي عام ١٩٢٠م قام « مارمادوك بكتال » بترجمة معاني القرآن الكريم تحت عنوان (Meaning of the Gloriouss Quran) وكان المترجم قد ولد في لندن عام ١٨٧٥م واشهر إسلامه في عام ١٩١٤م وركز بعد اعتناقه عقيدة التوحيد على تسوية الخلافات القائمة بين الاتراك والحكومة البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى وكان « بكتال » يرى أو يعتبر الخلافة العثمانية رمزاً للإسلام والمسلمين فقد وضع كل ثقله بجانب الخلافة العثمانية ودفاعه عنها أمام الأوساط السياسية في بريطانيا مما يؤكد حبه للإسلام . وصل « بكتال » في عام ١٩٢٠م إلى

مدينة «بومباي» الهندية وعمل ككاتب صحفي في إحدى المجلات الانجليزية و لكنه لم يستمر في العمل مع المجلة لأن حبه لدين الإسلام و تحمسه لنشر تعاليم الكتاب و السنة دفعه إلى شد الرحال نحو « حيدرآباد » التي كانت تعتبر حينذاك مركزاً هاماً لنشر التراث الإسلامي وعقب وصوله إلى « حيدرآباد » تولى « بكتال » رئاسة مجلة (Islamic Culture) التي كانت تنشر البحوث العلمية حول الإسلام وعقائده بأسلوب شيق . وبدأ « بكتال » خلال عمله في المجلة يفكر في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الانجليزية فعرض فكرته هذه على المسؤولين مطالباً بإجازة لمدة سنتين لكي يتفرغ لتنفيذ فكرته . وقد وفقه الله سبحانه وتعالى في عمله فبعد أن تم ترجمته توجه إلى مصر وعرض ترجمته الأزهر وبعد موافقة المشايخ المصريين نشرت ترجمته في عام ١٩٣٠م في لندن ونيويورك في أن واحد دون النص العربي ولكن المترجم أدرك هذا الخطأ فعمد في الطبعات التالية إلى إيراد النص الكريم المنزل مع ترجمته .

اعتراف بمعجزة القرآن :

وفي الحقيقة أن « بكتال » كان باحثاً علمياً أميناً فقد أشار في مقدمته إلى أن كتاب الله المعجز لا يمكن بل من المستحيل ترجمته إلى لغة أيا كانت . ولكنه في عمله الجبار اعتمد على المراجع الموثوق بها لدى المسلمين بغية نشر تعاليم الإسلام لغير الناطقين بالضاد .

ونحن لا نشك في نية المترجم « بكتال » ولا نقلل من قيمة عمله وجهده في ترجمته ولكن على الرغم من هذا نجد في ترجمته اخطاء لا يمكن أن تكون متعمدة بل هي ترجع إلى عدم اتقان أو تعمق المترجم في اللغة العربية وبلاغتها

فعلى سبيل المثال ترجم « بكتال » كلمة « الهدى » الواردة في سورة البقرة آية رقم (١٩٦) بكلمة (Gifts) أي « الهدايا » والمعروف أن كلمة الهدى تعني الذبائح .. وكذلك أخطأ المترجم في ترجمة معاني قوله تعالى في سورة الروم آية رقم (٤) : ﴿ في بضع سنين ﴾ آ ترجم معناها (خلال عشر سنوات) ومعروف أن كلمة ﴿ بضع ﴾ تشمل الاعداد من ثلاثة إلى تسعة وكذلك ترجمة كلمة (هاجروا والمهاجرين) الواردة في سورة النمل آية رقم (٤١) فقد استخدم المترجم كلمة (Fugitives) لترجمة هاجروا والمهاجرين ، والكلمة الانجليزية المذكورة تطلق على أصحاب السوابق والمجرمين الهاربين من وجه العدالة ووصفه لهجرة الرسول ﷺ بكلمة (Flight) أي الهروب تعتبر طعناً مباشراً في صمود النبي الأمي أمام قوة الباطل والطغيان ، ان هجرة صاحب رسالة التوحيد من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة لم تكن هروباً بل كانت بأمر إلهي وهذه الهجرة المباركة التي يعتز بها كل مسلم كانت بداية لظهور أول « مجتمع إسلامي » في المدينة المنورة .

هذه وقفة سريعة مع بعض التراجم الانجليزية التي كانت ولا تزال متداولة بين قراء الكتاب العزيز .. ونظراً للحاجة الملحة إلى ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الانجليزية ترجمة تكون خالية من الأفكار المناهضة للتوحيد الخالص وتكون أيضاً بعيدة عن الشطحات الصوفية الدخيلة على الإسلام ومنزهة من الخرافات والأساطير والطلاسم . لكل هذه الأسباب سبقت المملكة العربية السعودية في نشر دعوة التوحيد على الكرة الأرضية فقام خادم الحرمين الشريفين ببناء « مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف » وهذا المجمع الشامخ دليل واضح على اهتمام السعودية بنشر عقيدة التوحيد ورفع راية الإسلام عالية

وانطلاقاً من هذا الاهتمام قامت رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد تحت رعاية رئيسها العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز بإعداد ترجمة لمعاني القرآن الكريم باللغة الانجليزية والتي ستمثل إن شاء الله وجهة نظر السلف الصالح وتسد فراغاً كبيراً في هذا المجال ، وكان لي شرف اعتز به في عضوية إحدى اللجان المكلفة من قبل الرئاسة لبحث وتمحيص ومراجعة ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الانجليزية التي أعدتها الرئاسة .

وفي هذا الاطار اقترح على المسؤولين في المملكة العربية السعودية العمل على ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردية التي تعتبر ثالث لغة إسلامية من ناحية التراث الإسلامي .

فمعظم تراجم معاني القرآن الكريم باللغة المذكورة تمثل وجهة نظر الفرق الباطلة مثل القاديانية والباطنة والقبورية وجميع هذه التراجم تشوه عقيدة التوحيد وتبرز عقائد خرافية لا علاقة لها « بالكتاب والسنة » وحقاً هناك تراجم أردية لمعاني القرآن الكريم لا تتعارض مع عقيدة التوحيد ولكن لغتها يرجع تاريخها إلى أكثر من مائة سنة وبالتالي أصبحت غير مفهومة الآن لدى الناطقين بالأردية ، ومن ثم هناك حاجة ملحة إلى ترجمة جديدة لمعاني القرآن الكريم باللغة الأردية وهذا العمل العظيم يحتاج إلى جهد أولئك الرجال الذين يحملون على اكتافهم اسمي وأشرف مسئولية وهي مسؤولية نشر دعوة التوحيد في بقاع الأرض كلها .

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم .

كيف يحيي الله الموتى

الأدلة العلمية الحديثة على المعاد الجسدي

عالم النبات يشهد بإحياء الموتى وكذلك علم الأجنة

[الحلقة الثالثة الأخيرة]

بقلم : الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي

رئيس الأكاديمية الفرقانية . بنكلور (الهند)

إعادة الأطراف والأشكال البشرية :

في هذا العمل المقترح الذي هو التقدير الالهي درسان للناس :

١- هيأ الله بهذا النظام وبحكمته البالغة أسباباً لرزق للإنسان ولجميع خلقه على طريقة بديعة .

٢- ومن ناحية أخرى دبر أن يرى الناس آياته الكونية على إقامة لبعث بعد الموت . إزالة للشك والريب فيه . ففصلى الربيع والخريف إنما هما نموذجان فعليان للموت والحياة . يكررهما الله سبحانه كل سنة . ليعتبر بهما الإنسان و يصحو عن غيه و ضلالته . و حتى لا ينسى عقيدة الحشر و النشر و يوم الحساب و العقاب . بل يستحضر هذه الحقيقة دائماً . فيستعد ليوم الآخرة ولقاء ربه . عملاً باقتضاء هذه العقيدة .

وعلى كل فإن الله سبحانه يري الناس كل سنة من مناظر القيامة

في دنيا النبات ، ليدركوا انهم سيحشرون لا محالة بجميع مميزاته الفردية كالأشجار والنباتات ، وان كانوا عظاماً نخرة في القبور أو كانوا (أسبورات) (SPORES) مدفونة في التراب ، فيخرجون من أجداثهم سراعاً إذا أراد الله سبحانه ، ويخرجون من الأرض كخرو النبات . فلا يكون هناك فرق بمثقال ذرة ، لا في الصورة والشكل و في القد والقامة ولا في اللون والعناصر ، وقد أزاح القرآن الكريم الستا عن هـــذه الحقيقة بقوله : ﴿ قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتابٌ حفيظٌ ﴾ (ق : ٤) .

بل ولا يكون فرق في الأنامل والبنان فضلاً عن التغيير في الصو والقامة . بل يكون كل ذلك كما كانت في الدنيا في الخلقة الأولى ك بين القرآن الكريم ذلك صريحاً : ﴿ أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوّي بنانه ﴾ (القيامة : ٣-٤) .

والحكمة في تخصيص البنان بالذكر ، أنها لا تكون علامات أصا لرجلين متحدةً أبدا . بل لا بد من فارق واختلاف بينهما ، وبعبا أخرى أنه يمكن اشتباه الوجهين و اتحـــاد القدين و اللبس د الصوتين . ولكن لا يمكن أن تتحد بنانا الرجلين . ولذلك يع المجرمون والجناة بعلامات وخطوط بنانهم . وهذا هو السبب الالتزام بالاحتفاظ بسجلات قيد علامات الأصابع في مراكز ال لتفتيش الجناة . ويفرد لها قسم باسم خطوط الأصابع . فالله سـ يصرح في هذه الآية الكريمة انه يخرج كل إنسان يوم القيامة ب أصابعه [illegible] الهيئة التي [illegible] الدنيا [illegible] أن خطوط الأصابع لها أهمية [illegible] الإنسان [illegible] من ذلك انها إذا لم [illegible]

والخطوط لأي إنسان يوم القيامة ، فكيف بالعلائم والنقوش الأخرى أن يدخلها أي تغير وتحريف ، وهي تأتي في الدرجة الثانية ، فينبئ الله تعالى انه لا يصرف النظر عن أي أمارة من أمارات الناس ، يوم يحشرون إلى ربهم ، إلا وهي كما كانت في حيـــاتهم الأولى مع طبائعهم و فطرهم التي خلقوا عليها .

الرد على بعض الشبهات :

هناك يثور سؤال علي وهو أن تفاصيل الحشر والنشر التي سبقت لاتنطبق إلا على الموتى المقبورين . وهنا أموات وافتهم المنية عرقاً أو وقعوا فرائس الحوت أو الأسود فابتلعتهم . وبعض الديانات تحرق جثة الميت فتذرف الرياح برمادها . فما تقولون في هذه الوجوه المختلفة ؟ فالرد عليه أنه لا يوجد في الدنيا شئ يفنى بأصله وتمامه من وجهة نظر علمية . بل إنما يتغير شكل المادة وصورة الشئ . وجوهر أصل الشئ يبقى دائماً بوجه من الوجوه . فعلى سبيل المثال إذا أحرق شئ ظهر بأول وهلة انه قد فني . مع أنه بقي في صورة الرماد . وتؤكد الفيزياء الحديثة أن المادة يمكن تحويلها إلى الطاقة وكذلك العكس . فثبت أن الأشياء وان تغيرت وتبدلت إلا أن أصلها يدوم ويبقى على كل حال . ويمكن تحويلها إلى صور وأشكال مختلفة . إنا نستطيع أن نحول الماء ثلجاً أو بخاراً كما شئنا . ثم نعيده إلى أصله وهو الماء . بل يمكن كسر جزئيات الماء وتبديلها إلى عناصر فردية . فإن في المختبرات العلمية نفسها تجري مثل هذه العملية - الجبر والكسر على الأشياء المختلفة - وتعمل على صناعة المركبات الجديدة .

فأشلاء الإنسان المزعة وأجزاؤه المتناثرة وذراته المبثوثة وان تمازجت مع الأرض والتراب ، أو ذابت في الأنهار والبحار ، أو ذرفتها

الرياح والذواري ، أو تفانت في الأجرام السماوية الأخرى ، أو أصبحت لقمة سائغة للضواري ، سيعيدها الله العليم الخبير إلى أوضاعها الأولى جمعاً بين أشتاتها ولماً لمتفرقاتها ، كما تكشف الآية التالية هذه الحقيقة الأبدية : ﴿ إنها إن تكُ مثقال حبّةٍ من خردلٍ فتكن في صخرةٍ أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله • إن الله لطيفٌ خبيرٌ ﴾ (لقمان : ١٦) .

وقال تعالى : ﴿ وإن كان مثقال حبّةٍ من خردلٍ أتينا بها • وكفى بنا حاسبين ﴾ (الأنبياء : ٤٧) .

وكذلك سؤال آخر ينشأ هنا في الأذهان أن عناصر الإنسان الجسمية دائم التشكل والتبدل ، عبر المراحل المختلفة تبعاً لتغير نظام الخلايا (بانخفاضها و وهنها) في كل عدة سنوات (مرة في كل ثمان سنوات مثلاً) كما هو نظرية العلم الحديث ، فعلى هذه النظرية ينتفي وجود العناصر الأصلية للإنسان ، فكيف يمكن تطبيق هذه القاعدة التي شرحتموها ؟ وما هو الحل ؟ فالرد عليه بسيط جداً ، إذا قلنا عناصر الإنسان وأجزاؤه وان تعرضت للتغيرات المختلفة في حياته بسبب انخفاضها و وهنها ، إلا أن الاعتبار في أصلها يكون غالباً ما استقامت عليه في الأخيرة ، وبعبارة أخرى تعتبر عناصره وأجزاؤه التي وافته المنية عليها .

الأدلة على خلود الروح :

وهناك رد ثان على هذا الاشكال ، بأن اعتبار الشخصية لا حد لا ينبني أصلاً على جسده وعناصره ، بل إنما على الروح ، وهي غير فانية على كل حال ، فإن تغير الجسم وأجزاؤه بأي شكل وصورة ، ولكن لا يتغير شعوره وإدراكه وذاكرته وكيفياته النفسية أصلاً ، بل

بقى دائماً معه ، وذلك من الدلائل القطعية على بقاء الروح . لا ستطيع جحودها أي ملحد ، وهي غير مادية ، لأنها تبقى على الرغم ن جميع التغيرات المادية ، وهي لا تصلح للوزن ولا للمساحة ، كما لا كن إدراكها في المختبرات ، ولكنها ليست نتيجة للتغيرات كيميائية ، كما يتأول الماديون في إنكار الروح ، ولو كانت كذلك تأثرت بالتغيرات الجسدية ، وقد عبر عنها القرآن الكريم بـ (أمر رب) الذي عجز الإنسان عن معرفة كنهها وماهيتها : ﴿ ويسألونك عن روح • قل الروح من أمر ربي • وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ الاسراء : ٨٥) .

وكذلك نجد دليلاً آخر على أن الروح غير مادية ، ونستخلص ذلك ن حالة النوم فنرى النائم كأنه ميت ، وكذلك نجد أن شيئاً فارقه كان وجوداً قبل النوم ، والشهادة المزيدة على ذلك انه يرى في المنام أشياء يسيح في العوالم المختلفة ، فيتذكر كل ذلك في يقظته ، وهكذا تجول في البلدان المختلفة تارة وأخرى ، يزور أقاربه الموتى مع أن سده ساكتّ وصامت ولم يتحرك من مكانه ، وذلك دليل على أن ما كان وجوداً فيه هو الذي شاهد هذه المناظر ومن أنكر ذلك أنكر حقيقة ابتة مسلمة و واقعا بدهياً .

وإذا تأملنا انطلاقاً من هذه النقطة وجدنا ان الله سبحانه أودع في فس الإنسان دليلاً على الروح ووجود بارئها تعالى ، فهو بهذه الوجهة حجة بنفسه على نفسه ، ولا يحتاج مطلقاً إلى أي دليل خارجي ، لأجل ذلك قال تعالى في كتابه الحكيم : ﴿ و في أنفسكم أفلا بصرون ﴾ (الذاريات : ٢١) .

وعلى كل فإن وقوع القيامة وإعادة الأجسام أمر ممكن من وجهة نظر

علمية ، لا يدع مجالاً للشك والارتياب ، بل جميع مظاهر الكون تدل على وقوعها دلالة ظاهرة. أما الإنسان (الجاحد) فيظن ان وجوده في هذا العالم كان بالصدفة وبالتزواج العفوي لبعض العناصر ، مع أن هذه النظرية بذات نفسها غير علمية . فإنها دعوى بلا دليل وزعم ليست له حجة ، بل الواقع الحق أن الإنسان كانت (شخصيته) ثابتة قبل وروده في هذه الدنيا وستكون ثابتة كذلك بعد موته . يعني الشئ الذي يكون متغيراً بين خلقه الأول والثاني هو قالبه فقط ، وتبقى شخصيته على حالة واحدة ازلا وأبداً بدون تغيير وتبديل ، وقد بين القرآن الكريم هذه الحقيقة ببليغ كلماته : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم • ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾ (البقرة : ٢) .

فقد ورد في هذه الآية الكريمة ذكر (موتتين) و (حياتين) والخطاب موجه إلى الإنسانية كلها ، وروى عن ابن عباس وابن مسعود - رضي الله عنهما - في تفسير هذه الآية : أي كنتم أمواتاً معدومين قبل أن تخلقوا فأحياكم - أي خلقكم - ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم ثم يحييكم يوم القيامة (١)

دلت الآية على وجود الإنسان قبل وروده في هذه الدنيا كما دلت على وجوده بعد هذه الحياة الحاضرة في أشكال الأرواح إلى يوم القيامة ، يعني كنا موجودين قبل خلقنا الأول في صورة الأرواح وسنبقى كذلك في صورة الأرواح إلى يوم الدين ، فكان وجودنا مستمراً منذ الأزل (أي منذ خلق الله هذه الأرواح) إلى الأبد ، وقد أهبطنا إلى

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي : ١/٢٤٩

هذه الدنيا لفترة قصيرة ، ولقد تبين ان الروح شئ مغائر للجسد وجنس آخر ، ليست ناتجة عن تغير كيميائي أو طبيعي ، ولو كانت كذلك لنجح العلم الحديث في خلقها خلال تجريباته منذ زمان .

والحق الذي لا مراء فيه أن الروح لا يطرأها الموت والفناء ، فهي دائمة الحياة والتيقظ ، وتدخل في جسم وتخرج منه بأمر الله واذنه . فإذا دخلت جسماً تحرك بالحياة ، وإذا خرجت همد ساكتاً بلا حراك ، فمثلها كمثل مصباح كهربائي ، إذا دخله الكهرباء أضاء واستنار ، وإذا خرج أظلم وتحالك ، فكما أن دنيا العلم الحديث بأسرها جاهلة عن أصل الكهرباءوحقيقتها كذلك هي جاهلة عن حقيقة الروح وكنهها ، بل أكثر جهالة من الأول .

بيد أن العلم الحديث يحمل شيئاً من الإلمام بالكهرباء إلى حد ما ، حينما لا يتجاوز علمه عن الروح نقطة الصفر ، فيقول عن الكهرباء انه تيار الالكترونات على خط مستقيم ، ولكن لا يدري ما هي الالكترونات وما هي الشحنة السلبية الفاعلة فيها ، وكيف تقوم بدورها وكيف تولد الضوء ؟ فيقف عاجزاً عن توجيه معقول لهذه الحقائق ، وكذلك الحال للأجزاء الداخلية للذرة (البروتان والنيوتران) فإن الإنسان ليس له أي إلمام بالأفعال الداخلية للأشياء الكونية ونشاطاتها الخفية ، ولا يتخطى علمه ما دون الأسباب والعلل الظاهرة ، فلا يسعه معرفة داخل الأشياء على حقيقتها ، فالإنسان الذي لا يستطيع أن يحيط بحقيقة الأشياء المادية وماهيتها علماً ومعرفة ، فأنى له أن يدرك الروح وكنهها وهي غير مادية محضة ؟ إلا أنها إذا دخلت هذه الروح وهي (أمر الرب) جسداً هامداً أو خلية غافية بإذن ربها مرة ثانية ، عاد يقظاً نشطاً وبدأت نشأته بسرعة مذهلة .

عالم البرزخ في حالة النوم :

كما أن بذرة أو جرثومة تبقى في جو غير ملائم في حالة من النوم والغفوة وفي كيفية من اللاحركة ، في صورة (الأسبور) كذلك في كل إنسان خلية خاصة موجودة (وهي عجب الذنب في مصطلح الحديث النبوي كما سبق ذكرها) تبقى في حالة النوم والنعاس فإن بعض الأحاديث الأخرى تدل على هذه الحقيقة أن الإنسان يكون في قبره (في عالم البرزخ) على حالة من النوم والغفوة ، كما رواه الترمذي ما معناه أن الميت عند ما يودع اللحد ، يحضره ملكان منكر ونكير ، ويسألانه أسئلة مختلفة ، فإذا أصاب في جوابه يقولان له : « نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله ، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك (١) » .

ويأتي هذا القول المصحوب بالرأفة واللين تبشيرا للعباد الأخيار ، بالمعاملة الحسنى معهم وشمول رحمة الله لهم ، وعلى كل فعندما يحيي الله الموتى يوم القيامة يحسب الناس كأنهم كانوا في المنام ، وقد نطق القرآن بذلك في أبلغ عباراته ، فيقول : ﴿ ونفخ في الصّور فإذا هم من الأجداث إلى ربّهم ينسلون • قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا • هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون • إن كانت إلا صيحةً واحدة فإذا هم جميعٌ لّدينا محضرون ﴾ (يسٓ : ٥١-٥٢) .

القيم الدينية ليست غير معقولة :

الإسلام دين الفطرة السليمة عقلاني الطبع ، فبين لكل عقائده وتعاليمه العلل المعقولة والتوجيهات الواقعية ، فجميع دلائله من وجهة

---

(١) سنن الترمذي ، باب ما جاء في عذاب القبر: ٢/٢٨٢ ، دار احياء التراث العربي .

نظر علمية ، حتى لا يتغاض البشر عن تعاليمه اعتباراً منه انها غير معقولة وغير صالحة للعمل ، وقد ثبت ذلك جيداً من خلال البحوث التي قدمناها .

فلم يأت الإسلام بحكم يعارض العقل والمنطق ، إلا أن هناك مبدأ لا ينبغي أن يعزب عن البال ، وهو ان العلة لحكم من الأحكام إذا قصر العقل عن إدراكها ، لا يكون ذلك دليلاً على أنه مخالف للعقل ، وإنما هو دليل على قصور العقل وعجزه عن إدراك الحقائق الظاهرة منهـا و الباطنة ، و من المعلوم ان دنيا (الفيزياء) (PHYSICS) و (الاحياء) (BIOLOGY) مليئة بأشياء كثيرة ، جهل الإنسان عن حقيقتها وكنهها ، فهل يصح عقلاً أن يعتبر كل ذلك مخالفاً للعقل ومعارضاً له ؟ هذا دليل واضح على أن الإنسان إذا لم يكشف حقائق العلوم الطبيعية والتجربية بنفسها بل عجز أن ينتهي إلى كنهها ، فكيف ما هو ما وراء الطبيعة فينتهي إلى نظام روحي غيبي ؟؟

فعلى كل ، كما أن العالم الطبيعي حافل بالأسرار الغير المكشوفة ، كذلك عالم ما وراء الطبيعة أو الغيب محتوياً على الأسرار المكنونة لا يستطيع الإنسان كشفها ، ولكنها ليست معارضة للعقل ، والسر فيه ان الحكمة الربانية اقتضت ان لا يتعدى العلم الإنساني حداً محدوداً قدر له في المجالين ، فيؤدي ذلك إلى الخروج عن طوق الطاعة ، لأنه مجبول على النخوة والعجب بما لديه من العلم والمعرفة ، فإذا أدرك حقيقة كل شئ عسى أن يكون لا يخضع للاعتراف والإيمان بوجود الخلاق العظيم الذي يعلم الغيب والأسرار كلها ، فاقتضى الأمر أن يكون الإنسان إنساناً ، وعلى حده المعين أن يبقى متحيراً ، ومستسلماً لعظمة القدير المتعال في كل خطوة من الخطوات ، ويعيش دائماً بعجزه

وانكساره أمام رب الأرباب .

وجميع هذه الأمثلة السابقة ما هي إلا إقناع للنوع البشري من الناحية العقلية وشفاء للقلوب من الشك والريب وإقامة الحجة عليه على وجه محسوس ، وإلا فالواقع أنه إذا اعترف بوجود ذات الله تعالى، وهو القادر المطلق في أسمائه وصفاته وأفعاله ، لا يبقى هناك أي مجال للشك والارتياب في كونه الخالق البارئ القدير الذي يفعل ما يشاء ويتصرف في مخلوقاته كما يشاء ، إذا قدر على خلق شئ قدر على كسره وهدمه ، ثم كذلك على إعادته كما كان ، فلا يكون عجباً ، فإن دراسة علوم الفلك والأجرام السماوية التي يقدر عددها الهائل في ضوء الدراسات والكشوف الحديثة بما يبهر العقول ويأخذ بالألباب ، فإن دراسة هذه العلوم تنبئنا عن مدى عظمة قدرته وكبرياء شأنه .

فإن الله سبحانه ذا العزة والعظمة ، إذا أراد أن يخلق شيئاً - أياً كان - لا يحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر في صناعة شئ من السعي والجهد واستخدام الأدوات ، بل إنما يكفي مجرد أمره لوجود شئ من الأشياء ، ففي الآيات التالية بيان لتلك الحقائق الواضحة المكشوفة وإظهار للتعجب على إنكار الإنسان الطاغي ليوم القيامة ، وكشف عن حقيقة أن زمام العالم كله بيده وحده ، فإنه هو الخالق للأجمعين وربهم وإلههم ، وهو الملك الحق المتعال ، كما صرح رب العزة والجلال :

« أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادرٍ على أن يخلق مثلهم • بلى ! وهو الخلاق العليم • إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون • فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ وإليه ترجعون » (يس ٨١-٨٣) .

* * *

ـدث الهند الكبير العلامة حبيب الرحمن الأعظمي

ومنجزاته العلمية

[الحلقة الثالثة]

سعيد الأعظمي

لقد وفق العلامة الأعظمي إلى إنجاز تحقيقات نادرة وخدمات علمية ـكورة في مجال الحديث والسنة الذي لا يتشجع للخوض في ـحره ـراج لآليه وجواهره إلا من أكرمه الله بالفضل والتوفيق . ولاعجب إذا كان العلامة الأعظمي من أولئك الرجال المعدودين الذين يتميزون ـل هذه الميزة العلمية الكبيرة . فقد كان من هذه المنجزات العلمية ـي تتصدر بها قائمة أعماله ومجهوداته العلمية التحقيقية ما ذكرناه ـ الحلقة الثانية . وما نذكره الآن :

المصنف للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (م سنة ٢ـهـ) لقد كان هذا السفر العظيم للسنة متوارياً عن العيون بين ـفحات من مخطوطات أتى عليها الزمان ولعبت بها يد الحدثان . وقام ـلجلس العلمي في « سملك دابهيل . بولاية غجرات الهند » بإحراز نسخ ـكتاب التي وجدت في مكتبات العالم الكبرى بصورة ناقصة . فقابل المحدث الجليل الأعظمي - رحمه الله - هذه النسخ . وقام بتدوين هذا السفر الضخم وتحقيق نصوصه . ذلك الكتاب الذي يعتبر بحراً زاخراً للأحاديث والآثار . وقام بالتعليق عليه وتخريج أحاديثه بغاية من الدقة والاعتناء البالغ . لقد كان هذا الكتاب العظيم مرجعاً لأئمة العلم والحديث . كالإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه والبخاري

ومسلم وجميع أهل الأصول ، وقد سماه : الذهبي « خزانة علم » حقاً .

نشر هذا الكتاب من المجلس العلمي المذكور أعلاه في أحد عشر مجلداً ضخماً ، وقد أعد له العلامة المحقق مقدمة ضافية ، تتضمن دراسة تفصيلية عن الكتاب ونسخه المخطوطة والمجهودات التي بذلها في سبيل إخراجه محققاً بآنق مشكل وأجمل منظر ، ولا شك فإن هذا الكتاب نال قبولاً واسعاً ورواجاً كبيراً بين أوساط أهل العلم والحديث في كل مكان ، اعتني بنشره وطبعه المكتب الإسلامي في بيروت لصاحبه فضيلة الشيخ زهير الشاويش .

ومما يجدر بالذكر أن العلامة المحقق سافر إلى بيروت لكي يراجع ملازم الكتاب ويصححها بنفسه ، واستصحب معه الشيخ ضياء الحسن الندوي (١) الذي كان من أحب تلاميذه وأنجبهم لديه ، فساعده في مراحل التصحيح مساعدة غالية ، أنشأت فيه ذوقاً للحديث ، وأصبح رئيس قسم الحديث في كلية الشريعة بجامعة ندوة العلماء فيما بعد .

كتاب « الزهد والرقائق » للإمام عبد الله بن المبارك ، وقد كان هذا الكتاب مغموراً مطموراً منذ ألف ومأتي عام في بعض مكتبات العالم الكبرى ، فأراد الله تعالى أن يعم نفع هذا السفر الجليل ويتم الغرض منه ، فقيض العلامة الأعظمي - رحمه الله - ليقوم بتحقيق هذا الكتاب القيم والتعليق عليه ، وزيادة فوائده بما أكرمه الله به من زيادة علمية في مجال خدمة الكتاب و السنة ، و بما رزقه من علم ونظر عميق واطلاع واسع في العلوم الإسلامية ، ولا سيما علم الحديث الذي قل علماؤه وأنصاره في هذا العصر

---

(١) انتقل إلى رحمة الله تعالى في جمادى الأولى ١٤٠٩هـ / يناير ١٩٨٩م

هذا الكتاب الذي يقع في ٨٢٠ صفحة بالقطع المتوسط تولى مجلس إحياء المعارف في الهند نشره وتوزيعه . ويعتبر من أهم مصادر السنة والآثار التي لها مكانة مرموقة في النفوس . وإن إخراج هذا السفر العظيم في ثوب التحقيق الجميل مبرة علمية كبيرة تستحق كل ثناء عاطر على هذا العالم الجليل الذي له باع طويل ومكانة عالية في مضمار المعرفة والعلم والتحقيق .

كان له إشراف كبير على عمل التحقيق والتعليق والتصحيح لكتاب « مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار» الذي ألفه محدث الهند الكبير الملقب بملك المحدثين العلامة محمد طاهر الصديقي الهندي الفتني الغجراتي المتوفى سنة (٩٨٦هـ ١٥٧٨م) في موضوع غرائب الحديث وشرح ألفاظه وبيان معانيه في مجلدات ضخام بحيث يشمل جميع كتب الحديث ويستوعب ألفاظها الغريبة التي تحتاج إلى شرح وإيضاح .

إن هذا الكتاب تحلى بطباعة هندية على الحجر في عام ١٢٨٢هـ لأول مرة ثم تلتها طبعات أخرى عديدة . فكان هذا السفر العظيم نفعه محدوداً والإقبال عليه قليلاً ذلك أن الطباعة على الحجر لا يستسيغها كل دارس ولا يستفيد منها كل قارئ . فكانت الحاجة ماسة إلى إعادة طبع هذا الكتاب العظيم مصححاً منقحاً ومعلقاً عليه بمقابلة نسخه الخطية . فقد أشرف العلامة الأعظمي على هذا العمل الجليل عن كثب وأسهم فيه بنفسه وكتب في أول الكتاب مقدمة يتجلى فيها اطلاعه الواسع على هذا العلم العظيم وتعمق نظره فيما ألف في موضوع غريب الحديث وما يعني به لدى المحدثين . وما ألف فيه أولاً وآخراً وما دُوّن فيه من أسفار .

إن أول من دونه أبو عبيدة معمر بن المثنى (م ٢١٠هـ) ثم النضر بن الشميل (م ٢٠٣هـ) ثم الأصمعي (م ٢١٢هـ) ثم محمد بن المستنير المعروف بقطرب . وأتى بعدهم الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام بكتابه « المشهور في غريب الحديث والآثار» ثم جاء أبو محمد بن قتيبة (م ٢٧٦هـ) وكان في زمانه الإمام إبراهيم بن إسحاق الحربي (م ٢٨٥هـ) .

كما صنف في غريب الحديث غير هؤلآء ممن كانوا في عصرهم أو مي القرن الذي يلي قرنهم نحو شمر بن حمدويه الهروي من تلامذة الأصمعي . وأبي مروان عبد الملك بن حبيب المالكي (م ٢٢٩هـ) ومحمد ابن حبيب البغدادي (م ٢٤٥هـ) وابن كيسان (م ٢٦٩هـ) وأبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب (م ٢٩١هـ) وأبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد (م ٢٨٥هـ) وأبي بكر محمد بن قاسم الأنباري (م ٣٢٨هـ) وأبي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد المعروف بغلام ثعلب (المتوفى سنة ٢٤٥هـ) وأحمد بن حسن الكندي وأبي الحسين عمر بن محمد بن القاضي المالكي (م ٣٢٨هـ) وأبي محمد سلمة بن عاصم النحوي تلميذ الفراء . والقاسم بن محمد الأنباري (م ٣٠٤هـ) وأبي القاسم محمود بن أبي الحسين بن الحسين النيسابوري الملقب ببيان الحق . واسم كتابه « جمل الغرائب في تفسير الغريب » وابن درستويه (م ٢٢٧هـ) (١) .

و عدّ العلامة الأعظمي مزايا هذا الكتاب بحيث تتبين بها مكانته

---

(١) مقتبساً من مقدمة الكتاب ومن أراد أن يستفيد من هده المقدمة الضافية القيم فليراجعها في كتاب « مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار» المطبوع بدائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن في عام ١٢٨٧هـ ١٩٦٧م

ن الكتب التي ألفت في هذا الموضوع ، ولكي نطلع عليها يحسن بنا نقرأ ما كتبه المحدث الأعظمي بقلمه البليغ في مقدمة الكتاب .

« ومن مزايا هذا الكتاب أن الناظر في غيره من الكتب بعد وقوفه ، المعنى الوضعي ربما عنّ له إشكال في معنى الحديث ، فيحتاج إلى شف عنه في شروح الكتب ، وإن هذا الكتاب يغنيه عن الرجوع إليها، المؤلف يسرد فيه ما ذكروه في الشروح ، مثال ذلك «ويل للمتألين » صر ابن الأثير على بيان معنى «المتألي» وعقبه المؤلف ببيان السبب اعي إلى إحباط عمل المتألي ، فإن الطالب ربما يشكل عليه هذا .

ومنها أنه ربما تكون الكلمة معلوماً مشهوراً معناها الوضعي فيهملها حاب الغريب ، ولكن المؤلف يوردها لأنها أطلقت في الحديث بنوع التأويل فينقل من المصادر الموثوق بها ما قالوا في تأويلها ، مثال ، « فيأتيهم الله » أهمله ابن الأثير وذكره المؤلف ، ونقل عن رماني أن معناه « يظهر لهم » .

وربما ذكر المؤلف ما هذا شأنه يتذرع بذكره إلى شرح معنى حديث ، مثاله كلمة « إلا » زادها الشارح وشرح الأحاديث التي وقعت ها ، وكانت تحتاج إلى شرح .

ومنها أن ابن الأثير أهمل ضبط الكلمة في الأعلب ، والمؤلف لا ركه إلا نادراً مثال ذلك « ابهر» أهمل ضبطه ابن الأثير وضبطه مؤلف .

ومنها أن المؤلف في بعض الأحيان يورد الكلمة بهيئتها التي وردت ها في الحديث تيسيراً على الطلبة أو اعتقاداً منه بأن الكلمة وضعت بهذه الهيئة بدياً ، ولم تشتق من أي كلمة أخرى ، مثاله « اجادب » و ...المد » .

ومن مزاياه أن المؤلف يضيف إلى ما ذكره ابن الأثير في مادة ، ما لم يذكره من مشتقات تلك المادة وتصريفاتها مما ورد في الحديث ، ومثاله أن ابن الأثير لم يذكر في مادة « برأ » « استبرأ لدينه » فاستدركه المؤلف ، وكذا استدرك « ابرأ إلى الله » و «فتبرئكم يهود» إلى غير ذلك .

وكثيراً ما يزيد على ابن الأثير في تفسير الكلمة ، كما زاد عليه في تفسير « ابرأ » من عند النووي ، أنظر : (١/٥٤) .

وبالجملة أنه إلى جانب كونه أجمع تأليف في غريب الحديث كتاب ممتع في شرح معاني الحديث وتفسير غامضه ، ولذلك ترى الشيخ عبد الحق المحديث الدهلوي يقول في ترجمة مؤلفه : إن له كتاباً يتكفل بشرح الصحاح (الكتب الستة) يسمى « مجمع بحار الأنوار» (١) ويقول العلامة السيد صديق حسن القنوجي يصفه : « وبالجملة أن هذا الكتاب المستطاب جامع لغريبي القرآن والحديث لا يحتاج واجده إلى كتاب آخر في هذا الفن ، وكأنه شرح للكتب الستة المشهورة بالصحاح (٢) ، ولسنا بصدد استقصاء مزايا الكتاب فلنترك ذلك إلى القارئ ، فإنه لو تأمل وأمعن النظر فيه لوجد مزاياه أكثر مما ذكرنا ، (من مقدمة الكتاب : ص/ح ط ي) » .

وكان قد وفق كذلك ملك المحدثين في بلاد الهند العلامة الشيخ محمد طاهر الفتني الغجراتي بتأليف كتاب لخص فيه مقاصد الفن الثاني من ثالث أركان « جامع الأصول » للإمام ابن الأثير الجزري - رحمه الله - وهو ركن الخواتم تعرض فيه الجزري بذكر الأسماء و الكنى و الأبناء

---

(١) أخبار الأخيار : ص/٢٧٢ . (٢) إتحاف النبلاء : ص/١٣٤ .

والألقاب والأنساب الواردة في الكتب الستة من الصحاح والسنن ، وإن هذا الأثر الجليل الذي خلفه المحدث الفتني إنما كان مغموراً بين ذخائر التراث الإسلامي ، فاكتشفه العلامة الأعظمي في خلال بحثه عن التراث الإسلامي الأصيل الذي يتصل بموضوع الحديث والسنة ، وصمم على إبرازه إلى ساحة العلم والمعرفة بعد إجراء عملية التحقيق والتصحيح والتعليق ، مهما كانت متعبة ومفنية .

وقد زاده حرصاً على إنجاز هذا العمل العظيم ما قد طلبه منه ورغب إليه السري المفضال السيد محمد نور ولي الذي ينتمي إلى أسرة المحدث الفتني - رحمه الله - أن يقوم بإحياء هذا التراث العلمي العظيم وإخراجه في صورة أنيقة مزدانة بلباس التحقيق والتصحيح الجميل ، فقام المحدث الأعظمي بهذه الخدمة الجليلة ، وأنجزها بشئ كثير من الدقة والعناية .

يقول المحقق الجليل وهو يتحدث عن قصة هذا الكتاب :

« ورغب إلي السيد محمد نور أن أتولى هذا العمل وأساعده ، .... فحصلت على نسخة مكتبة ندوة العلماء عارية واقتنيت صورة شمسية لنسخة مكتبة خدا بخش (بانكي فور بتنه الهند) فاستنسخت منها نسخة ، وكانتا مملؤتين بالأغلاط الفاحشة ، فدققت في التصحيح بالمراجعة إلى عدد كبير من المراجع ، وعلقت على الهوامش ما يتعلق بالتصحيح أو التوضيح أو ضبط الأسماء أو إضافة أمر مهم له قيمة علمية .

وقد وقفت على عدة نسخ منه :

أولاها في مكتبة « رضا » (رامفور الهند) كتبت في سنة ١٠

والثانية في مكتبة خدا بخش (بانكي فور بتنه الهند) .

الأول من تقسيم المؤلف أو الناسخ صورة سماع على الحافظ الديمي بخطه ، وكذا في نهاية الكتاب بخطه أيضاً ، وقد أثبتنا السماعين ، كل واحد منهما في موطنه .

ومما يزيد في قيمتها ويرفع من شأنها أنها كانت في مطالعة الحافظ ابن حجر العسقلاني ، ويبدو أنه كان يكثر من مراجعتها ، ويمعن النظر فيها ، فتراه علق على موضع من باب طيب رائحته (يكتب باب وفاته يحول من كتاب الجنائز) يعني ينبغي أن يورد هنا (باب طيب رائحة روحه) من أبواب الوفاة النبوية ، يحول من كتاب الجنائز إلى هنا ، وعلق على الهامش في باب القراء الطائعين وغيرهم (يكتب هنا حديث معاذ ينقل من باب صلاة الليل) وقد حلى طررها في مواضع عديدة بنفائس تعليقاته التي أعلبها تعقبات على المؤلف الهيثمي - رحمه الله - وقد نقلنا كل تعليق معزواً إليه في ما علقناه على الكتاب .

وهذه النسخة انتسخها العالم الفاضل علي بن أحمد بن علي الحلبي الأصل ، في رجب سنة ٧٨٠هـ في حياة المؤلف ، ومن أصله ، فيما أرى ، وكأن الناسخ حاول أن لا تختلف نسخته عن أصلها ، بل نقلها ، ثم ضرب عليها ، وكذلك لم ينسخ في حاق الكتاب ما ألحقه المؤلف في الهوامش في نسخته بل ألقاه في الهوامش ، كما كان في الأصل .

والناسخ من فضلاء الرجال يشهد له بذلك ما علقه في بعض المواقع إما تفسيراً لكلمة غامضة ، أو إيضاحاً لما رآه محتاجاً للإيضاح ، ويختم تعليقه بقوله «كتبه الحلبي» (من «كلمة المحقق» : ص/١-٢) فاتحة الجزء الأول .

هنا نكتفي بهذا القدر القليل في هذه الحلقة وسنواصل الحديث - بمشيئة الله تعالى - في الحلقة القادمة ، والله ولي التوفيق .

أخبار اجتماعية وثقافية :

مؤتمر الدعوة والفكر الإسلامي

قلم التحرير

عقدت جمعية الشيخ محمد الثاني التعليمية التذك ؤتمر الدعوة والفكر الإسلامي في الفترة ما بين ١٤-١٦ نوفمبر ١٩٩٢م المصادف ١٨-٢٠ جمادى الأولى ١٤١٢هـ في مدينة (رائ بريلي) الهند ، حضره مندوبون من العلماء والدعاة من أنحاء الهند ومن الدول الإسلامية مثل الأردن والعراق والسعودية والكويت وماليزيا وبنجلاديش .

افتتحه سماحة العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي بكلمة قيمة احتوت على موضوع الدعوة والفكر الإسلامي ، وكان ممن تحدثوا في الحفلة الافتتاحية سعادة الدكتور عبد الحليم عويس من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وسعادة الدكتور محمد محروس المدرس الأعظمي من العراق وسعادة الدكتور أمين القضاة من الأردن وفضيلة الشيخ بدر الحسن القاسمي ممثل الهيئة الخيرية العالمية الكويت . وألقيت في المؤتمر مقالات حول الموضوع بأقلام أساتذة الجامعات والمؤسسات التعليمية والدعوية في الهند تزيد على عشرين مقالاً ، واستمر المؤتمر ثلاثة أيام ، وعُقدت إحدى جلساته في مدرسة فلاح المسلمين في أمين نجر « فرع دار العلوم ندوة العلماء » على بعد ٢٠ كيلومتراً من رائ بريلي ، وانتهى المؤتمر بكلمة ودعاء سماحة العلامة الشيخ الندوي - حفظه الله تعالى - بكل نجاح .

• • • • • •

الندوة الثامنة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية

عقدت رابطة الأدب الإسلامي العالمية ندوتها الثامنة في ١٧-١٨ نوفمبر ١٩٩٢م المصادف ٢١-٢٢ جمادى الأولى ١٤١٣هـ بقاعة مكتبة شبلي العامة في ندوة العلماء ، حول موضوع « أدب الرسائل والخواطر » شارك فيها الأدباء الكبار من جامعات الهند والمراكز الثقافية فيها ،

وحضرها مندوبون من الأدباء والأساتذة في الدول العربية الإسلامية . ومثل فيها الندوة العالمية للشباب الإسلامي في الرياض سعادة الدكتور مانع حماد الجهني أمين عام لندوة الشباب ، وسعادة الدكتور عبد الحليم عويس مثّل مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية في الدول العربية ، وكذلك حضرها سعادة الدكتور محمد محروس المدرس من العراق ، وسعادة الدكتور أمين القضاة من الأردن ، وفضيلة الشيخ سلطان ذوق من بنجلاديش ، رأس الحفلة الافتتاحية للندوة سماحة العلامة الشيخ الندوي رئيس الرابطة ، وافتتحها بكلمته الفياضة ، التي كانت مترعة بمعان ضافية محتوية على عنوان الندوة ، وقدم سعادة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رئيس مكتب شبه القارة الهندية للرابطة ، تقريراً مفصلاً عن نشاطات الرا " في الهند وخارجها .

وقدمت في الندوة بحوث قيمة حول . وع ، جرى حولها النقاش الموضوعي الذي كان يتميز بالطابع العلمي ، وشرف الجلسة الأخيرة فضيلة الشيخ العلامة عبد الفتاح أبو غدة كبير علماء الشام ، وتفضل بكلمة قيمة وأثنى على مجهودات رابطة الأدب الإسلامي العالمية . وانتهت الندوة بكلمات الشكر والدعاء لسماحة العلامة الشيخ الندوي -حفظه الله تعالى- .

......

إلى رحمة الله :

العالم الرباني الشيخ مسيح الله خان في ذمة الله

فجعت الأوساط الدينية والعلمية في هذه البلاد بوفاة العالم الربا الشيخ مسيح الله خان يوم ١٧ من جمادى الأولى ١٤١٢هـ المصادف من نوفمبر ١٩٩٢م وذلك في ليلة الجمعة. «فإنا لله وإنا إليه راجعون

كان الفقيد -رحمه الله- من العلماء الربانيين ممن تلقوا التر الدينية على يد العارف الكبير الشيخ أشرف علي التهانوي -رحمه ا تعالى- وكان من تلاميذه الكبار الذين حظوا بتوفيق من الله تعا

بمنصب التعليم والتربية على غرار المنهج النبوي على صاحبه ألف ألف تحية وسلام ، كان مقره في «جلال آباد» بمديرية مظفرنجر بولاية أترابراديش ، حيث أسس مدرسة إسلامية شهيرة باسم «مفتاح العلوم» يؤمها طلاب العلم والتربية الدينية من أنحاء الهند وخارجها ، فكان يسهر على تعليمهم وتربيتهم ، فيتخرجون عليه في علوم الكتاب والسنة ، ويرجعون إلى بلدانهم معلمين موجهين .

إن التوجيه الديني الذي قام به الفقيد -رحمه الله- سوف لا ينقطع لوجود تلاميذه النجباء الأوفياء بمشيئة الله تعالى ، فجزاه الله تعالى عن خدماته الدينية والتربوية أحسن ما يجزي به عباده المؤمنين المخلصين ، وأنعم عليه مع النبيين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

وعقدت حفلة تعزية في مسجد دارالعلوم ندوة العلماء على وفاته ، ألقى فيها سماحة الشيخ العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي كلمة تحدث فيها عن انطباعاته حول هذا الحادث ، وأشار إلى خدمات الفقيد رحمه الله ، وخصائصه التربوية ، ودعا له بالمغفرة والرحمة .

••••••

الأستاذ حامد الأنصاري غازي في ذمة الله

أفادت الأنباء الواردة من بومبائ أن العالم الديني الصحفي الشهير المعروف بـ «حامد الأنصاري غازي» قد وافاه الأجل وانتقل إلى رحمة الله ، عن عمر يربو على الثمانين في مدينة بومبائ حيث كان مقره في حياته الأخيرة ، وذلك في شهر ربيع الأول ١٤١٢هـ الموافق شهر أكتوبر١٩٩٢م ، ﴿ فإنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ .

كان الأستاذ غازي ينتمي إلى أسرة عريقة في العلم والدين ، وكانت له صلة المصاهرة مع العالم الكبير فضيلة الشيخ محمد طيب القاسمي المرحوم مدير جامعة دار العلوم ديوبند سابقاً .

كان الأستاذ (غازي) -رحمه الله- يتمتع بنشاطات ثقافية

وصحفية . ويُسهم في الشئون السياسية والاجتماعية . ويفيد المسلمين بخبراته وذكائه . وعين رئيس تحرير لجريدة «المدينة» الصادرة من بجنور الهند باللغة الأردية مرتين في الأسبوع . وكانت تعتبر أرقى جريدة ذات إسهامات في الشئون السياسية والاجتماعية . وتقوم بدور مهم في مجال الصحافة الإسلامية وتعيين وجهة نظر صحيحة للمسلمين في سياسة البلاد . وذلك قبل استقلال الهند .

عرف الأستاذ غازي كعالم ديني وصحفي بارع . لا تنساه الأوساط الإسلامية في هذه البلاد بخدماته الإيجابية . جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً . وغفرله زلاته وأسكنه فسيح جناته وألهم أهله وذويه الصبر والسلوة .

......

اعتذار عن نشر مقال حول تونس

اطلعنا على مقال نشر في العدد الأخير للمجلة بعنوان (مذبحة للإسلام في تونس في صمت) بقلم أحد الكتاب الذي عبر عن اسمه «مؤمن الشاهد» . وقد اتصل بنا بعض الشخصيات الإسلامية ـونسية وأبدى أسفه على ما جاء في المقال من نقاط لا تمت إلى الواقع بصلة . وعبر عنها بتشويه الحقائق . واستنكر هذا الأسلوب بشدة .

ونحن إذ نعتذر إلى الجميع عما إذا كان المقال لا يتفق والحقائق الراهنة في تونس . نؤكد لهم أن المقال لم ينشر إلا على غفلة من المسئولين . خاصة وإن رئيس تحرير المجلة كان في المستشفى من جراء عملية جراحية أجريت له .

ونرجو أن يبعثوا إلينا حقائق عن العمل الإسلامي الذي وجد طريقه إلى التنفيذ تحت إشراف الحكام والقادة المسئولين . حتى يطلع عليها القراء الكرام . والله ولي التوفيق . [التحرير]

......

أنشــأهــا :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الإسلامي

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

العدد الثاني - المجلد الثامن و الثلاثون

شوال ١٤١٢هـ - مارس وأبريل ١٩٩٢م

البعث الإســـلامـــــــــــي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٢ لكناؤ - الهند

AL BAAS EL ISLAMI [illegible]

[illegible]

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

قيادة رشيدة وموقف صريح

هدم المسجد البابري لم يكن حادثاً من النوع العادي ، وبصرف النظر عن الدوافع والأسباب والخلفيات التي أدت إلى هذه المأساة السوداء التي تُسجل بمداد من الألم والفضيحة ، وتبقى وصمة عار على جبين التاريخ الهندي ، لا يسعنا إلا أن نقول : إن تدمير بيت من بيوت الله بكل قسوة وجفاء ومن غير مبالاة بالعواقب ، وتحويله إلى معبد تُعبد فيه الأصنام ليس إلا خطوة أولى إلى انتهاك الحرمات ، وضرب كل قانون ونظام عرض الحائط ، ليس ذلك إلا إعلاناً بالعودة إلى شريعة الغابات وقانون العصابات ، حيث لا قيمة للعدالة ولا مكانة للأخلاق ولا مجال للحقوق الإنسانية .

فإن ردود الفعل التي ظهرت إثر تدمير هذا المسجد التاريخي ، لا في جميع أنحاء الهند بل في دول العالم المختلفة كانت شهادة على ذلك الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين الذي يعيش في خفايا القلوب ، ويمهد الطريق إلى ممارسة كل عنف وجريمة في سبيل تحقيق الهدف الذي يسيطر على العقول ويستولي على النفوس ، ولعل هذا الحقد وذلك الغيظ ضد الشعائر الإسلامية يشبه بعض الشئ بالغيظ والكراهية التي حملها المشركون ضد الدعوة إلى التوحيد ورسالة الإسلام في فجر التاريخ

ونصبت عليها الأوثان ، وهي لا تفقد قدسية المسجد إلى يوم القيامة في نظر الشريعة الإسلامية ، وجاء في قرار آخر بأن إصدار أي قرار حول تحويل أرض المسجد إلى ملكية الحكومة ليس إلا ظلماً صريحاً لا يعتمد على شرعية ، وتدخّل صريح في حقوق الحرية الدينية ، فما لم تعلن الحكومة إلغاء هذا القرار وإعادة أراضي المسجد إلى المسلمين لا تعود ثقة المسلمين بديمقراطية البلاد وعلمانية القانون إلى نفوسهم ، وقرار آخر يوصى المسلمين بالتمسك بذيل الصبر والصمود أمام الظروف المضادة التي هي نتيجة العقلية المتطرفة الطائفية ، التي تولت مسئولية الهدم والتخريب ، ولكن الأعراض والأموال والأرواح إنما هي منة من الله على العباد وأمانة منه إليهم ، فلا بد من اتخاذ موقف الدفاع والمقاومة ضد المهاجمين والمجرمين والشاغبين ، في حدود القانون والأخلاق والدين ، وأعلن المجلس التنفيذي في قرار أن وجود المسلمين في هذه البلاد ليس منة من الحكومة أو الأغلبية الهندوسية أو أي طائفة أخرى ، إنما هو منحة من الله تبارك وتعالى وحده ، فلا يستطيع المسلمون أن يعيشوا إلا بالاعتماد على الله تعالى ، وبالثقة بنفوسهم ، وصرح أعضاء المجلس بأن الأوضاع السيئة التي أنتجها هدم المسجد البابري ليست مشكلة المسلمين وحدهم ، وإنما هي مشكلة هذه البلاد كلها بدون تمييز .

وبمجرد صدور هذه القرارات من هيئة إسلامية عليا تُعتبر موضع ثقة المسلمين كلهم في هذه البلاد عمت موجة من الارتياح في جميع طبقات المسلمين ، وبدا الناس يتظاهرون بذلك بطرق مختلفة وأبدوا موافقتهم كليا على قيادة هذه الهيئة الإسلامية وثقتهم برئيسها العام سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، الذي عاش على حسك من السعدان ، وفي قلق عظيم ، لم يهنأ له نوم و لا راحة ، منذ حدوث الظروف

لقلقة والأوضاع الشاذة في البلاد . لقد كان ينظر إلى مستقبل بعيد
بصيرته الدينية وفراسته الإيمانية ، فوضع كل إمكانياته وطاقاته في
سبيل إنقاذ البلاد من المصير السيئ الذي كان يهددها بالانهيار . وفي
خراج اليأس من قلوب المسلمين وتذكيرهم بالواجب الديني الذي يدعوهم
لى الالتجاء إلى الله تعالى والعودة إلى أخلاقهم والدعوة إلى موقف هادئ
عتدل من الأوضاع الناشئة والظروف المضادة . والبحث عن حلول
لمشكلات التي يعانون منها على الصعيد السياسي والاجتماعي مع
لالتزام بالمستوى الإيماني الأعلى . وفي حدود وبنود ينص عليها
ستور البلاد .

ولم يكتف سماحة العلامة الندوي بإصدار قرارات المجلس التنفيذي
هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية حول ما حدث ولا يزال يحدث
كنتيجة لهدم المسجد . بل إنه تبنى هذه القضية و توفر على تهدئة
أعصاب وتوجيه المسئولين عن الحكومة المركزية وكبار الحكام
والوزراء والذين بأيديهم أزمة الأمور . إلى أن يكونوا واقعيين في هذه
المشكلة . ولا يؤخروا عقارب الساعة إلى الوراء . ولا ينبهوا أسد التاريخ
النائم حتى يثور عليهم ويجعلهم لقمة سائغة له . وقد عقد لهذا الغرض
ندوات واجتماعات من منبر « رسالة الإنسانية » وعرض عن طريقها أمام
طبقة المثقفة من المواطنين الهندوس أفكاراً إنسانية لا يستغنى عنها
من يتمنى تقدم البلاء والعيش في ظل الأمن والسعادة والعافية والرخاء .

كما أنه لفت أنظار المسلمين إلى إزالة أسباب الشقاء التي التصقت
حياتهم . و وجههم إلى الصلاح والتقوى والقدورة الإنسانية والمثل
العليا الإسلامية والقيم الخلقية لكي يقدموا نماذج من سيرتهم العالية
زكية إلى غير المسلمين ويفتحوا قلوبهم بتأثيرها . فذلك هو الطريق
لأنفع و الأقوم للتعريف بالإسلام و تحبيب الحياة الإسلامية إلى

النفوس : ﴿ و من أحسن قولاً ممن دعا إلى الله و عمل صالحاً و قال إنني من المسلمين ﴾ .

إن هدم المسجد البابري ليس واقعاً يمر به المسلم بسلام ، وإنما هو يرادف هدم شعائر الله ، وانتهاك حرمات الله ونقض قوانين الأخلاق والآداب الإنسانية والدينية ، وسوف لا ينتهى هذا الحادث بسهولة ، ولا يطويه العالم في غضون النسيان ، بل انه سيبقى حياً ويخلد مع التاريخ ، ويلعن الأجيال على العصبة المجرمة التي تجرأت على هذه الجريمة الوقحة القذرة ، وتتلاحق هذه اللعنة خلفاً عن سلف ، ويُخشى أن يكون ذلك عائقاً كبيراً في تقدم هذه البلاد وأمنها ورخائها وفي بنائها وازدهارها -لا قدّر الله- .

ومهما يتبجح المسئولون عن هذه الارهابية بكلمات من الفخر والاعتزاز على هدم المسجد وتدمير كيانه ، ويعلنوا أمام الجماهير الهندوسية - للاستهلاك المحلي - أنهم يشعرون بسمو وعزة بإزالة آثار المسجد وبناء معبد راما على أنقاضه ، ولكنهم في قلق شديد يقض مضاجعهم ، ويملأ نفوسهم بالهيبة والفزع ، وتطاردهم الأشباح المخيفة في كل مكان .

إن تعبيرهم عن هذه الجريمة النكراء بأنها « بداية عهد جديد للتاريخ الهندي » وبأن هدم المسجد البابري «خطوة ثورية» نحو بناء « هند جديدة » على أنقاض حكم المسلمين في هذه البلاد ، إن دل ذلك فإنما يدل على عقلية منهزمة تسوقهم إلى الدمار والشقاء وإلى عهد العبودية الخاسرة الخاسئة،ذلك العهد المظلم الحالك الذي ليس له نهاية ، ولا يتبعه نهار مشرق .

﴿ فويل للكافرين من عذاب أليم ﴾ ...

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي

في رحاب سورة النور

[الحلقة الثالثة]

الدكتور محمد لقمان الأعظمي الندوي
رئيس قسم الدراسات الإسلامي - كلية إعداد المعلمين
حائل - السعودية

الفرق بين حماسة (سعد) وحدته ، وبين تماسك (هلال بن أمية) وهدوئه :

فهذا هلال بن أمية يرى بعينيه ويسمع بأذنيه ولكنه يجد نفسه محجوزاً بحاجز القرآن فيغلب مشاعره ويكبح غليان دمه وفوران شعوره واندفاع أعصابه لأن الإسلام هذب طباع الجاهلية فيه ، فيربط هذا كله في انتظار حكم الله وحكم رسول الله -ﷺ- وهو جهد شاق مرهق ، كيف أمكن أن يحدث هذا ؟

لقد حدث لأنهم كانوا يحسون أن الله معهم وأنهم في كنف الله ، وأن الله يرعاهم ولا يكلفهم عنتا ورهقا ، « فرأى بعينيه وسمع بأذنيه فأمسك حتى أصبح ، فلما أصبح غدا على رسول الله -ﷺ- وهو جالس مع أصحابه فقال يا رسول الله إني جئت أهلي عشاء فوجدت رجلاً مع أهلي ..إلخ» (١) فلا يجد رسول الله -ﷺ- مناصاً من تنفيذ حد الله ، ولكن هلالا - رضي الله عنه - يتماسك ويقول بكل هدوء « فإني لأرجو أن يجعل الله فرجاً فهمّ رسول الله -ﷺ- بضربه ، وهلال بن أمية لا يتصور أن الله تاركه لحد ، كما توضح ذلك الرواية التالية : عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : لما قذف هلال بن أمية امرأته ، قيل له : والله ليجلدنك رسول الله -ﷺ- ثمانين جلدة ، قال : الله أعدل من ذلك أن يضربني ضربة و قد علم

---

(١) ابن كثير : م/٢ (النور) : ص/٤٢٧ .

ني قد رأيت حتى استيقنت ، و سمعت حتى استثبتُ ، لا و الله لا
ضربني أبداً ، فنزلت آية الملاعنة (١) .

أي إيمان هذا ، وأي ثقة بالله هذه ، وكيف حدث هذا ؟ حدث هذا لأنهم
يتطلعون إليه دائماً كما يتطلع الأطفال للعائل الكافل الرحيم .

لحظة وجوم ، ضيق ، وحرج ، وإذا وجه رسول الله -ﷺ- يتربد ، وكان
ذا نزل الوحي عرفوا ذلك فأمسكوا عنه حتى فرغ من الوحي فنزلت :
﴿ والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم • فشهادة أحدهم
ربع شهاداتٍ بالله إنه لمن الصادقين • والخامسة أن لعنة الله عليه إنه كان
من الكاذبين ﴾ .

وهذا الحديث المثير لدليل ناطق على استجابة الله لنداء عبده ، فهو
الله الذي لبى نداء امرأة مؤمنة (خولة بنت ثعلبة) من فوق سبع سماوات :
﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع
تحاوركما إن الله سميع بصير﴾ (٢) .

وهو الله البصير الذي أغاث المجاهدين في معركة أفغانستان مرات
ومرات وبصورة إعجازية حيرت العقول المادية ، وهو السميع الذي يغيث
المظلوم والمكروب في كل زمان ومكان ، إذا صلحت النية وتعلق القلب بالله
المجيب .

والقصة تصور ردهات المسجد النبوي وهي تشهد قضايا الحياة اليومية
بتوافد الصحابة فيها منذ الصباح الباكر يلتفون حول نبي الرحمة
يستفتون في مسائل جديدة ويوجهون إليه مسائل تخص حياتهم
الأسرية ويتدارسون المشاكل العويصة التي يعجز البشر عن حلها ، فإذا

---

(١) تفسير الطبري : ج/ ، ص/٨٤ .
(٢) سورة المجادلة ، الآية : ١ .

بالوحي ينزل ويبت وليّه أنظمةً دقيقة تكون مصدراً لسعادة البشرية ومنبعاً للنور و الهداية فالمسجد النبوي مدرسة ومعهد للقضاء « و لا خلاف في أنه لا يكون اللعان إلا في مسجد جامع تجمع فيه الجمعة بحضرة السلطان أو من يقوم مقامه .. » (١) .

أسوة للقضاة وتربية في قفص الاتهام :

فقال رسول الله -ﷺ- أرسلوا إليها ، فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله قيل لها : فكذبت ، فلننظر ولنتعمق ، كيف يعالج هادي الأمة ونبي الرحمة هذه القضية المتشاركة فيواجه المتهمين ، بلهجة الناصح الحكيم : إن الله يعلم أن أحدكما كاذب ، فهل منكما تائب ؟ الجمهور في هرج ومرج والقضية شائكة ، ولهجة الهادي القاضي في قمة من الأدب والهدوء ، ويدافع هلال بن أمية - رضي الله عنه - بنفس الأدب والهدوء والحب : بأبي وأمي لقد صدقت .. ثم قيل له عند الخامسة : يا هلال : اتق الله ، فإن عذاب الله أشد من عذاب الناس وإنها الموجبة التي توجب عليك .

كلمات مليئة بالتذكير والتحذير ولتجديد الإيمان ، لتطهير النفس ، -ﷺ- يربي المتهم وهو في قفص الاتهام ويثير فيه كوامن الإيمان ويستجيش مشاعره ويهول أمامه عذاب الآخرة ، فإن الوقت حرج والمشاعر فيها مرهفة ومستعدة لتلقى التوجيه والاصغاء إلى الكلمات النبوية المليئة بالحنان والود ومفاهيم التوجيه والنصح .

ويأتي دور المرأة وتكررت أساليب الدعوة المليئة بالحكم والموعظة الحسنة وتتأثر المرأة وتهتز فعندما قيل لها عند الخامسة ، اتقى الله فإن عذاب الله أشد من عذاب الناس وإن هذه الموجبة ، فتلكأت ساعة .. ثم قالت و الله لا أفضح قومي .. لأن غرائز العنصرية و العصبية يتطلب

---

(١) تفسير القرطبي : ج/١٢ ، ص/١٩٢ .

تهذيبها والقضاء عليها وقتاً أطول « ففرق بينهما رسول الله -ﷺ- وقضى أن الولد لها ، ولا يدعى لأب ، ولا يرمى ولدها » (١) وهنا يتساءل المرء ، كيف فلتت المرأة من العقوبة ؟

لأن الإسلام لا يقيم بناءه على العقوبة ، بل على الوقاية من الأسباب الدافعة إلى الجريمة و على تهذيب النفس و تطهير الضمائر و على الحساسية التي يثيرها في القلوب ، فيتحرج من الإقدام على جريمة ويتردد في الاندفاع لاستجابة النفس الأمارة بالسوء ولا يعاقب إلا المتبجحين بالجريمة ، الذين يرتكبونها بطريقة فاضحة مستهترة ميراها الشهود .

ولأن الإسلام لا يعتمد على العقوبة في إنشاء الحياة النظيفة وإنما يعتمد على الأساليب التربوية أولاً وقبل كل شئ ، ثم على الضمانات الوقائية وعلى تطهير الجو جو الحياة كلها من رائحة الجريمة .

« ولما حرم الله سبحانه بهذه الجمل الأعراض والأنساب فصان بذلك الدماء والأموال ، علم أن التقدير : فلو لا أنه سبحانه خير الغافرين وخير الراحمين ، لما فعل بكم ذلك ولفضح المذنبين » (٢) ﴿ ولولا فضل الله عليكم و رحمته و أن الله تواب حكيم ﴾ (سورة النور، الآية : ١٠) . لعاجلكم بالعقوبة ولفضح الرائي ، ولكنه ستر ، ونلاحظ أنه لم يرد هنا ذكر (شريك بن سحماء) ولم يحضر هذا المشهد التربوي ؟ وغيابه عن هذا المشهد التربوي ربما له أبعاده وتأثيره يظهر فيما بعد .

وأما العلام فقد كان بعد ذلك أميراً (٣) عاش محترماً مكرماً ممنوعاً أن يقذفه أحد ، لتبقى البيئة سليمة من الكلمات النابية بعيدة عن الحزازات النفسية .

---

(١) الطبري ج/١٢ ص/٨٢

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج/١٢ سورة النور ٢٤-١٠-١١

(٣) القرطبي ج/١٢ ص/١٨٢

نظرات على سنن أبي داؤد وشروحه

[الحلقة الثالثة]

لسماحة الشيخ العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي

عرض وتعليق : بلال عبد الحي الحسني الندوي

وكان الباعث الثاني عليه هو عدم وجود شرح واف لهذا الكتاب الجليل بقلم عالم حنفي يجمع بين التبحر في الحديث والتضلع في الفقه مع أن الكتاب من أهم الكتب التي يعتمد عليها في إثبات مذهب أو رد مذهب ، لأن موضوعه الخاص وميزته الكبرى هو أحاديث الأحكام وهي التي يكثر فيها الخلاف ، وتتجلى فيها القدرة على التحقيق وقوة الاستدلال ، وذلك ما أهم المؤلف وشغل خاطره .

ولم يزل علماء الإسلام منذ قديم الزمان يشرحون كتب الحديث وفي مقدمتها - الصحاح الستة - بوجهة نظرهم الخاص ويطبقون بين الأحاديث وآراء مذهبهم ويقدمون دلائلها من كتب الحديث الموثوق بها ، المعتمد عليها ، كما فعل الإمام أبو جعفر الطحاوي (١) في شرح معاني

---

(١) هو الإمام العلامة أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي (٢٢٧-٢٢١هـ) سمع عن هارون بن سعيد ويونس بن عبد الأعلى والمزني وطبقتهم ، وروى عنه الخشاب وابن المقرئ والطبراني وغيرهم ، رحل إلى الشام وتفقه بالقاضي أبي حازم وغيره ، وبرع في الفقه والحديث ، كان ثقة ثبتاً نبيلاً بمذاهب الفقهاء لم يخلف مثله ، انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر ، له تصانيف بديعة ممتعة ، منها معاني الآثار ومشكل الآثار وغيرهما (تذكرة الحفاظ ٢/٨٠٨) (وفيات الأعيان : ١/٥٢) (شذرات الذهب ٢/٢٨٨) (الجواهر المضية ١/١٠٤) (الفوائد البهية : ص/١٨)

الآثار وكما فعل العلامة الزيلعي (١) في نصب الرأية ، والعلامة علاء الدين ابن التركماني (٢) في الجوهر النقي ، وسادتنا الشافعية - والحق أحق أن يقال - قد أحرزوا قصب السبق في ميدان التأليف والتدوين (٣) فإذا ألف أحدهم شرحاً لكتاب من كتب الصحاح تلاه عالم كبير من علماء المذهب الحنفي فألف شرحاً آخر لهذا الكتاب ، وإذا ألف أحد كبار علماء الشافعية أو المالكية كتاباً في التفسير أو في أصول الفقه وتلقاه الناس بالقبول وسارت به الركبان وشغف به الأوساط العلمية والحلقات التعليمية ، جاء عالم حنفي فألف كتاباً في نفس الموضوع قد يفوقه وقد يدرك شأوه وقد يتخلف عنه ، شأن الكتب العلمية والجهود البشريه في

(١) هو الإمام العلامة جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي الحنفي (م ٧٦٢هـ) سمع من أصحاب النجيب وأخذ عن الفخر الزيلعي وابن التركماني وغيرهما ، ولازم مطالعة كتب الحديث حتى برز فيه ، له مصنفات ممتعة ، منها ، نصب الرأية في تخريج أحاديث الهداية ، وتخريج أحاديث الكشاف وغيرهما ، (ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي : ص/٦٢) (الدرر الكامنة : ٢/٢١٠) .

(٢) هو الإمام العلامة علاء الدين علي بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى المارديني المعروف بابن التركماني الحنفي (٦٨٣-٧٥٠هـ) ولد في بيت عريق في العلم والدين ، أخذ عن الأبرقوهي والدمياطي وطبقتهما و ولي قضاء الحنفية بالديار المصرية ودرس وأفاد ، أخذ عنه العراقي والزيلعي وعبد القادر القرشي وغيرهم . كان إماماً في التفسير والحديث والفقه والأصول ، له مصنفات مفيدة منها « الجوهر النقي في الرد على البيهقي في مجلدين ضخمين) وغيره من الرسائل الممتعة . (ذيل تذكرة الحفاظ : ص/١٢٥) (الدرر الكامنة : ٢/٨٤) (الجواهر المضيئة : ١/٣٦٦) (الفوائد البهية : ص/٥١) .

(٣) خاصة في التفسير والحديث ، أما الفقه بجزئياته و استنباطاته الدقيقة فللحنفية فيه تقدم وشأن .

كل زمان ومكان وهذه قصة عمدة القاري للعلامة بدر الدين العيني (١) مع فتح الباري للعلامة الحافظ ابن حجر العسقلاني (٢) وهذا هو الدافع النبيل الذي دفع بعض كبار علماء الحنفية إلى تأليف كتاب في تفسير القرآن بعد ما كثرت مؤلفات علماء الشافعية في التفسير ، وانتشرت في الآفاق ، وأقبل عليها الطلبة والعلماء درساً وتدريساً كما فعل العلامة أبو البركات حافظ الدين النسفي (٣) في كتابه ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل . والعلامة أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (٤) في تفسيره المسمى بـ (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) والمحدث الكبير والفقيه الشهير القاضي ثناء الله الپاني پتي (٥) في

(١-٢) مضت تراجمهما .

(٣) هو الإمام العلامة عبد الله بن أحمد بن محمود أبو البركات حافظ الدين النسفي (م ٧١٠هـ) برز في الفقه والحديث والتفسير . تفقه على شمس الأئمة الكردري وعلى غيره من العلماء . كان إماماً كاملاً عديم النظير في زمانه ، له مصنفات جليلة أشهرها كنز الدقائق في الفقه وغيره . (الدرر الكامنة : ٢/٢٤٨) (الفوائد البهية : ص/٤٢) (الجواهر المضيئة : ١/٢٧٠) (معجم المؤلفين : ٦/٣٢) .

(٤) هو الإمام العلامة أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (٨٩٨-٩٨٢هـ) قرأ على والده وصار ملازماً من المولى سعدى جلپي ثم ولي قضاء برسه، ثم قضاء قسطنطينية ثم قضاء العسكر في ولاية روم ايلي، ثم تولى الفتيا واستمر على ذلك إلى وفاته . كان عميق النظر في الفقه والفتوى وسيع الاطلاع في الفنون . له بعض التصانيف النافعة منها كتابه في التفسير وحاشية على العناية وبعض التعليقات على الكشاف . (شذرات الذهب : ٨/٣٩٨) .

(٥) هو العلامة المحدث ثناء الله العثماني الپاني پتي أحد العلماء الراسخين ، ولد ونشأ ببلدة پاني پت وقرأ على أساتذة بلدته ثم سافر إلى دهلي وأخذ عن الإمام ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي وبرز في الفقه والحديث والتفسير ، >>>

التفسير المظهري .

والعلم الثالث الذي له صلة وثيقة بالمذاهب والآراء الفقهية وعليه أساس استنباط المستنبطين واجتهاد المجتهدين ، هو علم أصول الفقه فكان المجال الثالث لتأليف فحول علماء المذهب ونوابغهم ، فألف العلامة أبو الحسين البصري (١) وإمام الحرمين العلامة أبو المعالي عبد الملك الجويني (٢) و حجة الإسلام محمد بن محمد

>>> قال الشيخ غلام علي الدهلوي : « إنه كان متفرداً في أقرانه في التقوى والديانة مشتغلاً بالتدريس والتصنيف وفصل القضايا ، وإنه بلغ إلى رتبة الاجتهاد في الفقه والأصول ، له مصنفات مشهورة منها ، التفسير الطبري في سبع مجلدات و «ما لابد منه» في الفقه ، وكتاب مبسوط في مجلدين في الحديث ورسائل أخرى ، توفي في بلدته سنة ١٢٢٥هـ (نزهة الخواطر: ٧/١١٥) .

(١) هو العلامة أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري المتكلم على مذهب المعتزلة وهو أحد أئمتهم الأعلام المشار إليه في هذا الفن ، كان إمام وقته ، له التصانيف الفائقة في أصول الفقه منها (المعتمد) وغير ذلك من المصنفات ، سكن ببغداد وتوفي بها سنة ٤٢٦هـ (وفيات الأعيان : ٤/٢٧١) (شذرات الذهب ٢/٢٥٩) .

(٢) هو العلامة الإمام إمام الحرمين أبو المعالي ضياء الدين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الشافعي (٤١٩-٤٧٨هـ) تفقه على والده في صباه وبعد وفاته أخذ عن تصانيفه حتى أربى على المتقدمين وجلس على مسند والده ثم تركه وسافر إلى مكة وجاور بها أربع سنين ولقب بإمام الحرمين ، ثم رجع إلى نيسابور وذهب إلى بغداد وتولى تدريس النظامية وحصل له القبول ما لم يحصل لغيره ومكث على ذلك ثلاثين سنة ثم رجع إلى نيسابور واشتغل بالتأليف والتصنيف حتى وافته المنية ، له مصنفات بديعة منها ، البرهان في أصول الفقه ، والنظامي ، والغياثي ، وغيرها ، (شذرات الذهب : ٢/٢٥٨) (سير أعلام النبلاء : ١٨/٤٦٨) (الطبقات الشافعية : ٢/٢٤٩) .

الغزالي (١) والعلامة علي بن أبي المظفر الآمدي (٢) والإمام فخر الدين الرازي (٣) وغيرهم من كبار علماء الشافعية .

والعلامة جمال الدين بن حاجب (٤) والعلامة أبو إسحاق الشاطبي (٥)

---

(١) هو الإمام حجة الإسلام زين العابدين أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ) أخذ عن إمام الحرمين حتى برع في زمن أستاده ، ثم ولي التدريس بمدرسة النظامية ببغداد وهنا بعد صيته وارتفعت منزلته فترك جميع ما كان عليه وسلك طريق الزهد وبلغ الكمال . إنه دخل في أحشاء الفلسفة ثم خرج منها وصنف كتابه ، تهافت الفلاسفة للرد عليها وهي من أكبر مآثره، وله غير ذلك مصنفات نافعة أشهرها (إحياء علوم الدين) .

(٢) هو العلامة أبو الفضائل علي بن أبي المظفر يوسف بن أحمد بن محمد بن الحسين الآمدي الواسطي الشافعي (٥٥٩-٦٠٨هـ) تفقه ببغداد على الشيخ أبي طالب صاحب ابن الحلل وغيره ، وسمع الحديث من جماعة كثيرة ببلدته واسط وبغداد ثم تولى القضاء بواسط . كان له معرفة بالحساب وقد كان يقرض الشعر، توفي بواسط (وفيات الأعيان : ٢/٧٥) .

(٣) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين فخر الدين الرازي المفسر (٥٤٤-٦٠٦هـ) قرأ على والده ثم قصد الكمال السمناني ثم صحب المجد الجيلي حتى فاق أقرانه في علم الكلام والمعقولات وبعد صيته . وكان العلماء يقصدونه من البلاد وتشد إليه الرحال . له مصنفات بديعة ممتعة أشهرها (التفسير الكبير) (وفيات الأعيان : ٢/٢٨١) (طبقات الشافعية للسبكي : ٥/٣٣) .

(٤) هو العلامة أبو عمر وعثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الدوني ثم المصري الفقيه المالكي جمال الدين بن الحاجب (٥٧٠-٦٤١هـ) تفقه على مذهب مالك . وبرع في العربية والقراءات وانتقل إلى دمشق ودرس بجامعها في زاوية المالكية ثم عاد إلى القاهرة وأقام بها وأفاد خلقاً كثيراً . له مصنفات نافعة في أصول الفقه والنحو والصرف (وفيات الأعيان : ٢/٢٤٨) (شذرات الذهب : ٥/٢٢٤) .

(٥) هو الإمام إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المالكي الشهير >>>

من علماء المالكية ، والإمام محمد بن الحسين أبو يعلي (١) والعلامة ابن قدامة المقدسي (٢) من علماء الحنبلية ، مؤلفاتهم الشهيرة في علم الأصول وسارت بها الركبان ودرجت الأجيال على دراستها ، وحفظ بعضها وشرحها عدة قرون ، صنف الإمام علي بن محمد بن عبد الكريم فخر الإسلام البزدوي (٣) من علماء الحنفية كتابه المشهور بـ (أصول

>>> بأبي إسحاق الشاطبي (م ٧٩٠هـ) محدث فقيه ، أصولي ، لغوي ، مفسر ، من مؤلفاته (عنوان التعريف بأسرار التكليف) في الأصول و(الموافقات)في أصول الأحكام وغيرهما ، (معجم المؤلفين : ١/١١٨) .

(١) هو الإمام أبو يعلي ابن القراء شيخ الحنابلة القاضي الحبر محمد بن الحسين ، محمد بن خلف البغدادي (٣٨٠-٤٥٨هـ) صاحب التصانيف وفقيه العصر ، حدث عن أبي العربي والمخلص وطبقتهما وتفقه على أبي عبد الله بن حامد ، وأملى عدة مجالس وولي قضاء الحريم ، له تصانيف كثيرة منها (الكفاية) و (العدة) في أصول الفقه و (أحكام القرآن) وغيرها من المصنفات . (شذرات الذهب : ٣/٣٠٦) (الأعلام : ٦/٢٢١)

(٢) هو العلامة الإمام عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي ، أبو محمد موفق الدين الفقيه المجتهد (٥٤١-٦٢٠هـ) أخذ عن الشيخ عبد القادر وهبة الله الدقاق وابن البطي وتفقه على ابن المنى حتى فاق أقرانه وانتهى إليه معرفة المذهب وأصوله ، أخذ عنه ابن الدبيثي والضياء ، والمنذري وغيرهم ، له مصنفات نافعة ضخمة منها المغني في سبع مجلدات كبار والبرهان في علوم القرآن والروضة في الأصول وغيرها . (شذرات الذهب : ٥/٨٨) (معجم المؤلفين : ٦/٣٠) .

(٣) هو الإمام العلامة أبو الحسن علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم الحنفي الفقيه الأصولي ولد في حدود أربع مائة ، يقول العلامة اللكنوي : « هو الإمام الكبير الجامع بين أشتات العلوم إمام الدنيا في الفروع والأصول » وكان يضرب به المثل في الحفظ ، له تصانيف جليلة وكتاب كبير في أصول <<<<

البزدوي) وصنف الشيخ العلامة حسام الدين محمد بن محمد بن عمر الأخسيكثي (١) الحنفي كتابه (المنتخب الحسامي) وألف الشيخ العلامة كمال الدين ابن الهمام الحنفي (٢) كتابه المشهور (التحرير) وتداولت الأيدي هذه الكتب وأقبل عليها العلماء دراسة وتدريساً وشرحاً وتلخيصاً حتـــى جاء الشيخ العــلامة محب الله بن عبد الشكور الحنفي البهاري الهندي (٣) فصنف كتابه المشهور (مسلم الثبوت) فتهافت عليه العلماء

<<<< الفقه المعروف بأصول البزدوي توفي سنة ٤٨٢هـ . (سير أعلام النبلاء ١٨/٦٠٢) (الجواهر المضيئة : ١/٢٧٢) (الفوائد البهية : ص/٥٢) .

(١) هو الإمام محمد بن محمد بن عمر الأخسيكثي الحنفي أبو عبد الله حسام الدين . كان إماماً في الفروع والأصول له المختصر في أصول الفقه ، المعروف بالمنتخب الحسامي ، تفقه عليه محمد بن عمر النوجاباذي ومحمد بن محمد البخاري توفي سنة ٦٤٤هـ . (الجواهر المضيئة : ٢/١٢٠) (الفوائد البهية ص/١٨٨) .

(٢) هو الإمام العلامة كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود الكمال بن همام الدين السيواسي ثم الاسكندري المعروف بابن الهمام الحنفي (٧٩٠-٨٤١هـ) أخذ عن السراج والقاضي محب الدين ابن الشحنة وأبي زرعة ابن العراقي وغيرهم حتى فاق أقرانه وبرع في العلوم وتصدى لنشرها ، فانتفع به خلق . كان ماهراً في الفقه والأصول والنحو والتصريف والمعاني والبيان . محققا جدلياً . أفتى برهة من الزمان ثم تركها ودرس الفقه ثم تركه وجاور بالحرمين . له مصنفات بديعة نافعة منها ، « فتح القدير للعاجز الفقير» شرح الهداية . (الضوء اللامع : ٨/١٢٧) (شذرات الذهب : ٧/٢٩٨) .

(٣) هو الشيخ العلامة محب الله بن عبد الشكور العثماني الصديقي الحنفي البهاري الهندي أحد الأذكياء المشهورين . قرأ بعض الكتب الدرسية على الشيخ قطب الدين الأنصاري وأكثرها على الشيخ قطب الدين الحسيني الشمس آبادي ، ثم رحل إلى معسكر السلطان عالمگير فولاه القضاء بمدينة لكناؤ ثم نقله >>>

والمؤلفون وتناولوه بالشرح والتعليق ، وقد شغل هذا الكتاب أذكى علماء البلاد وأبرعهم أكثر من قرن ، وبلغ عدد شروحه ، وتعليقاته التي اشتهرت بين الناس ثمانية شروح على ما جاء في كتاب (الثقافة الإسلامية في الهند) للعلامة السيد عبد الحي الحسني (١) وكان ذلك طبيعياً ومعقولاً ومما اقتضته طبيعة اختلاف المذاهب وطبيعة العلم والبحث .

إن هذه الحركة العلمية القوية التي انتشرت في مختلف أنحاء العالم الإسلامي واستمرت إلى عهد قريب وظهرت بشكل خاص في مجال شروح الحديث وكتب التفسير وأصول الفقه ، أفادت النشاط العقلي والعلمي في العالم الإسلامي إفادة كبيرة لأنها مخضت المكتبة الإسلامية الدينية وغربلتها غربلة ونخلت كتب الحديث والرجال وعلم الأصول . للاحتجاج لما يراها المؤلفون وعلماء المذاهب من الآراء الفقهية من الكتاب والسنة والحديث الصحيح وإقامة الدليل والبرهان عليه . فلم يبق جانب من جوانب الحديث النبوي وما يتصل به من علوم ومقدمات إلا وكشف عنه . ولا موضوع له نسب قريب أو بعيد بالسنة وآيات الأحكام إلا وبحث ودرس ونوقش واستعملت العقول في ذلك إلى أقصى حدودها فكان كل ذلك مما يعود على الشريعة الإسلامية بالنفع ، وتكوين هذه المكتبة الدينية التي لا نظير لها في الملل والأمم .

[يتبع]

بعد مدة إلى حيدرآباد ثم عزله عن القضاء وجعله معلماً لحفيده رفيع القدر ولما ولي شاه عالم ولاه الصدارة العظمى ولقبه (فاضل خان)

من مصنفاته (سلم العلوم) في المنطق و (مسلم الثبوت) في أصول الفقه مقبولة متداولة في المدارس والعلماء . توفي سنة ١١١٩هـ (نزهة الخواطر : ٦/١٥٢).

(١) مصدر ترجمته

أسباب الغزو الفكري

[الحلقة الرابعة]

بقلم : الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ المساعد بجامعة الأزهر وقطر

رابعاً : الضعف الفكري ، والتفكك الاجتماعي :

لقد أصيب المجتمع الإسلامي بالضعف الفكري ، والتفكك الاجتماعي ، وذاق من جراء تلك الإصابة مرارة التأخر والضعف الفكري . ما أصيبت به أمة من الأمم ، أو مجتمع من المجتمعات ، إلا كانت الحالة ، انحطاطاً في التفكير ، واهتماماً بالخرافات والأساطير .

والتفكك الاجتماعي نتيجة حتمية للضعف الفكري ، لأن الضعف الفكري لا يكشف للإنسان مخاطر الانزلاق في الهاوية ، ولهذا نجد أن المجتمعات الإسلامية ابتليت بالطوائف المتعددة والمتناحرة ، والمذهبية التعصبية ، وتعدد السلطنات والدويلات التي قامت على أساس شعوبي أو مذهبي ، في هذا المجتمع أو ذاك .

وهذا كله جر المجتمع الإسلامي إلى فوضى قاتلة ، وتناحر حقيقي ، وسلب ونهب وقتل دون رادع أو وازع .. ومجتمع كهذا لا بد وأن يتعرض لسيطرة المتربصين به ، لقد كانت السلطة السياسية في المجتمعات الإسلامية تعيش في وضع مقلوب « وفي ذلك الوضع لابد أن تكتمل *الصورة المقيتة لأي إمبراطورية على وشك السقوط ، بغض النظر عن اللافتة التي ترفعها ، سواء كانت إمبراطورية فارسية ، أو بيزنطية ، أو رومانية ، أو عباسية ، لابد أن تتفشى الرشوة ، وتكثر مصادرة الأموال ،*

وتتفاقم الاضطرابات الداخلية، مع الانحلال الخلقي ، والانشغال بالتوافه عن الخطر الذي يدق الأبواب » (١) .

وأساس انهيار الأمم من الداخل ، وقد يأتي تدخل خارجي ليعجل بالسقوط ، ولكن يظل الانهيار الداخلي هو بداية النهاية وعاملها الأكبر ، ويأتي الانهيار الداخلي حين تتكون طبقة مترفة تتحكم في الثروة ، وفي الجماهير ، فتنشر الظلم ، والانحلال ، وتحيل حياة الأكثرية إلى جحيم تهون فيه الحياة (٢)

لاشك أن الأمة الإسلامية عاشت فترات من حياتها ، كانت سبباً في تأخرها وغفلتها ، وطمع الطامعين في مجتمعاتها .

وأي أمة تضعف في أفكارها ، ولا تعرف إلا القشور من أمرها ، وتعيش في تناحر وتمزق ، لابد وأن تسقط، وينال منها من كان يهابها.

خامساً : تخلف الشعوب الإسلامية عن ركب الحضارة :

إن المجتمعات الإسلامية : حين أصابها الضعف الفكري ، والتفكك الاجتماعي ، انشغلت بالتافه من الأمور ، فقادتها التفاهة إلى التخلف عن ركب العلم ، والتقدم ، والحضارة .. ومعنى هذا ، أن المجتمعات الإسلامية انصرفت عن تعاليم الإسلام التي تدعو إلى العلم ، والمعرفة ، واستعمال العقل ، والفكر ، في كل ما من شأنه أن يأخذ بالناس إلى الطريق السليم « وواكب هذا الانصراف انحطاط في القيم ، ودعوات إلى الركون إلى المتع والعبث بالأموال ، إلى حد السفه ، والجنون والترف ، والفجور حتى كان قواد هذا الركب في كل ناد، وكل صحيفة مع جهل ضارب ، ونفاق ناشب أظفاره ، وفساد في كل مجتمع وناد ، وتصارع على كل تافه

---

(١) انظر الشيخ محمد الغزالي ، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل ص/١١٠ طبع دار الشروق ، بيروت .

(٢) راجع المصدر السابق : ص/١١٢ .

وخسيس من المادة، وخراب للذمم، وبيع للشرف ، وكره للقيم ، وضياع للحق ، وهضم للحقوق ، وذبح للفضيلة » (١) .

وكان وضع البلاد الإسلامية كما صوره شاعر تركيا الإسلامي الكبير محمد عاكف : « يسألني الناس أنك كنت في الشرق مدة طويلة ، فما الذي شهدت يا ترى ، وما عسى أن يكون جوابي ؟ إنني أقول لهم : إنني رأيت الشرق من أقصاه ، فما رأيت إلا قرى مقفرة ، وشعوباً لا راعي لها ، وجسوراً متهدمة ، وأنهاراً معطلة ، وشوارع موحشة ، رأيت وجوهاً هزيلة متجعدة ، وظهوراً منحنية ، ورؤساً فارغة ، وقلوباً جامدة ، وعقولاً منحرفة .

رأيت الظلم ، والعبودية ، والبؤس ، والشقاء ، والرياء ، والفواحش المنكرة المكروهة ، والأمراض الفاشية الكثيرة ، والغابات المحرقة ، والمواقد المنطفئة الباردة ، والحقول السبخة القاحلة ، والصور المقززة ، والأيادي المعطلة ، والأرجل المشلولة ..

رأيت أئمة لا تابع لهم ، ورأيت أخا يعادي أخاه ، ورأيت نهاراً لا غاية له ، ولا هدف ، ورأيت ليالي حالكة طويلة ، لا يعقبها صباح مسفر ، ونهار مشرق » (٢) .

هذا التخلف أضعف الثقة بالنفس ، وأوقف عجلة التقدم والانطلاق في الشعوب الإسلامية ، وجعلها تعتمد في كل شئ على غيرها ، إن التخلف العقلي لا يمكن في عدم الذهاب إلى الجامعات ، واكتساب المعارف فقط ، بقدر ما يمكن في التبلد ، والخمول ، والنوم ، والرضاء بالدون ، وموت الهمة .. (٣) .

---

(١) راجع الدكتور توفيق يوسف الواعي ، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية : ص/٦٩٦ .

(٢) راجع المصدر السابق : ص/٦٩٦ ، وانظر أبو الحسن الندوي ، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية : ص/٢٥ .

(٣) انظر : الدكتور توفيق الواعي ، الحضارة الإسلامية ، مقارنة بالحضارة الغربية : ص/٦٩٨ .

ومن المؤكد أن الأمة التي تفضل أو ترضى بالتواكل ، والاستجداء ، والكسل ، والتبعية ، أمة لا تستحق الحياة الكريمة ، والحياة الحرة لكريمة لا تتأتي لأمة دون ثمن ، والثمن هو التضحية ، ولا يتأتي لأمة أن تشق طريقها في الحياة ، وأن تستعيد وجودها وكرامتها ، وتعيد صنع حياتها ، دون أن تحاول جاهدة أن تبني نفسها بناءً يتفق مع الاعتداد بالذات ..

وقد يكون من المسلمات البديهة : أن ضعف الأمة في جوهره وجذوره ، ليس ضعفاً في قوة الدفاع ، أو في القوة العسكرية ، وإنما يكمن في ذل النفوس ، وشعورها بالضعف .

وقد يكون من المسلمات البديهية أيضاً : أن فقر الأمة في جوهره وجذوره ليس فقراً في السلاح والمعدات ، أو فقراً في المال والإمكانات ، وإنما يكمن في فقر النفوس وعجزها ، وضعف الإرادة واضطرابها .. (١).

فالتخلف عن ركب التقدم والحضارة ، يعود بالمجتمعات الإسلامية إلى الانحطاط ، ويقودها طواعية إلى الهلاك كما تقاد الشاة إلى حتفها بظلفها ، ولذا كان هذا التخلف عاملاً من عوامل الغزو الفكري الذي اجتاح البلاد والعباد ..

سادساً : الفراغ العقدي :

من المؤكد لدى الباحثين ، أن العقيدة هي الأمر الذي تثق به النفس ، ويطمئن إليه القلب ، ويكون يقيناً عند صاحبه ، ولا يمازجه شك فيه ، ولا يخالطه ريب ، ويذكر العقاد : أننا نعني بالعقيدة الدينية طريقة حياة ، لا طريقة فكر ، ولا طريقة دراسة ، إنما نعني بها حاجة النفس ، كما يحس بها من أحاط بتلك الدراسات ، و من فرغ من العلم و المراجعة ،

---

(١) انظر : الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح ، معارك حاسمة في حياة المسلمين : ص/١٥٤-١٥٥ ، طبع دار اللواء بالسعودية ١٤٠٩هـ .

ليترقب مكان العقيدة من قرارة ضميره ، إنما نعني بها ما يملأ الرءوس أو الصفحات (١) .

إن العقيدة التي يصح أو توصف بالعقيدة الدينية ، هي التي لا يستغني عنها من وجدها ، ولا يطيق الفراغ منها من فقدها ، ولا يرفضها من اعتصم منها ، بمعتصم ، واستقر فيها على قرار (٢) .

ومن يتأمل العقيدة الإسلامية ، ويتدبر ما جاءت به من مفاهيم ، تناولت معضلات الحياة ، إن من يتأمل ذلك يحس بالاطمئنان ، ويتخلص من الحيرة التي تواجه كثيراً من المفكرين (٣) .

والحقيقة التي أثبتها مئات السنين الحافلة بالأحداث ، والخطوب ، والمحن ، حقيقة أن العقيدة الإسلامية هي العقيدة الشاملة ، والعقيدة المثلى للإنسان ، والمجتمع، رعاية للروح والجسد، وعمل للدنيا والآخرة ، وجهاد في السلم والحرب ، و تنظيم للعلاقات والصلات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات والأمم .

فالعقيدة ضرورة لا غنى عنها للفرد والجماعة .. ضرورة للفرد ليطمئن ويسعد ، وتطهر نفسه .. وضرورة للمجتمع ليستقر ويتماسك ، ويترفع وينهض ..

فالفرد بغير عقيدة كالريشة في مهب الريح ، تحوله يميناً وشمالاً فلا يسكن له حال ، ولا يستقر له قرار ، وليس له جذور تثبته (٤) .

---

(١) عباس محمود العقاد ، العقائد و المذاهب مجلد رقم ١١ ، ص/٤٠٢ ، طبع دار الكتاب اللبناني ، بيروت .
(٢) المصدر السابق : ص/٤٢١ .
(٣) انظر : الدكتور أحمد السايح ، عباس محمود العقاد ، فيلسوفاً ، رسالة (ماجستير) ص/١٦٦ .
(٤) انظر : محمد أمين حسن ، خصائص الدعوة الإسلامية : ص/٢٥٧ ، طبع مكتبة المنار، الأردن ، وانظر كذلك الدكتور أحمد السايح ، العقيدة والإنسان ، مجلة الحفجي ، السنة العشرون ، العدد الأول ، ص/٤-٥ ، أبريل ١٩٩٠م السعودية ، وانظر : كذلك أبو الحسن الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : ص/٢١٨ ، طبع دار الكتاب العربي ١٤٠٤هـ .

والعقائد في الأمم تقف سدوداً بينها وبين الأفكار الوافدة ، أو المذاهب المقتحمة . وتعطي أعماقاً للصروح والمجتمعات والأفراد . كما تمنح استقراراً وثباتاً للإنسان في الحياة . أما إذا تركت الأمم عقائدها ، وتخلفت عن غذائها الروحي ، وعن عمقها الإيماني (١) . فإنها تصبح فريسة لمن هب ودب ..

والباحث في أحوال الشعوب الإسلامية : يجد أنها لم تحسن التخطيط ، ولم تستفد من الدروس ، فانطلقت في سبيل الشهوات و الملذات ، والطوائف ، والاختلاف ، وتركت تعاليم الإسلام التي تدعو إلى الفكر ، والعلم ، والحضارة .. فكان ما كان ..

لقد اتضح لنا ، أن (الغزو الفكري) الذي تعرضت له ، شعوب الأمة الإسلامية ولا زالت تتعرض ، قام على أسباب وبواعث ، دفعت بالغزو الفكري إلى تكالب مسعور ، وكان في الإمكان أن ترد الهجمة الشرسة ، ولكن كانت هناك عوامل تنتشر في المجتمعات الإسلامية ، ساعدت على توغل الغزو الفكري ، وانتشاره بين الناس .

وقد سبق أن - ذكرنا - أن من عوامل وأسباب (الغزو الفكري) :

= العداء الصليبي للإسلام والمسلمين .

= الاستعمار الغربي الذي أصاب بعض المجتمعات الإسلامية .

= تقدم الغرب العلمي .

= الضعف الفكري والتفكك الاجتماعي الذي أصاب المسلمين .

= الفراغ العقدي الذي دلت عليه سلوكيات المسلمين .

وقد تكون هناك أسباب أخرى :

داخلية أو خارجية ، عملت على تمزيق الأمة الإسلامية وقتل روح الأصالة فيها والتجديد ، والقدرة على مواجهة التحدي .

ولا يخفى أن التعرف على الأسباب ، قد يدفع بالعلماء ، وقادة الفكر إلى تشخيص الداء ، وبذل الدواء ، وإذا عرف التحدي أمكنت المواجهة ، وإذا كانت معرفة أسباب الغزو الفكري ، تقف بالمسلمين على محطات انطلاق ، فإن معرفة مظاهر الغزو الفكري ، تساعد على التبصر بالمواقع والمواقف .

[يتبع]

(١) الدكتور توفيق يوسف الواعي ، الحضارة الإسلامية ، مقارنة بالحضارة العربية : ص/٧٠١-٧٠٢ .

الإسلام والمستقبل

بقلم : الأستاذ الدكتور محمد عبد الستار نصار
الأستاذ بقسم العقيدة والأديان - كلية الشريعة - جامعة قطر +

أزمة الحضارة المعاصرة :

تعاني الحضارة المعاصرة من قلق واضطراب ، على الرغم من توافر كل وسائل الرفاهية والراحة للإنسان الذي يعيش في ظلها ، ويرجع السبب في ذلك - كما يرى المنصفون من فلاسفة الحضارة إلى أنها عالجت في الإنسان جانباً واحداً فقط ، وهو جانبه المادي ، وأما أشواقه الروحية ومطالبه الداخلية فلم تدخل ذلك في حسبانها ولا في برامجها ، إنها لبت لإنسان هذا العصر ما يغذي قشرته الخارجية وهيكله الظاهر ، فجعلت العالم كله تحت سمعه وبصره ، يمكنه أن يتصل بأقصى الشرق في ثوان وهو في أقصى الغرب ، ويمكنه كذلك أن يرى - على بعد الشقة - صور الأقمار الصناعية ومركبات الفضاء ، وهي تنطلق من قواعدها ، ويعرف محصول رحلاتها في أثناء دورانها أولاً بأول بفضل اتصالها بمحطاتها الأرضية ، وإذاعة ذلك عن طريق وكالات الأنباء عبر وسائلها المتقدمة ، هذا فضلاً عن الأحداث اليومية العادية وغير العادية التي يعرفها العالم كله بعد وقوعها مباشرة .

إن إنسان هذه الحضارة قد عز عليه أن يخدمه إنسان مثله ، فقدمت له

+ ورئيس تحرير حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية .
(قطر - الدوحة ، ص. ب ٢٧١٢)

حضارته إنساناً آلياً ليقوم بهذا الدور، وأصبحت تخدمه في الفنادق ودور المال والمؤسسات العامة، مجموعة من الأزرة، توفر له المعلومات التي يريدها في نفس الوقت الذي يطلبها فيه، وباختصار: قد وفرت له هذه الحضارة كثيراً من الوقت والراحة، وقد استغل هذا الوقت في التفكير في مزيد من الرفاهية، واطرد مع وقته المتوفر هذا، الإيغال في رفاهية أكثر، وبالضرورة وقت أكثر وهكذا، حتى غدا يلهث في سيره، وهو في نفس الوقت لا يدرك لذاته هدفاً محدداً وراء حركته الآلية في خطها المادي، ولا يعرف لنفسه غاية قصوى سوى ما هو فيه من إشباع لرغباته ومطالبه في صورتها الحيوانية، إنه لم يدرك سر وجوده، والهدف من حياته وكل ما ساقته له الأديان - اليهود والمسيحية، وغيرها من الديانات الوضعية - في هذا السبيل، إنما كان مزيجاً من تصورات ممثليها مع تحريفات وتبديلات لها، لأهداف معينة مقصودة، وكل ما افرزته الايديولوجيات لم يكن لصالحه، بل كان أشبه بالغذاء الذي يضر بالصحة أكثر مما يصلحها.

في هذا الجو الذي يعبق بدخان المصانع وما تفرزه من نفايات، وضجيج الصيحات والآراء والمذاهب وما تحدثه من قلق واضطراب يعيش إنسان العصر فارغ النفس من المعاني والقيم العليا خالي الوفاض من الإيمان بحقائق هذا الوجود، وخالق هذا الوجود ومدبره، لم يسعفه من الخلاص مما هو فيه إلا إمعان أكثر في حياته المادية، شأنه في ذلك شأن من قال: وداوني بالتي كانت هي الداء، أو تصرفات شاذة عابثة يثبت بها ذاته المفقودة، أو يكون مصيره المصحات النفسية والعقلية، وقد يكون العلاج الحاسم لدى بعضهم هو التخلص من هذه الحياة جميعها، وذلك

بالانتحار ، لإحساسه بأن الراحة كل الراحة في ذلك ، وقد دلت الإحصاءات أن نسبة الانتحار تطرد مع نسبة الإلحاد والزيغ ، وأن البلاد التي تنتشر فيها هذه الظاهرة هي التي لا يكون للدين فيها أثر يذكر ، ويضرب المثل بالسويد كدليل على ذلك .

إن هذا الإفلاس في الجانب الروحي الذي تعاني منه الحضارة المعاصرة ، ليس له علاج إلا بالإسلام ، ذلك الدين القيم ، الذي عالج مطالب الإنسانية بتعادل واتزان ، فلم يغفل مطالبه المادية بجانب أشواقه الروحية ، ولم يعل من شأن الفرد على حساب الجماعة ، ولا من شأن الجماعة على حساب الفرد ، ولم يغفل إرادة الإنسان وحريته واختياره وتأمله وتدبره وعواطفه وآماله ، تجاه المواقف والأحداث ، ونظر إلى الإنسان نظرة كلية ، تضعه في الموضع الصحيح الذي أراده الله ، فحدد مركزه في الكون ، وهدفه من هذا الوجود كما حدد له مصيره ، وباختصار وضع له الإطار العام الذي يتحرك في داخله ، ذلك الذي جاء به هذا الدين بما بين من أوامر واجبة الاتباع معللة بصلاح الإنسان في الدنيا والآخرة ، وبما نهى عن أشياء في اتباعها المفسدة والمضرة في الدنيا والآخرة كذلك .

الإسلام هو العلاج :

إن الإسلام هو ذلك العلاج الذي يداوي جراح البشرية ، ويرأب ما عتراها من تصدع ، ويربط ما حدث لها من تفكك ، وحسبه أنه الذي حدد بوضوح وحدة الأصل الإنساني « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة » (أول سورة النساء) ، كما أجاب بجلاء على هذه الأسئلة التي طلت ولا تزال موضع حيرة الفلاسفة والمفكرين ، وهي : من أين ؟ وإلى أين ؟ ولم ؟ فقرر أن الله سبحانه هو رب هذا الوجود وخالقه « ذلكم

الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل ﴾ (سورة الأنعام ، الآية : ١٠٢) . كما قرر أن وجود الإنسان وخلقه ليس أمراً عفويا ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق ﴾ (سورة المؤمنون ، الآية : ١١٥-١١٦) . كما ذكرنا برسالة الإنسان ومهمته في هذا الوجود ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٣٠) . ﴿ هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾ (سورة هود ، الآية : ٦١) . ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (سورة الذاريات ، الآية : ٥٦) .

المستقبل للإسلام :

إن المستقبل لهذا الدين ، بما يملك من وسائل العلاج وعوامل النجاح لأمراض البشرية التي خلفتها الحضارة المعاصرة ، متى أحسن دعاته عرضه والدعوة إليه بما رسمه الله من منهج ﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن .. ﴾ (سورة النحل ، الآية : ١٢٥) .

وليس ما انتهينا إليه من حكم لصالح هذا الدين ، وسيادته في دنيا المستقبل ، أمرا ناشئا عن عاطفة مشبوبة ، تتجاوب بها جوانب مؤمن متحمس ، بل إنه يخضع للتحليل العلمي الذي يفرضه المنهج الصحيح . ونؤسس حكمنا هذا على أمرين واضحين :

الأمر الأول : طبيعة الإسلام .

الأمر الثاني : الواقع الذي آل إليه أمر البشرية اليوم .

فأما الأول : فلأن الإسلام هو ذلك الدين الذي اختاره الحق سبحانه وتعالى ليكمل به الرسالات السابقة ، وما عسى أن يكون قد تجاوزته من

أحكام خضوعاً لسنة التدرج الإلهي حين تتعامل ضوابطه وأحكامه مع البشر . وإذا كان هذا شأن الإسلام مع ذاته في بعض قضايا التشريع التي عرفنا منها أن الحكم النهائي فيها ، كان مسبوقاً بما يمكن أن يسمى بالأحكام المؤقتة - وقصة تحريم الخمر أكبر مثل على ذلك - فإن نفس المبدأ ينسحب على الأديان كلها ، وعلاقة سابقها بلاحقها ، إنها أشبه ما تكون بدوائر متداخلة ، يشمل أكبرها أصغرها ، وكان الإسلام هو ذلك الدين الذي استوعب كل ما جاءت به الأديان السماوية السابقة عليه من أحكام ، وزاد عليها كل ما يمكن أن تطبقه البشرية إلى أن تقوم الساعة ، بعد أن بلغت بمجيئه ذروة نضجها النفسي والعقلي .. وفي النهاية يمكن أن نقف عند ذلك التعبير الموحي ، الذي تضمنته الآية الكريمة : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي • ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ (سورة المائدة ، الآية : ٣) ، وأعني بذلك قوله : (رضيت) فدين رضيه الله للبشرية ليكون آخر اتصال للسماء بالأرض في سلسلة الاتصالات التي بدأت بأول الأنبياء إلى خاتمهم ، لا نفهم منه إلا أن يكون النموذج النهائي الذي يقود البشرية إلى الخير ، وقاية وعلاجا ، متى تعاملت معه بالمنهج الذي يرضاه ، وهو ذلك الذي يفهم طبيعته على وجه صحيح ، لا إفراط فيه ولا تفريط .

إن القرآن الكريم قد بين لنا أن ما جاءنا به من عند الله ، إنما هو بصائر نيرات ﴿ هذا بصائر من ربكم وهدىً ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ (سورة الأعراف ، الآية : ٢٠٣) ، ﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدىً ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ (سورة يونس الآية

٥٨ـ) . ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد لمين إلا خساراً ﴾ (سورة الإسراء ، الآية : ٨٢) . ﴿ يا أيها النبي إنا لمناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً • ر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ﴾ (سورة الأحزاب ، الآية : ٤٧ـ) . إلى غير ذلك من الآيات التي تبرز طبيعة هذا الدين وهي أنه ہاج الذي يقود الناس إلى طريق الخير والفلاح ، متى آمنوا به حقاً بقوه صدقاً .

د لا يتخلف : ثم إن القرآن الكريم - فضلاً عن إبراز طبيعة هذا ن ، التي توحي بالآمال العراض في مستقبله - يوقفنا أمام وعد من تبارك وتعالى - ووعده لا يتخلف - لأنه لا يخلف وعده بصريح قوله ى : ﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ رة الروم ، الآية : ٦) ، لعباده المؤمنين العاملين للصالحات بأن خلفهم في الأرض وأن يمكن لهم الدين الذي ارتضاه لهم وأن يبدلهم من خوفهم أمناً ، قال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا لحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا كون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ (سورة ر ، الآية : ٥٥) .

إنه وعد مشروط التنفيذ ، بسببين واضحين : الإيمان الصادق ، مل الصالح ، وأحسبني أفهم من هذا أن الحق تبارك وتعالى ، الذي الوجود كله على قانون الأسباب والمسببات أراد - بهذا الشرط - ألا ب هذه الحقيقة عنا نحن المسلمين ، حتى نكون أهلاً لاستحقاق

الاستخلاف في الأرض والتمكين في الدين ، حتى إذا استبطأنا ذلك ، بحثنا عن الأسباب في داخلنا . وهذه النتيجة تنسحب على حياة المؤمنين في كل عصر ومصر . وأعتقد أن تاريخ الحضارة الإسلامية يمكن أن يشكل الواقع التاريخي الحي المشاهد ، بما تنطق به أوثق المصادر ، على صحة القضية .

إنه في منطق العقل الظاهر أن تكون القدرة المطلقة والإرادة العامة -وهما من صفات الحق سبحانه وتعالى - لا يعجزهما أن تديلا دولة الباطل لتقوم مكانها دولة الحق ، دون توقف على سبب أو أسباب ، ولكن العقل سرعان ما يستدرك على نفسه حتى يعقل العلاقة الصحيحة كما أراد الله سبحانه وتعالى ، فكما أن النتائج لا تأتي إلا بعد المقدمات ، والأعمال العظيمة لا تثمر إلا ثماراً باهرة ، فكذلك النصر أو الهزيمة ، إنه الابتلاء الذي يصهر النفوس كما تصهر المعادن ليعرف نقيها من خبيثها ، وأصيلها من مزيفها ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ﴾ (سورة محمد، الآية : ٣١). ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون ﴾ (سورة العنكبوت ، الآية : ٢) ، ومن ثم فالاستخلاف في الأرض وتمكين الدين ليحكم حركة الحياة يتوقفان على أسباب فينا نحن المسلمين ، والواقع يؤهلنا لذلك كما سنبين الآن .

واقع البشرية اليوم : وهذا ثاني الأمرين ذكرناهما قبلاً ، إنه واقع مؤسف حزين ، بعد أن تنكبت البشرية الطريق الصحيح ، الذي يهدي خطوها ويبارك مسيرها ، ويدفعها إلى استشراف حياة إنسانية رفيعة ، لقد خبر فلاسفتها ومفكروها طبيعة الدينين اللذين يملك أتباعهما من

..سائل الدعاية والإعلان لهما الشئ الكثير الكثير. وأعني بهما : اليهودية ..لمسيحية. على اعتبار أنهما الدينان اللذان يلامسان العقول والممارسات .. بلاد الغرب في يوم الناس هذا ، بعد أن صور الإسلام على غير صورته ..قلام أعدائه في الداخل والخارج ، حتى غدا في نظر الكثير في بلاد ..رب قرين التخلف والرجعية ، وكانت النتائج التي توصل إليها هؤلاء ..فكرون أن هذين الدينين أصبحا لا يملكان من عوامل التأثير على ..عقول والنفوس شيئاً ، بعد تصادمهما مع العقل والفطرة ، وامتلائهما ..كثير من الخرافات التي لا يقبلها العقل ، مما يتأكد معه أن قضية ..تحريف والتبديل التي أشار إليها القرآن الكريم لمصدريهما - التوراة الانجيل - أصبحت أمراً فوق الشك ، بل إن بعض الباحثين قد انتهى ..ى نتيجة خطيرة جداً ، وهي الشك في وجود هذين الدينين أصلاً ، يستشهد على ذلك ببعض القضايا الرئيسية فيهما ، مثل قضية تمييز ..نصر اليهودي عن غيره من العناصر البشرية الأخرى - في اليهودية - ..ضية الخطيئة الكبرى - في المسيحية - إلى غير ذلك ..

لقد انتهى المفكرون الغربيون في هذا العصر إلى الاعتقاد فيما يسمى ..يهم بالدين الطبيعي كرد فعل لعوز العقول والنفوس إلى دين تقوم بادئه ونظمه على أسس ترضى العقول والنفوس والأفراد والجماعات ..لحكام والمحكومين كما ترضى مطالب الإنسان الروحية والمادية بنظام ..يطغى فيه جانب على آخر (١) .

ونحن واثقون كل الثقة ، بأن تلك المطالب لن تكون إلا في الإسلام .

---

(١) يقرأ كتاب (عقائد المفكرين في القرن العشرين) للكاتب المعروف عباس ..حمود العقاد ، ففيه بحوث ممتعة في هذه القضية

ذلك الدين الذي جاء لصالح الإنسان من حيث هو ، بغض النظر عن لون وجنسه ومركزه الاجتماعي ، إنه - كما نعرفه ويعرف المنصفون جميعاً - مجموعة من العقائد والنظم والتشريعات الإلهية ، لا تزال وستظل موصولة بمصدرها الأول - الله رب العالمين - كما جاء بها قرآنه الكريم وبينتها السنة المطهرة ، وجسدها الأطهار الأبرار من أتباع هذا الدين ، وهذه ميزة لم تتوفر لدين سماوي من قبل ، فضلاً عن الديانات الوضعية ، أن تكون التشريعات فيها موصولة بمصدرها الأول ، ثم إن الإضافات التي أملتها ظروف التطورات الاجتماعية مما نطلق عليه (الاجتهاد) إنها أيضاً ثمرة من ثمار فهم هذا الدين لدى المؤهلين لذلك ، الذين تجمعت فيهم شرائط الاجتهاد بالمعنى العلمي ، والذين دارت اجتهاداتهم في حدود فهم للنصوص الصحيحة الثابتة .

تلك هي ضوابط مؤهلة للإسلام كي يقود المستقبل ، كما قاد الماضي ، ولكن بنفس الشروط التي ذكرناها ، وهي التي أقام الله سبحانه وتعالى عليها قانون الوجود كله ، الأسباب التي تؤثر في النتائج والأسباب هنا واضحة ، هي : إيمان واثق يملأ النفوس والقلوب و المشاعر و الأفئدة ويعمر جوانب الإنسان المسلم بضياء الإسلام ، فيدفعه إلى العمل الصالح الذي تردهر به الحياة ، عند ذلك سيشعر العطشى إلى حياة هانئة سعيدة بأن الإسلام هو طريق الخلاص ومفازة النجاة ..

يقول الله عزوجل : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه • ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله • ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ (سورة الأنعام : الآية : ١٥٣) .

....

الرابطة الإسلامية هي أعظم الوسائل التي تربط بين المسلمين

بقلم : سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الرئيس العام : لإدارات البحوث العلمية الإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه أما بعد ! فإن الأخوة الدينية بين الشعوب الإسلامية هي أقوى الوشائج والروابط التي تشد الأمة وتؤلف بينها لتكون قوية متماسكة في وجوه أعدائها المتربصين بها من الكفار والمنافقين ، وهذه النعمة - نعمة - التألف بين قلوب المسلمين والتي امتن الله بها على نبيه ﷺ في قوله سبحانه : ﴿ هو الذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم إنه عزيزٌ حكيمٌ ﴾ وامتن بها على المسلمين جميعاً رجالاً ونساءً في قوله عزوجل : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيزٌ حكيمٌ ﴾ وفي قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾ وفي قول النبي ﷺ : « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخواناً . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يكذبه ولا يخذله التقوى هاهنا وأشار إلى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » رواه الإمام مسلم في صحيحه والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

وهذه النعمة العظيمة قد ضاق بها أعداء الإسلام وعملوا جاهدين لتفكيك أواصر الأمة وزرع أسباب الفرقة والتنازع بينهم لتذهب ريح الأمة وقوتها وليسهل إذلالها وقهرها والسيطرة عليها وكما يقولون - فرق تسد - .

ومن أقوى وسائل الأعداء في هذا العصر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية وما تبثه من الأخبار الكاذبة والمحرفة التي تزرع الشر والفتن وأسباب الكراهية والحقد والفرقة بين المسلمين .

ومن أهم الواجبات على المسلمين جميعاً لا سيما العلماء ورجال الإعلام المنصفين التصدى لهذه الحملات الحاقدة التي تستغل الأحداث لإثارة الشكوك وإزالة الثقة بين المسلمين أفراداً وجماعات حكاماً ومحكومين .

ومما يلاحظ في هذا العام بشكل خاص أن وكالات الأنباء العالمية ومراكز الاستخبارات الأجنبية التابعة للحكومات الكافرة ولمراكز التوجيه النصراني والماسوني كلها تخطط بأسلوب ماكر لإثارة العالم كله ضد ما يسمونه : « الأصوليين » وهم يقصدون بذك الذم والقدح في المسلمين المتمسكين بالإسلام على أصوله الصحيحة الذين يرفضون مسايرة الأهواء والتقارب بين الثقافات والأديان الباطلة ، وقد وقع بعض الإعلاميين المسلمين في مصيدة الأعداء وأخذوا ينقلون تلك الأخبار المعادية للإسلام وأصبحوا يتداولونها عن جهل بمقاصد أصحابها أو غرض في نفوس بعضهم . فكانوا بفعلهم هذا أعواناً للأعداء على الإسلام والمسلمين بدلاً من قيامهم بواجب التصدى لأعداء الإسلام وإبطال كيدهم ببيان أهمية الرابطة الدينية والأخوة الإسلامية بين الشعوب الإسلامية وأن الأخطاء الفردية التي لا يسلم منها أحد لا ينبغي أن تكون مبرراً للتشنيع على الإسلام والمسلمين والتفريق بينهم .

ولهذا رايت تحرير هذه الكلمة الموجزة نصيحة للمسلمين جميعاً من الإعلاميين وغيرهم في الدول الإسلامية وغيرها ، وتحذيراً للجميع من مكائد الأعداء من الكافرين والمنافقين والسائرين على نهجهم ، وأن يصونوا الإعلام الإسلامي المقروء والمسموع والمرئى من أن يكون وسيلة للتشكيك في الإسلام والدعاة إليه وأن يستخدم للتفريق بين علماء الأمة وشعوبها والناصحين لها وغرس أسباب الشحناء والتباغض بين حكامها ومحكوميها وعلمائها وعامتها ، وأن يبذلوا كل ما يستطيعون في التقريب بين المسلمين وجمع كلمتهم ودعوتهم حكاماً ومحكومين للتمسك بدينهم والاستقامة عليه وتحكيم شريعة الله في عباده والتواصى بذلك والتعاون عليه بالأساليب الحسنة والنصيحة الخالصة والعمل الصالح الدائب والسيرة الحميدة والتعاون في ذلك عملاً بقول الله عزوجل : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إنّ الله شديد العقاب﴾ وقوله سبحانه : ﴿ والعصر• إن الإنسان لفي خسر• إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق • وتواصوا بالصبر﴾ وقول النبي ﷺ : « الدين النصيحة قيل لمن يا رسول الله ، قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » رواه مسلم في صحيحه .

و لما روى جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - قال : « بايعت النبي ﷺ على اقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم » متفق على صحته .

كما أوصى العلماء وجميع الدعاة وأنصار الحق أن يتجنبوا المسيرات والمظاهرات التي تضر الدعوة ولا تنفعها وتفرق ولا تجمع وتسبب الفرقة بين المسلمين والفتنة بين الحكام والمحكومين وإنما الواجب سلوك السبيل الموصلة إلى الحق واستعمال الوسائل التي تنفع

ولا تضر ويجمع ولا تفرق وتنشر الدعوة بين المسلمين وتبين لهم ما يجب عليهم بالكتابات والأشرطة المفيدة والمحاضرات النافعة وخطب الجمع الهادفة التي توضح الحق وتدعو إليه وتبين الباطل وتحذر منه مع الزيارات المفيدة للحكام والمسئولين والمناصحة كتابة أو مشافهة بالرفق والحكمة والأسلوب الحسن عملاً بقول الله عزوجل في وصف نبيه محمد ﷺ : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك » الآية وقوله عزوجل لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام لما أرسلهما إلى فرعون : ﴿ فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى ﴾ وقول النبي ﷺ : « بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا وتطاوعوا ولا تختلفوا » وقوله ﷺ : « إن الرفق لا يكون في شئ إلا زانة ولا ينزع من شئ إلا شانة » وقوله ﷺ : « من يحرم الرفق يحرم الخير كله» وكل هذه الأحاديث صحيحة ثابتة عن رسول الله ﷺ . وفي صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ انه قال : « أللهم من ولي من أمر أمتى شيئاً فرفق بهم فارفق به ، اللهم من ولي من أمر امتي شيئاً فشق عليهم فاشفق عليه » والأخاديث في هذا المعنى كثيرة .

والله المسئول أن يصلح أحوال المسلمين جميعاً ويجمع كلمتهم على الحق وأن يصلح قادتهم وولاة أمرهم ويوفقهم لتحكيم شريعته والرضا بها وإيثارها على ما سواها ، وأن ينصر بهم دينه ويعلي بهم كلمته وأن يعينهم على كل ما فيه صلاح أمور دينهم ودنياهم وعلى كل ما فيه سعادتهم وسعادة شعوبهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة وأن يوفق علماء المسلمين ودعاة الإسلام لأداء ما يجب عليهم على الوجه الذي يرضيه ، وأن يبارك في جهودهم وينصر بهم الحق ويعينهم على كل ما فيه صلاح العباد والبلاد إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

الابتلاء والاختبار

دكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة (البحوث الإسلامية) الرياض

يمتحن الله النفوس بالمصائب ، ويختبر نقاوة جوهرها بالفتن ، حتى ميز الله الخبيث من الطيب ، وحتى يبين نفاسة المعدن بقدرة تحمله لشدائد ، وثباته في مصارعة الأحداث والصبر على البلوي،ذلك أن من سنن الله الكونية ، وحكمته سبحانه النافذة ، أن يكون الابتلاء للنفوس ناعدة أساسية يبرز به الجوهر ، ومحكاً متميزاً تصقل به النفوس ، ليبرز إيمانها ، ويقوى صبرها وتحملها ، حيث يقول جلت قدرته في مطلع سورة العنكبوت : ﴿ ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا هم لا يفتنون ° ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ (سورة العنكبوت ، الآيات : ١-٣) .

وما ذلك إلا أن دلالة الفتنة ، التي وردت بمشتقاتها في كتاب الله ما يقرب من ستين مرة ، تعنى ابتلاء للنفس ، وامتحاناً لصراعها الباطني ، بين حق يجب الخضوع له ، والانقياد لما يدعو إليه ، لأنه من عند الله ، ودعت إليه رسل الله ، وبين باطل يجب البعد عنه ، والحذر مما يدعو إليه ، لأنه منهج عدو الله الشيطان ، ويدعو إليه أعوانه بالمغريات والتلبيس ، والطريق الأول محفوف بالمكاره ، والثاني محاط بالشهوات .

ولكي تتميز النفوس في حسن الاتجاه والقناعة والرضاء حتى تنقاد لأحد الطريقين المشار إليهما ، عن معرفة وحسن إدراك ، فإن الابتلاء هو المنعرج الذي تمتحن به النفوس ، والأساس الذي يتميز به قدرة هذا المبنى على التحمل .

ذلك أن الإيمان ليس بالتمنى ولا بالتحلى ، ولكنه عقيدة وعمل .. يؤصل هذه العقيدة مواقف ، ويمكن منهج العمل أدوار .. وقد وصفت الآيات السابقات من سورة الروم صوراً على الطريق ومعالم يسترشد بها من يريد الوصول إلى الحق ، فقد أوضحت أن الأماني لا تحقق الغايات ، وأن سنة الله الماضية في البشرية في كل عصر ومصر ، تقتضى عدم تركهم لادعاءات ألسنتهم ، حيث يساق إليهم ما تمتحن به تلك الإدعاءات ، ويسلط عليهم ما يبرز مكنون القلوب ، فيعلم الله - وهو سبحانه العليم الحكيم - صدق الصادقين وزيف الكاذبين ، ويبرز سبحانه ذلك في مواقف تبين على أصحاب تلك الإدعاءات حتى تكون سمة بارزة يدركها البشر فيما بينهم ، ليتميز كل فريق بمعالم تبرز ما تنطوي عليه نفسه ، كما مثل لذلك الشاعر بقوله :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

كما أخبر النبي -ﷺ- عن ما يجب أن تكون عليه القلوب المؤمنة ، فسأل صحابياً عن حقيقة قوله : أصبحت مؤمناً .. لأن للإيمان حقيقة وطعماً ، فالنفس البشرية تعترضها شهوات ، وتتسلط عليها الأهواء ، وتلك الشهوات تقود إلى المعاصي والظلم ، والأهواء تدفع إلى حب الأثرة ، والصد عن الواجبات .. وغير ذلك من الأمور المقترنة بهذا أو ذاك ، ولا منجى للنفس البشرية من كل ما يعترضها ولا حماية لها مما قد يتسلط على نزعاتها ، إلا بقوة الإيمان والصبر والتحمل ، وإدارك ما يعنيه هذا الإيمان من أهمية في توجيه النفس للخير ، وإبعادها عن الشر ، وميزان هذا الإيمان ، قوة أو ضعفاً يرتبط بميل القلب إلى الخير ، وحب أهله والارتياح لعمله أداء واعتقاداً ، من منطلق أركان الإيمان الستة : الإيمان بالله وبملائكته ، وبكتبه وبرسله ، وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، وكلما ثقلت مكانة هذه الأمور في القلب عقيدة ، كلما ثقل ميزان الإيمان

عند العبد ، والعكس بالعكس ، يقول -ﷺ- : « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً ، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين : على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض ، والآخر أسود مرباداً ، كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه » رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان .

ذلك أن الفتنة التي هي ابتلاء للنفس البشرية ، وامتحان لنقاوة جوهرها ، تأتي على أنواع ، ويمكن تقريبها للذهن بما يحصل للناس في حياتهم العلمية والعملية .. إذ كل منهم يمتحن لمعرفة المكانة التي يستحقها : تحملاً وقدرة ، ونجاحاً ومعرفة .. فالطالب يقوم إنتاجه العلمي بالاختبار ، و المدارس تبرز حصيلته العلمية ، و قدرته الفنية بالاختبار ، و الموظف يفاضل بينه و بين زميله المنافس في الترفيه بمعايير اختبارية .. وهكذا الفاجر والصانع ، والزارع والعامل .. كل ذي حرفة في حرفته ، لا يمكن المفاضلة إلا بابتلاء في العمل ، واختبار في المهنة ، إلا أن ابتلاء الدنيا عند ذوى العقيدة الصافية ، أهون من ابتلاء الدين استرشاداً بقول الله تعالى : ﴿ فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ﴾ (سورة العنكبوت ، الآية : ١٠) .

ومثلما أن الله جلت قدرته ، قد أخبر في أكثر من مكان من كتابه العزيز، بأن التمييز بين الخبيث والطيب ، توضيح للسعادة من الشقاوة ، فإننا ندرك أن الفتنة منها ما يتعلق بالشبهات التي تطرأ ، ومنها ما يتعلق برغبات النفوس وجنوحها ، ومنها ما يرتبط بامتحان النفس ومعرفة ما يحمله القلب من إيمان أو شك ، ومنها ما يتعلق بأمور الحياة العديدة ، ولذا فإنه لا يمكن تمييز الخبيث من الطيب إلا بالابتلاء ولا يمكن إدراك خفايا القلب بإيمان صادق ، أو نفاق فاضح إلا بالابتلاء ، كما أنه لا يمكن

معرفة صدق المحبة لولاة الأمر ، الذين ألزم دين الإسلام بالولاء لهم : « طاعة لله ولرسوله ولمن ولاه الله أمركم » وتطبيق القول الصحيح : « اسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبد حبشي » إلا بالابتلاء .. ولابد للتمييز من اختبار لأصالة المعدن فيما يعرض أمام القلب من ابتلاء .. إذ أن ما يصيب المؤمن في هذه الدار من إدالة عدوه عليه ، وأذاه له في بعض الأحيان : تطاولاً في الكلام ، وتهديداً في عمل ، وتحرشاً في مواقف ، يعتبر نموذجاً من لوازم الابتلاء الذي لابد منه .. والناس فيه على أنواع ومفاهيم ، فإذا كان الحر الشديد ، والبرد القارس ، والعواصف والرياح ، وما يعترض الإنسان من أمراض وهموم وغموم ، كما قال ابن تيمية -رحمه الله- في كتابه : أمراض القلوب وشفاؤها ، إذا كانت هذه الأمور ، تعتبر من اللوازم الطبيعية ، مثلما ينشأ الإنسان ويتدرج في حياته .. فإن وراء ذلك حكماً بالغة هي من الله امتحان للنفوس لتعرف الخالق بدلالة مخلوقاته ، وتدرك قدرته سبحانه ، بما يتراءى من وراء هذه الأمور من أسرار و عجائب ، و إلى البشر عظات و عبر ، تحرك قلوبهم ، وتربطهم بخالقهم ، وتزكي نفوسهم ، ﴿ فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ﴾ (سورة الاسراء ، الآية : ١٥) .

فلو تجرد الخير في هذا العالم عن الشر ، والنفع عن الضر ، واللذة عن الألم لكان ذلك عالماً غير عالم حياتنا المعهودة ، ونشأة أخرى غير هذه النشأة التي يتقلب فيها البشر ، ولا يتميز الضد إلا بالضد ، ولا يحلو تذوق أمر من الأمور ، إلا بمطارحة نقيضه .. ولذا كان دعاء كثير من الصالحين : اللهم أذقني حلاوة الإيمان ، وحقيقة هذه الحلاوة تتأصل في قوله -ﷺ- : « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً بمحمد نبياً رسولاً » .

فمثلاً : لو كان المؤمنون منصورين دائماً ، وقاهرين غالبين لكل من

يقف دون دعوتهم ، فإن من ليس قصده الدين ، سيدخل معهم ، لينال من هذه النتائج التي ترنو إليها النفوس ، كما رأينا في قصص المنافقين ، الذين فضحهم القرآن الكريم في كثير من الأعمال والأقوال لأنهم يظاهرون رسول الله -ﷺ- سراً في المدينة ، ولو كانوا مقهورين مغلوبين دائماً ، حيث يدخر أجرهم لهم في الآخرة ، ويثابون على صبرهم ، فإن ذوى النفوس الضعيفة ، ومن كان ينظر أولا لما هو محسوس ، لن يدخلوا معهم، ، وستبقى الفئة المؤمنة قليلة مستضعفة ..

لكن حكمة الله البالغة ، وإرادته النافذة ، اقتضت أن يكون للفئة المؤمنة الدولة تارة ، وعليهم الغلبة تارة أخرى ، كما رأينا في مواقف حصلت لرسول الله -ﷺ- وأصحابه ، من نصر في غزوات وهزيمة في غزوات : فقد تسلط المشركون على الفئة المؤمنة في معركتي أحد وحنين ، فانهزم بعض من كان مع رسول الله -ﷺ- وحصل ما حصل ، وامتحن الله قلوب ذوى الإيمان فأرسل سبحانه جنوداً لا ترى في غزوتي الأحزاب وبدر الكبرى .. فثبت الله الذين آمنوا ، وأيدهم بنصرهم ، وفي كل زمان ومكان تمر بالمسلمين حوادث يتميز بها الصادق من الكاذب ، وتكبر معالم الإيمان بدلائله ، أمام تضاءل النفاق ودعاته ..

ولذا كان الناس في الابتلاء قسمين : قسم يرده ما يقع عليه من الابتلاء والمحن إلى ربه ، ليبدأ في متابعة نفسه وأعمالها ، ويبحث عن النواقص التي طرأت في أعماله ليتدارك ذلك ، ويتوب إلى بارئه ، فهذا من علامة سعادة العبد ، وإرادة الخير به ، لأن من حكمة الابتلاء للمؤمن : تكميل العبودية لله - جل وعلا - في السراء والضراء ، وفي حال العافية والبلاء ، وفي حالة الاقبال والادبار .. إذ كل محنة وبلية باختلاف أضدادها شرط في حصول الكمال الإنساني ، والاستقامة المطلوبة منه ، ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع *كما قال ابن القيم في إغاثة اللهفان* : ولله أسرار وحكم

ومنبهات وتعريفات لا تنالها عقول البشر

والقسم الثاني : لا يرد ذلك البلاء إلى الله ، بل نرى من ابتلى يشرد قلبه ، ويرده إلى الخلق ، حيث ينسيه ذكر الله ، والضراعة إليه ، والتذلل بين يديه ، والتوبة والرجوع إليه ، مما اقترف من إثم ، أو وقع فيه من ذنب ، فهذا الإنسان قد بانت عليه الشقاوة ، وإرادة الشر ، فهو إن أقلع عنه البلاء رده إلى حكم الطبيعة ، وسلطان شهوته ، ففرح بما أوتي ، حيث تأتي طبيعته عند القدرة بأنواع من الأشر والبطر ، والاعراض عن شكر الله في السراء ، كما أعرض عن ذكره في الضراء ، فبلية هذا كما قال الحسن البصري وبال عليه وعقوبة ، ونقص في حقه ..

ولما كان الإنسان يشاهد الفتن في كل زمان ومكان ، ولا تنقطع ، ويرى أن المصائب تساق للمؤمنين كما تمر على الكافرين الجاحدين ، فإن المؤمن يفحصها بنظرة عقيدته ، حيث يراها تختلف حسب شدتها وضعفها ، ذلك أن ما يرى فيه المنافق والكافر من العز والنصر والنعيم ، فإنه دون ما يحصل للمؤمنين بمراحل ، لأن ذل المعصية تتأصل في قلوبهم ، حيث يقول بعض العارفين : لقد أبى الله أن يعصيه عبد إلا أذله ، وهذا بخلاف عز الطاعة الذي يكون راحة في القلب وتكفيراً للسيئات .. ولذا يجب عليه أن يشكر الله في كل موقف ، لأنه إن صبر كان خيراً له في تحمله البلوي ، وإن شكر في الضراء كان خيراً له أيضاً.. فكان أمره كله له خير.

ولذا اختلف الرأي حول : التكفير وتعظيم الأجر : هل هو بمجرد حصول المصيبة ، أم لابد من الصبر على أقدار الله على أربعة أقسام :

لأول : من رضي عن ربه فيما حصل ، فيطمع في المزيد من حبه والشوق إليه ، هذا ناشئ من مشاهدتهم للطف الله بهم ، وبره سبحانه وإحسانا إليهم عاجلاً وآجلاً .

الثاني : من يشكر الله عزوجل على المصائب ، كما يشكره على النعـ

هذا فوق الرضاء إلا أنه غالباً ما يكون على النعم .

الثالث : من يصبر على أقدار الله وهم المقتصدون ، ولا يتحقق الرضا الشكر إلا بالصبر .

الرابع : كما أوضح ذلك صاحب كتاب : طريق الهجرتين : الجزع التسخط والتشكر . واستبطاء الفرج . فينتج عن ذلك اليأس من الروح الجزع الذي يفوت الأجر .

وقد ذكر ابن حجر : أن الأجر حاصل بمجرد المصيبة حيث قال : يظن عض الجهلة أن المصاب مأجور وهو خطأ صريح ، فإن الثواب والعقاب نما هو على الكسب ، والمصائب ليست منها ، بل الأجر على الصبر الرضا .

والابتلاء مكانة إيمانه . يمتحن الله النفوس وتحملها .. فكان أشد لناس بلاء الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ثم الصالحون الأمثل الأمثل .. وتشتد البلاء في كل عصر ومصر ، بقدر المنزلة الإيمانية بناء ذلك الزمان ، فيكون من ذلك اختبار لثباتهم وسلامة معتقدهم .. لذا نجد كتب التفسير وكتب الحديث ، تولى الفتنة والابتلاء اهتماماً كبيراً في توضيح لدلالة النصوص ، حتى تهذب النفوس ، وتتأدب الطباع ، يكبح جماح الأهواء ..

بن سيرين والأحلام :

هو محمد بن سيرين مولى أنس بن مالك النضري ، كان أبوه من سبي ين التمر ، أمره في جملة السبي خالد بن الوليد ، فاشتراه أنس ثم كاتبه ، قد ولد له من الأخيار جماعة : محمد هذا ، وأنس بن سيرين ، ومعبد يحيى وحفصة ، وكريمة ، وكلهم تابعيون ثقات أجلاء رحمهم الله تعالى ما قال ابن كثير في تاريخه .

قال البخاري : ولد محمد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان ، وتوفي عام ١١ هـ ، ووصفه هشام بن حسان بأنه : أصدق من أدرك من البشر ، فكان إذا

ذكر عنده رجل بسوء ذكره بأحسن ما يعلم . وقد وهبه الله صفات عديدة
من السمت والخشوع والهدى . فكان الناس إذا رأوه ذكروا الله . وكان
يدخل السوق نصف النهار فيكبر الله ويسبحه ويذكره ويقول : إنها
ساعة غفلة الناس . وفي هذا يقول : إذا أراد الله بعبده خيراً جعل له
واعظاً من قلبه يأمره وينهاه . كما أنه يرى من ظلم الإنسان لأخيه أن
يذكر منه أسوأ ما يعلم منه . ويكتم خيره .

ويعد محمد بن سيرين من الزاهدين الورعين . حيث يرى العزلة عن
الناس عبادة . حتى إنه كان إذا ذكر الموت . مات منه كل عضو على حدته
وفي رواية : كان يتغير لونه وينكر حاله . حتى كأنه ليس بالذي كان
وقد أعطاه الله فراسة عجيبة في تعبير الرؤيا . حيث كان مضرب المثل
في هذا .. من حيث قوة الإصابة وتمكين القدرة . ليأتي جوابه كفلق
الصبح . وإذا سأله شخص عن رؤيا يقول له : اتق الله في اليقظة . ولا
يغرك ما رأيت في المنام .

في هذا الموقف سأنقل للقارئ الكريم بعضاً من تعبيراته للرؤيا التي
عرضت . حسبما ذكر ابن كثير -رحمه الله- في تاريخه البداية والنهاية
ليقف القارئ على الموهبة التي منح الله لمحمد بن سيرين في هذا المجال .
ومن ذلك .

= قال له رجل يوماً : رأيت كأني أصب الزيت في الزيتون . فقال له
فتش عل امرأتك فإنها أمك . ففتش فإذا هي أمه . وذلك أن الرجل أخذ من
بلاده صغيراً سبياً . ثم مكث في بلاد المسلمين إلى أن كبر . ثم سبيت أمه
فاشتراها جاهلاً . أنها أمه . فلما رأى هذه الرؤيا . وذكره لابن سيرين
فأمره أن يفتش عن ذلك ففتش فوجد الأمر على ما ذكره .

= وقال له آخر . رأيت كأني دست . أو قال : وطئت ثمرة . فخرجت
فأرة . فقال له . ستزوج امرأة أو قال تطأ امرأة صالحة . تلد بنتاً ف
فكان كما قال . وقال له رجل آخر : رأيت كأن على سطح بيتي

شعير ، فجاء ديك فلقطها، فقال له: إن سرق لك شئ في هذه الأيام فأتني ، فوضعوا بساطاً على سطحهم فسرق ، فجاء إليه فأخبره ، فقال : إذهب إلى مؤذن محلتك فخذه منه ، فجاء إلى المؤذن فأخذ البساط منه .

= وجاء إليه رجل فقال له : رأيت الحمام تلقط الياسمين ، فقال له : مات علماء البصرة ، وأتاه رجل فقال : رأيت رجلاً عرياناً واقفاً على مزبلة ، وبيده طنبور يضرب به ، فقال له ابن سيرين : لا تصلح هذه الرؤيا في زماننا إلا للحسن البصري ، فقال الحسن : هو والله الذي رأيت ، فقال : نعم ، لأن المزبلة الدنيا ، وقد جعلها تحت رجليه ، وعريه تجرده عنها ، والطنبور يضرب به هي المواعظ التي يقرع بها آذان الناس .

= وجاء إليه رجل فقال : رأيت كأني أستاك والدم يسيل ، فقال له : أنت رجل تقع في أعراض الناس وتأكل لحومهم ، وقال له آخر : رأيت كأن لحيتي قد طالت حتى جززتها ونسجتها كساء وبعته في السوق ، فقال له : اتق الله فإنك شاهد زور .

= وجاء إليه يوماً رجل فقال يا ابن سيرين : لقد رأيت كأني أرى اللؤلؤ في الحمأة ، فقال له : أنت رجل تضع القرآن والعلم عند غير أهله ومن لا ينتفع به .

= وجاءته امرأة فقالت : رأيت سنوراً أدخل رأسه في بطن زوجي ، فأخذ منه قطعة ، فقال لها محمد بن سيرين - رحمه الله - : سرق لزوجك ثلاثمائة درهم ، وستة عشر درهماً ، فقالت : صدقت من أين أخذته ؟ فقال من هجاء حروفه ، وهي حساب الجمل ، فالسين ستون ، والنون خمسون ، والواو ستة والراء مائتان ، وذلك مجموعة ثلاثمائة وستة عشر ، وذكرت السنور أسود ، فقال : هو عبد في جواركم ، فألزموا العبد الأسود الذي كان في جوارهم ، وضرب فأقر بالمال المذكور .

ولكل موقف عنده تعبير ، فقد قال له رجل : رأيت لحيتي قد طالت وأنا أنظر إليها ، فقال له : أمؤذن أنت ؟ قال : نعم ، قال له : اتق الله ولا تنظر إلى دور الجيران عند ما تصعد للأذان . [البداية : ٩/٢١]

أهمية الإيمان وضرورته للإنسان

[الحلقة الثالثة]

بقلم: فضيلة الشيخ سعيد بن مسفر بن مفرح
ابها (المملكة العربية السعودية)

طرق البحث عن الإيمان :

لقد مارست البشرية عبر تاريخها الطويل وعصورها المختلفة صفوفاً متعددة وطرقاً كثيرة وأساليب مختلفة في معرفة طريق الإيمان ، منها :

أولاً : منهم من اعتمد على مبدأ السببية وهو مبدأ عقلي يعتمد على أن لكل حدث محدثاً ولكل صنعٍ صانعاً . وأنه يستحيل أن يكون هذا الكون قد وجد من غير خالق . والبدوي الذي كان يعيش بفطرته في الصحراء يقول : « الأثر يدل على المؤثر و البعرة تدل على البعير و سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ونجوم تزهر وبحار تزخر أفلا يدل ذلك على السميع البصير .

والناظم يقول :

فيا عجباً كيف يعصي الإله ... أم كيف يجحده الجاحد
و في كل شئ له آيـــة ... تدل على أنه واحد

إن في كل ذرة من ذرات الكون وفي كل جزئية من جزئياته دليلاً على وجود الله . يقول عزوجل : ﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب • الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض• ربنا ما خلقت هذا باطلاً• سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ إن هناك علامات واضحة ودلائل كثيرة تدل على وجود الخالق عزوجل ولا يتعامى عن هذه الدلالات إلا من ضل عن سبيل الله . والعقلاء مجمعون على أن الآثار تدل على المؤثر وأن هذه المخلوقات تدل على الخالق تبارك وتعالى يقول عزوجل : ﴿ أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون ﴾!

العقول تمنع أن يكون العدم قد خلق الأشياء ، وأيضاً فلم يزعم أحد أنه هو الذي خلق نفسه أو خلق الكون ، ومادام الأمر كذلك فإنه يتعين أن يكون لهم وللكون خالق ألا وهو الله عزوجل .

ولو حملت في يدى مسجلاً ثم سألني أحد الناس ، من صنع هذا المسجل ، فإن الجواب الصحيح أن أنظر إلى هذا الجهاز لأتعرف على ماركته والدولة التي صنع فيها ثم أجيب على هذا السؤال ولكن لو أجبت على من سألني بأن هذا المسجل لم يصنعه أحد ، فقال لي السائل : أجل كيف وجد هذا المسجل فقلت له هذا المسجل كان قطعةً من الحجر قبل ملايين السنين ، وبفعل عوامل التعرية ، وتأثيرات البيئة ضربته الرياح من الشمال والجنوب والشرق والغرب ، فأصبح مسجلاً ، فهل يقبل العقلاء هذا الجواب أم يردونه ويقولون : مستحيل أن يكون هذا المسجل قد وجد إلا بصانع ونحن نقول للناس إذا كان يستحيل أن يوجد جهاز تسجيل إلا بصانع فكيف يمكن أن يقال أن هذا الكون بما فيه من إعجاز ودقة وإحكام وهذا الإنسان وما فيه من أسرار قد وجد من غير صانع ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، إن كل شئ في الوجود يشهد ألا إله إلا الله ونحن نشهد ألا إله إلا الله ﴿ أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة • ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله • بل هم قومٌ يعدلون • أمن جعل الأرض قراراً • وجعل خلالها أنهاراً • وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً • أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون • أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض • أءله مع الله قليلاً ما تذكرون • أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته • أءله مع الله تعالى الله عما يشركون • أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أءله مع الله قل هاتو برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ .

إن في خلق الإنسان من الآيات والدلائل القاطعات ما يبهر العقول

ويشهد بأنه لا إله إلا الله ، وإلا فمن الذي خلق هذا الإنسان ومن الذي خلق هذه السماوات وهذه الأرض ، وهذا الكون بأجمعه .

إن الكفار إذا واجهتهم هذه الحقائق تهرّبوا وقالوا الطبيعة ونحن نسألهم من هي الطبيعة أهي الأرض التي تطأونها بأقدامكم الأرض الصماء البكماء العمياء تخلق هذا الإنسان السميع البصير ، سبحان الله عما يشركون « الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل • له مقاليد السماوات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون » .

« هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً • إنّا خلقنا الإنسان من نطفةٍ أمشاجٍ نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً » وفي أنفسكم أفلا تبصرون ، إن الإنسان لو فكر قليلاً في بعض أجزاء جسمه وما فيه من الإبداع والحكمة لخرّ لله ساجداً لو فكر في الكلية التي يحملها في ظهره والتي تقوم بتصفية الدماء ، إن واحدة من الكلي كافية لحياة الإنسان ولكن الله جعل اثنتين حتى إذا ما فسدت واحدة قامت الأخرى بالدور المطلوب .

وهذه من رحمة الله أن جعل من كل عضو نافع اثنين ومن كل عضو ضار واحداً فقط ، فخلق عينين اثنين وأذنين ورئتين وكليتين ويدين ورجلين ، ولكنه لم يخلق إلا فرجاً واحداً ولساناً واحداً ، وذلك لخطورة كل واحد منها وأكثر ما يهلك الناس الفم والفرج ، فكيف لو خلق الله للإنسان فرجين ولسانين وهناك عضو نافع ولكن الله خلقه لوحده وهو القلب وذلك لاستحال أن يعيش الإنسان بقلبين لأن القلب هو محل الإدراك والعواطف والتصرفات فلا يمكن أن يكون للإنسان قلبان « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » .

فكر يا أخي المؤمن في عضلة القلب وعضلة الرئة . إنها تعمل باستمرار بدون إرادة منك فما ظنك لو كانت عضلات القلب والرئة إرادية بحيث تعمل إلا إذا حركتها فمن أراد الحياة فعليه بتحريك عضلة قلبه وعضـ

، ومن توقف عن ذلك مات . فكر يا أخي أكان أحد يستطيع أن يعيش
يصنع الإنسان لو أراد أن ينام إنه لن يستطيع النوم إلا إذا وكل
، من يقوم بتحريك عضلة قلبه ورئته وإلا مات .

ثانياً منهم من اعتمد على مبدأ الفطرة التي أوجدها الله في الإنسان
ني تهتف بأن لهذا الكون خالقاً و هو الله ، و قد ورد في الحديث
حيح : « أن كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه
مجسانه » ولكن هذه الفطرة يجري تخريبها ومسخها بفعل تربية
اء والمدرسين والمجتمع .

والفطرة هي اللباس المصمم على مقاييس هذا الإنسان هي هذا الدين
ي ارتضاه لهذا الإنسان لأن خالق الإنسان هو الله و مشرع الدين هو

.

فكأن الدين والإيمان لباس مصمم على مقاييس الإنسان ، فإذا عاش
سان على دين الله ، حصلت له الطمأنينة والراحة والأمن والأمان ، وإذا
ن على غير الدين عاش عيشة الشقاء والقلق والحيرة .

ا واضح من هذه الأمثلة :

إذا لبس الإنسان ثوباً على غير المقاس الذي يناسبه لم تحصل له
حة ، إما لضيق الثوب أو لسعته ، وإذا اشترى حذاءاً صغيرة لم يقدر
، السير فيها لأنها ليست على مقاسه ، وهكذا إذا لبس الإنسان ديناً
ن له أو اتبع منهجاً ليس له لم تحصل له الراحة ، فالذي يعتنق الكفر
الشيوعية أو العلمانية هذا لا يرتاح أبداً ، لأن الذي أوجد هذه الأفكار
يخلق الإنسان ، فهو لا يعرف الإنسان حتى يصمم له هذه الألبسة
فاسدة ، واسمع أخي قول الله : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا
بديل لخلق الله • ذلك الدين القيم • ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ إن
فطرة موافقة لهذا الدين ولا يمكن تبديل خلق الله للإنسان فكذلك لا
تبديل هذا الدين ، الموافق لهذه الفطرة .

....

التوحيد والشرك وأقسامهما

الأستاذ محمد جميد الجاتكامي
عميد قسم التخصص في علوم الحديث
الجامعة الإسلامية شيتا غونغ - بنغلاديش

مما لا شك فيه أن الناس كلهم عبيد لله ، و واجب العباد ووظيفتهم أن يقوموا بالعبادة لمولاهم ، والعبادة لا قوام لها إلا بتصحيح العقيدة والإيمان ، فإن الذي يتطرق إلى عقيدته خلل أو تعرض إيمانه لفساد لم تقبل منه أي عبادة ، فإن الأعمال ولو كثرت لا تقبل إلا بصحة العقائد ، أما لو وقع خلل في العقائد وفساد في المعتقدات فلا يقام للأعمال وزن ولا يحاسب لها حساب ، لذلك على جميع المسلمين أن يتعرفوا الشرك ومعناه وأقسامه ومزالقه ليتجنبوا أنواع الشرك كل الاجتناب ، ويبتعدوا عنها كل الابتعاد ، كما عليهم إلى جانب ذلك أن يكونوا على خبرة كاملة في معنى التوحيد وأقسامه لكي يحققوا مقتضياته ومتطلباته في حياتهم الفردية والجماعية ، ويأخذوا بأيدي الذين وقعوا على شفا جرف هار من الشرك والإلحاد واللادينية ، ويقيموا معالم التوحيد ويرفعوا رأياته في البلاد الإسلامية ويرسوا قواعده وأسسه في أذهان الأجيال الناشئة ، وقلوب شباب الإسلام وأبناء المسلمين ، قال العلامة الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي (ش سنة ١٢٤٦هـ) في مقدمة كتابه القيم النافع : « رسالة التوحيد » :

« وقد سلك الناس في هذا العصر في الدين طرائق قدداً ، وتشعبوا شعباً ، فمنهم من يتمسك بعادات الأولين وتقاليد السابقين ، ويعض عليها بالنواجذ ، ومنهم من يحتج بحكايات الصالحين وأساطير الأولين

ومنهم من يتشبث بكلام من تسمى بالعلماء ، وامتاز بتشدق اللسان وحدة الذهن ، ومنهم من يركض ركائب العقل في هذا الميدان ، ويرخى لها العنان .

وكان الأفضل الأعدل أن يرد الإنسان كل ذلك إلى الله ورسوله ، فيصدر عما ثبت عنهما ، ويتحاكم إليه ويتخذه بياناً شافياً ، وحكماً قاطعاً ، فيقبل من قصص المشائخ والصالحين ، ومن كلام العلماء والوعاظ والمذكرين ، ما وافق الأصول والنصوص ، وينبذ من الكلام والأحاديث ومن العادات والتقاليد ما خالفها » (١) .

ويقول في موضع آخر .

« فيجب على كل شخص أن يتمسك بالتوحيد واتباع السنة بقوة وعزم ، ويبتعد عن الشرك والبدعة كل الابتعاد ، فإنهما : « الشرك والبدعة » يؤثران في الإيمان ، ويحدثان خللا فيه ، أما سائر الذنوب والمعاصي فهي تؤثر في الأعمال ، وتحدث خللا فيها » (٢) .

وفي هذا الزمان قد شاع الشرك في الناس وانتشر ، وأصبح التوحيد النقي الخالص غريباً غير معروف ، ولكن معظم الناس وجلهم لا يعرفون معنى الشرك ، وما هي أقسامه وحكمه ، ويدعون الإيمان مع أنهم قد تورطوا في ورطة الشرك والإلحاد ، وتلوثوا به ، فمن المهم والواجب الأكيد أن يفقه الناس معنى الشرك والتوحيد ، ويعرفوا أقسامهما وأنواعهما ، ويعلموا أحكامهما في ضوء القرآن والحديث ، وأقاويل العلماء .

---

(١) رسالة التوحيد : ص/٢٠-٢١ ، للشيخ إسماعيل بن عبد الغني الشهيد ، ترجمة سماحة الشيخ العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي - أدام الله بقاءه وحفظه ورعاه - .

(٢) أيضاً : ص/٢٤ .

الذين لم يزالوا ينفون عن الدين تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين أحسن ما يجزى العاملين بطاعته والشاكرين لنعمته .

أريد أن ألقي ضوءً على معنى التوحيد والشرك وأقسامهما بغاية من الإيجاز ، وبالله التوفيق وإليه الإنابة .

التوحيد جوهر الإسلام :

من الحقيقة أن العقيدة الصحيحة السليمة هي الأساس للمجتمع الإسلامي وأن التوحيد المشرق الخالص هو جوهر العقيدة وروح الإسلام كله ، كما هو أعظم نعمة أنعمها الله سبحانه وتعالى على عباده ، لا تساويها أي نعمة ، وإن أهم ما يسعى إليه الإسلام هو حماية العقيدة وصيانة التوحيد من عبث المفسدين ودعوات المبطلين ، حتى يتحرر (المجتمع المسلم) من ضغوط الضلال ولوثات الفساد وشوائب الشرك ورواسب الخرافة .

معنى التوحيد : قال العلامة المحقق خالد محمد على الحاج : «التوحيد إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة ، ونفي المثل والنظير عنه ، وعدم الإشراك به تبارك وتعالى وهو دين جميع الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده ، وأنزل به كتبه ، وخلق الخلق لأجله » (١) .

وفي تعليق « كتاب التوحيد » للعلامة الداعية الجليل الشيخ محمد بن عبد الوهاب : « التوحيد إفراد الخالق بالعبادة ذاتاً وصفةً وأفعالاً » (٢).

---

(١) الكشاف الفريد : ج/٢ ، ص/٩ .

(٢) تعليق كتاب التوحيد : ص/٢ .

أقسام التوحيد :

التوحيد على ثلاثة أقسام :

١ - توحيد الربوبية والملك : وهو اعتقاد أن الله تعالى رب كل شئ ومليكه ، و خالق كل شئ و رازقه ، و متصرف فيه -- بمشيئته و علمه وحكمته .

وهذا القسم قد أقربه مشركوالعرب على زمن رسول الله -ﷺ- ، كما قال تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾ (سورة يونس ، الآية : ٣١) . وغيرها من آيات القرآن الكريم التي تدل بصراحة على ذلك .

و يجدر بالذكر أن هذا التوحيد لا يكفي وحده ولا يدخل الناس في الإسلام وحده ، بل لابد أن يأتي العبد معه بلازمه وهو القسم الثاني الآتى وهو توحيد الألوهية .

٢ - توحيد الألوهية : وهو مبنى على إخلاص التأله لله تعالى وإفراده بجميع أنواع العبادة من الصلاة والسجدة والدعاء والنحر والنذر والتوكل وما إلى ذلك .

وهذا التوحيد هو الذي افتتح به الرسل دعوتهم ، كما قال أول الرسل نوح - عليه السلام - لقومه : ﴿ اعبدوا الله مالكم من إله غيره ﴾ (سورة الأعراف ، الآية : ٥٩) . وهو الذي وقع فيه النزاع بين رسولنا الأعظم -ﷺ- وبين مشركي مكة .

٣ - توحيد الذات والأسماء والصفات :

وهو العلم والاعتقاد بأن الله تعالى واحد لا شريك له ، ولا مثل له ، ولا نظير له ، قال تعالى : ﴿ قل هو الله أحد • الله الصمد • لم يلد • ولم يولد • ولم يكن له كفواً أحد ﴾ (سورة الاخلاص). وأن الله تعالى بكل شئ عليم ، وعلى كل شئ قدير ، حيّ قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، منزه عن كل عيب

ونقص ، له المشيئة النافذة والحكمة البالغة، سميع بصير، رؤوف رحي على العرش استوى ، سبحان الله عما يشركون ، قال تعالى : ﴿ لي كمثله شئ وهو السميع البصير﴾ (سورة الشورى ، الآية : ١١) . الأسماء الحسنى والصفات العلى ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ ولله الأس الحسنى فادعوه بها ﴾ (سورة الأعراف ، الآية : ١٨٠) . فما أثبت لنفسه وأثبت له رسوله من صفات الكمال ونعوت الجلال وجب إثبات على ما يليق بجلال الله تعالى وعظمته ، إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً تعطيل . وهذا هو الذي عليه الصحابة والتابعون والأئمة الأربعة ومن طبقتهم ، ومن بعدهم من علماء الحديث والفقهاء من أهل السنة والجما وقد أنكر صفات الله سبحانه وتعالى جهلة حكماء اليونان من ارس طاليس و أتباعه ، فوقعوا في حفرة الظلمة و الضلال و خبطوا خ عشواء ، فرد عليهم بما لا مزيد عليه الإمام الغزالي في « تهافة الفلاس وشيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه : « الرد على المنطقيين » وشيخ أ السرهندي مجدد الألف الثاني في بعض مكاتيبه ، حتى لقبهم مجدد الأ الثاني - رحمه الله - بالحمقاء بدل الحكماء .

معنى الشرك وأقسامه :

ذم الشرك : ثم اعلم ان نقيض التوحيد الشرك ، فهما نوعان متخالفا يجتمعان أبداً .

ومن أهم ما يجب على المسلم معرفته هو أن الشرك بالله سبحانه أ الذنوب والجروم وأعظم ما يحل به سخط الله تعالى وغضبه ، كل الذ عسى أن تغفر ، لكن دنب الشرك لا يغفر ، والشرك يبطل سائر الأع ويهدمها ، قال تعالى : ﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملو (سورة الانعام ، الآية : ٨٩) . وقال تعالى مخاطباً للنبي -ﷺ- : ﴿ و أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن الخاسرين ﴾ (سورة الزمر، الآية : ٦٥) . وقال أيضاً : ﴿ إن الله لا يغفر

يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (سورة النساء ، الآية : ٤٨) . وأحرج البخاري ومسلم - رحمهما الله - عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رجل يا رسول الله : أي الذنب أكبر عند الله ؟ قال : أن تدعو لله نداً وهو خلقك (١) . وأخرج الترمذي - رحمه الله - عن أنس قال : قال رسول الله -ﷺ- : قال الله تعالى يا ابن آدم : « إنك لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها معفرة (٢) . وأخرج الإمام أحمد عن معاذ بن جبل قال : قال لي رسول الله -ﷺ-: لا تشرك بالله شيئاً وإن قتلت وحرقت (٣) .

معنى الشرك : قال صاحب الكشاف الفريد : الشرك دعوة غير الله معه . وأن تجعل لله نداً في العبادة ، وهو خلقك ، وهو أعظم شئ نهى الله عنه . قال سبحانه وتعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٢٢) . وقال شيخ الإسلام : الشرك نوعان ، أحدهما أكبر _ كالدعاء والسجود والركوع والذبح والنذر لغير الله - وثانيهما أصغر _كالرياء - فمن خلص منهما وجبت له الجنة ، ومن مات على الأكبر وجبت له النار . ومن خلص من الأكبر وحصل له بعض الأصغر مع حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة . فالشرك يؤاخذ به العبد إذا كان أكبر أو كان كثيراً أصغر - لكن بين مؤاخذتي الأكبر والأصغر الكثيربون بعيد - وأما الأصغر القليل في جانب الإخلاص الكثير فلا يؤاخذ به (٤) .

[يتبع]

---

(١) مشكاة ، باب الكبائر .

(٢) مشكاة ، باب الاستغفار .

(٣) مشكاة ، باب الكبائر .

(٤) الكشاف الفريد ، ج/٢ ، ص/١٤ .

التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس

الدكتور عبد الحليم عويس
الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

كانت الدفعة الروحية والحضارية التي بدأت مع فتح الأندلس قد وصلت إلى ذروتها ..

وعلى الرغم من بعض الانحرافات في عهود الفتح والولاة والإمارة (٩٢-٣١٦هـ) فقد استطاعت الروح الإسلامية أن تعبر نحو ثلاثة قرون، وهي تعمق وجودها العقدي والحضاري حتى أصبحت عقيدة الإسلام هي الغالبة، وأصبحت قرطبة (جوهرة العالم) ..

لقد وصلت الأندلس إلى هذه القمة قريباً من تلك الأيام التي أعلن فيها عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ) تحويل الأندلس من إمارة إلى خلافة سنة (٣١٦هـ) ..

لقد شعر بأن الأندلس قد أصبحت دولة عظمى لا تليق بها كلمة إمارة، وقد كان من هيبتها في عهده أنها أصبحت تلعب بملوك الشمال الأسباني، وتتدخل في تعيين حكام نبرة وليون، كما أن هيبتها أيأست الفاطميين من الامتداد شمالاً فاتجهوا إلى مصر تاركين بلاد المغرب لأبنائها حكام بني زيري الصنهاجيين.

= في هذه اللحظات الأندلسية الرائعة التي كانت الأندلس فيها دولة واحدة قوية، بل خلافة قوية، وبينما كان الحكم بن عبد الرحمن الناصر يجاهد في سبيل تكوين أعظم مكتبة عرفها العالم الغربي -حسب علمنا-

تتكون من أربعمائة ألف مجلد (١) كان والده عبد الرحمن الناصر يتجه بفكره إلى مجال آخر يظنه طريق المجد والعظمة ، ويظنه الترجمة الضرورية والصحيحة المعبرة عن الواقع الرائع الذي تعيشه الأندلس في عهده ..

وهكذا ، فبدلاً من أن توجه النسبة الكبرى من ميزانية الدولة إلى الجهاد العقدي والعقلي وصناعة الحضارة والإنسان ، وتمتد مساحات العقيدة والعلم والإبداع خارج قرطبة إلى بلاد المغرب والمشرق - قسم الناصر جباية الدولة على ثلاث أثلاث : « ثلث للجند ، وثلث للبناء ، وثلث مدخر» (٢) .

وقرر الناصر بناء مدينة الزهراء : فابتدى بنيانها في أيام الناصر من أول سنة ٣٢٥هـ وكان يصرف فيها كل يوم من الصخر المنجور ستة آلاف صخرة « وجلب إليها الرخام من قرطاجنة إفريقية ومن تونس » (٣) . .. وقد استنفدت الزهراء ثلث إيراد الدولة لمدة ١٧ سنة ، على أن بناءها لم يتم نهائياً إلا بعد أربعين سنة (٤) .

وبعد أن كان النصيب الأكبر من جهود الحكم من عبد الرحمن الناصر متجهاً إلى المجال العلمي اختاره أبوه ليشرف له على بناء الزهراء ، فأصبح الخليفة وولي عهده مشغولين ببناء الزهراء على حساب مساحة

---

(١) في مقابل ١٩٢ كتاباً كانت هي أكبر عدد من الكتب ملكته كاتدرائية أوربية حتى ذلك التاريخ .

(٢-٣) ابن عذاري : البيان المغرب ٢/٢٢٠ ، نشر دار الثقافة تحقيق كولان ، وبروفنسال .

(٤) أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس : ص/٢٢٠ ، طبع مؤسسة الثقافة بالاسكندرية .

الجهاد والعلم !!

وكان أمراً طبيعياً أن يظهر الناصر فلسفته التي تقف وراء هذا العمل الذي يمثل تحولاً عن التوجه الإسلامي الذي يقوم على بناء العقيدة والإنسان - بالدرجة الأولى - فقال شعراً يترجم آراءه :

هم الملوك إذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبألسن البنيان
أو ما ترى الهرمين قد بقيا وكم ملك محته حوادث الأزمان
إن البناء إذا تعارض شأنه أضحى يدل على عظيم الشأن

لقد نسي الناصر أن هذه الفلسفة المادية لا تمثل الرؤية الإسلامية ، بل هي - كما ورد في شعره - عرضاً - فلسفة الحضارات المادية والفرعونية التي لا تحمل رسالة إلهية توحيدية عامة تمثل خطاباً لكل البشر ومشروعاً لإنقاذهم وتحقيق إنسانيتهم وكرامتهم وعبوديتهم لله وحده .

وقد قامت معارضة كبيرة ضد الناصر تحمل وجهة النظر الإسلامية في هذا التوجه المادي الذي يعلي من أسهم حضارة الحجارة وقهر الإنسان في سبيل مجد شخصي زائل ، وينفق وقت الأمة وأموالها في هذه الأشكال والرسوم ، وقد تزعم المعارضة القاضي المجاهد المنذر بن سعيد البلوطي ..

وكان من أقوال المنذر البلوطي في رد فلسفة الخليفة الناصر هذا الشعر الذي يقول فيه :

يا باني الزهراء مستغرقاً أوقاته فيها أما تمهل
لله ما أحسنها رونقاً لو لم تكن زهرتها تذبل

وفي يوم من أيام الجمع انهمك الناصر في استكمال زخارف الزهرا وأثاثاتها حتى فاته حضور الجمعة فخطبها له البلوطي . فلما احتفل بافتتاحها خطب البلوطي في مسجدها فكان مما أورده في مجال مقاو[مة] هذا الاتجاه قول الله تعالى : « أتبنون بكل ريع آية تعبثون * وتتخذ

صانع لعلكم تخلدون • وإذا بطشتم بطشتم جبارين • فاتقوا الله وأطيعون • واتقوا الذي أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون • إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ (١) .

ويعلق على هذا الخلاف بين الخليفة الناصر والقاضي البلوطي المؤرخ المعاصر الدكتور أحمد مختار العبادي فيقول (٢) :

« ثم دارت الأيام دورتها وتحقق ما ذهب إليه المنذر بن سعيد . إذ لم يعمر مدينة الزهراء أكثر من ستين عاماً ، ثم لعبت بها أيدي الخراب في أيام الفتن التي قامت في أواخر أيام الدولة الأموية . وصارت المدينة تنمحي شيئاً فشيئاً ، حتى زالت ولم يعرف أثرها إلا بعد الحفريات الحديثة » (٣) .

وهكذا - مع بداية الربع الثاني من القرن الرابع في الأندلس - ظهر توجه جديد أحدث شرخا قوياً في الحضارة الإسلامية ، وظل مستمراً في عصور الأندلس التالية ، فكان عاملاً - مع عوامل أخرى - على فقدان روحها وخصائصها ، وبالتالي تمكين الأعداء من الإجهاز عليها .

= كان عبد الرحمن الداخل (١٢٨-١٧٢هـ) قد بدأ بناء المسجد الجامع في قرطبة سنة ١٦٩هـ ، وأنفق في ذلك ثمانين ألفاً من لجين وعسجد (٤) ثم زاد هشام (١٧٢-١٨٠هـ) صومعة وسقائف لصلاة النساء والميضأة (٥) .

---

(١) محب الدين الخطيب : الزهراء ص/٢٨ ، المطبعة السلفية و مكتبتها ، القاهرة ١٣٤٢هـ .

(٢) في تاريخ المغرب والأندلس : ص/١٨٢-٢٢٢

(٣) في تاريخ المغرب والأندلس : ص/٢٢٢ .

(٤) إشارة إلى بيتين من الشعر قالهما البلوي الشاعر بهذه المناسبة ، انظر ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/١٧٠ . (٥) ابن عذاري : ٢/٢٣٠ .

ثم زاد فيه عبد الرحمن بن الحكم بن هشام (٢٠٦-٢٢٨هـ) زيادة كبيرة كان الفراغ منها سنة ٢٢٤هـ (١) ، ثم زاد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٢٨-٢٧٢هـ) طرزاً في الجامع وتنميقاً لنقوشه وأقام مقصورة وجعل لها ثلاثة أبواب (٢) ، ثم زاد الأمير المنذر بن محمد (٢٧٢-٢٧٥هـ) البيت المعروف ببيت المال في الجامع وأمر بتجديد السقاية وإصلاح السقائف ، ثم زاد أخوه الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ) ساباطاً معقوداً على حنايا أوصل به ما بين القصر والجامع ، ثم أمر بستارة من آخر هذا البساط إلى أن أوصلها بالمحراب ، وفتح إلى المقصورة باباً كان يخرج منه إلى الصلاة (٣) .

= فلما جاء الناصر أنفق في صومعة المسجد وفي تعديل المسجد وبنيان الوجه للبلاطات الأحد عشر بلاطاً سبعة أمداد وكيلين ونصف كيل من الدراهم القاسمية (٤) .

= لقد أصبح الأمر تنافساً على تخليد الذكر عن طريق التوسع في المباني ، ولئن كان الأمر مقبولاً في حدود طاقة الأمة وسلم أولوياتها وفي حدود نسبة المنفق إلى ميزانية الإنفاق العام - فقد بدأت النسبة تختل مع بداية بناء الزهراء (٥) وتوجه الخليفة العظيم عبد الرحمن الناصر

(١-٢-٣) ابن عذاري : ٢/٢٢٠ . (٤) ابن عذاري : البيان ٢/٢٢١ .

(٥) يقول ابن عذاري : « وجملة ما أنفق عبد الرحمن الناصر في بناء مدينة الزهراء وقصورها خمسة وعشرون مديا من الدراهم القاسمية وستة أقفزة وثلاثة أكيال ونصف !! » ترى لو أنفقها على الدعوة إلى الإسلام وبناء مؤسسات صناعية وعمية ماذا سيكون عليه حال الأندلس بعده !!

وجدير بالذكر أن الناصر لم يبن الزهراء وحدها بل أعاد بناء مدينة سالم شمال شرق مدريد ١٢٥ كم ، وبنى المرسية قاعدة للأسطول وللتجارة .

لى التركيز على هذا المنحى دون تحديد دقيق لعواقبه الوخيمة وآثاره ـعيدة وبما أن الناس – في التقليد – على دين ملوكهم ، فقد أصبحت لدن الأندلسية تضم كثيراً من الضياع والمنيات ، والتي انتشرت في بلاد لأندلس بشكل عام ، وقد استمر نظام الضياع واتسع ، ثم انتشرت ـنيات ، وكان هناك فرق بين الضياع والمنيات يميز إحداهن عن الأخرى ، الضياع عبارة عن قرى تصير إلى ملك مالك كبير ، وكثيراً ما كان سكن بها ، أما المنية فعبارة عن ضيعة صغيرة ينشأ حولها قصر ريفي ـبنيه المالك لتلك المدينة (١) .

وكذلك كانت مدن الأندلس تحتوي على كثير من التماثيل والأشكال لهندوسية ، وقد أورد ذلك المقرى عند وصفه لمدينة قرطاجة بقوله : وبها قواس من الحجارة المقربصة ، وفيها من التصاوير والتماثيل وأشكال لناس وصور الحيوانات ما يحير البصر والبصيرة (٢) ..

وعند ما جاء محمد بن أبي عامر (الحاجب المنصور) (٢٦٦-٢٩٢هـ) سار على خطا الناصر فأنشأ مدينة الزاهرة شمال شرقي قرطبة سنة ٢٦٨هـ (٩٧٨م) لتنافس الزهراء أو لتحل محلها ..

لكن مصير الزاهرة لم يكن أفضل من مصير الزهراء ، فاندرست بعد دة قصيرة من بنائها خلال الثورات التي قامت ضد عبد الرحمن بن لنصور بن أبي عامر المعروف بشنحول سنة ٣٩٩هـ .

و في عهدى عبد الرحمن الناصر و المنصور بن أبي عامر اللذين

---

١) ابن القوطية أبو بكر محمد بن عمر : تاريخ افتتاح الأندلس : ص/٢٠٩ ، تحقيق إبراهيم الأبياري دار الكتب الإسلامية ، ط.١/١٤٠٢هـ .

٢) المقري أحمد بن محمد : نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب ١/١٦٠ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – دار الفكر القاهرة ١٩٤٩م .

يوشكان أن ينتظما القرن الرابع الهجري (٣٠٠-٣٩٢هـ) كان التكالب على المادة ومظاهر الشراء والبذخ هي السمات الغالبة على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الأندلس .. وكان هذا النمط من الحياة سبباً من أسباب قيام الفتنة الطائفية التي مزقت وحدة الأندلس إلى اثنتين وعشرين دولة !!

ويروى ابن عذارى المراكشي أنه في عهد عبد الملك بن المنصور العامري خرج الناس صائحين : (مات الجلاب) (١) يقصدون كثرة الغنائم والسبايا التي كان المنصور يجلبها من غزوات ، والتي أتخم بها المجتمع الأندلسي لدرجة أن الناس في عهده كانوا يجهزون بناتهم بمبالغ كثيرة ومظاهر فخمة تعبيراً عن الثراء الذي يعيشه المجتمع .

ويحكى لنا محمد بن أفلح أن المنصور بن أبي عامر كان يجلس في دار الضرب أيام حكمه ، فقصده ابن أفلح عند ما اضطر إلى عمل عرس لابنه ووجد أنه سيكلفه ما لا يطيق ، فملأ ابن أبي عامر حجره بالمال ، لدرجة أن ابن أبي أفلح لم يكن يصدق ما يراه لكثرته وعظمته ، وعمل العرس ، وفضلت له فضلة عظيمة (٢) .

ويوضح لنا الثراء المادي والتكالب على الزخارف تلك النعوت التفصيلية الكثيرة التي وصف بها المؤرخون والجغرافيون جامع قرطبة العظيم ، بما يحتويه من مصابيح وثريّات وخشب صنوبري ، وصنائع ونقوش وزخارف لا يشبه بعضها بعضاً وبلاط نادر ، وقبلة يعجز الواصفون عن وصفها ، فيها من الفسيفساء المذهب الكثير ، وعلى وجه

---

(١) البيان المغرب ١٢/٢ ، تحقيق ليفي بروفنال .

(٢) المقري : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ٨٨/٢ ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، نشر دار الكتاب العربي - بيروت .

المحراب أنواع كثيرة من التزيين والنقوش ، وفي جهتي المحراب أربعة عمد ان لا تقوم بمال ، أما الصومعة (المئذنة) فارتفاعها في الهواء مائة ذراع ، ويصعد إليها بمدرجين ، وعلى أعلى القبة ثلاث تفاحات ذهباً ، واثنتان من فضة (١) .

وفي عصر الطوائف (٤٢٢-٤٧٨هـ) استمرت ظاهرة التكالب المادي ومظاهر البذخ ، على الرغم من الصراعات التي كانت دائرة بين الإمارات الأندلسية (إمارات المدن) .. وكانت الطبقة الحاكمة في الجهلة ، ومن يلوذ بها ، فضلاً عن بقية أعضاء الطبقة الأرستقراطية تتفنن في بناء القصور وابتداع ألوان الزخارف فيها ، وكانت قصور هؤلاء الأثرياء مثوى لفنون الغناء والرقص والموسيقي وما يدخل بابهما من صور الترف ، وكان معظم هؤلاء الأثرياء من المعتكفين على الموسيقي والفتيات الحسان وهم ينفقون في سبيل ذلك الأموال الطائلة (٢) .

لقد وقع نوع من التنافس على المظاهر بغية إظهار القوة والعظمة بين ملوك الطوائف في المدن الأندلسية المختلفة ، وكانت كل منها تحاول أن تكون الأعظم والأرقى في مظاهر الحياة المادية ، ففي أشبيلية كان للأرستقراطية الأشبيلية - ولا سيما الأسرة الحاكمة - النصيب الأوفر من هذا الرفاه الاقتصادي .

وكان من الطبيعي في ظل هذا التوجه أن ينتشر الترف والتحلل ، وأن

(١) الحميري : صفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض المعطار صفحات ١٥٢-١٥٦ بعناية ليفي بروفنسال ومخطوط في ذكر بلاد الأندلس لمؤلف مجهول ورقة ٢١٢ - الخزانة الملكية بالرباط رقم ٥٥٨ .

(٢) محمد عبد الله عنان : دول الطوائف : ص/٤٤١ ، نشر مصر ١٩٦٠م .

يترجم الأدب هذا النمط من الحياة ، ولهذا كانت القصائد التي صدرت عن أسرة بني عباد والأسر الأرستقراطية الاشبيلية مستوحاة من حياتهم الباذخة ، فقد كانت مشاغلهم نادراً ما تتجاوز حياتهم المترفة في القصور كمجالس الأنس والشراب والزهور والنساء والغلمان (١) .

ولعل أهم الأدباء الذين وصلتنا أسماؤهم من ممثلي هذا الاتجاه المترف أبو عامر بن مسلمة ، وأبو جعفر بن الأبار ، وأبو بكر بن القوطية ، وأبو الوليد إسماعيل بن عامر الحميري ، وأبو بكر بن نصر ، وأبو الإصبغ بن عبد العزيز ، وأبو الوليد بن العثماني ، وأبو الحسن بن علي (٢) وغيرهم .

وكنموذج نضربه لهذا الاتجاه نشير إلى أن الشاعر أبا عامر بن مسلمة كان يملك ثروة كبيرة كفلت له حياة البذخ والعيش المرفه الرغيد ، ولهذا فقد ابتعد عن المعتضد بن عباد واكتفى بحياته المريحة الباذخة التي كانت تهيئها له ثروته الكبيرة ، واكتفى لكي يحافظ على حياته المترفة من بطش السلطان أن يذكر اسمه في نهاية مقطوعاته الشعرية التي يصف فيها الربيع والأزهار والخمور (٣) .

والحقيقة أن أبا عامر - استناداً على ما لدينا من شعره - يبدو لنا نموذجاً ممثلاً للأرستقراطية البعيدة عن الحكم ومشاغله ، وهي تلك الأرستقراطية التي تعتزل الحياة العامة وتنطوي في عالمها الخاص الذي

---

(١) صلاح خالص : إشبيلية في القرن الخامس الهجري : ص/١٥٢ ، دار الثقافة - بيروت ١٩٦٥م .

(٢) المكان السابق .

(٣) المرجع السابق : ص/١٥٢ .

تهيئه لها ثروتها الكبيرة ، وهو عالم مليئ بالجمال والنساء والحسان والغلمان والحدائق والزهور والخمر ، عالم يستطيع أن يجد فيه الشاعر كثيراً من مصادر الإلهام ، وإذا وضعنا جانباً أبياتاً متفرقة هنا وهناك تتحدث عن المعتضد فلا شيئ في هذه المقطوعات يتحدث عن العالم الخارجي فلا إسلام ولا أندلس ولا أعداء يهتم بهم الشاعر !!

وقد ذكر ابن بسام قطعاً جميئة من إنتاج أبي عامر تعالج موضوعات أوحاها إلى الشاعر عالمه الخاص الذي انطوى فيه على نفسه كما هو حال فريق من الأغنياء الذين اختاروا مثل حياته ، كما يذكر مؤلف كتاب : (البديع في وصف الربيع) أبو الوليد الحميري عدداً من المقطوعات الشعرية في وصف مختلف أنواع الزهور ، تجعل من أبي عامر بن مسلمة شاعراً مبرزاً في هذا الميدان من ميادين الشعر الأندلسي (١)

وإذا تركنا اشبيلية وانتقلنا إلى قرطبة بدءاً من عصر الفتنة وحتى ينتهي عصر الطوائف بقدوم المرابطين ، فإننا نجد أنواعاً من التكالب المادي قد لا تكون من طبيعة التهالك الموجود في اشبيلية ، لكنها - على أية حال - لا تقل سوءاً عنها .. بل هي الأسوأ بكل المقاييس ..

[يتبع]

(١) المرجع السابق : ص/١٥٤ ، (وانظر الذخيرة ، ق/٢ ، ترجمة أبو عامر بن مسلمة)

الإمام الطبري وقوة حفظه في ضوء أقوال المؤرخين

عبد الرحمن الملي الندوي
رئيس تحرير لمجلة (النور) العربية ، بجامعة أكل كوا - الهند

الإمام الحافظ من أهل السنة هو أحد الأعلام وصاحب التصانيف الكثيرة ، والمحدث الكبير من (آمل) بطبرستان ، إنه محمد بن جعفر أبو يزيد أبو جعفر الطبري ، كان مولده (بآمل) طبرستان ، « وقد وقع الشك في تاريخ ولادته ، قال بعضهم : ولد سنة أربع وعشرين ومائتين ، وقال بعضهم : أول سنة خمس وعشرين ، وسأله أبو بكر بن كامل تلميذه ، ومؤرخ حياته ، كيف وقع الشك في ذلك ؟ فقال : لأن أهل بلدنا يؤرخون بالأحداث دون السنين ، فأرخ مولدي بحدث كان ، واختلف المخيرون ، فقـــال بعضهم : سنة أربع ، و قال الآخرون : سنة خمس و عشرين ومائتين » (١) .

إن الإمام الطبري كان مؤرخاً شهيراً ، عديم النظير ، ومفسراً لا مثيل له ، وقد طارت صيته في التاريخ والتفسير ، يذكر المغلقات بالتدقيق والتفحيص ، ويفسر الآيات القرآنية في ضوء الحقائق والوقائع ، لا يأتي بالرطب واليابس إلا حققه ودقق معانيه ، لقد تفرد العلامة الطبري بمؤلفاته ، حتى أخذ الناس كتبه كمرجع لهم ، مهما كانت فنونهم ، واعتمدوا على ما استقادوا من تصانيفه .

---

(١) تاريخ الطبري : ج/١ ، ص/٦ .

قال أبو بكر الخطيب البغدادي : كان ابن جرير أحد الأئمة يحكم بقوله ، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله ، جمع من العلوم ما لم يشاركه أحد من أهل عصره ، فكان حافظاً لكتاب الله ، بصيراً بالمعاني فقيهاً في أحكام القرآن ، عالماً بالسنن ، وطرقها صحيحها وسقيمها ناسخها ومنسوخها (١) .

وقال أيضاً : وله الكتاب الكبير المشهور في تاريخ الأمم ، وله كتاب في التفسير ، الذي لم يصنف مثله ، وكتاب تهذيب الآثار لم أر مثله في معناه ، ولكن لم يتمه ، وله اختيار من أقاويل الفقهاء ، وقد تفرد بمسائل حفظت عنه (٢) .

وقال عنه تاج الدين السبكي : الإمام الجليل المجتهد أبو جعفر الطبري من أهل طبرستان ، أحد أئمة الدنيا علماً وديناً .

أخذ الحديث عن نبذة من المحدثين ومنهم ، محمد بن عبد الملك ، إسحاق بن أبي إسرائيل ، وإسماعيل بن موسى الضراري ، وهناد بن السرى وليد بن شجاع ، أحمد بن منيع ، محمد بن حميد الرازي ، ويونس بن عبد الأعلى ، وسمع الحديث بخلق كثير سوى هؤلآء .

« كان أسمر أعين مليح الوجه ، مديد القامة ، فصيح اللسان ، رحل إلا الآفاق في طلب الحديث ، وصنف التاريخ الحافل وله التفسير الكامل ، الذي لا يوجد له نظير ، وغيرهما من المصنفات النافعة في الأصول والفروع » (٣) .

قال الخطيب البغدادي : استوطن ابن جرير بغداد وأقام بها إلى حين

(١-٢) تذكرة الحفاظ : ج/٢ ، ص/٧١١ .

(٣) البداية والنهاية : ج/١١ ، ص/١٤٥ .

وفاته ، وكان من أكابر أئمة العلماء ، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره (١)

وقال الشيخ أبو حامد أحمد بن أبي طاهر الفقيه الأسفرائني : لو سافر رجل إلى الصين حتى ينظر في كتاب تفسير ابن جرير الطبري لم يكن ذلك كثيراً

وروى الخطيب عن إمام الأئمة أبي بكر خزيمة أنه طالع تفسير محمد ابن جرير في سنين من أوله إلى آخره ، ثم قال : « ما أعلم على أديم الأرض من ابن جرير» (٢) . إن الإمام الطبري - رحمه الله - ، كان حسن الصوت بالقراءة مع المعرفة التامة بالقراءات على أحسن الصفات وكان مع كبار الصالحين

ذكر عبد الله بن أحمد السمسار ان ابن جرير قال لأصحابه : هل تنشطون لتاريخ العالم ؟ قالوا : كم يجئ فذكر نحواً من ثلاثين ألف ورقة ، فقالوا: هذا مما يفني الأعمار قبل تمامه ، قال : إنا لله ماتت الهمم ، ثم أملاه في نحو ثلاثة آلاف ورقة ، قال الفرعاني : تم له التفسير والتاريخ ، وكتاب القراءات وكتاب العدد والتنزيل ، وكتاب اختلاف العلماء ، وكتاب تاريخ الرجال وكتاب لطيف القول في الفقه ، وكتاب التبصير في الأصول ، وكتابه تهذيب الآثار ، وهو من عجائب كتبه ابتداء بما رواه أبوبكر الصديق مما صح ، وتكلم على كل حديث وعلته وطرقه ، وما فيه من الفقه ، واختلاف العلماء وحججهم

وقد روى عنه عبد الغفار اللغوي : أن محمد بن جرير مكث أربعين

---

(١) البداية والنهاية : ج/١١ ، ص/١٤٥

(٢) تذكرة الحفاظ : ج/٢ ص/٧١٢

ستة يكتب في كل يوم وليلة أربعين ورقة ، ومن قوة حفظه أنه أملى التفسير كله عن ظهر غيبه ، وأتمه في سبع سنين ، وهذا التفسير يحتوي على ثلاثة آلاف ورقة ، أن الطبري أتى بأحاديث بكثرة كاثرة في تفسيره هذا مع أسنادها

يقول أبو جعفر بن جرير الطبري عن أمره في حداثة سنه ، فقال : حفظت القرآن ولي سبع سنين ، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين وكتبت الحديث ، وأنا ابن تسع (١) .

ورأى أبى في النوم أنى بين يدي رسول الله -ﷺ- وكانت معي مخلاة حجارة وأنا أرمى بين يديه ، فقال له المعبر: إنه ان كبر فصح في دينه ، وذب عن شريعته ، فحرص أبي على معونتي في طلب العلم ، وأنا حينئذ صبي صغير (٢) .

إن الإمام الطبري كان له يد طولى في جرح الحديث وتعديله ، وقد عده الذهبي من رجال الطبقة السادسة وذكر النووي في كتاب « تهذيب الأسماء واللغات » أنه في طبقة الترمذي ، والنسائي ، ومن أشهر ما صنف فيه كتاب ، أما القراءة فقد تلقي حروف القرآن على شيوخ القراءة ببغداد والكوفة والشام ومصر ، وإلى جانب علمه بالقراءة كان حسن التلاوة حسن الترتيل ، سمعه أبو بكر بن مجاهد وهو في طريقه إلى المسجد لصلاة التراويح ، يقرأ سورة الرحمن ، فقال :

ما ظننت أن الله خلق بشراً يحسن يقرأ هذه القراءة ، إن العلامة إمام الأئمة فريد عصره محمد بن جرير الطبري كان شاعراً مجيداً أيضاً .

---

(١) مقدمة محمد بن جرير الطبري من تاريخ الطبري : ج/١ ، ص/٦

(٢) أيضاً ، ص/١٨

طارت أبياته في الآفاق ، ذكره القفطي في كتاب « المحمدين من الشعراء » وقال : كان له - رحمه الله - « شعر فوق شعر العلماء » .

نذكر هنا بعض الأبيات على سبيل الإيجاز ، يقول العلامة الطبري : وهو يذم البطر والمباهات والافتخار الزائد ، ويحسن الفقر والخشونة ويحب لنفسه الافتقار .

خلقان لا أرضى طريقهما بطر الغني و مذلة الفقر
فإذا غنيت فلا تكن بطراً وإذا افتقرت فته على الدهر

هناك أبيات غير قليلة للطبري نتركها خوفاً من الطول ، قصارى الكلام : إن الله رزقه الملكة التامة الموفورة في أكثر الفنون الرئيسية من التاريخ والتفسير وجرح إسناد الحديث وتعديله ، والقراءة والعروض والشعر ، وقد تلقت سائر كتبه القبول العظيم والرضاء اللائق في الأوساط العلمية وفي حلقات المحققين ، إن شخصيته كانت جامعة لأشتات العلوم والمعارف ، فقه العلم وهو دون الإدراك ورحل في سبيله يافعاً لم يبلغ مبلغ الرجال ولقي المئين من الرواة والعلماء ، وطالع صنوف الكتب ولم يلبث أن أصبح إماماً وصاحب مذهب ، أملى اسمه على التاريخ وسار ذكره مع الزمان واقترن علمه بالثقة والاعتبار .

وسوف نفرد المقال باذن الله عن تفسيره وتاريخه ، ونأتي في الكلام بأشياء طريفة من تفسيره .

وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

••• ••• ••• •••

رجل فقدناه :

محدث الهند الكبير العلامة حبيب الرحمن الأعظمي ومنجزاته العلمية

[الحلقة الرابعة]

سعيد الأعظمي

وهذا مصنف الإمام أبي بكر بن أبي شيبة (المتوفى ٢٢٥هـ) صنو مصنف الإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، بل تزيد قيمته نظراً إلى ما يحتوى عليه من الأصول الغالية التي كانت بين يدي الإمام مسلم والإمام ابن ماجة ، وقد تناولها المحقق الكبير بالذكر خلال تعليقاته على هذا المصنف .

تحمّل العلامة الأعظمي مسئولية التحقيق والتعليق والتصحيح لهذا المصنف ، على طلب من بعض أهل العلم ، و لم يبال في سبيل ذلك بالعوائق من الأسقام والأعمال مع تقدم السن ، وأنجز عمله في التحقيق على النمط التالي ، كما ذكره الناشرفى مقدمته :

١ - يصحح الأغلاط الكتابية والمطبعية ، ويجهز نسخة المصنف صحيحة كاملة حسب ما أمكن ، يزيد في (الأصل) ما سقط منه آخذاً من النسخ الأخرى ، وكذا ينبه على ما سقط من النسخ غير الأصل .

٢ - يخرج الأحاديث المرفوعة ، ويذكر محالها في الكتب الستة وغيرها .

٣ - يذكر ما يتعلق بالرواة الغير المعروفين من توثيق أو جرح ، وإظهار إسم أو إبراز كنية ، أو غير ذلك .

٤ - يفتح المغلقات ، ويشرح غريب الحديث .

٥ - يذكر بعض المباحث العلمية .

٦- ينبه على أغلاط المؤلفين .

ويتحدث فضيلة الشيخ ملك عبد الحفيظ صاحب المكتبة الإمدادية بمكة المكرمة وناشر هذا المصنف . - حفظه الله - عن حاجة أهل العلم إلى نشر هذا المصنف في لباس تحقيقي قشيب يعده عالم محقق كبير ، يخلع به الكتاب فيقول :

« وكان أهل العلم يشتاقون إلى إبراز الكتاب كله في قالب جيد مع تعليق وتحقيق يقوم به عالم متقن ومحدث مبرز من فرسان هذا الميدان ، وكان من قدر الله سبحانه وتعالى أن المحدث الشهير والناقد البصير الشيخ الأجل حبيب الرحمن الأعظمي - -حفظه الله تعالى - قدم الحجاز حاجاً قبل أربع سنوات ، وله ممارسة تامة وخبرة كاملة بالتعليقات على كتب الحديث .

وقد نشرت عدة كتب بتعليقاته النفسية ، خصوصاً السفر الضخم الجليل مصنف الإمام عبد الرزاق الصنعاني - رحمه الله تعالى - ، فالتمس منه صديقنا الشيخ الجليل الفقيه العلامة محمد عاشق الهي الميرتي - حفظه الله موفقاً للخيرات - أن يعلق على مصنف الإمام أبي بكر بن أبي شيبة ، على منهاج ما علق على مصنف الإمام عبد الرزاق -رحمه الله تعالى- فلبي دعوته مع ضعفه وكبر سنه ، و وعد أنه يتحمل هذه المشقة الجسيمة ، وذلك خدمة لكتاب حديث لم يعلق عليه أحد من أهل الفن كما ينبغي بشأن الكتاب » . (مقدمة الناشرفي مفتتح الكتاب) .

هكذا صدر هذا المصنف إلى الأوساط العلمية في قالب علمي تحقيقي جديد ، واستفاد منه أصحاب العلم والبصيرة من العلماء والمحدثين ، وتلقاه طلبة العلم في الجامعات الإسلامية والمدارس الدينية ، بالقبول والتقدير ، عاكفين على دراسته والاستفادة منه .

أما كتاب « أسماء الثقات » للحافظ المفيد المكثر محدث العراق أبي حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد البغدادي الواعظ المعروف بـ «ابن شاهين » فقد قام المحدث الأعظمي - رحمه الله - بالتحقيقات والتعليقات المفيدة لهذا الكتاب ، التي زادت من قيمته لأنه كتاب يحتوي على أسماء الثقات ممن روى الحديث عن نقاد الحديث الذين قبلت شهادتهم واشتهرت عدالتهم ، وعرفوا بها بين الناس ، مثل يحيى بن سعيد القطان و عبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن معين ومحمد بن أحمد بن حنبل وعلي بن المديني وعثمان بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن عمار الموصلي،وأحمد بن صالح .

وأُخرجت أسماء الثقات في هذا الكتاب على حروف المعجم ، ليقرب للناظر فيه أُسماء من قصدهم .

ولا شك فإن هذا الكتاب له مكانة كبيرة عند أئمة الحديث ، وعلماء أسماء الرجال الذين يبذلون مجهودات كبيرة في تحقيق أسماء الرواة ومعرفة الأشخاص ، وتبيين عدالتهم ، ونقد شهادتهم ، ولقد كان العلامة الأعظمي من أجدر الناس بهذا التحقيق لما أكرمه الله تعالى بالنظرة العميقة والبصيرة النافذة في علم الرجال ونقد الرواة .

وكذلك وفقه الله تعالى إلى تأليف كتاب في تحقيق رجال شرح معاني الآثار للطحاوي الذي هو أول كتاب له،و رجال مشكل الآثار الذي هو آخر كتابه وتعريف رواتها وبيان مكانتهم الإسنادية بالوزن على ميزان النقد العادل ، وقد سمى المحدث الأعظمي هذا الكتاب باسم : « الحاوي لرجال الطحاوي » تناول فيه رواة الطحاوي بترتيب حروف المعجم ، ابتداءً من الألف ، مثل إبراهيم بن أبي داؤد ، أحمد بن خالد الوهبي ، اصبع بن أبي الفرج ، إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، أحمد بن أبي عمران ، أنس بن

مالك وغيرهم .

وهذا عمل وجيه مشكور يعتبر زيادة ثمينة في مكتبة أسماء الرجال ، وحقيق بأن ينال طريقه إلى الطبع ، إذا تولاه ناشر ألمعي يتذوق علم الحديث ، ويعتني برجاله نقداً وتحقيقاً .

كما أنه ألف كتاباً في تراجم المحدثين من اتباع المذهب الحنفي وسماه : « الاتحافات السنية بذكر محدثى الحنفية » يترقب من يتولى نشره وتوزيعه على الأوساط العلمية .

أما مؤلفاته التي ألفها باللغة الأردية فهي كثيرة ، ومن أهمها :

١ - نصرة الحديث ، وفيه رد على فتنة إنكار الحديث ، التي تفاقمت في أيام الاستعمار الانجليزي في هذه البلاد ، حيث إن فئة من المسلمين قامت بايعاز من أعداء الإسلام ، تجاهر بانكار الحديث ، وتعلن الاكتفاء بتوجيهات القرآن ، هنالك نهض العلامة الأعظمي بإثبات حجية الحديث ، وبرهن على صدق مكانته ، والاحتجاج به في جميع شئون الحياة ، وقد نال هذا الكتاب قبولاً بين أوساط العلماء وأهل الحديث وأعيدت طبعاته .

٢ - الأعلام المرفوعة في حكم الطلقات المجموعة .

٣ - الأزهار المربوعة في رد الآثار المتبوعة (في مجلدين) .

٤ - أحكام النذر لأولياء الله وتفسير ما أهل به لغير الله .

٥ - دفع المجادلة عن آية المباهلة .

٦ - إرشاد التعليق في جواب اتحاد الفريقين .

٧ - التنقّيد السديد على التفسير الجديد .

٨ - ركعات التراويح .

٩ - أعيان الحجاج ، (في مجلدين) .

١٠ - تحقيق أهل الحديث .

١١- إبطال العزاء (صناعة شبيه لضريح الإمام سيدنا حسين - رضي الله عنه -) من خلال وجهة نظر أهل السنة .

١٢- دليل الحجاج .

١٣- أحاديث أهل القلوب المتعة . (في جزئين)

١٤- أصحاب المهن والصناعات الأشراف .

١٥- الشارع الحقيقي . (وما إلى ذلك من رسائل توجيهية) .

هذا وله بحوث ومقالات علمية كثيرة نشرت في مجلات علمية ودينية في اللغتين العربية والأردية ، كما أن له تحقيقات علمية وحديثية جرت في أوقات ومناسبات مختلفة رداً على الاستفسارات العلمية والاستفتاءات الحديثية التي كانت ترد إليه من جهات مختلفة .

وإلى الإخوة القراء نموذجاً رائعاً من تحقيق العلامة الأعظمي وجوابه الشافي على سؤال وجهه إليه الأستاذ عبد الحفيظ الرحماني حول مسألة علمية يبدو به مدى تعمق العلامة الأعظمي في الحديث الشريف وبلوغه إلى ذروة عليا من البحث و التحقيق ، و ما منحه الله تعالى من قوة في الاستدلال وسطوع في البرهان وجدارة في الإيضاح والبيان .

س : « ما هو رأي سماحتكم حول رواية جاءت في صحيح البخاري في كتاب الأنبياء ، وهي :

« قال ابن عباس - رضي الله عنه - : أو ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل ، اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم ، وبابنها إسماعيل ، وهي ترضعه ، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة ، فوق زمزم في أعلى المسجد .. ثم دعا بهؤلآء الدعوات ورفع يديه ، فقال : « ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم .. حتى بلغ ‹ يشكرون › وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء .. إلخ » .

ما هي مكانة الحديث رواية ودراية ؟ وقد شدد الحافظ ابن كثير في الطعن في الحديث ، فقال : « وكان بعض هذا السياق متلقى من الإسرائيليات ، ومطرزاً بشئ من المرفوعات » .

بينما قد ذهب العلامة السيد سليمان الندوي وغيره إلى عدم قبول هذه الرواية وجعلوها لا يعتمد عليها ، وطعنوها بأنها من الإسرائيليات ، وقد أطنب العلامة الندوي في بيان الوجوه والأسباب التي أدت إلى سقوط هذه الرواية عن مستوى القبول .

هذا وقد رد على هذه الأقوال من جهات متعددة ، إلا أن الرد يسوده الطراز العقلي فحسب ، وينقض الأسلوب العلمي التحقيقي ، فرد عليه العلامة الأعظمي بغاية من التحقيق في أسلوب علمي خالص تتجلى منه مكانة الحديث رواية ودراية ، ويتبين به أيضاً مدى قوة الاستدلال العقلي والنقلي للعلامة الأعظمي .

فقال العلامة الأعظمي : إن الكلام عن رواية ابن عباس -رضي الله عنه - بأنها متلقاةمن الإسرائيليات جراءة علمية ، ما لم يتحقق أن ابن عباس سنحت له الفرصة للاستفادة والتلقى من أهل الكتاب ، وإذا سلمنا أن الرواية غير مرفوعة ، فماذا يمنعنا عن القول بأنها رواية تقليدية ، رويت كابراً عند كابر

وعلاوة على ذلك يبدو أن الذين طعنوا في نفس الرواية لم يتأملوا فيها، ولو فعلوا لتبين لهم أن الفقرات من الرواية التي ثبت رفعها في الحديث إنها تصدق الفقرات التي لم يثبت رفعها ، أو هي تتفرع عليها ، مثلاً : قال النبي -ﷺ- : « فلذلك سعي الناس بينهما » فإنها تصدق ذلك الكلام غير المرفوع التي سردت فيها تفاصيل سعي هاجر فيما بين الصفا والمروة ، وأيضاً تصدق مسبب السعي ، إذ لا وجه هناك للتفريق بين السبب والمسبب .

وكذلك قال النبي -ﷺ- : « يرحم الله أم إسماعيل ، لو تركت زمزم (أو قال) لم تغرف لكانت زمزم عيناً معيناً ، فإنها تصدق الفقرات السابقة ، وهي غير مرفوعة . واعتقد أن الرواية بأسرها مرفوعة إلى النبي -ﷺ- حكماً »

وكلمة الذرية تطلق على كل من الأولاد ومن يليهم ممن هو موجود ، أو يتوقع وجوده

مثلاً في قوله تعالى : ١ - ﴿ ومن ذريتي ، قال : لا ينال عهدى الظالمين ﴾

٢ - ﴿ ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴾

٣ - ﴿ اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ﴾

وكذلك فإنها تطلق على النساء مثلاً في قول النبي -ﷺ- : « لا تقتلوا ذرية » (الحديث) ، وقول عمر - رضي الله عنه - : « احجوا الذرية » انظر للتفصيل النهاية لابن الأثير ، وقال في تفسير الجلالين تفسيراً لقوله تعالى : ﴿ أسكنت من ذريتي ﴾ (وهو إسماعيل مع أمه هاجرة)

نظراً إلى هذه الحقائق لا توجد أي إشارة في قوله : ﴿ أسكنت من ذريتي ﴾ أن إسحاق - عليه السلام - كان قد ولد في ذاك الحين ، وقد جاء في القرآن الكريم بعد قوله تعالى ﴿ وفديناه بذبحٍ عظيم ﴾ و « بشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ﴾ وظاهره يقتضى أن قصة ﴿ أسكنت من ذريتي ﴾ ، تكون قد وقعت قبل ولادة إسحاق - عليه السلام - بكثير ، وفي هامش الجمل « وكان يزورهما على البراق كل يوم من الشام » (المجلد الثاني : ص/٥٣٨) .

هذا ، وسنورد في الحلقة القادمة الأخيرة - بمشيئة الله تعالى - ما يتصل برحلاته العلمية إلى الخارج والاستفادة من المكتبات والالتقاء مع رجال العلم والمعرفة من أصحاب الحديث ، وإفادتهم بمعلوماته وأفكاره العلمية ، حتى نشأت له جماعة من تلاميذه الذين استفادوا منه في الحديث وحصلوا منه على الإجازة فيه . [يتبع]

الداعية المجاهد (أبو مجاهد)

فضيلة الشيخ محمد محمود الصَّوَّاف -إلى رحمة الله-

للدكتور محمد لقمان الأعظمي الندوي
حائل - السعودية

فقدت الأمة الإسلامية في يوم الجمعة ١٢ ربيع الآخر ١٤١٢هـ علماً من أعلامها ، ورائداً من رواد الفكر الإسلامي ، ومربياً ومدرساً وقائداً من خيرة قواد الدعوة ألا وهو فضيلة الشيخ محمد محمود الصواف الذي بدأ يخدم الدعوة في العراق في أوائل الثلاثينيات ثم عرفته البلاد العربية والإسلامية . رائداً من روادها العظام ، ومهتما بأمور الدعوة خطابة وكتابة وتدريساً وتأليفاً ونصحاً وإرشاداً وأسفاراً وتربية للشباب ، وصراحة في الحق . لا تأخذه في ذلك لومة لائم .

وكان مثالاً حياً لعالم عامل مجاهد ، حمل لواء الجهاد في سبيل الإسلام حياة كاملة لم يعرف خلالها الراحة أو الهدوء ، ولم يتراجع أمام كل ما صادفه من صعوبات ، وما تحمله في سبيلها من أحوال ، لأنه كان يصدر عن إيمان عميق بما يدعو إليه ، واطمئنان كامل إلى نصر الله ، حتى انتقل إلى رحمته تعالى .

المولد والنشأة : ولد الشيخ الصواف سنة ١٢٢٢هـ من والدين صالحين في مدينة الموصل ، حيث نشأ على الإيمان والإسلام منذ صغره ، يقول الشيخ : « لقد كنا ونحن صغار نتسابق على حضور صلاة الفجر ونبقى مشغولين بذكر الله وتلاوة القرآن الكريم إلى أن تطلع الشمس » .

، وهيأ الله له الظروف المباركة والأجواء المعطرة ، حيث تتلمذ على يد الشيخ عبد الله النعمة ، وكان من أكابر رجال الإسلام والإصلاح ، عرف بعقيدته السلفية وبإيمانه العميق وخلقه الجم ، ثم نهل من منهل الشيخ محمد الرضواني - رحمه الله - وهو من علماء الموصل الأفاضل وكان آية من آيات الله علماً وصلاحاً وتقى .

هكذا هيأ الله له سبل الخير ووسائل التربية ، وشاءت إرادته تعالى أن يتربى بين أحضان خيرة علماء العراق ودعاته ، يقول الشيخ : « كنت أزاحم في صباى العلماء والفقهاء أناقشهم وأستفيد من جلساتهم وأحاول أن أحذو حذوهم ، فكنت أدرس في الليل في الابتدائيات والمدارس الرسمية وفي النهار أزاحم العلماء والفقهاء في مجالسهم وأتتلمذ على أيديهم وأزداد إعجاباً بعلمهم وبسلوكهم » ويقول أيضاً : « لقد عشت على حب الله عزوجل وأحببت الإسلام بكل جوارحي ووهبت نفسي لله منذ نعومة أظافري وسألت الله أن يجعلني من عبيده المخلصين وجنوده الصادقين » .

كان الشيخ يهدف من علمه التقرب به إلى الله ، والاستعداد لخدمة دينه ونفع عباده ، وكان مع تحصيله للعلم يأخذ نفسه بالسلوك الصالح والعبادة الخالصة والشغف بتلاوة القرآن وتدبره ، والاهتمام بالذكر وقيام الليل كلما سنحت له الفرص ، وبذلك نشأ نقي المظهر والمخبر معداً خير إعداد لأداء رسالة الدعوة في بلده ثم في العالم الإسلامي الفسيح .

بزوغ فجر الحركة الإسلامية في العراق :

كانت العراق في فترة نشأة الشيخ تشهد مرحلة انتقالية من الخلافة العثمانية إلى الاستعمار الانجليزي ، وكان للشيخ صلة بكوكبة من العلماء والأعلام في الفقه والأدب ، وكان يتنقل من مجلس إلى مجلس ومن

بيت إلى بيت يتلقى التوجيهات ويشارك الأحداث بوعي ويقظة حتى نشأ على حب الخلافة الإسلامية والشهادة في سبيل الله .

وقد شاء الله تعالى أن يهيأ فرصة مبكرة للشيخ الصواف على طريق الدعوة إلى الله ، ذلك أن أحد وجهاء الموصل طلب من الشيخ أن يتولى الوعظ بمسجده في شهر رمضان ، وكانت فرصة ذهبية استغلها الشيخ في إيقاظ الشباب الذين أحسوا أن هناك قضية جديدة يجب أن يفهمها الناس وهى أن الإسلام مستهدف ، ومن هنا بدأت انطلاقة الشيخ وبدأ يتصل بالشباب وبالعاملين وببعض الرجال المؤثرين حيث قاموا بتأسيس جمعية « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» وهي جمعية أخرى مستقلة عن جميعة « الشبان المسلمين » التي تأسست في الموصل ، تحت رئاسة شيخه الأستاذ عبد الله النعمة - رحمه الله - ، وكان ذلك في الثلاثينات .

وقد ظهرت على شيخنا الناهض في تلك الفترة علامات اليقظة والنشاط الدائب ، وكان من أهم ما اتصف به ، موهبة فائقة لإدراك مفاهيم الدعوة ، وقدرة عجيبة على الفهم السريع للقضايا المتجددة ، من انتهاء الخلافة وبداية عضر الاستعمار وفكرة تقسيم العراق ، ووسط الدعاوي المضللة والنعرات القومية والمد الشيوعي الأحمر ، ومن ورائهم الاستعمار البريطاني البغيض الذي أحكم قبضته ، ووضع خططه الخبيثة للقضاء على الإسلام في نفوس الشباب ، من خلال تجريد التعليم من كل شئ يمت بصلة إلى الإسلام ، وسط هذه التحديات ظهرت فئة من العلماء المخلصين للوقوف أما هذه المؤامرات والتصدى لها ، ولجمع شمل المسلمين ، فكان أن تأسست الجمعيات وظهرت المجلات الإسلامية تدافع عن الإسلام وتبث روح الجهاد ، وهي كلها وإن كانت جهوداً مشكورة إلا أنها لم تكن كافية أمام مخططات أعداء الإسلام .

وفي هذا الجو المكفهر ، اتصل الشيخ بالجمعيات الإسلامية ومد يده

للتعاون مع رجالها ، فالتحق بجمعية « الآداب الإسلامية » ، حيث وفقه الله تعالى بالارتباط بعالم رباني وفقيه متفتح وهو سماحة الشيخ أمجد الزهاوي - رحمه الله - ، وتوثقت العلاقة بينهما ، فكان معه كالولد مع أبيه والتلميذ مع أستاذه ، ونتيجة لهذه الصلة الحميمة ، تم إنشاء جماعة « الأخوة الإسلامية » التي هي « الإخوان المسلمون » وساهم في ذلك وشارك بعض رجال الإسلام البارزين في العراق ، فكانت هي المنطلق حيث أنشئت الفروع والمكتبات ، وتم تجميع العلماء والشباب إلى مركز (الأخوة) وأقبل الشباب عليها في كل مكان بالعراق .

وقد كان ذهاب الشيخ إلى مصر خلال ذلك في فترتين ، الأولى : في بعثة الأوقاف سنة ١٩٢٩م ، وبعد الحرب العالمية الثانية عاد للأزهر من جديد للمرة الثانية ، حيث قطع مراحل الدراسة ذات الست سنوات في ثلاث سنوات فقط ، ويقترب من حركة الإصلاح الكبيرة التي قامت في مصر بعد أن بعث فيها روحاً جديدة ذلك المصلح الموهوب (حسن البنا) ، فانضم إلى موكب دعوته ، والعمل في ميدان الإصلاح الإسلامي العام ، فجمع بذلك بين الدراسة والجهاد في ميدان الدعوة بقوته العظيمة ومواهبه النادرة .

تكوينه الدعوي وتربيته الحركية :

بدأ الشيخ في التعاون ، من جميع العاملين للإسلام ، ولم يحصر نفسه بجماعة معينة ، بل كان هدفه هو العمل للإسلام ، لا يهمه إن كان في الصدر أو المؤخرة مادام العمل للإسلام ، وهذه هي الطريقة المثلى التي بدأها وسار عليها الإمام الشهيد حسن البنا - رحمه الله - ، الذي يتحدث عنه الشيخ الصواف فيقول : « وكنت أرى وألمس بنفسي حسن خلقه وتعامله مع الناس وحكمته وبراعته ولباقته وحبه للجميع من إخلاصه للجميع - رحمه الله - » (١) .

---

(١) من سجل ذكرياتي : ص/١٢٧ .

لقد عاش الشيخ خلال فترة وجوده في القاهرة - عند ما ابتعث إليها في بداية عام ١٩٢٩م - عيشة الشاب المتفتح المتعطش للارتواء من مناهل الدعوة ومعارفها المختلفة ، واستفاد من وجوده في مصر ، وتكون لديه منهجاً للدعوة يمتاز بالشمولية والحكمة وسعة الأفق والاستفادة من المناهج المتعددة ، يقول الشيخ : « الداعية في نظري يجب أن يكون متمرساً متدرباً ويتصل بكل الوجوه والشخصيات ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وكما يقولون : (ملاقاة الرجال تلقيح لألبابها) » .

ويتضح ذلك جلياً في اتصالات الشيخ بالشخصيات الإسلامية المتعددة أثناء وجوده في القاهرة ، فنراه يحرص على لقاء الإمام الشهيد حسن البنا ، فيذهب إلى مسجد الجمعة الذي يخطب فيه الإمام ، وبعدها يواظب على حضور (حديث الثلاثاء) في قاعة المركز العام للإخوان المسلمين .

وكان حلال المدة القصيرة التي قضاها في القاهرة حريصاً على زيارة ولقاء رجالات الإسلام البارزين في مصر ، فقد التقى بالشيخ الأكبر مصطفى المراغي - رحمه الله - ، وبالشيخ الوقور العالم محمد الخضر حسين - رحمه الله - وتوثقت صلته به ، وواظب على زيارته في مركز الهداية الإسلامية ، ونراه يحضر محاضرات جمعية الشبان المسلمين ، ويلتقي بمؤسسها الرجل العملاق عبد الحميد سعيد - رحمه الله - ويتصل بالكاتب الإسلامي الكبير أحمد أمين صاحب كتب (فجر الإسلام) (ضحى الإسلام) (ظهر الإسلام) وبالكاتب العملاق صاحب العبقريات عباس محمود العقاد ويتحدث معه عن مقومات هذه السلسلة المبتكرة في فن السيرة .

لقد كان الشيخ حريصاً على الارتواء من مناهل الحركات الإسلامية على مختلف مناهجها ومسالكها ، مثل (أنصار السنة) ورئيسها الشيخ

محمد حامد النقي ، (شباب سيدنا محمد) ورئيسها الأستاذ حسين يوسف . ويقرأ للأستاذ محمد فريد وجدي ويتذاكر معه في شئون الدعوة الإسلامية .

وهكذا قضى الشيخ الصواف أجمل أيام حياته في مصر - على الرغم من قصرها - كالنحلة تمتص من كل زهرة رحيقاً ثم تكون عسلاً شهياً فيه شفاء للناس . فكانت دعوته كالرحيق وهي دعوة الأخوة الإسلامية الأصيلة .

يقول الشيخ : « وهذه التجارب الثرية ساعدتني على أن أنطلق بالدعوة للعراق » فلما كانت حركة ١٤ يوليو ١٩٥٨م بالعراق وقف الشيخ برجولة وإباء وحزم وإيمان في وجه هذا المد الشيوعي وهاجمه الأعداء وحطموا مطبعته ومجلته « لواء الأخوة الإسلامية » ثم سجن وأصابه الأذى فصمد ثم غادر العراق إلى سوريا فالسعودية حيث استقبل استقبالاً كريماً وعين أستاذاً بكلية الشريعة في مكة المكرمة ، ومنح له الإقامة ثم الجنسية ومن ثم بدأ نشاطه في مجال الدعوة وسرعان ما عرفته المؤسسات العلمية والأوساط الدعوية رائداً من روادها العظام ومؤسساً لحركة إسلامية واسعة راسخة أقضت مضجع خصوم الإسلام . كما عرفته سياسياً نافذ النظرة يقول كلمة الحق ويعمل على وحدة العرب والمسلمين على هدى واضح من مبادئ الإسلام العظيمة . كما عرفته خطيباً موفقاً ومحاضراً ناجحاً سريع البديهة ، جديد الفكرة ، واسع الإحاطة ، شامل النظرة ، وعرفته الأوساط العلمية ، عاملاً على توضيح أسس الفكر الإسلامي بوجهيه التربوي والسياسي .

مظاهر عالمية الدعوة في حياة الشيخ :

وهب الله الشيخ حساً مرهفاً ووعياً شاملاً بطرق الدعوة ، وفهم معاني

الحكمة والموعظة الحسنة ، وكان لهذا كله أثر عظيم في نجاحه وتوفيقه في معالجة قضايا المسلمين والاهتمام بأمورهم .

لقد أدرك الشيخ بتوفيق من الله معاني الأخوة الإسلامية ، ولا غرو ، فقد تربي تربية إسلامية منذ نعومة أظافره ، وخالط أهل التقوى والصلاح وعاشر رجال الفكر والدعوة ، ودرس كتاب الله عزوجل ، ووعي سنة رسوله ﷺ ، ولذا عاش الشيخ للإسلام والمسلمين داعياً وموجهاً ومرشداً ، ولا نبالغ إذا قلنا إنه كان أنموذجاً لقول رسول الله ﷺ : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

وهذه من أبرز أهداف « جمعية الأخوة الإسلامية » ظل الشيخ يعيش قضايا الإسلام والمسلمين ويدعو إلى جمع صفوفهم وتوحيد كلمتهم فكان كثير الأسفار والتجول في بلاد العالم الإسلامي ، ويقوم بدور بارز في إقامة المؤتمرات في الهند وباكستان والسعودية ومصر من أجل نصرة قضايا للعالم الإسلامي ، ولا سيما قضية فلسطين التي أولاها الشيخ اهتماماً كبيراً ، وكان من أوائل من شارك في مؤتمر القدس الذي عقد أوائل الخمسينات ومؤتمر عموم الهند بمدينة دلهي سنة ١٩٢٦م ثم بمدينة كراتشي ، وحينما قررت الأمم المتحدة تقسيم فلسطين هاج العالم الإسلامي وماج وقاد الشيخ مسيرة شبابية هادفة ، ثم قرر تأسيس جمعية « إنقاذ فلسطين » التي انضم إليها كثير من المجاهدين ، وظل الشيخ يوجه هذه القضية وجهة إسلامية طوال حياته ، وكان يقول : « إن الخطأ الأكبر هو تحويل قضية فلسطين من قضية إسلامية مقدسة إلى قضية عربية صرفة ، فالأقصى لم يكن قبلة العرب الأولى ، بل كان قبلة المسلمين الأولى » .

وزار الشيخ شمال و غرب إفريقيا ، والتقى هناك بعلمائها وزعمائها . كما أولى الشيخ اهتماماً كبيراً لقيام دولة الباكستان ، وكان أحد أعضاء الوفد العراقي الذي كان يرأسه سماحة الشيخ أمجد الزهاوي في المؤتمر الإسلامي الأول في الباكستان سنة ١٩٤٩م ، وظل الشيخ طيلة حياته مهتما بالباكستان حكومة وشعباً، وشارك المشاركة الإيجابية لقضاياها، عند ما زار محمد أيوب خان رئيس جمهورية باكستان مكة المكرمة سنة ١٩٦٠م وجه خطاباً مفتوحاً إليه يطالب فيه بتطبيق الشريعة الإسلامية. وكان الشيخ على صلة عميقة مع أقطاب الدعوة في الهند وباكستان ، مع الأستاذ أبي الحسن الندوي وأبي الأعلى المودودي .

ومن القضايا الإسلامية الكبرى التي اهتم الشيخ بها ، قضية تحرير الجزائر ، بلد المليون شهيد ، فشارك منذ البداية وقام خطيباً في مسجد الأعظمية ، وأعلنها ثورة إسلامية لتأييد جهاد شعب الجزائر ، وأعطى الشعب العراقي فكرة واضحة عن بطولة الجزائر وقضيتها ، وسافر مع وفدإلى الجزائر سنة ١٢٨٧هـ ، وظل يشارك بتوجيهاته ورحلاته إلى آخر حياته المليئة بالجهاد .

كما اهتم بقضايا المغرب العربي ، والتقى بالملك محمد الخامس (ملك المغرب) بالمدينة المنورة ، وتحدث معه في شأن الحالة الإسلامية بالعراق وحالة المسلمين بصورة عامة وكان ذلك تقريباً سنة ١٩٦٠م .

وأرسل نصائحه في رسائل إلى الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس الليبي معمر القذافي .

كان – رحمه الله – مثلاً كريماً للداعية المتفتح والمجاهد المناضل ، يعيش للمسلمين وبالمسلمين ، ينظم الجموع ويجند الجند ويجمع الأموال للجهاد ، ويتفقد الخطوط الأمامية في ديار فلسطين بالطعام والسلاح .

وتراه على هضبات بيشاور و أفغانستان ، يوحد القلوب ، و يطهر النفوس ، ضارباً المثل في الإخلاص والإيمان ومعاني الجهاد .

وجدير بالذكر أن الشيخ الصواف كان من مؤسسي المؤتمر الإسلامي في القدس الشريف ، بالاشتراك مع شيخ علماء العراق سماحة الشيخ أمجد الزهاوي ، وله دور فعال في تأسيس رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة. وانتخب عضواً في المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وابتعث مندوباً من قبل الملك فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله - إلى إفريقيا المسلمة ، وزار حوالي ٢٧ دولة إسلامية زيارة الداعية الناجح .

صلتي بالشيخ (لمسة وفاء) :

وكان من أبرز ما من الله علي أيام دراستي في القاهرة أن هيأ لي الاجتماع بشباب الدعوة من معظم أقطار العالم الإسلامي ، وكانوا يتحدثون عن الدعوة والدعاة ومن ضمنهم الشيخ الصواف وكنت تواقاً لرؤيته إلى أن تعرفت على الشيخ بواسطة بعض الشباب في عمان (الأردن) في بيت أحد الدعاة وكان ذلك سنة ١٩٦٦م وكان لقاءً مثيراً وأسعدني الله به وأقر عيني برؤيته ، وجدته عطوفاً مهتماً بي ، وتحدث معي طويلاً في أمور الدعوة والأوضاع الراهنة في أرض الكنانة ، ولفت نظري حرصه على تفقد أحوال إخوانه .

وكان اللقاء الثاني بالشيخ في ساحة الحرم المكي ، فإذا بالشيخ المربي يشملني بعطفه الصميم ويغمرني بأبهى معاني الأخوة ، ويوفقه الله أن يذلل لي سبل العمل بالتدريس في بلاد الحرمين الشريفين ، وأن يزور مدينة حائل - حيث أعمل - مبعوثاً ومرشداً فلازمته ملازمة الظل ، وعرفته مجاهداً مناضلاً يسعى لترسيخ أركان الدعوة الإسلامية بوجهيها

التربوي والسياسي .

وكنت أتحين الفرص للاستفادة من مجالسه العلمية ، فأسافر في فترات متقاربة إلى مكة المكرمة حيث كان له مقابل الركن اليماني - مجلس خاص - بين المغرب والعشاء يلتف حوله شباب الدعوة الزائرين من جميع أنحاء العالم الإسلامي ، يتبادلون معه الآراء ، ويستفيدون من خبراته ، ويبثون إليه أحزانهم وهمومهم ، ويمدونه بأحدث الأخبار .

ثم كنت أقابله في مصر في التمانينات في مسجد صلاح الدين محاطاً بالشباب ، وهو يرشد ويعظ ويوجه ويثير الهمم ، ويزودهم بخبراته ومعلوماته في الدعوة ، وكان يعطى اهتمامه الطيب بدراستي وييسر بكتابتي ، ويوصيني بالاستمرار في التدريس والتأليف والبحث ، وأياديه البيضاء علي أكثر من أن تعد .

ولأستاذنا الجليل عدة مؤلفات منها : تفسير سورة الفاتحة (عدة ..) وتفسير جزء عم ، والصيام والصلاة ، وزوجات النبي الطاهرات ، مكافحة الاستعمار ، معركة الإسلام ، القيامة رأي العين ، رحلاتي إلى الديار الإسلامية ، صرخة مؤمن إلى الشباب والشابات ، .

وفي الختام لا أملك إلا أن أدعو الله تعالى له بالمغفرة وأن يتغمده سبحانه بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جناته ، فقد قضى قرابة نصف قرن من الزمان على طريق الدعوة يدعو ويربي ويؤاصى وينظم ويجاهد ويكافح ويحض العاملين على التعاون وتضافر الجهود والاعتصام بحبل الله المتين ، ويهاجر ويسافر وينتمى إلى أسرة الدعوة في كل مكان وبلد إلى أن لبىنداء ربه : ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضيةً مرضيةً فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ .

....

بين تفسير وتفسير

واضح رشيد الندوي

عند ما يتناول المحللون للوقائع في العالم الإسلامي ، الأحداث التي تقع في اقطار المسلمين المختلفة بالبحث والتعليق ، تختلف آراؤهم ومذاهبهم في معالجة أسباب هذه الأحداث وطبيعتها باعتبار الأوضاع وباعتبار الأماكن ، ويتوصلون إلى نتائج مختلفة وذلك لأن بعض الأحداث لها عوامل عنصرية ، وأخرى دينية ، وبعض هذه الأحداث ترجع إلى أسباب اقتصادية ، وبعض الأحداث لها خلفيات تاريخية ، كما ترجع بعض الأحداث إلى مواقف التطرف ، أو العصبية الزائدة ، لمذهب أو لمنهج عملي ، أو نظرية وفكر .

ولا شك في أن هذه المعالجات لها مبررات فإن مشكلة المسلمين ليست مشكلة واحدة . فليست الأقليات الإسلامية وحدها هي المضطهدة ، بل الأغلبيات الإسلامية أيضاً تواجه الاضطهاد ، وليس المسلمون في منطقة خاصة بمضطهدين لتعنت غير المسلمين في بلدهم ، أو بقهر الحكام أو الأغلبية في بلدهم بل تمتد معاناة المسلمين اليوم من أقصى الأرض إلى أقصاها الآخر . وليس لهم عدو واحد ، ليتصدى له المسلمون ، ويتخلصوا منه ، وإنما يواجه المسلمون أعداء مختلفين ، ومناهج مختلفة ، وأشكالاً للحرب عليهم .

لقد فرضت على المسلمين الحرب في البوسنة والهرسك ، وتكتلت القوى

العالمية لمحاربتهم وخسر المسلمون في هذه الحرب جزءاً كبيراً من أراضيهم ، وأكثر من مأتى ألف من شبابهم ، لكنهم صامدون ، لم يفقدوا الأمل ، ولم يفقدوا الأعصاب ، بل معنويتهم عالية رغم ضخامة الخسائر ، وضآلة الوسائل ، وتخاذل الأصدقاء .

وفرضت على المسلمين الحرب الأهلية في أفغانستان بعد أن ضحوا في سبيل تحرير بلادهم بمليوني شخص ودمرت بلادهم ، وخرجوا من الحرب الواقعية منتصرين ، وتآمر الأعداء عليهم وجاسوا خلال الديار ، وأوقعوا بين الاخوة المناضلين ، و نفخوا روح العصبيات و العنجهيات القبلية ، فيجرى سفك دماء المسلمين ، ويخشى أن تصبح أفغانستان إذا لم يوضع حد للتقاتل فيها لبنان ، وينسى الناس قصص الجهاد والبطولة الإسلامية ، وروح الفداء الذي سجل المجاهدون أروع صفحاته ، فإذا كانت المعركة قبل الحرية ، معركة بين المجاهدين والشيوعيين ، صارت المعركة الآن بين الاخوة المتحاربين ، على أساس العصبية القبلية ، والعنصرية .

ومن الأحداث الدامية التي يتعرض لها المسلمون ، الحرب الأهلية التي دمرت الصومال ، فقد فرضت على البلاد بعد انهيار النظام وشقاء الشعب الوصاية العالمية ، ودخلت قوات الاغاثة لاقرار الأمن والنظام ، وبذلك فتح باب الحكم الأجنبي على البلاد ، وكانت مثل هذه الأوضاع مهدت سبيل المستعمرين في الماضي .

وفي الوقت الذي تجرى فيه المعارك الطاحنة في البوسنة والهرسك ، تجرى معركة بين الشيوعيين والإسلاميين في تاجكستان ، فبينما تخلصت روسيا والدول التي كانت تحتمى بها من الحكم الشيوعي ، عاد الحكم الشيوعي إلى تاجكستان ، وأسفرت المعارك بين القوى الشيوعية والقوى الإسلامية ، عن مقتل آلاف من التاجكيين ، وتشريد أكثر من مائة

ألف وهم الآن لاجئون في أفغانستان ، البلد الذي يواجه حرباً أهلية واقتصاده محطم ، وهو لا يقدر على تغذية أبناء البلد ، فكيف يتحمل هذا العبء الإضافي ، ومثل ذلك اللاجئون البهاريون الذين ينتظرون العودة إلى باكستان ، وقد مات منهم من مات ، وضاع من شبابهم من ضاع ، ومشكلة الاكراد المعذبين ، والفلسطينيين الذين يقضون الشتاء على الثلج ، في جميع هذه المسائل ، يلاحظ العالم غياب العمل الإسلامي وظهور القوة الإسلامية رغم العدد ، والمواهب والوسائل الموفرة ، لمنع الظالم من الظلم ، وإنقاذ المظلوم ، سوى الجهود الطوعية والأعمال الخيرية .

كانت هذه هي القضايا الرئيسية التي تسبب معاناة المسلمين في الدول التي هم فيها في الأغلبية ، وإضافة إلى ذلك يواجه المسلمون في بلاد أغلبيتهم سياسات جائرة من الحكام المسلمين أنفسهم ، فيجرى صراع بين النظام السياسي ، وبين الإصلاحيين ، الذين يطالبون بالتخلص من المنهج الأوربي الاستعماري للحكم ، والعودة إلى الحكم الإسلامي ، أو تنقية أجهزة الحكم من العناصر غير المخلصة لطبيعة البلاد ، ومصلحتها القومية ، يواجه المسلمون فيها إجراءات قاسية لقمع آرائهم ، ورغباتهم .

فإذا كان المسلمون يعيشون في ظروف قاسية في البلاد التي يشكلون فيها الأغلبية والحكم فيها بأيديهم ، وتفرض عليهم سياسة جائرة ، وتسلب حرياتهم ، وتسفك فيها دماؤهم ، ويتجرأ عليهم اخوانهم ، ويحكم في قضايا المسلمين أعداؤهم ، فكيف لا تجترأ على المسلمين النظم غير الإسلامية ؟

لقد كان للمسلمين رعب وهيبة في الماضي ، كان يحسب لهم حساب ، وكان المسلمون يعدون عدة ، فكان الحكام في بلاد غير المسلمين يفكرون قبل الاقتحام في أي مغامرة ضدهم في نتائج إجراءاتهم القاسية ، لكنهم

تأسدوا عليهم بعد مذبحة بيروت وحرب لبنان ، والخليج ، والمعارك التي جرت بين المهاجرين والمواطنين في باكستان ، والصومال ، والبوسنة والهرسك ، ومحاكمة الإسلاميين واضطهادهم في عدد من البلدان الإسلامية ، وانتهاك الحكومات للحرمات ، واعتداؤها .

إن العالم يعرف ما يحدث للمسلمين أنفسهم في بلدانهم ، وقد كتب أحد المعلقين ، أن تصور الأمة قد تحطم ، فالمسلم يحارب المسلم ، والمسلم يدمر بلده بيده ، ولا يتقدم لنجدته ، إلا المسيحي ، وكتب أحد من غير المسلمين في (تائمس آف إنديا) ان الإسلام بدأ يتراجع ، ويتقهقر ، ولم تبق له شوكة ولا صولة ، وكتب أنه يمكن إبادة المسلمين كلياً ، ولن يكون له أي رد فعل كبير .

وليس هذا فكر المثقفين الذين يعرفون ما يجرى في العالم ، بل أصبحت هذه الأحداث موضوع عامة الناس ، فإن نظام البث المباشر ينقل معاناة المسلمين في العالم إلى كل مكان ، فيرى المشاهدون كل يوم أشكالاً لمعاناة عرضتها المسلمون وحدهم ، وقد قالت طالبة صغيرة غير مسلمة في الهند ، لطالبة صغيرة مسلمة ، سنخرجكم من هذا البلد ، وليس لكم من يعينكم ، أنتم معذبون ، في البوسنة والهرسك ، يقتلكم الصرب ، ومعذبون في الصومال ، تتقاتلون فيما بينكم وأخرجتكم إسرائيل ، وأنتم معذبون في بلدانكم .

يعرف اعداء المسلمين أنهم إذا اتخذوا أي إجراء ضد المسلمين فليس هناك من يتصدى لهم ، أما الكلام والاحتجاج ، فهم يملكون لباقة لتحوير الكلام ، ولو عرفوا النتائج السيئة لما اقحموا أنفسهم في أي مغامرة ، ومثال ذلك أن أعضاء منظمة شيوسينا في بومباي يعلنون بأنهم سيخرجون المسلمين من بومباي ، ويمنعون المسلمين من العودة إلى عملهم

في المعامل والمصانع ، وهم واثقون بأن هذه الإجراءات لن تحدث لهم مشاكل ، ولا يستطيع أي بلد إسلامي أن يتخذ أي إجراء ضد العمالة الأجنبية ، ولو علموا أن هذا التهديد سيؤدي إلى تهديد لاخوانهم لما خطر ببالهم هذا الإجراء ، ولاتخذت الحكومة الهندية إجراء ضدهم

إن مشاكل المسلمين في العالم كله مهما تعددت أسبابها ، وخلفياتها ، وعناصرها ، تتحد في مشكلة واحدة ، وهذه المشكلة هي غياب الإرادة الإسلامية ، والانطواء الإسلامي ، في القضايا التي تهم الأمة الإسلامية ، وقد ظهر هذا النوع من التخاذل في الصومال ، وتدخلت القوي العالمية ، ويظهر الآن في أفغانستان ، وإذا اشتد الخصام ستتدخل القوى العالمية لتسوية النزاع القائم ، وكذلك تأخر اهتمام المسلمين بالأوضاع في البوسنة والهرسك بينما وجهت أوربا الصليبية ثقلها إلى الصرب ، إن المسلمين فقدوا بهذا التردد في اتخاذ الإجراءات اللائقة بهم ، قوتهم في العالم ، وفقدوا مهابتهم ، وذهب رعبهم ، وان أكثر من خمسين بلداً لهم لا تستطيع أن تؤثر على بلد واحد ، يشكل جزء يسيراً من الأرض ، فإنهم أنفسهم يحاربون المسلمين ويحاربون الإسلام ، ويسعون إلى أن تجف منابع قوة الإسلام ، ولا حل لشاكل المسلمين إلا أن يعود إليهم الوعي الذاتي ، وينتقل هذا الوعي إلى العمل وفرض الإرادة والتضحية في سبيله ، وتصبح مصلحة الإسلام فوق كل مصلحة .

وهذا هو التفسير الحقيقي للأحداث الدامية التي يمر بها المسلمون في العالم ، أما التفسيرات الأخرى لتحليل الأحداث تحليلات سياسية واقتصادية ، وعنصرية ، فهي تفسيرات طارئة لا تغير من الوضع ، ولا تجدى نفعاً

....

قراءة في كتاب :

« مصـــارف الـــزكاة »

خورشيد أنور البجنوري الندوي

كلنا يعلم أن الزكاة ركن منصوص من أركان الإسلام ، لقول رسول الله -ﷺ- : « بني الإسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً (رواه الشيخان) .

والزكاة مصارفها معلومة محددة حصرتها الآية القرآنية في ثمانية أصناف ، وهي في سورة التوبة الآية : ٦٠ ، قال الله تعالى : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله • وابن السبيل • فريضة من الله والله عليمٌ حكيمٌ ﴾ ، ولم تزل هذه الصنوف كلها متفقاً عليها ، فذهب جمهور العلماء والفقهاء إلى أن المراد من ﴿ في سبيل الله ﴾ المجاهدون في سبيل الله الذين يقاتلون في سبيل إعلاء كلمة الله ، إلا أن الإمام أحمد بن حنبل أدخل في هذا المصرف حجاج بيت الله كذلك .

ولكن بعض العلماء في العصر الحاضر بدأوا يتوسعون في بيان مدلول ﴿ في سبيل الله ﴾ توسعاً زائداً يبطل الهدف الأصيل والغاية المتوخاة من الزكاة ، فقالوا : يجوز صرف الزكاة في كل عمل خيري سواء كان طلب العلم ، أو عملية التحقيق والتصنيف ، أو إدارة المدارس والأكاديميات والمجامع العلمية أو غير ذلك .

ومن بين هؤلآء العلماء الذين قدموا نظرية التعميم لمفهوم ﴿ في سبيل الله ﴾ فضيلة الشيخ محمد شهاب الدين الندوي (رئيس الأكاديمية الفرقانية بنجلور- الهند) والشيخ رشيد رضا المصري ، أما الدكتور يوسف القرضاوي فاختار التوسيع بدل التعميم ، والأمير صديق حسن

ذهب إلى التعميم أولاً ثم رجع إلى قول الجمهور كما أثبت ذلك مؤلف هذا الكتاب .

هذا الكتاب باللغة الأردية ، ألفه فضيلة الشيخ عتيق أحمد القاسمي ، وتناول فيه موضوع الزكاة ومصارفها ، ببحث وتمحيص ، وهذا الكتاب في الواقع رد على وجهات النظر التي تعمم مفهوم « في سبيل الله » وتجعله يشمل كل عمل خيري ، فأثبت المؤلف في ضوء الاستدلالات القوية من الأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء الجهابذة ، وأئمة الفقه والسنة أن « في سبيل الله » لا يعم بل يخص ، ويشير إلى مصرف خاص من مصارف الزكاة وهو الجهاد في سبيل الله ، والمراد من الجهاد القتال والغزو في سبيل الله لا الجهاد العلمي ، والقلمي ، واللساني ، كما يزعم بعض علماء هذا العصر .

وقصة هذا الكتاب أن فضيلة الشيخ محمد شهاب الدين الندوي كان كتب مقالة باللغة الأردية نشرت في مجلة (برهان) الصادرة من دلهي (الهند) حول موضوع « نظام الزكاة في الإسلام ونصيب المؤسسات الإسلامية منها » قد دعا فيها صاحب المقال إلى تعميم مصرف الزكاة السابع وهو « في سبيل الله » ولم يكتف بذلك بل عاب على العلماء والمسئولين عن المدارس الإسلامية ، وأصحاب الفتيا ، ووجه النداء إلى العلماء وأصحاب الفتيا أن يعدلوا فتاواهم ويفتوا بتعميم مصرف « في سبيل الله » وإعطاء الزكاة لكل من يقوم بأي نوع من الجهاد قتالياً كان أم علمياً مثل المؤسسات والأكاديميات الإسلامية التحقيقية ، فرد عليه فضيلة الشيخ عتيق أحمد القاسمي أستاذ الفقه والحديث في دارالعلوم التابعة لندوة العلماء ، بمقالة حول موضوع : « نظرة تحقيقية على مصرف الزكاة « في سبيل الله » » ونشرتها مجلة (الفرقان) الصادرة من لكناؤ ، ثم ألف فضيلة الشيخ شهاب الدين الندوي كتاباً حول الموضوع في ثلاثة مجلدات سماه : « من الذين يستحقون الزكاة.؟ .. » طبع منها مجلدان والثالث في الطريق .

فهذا الكتاب الذي نحن في الحديث عنه يحتوي على البحث الذي نشر في مجلة (الفرقان) في ثماني حلقات ، ثم تناول المؤلف كتاب فضيلة الشيخ شهاب الدين الندوي المذكور أعلاه ؟ بالنقد في أسلوب علمي هادئ رصين يقول :

« لم تزل توزع أموال الزكاة في ضوء هذه الآية الكريمة منذ العهد النبوي إلى عصرنا هذا ، ولم تزل الدول الإسلامية والأغنياء المسلمون يؤدون الزكاة إلى هذه المصارف لا غير ، ومصرف الزكاة السابع في ضوء هذه الآية هو ﴿ في سبيل الله ﴾ ، وعند جمهور المفسرين والفقهاء المراد من ﴿ في سبيل الله ﴾ المجاهدون والمقاتلون في سبيل الله ، وتؤيد هذا المعنى الأحاديث الصحيحة ، وآثار الصحابة والتابعين ، ويؤثر عن بعض الصحابة والفقهاء والمجتهدين أن حجاج بيت الله ﴿ إذا انقطعت بهم السبل ﴾ يدخلون في مصرف ﴿ في سبيل الله ﴾ أيضاً ، ولم ينقل عن الصحابة والتابعين والمفسرين والمجتهدين كلهم سوى هذين التفسيرين ، ولم يزل عدم دخول الأعمال والشئون الأخرى الخيرية سوى الغزو والحج في مصرف ﴿في سبيل الله﴾ مجمعاً عليه، كما سيظهر بالتفصيل الآتي » (مصارف الزكاة : ص/١٥) .

وتناول المؤلف آراء العلماء الآخرين ووجهات نظرهم مثل الشيخ رشيد رضا ، والأمير صديق حسن ، وأمين أحسن الإصلاحي ، والدكتور يوسف القرضاوي ، بتحليل واستعراض علمي محايد في ضوء القرآن والسنة .

وفي الأخير أُلحق بالكتاب مقال حول موضوع « آل محمد - ﷺ - والزكاة » نشر في مجلة (الفرقان) أيضاً ، وذلك لأنه يتعلق بموضوع الزكاة كما أشار إليه المؤلف في مقدمته ، فجاء هذا الكتاب كمجهود علمي وجيه في تحقيق مصارف الزكاة وخاصة في تحقيق مصرف ﴿ في سبيل الله ﴾ وتبيين المعنى الحقيقي والمراد الأصيل منه ، فجزاه الله خيراً .

••• •• •••

إلى رحمة الله :

فضيلة الأستاذ عبد النور الندوي - رحمه الله -

انتقل إلى رحمة الله تعالى فضيلة الأستاذ عبد النور الندوي أستاذ بكلية اللغة العربية في دارالعلوم ندوة العلماء لكناؤ في ٧/من شعبان ١٤١٢هـ المصادف ٢١يناير١٩٩٢م . فإنا لله وإنا إليه راجعون .

الأستاذ عبد النور الندوي -رحمه الله- من جيل الستينات ، الذي تخرج من دارالعلوم لندوة العلماء بامتياز . وإنه بعد تخرجه من مرحلة الفضيلة عين أستاذاً في دارالعلوم أحمدية سلفية بدربهنگه لمدة سنتين . وبعد ذلك بمدة سافر إلى القاهرة لتلقى العلوم الأدبية في الأزهر . حيث مكث أكثر من خمسة أعوام . وأحرز شهادة الماجستر بامتياز من قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية في الأزهر وأعد رسالة لنيل هذه الشهادة بعنوان « الذوق الأدبي » وفي أوائل الثمانيات انتدبته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض لتدريس اللغة العربية في المعهد . ولكنه رجع إلى جامعة ندوة العلماء على حساب رابطة العالم الإسلامي كأستاذ مبعوث . وتابع نشاطه العلمي والأدبي هنا . وشارك جميع البرامج الأدبية والعلمية . حتى إذا قامت رابطة الأدب الإسلامي العالمية أسهم في برامجها وأنشطتها بحماسة و إخلاص . وعين سكرتير الرابطة في مكتب الرابطة بندوة العلماء وأدى مسئوليته بعناية بالغة . وشارك مؤتمر رابطة الأدب الإسلامي العالمية في استنبول عام ١٩٨٩م مع وفد ندوة العلماء برئاسة سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي رئيس الرابطة .

وقام قبل مدة بالجولة الأدبية برفقه وفد رابطة الأدب الإسلامي إلى مدن الهند الكبرى برئاسة سعادة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي الأمين العام للرابطة ونائب الرئيس العام

كان الأستاذ عبد النور يمارس واجبه التعليمي والأدبي بنشاط إذ أصيب بمرض السكر والضغط الدموي الذي أثر على الكبد والكليتين مما جعله طريح الفراش . ورغم المعالجات الطبية والتدابير المثيرة التي استخدمت في علاجه لم يكتب له الشفاء . و وافاه الأجل في يوم الأحد ٢١ من يناير وصلى عليه سماحة العلامة الندوي في جمع عظيم من طلبة دارالعلوم وأساتذتها .

جزاه الله خيراً وغفرله زلاته . وألهم أهله وذوية الصبر والسلوان . وجعله ممن أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشـــأهــا :

نقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الإسلامي

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

العدد الثالث - المجلد الثامن و الثلاثون

ذو القعدة ١٤١٢هـ-أبريل ومايو ١٩٩٢م

المــــــراسلات :

البعث الإســـلامـــــي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٢ لكناؤ - الهند

ALBASS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama

P. O. Box, 93,. Lucknow (INDIA)

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمـــنـاجـبـه :

مستقبل المسلمين في العالم

يبدو أن القوى المعادية بجميع قطاعاتها ومعسكراتها وأنظمتها مكبة على إبادة المسلمين في العالم كله . فقد كان أهلها يستخدمون وسائل الغزو الفكري المنوعة لتغيير الفكر الديني والعقدى للمسلمين ، ولقطع صلتهم عن منبع قوتهم ومصدر توجيههم ، وصهرهم في بوتقة التحرر والانطلاق ، ولتحقيق هذا الغزو عملياً وتنفيذه في الواقع الاجتماعي لدى المسلمين جاءت الحضارة الغربية بفلسفتها وأفكارها وأساليبها المادية واسترعت انتباه المسلمين وبهرت عيونهم بوجه عام ، مما جعل طبقة منهم في كل مكان ترى إليها بنظرة كلها إعجاب وتقدير ، وتعتبرها أفضل حضارة تجمع بين أساليب العمل وزخرفة المظاهر ، وتشق الطريق للإنسان إلى التقدم في مجالات الحياة المختلفة من التعليم والتصنيع والرفاهية والترف المادي .

وُجد في هذه الطبقة من المسلمين عدد كبير من المثقفين الذين صاغوا حياتهم في قالب الحضارة الغربية فكرياً وعملياً ، وأصبحت فكرتهم عن الدين الإسلامي متغيرة ، فكانوا لا يرون إلى الدين إلا من خلال المنظار الحضاري الجديد ، فيفصلونه عن صميم الحياة ويخصصون له ركنا ينزوى فيه ، ولا يبرز منه إلا في مناسبات دينية خاصة يحتاج فيها الإنسان إلى إجراء بعض الطقوس والعادات التي لا تتم إلا بالدين .

هكذا كان لهذا الغزو الفكري والحضاري دوره في تغيير فكر المسلمين وإضعاف صلتهم بالعقيدة والإيمان ، واستمر على ذلك إلى مدة طويلة ، ولكن التجارب التي أجريت في هذا المجال أثبتت في الفترة الأخيرة *للتاريخ أن هذا الغزو الحضاري والفكري قد أخفق في منح الإنسان ما*

يفتقر إليه من أمن وهدوءٍ ورفاهية في الحياة والمجتمع وأفلس في القيم والمثل العليا .

حيث إن أنصاره طفقوا ينسحبون عن ساحته ويتوانون عن تأييده ونصره . فكان ذلك مؤشرا على أن هذا الأسلوب قد فقد غناءه في فصل الدين عن الحياة واعتباره قضية خاصة لا مساس لها بالشؤون الاجتماعية والسياسية ، كما تم له في الماضي .

من هنالك وبعد انقطاع الأمل في تضليل المسلمين بهذا الأسلوب الشامل من الغزو الفكري والحضاري ولا سيما بعد التجارب المريرة التي اجتازتها الشيوعية في مهدها وبعد انذياب فلسفتها في أجواء الاتحاد السوفياتي الذي ذهب ضحية الشيوعية ودفن في مهده ، تنبه زعماء الغزو الفكري إلى أنه قد صلد زنده ولم يعد له تأثيره المطلوب في العالم المتغير الذي تطور فيه العلم وتثقف فيه الإنسان ، وتوصلوا إلى أمضى سلاح وأسرع طريق في إزاحة المسلمين عن مكانة العز والسيادة ، وذلك هو طريق التصفية الجسدية بالهجوم المسلح الماغت وقتل الأرواح وانتهاك الحرمات وهتك الأعراض أو بإهانة مقدساتهم وشعائرهم والمنع عن أداء مسئوليتهم في سبيل الحفاظ على الإيمان ونشر تعاليم الإسلام والقيام بالدعوة والتربية والتوجيه بوسائلها المعروفة ، وبتعبير آخر : انتقلوا من أسلوب الغزو الفكري إلى أساليب العنف والكراهية ونفّذوها في كثير من الدول التي سكانها مختلطون ويعيش فيها المسلمون مع غير المسلمين أو يعانون فيها من محن وكوارث طبيعية وغير طبيعية ، ذلك كالصومال وفلسطين المحتلة والبوسنة والهرسك والهند بعد هدم المسجد البابري ودول مسلمة عديدة أخرى . فإن الأحداث التي مرت على مجتمعات المسلمين في هذه الدول كانت أشد من المآسي الإنسانية التي يحكيها التاريخ وتقشعر من مجرد سماعها الجلود .

والذي يجرى الآن في هذه الدول من نكبات ومحن فرضت على سكانها

لمسلمين ، ليس إلا جزءاً من هذه المسرحيات التي ابتدعوها لتصفية لمسلمين وإذابة وجودهم الإسلامي ، فذلك أخصر طريق من الغزو الفكري الذي يجتاز بمسافات طويلة ويمر بطرائق ملتوية ، ثم يأتي بنتائج لا تكون مضمونة مائة في المائة ، بل وقد يكون باعثاً على مزيد من التصلب في الدين والعقيدة ، وحتى إن عدداً من القائمين بهذا الغزو والمتشددين فيه هُدوا إلى الإيمان بالله ورسوله ، واعتناق الدين الإسلامي بغاية من الاقتناع وارتياح الضمير .

إن الأنشطة المعادية لمحاربة المسلمين التي كانت تتم بالأساليب الأكاديمية والعلمية ، وباسم الاستشراق ، الذي كان قويا نشيطاً في فترة ماضية من التاريخ ، كانت تتطلب الصبر والانتظار ولم تكن ذات تأثير سريع ، فاكتشف الخصوم الدهاة طريقا أسرع فاعلية وأنجح مكيدة ، وهو ما سموه بالاستعمار ، ويعني ذلك استعباد الشعوب المسلمة بوجه خاص وفرض السيطرة والحكم على بلدانهم ، وإخضاعهم لسياستهم الاستعمارية في كل شأن من شئون الحياة ، ولكن ذلك لم يدم إلى مدة طويلة ، فسرعان ما تنبهت الشعوب المسلمة على مكانتها ، وقوى لديها الشعور بالعبودية والخضوع للحكم الأجنبي ، وهنالك بدأت مشاعر الحرية والاستقلال تنمو في هاتيك الشعوب وتحولت أخيرا إلى حرب تحرير خاضها المسلمون في الدول المستعمرة ولم يتوقفوا عنها ما لم يتم الاستقلال ورحيل الاستعمار بخيله ورجله من بلدانهم .

ولما طُوي بساط الاستعمار الأجنبي في بلدان المسلمين ، وانقرض عهد الاستعباد السياسي لشعوب العالم ، وتحررت بلدان المسلمين شرقاً وغربا من براثن الحكم الأجنبي ، استقل الفكر الديني وتمتع بالنمو والقوة في مجتمعات المسلمين ، وعادت الثقة بالدين إلى نفوسهم واستقرت في أعمالهم وأفكارهم ، وهنالك كانت صحوة إسلامية شملت جميع بلدان ومجتمعات المسلمين ، وأصبح لها تيار يغشى الأجواء ، ويجرف الأهواء ، ويهدد بذهاب ريح القوى المعادية التي تشكلت بأشكال متنوعة ملونة من

النظريات والفلسفات والحضارات والأنظمة الباطلة ، والتي قامت كمعاول الهدم والتخريب ضد المسلمين إلى مدة طويلة .

فكان الانتقال من هذه الطرق والأساليب إلى اختيار وسائل العنف والتصفية السريعة أنجع علاج لهذه الصحوة الإسلامية العارمة ، وقد تم تنفيذها في الفترة الماضية القريبة في مجاعة الصومال و إبعاد الفلسطينيين المسلمين ورميهم إلى مكان بعيد لا تتسنى منه العودة بدون أوى ومرافق إنسانية ، والغارة على المسلمين في البوسنة والهرسك من غير هرادة ولا رحمة ، وتدميرهم كلياً ، وكذلك إبادة المسلمين باسم الاضطرابات في الهند ، على أيدى المتطرفين الذين ينادون بطرد المسلمين ويسمونهم « غزاة أجنبيين » .

في هذه المحاولات وبين تيارات جارفة من المخططات الإبادية الشاملة أصبح المسلمون « أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام » وذلك يتطلب منهم موقفاً إيمانياً صارماً وجراءة خلقية كاملة وقدوة دينية خالصة ، حتى يتسنى لهم المرور من هذه المحن والكوارث كالابريز الخالص من النار ، وينفحر أعداؤهم في هذه الأساليب العفنة - بمشيئة الله تعالى - كما أخفقوا في المخططات السابقة .

لذلك فإن المسلمين في العالم كله مسئولون عن العودة الكاملة إلى الدين الخالص والقيام بتعريف الإسلام إلى الذين لا يعرفونه ، وتمثيل الحياة الإسلامية الكاملة في جميع قطاعات الحياة والمجتمع بالسلوك والعمل ، وبذلك يتحقق فيهم وعد الله بالاستخلاف في الأرض وتمكين الدين المرتضى لهم وتبديل الخوف أمنا ، الم تروا كيف يقول الله تعالى وهو يخاطب الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، ويعطيهم الوعد والضمان :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكِّننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدِّلنَّهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ .

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي

نظرات في سنن أبي داؤد

الحلقة الرابعة

لسماحة الشيخ العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي

عرض وتعليق بلال عبد الحي الحسني الندوي

في سنة ١٣٢٥هـ حين بلغ الشيخ أربعا وستين سنة من عمره ، جاء الوقت الموعود المقدر لتأليف هذا الكتاب . فذكر أمنيته القديمة التي لم تفارقه مدة حياته الدراسية والتأليفية لتلميذه الذي ظهرت عليه آثار النجابة والنبوغ واختص بالشيخ اختصاصا لم يكتب لغيره . وهو العالم الناهض محمد زكريا (١) (ابن صديقه مولانا محمد يحيى الكاندهلوي) الذي تخرج من المدرسة حديثا وعين مدرسا صغيرا فيها وذكر أنه لا يزال عنده حنين كامن لتأليف هذا الكتاب . إلا أن الأسباب لم تتهيأ له . وقد وهنت قواه وضعف بصره . وكان أكبر الاعتماد في إنجاز هذا العمل على والده العظيم الشيخ محمد يحيى (٢) الذي رزق قسطا من الذكاء وحسن الملكة في علم الحديث . وكان من أنجب تلاميذ الشيخ الإمام المحدث مولانا رشيد أحمد الكنكوهي (٣) وكان شديد التجاوب معه . عجيب التوارد في المباحث العلمية . والمسائل الغامضة الدقيقة خصوصاً في تطبيق الحديث والفقه . وبيان الحجج والدلائل للمذهب الحنفي وقد توفي - رحمه الله - في سنة ١٣٣٤هـ . ففقد لوفاته العضد الأيمن والمساعد الأكبر . وحزن عليه حزنا شديدا لخسارة العلم ورزيئة صناعة

(١-٢-٣) مضت تراجمهم .

التعليم فيه ، وكان دائما يشعر بمكانه الشاعر وقال له وهو يمشى معه رة : إذا ساعدتني أنت وزميلك حسن أحمد (١) في تأليف هذا الشرح لعل ذلك يحقق أمنيتي .

ولما وصل الشيخ الكبير إلى هذه النقطة من حديثه اهتز له تلميذه لحبيب وصادف ذلك رغبة ملحة دمينة في نفسه في الحرص على خدمة لحديث الشريف والمثابرة عليه ، والتفاني فيه ، وإفناء العمر والقوى في سبيله ولم يكن يجد لذلك سبيلا ولا يصدق أنه ممكن ، لأنه الآن في لشوط الأول من التدريس ، فمتى يصل إلى الاشتغال بكتب الحديث كيف تتأتي له هذه الفرصة ؟ فكان قد دعا الله مخلصاً ومبتهلا حين قرأ اتحه الفراغ على والده وأستاذه ، أن لا ينقطع عن الاشتغال بالحديث يطل حياته عاكفا عليه بالتدريس والتأليف ، فكأنما تكلم الشيخ على سانه ، وعبر عن جنانه ، وتحقق حلمه اللذيذ الذي كان يراه بعيد المنال صربا من المحال ، فلم يتمالك نفسه وانفجر قائلا « هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا » ولعل الله أجاب دعائي وقص عليه القصة بطولها وفرح الشيخ ودعا له بالتوفيق ، وأملى أسماء كتب يستعان بها ي هذا الموضوع ، وابتدأ العمل من غد ، وكان ذلك لليلة خلت من ربيع لاول سنة خمس وثلاثين وثلاث مائة وألف .

وكان منهج التأليف أن الشيخ كان يرشد إلى مظان الموضوع في الكتب التي جمعت وتوجد في مكتبة المدرسة وكان التلميذ يجمع المواد العلمية ما كتبه المتقدمون من الشراح والمؤلفين ويقرأها على الشيخ فيختار منها ما يستحسنه ، ويملى الشرح ، واستمر العمل ، والشيخ لا هم له ولا

---

(١) كان من تلاميذ الشيخ الأذكياء المرجوين ومات شاباً - رحمه الله - .

لذة إلا في هذا العمل الذي يعده من أعظم القربات ومن أفضل العبادات ، والتلميذ لا شغل له - إلا ساعات تمضي في دروس معدودة - إلا مطالعة الكتب وجمع المواد وعرضها على الشيخ .

ومضت على ذلك تسعة أشهر . وتم شرح الجزء الأول في سلخ ذي القعدة ١٢٢٥هـ ، وكان الشيخ قد ملكته فكرة هذا التأليف وتغلغلت في أحشائه ، وخالطت لحمه ودمه ، وسيطرت على مشاعره وتفكيره وذوقه ، حتى كان آخر ما يفكر فيه قبل النوم وأول ما يهتم به عند اليقظة ، وحق له أن ينشد بلسان الشاعر الحماسي .

أ آخر شئ أنت في كل هجعة ؟ و أول شئ أنت عند هبوبي

ولا يفهم ذلك إلا من أكرمه الله بالغرام بمبدأ سامٍ ومقصد رفيع ، فكان ذلك عنده مقياس الرضا و وسيلة القرب ، فبمقدار غناء الرجل في هذا العمل وإعانته عليه ومساهمته فيه ، كان حظياً عنده ، وجيهاً في عينه ، وقد عرف الناس ذلك وانتفعوا به ، وتقربوا بسببه إليه ، ذكرني هذا بما ذكره القاضي ابن شداد (١) عن السلطان صلاح الدين الأيوبي (٢)، يقول :

---

(١) هو أبو المحاسن يوسف بن رافع القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد (٥٢٩-٦٢٧هـ) برع في الحديث والتفسير والأدب كان من ندماء السلطان صلاح الدين الأيوبي وخواصه سمع السلطان منه الحديث و ولاه قضاء العسكر والحكم بالقدس ثم اتصل بعد وفاة السلطان بخدمة الملك الظاهر وحل عنده في رتبة الوزارة ، ألف في سيرة السلطان وسماه (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) وهو خير مرجع في سيرة السلطان .

(٢) هو أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شادي الملك الناصر (٥٢٧-٥٨٩هـ) نصر الله به الإسلام والمسلمين ورد غارة الصليبيين واسترد بيت المقدس بعد ما بقي في أيدى النصارى تسعين سنة وخلص مصر من دولة العبيديين الملاحدة إلى غير ذلك من المفاخر والمآثر التي قلما اتفقت لغيره بعد عصر الخلفاء الراشدين . (وفيات الأعيان لابن خلكان : ١٢٩/٧، السلطان صلاح الدين الأيوبي ، للعلامة أبي الحسن الندوي) .

« ولقد كان حبه للجهاد والشغف به قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاءاً عظيماً ، بحيث ما كان له حديث إلا فيه ولا نظر الا في آلته ، ولا كان له اهتمام إلا برحاله ، ولا ميل إلا إلى من يذكره ويحث عليه » .

« وكان الرجل إذا أراد أن يتقرب إليه يحثه على الجهاد » (١) .

ومن يقرأ كتب التراجم والطبقات يرى أمثلة هذا الشغف والاستغراق عند كثير من العلماء و المؤلفين و العظماء و المصلحين في مشاربهم وأذواقهم .

وإذا استولى هذا الحب على إنسان وجرى منه مجرى الروح والدم أتى بالعجائب ، وكان مصدر إلهام وتوجيه . وقد وقع للشيخ بعض حوادث غريبة فمنها أنه رأى مرة فيما يرى النائم كأن منبهاً ينبهه على خطأ في هذا الشرح ، وقد فرغ منه فلما استيقظ دعا تلميذه الشيخ محمد زكريا وأخبره بهذه الرؤيا ، ولما راجع هذا المقام وجد أن فيه خطأ فأصلحه .

وكان العمل قائماً على قدم وساق وكان الشيخ منصرفاً إليه بقلبه وقالبه ، وتلميذه مقبلاً عليه بجميع قواه ومواهبه ، إذ عرضت للشيخ رحلة إلى الربوع المقدسة ، مهبط الوحي ومدرسة الحديث الأولى ، وأبدى التلميذ رغبته - بما رأى من حرص الشيخ على إتمام هذا الكتاب وضعفه وعلو سنه - في المرافقة . فقبلها الشيخ مسروراً وأمل في تمام هذا العمل ، وتوجه على بركة الله إلى الحرمين الشريفين وذلك في شهر شوال سنة ١٢٤٤هـ ، ولم يزالا مكبين على إتمام هذا الشرح ، منقطعين إليه لا يتخلله إلا العبادة والفرائض الدينية والأمور الطبيعية ، وكان الشيخ له

---

(١) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية : ص/١٦ .

دعوات ثلاث ، وأمان عزيزة ، لا يعدل بها أمنية ، أولاها : أن تقوم في الحجاز حكومة إسلامية مستقرة ، ويسود في ظلها الأمن والسلام وتستقر الأمور ، والثانية : إكمال بذل الجهود ، والثالثة : أن يوافيه الوقت الموعود في مدينة الرسول -ﷺ- ويدفن في البقيع ، وقد أجاب الله دعواته الثلاث التي دعا بها على الملتزم وحقق هذه الأماني كلها .

ولثمان بقين من شعبان (٢١ شعبان) سنة ١٢٤٥هـ تحققت أمنيته الكبرى التي غذاها بدم قلبه فتم الشرح ، وقد كانت مدة تأليفه عشر سنوات وخمسة أشهر وزادت عليها عشرة أيام وتم الكتاب في خمسة مجلدات كبار وفي ألفين من الصفحات بالقطع الكبير ، فكان له يوم عيد ، بل يوم ما جاء عليه يوم هو أكثر فرحاً وسروراً فيه من هذا اليوم ، فعين يوماً (وهو يوم الجمعة ٢٢ شعبان سنة ١٢٤٥هـ) لضيافة علماء المدينة وأحبته وأصدقائه ، شكراً لله تعالى وإبداءاً لسروره وفرحه ، وصنع طعاماً كثيراً على طريقة أهل الحجاز وأخبر تلاميذه ومريديه وأحبته في الهند بهذا الموعد المبارك ليشاركوه في السرور والشكر .

وقد وهب المدرسة حقوق هذا الكتاب تنتفع به وهي صاحبة الامتياز في طبعه وقد طبع مرتين ، وهذه هي الطبعة الثالثة بالحروف العربية للمرة الأولى مع زيادات وإفادات مهمة للشيخ محمد زكريا الذي كان له النصيب من أول عهد تأليف هذا الكتاب ، نسأل الله أن ينفع به طلبة العلم ويجعله دخراً له في الآخرة وذكراً في الدنيا وصدقة جارية وباقية صالحة .

وكلمة عن خصائص هذا الشرح والتزامات المؤلف التي التزمها وعني بها عناية خاصة ونؤثر الإجمال والإشارة فإنما يعرف فضل هذا المجهود

العلمي من باشر تدريس هذا الكتاب مدة طويلة وعرضت له مشكلات فنية .

فمنها أن المؤلف اهتم بأقوال الإمام أبي داؤد صاحب الكتاب وكلامه في الرواة أو في إيضاح بعض ما ورد في الحديث اهتماماً كبيراً .

ومنها أنه اهتم بتصحيح نسخ السنن المختلفة المنتشرة ويراه القارئ كمثال في باب افتتاح الصلاة في حديث أبي حميد الساعدي .

ومنها الاهتمام البالغ بتخريج التعليقات والفحص عنها في كتب أخرى وذكرها ، وإذا لم ينجح في ذلك بعد التتبع البليغ صرح بذلك في غير تردد .

ومنها تطبيق الروايات بالترجمة وقد ظهرت في ذلك دقة فهمه وطول تأمله وحيث تكررت الأبواب دفع ذلك وذكر حكمة هذا التكرار ، ونضرب له مثلا : باب صفايا رسول الله -ﷺ- من الأموال وباب سهم الصفي ، فليراجع في كتاب الخراج والفيئ والإمارة .

ومنها أنه حكم في ما اختلف فيه الشراح بما يشرح الله له صدره وفتح عليه وتكلم بكلام فصل يثلج الصدر ويحل العقدة .

ومنها أن أكثر الكتب التي ألفت في الهند في شرح كتب الحديث أو في إثبات المذهب الحنفي وفي مسألة خلافية ، كان يغلب عليها في العهد الأخير الأسلوب الكلامي والاستدلال العقلي ، وتكثر فيها اللطائف العلمية ومع الاعتراف بقيمتها العلمية والكلامية وحسن قصد المؤلفين وعلو كعبهم في العلم يؤخذ عليها أنها لم تكن على طريقة المحدثين وشراح الحديث المتقدمين ، ويقل فيها الكلام على الرواة والجرح والتعديل وعلل الحديث وطبقاته وإلى غير ذلك من المباحث الحديثية ، ويستثنى من ذلك كتابان من تأليف علماء المذهب الحنفي في الهند في العهد الأخير ، أولهما: « كتاب المحلي شرح المؤطأ » للشيخ سلام الله بن شيخ الإسلام الدهلوي

الرامفوري (١) ، وثانيهما : « آثار السنن (٢) والتعليق الحسن على آثار السنن » للشيخ العلامة ظهير حسن النيموي البهاري الهندي (٣) .

أما هذا الشرح فيمتاز بأنه كتب على نهج المشتغلين بالحديث والباحثين فيه وكبار الشراح الذين تلقت الأمة شروحهم بقبول عام وانتفع بها طلبة العلم في كل عصر ، واشتمل على بحوث قيمة في أسماء الرجال وأصول الحديث ، وعارض مؤلفه الحجة بالحجة ، وكان كلامه في أكثر الأحيان محدوداً في صناعة الحديث ومتعلقاتها من الفنون .

وقد استفاد المؤلف في هذا الشرح بتحقيقات شيخه الإمام المحدث مولانا رشيد أحمد الگنگوهي التي جاءت في دروسه ، وضبطها وقيدها تلميذه النابغة الشيخ محمد يحيى وكان من خصائصه أنه يتحرز بقدر الإمكان عن نسبة الخطأ إلى الراوي ، وإذا التجأ إليه الشراح ولم يروا من ذلك بداً فصل الشيخ العلامة تأويل ذلك بما يسيغه الفهم ويقبله العاقل المنصف ، ومثال ذلك الروايات التي جاء فيها وضع الخاتم ، فقد ذهب

---

(١) هو الشيخ العالم المحدث سلام الله بن شيخ الإسلام بن فخر الدين الدهلوي أحد كبار العلماء كان من نسل الشيخ عبد الحق الدهلوي ، دخل رامبور في عهد فيض الله خان أمير تلك الناحية وانتفع بصلاته ، له مصنفات ممتعة أشهرها الكمالين على الجلالين والمحلى شرح المؤطأ ورسالة في أصول الحديث وغيرها. توفي سنة ١٢٢٩ هـ أو ١٢٢٣ هـ (نزهة الخواطر : ٢٠١/٧) .

(٢) مع الأسف أن الكتاب من أول أبواب الطهارة إلى آخر أبواب الصلاة . ولو تم لكان عملاً جليلاً .

(٣) هو الشيخ العلامة ظهير أحسن بن سبحان علي النيموي العظيم آبادي ، ولد ونشأ في بلدته ثم سافر إلى لكناؤ وقرأ على العلامة عبد الحي اللكنوي وعلى غيره من العلماء واشتغل بقرض الشعر مدة طويلة ثم وفقه الله لخدمة الحديث الشريف فشمر عن ساق الجد وصنف « آثار السنن » وهو كتاب نادر غريب ، ثم علق عليه وسماه « التعليق الحسن على آثار السنن » وله غير ذلك من المؤلفات النافعة ، توفي سنة ١٢٢٥ هـ (نزهة الخواطر : ٢٠٦/٨) .

جميع المحدثين إلى أنه وهم من الزهري ولكن مؤلف « بذل المجهود » أول ذلك تأويلا حسناً وهو مقتبس من كلام الشيخ الگنگوهي ، فليراجع ذلك في « باب الخاتم يكون فيه ذكر الله تعالى » في كتاب الطهارة .

ومنها لطائف الاستنباط التي احتوى عليها هذا الشرح ويراها القارئ منثورة في ثنايا هذا الكتاب .

ومن المباحث اللطيفة التي ظهرت فيها سلامة فكر المؤلف واطلاعه الواسع على كتب الحديث مسألة القسامة ويزول بكلامه اختلاف الروايات .

وكذلك من محاسن الكتاب ومن مواضعه المهمة التي ظهر فيها جهد المؤلف وإمعانه أحاديث الفتن والملاحم ، وقد اجتهد في تعيين هذه الفتن التي أشير إليها في هذه الاحاديث . واهتم بترجيح الراجح وعين بعضها باجتهاده واستقصائه ويرى القارئ مثاله في شرح كلام قتادة حيث جاء في الكتاب « وكان قتادة يضعه على الردة التي في زمن أبي بكر على أقذاء ، يقول : قذى وهدنة ، يقول : صلح على دخن على ضغائن » (١) .

وقد أشار في شرح حديث إلى فتنة الشريف حسين بن علي ، فليراجع ذلك في حديث عبد الله بن عمر الذي جاء فيه : « ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع (٢) » وذكر ذلك في تفصيل و وضوح ، ويظهر في كلامه في مثل هذه المناسبات ثقته بتحقيقه وجزمه بما توصل إليه في البحث والتأمل ، ولا يغلب عليه التواضع والتردد فيبعث هذا الجزم الثقة واليقين في نفس القارئ ، وهذا من سياسة التعليم وحكمة التربية ومن محاسن الشرح .

وقد يتردد الشارح في صحة لفظ ورد في حديث ، فيجتهد في تحقيقه

---

(١) بذل المجهود كتاب الفتن ، ١٧/١٤٠

(٢) بذل المجهود كتاب الفتن ١٧/١٢٤ ، طبع دار البيان للتراث القاهرة .

اجتهاداً بالغاً ولا يدخر جهداً ويرى القارئ نموذج ذلك في « باب عبيد المشركين يلحقون بالمسلمين فيسلمون » في كتاب الجهاد . فقد ورد في متن الحديث عن علي بن أبي طالب قال خرج عبدان إلى رسول الله -ﷺ- يعني يوم الحديبية قبل الصلح وقد أطال الشارح الكلام في وقوع القصة يوم الحديبية . وأثبت أن هذه القصة وقعت في غزوة الطائف وقال : لقد تحيرت في هذه القصة التي قد وقعت في حديث أبي داؤد والترمذي والمستدرك في الحديبية . فالظاهر أن الذي ذكر في أنها وقعت في الحديبية غلط من بعض الرواة بثلاثة أوجه .

وذكر هذه الأوجه بتفصيل . وذكر أن لفظ الحديبية ليس من علي بن أبي طالب بل من بعض الرواة . لأن في لفظ الرواية لأبي داؤد زاد لفظ « يعني قبل يوم الحديبية » فهذا يدل على أن لفظ الحديبية ليس في أصل السند بل زاده بعض الرواة على ما فهم من لفظ شيخه . ولو سلم أن هذه القصة وقعت في الحديبية أيضاً فالمراد بقوله ناس من بعض الكفار من قريش الذين كانوا موجودين هناك لا الصحابة . إلى آخر كلامه . فليراجع . وهذا تحقيق شريف خلت عنه الشروح .

ونقتصر في هذه العجالة على هذه الإشارات . و نحيل القارئ الذكي إلى مطالعة أصل الكتاب بانعام النظر . فكما قال الشاعر :

في طلعة الصبح ما يغنيك عن زحل

ونسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الأثر العلمي الجليل ويحبب به السنة والحديث . إلى نفوس القراء ويلهم العمل به ويرفع الهم ويشحذ العزائم إلى دراسته وخدمته . إنه على كل شئ قدير .

••• ••••• •••

مظاهر الغزو الفكري

(الحلقة الخامسة)

بقلم الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ المساعد بجامعة الأزهر وقطر

مظاهر الغزو الفكري كثيرة ومتعددة ، وتكاد تشمل جميع جوانب الحياة ، وهذه المظاهر لم تكن إلا بناء على دراسات دقيقة لأحوال المجتمعات الإسلامية ..

لقد خطط أعداء الأمة الإسلامية ، وتدارسوا الأمر فيما بينهم ، ووضعوا مخططات تنفذ بكل دقة ، وتوالت مظاهر الغزو الفكري تنتشر بين المسلمين . يساعد على ذلك أمران :

الأمر الأول : موالاة بعض حكام المسلمين للغرب

والأمر الثاني : الدعاية للنظم الغربية والتغرير بها .

ولولا هذه المساعدة ، لكان من الصعب على مظاهر الغزو الفكري أن يستشري خطرها ، وقد نجح الغزو الفكري في إعداد بعض (كوادر) تتولى القيادة ، وإدارة أمور المجتمعات ، وكانت الدعاية للنظم الغربية والتغرير بها ، تدفع الناس إلى قبول ما يأتي من الغرب - أيا كان -

ومظاهر الغزو الفكري يلمسها المراقب والباحث في كثير من القضايا ، مثل : ١ - حملات التشويه . ٢ - إحياء النزعات الجاهلية .
٣ - إبعاد العلماء عن مراكز التوجيه والسلطة . ٤ - التعليم والثقافة
٥ - الخدمات الاجتماعية .

أولاً : حملات التشويه : فإذا ما بحثنا في حملات التشويه - والتي كانت مظهراً من مظاهر الغزو الفكري - وجدنا أن هذه الحملات ، مست كل ما يتصل بالإسلام من عقائد ، ونظم ، وتراث ، وتاريخ ، وفكر ، وحياة

١ - فهناك محاولة تشويه عقائد المسلمين : بغير سند ولا دليل ، يقول رينان الفرنسي : يصور عقيدة التوحيد في الإسلام : « بأنها عقيدة تؤدي إلى حيرة المسلم ، كما تحط به كإنسان إلى أسفل الدرك » (١) .

ودائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الجديدة التي لم تترجم إلى اللغة العربية ، تعرض تحت مادة « ابن تيمية » ، أن ابن تيمية كان مسرفاً في القول بالتجسيد ، ومن ثم كان يفسر كل الآيات والأحاديث التي تشير إلى الله بظاهر اللفظ ، وقد تشبع بهذه العقيدة إلى درجة أن ابن بطوطة يروي عنه ، أنه قال من منبر جامع دمشق : « إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا ، ثم نزل درجة من درج المنبر» (٢) .

٢ - وهناك محاولة تشويه القرآن الكريم : وهي محاولة قديمة وحديثة ، وهذه المحاولة كغيرها بعيدة عن العلم والمنطق ، يقول المستشرق جب : « إن محمداً قد تأثر بالبيئة التي عاش فيها ، وشق طريقه بين الأفكار ، والعقائد الشائعة في بيئته ، فالقرآن من صنع محمد -ﷺ- ومن ملاءمات هذه البيئة التي عاش فيها » (٣) .

٣ - وهناك محاولة تشويه السنة النبوية ، وهي محاولات ضارية ، عميقة الجذور في تاريخ الحرب ضد الإسلام ، وهي محاولات تستهدف ما تستهدفه محاولات تشويه القرآن الكريم ، من عزل المسلمين عن دينهم ، بتشويه مصدريه الأساسيين : القرآن والسنة .. وهي حرب دخلت على المسلمين حديثاً عن طريق الغزو الفكري ، وقد جند أعداء الإسلام لتشويه

---

(١) انظر الدكتور توفيق يوسف الواعي ، الحضارة الإسلامية ، مقارنة بالحضارة الغربية : ص/٧٠٨ .

(٢) انظر عبد العزيز علي الحويتي ، مجلة المنهل : ع/٤٨٥، ص/١٠٨-٩٠٩، جمادى الآخرة ١٤١١هـ جدة - السعودية .

(٣) انظر الدكتور علي عبد الحليم محمود ، *الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام* : ص/٢٩، *جامعة الإمام* ١٤٠١هـ .

السنة ما جندوا من أقلام ، وكتب ، ومجلات ، وبحوث ، ومجمل محاولات الأعداء :

= الادعاء بأن هناك أحاديث لا يمكن أن تكون قد صدرت عن النبي -ﷺ-.

= والادعاء بأن محاولة وجود شئ في الحديث النبوي يمكن القطع بصحة نسبته إلى النبي -ﷺ- تاريخياً ، محاولة فاشلة .

= الادعاء بأن الفرق الإسلامية عند ما اختلفت في الآراء ، أخذ كل منها يصنع لنفسه الأحاديث التي يؤيد بها رأيه .

= الادعاء بأن الأحاديث النبوية ليست إلا سجلاً للجدل الديني في القرون الأولى (١) .

٤- وهناك محاولة تشويه شخصية الرسول محمد -ﷺ- ، وهي محاولات قديمة وحديثة ومستمرة ، تهاجم رسول الله -ﷺ- ، وتحاول أن تنال من شخصه ، ومن هؤلآء الأعداء الحاقدين على الإسلام الذين تطاولوا على شخصية الرسول الصادق الأمين -ﷺ- :

١- وليم موير في كتابه : (حياة محمد) .

٢- هنري لامنس اليسوعي ، في كتابه : (الإسلام) وقد بلغ من حقد هذا الرجل على الإسلام أن تخبط فيما يكتب إلى الحد الذي أزعج بعض المستشرقين أنفسهم .

٣- الفرد جيوم في كتابه : (الإسلام) .

٤- صمويل زويمر في كتابه : (الإسلام تحد لعقيدة) .

٥- كنبثكراج في كتابه : (دعوة المئذنة) .

٦- ا. ج. أربري في كتابه : (الإسلام اليوم) .

٧- جولد زيهر في كتابه : (تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي) .

---

(١) المصدر السابق : ص/٣٩-٤٠ .

٨- هـ أ. ر. جب في كتبه : (أ) طريق الإسلام . (ب) الاتجاهات الحديثة في الإسلام . (ج) المذهب المحمدي . (د) الإسلام والمجتمع الغربي .

٩- أ. ج. فينسنك في كتابه : (المستشرقون والإسلام) .

١٠- د.س. مرجليوث في كتبه : (أ) محمد ومطلع الإسلام .

(ب) التطورات المبكرة في الإسلام . (ج) الجامعة الإسلامية .

(د) قنطرة إلى الإسلام .

١١- ج. فون جرونبام في كتبه : (أ) إسلام العصور الوسطى .

(ب) الإسلام . (ج) الأعياد المحمدية . (د) الوحدة والتنوع والحضارة الإسلامية . (هـ) دراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية .

١٢- د. ب. ماكدونلد في كتابه : (تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية في الإسلام) .

١٣- ر. ا. نيكلسون في كتابه : (متصوفو الإسلام) .

١٤- ر. بل. في كتابيه : (أ) أصول الإسلام في بيئته المسيحية .

(ب) مقدمة القرآن .

١٥- أثر جيفري في كتابه : (مصادر تاريخ القرآن) .

١٦- يوسف شاخت في كتابه : (أصول الفقه الإسلامي) .

١٧- ارنولد توينبي في كتابه : (دراسة في التاريخ) .

١٨- فيليب حتى ، وهو مسيحي لبناني في كتابه : (تاريخ العرب) .

١٩- مجيد خوري ، وهو مسيحي عراقي ، في كتابه : (الحرب والسلام في الإسلام) .

٢٠- ابراهام كاش ، في كتابه : (اليهودية في الإسلام) .

٢١- ادوارد فرمان ، في كتابه : (تاريخ المسلمين وفتوحاتهم) .

٢٢- ج. س. أرثر في كتابه : (العناصر الصوفية في محمد) .

٢٣- د. بلاشير ، في كتابه : (مقدمة القرآن) .

٤- سنوك هورج رونجد في كتابه : (الإسلام) (١) .

وغير هؤلاء كثير .. وما أردنا الاحصاء أو الاستقصاء .. وكل هؤلاء حاولوا تشويه الإسلام ، ونالوا من شخص الرسول -ﷺ- ، فيما كتبوا ، فتانوا على الحق ، وموهوا ، وملأوا الدنيا ضجيجا بأصوات الباطل ، وهراء الجاهلين ، وسموم الحاقدين (٢) .

٥- وهناك محاولة تشويه التاريخ الإسلامي ، وهذه المحاوله من أخبث المحاولات وأكثرها خبثاً ومكرا ، فقد صور هؤلاء الحاقدون على الإسلام والمسلمين ، أن الفتوحات الإسلامية فتوحات غزو واستعمار ، وإن الخلافة الإسلامية خلافة تآمر وسفك للدماء ، وغير ذلك كثير مما لا يقره عقل ولا دين .

٦- وهناك محاولة تشويه التراث الإسلامي ، ولا يخفى أن تشويه تراث الامة ، هو تشويه للأصالة التي تنطلق منها ، وتراث المسلمين تعرض لانتهاك هؤلاء الحاقدين على كل ما هو إسلامي ، فأصابه ما أصاب غيره من الافترا والافتئات .

٧- وهناك محاولة تشويه مجال الغيب في الإسلام ، وهذه المحاوله أريد منها زعزعة الإيمان بالغيب عند المسلمين ، ولذا جاءت المحاول تشكك في كل ما لا تدركه الحواس وتفسر الجزاء عند المصدقين به ..بانه جزاء روحي ، والجنة والنار بأنها شعور نفسي .

٩- وهناك محاولة تشويه نظام الحياة الإسلامية ، وذلك بالادعاء بأنه لا يوجد نظام للحياة معروف في الاسلام ، والتهم التي وجهت الى نظام

---

(١) انظر الدكتور علي عبد الحليم محمود ، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ص/٤٥ ٤٦

(٢) المصدر السابق ص/٤٦

الحياة الإسلامية كثيرة ولكن أبرزها وأخطرها :

أولاً : اتهامهم للقوانين والنظم الإسلامية بالرجعية وعدم القدرة على مواكبة ركب التحضر والتقدم (١) .

ثانياً : اتهامهم النظم الإسلامية بالمحلية والقصور والاقليمية .

ثالثاً : اتهامهم لها بأنها عند التطبيق والتنفيذ ، تعتمد على وحشية أو همجية أو قسوة وبخاصة فيما يتصل بالرجم والقطع والجلد .

رابعاً : اتهامهم للقوانين والنظم الإسلامية بأنها لم تحظ بإجماع المسلمين عليها ، في عصر من العصور .

خامساً : اتهامهم لها بأنها تتجاهل الأقليات غير الإسلامية في ظل الدولة الإسلامية .

وهذه التهم قد أطلقها أعداء الإسلام من عير المسلمين ، وشاركهم في إطلاقها بعض المسلمين المخدوعين بالفكر الغربي .

١٠ - وهناك محاولات تشويهية أخرى ، تتصل بجوانب من الإسلام ، إن هذه المحاولات في مجموعها ، تشكل انقضاضاً على مبادئ الإسلام ، وتعاليمه ..

ثانياً : من مظاهر الغزو الفكري : إحياء النزعات الجاهلية التي لا تتفق مع تعاليم الإسلام كالدعوة إلى القومية ، والدعوة إلى الفرعونية ، والآشورية ، والفينيقية ، وما جرى مجرى هذا ، مما يتنافي مع الإسلام .

ثالثاً : الدعوة إلى التحلل والإباحية : وهذه دعوة خبيثة لأنها تطعن الأمة في أخلاقها وقيمها ، وقد شاعت في المجتمعات الإسلامية أمور تعافها الفطر السليمة ، ولكنه الانحراف الذي لا يعترف بالقيم الفاضلة .

رابعاً : إبعاد العلماء عن مراكز التوجيه والسلطة : ولا يخفى أن إبعاد

---

(١) المصدر السابق : ص/٧٨ .

العلماء عن المراكز التوجيهية أمر له خطورته . وفي بعض المجتمعات تقلص دور العلماء ، وأصبح قاصراً على خطبة الجمعة ، وبعض الأحاديث التي تخضع للعيون الساهرة والمراقبة الدقيقة ، وأصبح بعض العلماء يجرون وراء المناصب جرياً ، تدل له الجباه ، ويطلبون المناصب بما لهم من مآثر في الاتباع ، وأياد في التصفيق والتأييد .

خامساً : التعليم والثقافة : ولا يخفى أن الغزو الفكري ، ينتشر من خلال مدارس التعليم ومعاهده وجامعاته أفضل من أي مظهر آخر .

وقد دخل الغزو الفكري إلى العالم الإسلامي ، من باب يخيل إلى السطحيين من الناس أن الباب الطبيعي ، إذ حمل اسم العلم والمعرفة والتمدن . يقول القس زويمر : « المدارس أحسن ما يعول عليه المبشرون في التحكك بالمسلمين » (١) .

ومن المعروف أن المسلمين اقبلوا على هذه المدارس بكثرة كاثرة ، يردرون مناهجها . ويلتهمون كل ما احتجنته من عقيدة وفكر ، لا يميزون صحيحها من فاسدها ، ونفعها من ضرها (٢) .

وبما أن الثقافة ليست علوما ومعارف وأدبا وفنوناً فحسب ، بل مناهج فكر وخلق ، تصطبغ حياة الأمة بصبغتها في شتى صروب نشاطها ، فإن « الغزو الفكري » استطاع من خلال الثقافة ، أن يلقي بمزيج من الأخلاط الغربية المتلمسه من الفكر الغريب المنحرف ، والتوجيه الفاسد ، القائم على التخطيط الشرير (٣) ، ولذا قام الغزو الفكري بالدعوة إلى الأغراض الآتية :

١- الدعوة إلى إضعاف العلاقة بين المسلمين بقطع الروابط الثقافية

---

(١) محب الدين الخطيب ، الغارة على العالم الإسلامي : ص/٤٨ ، ط ١٣٧٤هـ .
(٢) إبراهيم النعمة ، المسلمون أمام تحديات الغزو الفكري : ص/١٢
(٣) انظر عمر عوده الخطيب ، لمحات في الثقافة الإسلامية : ص/١٦٧-١٦٨ .

وإحياء الثقافات الجاهلية .

٢ - الدعوة إلى العامية ، وإلى تطوير اللغة .

٣ - إيجاد الشعور بالتبعية الثقافية ، والشعور بمركب النقص .

٤ - دفع الجامعات إلى الاعتماد على كتب المستشرقين العلمية .

٥ - توهين جهود المخلصين الثقافية والابداعية .

٦ - تمجيد القيم الغربية ، وتسفيه القيم الإسلامية ، والدعوة إلى نبذها .

٧ - لفت المجتمعات إلى القشور ، والهائها عما يفيد وينفع .

٨ - إحياء المذاهب الفلسفية والجدلية ، والبعد عن الأساليب العلمية .

٩ - إنشاء الموسوعات التاريخية الإسلامية ، وبذر الشكوك ولي الحقائق فيها .

١٠ - الحرص على تكوين جيل مثقف يحمل رأية الاستشراق والدعوة (١) .

١١ - الدعوة إلى تدريس العلوم الطبية وغيرها بلغات غير اللغة العربية ، ليطل المسلم عنده إحساس بعجز اللغة العربية لغة القرآن .

سادسا : الخدمات الاجتماعية : والخدمات الاجتماعية مظهر من مظاهر الغزو الفكري ، وقد وجد المخططون لغزو العالم الإسلامي : أن الخدمات الاجتماعية طريق يساعد على إمرار ما يراد إمراره ، من خلال الخدمات الاجتماعية ، ولذلك أصبحت الملاجئ ، والمستشفيات ، والمستوصفات ، والجمعيات الخيرية ، و وكالات الاغاثة ، و دور الأيتام ، و المسنين ، وغيرها مراكز غزو :

و مما يلاحظ أن (الغزو الفكري) لم يقتصر على المظاهر التي ذكرنا

---

(١) انظر الدكتور توفيق يوسف الواعي ، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة العربية : ص/٧٢٢

بعضاً منها ، وإنما كانت هناك خطوات أخرى ، محسوبة ومتعددة ، على كافة الجهات والطرق ، ومن هذه المخططات :

١ - الإرساليات التبشيرية التي قل أن يخلو مجتمع إسلامي منها .

٢ - الإعداد الصهيوني والتنسيق بينه وبين الفكر الغربي .

٣ - التصنيف والتأليف في المباحث الإسلامية واستغلال قصور المسلمين فيها .

٤ - القاء المحاضرات في الجامعات أو الجمعيات الإسلامية .

٥ - إنشاء دوائر المعارف الإسلامية ، والمعاجم المختلفة .. وغيرها ..

٦ - استغلال البعثات العلمية والثقافية .

٧ - الامتيازات الأجنبية والحصانات الدبلوماسية واستغلالها .

٨ - استغلال الأقليات والطوائف والنعرات .

٩ - التعاون بين التبشير والسياسة .

١٠ - استغلال الحركات الوطنية ، والتطلعات السياسية .

١١ - استغلال فقر الشعوب ، و حاجتها ، و عريها ، و ربط الإحسان بالتبشير .

١٢ - استغلال العواطف والجوع الجنسي ، واستخدامه في خدمة الأهداف .

١٣ - الرحلات ، وجمعيات الصداقة ، والدعوة إلى العالمية ، والمجتمعات الكشفية .

١٤ - المساعدات الاقتصادية ، وربطها بتسهيلات ، وتنازلات معينة .

١٥ - الدعوة إلى الحوار الحر ، مع نبذ العقائد والأفكار ، والتجرد للوصول إلى الحقيقة (١) في زعم هؤلاء .

[يتبع]

---

(١) المصدر السابق : ص/٧٢٢ .

المسلمون يمتحنون

دكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » الرياض

هي سنة الله في خلقه ، شدة يعقبها رخاء ، وابتلاء يستوجب الصبر . تمر بالإيمان الشدة فيتبصر في نفسه ، ويقلب صفحات عمله ، لكي يبحث عن نقطة الضعف ، التي كانت هي الثغرة التي جاءت منها الشدة . فإن أناب إلى ربه واستغفر ، وتلافي الخطأ ، واحتسب ما عند الله في تحمل هذه الشدة ، فإن الله يجازيه بالإحسان إحساناً ، وبالسيئات غفراناً ، فتفرج الكربة ، ويرتاح القلب ، كما قال جل وعلا : ﴿ فإن مع العسر يسراً ، إن مع العسر يسراً (سورة الانشراح ، الآيتان : ٤-٥) قال -ﷺ- : « لن يغلب عسر يسرين » ولا يجد لذة آثار هذه السيئة ، إلا الراجعون إلى ربهم ، الناعمون بالرخاء ، الذي هو نتيجة الإنابة إلى الله جل وعلا وهي جزء من لذة الإيمان .

كما يمر بالإنسان الابتلاء الذي هو محك الإيمان ، ومحور اختبار أصالة جوهر الإنسان ، وإدراك نفاسته ، كما قال جل وعلا في سوره العنكبوت : ﴿ ألم • أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا و هم لا يفتنون • ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ (١-٢) .

فالابتلاء من الفتنة التي تساق للمسلم ، ليعرف بذلك مدى تحمله وقدرته على الصبر ، واستفادته من الموقف الذي مر عليه ، ليحسن من عمله ، وليعرض ما قام به من عمل ، وما ساد في بيئته ويقوم به من حوله : على كتاب الله ، وسنة رسوله ، فيمحّص بذلك جلائل الأعمال ودقائقها

ويزيل ما علق بها من كدر في النية والعقيدة ، والعمل والأسلوب .

ولقد امتحن الله رسله - عليهم الصلاة والسلام - وابتلي أتباعهم بما سلط عليهم في المعيشة والأمن ، وفي الصحة والولد ، لأن الابتلاء تذكير للنفس كلما غفلت ، وتنبيه لها من أمور وقعت فيها .

وامتحن رسول الله -ﷺ- في مواقف عديدة كما بان من سيرته العطرة ، وظهر الابتلاء لأصحابه -ﷺ- في حياته ، ليأخذوا منه - عليه الصلاة والسلام - الأسوة الحسنة ، والإعانة على التحمل بالإرشاد والتوجيه ، وقد ظهر هذا في مواقف كثيرة حرص فيها المشركون الإضرار بصاحب الرسالة وأتباعه بأساليب عديدة ، كما في غزوة بدر الكبرى ، وغزو أحد ، والأحزاب والحديبية ، وغيرها من المواقف التي اشتد فيها الكرب على المسلمين ، وتكالب عليهم الأعداء فيها ، وبلغت القلوب الحناجر من آثار الشدة والبلوى ، التي حلت بهم ، فميز بذلك الصادق المتجه إلى الله بقلبه عقيدة ، وحواسه كلها عملا ، من المنافق الذي يبطن الكفر ، ويظهر اتباع المؤمنين ..

فأدرك الصادقون أن النفس في حاجة إلى الطهارة ، وأن المجتمع في حاجة إلى التنقية ، وأن الأعمال إلى تمحيصها حتى تكون مقبولة عند الله ، لأن الله طيب لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيباً ، والطيبة ليست في النوعية ، وإنما في الكيفية أيضاً كما قال سبحانه : ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾(سورة الملك ، الآية : ٢)، وقد هذب القرآن الكريم النفوس الطاهرة ، بآداب تربوية عالية ، في النظرة إلى المصائب وفي إدراك ما يسبب المحن و ترمز إليه من أبعاد في تطهير النفوس :

قوة في التحمل ، وقدرة على العمل ، وإحساساً بإدراك جوانب الضعف ، وإنابة إلى الله من الخطأ وندماً على ما حصل من تقصير ، يدرك مثل هذا الدرس العظيم من قول الله تبارك وتعالى : ﴿ أو لما أصابتكم مصيبة • قد

أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شئ قدير﴾ (سورة آل عمران، الآية : ١٦٥).

ذلك أن الدنيا دار ابتلاء، يمتحن فيها الإنسان على قدر إيمانه، وبمقدار ما يكون عليه المرء من قدرة في التحمل، وصبر على المصيبة، واحتساب أثر ذلك عند الله، بمقدار ما يعظم أجره، ويثقل ميزان حسناته عند الله .. لأن القدرة على الثبات أمام المحن، والتزام ما تأمر به شريعة الإسلام، مهما كبر الامر أو صغر، نعمة من الله يهبها لمن يشاء ومنزلة إيمانية رفيعة المستوى، بعكس من يتحمل تجلداً بدون إيمان، وصبرا بدون عقيدة، فإن هذا كالبهيمة في تحملها ما يضعه الإنسان عليها من أثقال، وما يكلفها به من مشاق، فهو تحمل بلا أجر، وصبر بدون احتساب.

لكن المؤمن توجهه شريعة الإسلام بمصدريها إلى مناهج الصبر على ما يوجه إليه من امتحان، وتبصره بما يجب أن يعمل عند حلول البلاء، سواء كان في نفسه أو أسرته، أو كان في معيشته وأمنه، أو في مجتمعه وظهور الأعداء عليهم، حيث يجعل الله ذلك درساً عمليا، لكي يستيقظ منه النائم، ويدرك المقصر، وليجود في العمل تحسينا وتنقية، من خالطت أعماله شبهات، أو اعترضت سيرته مشكلات، أو ركن في حالة غفلة إلى الذين ظلموا : ميلاً بالقلب، وقدوة في العمل، وأنساً بالاتجاه.

فالمؤمن ينذر بما يوجه إليه، ليحركه إيمانه فيتدارك، كما قال عزوجل : ﴿ ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين • الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون • أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة • وأولئك هم المهتدون ﴾ (سورة البقرة، الآية ١٥٥-١٥٧).

أما غير المؤمن، فإنه ينظر إلى هذه الأمور على أنها ظواهر كونية،

ويلقى باللائمة على من حوله يميناً وشمالاً . فلا تحرك لديه ساكنا . ولا تغير في قلبه معتقداً . كما أخبر الله عزوجل . عمن هذه صفته بقوله الكريم : ﴿ وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ (سورة يونس . الآية : ١٠١) .

ممثلها أن الصفوة الأولى . وهم الرسل ثم أتباعهم بإحسان يمتحنون في إيمانهم بالمصائب والكوارث مع مكانته الإيمانية والعلمية .

مكذلك من جاء بعدهم جيلا بعد جيل . فقد امتحن المسلمون في سيرتهم الجهادية الطويلة . التي جعلها الله سببا لإنارة قلوب كثير من ابناء الأمم . في أنحاء المعمورة . وجعل الله لهم هيبة كلما كانوا صادقين مع الله في العمل والسلوك . والنية والعقيدة . ولم يتجرا عليهم عدوهم إلا بعدما ضعف الوازع الإيماني في نفوسهم . وكلما خف الجانب العملي في أداء ما افترض الله عليهم .

وظل الإسلام لا ينحسر . ورايته لا تغلب . ولكن الذي ينحسر هو النفوس التي تتهاون في شرع الله . والذي يغلب النفوس التي تضعف فى أداء ما افترض الله . فيسلط الله العدو انتقاماً وتنبيها . كما جاء في الأثر القدسي : « من عصاني وهو يعرفني . سلطت عليه من لا يعرفني » . .

والدولة العباسية لما ضعفت عن الجهاد . واستكان أبناؤها للذات الحياة . وجذبهم ذلك إلى الاستهانة بمحارم الله . طمع الأعداء في تقسيمها وتفتيتها . لأن ضعفها ضعف للمسلمين . فامتحنهم الله بمنازعات ومطامع من أعداء دين الإسلام . فقيض الله دولة فتية في الأندلس لترفع راية الجهاد هناك على يد عبد الرحمن الناصر . فكان شوكة في حلوق الأفرنج والصليبيين حقبة من الزمن . ولما دب الخلاف بين أبناء الأمة الواحدة . وتقسمت الأندلس إلى دويلات في عهد الطوائف . واستعان بعضهم بالأفرنج على بني جلدتهم وملتهم . شتت الله شملهم

وعاقبهم بتسلط عدوهم عليهم ، وطمع من ساعدهم فيما تحت أيديهم لكن راية الإسلام التي أريد لها أن تنحسر في الأندلس ، ارتفعت قوية في شرق أوربا بافتتاح القسطنطينية على يد محمد الفاتح ، فكانت نصراً مؤزراً دخل به الإسلام بلاد البلقان ، كما تثبتت به دعائم الإسلام في بلاد ما وراء النهر ، التي فتحها القائد الأموي الملهم : قتيبة بن مسلم الباهلي ، وقد كان للقائد ألب أرسلان ، كما ذكر ابن الأثير في موسوعته التاريخية : الكامل دور كبير في التصدى للطامعين في أطراف الدولة الإسلامية ، وهزائمهم المتعددة .

وفي عصرنا القريب عند ما استعمر الغرب بلاد المسلمين في أنحاء المعمورة ، أعاد الحروب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين ، التي عرفنا منهجهم فيها في حرب طويلة في بلاد الشام ، حتى أخرجهم منها صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله - فكانت إعادتهم الحديثة للحرب ضد الإسلام والمسلمين بأساليب جديدة ، وذلك بمباعدتهم عن المصدر الأول للمسلم وهو القرآن الكريم ، ومباعدتهم عما تدعو إليه تعاليمه في أمور المعاملات والعلاقات ، والأخلاق والقيم ، وكان أول ما حرصوا عليه إبعادهم عن اللغة العربية ، التي هي الصلة الأولى بدين الإسلام فهماً لتشريعات هذا الدين ، ومعرفة بمصدري التشريع فيه كتاب الله وسنة رسوله محمد -ﷺ- لأن من تخطيط قياداتهم ، وتنظيمات مفكريهم : أنكم لن تستطيعوا التغلب على المسلمين إلا بإماتة الجهاد من قلوبهم ، والجهاد لن يموت ذكره ، عندهم وهم يتفهمون القرآن وما يدعو إليه .. ولذا يجب مباعدتهم عنه ، حتى تموت تعاليم الإسلام من قلوبهم ، وإبعادهم عنه أولاً بطمس اللغة العربيه من ديارهم فكانت محن كثيرة ، ومصائب عديدة مرت بالمسلمين في افريقيا وآسيا وأوربا ، حتى نسوا إخوانهم المسلمين في ديار العرب وبعدت الشقة بينهم ، ثم جاءت الشيوعية الحمراء ، لتكون آفة عظمى ،

مصيبة ما بعدها مصيبة على الإسلام والمسلمين ، في كل مكان امتدت ليه ، وفي كل منطقة تريد ضمها إلى سلطتها ، فكانت كابوساً جثم على لسلمين في شرق أوربا ، تلك القلوب التي أنارها ضوء الإسلام أيام عز دولة العثمانية ، وقبل أن يمتحن الإسلام في تركيا بتآلب الغرب عليه ، كما كانت مصيبة عظيمة حلت بديار المسلمين في آسيا : الشمالية الغربية ، تأذى منها مسلمو الصين ، وما جاورهم ، تعمدت فيها الشيوعية الإساءة بالغة للإسلام والمسلمين : هدماً للمساجد ، وإفساداً لمواطن العبادة ، حرقاً للكتب ، وإهانة لكلام الله القرآن الكريم ، وإبعاداً للشباب عن الإسلام بالتجهيل والمتابعة ، وملاحقة للشيوخ والقراء ، حتى لا يمتد لجذر في الناشئة ، وغير هذا من أساليب عنيفة وحاقدة ، ولكن الله يمهل ولا يهمل ، حيث استيقظ المسلمون في تلك الديار ، بعد ترنح الدب لأحمر ، لكن المحن تتخطفهم ، وأدواء الأمم تنتابهم ، حيث كل يريد حذبهم إلى ما يعتقده ليفسدوا عليهم إسلامهم الذي ثبتوا عليه أيام لمحن القاسية ، وعضّوا عليه بالنواجذ بالخفاء ، خوفاً من الملاحقة التي راح ضحيتها خيرة رجالهم وعلمائهم ، فهم أمانة في أعناق المسلمين يجب أن يفتحوا لهم صدورهم لتعليمهم وإنقاذ أبنائهم قبل أن تجتذبهم الأهواء والنحل ، فالله سائل المسلمين في أي مكان إن هم تراخوا كما قال سبحانه : ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون ﴾ (سورة الزخرف ، الآية : ٤٤) .

والآن تقرع مسامعنا صيحات اخوة لنا في الإسلام في البوسنة والهرسك ، تسلط عليهم أعداؤهم وأعداء دينهم من الصرب وأشياعهم في حرب مسعورة ومحنة كبيرة ، يجب أن تحرك المسلمين في كل مكان ليقتفوا أثر المملكة العزيزة بتوجيهات خادم الحرمين الشريفين في مناصرتهم مادياً ومعنوياً انطلاقاً من مبدأ : من لم يهتم بأمر المسلمين

فليس منهم . فالمحن التي تنتاب المسلمين في أي صقع كانوا . يجب أن يجأر لها كل مسلم على وجه ليقدم ما يستطيع : تفاعلاً في العمل . ومشاركة في الآلام . ودعاء إلى الله بأن يفرج عنهم الكربة . ومساعدة بقدر المستطاع . فأحب العمل إلى الله أدومه وإن قل .

بين وزير وعطار :

ذكر التنوخي في نشوار المحاضرة . قال حدثني بعض أهل بغداد . أن عطاراً من أهل الكرخ كان مشهورا بالستر والأمانة . فركبه دين وقام من دكانه . ولزم بيته مستترا . وأقبل على الدعاء والصلاة . قدوة برسول الله -ﷺ- حيث كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة إلى أن صلى ليلة الجمعة صلاة كثيرة . ودعا بحضور قلب وتخشع لله ليفرج كربته . ونام فرأى النبي -ﷺ- في منامه . وهو يقول له : اقصد علي بن عيسى وزير المقتدر- وكان إذ ذاك في وزارته . فقد أمرته أن يدفع إليك أربعمائة دينار . فخذها وأصلح بها أمرك .

قال الرجل : وكان علي ستمائة دينار دينا . فلما كان من الغد . قلت : قد قال النبي -ﷺ- من رآني في منامه فقد رآني . فإن الشيطان لا يتمثل بي فلم لا أقصد الوزير .

فلمـــــا صرت ببابه . منعت من الوصول إليه . فجلست إلى أن ضاق صدري . وهممت بالانصراف . فخرج الشافعي . صاحب الوزير علي بن عيسى ومن الأثيرين لديه . وكان يعرفني معرفة ضعيفة . فأخبرته الخبر فقال . إن الوزير والله في طلبك منذ السحر . إلى الآن . وقد سألني عنك *فأنسيتك وما عرفك أحد* . والرسل مبثوثة في طلبك . فكن بمكانك .

ثم رجع فدخل . فلم يكن بأسرع من أن دعي بي . فدخلت إلى علي بن عيسى . فقال لي : ما اسمك ؟ قلت : فلان بن فلان بن عطار .

قال : من أهل الكرخ ؟ قلت : نعم .

قال : أحسن الله إليك في مقصدك إياي . فو الله ما تهنأت بعيش منذ البارحة ، فإن رسول الله -ﷺ- جاءني البارحة في منامي . فقال : اعط فلان بن فلان العطار ، من أهل الكرخ أربعمائة دينار ، يصلح بها شأنه . فكنت اليوم في طلبك ، وما عرفك أحد .

فقلت : إن رسول الله -ﷺ- جاءني في المنام . فقال لي : كيت وكيت .

قال : فبكى علي بن عيسى . وقال : ارجو أن يكون هذه عناية من الله بي ، وتوجيها من رسول الله -ﷺ- اصلح به أمري .

ثم قال : هاتوا ألف دينار . فجاؤا بها عينيا. فقال : خذ منها أربعمائة دينار امتثالا لأمر رسول الله -ﷺ- وستمائة دينار هبة مني لك .

فقلت : أيها الوزير ما احب أن أزداد على عطاء رسول الله -ﷺ- شيئا ، فإني أرجو البركة فيه . لا فيما عداه .

فبكى علي بن عيسى . وقال هذا هو اليقين خذ ما بدا لك . فأخذت اربعمائة دينار ، وانصرفت فقصصت قصتي على صديق لي . وأريته الدنانير . وسألته أن يقصد غرمائي ويتوسط بيني وبينهم ففعل . وقالوا : نمهله بالمال ثلاث سنين .

فقلت : لا . ولكن يأخذون مني الثلث عاجلا . والثلثين في سنتين ، في كل سنة ثلثا . فرضوا بذلك . وأعطيتهم مائتي دينار ، وفتحت دكاني بالمائتي دينار الباقية .

فما حال الحول إلا و معي ألف دينار . ثم وفقني الله بجمعها من التجارة فقضيت ديني . وما زال مالي يزيد وحالي يصلح ، والحمد لله [نشوار المحاضرة ٢/١٢٧] .

....

التوحيد والشرك وأقسامها

[الحلقة الثانية الأخيرة]

الأستاذ محمد جنيد الجاتكامي
وعميد قسم التخصص في علوم الحديث
الجامعة الإسلامية شيتاكنج - بنغلاديش

أقسام الشرك :

وفي السطور التالية عرض موجز لأهم ألوان الشرك وأقسامه :

١ - القسم الأول . الإشراك في العلم :

وهو أن تشرك بالله تعالى غيره - ولو كان نبياً - في (العلم) الذي هو صفة مختصة به جل جلاله . لقد ورد في الرد على تلك العقيدة آيات وأحاديث كثيرة . فقال تعالى : ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ﴾ (سورة الأنعام . الآية : ٥٩) . و قال تعالى : ﴿ و لو كنت أعلم الغيب لا ستكثرت من الخير و ما مسني السوء إن أنا إلا نذير و بشير لقوم يؤمنون ﴾ (سورة الاعراف . الآية : ١٨٨) . وأخرج الإمام مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : ومن زعم أن النبي -ﷺ- يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية . والله يقول : ﴿ قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله ﴾ (١) . وفي فتاوى قاضي خان من كتب الحنفية : اعتقاد أن الرسول -ﷺ- يعلم العيب كفر (ج/١ . ص/١٥٤) . وفي الفتاوى البزازية من كتب الحنفية : قال علماؤنا : من قال : أراواح المشايخ حاضرة تعلم . يكفر (فتح المجيد : ص/١٧٢) .

٢ - والقسم الثاني . الإشراك في التصرف : وهو أن تجعل لله شريكاً

---

(١) صحيح مسلم : ج/١ . ص/٩٨ .

مي (التصرف) . تلك الصفة المختصة بالله سبحانه . لقد جاء في ذم ذلك نصوص كثيرة واضحة من الكتاب والسنة . فقد قال الله تعالى : ﴿ قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون • سيقولون لله . قل فأنى تسحرون ﴾ (سورة المؤمنون . الآية : ٨٨-٨٩) . وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال قال رسول الله -ﷺ- : وإذا سألت فاسئل الله وإذا استعنت فاستعن الله واعلم ا الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك . رفعت الأقلام وجفت الصحف (١) .

٣ - **والقسم الثالث . الإشراك في العبادة :**

وهو أن تجعل لله نداً في العبادة . ومن العلوم بالضرورة أن أنواع العبادات كلها من خصائص الألوهية . فلا يجوز أن تصرف لغيره سبحانه وتعالى . ومن صرف واحدة منها لغير الله فقد اشرك بالله عز وجل . فقد قال الله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذيرٌ مبين • أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب أليم ﴾ (سورة هود . الآية : ٢٥-٢٦) . وقال تعالى : ﴿ قل إنما أدعوا ربي ولا أشرك به أحداً ﴾ (سورة الجن . الآية : ٢٠) .

٤ - **والقسم الرابع . من الشرك الاستغاثة بغير الله ودعاء غيره :**

لأن الاستغاثة والدعاء من العبادات . وقد نهى الله سبحانه عن دعاء غيره تعالى قال : ﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين ﴾ (سورة يونس . الآية : ١٠٦) . وقال شيخ الإسلام :

---

(١) مشكاة : باب التوكل والصبر .

فأما ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فلا يجوز أن يطلب إلا من الله سبحانه ، لا يطلب ذلك من الملائكة ، ولا من الأنبياء ، ولا من غيرهم ، ولا يجوز أن يقال لغير الله : اغفرلي ، واسقنا الغيث ، وانصرنا على القوم الكافرين ، واهد قلوبنا ، ونحو ذلك .

ولهذا روى الطبراني في (معجمه) إنه كان في زمن النبي -ﷺ- منافق يؤذي المؤمنين ، فقال الصديق : قوموا بنا نستغث برسول الله -ﷺ- من هذا المنافق ، فجاء إليه فقال : « إنه لا يستغاث بي ، و إنما يستغاث بالله » (١) .

وقال العلامة ابن القيم - رحمه الله - : من أنواعه - يعني الشرك - طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم - وهذا أصل شرك العالم - فإن الميت قد انقطع عمله . وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فضلاً عمن استغاث به (٢) .

٥ - والقسم الخامس ، الاستعاذة بغير الله :

معنى الاستعاذة الالتجاء والاعتصام ، فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه أو يهلكه إلى ربه واعتصم واستجار به ، فمن الشرك الخبيث الاستعاذة بغير الله ، لأن الاستعاذة من أنواع العبادات التي أمر الله بها عباده ليفردوه بها . قال تعالى : ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴾ (سورة فصلت ، الآية : ٣٦) . وقوله سبحانه : ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ .

لقد شرع الله لأهل الإسلام أن يستعيذوا بأسمائه وصفاته ، بدلاً عما

(١) الكشاف الفريد : ج/٢ ، ص/١٧-١٨ .

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، ص/١٧٢ .

يفعل ، أهل الجاهلية من الاستغاثة بالجن ، وقال ابن القيم : ومن ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ به وتقرب إليه بما يحب فقد عبده ، وإن لم يسم عبادة ويسميه استخداماً (١) .

٦ - القسم السادس ، التطير والتشاؤم :

راجت في العصور المتعاقبة ضلالة التطير والتشاؤم ، التي كانت منتشرة في عهد الجاهلية ، وأنت لا تشك معي في أن التطير أمر قائم على غير أساس من العلم أو الواقع الصحيح ، إنما هو انسياق وراء الضعف ، وتصديق للأوهام الفاسدة وعبودية للتخيلات الخاطئة .

لذلك لازم على المسلم الحقيقي صاحب العقيدة السليمة أن لا يكترث لهذه اللوثات الساقطة ، كالتشاؤم ببعض الأيام والشهور ، أو الطيور كالبوم ، أو المنازل أو الأماكن أو الأشخاص وماشا به ذلك ، لأنها أوهام جاهلية واعتقادات شركية ، فقد أخرج الترمذي بسند صحيح عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن النبي -ﷺ- قال : الطيرة شرك (٢) . وقال - عليه الصلاة والسلام - : لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل ، وقال -عليه السلام- : لا عدوى ولا صفر ، ولا هامة ، رواهما البخاري (٣) .

وقال عكرمة : كنا جلوساً عند ابن عباس ، فمر طائر يصيح ، فقال رجل من القوم : خير خير ، فقال له ابن عباس : لا خير ولا شر ، فبادره بالانكار عليه لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر (٤) .

٧- القسم السابع ، شرك السجود لأهل القبور والطواف حول القبور: ومن الشرك الأفحش ما يقوم به أجهل جهلاء الناس من الطواف

---

(١) فتح المجيد : ص/١٦٩ . (٢) فيض القدير: ج/٤ ، ص/٢٩٤ .

(٣) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان : ص/٥٧٨-٥٧٩ .

(٤) فتح المجيد : ص/٢١٥ .

حول القبور والسجود لأهل القبور - أعاذنا الله من ذلك - لأن الطواف والسجود من أرفع العبادات وأفضلها ، وقد مر أن العبادات بحذافيرها من خصائص الألوهية ، فمن سجد لغير الله أو طاف لغيره فقد أشرك في العبادة ، لقد أنكر الله تعالى ورسوله -ﷺ- ذلك بكل صراحة ، فقال تعالى : ﴿ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾ (سورة فصلت ، الآية : ٣٧) . وقال النبي -ﷺ- : لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد أخرجه البخاري (١) . وقد روى الإمام مالك في الموطأ أن رسول الله -ﷺ- قال : اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد (٢) .

والحديث يدل على أن قبر النبي -ﷺ- لو عبد لكان وثنا ، لكن حماه الله تعالى بما حال بينه وبين الناس ، فلا يوصل إليه .

إنكار ما يفعله الجهلاء والمبتدعة بقبور الأولياء والصالحين

بعد الإجمال حول هذا القسم من الشرك أقول بنوع بسط : إن الإسلام الحنيف صب سوط غضبه على ماراج وعم في العصور المتعاقبة في قبور الأولياء والمشايخ من الشركيات والبدع والضلالات الخبيثة التي كانت منتشرة في عهد الجاهلية الأولى ، كاتخاذ القبور مساجد والطواف حول القبور وايقاد النار وأن يبنى عليها بناء من بيت أو قبة وأن تكسى بالغلاف والاجتماع بعد الحول كالأعياد وتسميته عرساً ، ونحوها من الأمور المحرمة والشركيات القبيحة .

---

(١) اللؤلؤ والمرجان : ص/١٠٧ .

(٢) كتاب التوحيد للعلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب : ص/٥٧ .

فعن ابن عباس قال : لعن رسول الله -ﷺ- زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج (١) . وروى الحاكم وصححه عن ابن عباس لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج (٢). وعن جابر قال نهي رسول الله -ﷺ- أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه (٣) . وقال العلامة المفسر الكبير القاضي ثناء الله الپاني پتي : لا يجوز ما يفعله الجهال بقبور الأولياء والشهداء من السجود والطواف حولها واتخاذ السرج والمساجد عليها ومن الاجتماع بعد الحول كالأعياد ويسمونه عرساً (٤) . وفي فتاوى عالمگيري من كتب الحنفية : وإيقاد النار على القبور فمن رسوم الجاهلية (٥) . وقال الإمام شمس الأئمة السرخسي : السجود لغير الله على وجه التعظيم كفر (٦) . وقال العلامة العيني في (البناية) : في هذا الزمان لا يسجدون للسلطان إلا تعظيماً وإجلالاً . فلا يشك في كفرهم . وقال الحموي في شرح (جامع الصغير) : أما السجود لغير الله سبحانه وتعالى فهو كفر (٧) . وقال الإمام ابن القيم : ولم يكن من هديه -ﷺ- تعلية القبور ولا بناؤها بآجر ولا تشييدها ولا بناء القباب عليها . فكل هذه بدعة مكروهة مخالفة لهديه -ﷺ- (٨) .

---

(١) سنن أبي داؤد : ج/٢ . ص/١٠٥ .

(٢) التفسير المظهري : ج/٢ . ص/٦٥ .

(٣) صحيح مسلم : ج/١ . ص/٣١٢ .

(٤) التفسير المظهري : ج/٢ . ص/٦٥ .

(٥) فتاوى عالمگيري : ج/١ . ص/١٣٤ .

(٦) إعلاء السنن : ج/١٧ . ص/٤٢٢ . (٧) إعلاء السنن : ج/١٧ . ص/٤٢٤ .

(٨) زاد المعاد : ج/١ . ص/١٤٦ .

فرض الإسلام هدم البيوت والقباب على القبور

أخرج الإمام مسلم بسنده عن أبي وائل عن أبي الهياج الاسدي قال : قال لي على ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله -ﷺ- ان لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته (١) . وقال المحقق المفسر الكبير العلامة الآلوسي البغدادي الحنفي : ثم إجماعاً فإن أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها (أي القبور) واتخاذها مساجد أو بناؤها عليها ، وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور ، إذ هي أضر من مسجد الضرار لأنها أسست على معصية رسول الله -ﷺ- ، لأنه -عليه الصلاة والسلام- نهي عن ذلك وأمر بهدم القبور المشرفة ، وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر ، ولا يصح وقفه ولا نذره (٢) . وقال الإمام الشافعي - رحمه الله - في (الأم) : ورأيت الأئمة بمكة يأمرون بهدم ما يبنى ، ويؤيد الهدم قوله -عليه السلام-: ولا قبراً مشرفاً إلا سويته (٣). وقال الإمام الحافظ ابن القيم - رحمه الله - : يجب هدم القباب التي بنيت على القبور ، لأنها أسست على معصية الرسول -ﷺ- ، وقال أيضا: لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً . وكذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور والتي اتخذت أوثانا تعبد من دون الله (٤) . وقد صرح ابن حجر الهيثمي المكي في كتابه (الكبائر) : إن بناء القباب على القبور من الكبائر المحرمة بالنص الصريح ، وإن الواجب على ملوك المسلمين وأمرائهم و ولاتهم أن يهدموا هـــــذه القباب (٥) . و قال المحدث على القاري : و يجب الهدم وإن كان

---

(١) صحيح مسلم : ج/١ ، ص/٢١٢ . (٢) روح المعاني : ج/١٥ ، ص/٢٢٨ .
(٣) شرح مسلم النووي : ج/١ ، ص/٢١٢ (٤) فتح المجيد : ص/٢٤٤-٢٧٩
(٥) تعليق فتح المجيد : ص/ ٢٤٦

مسجداً (١) .

فمن الأسف الشديد أن كثيراً من المسلمين في زماننا يفعلون في أضرحة الأولياء وقبور المشايخ ما يفعله عبدة الأصنام بأصنامهم من تعظيمها وتمريغ الجباه فيها واتخاذها مساجد وإيقاد السرج وارخاء الستور وبناء القباب عليها وطلب الحوائج من أهل القبور والاستغاثة بهم واعتقاد أن لأهل القبور - وهم الموتى الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً - قدرةً على دفع الضر والبلاء وقضاء الحاجات ، وما إلى ذلك من البدع والشركيات التي صب الإسلام الحنيف جام غضبه عليها ، واستفاضت النصوص عن النبي -ﷺ- بالنهي الأكيد عنها والتغليظ الشديد فيها ، كما مر آنفاً والحديث الموجز عن ذلك ، وما شعر هؤلاء القبوريون أن هذا عين المحادة لله ولرسوله والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن به الله سبحانه وتعالى ، أعاذ الله تعالى جميع المسلمين من أمثال هذه الشركيات المظلمة والضلالات الخبيثة .

القسم الثامن . الذبح والنذر لغير الله : من الشرك الملعون الذي راج في عصرنا الذبح والنذر لغير الله من أهل القبور والأصنام ونحو ذلك ، لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نخلص جميع أنواع العبادة له دون كل ما سواه ، فإذا تقرب أحد إلى غير الله بالذبح أو النذر أو غيرهما من أنواع العبادة فقد جعل لله شريكاً في عبادته . قال الله تعالى : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴾ (سورة الأنعام ، الآية ٥٠) . وقال سبحانه : ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ (سورة الكوثر ، الآية : ٢) . وقال رسول الله -ﷺ- : لعن الله من ذبح لغير الله ، رواه مسلم (٢) .

---

(١) مرقاة : ج/٢ ، ص/٢٧٢ .

(٢) كتاب التوحيد والكشاف الفريد : ج/٢ ، ص/٢٢ ، وصحيح مسلم : ج/١ ، ص/١٦٠ .

حكم الحيوان المسمى والمنذور لغير الله :

قال الله تعالى : ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ١٧٢) . لكن الحقيقة ان الحيوان المسمى والمنذور لغير الله تعالى حرام ولو ذكر اسم الله عليه وقت الذبح ، لأنه قصد بذبحه التقرب إلى غير الله سبحانه . نعم لو تيب عن ذلك - النذر لغير الله - يكون ذلك الحيوان حلالاً ، كما صرح به عند تفسير هذه الآية ﴿ وما أهل به لغير الله ﴾ حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي في (بيان القرآن) (١) . وحجة الإسلام قاسم النانوتوي في (مكاتيب قاسم العلوم) (٢) . وأكبر علماء الهند الشيخ عبد العزيز المحدث الدهلوي في تفسير فتح العزيز (٣) . وفي الدر المختار من كتب الحنفية : ذبح لقدوم الأمير ونحوه كواحد من العظماء يحرم لأنه أهل به لغير الله ولو ذكر اسم الله تعالى ، وأقره العلامة ابن عابدين الشامي - رحمه الله - (٤) وفي بعض حواشي البيضاوي : كل ما نودي عليه لغير اسم الله فهو حرام وان ذبح باسم الله ، حيث أجمع العلماء لو ان مسلماً ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب إلى غير الله صار مرتداً و ذبيحته ذبيحة مرتد (٥) .

---

(١) بيان القرآن : ج/١ ، ص/٩٧ .

(٢) معارف القرآن للكاندهلوي : ج/١ ، ص/٢٦٧ .

(٣) قال الشيخ عبد العزيز ما لفظه بالفارسية : ودر حديث صحيح وارد است كه ملعون من ذبح لغير الله : يعني هر كه بذبح جانور تقرب بغير خدا نمايد ملعون است خواه در وقت ذبح نام خدا بگيرد يانه ، زيرا كه چون شهرت داد كه اين جانور براي فلاني است ذكر نام خدا وقت ذبح فائده نكرد (فتح العزيز: ج/١ ، ص/٧٢٩) . (٤) فتاوى الشامي : ج/٥ ، ص/٢٦٩ .

(٥) التفسير البيضاوي : ص/١٢٢ .

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز عن تفسير ﴿ وما أهل ..إلخ ﴾ : وأصل الاهلال : رفع الصوت والاعلام ، فالمقصود بما أهل به لغير الله : ما اعلن عنه انه منذور به لغير الله ، سواء كان هذا الاهلال والاعلام قبل الذبح كأن يقال . هذه شاة السيدة فلانة والسيد فلان ، فيعرف الناس ذلك ، وإنها مهل بها لغير الله ولو سمى الذابح باسم الله ، فإن هذه التسمية اللفظية لاغية ، والعبرة بالاهلال الحقيقي بما انطوى عليه من قصد التقرب به لغير الله ، وكذلك أيضاً ما سمي من الطعام أو الشراب أو غيره نذرا و قربة لغير الله ، فكل طعام يصنع ليوزع على العاكفين عند هذه القبور والطواغيت باسمها وعلى بركتها هو مما أهل به لغير الله (١) .

وأما النذر فمعناه كما يقول اللغويون : هو ما كان وعداً على شرط أو أن توجب على نفسك ما ليس بواجب لحدوث أمر ، ومن الحقيقة أن العبادات بأسرها هي من خصوصياته سبحانه وتعالى ، ومن بينها النذر - وهو عبادة أيضا - والله تعالى يقول : ﴿ يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ﴾ (سورة الإنسان ، الاية : ٧) . لذا لا يجوز حمل الذبائح والنذور إلى الأولياء والشيوخ ، أو إلى زواياهم وأضرحتهم ، والشارع الحكيم قد نهى أن تحمل النذور إلى مكان فيه صنم أو يقام فيه عيد من أعياد الجاهلية ، كما يفعل أمثال ذلك اليوم لأصحاب القبور والأضرحة من الشيوخ والأولياء ، ومن الناس من يعتقد أن المنذور لهم يملكون ويتصرفون في الأمور ، والحقيقة أنهم -أحياء كانوا أو أمواتاً- لا يملكون ولا يتصرفون في الأمور دون الله تعالى ، فاعتقاده ذلك كفر ، والعياذ بالله (٢) .

القسم التاسع ، شرك الكهان والعرافين :

ومن الشرك الفاحش ما يقوم به الكهان والعرافون من أعمال الدجل والضلال ، كإخبار الكاهن عن المغيبات في المستقبل أو إخباره عما في ضمير الإنسان ، وكدعوى العراف معرفة الشئ المسروق ومكان الضالة .

---

(١) تعليق فتح المجيد : ص/١٥١

(٢) ملخص من الكشاف الفريد : ج/٢، ص/٢٤-٢٦ .

وفي الصحيحين ومسند أحمد عن عائشة - رضي الله عنها - قالت سئل رسول الله -ﷺ- عن الكهان، فقال: ليسوا بشيء (١)، وعن النبي -ﷺ- أنه قال: من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد، رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين (٢).

فالإسلام قد نهى وحذر المسلمين من الذهاب إلى العرافين والكهان وتصديقهم، لأن فيه اثبات علم الغيب لهم، ومن الحقيقة ان علم الغيب من خصائص الألوهية لا غير، فعلى المسلمين أن يتخلصوا من ربقة هؤلاء الدجالين وأن يحموا عقائدهم من ضلال الشرك والوثنية.

ثم نقول بالإجمال: إن للشرك أنواعاً أخر، منها الاشتغال ببعض السحر، فقد قال الرسول -ﷺ-: من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك، رواه النسائي. وعن بجالة ابن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر، رواه البخاري في صحيحه.

ومنها عمل بعض الرقى وتعليق بعض التمائم، فقد حذر رسولنا -ﷺ- من اختيار هذه الأعمال الشركية و ويلاتها، فقال: إن الرقى والتمائم والتولة شرك، رواه أحمد وأبو داؤد، وقال أيضا: من علق تميمة فقد أشرك، رواه أحمد (٣).

فعلى جميع المسلمين أن يتجنبوا كل الأعمال الشركية الفاسدة والعقائد الزائغة الباطلة وأن يكونوا متبعين لا مبتدعين، لأن الخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع، وأن يعتقدوا أن الله سبحانه وتعالى هو الكفيل بقضاء الحاجات وتحقيق المطالب وإغاثة المكروب ودفع الضر والبلاء.

وصلى الله على سيدنا وسيدنا محمد وعلى اله وصحبه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين، وبارك وسلم تسليما كثيرا.

•• •••• ••

(١) الكشاف الفريد ج ٢، ص/ ٤٠
(٢) كتاب التوحيد مع شرحه فتح المجيد ص/ ٢١
(٣) ملخص من المجلد الأول من الكشاف الفريد وكتاب التوحيد مع شرحه فتح المجيد ص/ ١٢٥-١٢٠

الإيمان الصحيح الذي نريده

[الحلقة الرابعة الأخيرة]

بقلم . فضيلة الشيخ سعيد بن مسفر بن مفرح
أبها (المملكة العربية السعودية)

سؤال يطرح نفسه بعد أن عرفنا أهمية الإيمان لهذا الإنسان وعرفنا الطرق والممارسات التي سلكها الإنسان في البحث عن الإيمان ، هذا السؤال ما هو الإيمان الحقيقي الذي يرضاه الله من الإنسان . والجواب على هذا السؤال هو أن الاءيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلوب وصدقه الإيمان . وتعريفه عند أهل السنة والجماعة هو قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل وتطبيق بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان .

فليس الإيمان مجموعة من المعارف الذهنية والإدراكات العقلية ، فكم من قوم عرفوا ولكنهم لم يؤمنوا . يقول الله عن قوم فرعون : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ﴾ ويخبر الله عن الكفار أنهم كانوا واثقين من صدق الرسول -ﷺ- ولكن جحودهم وعنادهم حملهم على الكفر والرفض لهذا الدين . يقول عزوجل : ﴿ فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ . وليس الإيمان مجرد إدعاء بأنك أيها الإنسان مؤمن . فإن الادعاء سهل ولكن الإدعاء لا يثبت إلا ببينة وبرهان . ولقد

كذب الله أقواماً ادعو الإيمان فقال : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ، في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾ .

وليس الإيمان مجرد اتيان الإنسان بالشعائر التعبدية الظاهرة فقط ، فكم من أقوام يمارسونها وقلوبهم خراب من الإيمان خاوية من الهدى ، لقد كان المنافقون يصلون ويتصدقون بل ويجاهدون ولكن لم ينفعهم ذلك لأن الخراب والفساد متغلغل في داخل قلوبهم ، يقول عزوجل : ﴿ وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى • ولا ينفقون إلا وهم كارهون ﴾ فالله أثبت لهم في هذه الآية أنهم كانوا يصلون ولكن مع الكسل وينفقون ولكن على كره ، ومع هذا فهم كفار بالله وبرسوله .

أجل ما هو الإيمان ؟

لقد عرف رسول الله -ﷺ- الإيمان لجبريل - عليه السلام - حينما جاءه يسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان في الحديث الصحيح ، وأخبره أن الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت وبالقدر خيره وشره من الله تعالى .

وعلى هذا فإن الإيمان هو عمل قلبي وقناعة ذاتية تنبع من داخل النفس وتبلغ أغوارها ، ثم تحيطها من جميع جوانبها الثلاثة : الإدراك ، الإرادة ، الوجدان .

الجانب الأول : الإدراك

الإدراك الذي يعرف به الإنسان حقائق الإيمان كلها من كتاب الله ومن سنة رسوله -ﷺ- بحيث يحصل القطع والجزم بصحة ما ورد عن الله

وعن رسوله بشكل يبعث على الإذعان والاستسلام والانقياد لجميع تعليمات الشرع فلا يرفع المؤمن رأسه على أي أمر من أوامر الله ، وإنما يخضع ويسلم ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم • ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾ . ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله أن يقولوا سمعنا وأطعنا ﴾ .

إن المؤمن إذا سمع أن الله حرم الغناء انتهى وتركه . ولكن المنافق لا ينتهي وإنما يجادل ويقول لك ماذا في الغناء ؟ فإذا قلت له : إنه يزرع النفاق في القلب ويصد عن ذكر الله ، ويفسد عليك أخلاقك ويحرضك على الزنا والجريمة ، قال لك أبداً أنا أسمع الأغاني من هنا وتمترج من هنا والإيمان في القلب ، هذا مغالط وكذاب ما آمن بالله حق الإيمان ، يقول الله عزوجل : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾ .

الجانب الثاني : الإرادة

إرادة صادقة جادة تبعث على الانصياع لكل أوامر الله ، فيقوم الإنسان المؤمن بها ، من عقيدة صافية وصلاة وصيام وزكاة وحج وبر وذكر لله وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وحب في الله وبغض في الله وجهاد في سبيل الله ، وتبعث على البعد عن كل ما حرم الله ، فيحفظ الإنسان قلبه عن الشهوات والشبهات والغضب والحقد والحسد والكبرياء ويحفظ عينيه عن النظر المحرم ، وأذنه عن السماع المحرم ، ولسانه عن الكذب والغيبة والنميمة والفجور ، والسباب والشتائم ، ويحفظ بطنه من أكل الربا والرشا والخبائث والمحرمات ، ويحفظ فرجه عن مقارفة الزنا واللواط ، ويحفظ يده فلا تمتد إلى سرقة أو قتل أو حرام ويحفظ رجله

فلا تحمله إلى حرام .

وبالجملة فإن إرادات الإنسان وتصرفاته تصبح خاضعة لأوامر الله ونواهيه وتوجيهاته .

الجانب الثالث : الوجدان

بأن يحترق هذا القلب على الدين فيعيش الإنسان لدينه ويموت في سبيله ويغضب من أجله ويفرح من أجله ويوالى فيه ويعادي فيه . ويصبغ حياته كلها ، من أولها إلى آخرها ، على منواله ويبرمج أموره على ضوئه فالمؤمن ، تعرف الإيمان في وجهه وفي جليسه وفي مشيته ، تركب سيارته فتشعر بالإيمان وتسمع شريطه فتحس بالإيمان ، ترى الإيمان في كتابه وفي مجلته ، وفي شكله وفي غرفة نومه ، وفي طعامه ، وفي كل حياته لأنه خضع للإيمان .

هذا هو الإيمان الذي نريده ، أما أن ندعى الإيمان ثم نقارف الأخطاء ، ونرتكب المعاصي ، ونترك الطاعات ونهجر المساجد ونهجر القرآن ونربى أولادنا على الأفلام والفساد ، ثم نزعم أن الإيمان في القلوب ، فهذه مغالطة واضحة .

إن الإيمان الذي في القلوب له أثره على الجوارح ، فإذا آمن القلب وصدق وخضع صلحت العين ، فلم تنظر إلى ما حرم الله ، وصلحت الأذن فلا تسمع ما حرم الله ، وصلح اللسان فلا يتكلم بما حرم الله ، وصلح الفرج فلا يقع فيما حرم الله ، وصلح البطن فلا يأكل ما حرم الله ، وصلحت اليد والرجل فلا تمتد إلى ما حرم الله « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » .

إن دعوى الإيمان لا تثبت إلا ببرهان ، والدعاوي الباطلة والادعاءات الكاذبة تذهب وتزول عند الامتحان ، يقول الله عزوجل : ﴿ ألم . أحسب

الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ . إن تكاليف الشرع المثلة في أوامر الله وفي نواهيه هي اختبارات للمؤمن . والإنسان امام هذه الاختبارات إما أن يثبت وجوده ويبرهن على صدق إيمانه بالانقياد والادعان لأوامر الله والابتعاد عن نواهيه فيكون مؤمناً صادقاً . وإما أن يسقط في الطريق فيرتكب المحرمات ويترك الطاعات فهذا مفلس وكاذب . وسيأتي يوم القيامة وليس معه إلا الأماني التي هي رؤوس أموال المفاليس . يقول الحق تبارك وتعالى مخبراً عن أهل الجنة وأهل النار : ﴿ يوم ترى المؤمنين يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم • يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب • ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني • حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور • فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير ﴾ .

هكذا كان مصيرهم لأنهم خدعوا أنفسهم بالأماني الكاذبة التي انخدع بها الكثير من الناس حين يدعون الإيمان ثم لا يبرهنون على هذه الدعوى بالعمل الصالح .

إذا أراد الإنسان أن يعرف مدى صدق إيمانه . فليراجع حساباته ليفتش في سجلاته . حتى يعرف مركزه الإيماني وأين هو من الله . أين هو في سمعه . وأين هو في بصره . وأين هو في لسانه . وأين هو في بطنه وفرجه ويده ورجله . أين هو في بيته ومع زوجته ومع أولاده . أين هو في

مكتبه وفي متجره وفي مسجده .

أين هو من الإيمان ، فإن كان على الإيمان والعمل الصالح في الليل والنهار والسر والجهار ، فليثبت فإنه على الحق ، وإن كانت الأخرى فليرجع إلى الله بتوبة صادقة ، قبل أن تفوته الفرصة ، وهناك لا ينفع الندم ﴿ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ .

وعورة طريق الإيمان :

إن طريق الإيمان ليس طريقاً ممهداً مفروشاً بالورود والرياحين ، إنه طريق صعب لاحب وشائك وطويل إنه صعود إلى أعلى عليين ، والصعود دائماً شاق ، يقول النبي -ﷺ- فيما رواه الحافظ المقدسي عن أبي ذر - رضي الله عنه - « يا أبا ذر أكثر الزاد فإن السفر طويل وخفف الحمل فإن العقبة كؤود وأحكم السفينة فإن البحر عميق وأخلص العمل فإن الناقد بصير » .

إن طريق الإيمان طريق التكاليف ، والمهمات والأعباء ، طريق الصبر والجهاد .

يقول ابن القيم -رحمه الله- : « يا ضعيف العزم الطريق شاق وصعب ، ناح فيه نوح ، وقذف فيه في النار إبراهيم ومررت السكين فيه على رقبة إسماعيل وشج فيه وجه النبي -ﷺ- وقتل فيه عمر وعثمان وعلي .

ولكن هذه الصعوبة فقط ، إنما تكون في البدايات حتى إذا ما واصل الإنسان سيره في طريق الإيمان شرح الله صدره للإيمان وثبته عليه وحببه إلى قلبه ، وعندها يشعر الإنسان بالأنس والراحة والطمأنية ، إن الإنسان سيجد صعوبة حينما يتوب إلى الله ، فيترك الأغاني مثلاً ، وسيجد مرارة في قلبه وهو يمر على الأغنية التي يعرفها في الماضي ، وسيجد صعوبة وهو يغض طرفه عن الحرام ، وسيجد صعوبة وهو يقوم

لصلاة الفجر ، ولكنها صعوبات مؤقتة تنتهي وتزول مع الاستمرار في السير على طريق الإيمان وهذا شئ طبيعي فإن كل عمل يمارسه الإنسان لأول مـــــرة يبدأ صعباً و شاقاً و لكنه يصبح سهلاً بعد ممارسة و الاستمرار فيه .

إن الطفل الصغير الذي يبلغ سنة من العمر يجد صعوبة في السير أول مرة ولا يقدر على نقل قدمه إلا بمشقة بالغة . ويفرح أبوه وتفرح أمه . إذا خطا الخطوة الأولى ولكن بعد أيام وأسابيع يستطيع هذا الطفل أن يركض في المنزل ويقوم ببعثرة الأغراض والأدوات المنزلية وهنا لا تجد أمه بدأ من ربط قدمه في أحد الأبواب للحد من تحركاته .

وكذلك أنت يا أخي المؤمن يا من تريد أن تسير في طريق الإيمان ستجد صعوبة في الخطوات الأولى فقط . ولكن بعد الصبر والمجاهدة تصبح الأمور سهلة ميسرة . فعود سمعك على سماع القرآن وكفه عن سماع الغناء . وعز سمعك إن هو ترك الغناء في الدنيا أن يسمع غناء الحور العين في الجنة . وعز نظرك إن هو غض عن الحرام في الدنيا أن ينظر إلى وجه الله الكريم في الدار الآخرة .

عز نفسك وهي تصبر على الصلاة والصيام والزكاة والحج بأنها يوشك أن تضع هذه الأحمال . و تدخل الجنة ويقال لها هناك ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ .

دلائل وجود الإيمان الصادق :

لقد حدد رسول الله -ﷺ- للأمة علامات ثلاث . تدل على صدق الإيمان ، ووجود حلاوته في القلوب . لمن توفرت فيه هذه الصفات .

فقد روى البخاري ومسلم في الصحيحين عن أنس بن مالك قال قال رسول الله -ﷺ- :

« ثلاث من كن في قلبه وجد بهن حلاوة الإيمان ، الأولى : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما أي أن تكون طاعة الله وطاعة رسوله -ﷺ- ، مقدمة على كل أمر وعلى كل طاعة ، وأحب إلى الإنسان من الدنيا كلها فلا يقدم على أمر الله أمراً آخر .

الثانية :أن يحب المرء لا يحبه إلا لله أي يبنى علاقاته و وشائجه على أساس من عقيدته فلا يحب إلا في الله ولا يبغض إلا لله ، يقول تعالى : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آبائهم أو أبنائهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ﴾ .

الثالثة : أن يكره أن يعود إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار ، وهذه تمثل قاعدة الثبات على دين الله لأن العبرة بالخواتيم ، فالمؤمن إذا ذاق طعم الإيمان ثبت عليه ولم يرجع عنه ولو حرق أو قطع .

نسأل الله في الختام أن يرزقنا الإيمان الصادق وأن يحببه إلينا وأن يزينه في قلوبنا وأن يثبتنا عليه حتى نلقاه كما نسأله عزوجل أن ينصر دينه ويعلي كلمته ، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

••• •• •••

دراسات وأبحاث :

التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس

[الحلقة الثانية]

الدكتور عبد الحليم عويس
استاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

مع بداية القرن الخامس الهجري وبداية انحلال الرابطة الأموية وتمزق الأوضاع ظهر التكالب المادي في أسوأ صوره . فعند ما ولي محمد بن هشام بن عبد الجبار عن طريق السوقية والعامة : سر أهل قرطبة بولاية محمد بن هشام (١٦ جمادى الآخرة ٣٩٩هـ) - على حساب الخليفة الرسمي هشام بن الحكم - سروراً عظيماً ، وأحدثوا برحاب قرطبة وأرباضها ولائم وأعراساً ، وداموا على ذلك أياماً تباعاً ينتقلون من موضع إلى موضع بالمزامر والملاهي ، راجين تمام أملهم وانتظام أمرهم فأتاهم القدر بخلاف ذلك (١) .

وبفساد سياسة ابن الجبار وبغضه للبربر والنيل منهم في مجالسه ، اشتعلت الفتنة بقرطبة بين البربر والعامة ، وأمر ابن عبد الجبار أن ينادى في الناس : من أتى برأس بربري فله كذا ، فتسارع أهل قرطبة في قتل من قدروا عليه طمعاً في المادة ، فلم يبق تاجر ولا جندي إلا اجتهد في القتل والنهب ، ودخلوا على وسنار البرزالي ، وكان محمد له آثار جميلة في الجهاد فذبحوه على فراشه في داره ، وقد نهبت ديار البربر وهتك حريمهم و سبى نساؤهم ، و باعوهن في دار البنات و قتلوا النساء

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب . ٢/٧٤ .

والحوامل (١) .

وكان مقام البربر بالزهراء فكان أهل قرطبة - في فترة الفتنة - لا يألونهم إلا شراً، وكل من وجدوه منهم في خلوة أومنفرداً قتلوه غيلة (٢). بتأثير التكالب المادى وضعف الدين وغيبة الشريعة الحاكمة والحاكم الصالح .

ولئن كانت قرطبة قد نجحت في عصر الطوائف على يد بنى جهور من هذا السعار المادي - إلى حد كبير - فإنها كانت كالزهرة المفردة في حديقة من الأشواك . إذ أن أكثر مدن الطوائف كانت خاضعة لهذا السعار المادي بقيادة هؤلاء الملوك الصغار الذين قال فيهم الشاعر :

مهما يزهدني في أرض أندلس ... ألقاب معتضد فيها و معتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها ... كالهر يحكي انتفاضا صولة الأسد

فبالإضافة إلى ما ذكرناه عن أحوال اشبيلية في هذا العصر ، فإن مدينتي بلنسية وشاطبة الخاضعتين لمبارك ومظفر المملوكين العامريين قد سابقت في هذا الميدان ، فقد كان هذا العبدان عنيفين في تحصيل الأموال من الناس بغير حق فبلغت جبايتهما - كما يقول ابن عذارى المراكشي - في أول ولايتهما مائة وعشرين ألف دينار في الشهر يستخرجانها بأشد العنف من كل صنف حتى تساقطت الرعية ، وجلت أولاً فأولاً ، وخربت أقاليمهم آخراً .

أما مبارك والمظفر فقد سلكا سبيل الملوك الجبارين في إشادة البناء والقصور والتباهي في عليات الأمور إلى أبعد الغايات ومنتهى النهايات ، واشتمل هذا الاتجاه على جميع أصحابهما ومن تعلق بهما من وزرائهما

(١) ابن عذارى : البيان المغرب : ٢/ ٨١ .
(٢) ابن عذارى : البيان المغرب : ٢/ ٩٢ .

وكتابهما ، فاحتذوا فعلهما في تفخيم البناء ، فهاموا منه في ترهات مضلة ، وتكسفوا في أشغال متصلة ، لاهين عما كانت فيه الأمة يومئذ ، كأنهم من الله على عهد لا يخلفه (١) .

ويتابع ابن عذاري وصفه لهذا التكاثر المادي الذي أعمى أصحابه عن كل معنى من معاني الآخرة ، وعن كل قيمة من قيم الإسلام ، وعن كل إحساس بالمسئولية الإسلامية نحو الأمة المسلمة المنكوبة ، ولا سيما الأندلس الممزقة .. فيقول (٢) :

« واتسع الخرق في عظيم ذلك الإنفاق ، فمنهم من قدرت نفقته على منزله مائة ألف دينار وأقل منها وفوقها حسب تناهيهم في سردها ، وبعثر عن ذخائر الأملاك لقصيدهم ، وصرب تجارها وجوه الركاب نحوهم ، حتى بلغوا من ذلك البغية ، فما شئت من طرف رائق وملبس رفيع جليل وخادم عجيب نبيل وآلات مشاكلة وأمور متقابلة تروق الناظرين وتغيظ الحاسدين جرها لهم المقدار إلى مدة .

وكان لمبارك ومظفر جنة ذلك النعيم وفازا بعنصر الخراج ، ولم يعرض لهما عارض اتفاق بتلك الآفاق ، فانغمسا في النعيم إلى قمم لرؤوسهما وأخلدا إلى الدعة وسارعا في قضاء اللذة حتى أربيا على من تقدم وتأخر.

وفي سرقطة في عصر الطوائف بالإضافة إلى اشبيلية وبلشية وشاطبة ، مال منذر بن يحيى صاحبها إلى السكون والدعة ، وأبطل رسوم الجهاد وتقرب إلى النصارى حتى يسالموه ، وتفرغ - بذلك - للترف هو ومن يلوذون به ، وعند ما قتله رجل من بني عمه يدعى عبد الله بن حكيم غرة ذي الحجة ٤٢٠هـ ، استطاع هذا القاتل أن يهرب - بعدملاحقته - بفاخر

---

(١) البيان المغرب : ٢/١٦٠ .

(٢) البيان المغرب : ٢/١٦١ .

ما اشتمل عليه قصر منذر من ذخائر الأموال ، ونهبت العامة بعد هروب القاتل القصر ، فأخذوا منه كثيراً من النفائس حتى قلعوا مرمره وطمسوا أثره (١) .

وممن نزوا على أطراف الأندلس ابن الأصلع هذيل بن خلف صاحب السهلة ، وهي خصبة في موقع متوسط بين الثغرين الأقصى والأدنى من قرطبة فكثر ماله ، حتى أصبح أكثر ملوك الطوائف همة في اكتساب - آلات اللهو - وهو أول من بالغ الثمن بالأندلس في شراء القينات المشهورات ، فكانت ستارته أرفع ستارات الملوك في الأندلس (٢) .

وعلى هذا النهج كانت أوضاع المدن الأندلسية الطائفية ، مما يصعب استقصاؤه في هذا البحث الوجيز ، فكان ذلك - إلى جانب عوامل أخرى - سببا في ضياع طليطلة - قبل الأندلس ، وانهيار بقية المدن ، واستعدادها للسقوط لو لا أن قيض الله - بكرمه - المرابطين ، ثم الموحدين فحموا الأندلس من السقوط نحو قرنين ، إلى أن هزم الموحدون بقيادة الخليفة الناصر أمام الأذفونش وجيوشه الأوربية في موقعة العقاب يوم الاثنين الخامس عشر من صفر٦٠٩هـ (١٦ تموز ١٢١٢م) (٢) .

وبعد هذا التاريخ بدأت المدن الأندلسية تتداعى أمام النصارى .

ولم تستطع أن تفلت من هذا المصير - إلى حين - إلا مدينة غرناطة التي استطاع أبو عبد الله بن يوسف المعروف بابن الأحمر - أن يحتفظ بها وببعض المناطق في جنوبي الأندلس ، مكونا ما عرف في التاريخ

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب : ٢/١٨٠ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب : ٢/١٨٢ .

(٢) عبد الرحمن الحجي: التاريخ الأندلسي : ص/٤٩٢. دارالقلم ط.١/١٢٩٦هـ .

باسم مملكة غرناطة ، أو « الأندلس الصغرى » سنة (٦٢٥-٨٩٧هـ) .

••••••

وكان المأمول أن يدرس ملوك غرناطة ما أصاب المسلمين في الأندلس ، وأن يقفوا على العوامل التي أدت بالأندلس إلى هذا المصير ويتجنبوها ..

لكن شيئاً ملموساً من ذلك لم يقع ..

ولقد أنعم الله على غرناطة خلال حياتها الطويلة بظروف مناسبة لإعادة مجد الأندلس في ظل عوامل سلبية كثيرة أحاطت بخصومهم النصارى ، وفي ظل قوة تمتع بها إخوانهم في الإسلام بنو مرين حكام المغرب الأقصى : الذين ساعدوهم في كثير من الأحايين ..

لكن الجانبين : المريني والنصري ، لم يخططا التخطيط السليم - في ظل ادراك واع بالظروف المحيطة - لمثل هذا الإنجاز العظيم .. وبالتالي عاودت عوامل السقوط التي امتطت الأندلس من قبل على سقوط غرناطة ..

وكان التكاثر المادي وما يتبعه من ترف ولهو واستنزاف للطاقة وإبعاد للأمة عن عوامل النهضة الحقيقية - واحدا - من تلك العوامل التي عملت عملها في سقوط غرناطة وفي خروج المسلمين جميعا من اسبانيا أشنع خروج عرفه التاريخ !!

أجل : لم يكن لدى ملوك غرناطة الطموح الإسلامي الرفيع الذي يدفعهم كي يحافظوا على حدود مملكاتهم في وسط هؤلاء الأعداء المحيطين بهم من كل جانب ، فقد جعلوا همهم - أيضا - أن يرتقوا بمدينتهم الرقي المادي المعروف ، وأن يجعلوها اللائقة المتفوقة مدنيا في المجالات العمارية والصحية والترفيهية ، فلم تكد تمضي سنوات بعد إنشاء ابن الأحمر لمملكة غرناطة إلا وقد اشتبكت عمارة بلاده ، واستطاع بمعاونة

العلماء الذين وفدوا على غرناطة من المدن الإسلامية التي سقطت في يد النصارى - أن يستخرج المعادن ويستفتح أرصاد كنوز الطبيعة ، وبنى قصر الحمراء فوق شرف من الأرض تحيط به قمم عالية صعبة المنحدر تتدفق في سفحها الشمالي مياه نهر حيدرو (درو) وقد حصن القصر بأسوار غطيت بالمرمر ، و شدت عند كل مسافة بحصون تشرف عليها (١) .

وكان للمهندسين المعماريين والفنانين والبنائين بخاصة - شأن كبير في غرناطة ، مما يدل على طبيعة الاتجاه المادي الذي عليه النهضة الغرناطية .

وعلى يد هؤلاء بنيت الحمراء التي موهوا حيطانها بالزخرف الذهبي البديع ، وزينوها بالأشكال المصنوعة ذات الهندسة العربية الفائقة التي لا تزال إلى اليوم موضع عجب الفنانين في أنحاء العالم وإعجابهم .

وقد وصلت عمارة الأندلس غايتها في عهد محمد الخامس من بني الأحمر ، إذ اشتعلت الفتن بين مملكتي قشتالة واراجون النصرانيتين ، وانتهز محمد الخامس هذا الهدوء بين النصارى والمسلمين ، وكان هو نفسه ميالا للدعة ، فارتقى بغرناطة - من الناحية المادية والمعمارية - حتى عدت أكثر الممالك رقيا وازدهاراً (٢) ، ولم يعمد إلى استغلال الفرصة لتقوية بلاده وإعادة مجدها بالتعاون مع بني مرين ، فضلاً عن الاهتمام بالإسلام ودعوته وصناعة الرجال الأكفاء ، بل صرف همه إلى

(١) عبد الحميد العبادي : المجمل في تاريخ الأندلس : ص/١٧٢ ، دار القلم ، ط. ٢/١٩٦٤م - القاهرة .

(٢) العبادي .. المجمل : ص/١٧٢ .

النواحي الفنية والمعمارية ، وانصرف الناس تبعاً له إلى الآداب والفنون وعظمت العمارة في غرناطة ، وتم ذلك كله في ظل تفكك أعدائه في قشتالة وأراجون ، وقوته النسبية أمام ضعفهم .

وبعد محمد الخامس توالي ملوك من بني الأحمر مرنوا على الترف والقصور الفارهة ، ولم تكن لهم قوة أسلافهم الذين كانوا قريبن من مأساة سقوط الموحدين والمدن الأندلسية ، وبالتالي كان لديهم شعور بالخطر والحذر !! وكانت سنة الله ماضية على نهجها الذي يعرفه أصحاب البصائر والفقه الحضاري ، فقد رامن هذا الانحلال والترف الذي أصاب ملوك غرناطة - أن سلط الله عليهم عدوهم ، فبدأت عوامل الوحدة والقوة تتجمع في أسبانيا النصرانية ، وانتهت مسيرة الأحداث إلى أن تزوج (فرديناند) ملك أرجون من (ايزابيلا) ملكة قشتالة ، واتحدت المملكتان فكان هذا الاتحاد أكبر انتقام من الله لهؤلاء الملوك المترفين الذين نسوا الله فنسيهم ، وسلط عليهم عدوا يسلبهم ما أنفقوا فيه أعمارهم ، - ونسوا بسببه - دينهم ورسالتهم .

......

ومع تقديرنا لكل الأسباب الداخلية والخارجية التي لا يمكن تجاهلها ، والتي أدت - في النهاية - إلى سقوط الأندلس وغرناطة ..

ومع أننا نؤمن بأن أسباباً كثيرة تتفاعل - وقد تفاعلت فعلا في حالة غرناطة - كي تصل بالدولة - أو الأمة - إلى السقوط ، ولا يكفي سبب واحد - مادي أو معنوي - لسقوط الأمة أو الحضارة ..

مع أننا نأخذ كل ذلك في تقديرنا ، ونؤمن بأن سقوط غرناطة كان حصاد عوامل كثيرة ، من أبرزها نسيان العقيدة والرسالة الدينية والحضارية التي قامت عليها الأندلس ، وانتصر بسببها جيش الفتح

المكون من أخلاط من البشر الذين لا توحدهم إلا العقيدة ، ولم يكن يزيد عددهم عن عشر الجيش النظامي الذي يقاتلونه .. فضلا عن ضآلة إمكاناتهم التي قاتلوا بها تحت قيادة البطل المسلم البربري العظيم طارق ابن زياد ..

مع أننا نأخذ كل ذلك في تقديرنا إلا أننا نعتقد أن (التكاثر المادي) والتكالب على وسائل الترف من قصور وحدائق ومدن ملكية وأساليب فنية وترفيهية تزيد عن الحدود التي رسمها الإسلام ، وتستنزف طاقة الأمة وتصبغ الحياة صبغة مادية ناعمة مترفة .. نعتقد أن هذا السبب - بكل آثاره السلبية المادية والمعنوية - كان من أقوى الأسباب في سقوط الأندلس وغرناطة ..

بل إننا لنعتقد أن هذا السبب ظل يعمل عمله الخبيث ويطغى على بقية الأسباب حتى أصبحت المادة صنما يعبده هؤلاء المترفون ، واتجاها منحرفا يقيسون به الرقى الحضاري ، متجاهلين صناعة الإنسان وفاعليه العقيدة ، ومعاني الأخوة الإسلامية .. و واجبات الإنسان المسلم الحضارية تجاه المسلم وتجاه الإنسانية كلها ..

ومن منطلق طغيان هذا الاتجاه ازدري الأندلسيون إخوانهم المرابطين عند ما ساعدوهم ، وحكموا بلادهم ، وكانوا ينظرون إلى أنفسهم - مع كل تفككهم وهوانهم على أعدائهم وتآكلهم وانحلالهم - على أنهم أرقى من المرابطين ، وقد كانوا يستثقلون ظل المرابطين (البدو) ويشعرونهم بالإهانة ، وهم لا يدرون أنهم - بهذا - يهدمون قيم الأخوة الإسلامية ، وينظرون إلى الحضارة من منظور المدنية المادية وحدها .

[يتبع]

الفرق بين القرآن الكريم والحديث بقسميه

الأستاذ عبد الخالق الأعظمي الندوي

إن أردنا أن ندرك التفرقة بين القرآن الكريم والحديث بقسميه ، ونبحث عنها ، ونتدبرها ، فلابد لنا أولاً من أن نرجع إلى تعريف كل من القرآن والحديث بقسميه ، وبذلك نستطيع أن نفصح القول في بيان التفرقة ، وإبراز المميزات والخصائص التي يختص بها الأول دون الثاني والثالث ، ذلك لأن كل لفظ له طابع خاص يصعب فهمه على الإنسان ، ويتعسر ، إلا بطريق التعريف به ، ثم إنه لا يستسيغ لعالم أن يحكم على شئ حكماً فصلاً قبل معرفته .

القرآن : لغة : مصدر للقراءة ، ﴿ إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾ (سورة الإسراء ، الآية : ٧٨) . وفي تسميته بهذا الاسم إشارة إلى حفظه في الصدور ، لأنه مصدر للقراءة ، وفي القراءة استذكار (١) .

اصطلاحاً : هو كلام الله المعجز ، المتحدى بأقصر سوره ، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين ، بواسطة الأمين جبريل - عليه السلام - ، المكتوب في المصاحف ، المنقول بالتواتر ، المتعبد بتلاوته ، المبدوء بسورة الفاتحة ، المختتم بسورة الناس (٢) .

الحديث القدسي : الحديث لغة : ضد القديم ، و القدسي : نسبة إلى القدس ، وهي نسبة تدل على التعظيم .

اصطلاحاً : هو ما يضيفه النبي -ﷺ- إلى الله تعالى أي أن النبي -ﷺ-

---

(١) لسان العرب لابن منظور ، مادة قرأ .

(٢) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن .

يرويه على أنه من كلام الله ، فالرسول راو لكلام الله .

هذا ، وقد اختلف العلماء في الحديث القدسي هل اللفظ والمعنى من عند الله أو المعنى فقط ؟

١ - قال الجمهور : إن المعنى من عند الله واللفظ منْ عند النبي -ﷺ- .

٢ - وقال بعضهم : إن اللفظ والمعنى من عند الله .

الحديث النبوي : هو ما نسب أو أضيف إلى النبي -ﷺ- من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلقية أو خُلقية :

القول : مثل : عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله -ﷺ- : إنما الأعمال بالنيات وإنما لأمرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه (متفق عليه) .

الفعل : مثل : عن سمرة بن جندب - رضي الله عنه - قال : قال لنا رسول الله -ﷺ- : صلوا كما رأيتموني اصلى وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ثم ليؤمكم أكبركم (متفق عليه) .

التقرير : مثل : عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : أكل الضبُّ على مائدة رسول الله -ﷺ- وإنما تركه رسول الله -ﷺ- تقذراً (رواه الترمذي) .

الصفة الخُلقية : مثل : عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله -ﷺ- : لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله (رواه الترمذي في شمائله) .

الصفة الخِلقية : مثل : عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : كان رسول الله -ﷺ- ربعة وليس بالطويل ولا بالقصير حسن الجسم وكان شعره ليس بجعد ولا سبط أسمر اللون إذا مشى يتكفأ (رواه الترمذي في شمائله) .

جهة الاتفاق : أود قبل الغوص في البحث عن التفرقة بين القرآن الكريم والحديث بقسميه أن نفكر في جهة الاتفاق ، ونتبصر فيها ، إن كانت هناك جهة اتفاق ، فيلتقي القرآن الكريم والحديث بنوعيه ، ويشتركان في كونهما بالألفاظ العربية ، والحديث على عمومه إن لم يكن من الوحي ولكنه جاء من سبيله ، وإن لم يكن له منه فقد كان هو من دليله :
﴿ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ (سورة النجم ، الآية : ٣-٤)
وإذا أرانا القرآن الكريم أنه خطاب السماء للأرض ، أرانا الحديث أنه كلام الأرض بعد السماء .

جهة الاختلاف : الآن يمكننا أن نحدد الفروق بين القرآن الكريم والحديث بقسميه :

أولا : الفرق بين القرآن والحديث القدسي .

عند ما نفكر في التعريف ، تعريف القرآن الكريم والحديث القدسي ، تبدو لنا عدة فروق وهي فيما يلي :

١- القرآن الكريم كلام الله أوحى به إلى رسول الله بلفظه ، وتحدى به العرب ، فعجزوا عن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله ، أو بسورة من مثله مع تمتعهم باللسن والفصاحة والقدرة على حوك الكلام ، والحديث القدسي لم يقم به التحدى والإعجاز .

٢- القرآن الكريم جميعه منقول إلينا بالتواتر ، والأحاديث القدسية أكثرها أخبار آحاد .

٣- القرآن الكريم تكفل الله تعالى بحفظه من التغيير والتبديل أبداً إلى يوم القيامة ، فقال عزوجل : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا لحافظون ﴾ (سورة الحجر ، الآية : ٩) .

٤- القرآن الكريم متعبد بتلاوته فهو الذي تتعين القراءة به في الصلاة ، والحديث القدسي لا يجزئ في الصلاة ، وقراءة القرآن الكريم عبادة يثيب

الله عليها بما جاء في الحديث : « من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول « ألم » حرف ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف ، (١) ، وأما قراءة الحديث القدسي فيثيب الله عليها ثواباً عاماً

٥- القرآن الكريم لا يمسه إلا طاهر « لا يمسه إلا المطهرون » (سورة الواقعة ، الآية : ٧٩) . ولا يقرؤه الحائض والنفساء والجنب ، والحديث القدسي يمسه طاهر وغير طاهر ويقرؤه الحائض والنفساء والجنب .

٦- القرآن الكريم لو أنكر بعضه أحد أو أهانه كفر ، بخلاف الحديث القدسي والحديث النبوي فمن أنكر بجملتها فقد كفر ، لأنه أنكر أمراً معلوماً بالدليل ومن أنكر أمراً معلوماً بالدليل فقد أنكر شيئاً أمرنا باتباعه : « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (سورة الحشر، الآية : ٧) .

ثانياً : الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي :

بالتدبر في التعريف ، تعريف الحديث القدسي والحديث النبوي الشريف ، يتبين لنا أن الحديث القدسي معناه من عند الله ولفظه من الرسول -ﷺ- وأما الأحاديث النبوية فإنها بحسب ما حوته من المعاني تنقسم إلى قسمين :

١- توفيقي . ٢- وتوقيفي .

١- توفيقي : هو ما استنبطه النبي -ﷺ- بفهمه وبتأمله في حقائق الكون وهذا القسم ليس كلام الله وليس من الوحي قطعاً ، مثل حديث تأبير النخلة ، قدم نبي الله -ﷺ- المدينة وهم يأبرون النخل فقال : ما تصنعون ، قالوا : كنا نصنعه ، قال : لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً

(١) رواه الترمذي .

بتركوه فنقص قال : فذكروا ذلك له . فقال : « إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر » (١).

٢ - **توقيفي** : هو ما تلقاه الرسول -ﷺ- مضمونه من الوحي فبينه للناس بكلامه . وهذا القسم إن كان ما فيه من العلوم منسوبا إلى معلمه سبحانه لكنه من حيث هو كلام جدير بأن ينسب إلى الرسول -ﷺ- لأن الكلام إنما ينسب إلى واضعه وقائله .

والأحاديث النبوية تعالج جميع القضايا التي تمس حياة الإنسان . وأما الأحاديث القدسية فمعظمها بل أكثرها في المواعظ والحكم .

بناء على ما عرضته من تفصيل اعتقد أن القرآن الكريم كتاب الله الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . لا يضاهيه في عده الميزه شيء . فهو أعلى منزله وأشرف درجة من الحديث النبوي والحديث القدسي . ويليه في المنزله الحديث القدسي ثم الحديث النبوي الشريف .

وقد بين القرآن الكريم في وضوح مكانه حديث رسول الله -ﷺ- من القرآن الكريم حيث قال تعالى : ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ (سورة النحل . الآية : ٦٤) . وقال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ (سورة النحل . الآية : ٤٤) .

فالحديث مبين لكتاب الله المعجز مفصل لإجماله موضح لإبهامه مخصص لعمومياته . شارح لمفاهيمه . وقد تكفل الله لرسوله بالبيان قال تعالى : ﴿ إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه ﴾ (سورة القيامة . الآية : ١٧-١٨) .

....

(١) رواه مسلم .

بحث في التقليد والتلفيق

[الحلقة الرابعة الأخيرة]

بقلم فضيلة الأستاذ خالد سيف الله رحماني
تعريب محمد رحمة الله الندوي الظفرموري

الفرق بين تقليد العامي والعالم :

ومن أهم قضايا باب التقليد التي لم تنل اعتناءاً كبيراً لدى العلماء ، سوى العلامة الدهلوي فإنه قد تناولها بكل إيضاح . وهي « الفرق بين تقليد العامي وتقليد العالم » . وقد قسم الفقهاء القائلين بالتقليد أقساما عديدة وهي كما يلي :

١ - **المجتهد المنتسب :** العلماء الذين قلدوا في الأصول والقواعد الأساسية ، غير أنهم يجتهدون في الأحكام الجزئية الفرعية . مثل الإمام أبي يوسف ومحمد -رحمهما الله- ويقال لهم «المجتهد في المذهب» كذلك .

٢ - **المجتهد في المسائل :** الذين يجتهدون في المسائل التي لم ينص عليها صاحب المذهب . برأى . مثل أبي بكر الخصاف . والإمام أبي جعفر الطحاوي . وإلا فهم يقلدون في الأصول والفروع كلتيهما .

٣ - **أصحاب التخريج :** وهم أولئك الذين يفصلون الآراء المجملة المبهمة الي نقلت عن الطبقات الثلاث « المجتهد المطلق » و « المجتهد المنتسب » و « المجتهد في المسائل » أو هم يجددون معنى واحداً لو كانت آراؤهم تحتمل لمعان مختلفة . وقد عد الإمام أبوبكر الجصاص - رحمه الله - منهم .

٤ - **أصحاب الترجيح :** أولئك الذين يرجحون رأياً من الآراء المنقولة

من أصحاب المذاهب، ويعينون ما هو المفتى به، مثل صاحب «مختصر القدوري» وصاحب «الهداية».

المقلدون المميزون: أولئك الذين هم لا يزالون مقلدين، لا يقدرون على التخريج أو الترجيح غير أنهم يصلحون للتمييز بين الصحيح والسقيم والقوي والظاهر والشاذ. مثل «صاحب الكنز».

٦ – **المقلدون العامة**: الذين لا يسعهم حتى التمييز بين القوي والضعيف. كما ورد في الشامي: «لا يفرقون بين الغث والسمين، ولا يميزون الشمال عن اليمين» (١)

ومقتضى هذا التقسيم للمقلدين أنه لا مساغ «للمجتهد المنتسب» أن يخالف إمامه سوى المسائل الفروعية الجزئية. والذين يلون هذه الطبقة لا يسع لهم أدنى خلاف من الإمام. لكن يتبين بالدراسة العميقة أن الكتبة الفقهية تنفي هذه النظرية. مثلا: إن الإمام أبا يوسف ومحمدا – رحمهما الله – قد عدا من الطبقة «المجتهد المنتسب» ومع ذلك رأيهما يخالف رأي الإمام الأعظم في عديد من المسائل الأصولية. وكذلك الأئمة من بعدهم مثل عصام بن يوسف وغيره تركوا قول إمامهم، بإزاء بعض النصوص الصريحة القوية. وقد سلك هذا المسلك العلامة الدهلوي وأبدى رأيه في هذا الموضوع بكل صراحة. فيقول نقلا عن خزانة الروايات: «فإن قيل: لو كان المقلد غير المجتهد عالما مستدلا يعرف قواعد الأصول ومعاني النصوص والأخبار، هل يجوز أن يعمل عليها، وكيف يجوز. وقد قيل: لا يجوز لغير المجتهد أن يعمل إلا على روايات مذهبه، وفتاوى إمامه، و لا يشتغل بهـــا في النصوص و الأخبار و العمل عليها

(١) شرح رسم المفتي: ص/٢٢-٢٤.

كالعامي ، قيل : هذا في العامي الصرف الجاهل الذي لا يعرف معاني النصوص والأحاديث وتأويلاتها . وأما العالم الذي يعرف النصوص والأخبار وهو من أهل الدراية وثبت منه صحتها من المحدثين ، ومن كتبهم الموثوقة المشهورة المتداولة . يجوز له أن يعمل عليها ، وإن كان مخالفا لمذهبهم . ويؤيده قول أبي حنيفة ومحمد والشافعي وأصحابه - رحمهم الله تعالى - » (١) .

وبعد ذلك نقلت أقوال الأئمة المجتهدين التي تؤكد على ترك آرائهم بإزاء النصوص الشرعية ثم ينقل عن الخطيب فيقول : « وروى الخطيب بإسناده أن الداركي من الشافعية كان يستفتى وربما يفتي بغير مذهب الشافعي وأبي حنيفة . فيقال له : هذا يخالف قولهما . فيقول : ويلكم . حدث فلان عن فلان عن النبي - ﷺ - هكذا . والأخذ بالحديث أولى من الأخذ بقولهما إذا خالفاه . وكذا يؤيده ما ذكر في الهداية في مسألة صوم المحتجم لو احتجم وظن أن ذلك يفطره . ثم أكل متعمدا عليه القضاء والكفارة . لأن الظن ما استند إلى دليل شرعي . إلا إذا أفتاه فقيه بالفساد . لأن الفتوى دليل شرعي في حقه . ولو بلغه الحديث واعتمده فكذلك عن محمد . لأن قول الرسول - ﷺ - لا ينزل عن قول المفتي .. فقول الرسول - ﷺ - أولى . وعن أبي يوسف - رحمه الله - خلاف ذلك ، لأن على العامي الاقتداء بالفقهاء لعدم الاهتداء في حقه إلى معرفة الأحاديث . وإن عرف تأويله تجب الكفارة . .. وأما الجواب عن قول أبي يوسف -رحمه الله - أن للعامي الاقتداء بالفقهاء محمول على العامي الصرف الجاهل الذي لا يعرف معنى الأحاديث وتأويلاتها ... انتهي « خزانة الروايات » .

(١) عقد الجيد . ص/ ٥٢-٥٢

ثم يواصل الكلام العلامة الدهلوي - رحمه الله - بعد نقل هذه المقتطفة الطويلة عن جرانة الروايات فيقول : « لا يجوز له العمل على الحديث خلاف مذهبه لأنه لا يدري أنه منسوخ أو مأول أو محكم محمول على ظاهره » ثم يجيب على هذا السؤال بنفسه فيقول :

« ورد بأنه إن أراد عدم التيقن بنفي هذه الاحتمالات فالمجتهد أيضاً لا يحصل له اليقين بذلك . وانما يبنى أكثر أمره على غالب الظن . وإن أراد أنه لا يدري ذلك بغالب الرأى معناه في صورة النزاع لأن المتبحر في المذهب المتتبع لكتب القوم الحافظ من الحديث والفقه بجملة صالحة كثيرا ما يحصل له غالب الظن بأن الحديث غير منسوخ ولا مأول بتأويل يجب القول به ... وهو ما اختاره ابن الصلاح قال : « من وجد من الشافعية حديثا يخالف مذهبه نظر إن كملت له آلة الاجتهاد مطلقا أو في ذلك الباب والمسألة . كان له الاستقلال بالعمل به ، وإن لم يكمل وشق مخالفة الحديث بعد ان بحث . فلم يجد لمخالفته جوابا شافيا عنه . فله العمل به إن كان عمل به إمام مستقل ويكون هذا عذرا في ترك مذهب إمامه ههنا » (١) .

وأضاف القول العلامة الدهلوي - رحمـــه الله - و كشف عن الغمة فيقول : إن الإنسان يجب عليه أن يأخذ بالدليل فإذا فات ذلك لجهله بالدلائل أقمنا اعتقاد أفضلية إمامه مقام الدليل .. ورد بأن اعتقاد افضلية الإمام على سائر الأئمة مطلقا غير لازم في صحة التقليد إجماعاً ، لأن الصحابة والتابعين كانوا يعتقدون أن هذه الأمة أبوبكر ثم عمر ،

(١) عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد : ص/٦٧-٧١ ملخصاً . طبع المطبعة المحمدية لاهور باكستان . عام ١٣٠٢هـ

وكانوا يقلدون في كثير من المسائل غيرهما بخلاف قولهما . ولم ينكر على ذلك أحد . فكان إجماعاً على ما قلناه . وأما أفضلية قوله في هذه المسألة فلا سبيل إلى معرفتها للمقلد الصرف » (١) .

ويرى هذا الفقير كاتب هذه السطور - أن التقليد يبتني على حسن الظن بالإمام . وذلك أن رأيه سديد يحمل الخطأ . ثم المقلد الذي لم يكن جاهلاً محضاً بل يطلع على أصول التطبيق والترجيح في الدلائل الشرعية . وله خبرة بالمسائل التي أجمعت عليها الأمة او اختلفت فيها . وكذلك لديه علم بطائفة من النصوص الشرعية . وهو يظن أن رأى إمامه يعارض الحديث الصحيح في مسألة فلانية فلا شك أن حسن ظنه به يزول ولا يبقى . ومن ثم يتهدم ذلك الأساس الذي ابتنى عليه التقليد .

فخلاصة القول أن المقلدين الذين يلمون بروح الشريعة الإسلامية ورزقوا الفهم الصحيح للدين يسعهم العمل بنصوص الشريعة والترك لنصوص المذهب .

هذا وفيما يأتي نذهب بكم إلى الجزء المقارن للتقليد - وهو التلفيق - الذي لا يكتمل بحث التقليد دونه بل ينقصه شئ كثير .

التلفيـــق : وهو نوع من العدول الجزئي من مذهب فقهي إلى مذهب آخر . والمراد به « القيام بعمل يجمع فيه بين عدة مذاهب . حتى لا يمكن اعتبار هذا العمل صحيحاً في أي مذهب من المذاهب » (٢) . غير أن العمل برأى عديد من الفقهاء في مسألتين مختلفتين لا يعد من التلفيق . وإن كانتا مرتبطتين فيما بينهما .

(١) عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد : ص/٦٧-٧١ ملخصا . طبع المطبعة المحمدية لاهور باكستان . عام ١٣٠٢هـ .
(٢) معجم لغة الفقهاء : ص/١٤٤ .

وقد صرح بذلك الإمام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي - رحمه الله - عن طريق ضرب المثال فيقول : " الممنوع أن يتركب حقيقة ممتنعة في مسألة واحدة .... لا في مسألتين كما إذا طهر الثوب بمذهب الشافعي ، وصلى بمذهب أبي حنيفة - رحمه الله - " (١) .

وكذلك لا بأس بأن يقلد عدة الفقهاء في مسألة واحدة لكن في مواضع مختلفة وأوقات عديدة مثلاً : " أما لو صلى يوماً على مذهب ، وأراد أن يصلي يوماً آخر على غيره ، فلا يمنع منه " .

التلفيق في العبادات : مثلا إن دلك أعضاء الوضوء فرض لازم عند الإمام مالك - رحمه الله - . والإمام الشافعي - رحمه الله - يرى عكسه ، ومس المرأة دون اشتهاء ينقض الوضوء عند الإمام الشافعي ، والإمام مالك - رحمه الله - يرى عكسه ، فلو توضأ رجل دون دلك الأعضاء ويقول : اختار ماقاله الشافعي ، وكذلك يمس المرأة دون شهوة ولا يعيد الوضوء ويقول : اختار ما قاله الإمام مالك في هذه القضية ، فلم يصح وضوؤه عن الإمام مالك ، ولم يبق عند الإمام الشافعي .

وكذلك مثلا نكاح الجارية المحتلمة (البالغة) لا ينعقد بدون حضور الولي عند الشوافع ، وينعقد ويصح عند الأحناف ، وحضور الشهود في النكاح أمر لازم عند الأحناف ، خلافاً للمالكية ، ولو اشترط أن لا يؤدي المهر (الصداق) لا يصح النكاح عند المالكية ويصح عند كل من الأحناف والشوافع ، فإن كان رجل ينكح بدون الولي وحضور الشهود وأداء الصداق ويعمل في كل مسألة بقول فقيه يصح نكاحه من وجهة نظره ، فهذا هو التلفيق ، وهو منهى عنه .

(١) عقد الجيد للعلامة الدهلوي - رحمه الله - : ص/٦٢

المانعون عن التلفيق : لا نجد ذكرْ « التلفيق » قبل فقهاء القرن السابع للهجرة ، وقد تناوله بالذكر الفقهاء المتأخرون من حوالي القرن العاشر على وجه العموم (١) .

وقد نقل عن الإمام الحافظ ابن حجر - رحمه الله - الإجماع على منع التلفيق (٢) . و وافقه على ذلك العلامة ابن عابدين الشامي فيقول : « وإن الحكم الملفق باطل بالإجماع » (٣) . وكذلك روى عن الشيخ على الشافعي والعلامة القرافي المالكي المنع عن لتلفيق (٤) .

وغالب ما يستدل به على منع التقليد أنه يؤدي إلى خرق الإجماع . مثلاً : قاء رجل وإنه مس امرأة فاتفق الأحناف والشوافع على أنه قد انتقض وضوؤه . أما عند الأحناف فمن أجل القيْ . وعند الشوافع فلمسه المرأة . فلو عمل ذلك الرجل بقول الشافعي - رحمه الله - في القيْ وبقول الأحناف في مسألة مس المرأة فيصح وضوؤه . مع أن كلا من الأحناف والشوافع قد أجمعوا على نقض وضوئه .

لكن هذا الدليل لا يصح من وجوه :

الأول : إن « خرق الإجماع » يعني ابتكار رأى ثالث في قضية لا يكون فيها إلا رأيان . أما هنا فقضيتان مختلفتان . قضية نقض الوضوء من القيْ . وقضية نقض الوضوء من مس المرأة .

الثاني : يتحقق « خرق الإجماع » عند ما خالفنا حكما مجمعا عليه . أما هناك . فتانك القضيتان تكونان قد اختلف فيهما . فلا معنى لتحقق

---

(١) انظر للتفصيل : أصول الفقه الاسلامي المجلد الثاني : ص/١١٤٢ .
(٢) أصول الفقه الإسلامي للدكتور وهبة الزحيلي : ٢/١١٤٢ .
(٣) الرد المحتار على الدر المختار : ١/٥١ .
(٤) أصول الفقه الإسلامي . وكتاب تيسير التحرير : ٤/٢٥٤ .

« خرق الإجماع » .

الثالث : « الإجماع المركب » الذي يراد به اتفاق الفقهاء في جزئيه - في الجملة - رغم اختلاف الأسباب . إنما هو لم يعد من الإجماع إلا لدى الأحناف . وليس هو بمنزلة ذلك الإجماع الواقعي الذي يتفق عليه الأئمة مع الوحدة في السبب .

وأما ما ادعاه الحافظ ابن حجر والعلامة ابن عابدين الشامي من الإجماع على بطلان « التلفيق » فهذه دعوى بلا دليل . وقد نقل الدكتور وهبة الزحيلي عن « التنقيح الحامدي » أن الشيخ الطرطوسي وأبا السعود كانا يقولان بجوازه . وقد صرح بذلك الفقيه زين الدين بن ابراهيم المعروف بابن نجيم الحنفي - رحمه الله - في باب « بيع الوقف » . كذا في الفتاوى البزازية . وبه يقول ابن عرفه المالكي والعلامة العدوي . ونقل العلامة البيجوري والشمشاوي الخلاف في الموضوع ورجح الجواز (١) .

القائلون بالتلفيق : واعتقد أن الإمام ابن الهمام كان يرى جواز التلفيق . وإنه قد نقل المنع عن بعض العلماء المتأخرين . غير أنه لم يعلق عليه بشئ من رأيه . ولم يسق الدلائل لإثباته طبق عادته في هذا الباب . فيقول :

« وقيده المتأخرون بأن لا يترتب عليه ما يمنعانه . فمن قلد الشافعي في عدم الدلك ومالكاً في عدم نقض اللمس بلا شهوة وصلى . إن كان الوضوء بذلك صح . وإلا بطل عندهما » (٢) .

وقد جوز شارح كتاب « تيسير التحرير» التلفيق . ورد على مانعيه رداً عنيفاً فيقول :

« وهذا الفارق لا نسلم أن يكون موجبا للحكم بالبطلان . وكيف نسلم . والمخالفة في بعض الشروط أهون من المخالفة في الجميع . فيلزم الحكم

(١) أصول الفقه الإسلامي : ٢/٤٩-١١٤٨ .

(٢) تيسير التحرير : ٤/٢٥٢ .

بالصحـــــة في الأهون بطريق الأولى ، و من يدعى وجود فارق أو وجود دليل آخر على بطلان صورة التلفيق على حلاف الصورة الأولى ، فعليه البرهان » (١) .

وهذا ما يقول به العلامة الدهلوي - رحمه الله - فيقول :

« ومنهم من قال : لا يلفق ، بحيث يتركب حقيقة ممتنعة في مسألة واحدة مثل الوضوء بلا ترتيب ، ثم خرج منه الدم السائل ، لا في مسألتين ، كما إذ اطهر الثوب بمذهب الشافعي وصلى بمذهب أبي حنيفة ، ويتجه أن يقال : فيه بحث ، لأنه إن كان المقصود من هذا القيد أن لا يخرج مجموع ما انتحله من الاتفاق فهو حاصل في مسألتين أيضاً ، وإن كان المقصود أن لا يخرج هذه المسألة وحدها من الإجماع ، فيكفى عنه اشتراط كونه مذهباً ، للاجتهاد فيه مساغ كما يأتي » (٢) .

بلى إن الظروف الحاصرة لا تلائم وجواز التلفيق أخذاً بالحيطة ، فإنه يؤدي إلى فتح باب اتباع الهوى .

وما أسلفنا من التصريحات وآراء العلماء في باب التقليد فيها إشارة إلى اختيار مسلك متوازن وسط في هذا المجال ، دون أي إفراط حتى يتمكن كل من عصت مادته واقتعد غاربه الهوى ، من العمل بتفردات العلماء ، ولا أي تفريط حتى ننزل نصوص الكتب الفقهية منزلة نصوص الكتاب والسنة ، ونغض البصر عن مقتضيات العصر ومتطلبات الزمان واحتياجات الأمة .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، اللهم فقهنا في الدين وعلمنا التأويل ، واجعل آخرتنا خيرا من الأولى .

....

---

(١) تيسير التحرير : ٤/٢٥٢ .

(٢) عقد الجيد : ص/٦٢-٦٣ .

البيئة التي نشأ فيها البحتري +

الأستاذ محمد صهيب الصديقي
القسم العربي بجامعة عليكراه الإسلامية (الهند)

إن للمناخ والبيئة أثرا كبيرا في تكوين الذوق . فإذا كانت البيئة خصبة رائعة ينشأ فيها الشاعر ذا قريحة وقادة وحس صادق يتمتع بجمال ونضارة ورقة وعذوبة تتجلى مظاهرها في أدبه وشعره . وقد نشأ البحتري وترعرع في بيئة كانت خصبة زاخرة بجمال الطبيعة ومناظرها الجذابة ترتاح إليها النفوس ويسكن إليها القلوب . فقد أودع الله في « منبج » مولد البحتري من روائع الجمال ما يجعل الشاعر يحن إليها حنين الأم إلى الرضيع . كان فيها هواء لطيف وماء عذب وسلامة من كل داء ومرض . النهار شمس والليل سحر .

يصفها عبد الملك بن صالح للرشيد فيقول : « عذبة الماء . طيبة الهواء . قليلة الأدواء . والليل سحر كله » (١) . وجاء في « الشوامخ » ما يلي . وهو بيان لأهمية البيئة في تكوين نفسية الشاعر :

« لا شك أن للبيئة أثرها في تكوين شخصية الشعراء وخلق اتجاهاتهم ومذاهبهم في الشعر . وعلى البيئة يقع بعض التبعة أو كلها في استنفاد مواهب جل الشعراء فيما لم يخلق الشعر له حتى أصبح أكثر الشعر العربي رأس مال « ميت » وفقد أدبنا القديم ثروة ضخمة كان يعتز بها » (٢) .

+ هو أبو عبادة البحتري . الشاعر العباسي الشهير

(١) الموازنة بين الشعراء . لزكي مبارك · ص/٤٨ .   (٢) الشوامخ : ص/ ٤ .

هذا عن المكان ، وأما عن الزمان فمن الظاهر الجلي أن العصر الأموي والعباسي كان عصر انتقال وتحول من مدنية وحضارة إلى مدنية وحضارة أخرى ، من نظام اجتماعي إلى آخر ، من شظف إلى ترف ومن فقر إلى غنى ، ومن لغة إلى لغة ، فكان العلماء في العصر العباسي يحاولون الاحتفاظ بالتراث اللغوي . يقول مؤلف الشوامخ ، الدكتور صبري :

« والواقع أن عصر الامويين والعباسيين كان عصر انتقال وقلق ، انتقال في الحياة من عيشة البدو إلى عيشة الحضر ، انتقال في الدين وهو أكثر الانتقالات اضطرابا إذ تنتشر في أطرافه الفتن والملل والتعصب والإباحية والحقائق والأباطيل ، انتقال في النظام الاجتماعي بعد أن احتك العرب بمدنية الفرس والروم ، وكثر الأعاجم والأتراك في الجيش والإدارة واشتد النزاع بينهم وبين العرب ، انتقال من الشظف والخشونة إلى الترف ، انتقال في اللغة بعد انقراض العرب الأول وقصور اللغة في الاصطلاحات العلمية والفلسفية والإدارية الجديدة » (١) .

فنتج عن ذلك أن هذين العصرين لم يكن في وسعهما أن يحدثا انقلابا مرجوا في الشعر العربي ويقدما حلا صحيحاً لقضاياه التي يعاني منها. او يوجه الأدب العربي إلى جهة صحيحة من الرقي والازدهار ويبرز شعراء من نوع جديد يحملون راية التجديد والاختراع في المعاني والأساليب ويصورون بنتاجاتهم أدواء المجتمع الإنساني ويعالجوها معالجة دقيقة في ضوء ما يقولون ويقدمون من أدب وشعر ، ولكن بالأسف لم يكن كل ذلك ، فإن الشخصيات الشعرية لا تتكون في عصور

---

(١) الشوامخ ، البحيري ص/٨-٩

الاضطراب والقلق والانحطاط . اللهم إلا بعض الشوارد . وأما ما نرى من البديع والمحسنات في هذه الأطوار فهي ليست من مظاهر التجديد بتاتا . فمن اعتقدها تجديداً فهو في خطأ فاحش . نعم إن الشاعر إذا لم يخضع في بيئة لعوامل الاضطراب والبلى بل ويتحداها بكل قوة وصرامة ويثور على التقاليد البالية بأسلوبه القوي الساحر ومغزاه الزاخر وروحه الثائرة السائرة على دروب الزمان والتطورات . فهو الذي يحظى بشخصية قوية لا تخضع وهو الذي يستطيع أن يغير مجرى التاريخ وتيار الحياة . وهو الذي يكسر الطوق والسلاسل وينشر جناحيه في الأفق يطير حرا طليقا . ولكن الأسف أن صاحبنا البحتري كان على عكس ما قلناه وآثر أن يبقى خاضعا مستسلما متقيدا بالتقاليد الجامدة في الحياة الشعرية فلم يستطع ان يقدم للشعر العربي معاني جديدة وأساليب مبتكرة حية . كان على نفس الطريق والدروب التي يسير عليها الشعراء العباسيون . فنجد شعره لا يحيد عن الطرق المألوفة شأن الشعراء الآخرين . وهنا ننقل إليكم قطعة من كتاب « الشوامخ » :

« لذلك لا نبالغ إذا قلنا إن المؤلدين لم يحدثوا في الأدب والشعر الانقلاب التام المرجو . وقد كان النثر عند الجاهليين - كما أثبتنا - رائعا كشعرهم . ثم ظهرت في أحاديث الرسول -ﷺ- وفي كتابات العصر الإسلامي الأول آيات بينات . حتى إذا فسد الذوق وانتشرت صناعة الترسل في الادارة وغيرها وحدث الإسراف في السجع و رص الكلام وانحطت الكتابة وابتعدت عن الدقة » .

أسلوب البحتري : والمؤلف في هذه العصور عصور الاضطراب والانحطاط يعترف بوجود أمثلة رائعة ونماذج حية قوية للنثر والشعر، فيقول :

« على أن جل أساليب الكتابة في العصر الإسلامي هو أسلوب ابن المقفع وكليلة دمنة كما أن أرقى أساليب الشعر هو أسلوب البحتري وهما فرسا رهان وماء يتحدر من غمام واحد . وقد يكون أشبه أسلوب بأسلوبهما عند الأفرنج أسلوب أناتول فرانس » .

هذه إشارة إلى أسلوبه العذب الذي تيسر له في جو رقيق عاشه في بلدته « منبج » حيث كان فيها كل شئ يحسن ذوقه ويروعه ويلطفه . فقد كان تربى في متعة ويسر ولذة وهناء وسرور على غرار ما يتربى وينشأ عليه أبناء الأمراء والخلفاء . فجاء أسلوبه أسلوبا يتشابه أسلوب امرئ القيس . ولا ريب أن سحره يتصل بسحر امرئ القيس . فإن الملك الضليل قال في إحدى مناسباته :

تيممت العين التي عنـــد ضارج
يفيئ عليها الظل عرمضها طامي

وقال البحتري :

لم أؤهم نعمتي تغدر بي   عدرة الطفل سجا ثم انتقل

نعم هناك شبه بين هذين الشاعرين . فقد حظى البحتري ببيئة رائعة طيبة الهواء ورائعة الطقس كما تمتع إمرؤ القيس بنعمة لاهية وترف وارف وظل ظليل من وسائل الراحة والاستجمام فأثرت بينهما تأثيراً مساوياً .

ينبغي لي بأن أقتبس هنا من كتاب « الشوامخ » قطعتين :

« وقد تمتع امرؤ القيس في شبابه بظلال الملك . وتمتع البحتري بظلال (منبج) وهي موطنه فأرهفت هذه الظلال قوة الحس عند كل منهما فأصبحت تنطبع فيهما صور الحياة وأفراحها وأحزانها وأضدادها المتزاحمة فتنضج شعرهما قبل الأوان . وأصبحنا نشم في ذلك الشعر

ح النعيم ونلمح في خلاله دبيب الألم والمنى » .

القطعة الأخرى تبين أهمية أسلوب البحتري وتصوره . تقول :

« البحتري أرقى الشعراء أسلوباً وأقواهم حسا وأوسعهم أفقاً

و وإن كان في الظاهر لم يخرج عن أعراض الشعر وموضوعاته سومة من مديح وفخر وهجاء ورثاء و وصف إلا أن شخصيته القوية قد رحت هذه الحدود فخرجت منها لمحات واسعة نفاذة إلى آفاق الحياة » .

فأسلوب البحتري يتجلى فيه كل أثر من آثار العبقرية . وكلما لرنا إليه ظهر لنا فيه محاسن جديدة وروعة لا تنفد . ومعظم شعره ع الغاية في الجودة وعلو الفن وقوة السبك . وكان شعره يسمى سلاسل .هب . ولكنه بسهولته وصفائه لم يلتفت أحد إلى ما تشف عنه هذه بهولة من تعمق في الإحساس والتخيل والابداع في تنسيق الألوان لأنغام . وهذان البيتان يمثلان أسلوبه خير تمثيل .

بأن الشباب وكل شيء بائن والمرء مسترتهن بما هو كائن

طعنت به أيامه و شهوره إن المقيم على الحوادث طاعن

المصراع الأخير أجمل تصوير لكر الأيام والليالي . فكل إنسان نضى حياته دون أن يشعر بأن الأرض تدور . كذلك المقيم على الحوادث يحس بأنه ظاعن . وله بيت آخر :

و الحقني بالشيب في عقر داره

مناقل في عرض الشباب أسيرها

وهو تعبير جميل من تعبيرات البحتري الخالدة البعيدة المدى . و يتضمن من قوة التركيز والتلميح ما لا يتوصل إليه إلا بعد جهد يد وإتعاب ذهن متمرس . هذا من الميزات التي يتميز بها البحتري من لطلع الوضيئ . و الرونق البهي . و الطلاوة . و الصقل . و الجمال

والأشراقـــة .

التصوير في شعر البحتري :

غريزة المصور تتجلى في أسلوب البحتري وإن الألفاظ المستعملة السهلة قد لا يكون لها في الظاهر مدلول كبير ولكننا إذا أمعنا فيها النظر وحدناها تشف عن صورة حية متجسدة أخرجتها العبقرية من لا شئ .. وهذه القدرة التصويرية هي التي جعلت البحتري يرسم لنا . حتى في صورة الهجاء تلك الصورة الهوائية الرفيعة (١) .

كان في « هولندا » رسام كبير اشتهر بفنه في نواحي الشرق والغرب فرسم عجوزا يسكب اللبن في الإناء . فجاء الرسم جميلا فيه روعة الحياة التي يخلقها الإلهام . نراه فنحس كأن اللبن ينسكب في الإناء أمام أعيننا حقا . وقد صور شاعرنا البحتري بريشته الفنية صورة مثالية لرجل يهاب الموت ويتحير في أمره . فتعالوا نر الصورة التي صورها البحتري :

تحيـــــرَ في أمريه ثم تحببت
إليه الحياة ماؤها علل سكب
و لو كان حر النفس و العيش مدبـــر
لمات و طعم الموت في فمه عذب

أودع الله في هذا الكون من المناظر الطبيعية والروائع الجميلة ما يملأ هذا العالم الفسيح جمالاً ورواءا . نضارة وبهاءاً . يرتاح إليها النفوس ويطمئن لها القلوب وينجذب إليها البشر بما فيها من سحر وروعة .

الإنسان يكد و يكدح في مضمار الحياة بين عشية وضحاها . ويواصل

---

(١) الشوامخ .

سيره بالجد والنشاط حتى يبلغ منه التعب والإعياء مبلغه . فيبحث عن راحة واستجمام . فيحب مكانا بين أحضان الطبيعة يسلم نفسه لها وهو يطير على جناح السرور فيتمتع بما ينال فيها من طمأنينة وقرار وسلوى وعزاء هكذا يستطيع أن يمحو من الآلام والمتاعب ويعيش لساعة من الزمن في صرح من الهدوء والقرار . هذا مثل من يعيش على حقيقة من حقائق العالم متمثلة أمام عينيه . وهناك من يحلق جوا من الطبيعة والجمال بقوة مخيلته التي تخترع صورا جديدة من الحياة التي رآها وتمتع بها . فيتذوق أحلى كؤوس المتعة ويتحلق في سماواتها وأجوائها بأجنحة خيالية مخملية . فهو أكثر استجماما ومتعة من الذي يشاهد الطبيعة بأم عينيه . فإن الشاعر بأخيلته يطير بين أرض الحقيقة وسمائها . وكلما قوى حسه انطبعت صور الطبيعة في مخيلته رائعة جميلة يتمكن من إبرازها في أروع شكل وأجمل صورة . وإذا نظرنا إلى شعر البحتري وجدنا أن صور النعيم وسهولته ومائه تتحدر في أسلوبه . وقد عمر طويلا وقضى صباه في موطنه « منبج » (وهي خضراء من جميع النواحي) وتنقل بين البادية والحضر وأكثر من الأسفار في الشام والعراق وعاش في ظل القصور والرياض وقلب نظره في محاسن الأرض وجمالها ونادم الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة . وكان سمير المتوكل وصاحب الحظوة عنده (١) .

قال وهو يصف بركة الجعفري :

يا من رأى البركة الحسناء رؤيتها
والآنسات إذا لاحت مغانيهـــــا

---

(١) مستفاد من كتاب « الشوامخ »

يحسبها أنها في فضل رتبتها
تعد واحدة و البحر ثانيها
ما بال دجلة كالغيري تنافسها
في الحسن طوراً و أطواراً تباهيها
تنصب فيها وفود الماء معجلة
كالخيل خارجة من حبل مجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلة
من السبائك تجري في مجاريها
إذا علتها الصبا أبدت لها حبكا
مثل الجواشن مصقولا حواشيها
محاجب الشمس أحياناً يضاحكها
و ريق الغيث أحياناً يباكيها
إذا النجوم تراءت في جوانبها
ليلا حسبت سماءاً ركبت فيها

يحب البحتري طبيعة الشام ومناظرها المتنوعة بين السهل والجبل والمرتفعات والمنخفضات ، وقد أعرفت له كل ناحية شرقاً وغرباً، من الذروة والوهد ومن البعد والكثب ، مجتمعة ومتفرقة ..

ولطالما تغنى شاعرنا بالماء بمدافع البحر (من بيروت أويافا) ومواقع الساجور ومنسجم الغمام والمنهل العذب ، ولطالما تغنى بالجبال والسحب في مختلف أشكالها وألوانها :

أما دمشق فقد أبدت محاسنها
و قد وفي لك مطريها بما وعدا

إذا أردت ملأت العين من بلــد
مستحسن و زمان يشبه البلـــدا
يمسى السحاب على أجبالها فرقا
و يصبح النبت في صحرائها بددا

مقارنة لشعره بشعر أبي تمام والمتنبي :

يدلنا التاريخ الشعري على عبقريات في العصر العباسي ، وهي كانت تملك أعنة الشعر في عصورها وتقود الحركة الشعرية إبان نشاطها ، فهي في طليعة من منحوا للشعر والأدب ثروة زاخرة من الأفكار والاساليب والروائع البيانية ما كان لها صدى في جميع الأوساط العلمية والأدبية . فاعترف بنبوغها الكتاب والادباء والمؤرخون عبر القرون والأجيال . وقاموا بجهود كثيرة في تصوير حياتها الشعرية وإبراز براعاتها الفنية . ليكون هذا ضوءا لامعا للأجيال القادمة المشتغلة بالدراسة والبحث في مجالاتها العلمية والأدبية . فرحمهم الله إذ قدموا لنا من الأبحاث والمقارنات والدراسات العلمية ما تيسر لنا به التوصل إلى أعماق الموضوعات والاطلاع على اسرارها ! فهذا أديب العربية ومؤرخها يتناول الثلاثة من الشعراء البارعين بوصف مميزاتهم الفنية وإبراز روائعهم الشعرية فأولا يصفهم بـ « لات الشعر وسناته » ثم يركز على خصائصهم الشعرية في سطور . ولم يكن هذا إلا ناتجا عن فكرته المتمرسة ودراسته المتمحصة عن الاف من الصفحات وبحثه العميق الجدي الاحد بجوانب شاملة من حياتهم . فجاء وصفه هذا وصفا دقيقا أصيلا ومقارنة جدية تبنى على فكرة قوية ونظر فاحص فلنقرأ وصفه بكلماته :

« اما أبو تمام فإنه رب معان وصيقل ادهان وقد شهد له بكل

معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر. ولقد مارست من الشعر كل أول وأخير. ولم أقل ما أقوله إلا بعد التنقير، فمن كشف عن غامض الشعر وراض فكره برائضه أطاعته أعنة الكلام وكان قوله في البلاغة ما «قالت حذام».

« وأما البحتري: فإنه أحسن في سبك اللفظ على المعنى، ولقد حاز طرفي الرقة والجزالة على الاطلاق، فبينا يكون في شظف نجد إذ يتشبث بريف العراق، وسئل المتنبي عنه وعن أبي تمام وعن نفسه فقال: أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البحتري» ولعمري إنه أنصف في حكمه وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه، فإن البحتري أتى في شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء في اللفظ المصوغ من سلافة، فأدرك بذلك بعد المرام مع قربه إلى الأفهام وما أقول إلا أنه أتى في معانيه بالنوادر الغالية ورقى في ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية».

« وأما المتنبي فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام، فقصرت عنه خطاه ولم يعطه الشعر من قيادة ما أعطاه، ولكنه حظي في شعره بالحكم والأمثال واختص بالإبداع في وصف مواقف القتال. وأنا أقول قولاً لست فيه متأثما ولا منه متلثما، وذاك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها وأشجع من أبطالها، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها حتى يظن أن الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلا، فطريقه في ذلك تضل بسالكه، وتقوم بعذر تاركه. ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ما أداه إليه عيانه (١).

هذا ومن الجدير بالذكر أن ابن الأثير ذكر أن المتبني يتميز بالإبداع في وصف القتال، إذن هو يجعل المتبني في طليعة وصاف

(١) الشوامخ

القتال . وذلك رأى لا نوافقه عليه فإن المتنبى يبالغ في مثل هذه المواضع وهو ليس بوصف . بل إنما الوصف أن يذكر الشاعر ما يراه ويصوره بريشته البارعة حقا صادقاً أن يضيف إليه من الأكاذيب والأباطيل ما يقلل من أهميته وشأنه . والمتنبى مصاب بهذا الداء العضال فلا يستحق أن يوصف برسام مبدع كما ذكره ابن الاثير . فالرسم الدقيق هو من نصيب شاعرنا البحتري حيث يعتبر رساما حادقاً متنكباً عن طريق المغالاة ومتدرنا على درب الدقة والصواب .

يقول الثعالبي في البحتري

« يضرب به المثل لأن الإجماع واقع على أنه في الشعر أطبع المحدثين والمولدين وأن كلامه يجمع الجزالة والحلاوة والفصاحة والسلاسة »

وقال ابن رشيق :

« وأما البحتري فكان أملح صنعة من أبي تمام وأحسن مذهباً في الكلام يسلك فيه دماثة وسهولة مع إحكام الصنعة وقرب المأخذ لا يظهر عليه كلفة ولا مشقة » .

ثم ينتهي الصيرفي بقوله الفصل :

« ولا يسعنا الآن بعد هذه النظرة العاجلة إلا القول بأن أبا عبادة قد ترك لنا بأسلوبه وحده كنزاً عظيماً من كنوز الجمال . فإذا أضفنا إلى ذلك أن عبقريته قد تجلت أيضاً في موضوعات خالدة تمت بسبب متين إلى شخصيته وحياته وعصره بل وإلى كل عصر . ظهر لنا أن شاعرنا ليس من أمراء البيان في الشرق وحده بل من أمراء البيان في العالم أجمع . وأن شعره ذخيرة من أنفس ذخائر العرب » (١) .

---

(١) الشوامخ

رجل فقدناه :

~~المبهلة والشغف به قد استولى على قلبه وسائر~~

محدث الهند الكبير العلامة حبيب الرحمن الأعظمي

رحلاته العلمية *

[الحلقة الخامسة] سعيد الأعظمي

في صبيحة يوم من الأيام لعام ١٢٦٩هـ المصادف ١٩٤٩م ، وكنت صغيراً أتابع دراستي في مدرسة مفتاح العلوم سمعت الناس يتحدثون أن « الشيخ الكبير » قد سافر إلى أداء فريضة الحج من غير إعلان ، وفي غاية من السرية . وكان الخبر حقاً . حاول كثير من تلاميذه والمعجبين به أن يلحقوه في الطريق ويتبركوا بتوديعه لهذه الرحلة المباركة ، ولكن دون جدوى . فقد كان العلامة الأعظمي قد واصل سفره إلى بمبائي ، ومنها إلى الربوع المقدسة .

كانت هي رحلته الأولى التي قام بها باسم أداء فريضة الحج ، ولكنها لم تخل من إفاداته العلمية وأعماله التحقيقية ، وتم له اللقاء مع شخصيات علمية ودينية كبيرة في الحرمين الشريفين ، حيث تسنت له الإقامة إلى مدة ثلاثة أشهر تقريبا . وبعد ما شاع خبر عودته من الحرمين الشريفين وعلم الناس بموعد وصوله إلى بلدة « بنارس » ومنها إلى مئو ، سارع كثير من الناس وسافروا إلى بنارس ليستقبلوه ، واجتمع حشد عظيم من الجماهير المسلمة على محطة القطار في « مئو » وافترشوا محاجر عيونهم لاستقباله وبث أشواقهم وتقديم تهانيهم إليه ، على هذه السعادة التي أكرمه الله بها . وقد تحدث العلامة الأعظمي أمامهم في المسجد الجامع الذي هو في حيه بعد ما انتهى فيه من أداء ركعتين كتحية العودة المباركة من الحرمين ، وقال في حديثه الحافل بالعواطف : إنني أحمد

الله سبحانه وتعالى على هذه السعادة التي وفقني إليها ، وشرفني بها .
وإنني إذ أشكر الله سبحانه وتعالى على هذه النعمة الكبيرة واعتبر نفسي سعيداً بها أذكر والدي المرحوم الذي لم تكتب له سعادة الحج ، رغم تمنياته الكثيرة وانتقل إلى رحمة الله تعالى وفي نفسه حاجة لم يتمكن من قضائها . فأرجو الله سبحانه أن لا يحرمه الأجرويثيبه على هذه الأمنية التي راودته إلى آخر أيام حياته . ثم بكى ولم يتمالك نفسه . وظلت وفود المسلمين من أنحاء مختلفة تأتيه لتقديم التهاني القلبية على هذه الرحلة السعيدة إلى أيام طويلة

وكتب الله له بعد ذلك السفر رحلات عديدة إلى الربوع المقدسة للحج والزيارة . وفي إحدى رحلاته التي قام بها للحج في السبعينات الميلادية تحقق له اللقاء مع كبار العلماء والعظماء الذين جمعهم الحج في المدينة المنورة . ومن بينهم الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود - رحمه الله - الذي عرف بمكانته العلمية والدينية الرفيعة . وكانت له ميزة خاصة تفرد بها بين أوساط العلماء في مصر يوم ذاك . ولقد كان هو وكثير من علماء العالم الإسلامي نازلين في فندق عرفات وكان العلامة الأعظمي نازلا في نفس هذا الفندق . وهنالك في اجتماع يضم كبار علماء الإسلام من مصر والسعودية والهند وباكستان . ذلك كالعلامة المفتي محمد حسنين مخلوف . وسماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي . وفضيلة الشيخ العلامة محمد منظور النعماني . تحدث الإمام الأكبر عن انطباعاته عن العلامة الأعظمي ومكانته العلمية الكبيرة في الحديث الشريف ومن الرجال . فقال وهو يخاطب جماعة العلماء الحاضرين : « إنني أشهد أنه إذا كان في العالم كله من يستحق أن يلقب بالمحدث الأعظم ، فهذا هو . مشيراً إلى شيخنا المحدث الأعظمي » .

وفي عام ١٩٦٩م قام العلامة الأعظمي بالرحلة إلى بيروت واستصحب

معه تلميذه النجيب الشيخ ضياء الحسن الأعظمي وكان يومئذ يدرس الحديث في جامعة مظهر العلوم في بلدة وارانسي -الهند- وذلك للاشراف على طباعة مصنف الإمام عبد الرزاق ، الذي تناوله بالتحقيق والتعليق ، وبذل مجهوداته الكبيرة في تصحيح الكتاب ، فأقام في بيروت برعاية الله تعالى وكان يساعده في تسهيل السكن والعمل فضيلة الشيخ زهير الشاويش صاحب المركز الإسلامي في بيروت .

خلال إقامته في بيروت إلى مدة شهرين ، سنحت له فرصة لزيارة صيدا، بعلبك ، حلب ، اللاذقية ، وجبلة ، وتمت له في كل منها مشاهدة الآثار وزيارة الرجال من العلماء الكبار ممن استفادوا منه في كثير من المشكلات العلمية ومسائل السنة والحديث والاسناد .

وقام برحلة علمية مستقلة إلى بلاد سوريا ، فزار دمشق ونزل ضيفا على فضيلة الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني ، ثم زار حلب حيث استقبله العلماء الكبار والمسئولون عن التعليم والتربية بشئ كثير من الحب والإعجاب بشخصيته الفذة ، وفي هذه الرحلة ألقى دروساً في الحديث الشريف واستجازه كثير من العلماء وأصحاب الحديث ، فمنحهم إجازة في الحديث بسنده العالي .

وقد كان لبعض تلاميذه في حلب حظ في الاستفادة منه في الهند ، وزيارته في بلدته لمزيد من الاستفادة . أذكر منهم الشيخ عبد الوهاب زاهد الندوي والشيخ محمد سعيد البادنجكي الذي استفاد منه في علم الحديث ودرس في جامعة ندوة العلماء ، وهو الآن في المركز الإسلامي في مانجستر في بريطانيا ، يقوم بالتعليم والتربية والدعوة : وقد زار العلامة الأعظمي حلب مرتين ، وأقام في الربوع السورية إلى مدة للافادة العلمية .

اشرفت وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في الكويت على مشروع

جمع موسوعة فقهية برعاية من سعادة الدكتور الشيخ عبد الله العقيل مدير الشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف في الكويت سابقاً ، ومدير المجلس الأعلى للمساجد برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة حالياً ، وبإشراف من فضيلة الدكتور الشيخ عبد الستار أبو غدة الذي وجه دعوة الإسهام في هذا المشروع الفقهي بإيعاز من الدكتور العقيل ، إلى العلامة الأعظمي ، وطلب منه الإقامة في الكويت لمدة من الزمان لكي يطلع على هذا العمل الموسوعي ، ويشير على المسئولين بالإعدادات العلمية اللازمة لإنجاز المشروع ، فزار العلامة الأعظمي الكويت لهذا الغرض في السبعينات الميلادية ، واطلع على سير العمل هناك عن كثب ، وكان من مساهمته فيه أنه تحمل مسئولية كتاب الجنائز على غرار موسوعي ، وفعلاً أنجز هذا العمل وبعثه إلى مكتب الموسوعة الفقهية هناك .

ولما أقامت ندوة العلماء المهرجان التعليمي في عام ١٩٧٥م وجهت الدعوة للحضور فيه إلى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود ، وكتب إليه سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء رسالة خاصة بهذا الخصوص ، فتكرم بقبول الدعوة وشرف المهرجان التعليمي بإلقاء كلمة الرئاسة في الجلسة الافتتاحية ، وبالإمامة في صلاة الجمعة وإلقاء خطبة الجمعة المستفيضة الضافية ، وكان في وفده المرافق له معالي الدكتور محمد حسين الذهبي - رحمه الله - وزير الأوقاف لجمهورية مصر العربية يوم ذاك .

اجتمع في هذا المهرجان التعليمي العلامة الأعظمي بفضيلة الإمام الأكبر ومعالي الدكتور الذهبي وقضى معهما وقتاً طيباً في مذاكرات علمية ودراسات حديثية كانت سبباً مزيداً للاطلاع على مكانة المحدث الأعظمي العلمية عن كثب ، وتوثق العلاقات العلمية بينهم ، ومع نهاية المهرجان سافر فضيلة الإمام الأكبر والوفد المرافق إلى دهلي ومنها إلى ولاية

غجرات ، لزيارة المؤسسات العلمية ومشاهدة الآثار التاريخية هناك ، وكانت الجامعة الإسلامية تعليم الدين ، في دابيل - وهي على بعد عدة أميال من مدينة « سورت » - قد انتهزت هذه الفرصة و وجه عميدها فضيلة الشيخ محمد سعيد بزرغ - رحمه الله - دعوة إلى فضيلة الإمام الأكبر لزيارة الجامعة وإفادة الطلاب والمدرسين هناك ، وسافر العلامة الأعظمي إلى دابيل على دعوة من عميد الجامعة ، وهناك تم اللقاء بينه وبين فضيلة الإمام الأكبر ومعالي وزير الأوقاف ، مرة ثانية فكانت مناسبة علمية غالية ، وفي أثناء أحد الاجتماعات العلمية ابدى معالي الدكتور محمد حسين الذهبي انطباعه نحو المحدث الأعظمي فقال : « أعتقد أنه ليس له مثيل في علم الحديث في كافة الهند » فعلق عليه فضيلة الإمام الأكبر قائلاً : بل في الدنيا كلها فيما نعلم » .

وفي عام ١٩٨٥م تلقى العلامة الأعظمي دعوة من شيخ الأزهر فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق للحضور في المؤتمر الرابع للسيرة والسنة النبوية ، فعزم على السفر إلى القاهرة تلبية لهذه الدعوة الكريمة ، وسافر برفقة نجله الكبير فضيلة الشيخ رشيد أحمد الأعظمي واستقبلهما في مطار القاهرة المسئولون عن المؤتمر وأنزلوه في فندق ماريوت القاهرة ، ومن حسن حظى أنني كنت مدعواً كذلك في المؤتمر وسافرت بخط طيران آخر عن طريق كراتشي ، دبي ، وتشرفت باللقاء مع فضيلته صباح اليوم التالي في نفس الفندق ، فرأيته قد فرح بهذا اللقاء وسألني عن برامج المؤتمر ، وما هي إلا دقائق عدة إذ وصلت إليه جميع التفاصيل عن برامج المؤتمر ، وقد افتتحه فخامة الرئيس الباكستاني محمد ضياء الحق بكلمة قيمة كانت مدونة و وزعت على الحاضرين ، فكان افتتاحاً مباركاً .

استمر المؤتمر ثلاثة أيام عقدت خلال ذلك جلسات اللجان ، وفي إحدى

جلساتها التي رأسها سماحة الشيخ أحمد عبد العزيز آل مبارك - رحمه الله - رئيس القضاء الشرعي في أبوظبي ، ألقى شيخنا الكبير المحدث الأعظمي محاضرة قيمة حول الموضوع ، أثارت اعجاب الحاضرين ، فقد كان كثير منهم أبدى رغبته في زيارته وطلب موعداً لذلك ، وكانت غرفته في الفندق محطة للزائرين والمعجبين به والمستفيدين منه ، يأتون إليه من أنحاء بعيدة ومدن مختلفة .

وذات يوم زاره في الفندق معالي وزير الأوقاف المصري يوم ذاك معالي الدكتور محمد أحمدي أبو النور وجلس عنده طويلاً وتحدث معه حول القضايا العلمية والمشكلات الحديثية ، وطلب منه أن يشرفه في بيته ، ليتسنى له الحديث وتبادل الأفكار معه .

وكان اليوم التالي لنهاية برامج المؤتمر العلمية برنامج جولة لجميع الضيوف ، قاموا فيها بزيارة مدينة الإسماعلية والتفرج في قناة السويس على متن البواخر التي كان المسئولون قد نظموها ، وتوجه الضيوف على باصات مريحة وتوجه شيخنا العلامة الأعظمي مع جماعة من كبار علماء المؤتمر فاستصحبني معه في نفس السيارة ، وكانت الجولة موفقة سنحت فيها فرصة اللقاء والتعارف مع أهل العلم والفضل .

وقد جاءته جماعة من العلماء الشباب وفي مقدمتهم الدكتور عبد الكريم من المنصورة وزملاؤه من طلبة العلم والدين والتفوا حول الشيخ الأعظمي يستفيدون منه في قضايا العلم والدعوة ، ومع نهاية المؤتمر سافر معهم إلى بعض الجهات الجميلة وزار المنصورة ، وأقام بينهم أياماً عديدة .

واشتاق إلى زيارة مكتبة الاسكندرية وأبدى رغبته لسعادة الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم وكيل الأزهر فوافق على ذلك بكل رحب وهيأ له السفر إلى الاسكندرية واتصل بمدير المكتبة لكي يهيئ للعلامة الأعظمي كل ما يحتاج إليه من الدراسة والمطالعة فيها ، وقدم إليه مفتاح

عمارته الخاصة في الاسكندرية للإقامة والاستراحة فيها ، وكان موقعها جميلاً رائعاً يطل على البحر .

وكان للمحدث الأعظمي بعض التلاميذ في السعودية العزيزة ممن حضروا إليه للاستفادة العلمية وأقاموا لديه مدة لا بأس بها ، فطلبوا منه زيارة المملكة والإقامة عندهم إلى مدة ، ونزولاً على رغبتهم ودعوتهم سافر العلامة الأعظمي إلى جدة بمرافقة العزيز نجله الكريم الشيخ رشيد أحمد الأعظمي ، وذلك في نوفمبر عام ١٩٨٧م ولعلها كانت هي الرحلة العلمية الأخيرة التي تشرف فيها بأداء العمرة وزيارة الحرمين الشريفين ، وقضاء وقت طيب فيهما ، ولا شك فإن ذلك مسك الختام لرحلاته التي قام بها في سبيل العلم والدين ، ونشر علوم السنة والحديث ، جزاه الله على المشاق التي تحملها في هذه الرحلات ابتغاء وجه الله فحسب .

ولقد اجتمع العلامة في هذه الرحلات مع كبار العلماء والشخصيات المرموقة في الدول الإسلامية العربية ، فمنهم من طلب منه الإجازة في رواية الحديث بسنده ، فأجازهم بذلك ، وهم كثيرون ولكن نذكر العلماء البارزين منهم :

١ - فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة .

٢ - فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري (دار الإفتاء - بالرياض) .

٣ - فضيلة الشيخ حماد الأنصاري ، المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٤ - الشيخ سعدي الهاشمي ، المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٥ - أستاذ المقرئين فضيلة الشيخ عبد العزيز أبو عيون السود (حمص) .

٦ - السيد صبحي السامرائي (بغداد) .

٧ - الشيخ حمدي عبد المجيد ، محقق المعجم الكبير للطبراني (بغداد) .

٨ - الأستاذ زهير الشاويش (بيروت) .

٩ - الأستاذ عبد الستار أبو غدة (الكويت) .

١٠ - الشيخ محمد علوي المالكي (مكة المكرمة) .

١١ - الشيخ محمد عوامة (المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة) .

١٢ - الشيخ نور الدين عتر (دمشق) .

١٢ الدكتور عبد الله الجموري (مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض) .

١٤ - الدكتور العلامة بشار عواد معروف (بغداد) .

و كثيرون سواهم .

أما الذين اجتمع بهم في الدول الإسلامية العربية وتبادل معهم الأفكار والآراء حول علوم الكتاب والسنة فهم كالآتي :

الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق . والمرحوم الشيخ بهجة البيطار . والشيخ عبد الله سراج الحلبي . والشيخ عبد العزيز بن باز . والشيخ محمد أمين الكتبي شيخ الحرم المكي سابقاً . والشيخ محمد المغربي المكي . والشيخ حسن مشاط . والشيخ محمد حسنين مخلوف . والشيخ عبد الرحمن اليماني مدير مكتبة الحرم . والعلامة خير الدين الزركلي . والأستاذ سعيد الأفغاني . والشيخ ناصر الدين الألباني . والشيخ سليمان الصنيع . والشيخ محمد علي الحركان حين كان قاضيا بجدة . والشيخ محمد أبو اليسر عابدين (في بيته بدمشق) . والشيخ مصطفى أحمد الزرقاء . والمفتي الأكبر الشيخ محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين . ومفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد . استقبله في دار الإفتاء استقبالاً حاراً . وأهدى تأليفه « الشهيد في الإسلام » وكتب في هدائه : « مع أصدق التحية وأجمل التقدير إلى العلامة الكبير . المحدث والمحقق الجليل الأستاذ حبيب الرحمن الأعظمي

-حفظه الله- ووفقه ». وفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق . والدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم . والشيخ محمود محمد شاكر. والشيخ أحمد عبد العزيز آل مبارك . والدكتور يوسف القرضاوي . والدكتور إسماعيل عبد الخالق الدفتار. والدكتور صلاح الدين المنجد . والشيخ حمد الجاسر. والشيخ عبدالله العقيل . والشيخ عبد البديع صقر.

وللعلامة الأعظمي نجلان : أحدهما فضيلة الشيخ رشيد أحمد الأعظمي وهو مدير المعهد العالي للدراسات الإسلامية ومدرسة مرقاة العلوم التابعة له . وهو خريج جامعة مفتاح العلوم ومجود القرآن الكريم برواية حفص . وقد أجاز له المرحوم العلامة زاهد الكوثري . والمحدث الشيخ عبد الله الصديق الغماري .

وله من الأولاد : ١- أرشد رشيد الأعظمي : قد كمل دراسته في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . ٢- أزهر رشيد الأعظمي ، المبعوث من دار الإفتاء بالرياض ، للدعوة في الشارقة . ٣- أنور رشيد الأعظمي ، خريج جامعة أم القرى (مكة المكرمة) . ٤- راشد رشيد الأعظمي (قد أكمل دراسته في دارالعلوم بديوبند) وسوى ذلك ثلاثة أصغر سناً منهم . يدرسون في الجامعات الإسلامية الأهلية في البلاد .

وأصغر أولاده الذكور المولوي سعيد أحمد . تعلم الفارسية ، ومبادئ العربية ، ودرس نبذة من الفقه ثم مرض مرضاً منعه عن مواصلة الدراسة . فانقطع ، و له ولدان تخرجا من الجامعات الأهلية في البلاد ، و الثالث لا يزال يتابع دراسته في المعهد العالي (بمئو) (١) .

• • • • •

---

(١) في الجزء الأخير من هذا المقال استفدنا بعض المعلومات من مقال لفضيلة الشيخ محمد إلياس ، حول المحدث الأعظمي .

صور وأوضاع :

موقف جديد للاعلام إزاء مآسي المسلمين

واضح رشيد الندوي

كان من بواعث الاستبشار، والتفاؤل في الفترة الأخيرة التي أصيب فيها المسلمون بمحن وكوارث في مختلف أنحاء العالم، وبصفة خاصة في الهند، ومنطقة يوغوسلافيا السابقة، والصومال، وفلسطين المغتصبة.

كان المنكوبون في هذه المآسي الإنسانية من المسلمين، فقد كانت مأساة الصومال نتيجة للحرب الأهلية بين المسلمين أنفسهم وحدثت بسبب العصبيات القبلية والثورة السياسية ضد نظام مستبد، وكان الفريقان من المسلمين، كانت مآسي الهند والبوسنة والهرسك، وإسرائيل، حدثت لتعنت المتطرفين من غير المسلمين، وكانت النزعة الدينية والقومية وراء هذه المآسي الثلاث، ولكن الرأى العالمي ثار ضد هذه المعاملة غير الإنسانية لأول مرة في التاريخ المعاصر، وقام بإدانة مرتكبي هذه الجرائم، بغض النظر عن الدين، والقومية، وهو أمر يستحق الاعتراف والتقدير.

لقد قامت الصحافة العالمية وهي مسيحية أو يهودية والصحافة الهندية وهي منبثقة من الدوائر الرأسمالية والبيوتات التجارية الكبرى، يسيطر عليها افراد الطبقات العليا من الهندوس، بتغطية هذه الأحداث المؤلمة وأعربت عن استنكارها الشديد، ولم يسمح للأحداث بأن تمر مراً سريعاً، أو تبقى سراً من الأسرار، لتنكشف بعد سنين طوال، كما يحدث عادة في الأحداث العالمية الكبرى، حيث تكون الضحية من الضعفاء.

كانت تجربة المسلمين مع الاعلام في الماضي سواء كان هندياً، أم كان

عالمياً تجربة سيئة للغاية ، وقد كان الاعلام الهندي بصفة خاصة يتخذ موقف الانحياز التام إلى مرتكبي الجرائم كما كان جهاز الأمن من الهند متهما في ذلك ، فكان المسلمون مستهدفين للظلم من الجوانب الثلاثة ، من المتطرفين من الأغلبية ، ومن الاعلام الذي كان إما يغفل هذه الأحداث أو يقدم صورة مقلوبة لها ، ويوقف المسلمين في قفص الاتهام وتنشر تقارير ملفقة ، وأحياناً كانت التقارير الاعلامية المضللة هي السبب المباشر للحوادث الدامية ، وقد حدثت عدة حوادث دامية بروايات كاذبة نشرتها الصحف .

فكان دور الاعلام وفيه الاذاعة ، دوراً مضللاً مثيراً ، وقد أثارت الصحف الشحناء والكراهية بين مختلف الطوائف ، وقامت بتضليل الرأى العام وكانت تقارير الصحف المضللة تؤثر على أذهان السذج أو المعتدلين من الهندوس الذين كانوا يتأثرون ويغيرون موقفهم ازاء المسلمين ، ويعتبرونهم مثيري الفتنة .

كذلك كان الاعلام العالمي ، وهو خاضع للنفوذ الصهيوني ، ويسيطر الرأسماليون اليهود على كثير من وكالات الأنباء العالمية ، والإذاعات ، والصحف ، والدوريات التي تقوم بتكوين الرأى العام العالمي ، كان هذا الاعلام يقوم بتغطية الأحداث في العالم الإسلامي تغطية لا يحصل المسلمون بها على العطف ، والرحمة ، ولا يلتفت إليهم الضمير الإنساني ، فكانت محن المسلمين ونكباتهم لا تحدث في قلب الإنسان عاطفة إنسانية ، بل كانت تغطية هذه الوسائل للأحداث في العالم الإسلامي تنفر عن المسلمين ، وتحدث في قلب القراء والسامعين اشمئزازاً .

كان موقف الاعلام بالنسبة للأحداث الأخيرة موقفاً متغيراً ، انه كان موقفاً واقعياً ، وإعلامياً ، باستثناءات قليلة ، وقد عرض الإعلام هذه القضايا عرضاً إعلامياً ، أبرز فيه معاناة المسلمين ، وشقاءهم ، و وحشية

لمرتكبين للجرائم ، وهم من أنفسهم وبنى جلدتهم ، وأظهر المسلمين في هذه الأحداث لأول مرة مضطهدين ، مستضعفين ، ومن طبيعة الإنسان أنه يرق له قلبه لمعاناة شخص وشقائه إذا كان إنساناً في الواقع .

لقد كسب اليهود كثيراً بعرض قصيتهم كمظلومين فإنهم عرضوا قصيتهم بأنهم مصطهدون ، لا مأوي لهم ولا وطن ، وانهم عذبوا في ألمانيا على أساس التمييز العنصري في عهد النازيين ، فلانت لهم القلوب في أوربا كلها ، وحققوا كثيراً من أهدافهم على أساس هذين العنصرين ، ولا يزال هذه الاستراتيجية تدر لهم وتجديهم نفعاً كبيراً ، ثم إنهم يفخمون كل حادثة تقع لليهود ويبرزون هذه الجريمة ليبرروا عملية الانتقام .

كان حملة الأقلام قبل هذه الأحداث العالمية التي ظهرت فيها معاناة المسلمين نجلاء ، يقدمون المسلمين كأمة استبداد وظلم ، وجور وإكراه ، وكانوا يبرزون جانب الإكراه ، والبطش ، وكانوا يصفون الدين الإسلامي بدين السيف ، ويعرضون حياة الرسول -ﷺ- بطريق يظهر فيه كحامل السيف ، وتخفي في هذا العرض سيرته الطيبة ، وشمائله وإنسانيته ورأفته ، فكانوا يغفلون كل ما قام به المسلمون خلال حكمهم من إصلاحات ، وما عمروه من مدنيات ، وما أنشأوه من مراكز الحكمة والعلم ، وما أفادوا به الإنسانية ، فكان هؤلآء الكتاب والمحللون يخوفون العالم بالمسلمين ، وقد وصف هؤلآء الكتاب المسلمين بالعصبية ، والقبلية ، والتمييز على أساس العقيدة ، كما وصفوهم باضطهاد المرأة ، وعداء العلم والمدنية .

لقد انقلبت الصورة في الأحداث الأخيرة التي عاني منها المسلمون ، وظهر لهؤلآء الكتاب أن المسلمين هم في الواقع عرضة للظلم والاستبداد وأن الإسلام الذي اتهموه يحمل السيف ، رقبته هو تحت سيف غير المسلمين ، وأن الذين كانوا يدعون بالأمن ، والمحبة ، والإنسانية والحضارة ، هم الذين يحملون الكراهية ، والعداء ، ويرتكبون جرائم

وحشية ويبيدون، ويدمرون، ويقتلون الأطفال والنساء، وينتهكون الحرمات، ويهدمون المعابد، ويسيئون إلى المقدسات ويحرقون الكتب الدينية، ويتلفون المكتبات، باسم الدين.

أليس من الواقع أن الذين يرتكبون القتل ويدمرون ويحرقون، يفعلون ذلك باسم النصرانية في يوغوسلافيا، وأن الذين يرتكبون هذه الجرائم في الهند يفعلون ذلك باسم الهندوسية، وكذلك اليهود يفعلون ذلك باسم اليهودية، وعلماؤهم يناصرونهم في ارتكاب هذه الجرائم، ونساكهم وسدنة معابدهم يبررون هذه الجرائم.

إن المسلمين في البوسنة والهرسك، أوربيون، لا يميزهم عن الصرب، والكروات إلا أنهم مسلمون، فلماذا يخرجون من بلادهم ولماذا يقتلون، ولا يخفى ذلك على أحد، فإن زعيم الصرب قال بنفسه إن هذه الحرب حرب دينية، وأنه لن يترك أي مسلم في أوربا.

كذلك يطالب المسلمون في الهند من قبل المتطرفين بأن يندمجوا إلى الهندوسية، ويعبدوا آلهتهم ويقدسوا أمجادهم وقد صرح بذلك زعيم شيو سينا ويقول ذلك زعماء وشو هندو بريشد بأنه لا مكان للمسلمين في الهند إلا أن يكونوا هندوساً، وهم يصرحون أن هدفهم هو إنشاء دولة هندوكية.

فمن يواجه الإكراه، ومن يضطهد لدينه، وعقيدته، ولماذا يواجه؟ لقد تجاوز التطرف الصليبي، والصهيوني والهندوكي، جميع الحدود، والقياسات، وارتكبت جرائم لم يعد الاعلام العالمي يحتملها.

كان الإعلام الهندي أحسن في هذا الاعتراف بالواقع من الاعلام العالمي، فإنه تبنى قضية هدم المسجد البابري، والاضطرابات، وقام بإبراز خطورة الحركات المتطرفة، التي تدعو إلى تهنيد الهند، ولم يقدم مقالات وتحليلات فحسب بل نشر رسائل من القراء، وهم من الأغلبية الهندوسية في استنكار ما حدث، ويدل هذا التطور على أن الإنسانية لم

تفقد ضميرها الإنساني ، وعلى أن هناك قلوباً نابضة حية ، وعواطف إنسانية نبيلة ، تلتمس الحق ، وترفع صوت الحق ، ويدل على هذا الاتجاه عقد الاجتماعات الضخمة في مختلف أنحاء البلاد ، لاستنكار التطرف الديني في الهند ، واشتراك زعماء من الأغلبية الهندوسية فيها .

وكان هذا التطور هو الذي شجع سماحة الشيخ الندوي على أن يقوم بحركة تشتمل على رجال جميع الطوائف والديانات للتركيز على القيم الإنسانية ، ولإيجاد ذهن وعقلية ينظر فيها إلى الأحداث بنظرة إنسانية .

كان موقف الاعلام الإيجابي ازاء الأحداث في الهند ، موقف ادانة المتطرفين ، وتجاوز هذا الموقف إلى حد استنكار حركة « هندوتا » التي تهدف إلى السيطرة الهندوسية الكاملة وإنشاء دولة هندوكية ومحو جميع آثار العهد الإسلامي ، وشارك في هذه الادانة كبار الصحفيين ، فكان هذا الموقف دافعاً للحكومة إلى اتخاذ موقف معارضة هذه العناصر في سياستها الظاهرة ، وإن كان بعض زعمائها يعطفون قلبياً على هذه الحركة .

كذلك كان موقف الاعلام فيما يتعلق بالمبعدين الفلسطينيين الذين كانوا يعيشون في القيام فوق الجبال المغطاة بالثلوج ، فنقل الاعلام أحوالهم البائسة ، ولفت أنظار العالم إليهم و وصف كيف يقضون أوقاتهم في العبادة ، والتعليم ، والدعاء ، وكيف يواجهون هذه الظروف القاسية بالصبر والحلم ، فأوجد في القلوب عواطف الرحمة ، ومشاعر العظمة لهم ، و واجهت إسرائيل ضغطاً سياسياً عالمياً على هذه المسألة ، واضطرها الرأى العام على النظر في القضية .

هذه بعض بوارق الأمل ، وإذا تغير موقف الاعلام العالمي وأصبح إيجابياً ، وإذا كان المسلمون يتمسكون بالصبر والحكمة والرشد في سلوكهم ، فإن قضاياهم ستجد طريقاً للحل في وقت قريب .

....

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى رحمة الله تعالى

فجعت أسرة ندوة العلماء وعلى رأسها سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي بنبأ وفاة الأقربين من ذوى القربى لآل سيف وعبد الله الغرير بدبي ، في حادث اصطدام مفاجئ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وهما سعادة الشيخ سلطان بن سرور الظاهري وسعادة الشيخ سعيد بن سلطان الظاهري - رحمهما الله - . وقد كانا من أقرب الأقرباء لمعالي الشيخ سيف أحمد الغرير بوجه خاص وكانت صدمة الحادث عنيفة عليه وعلى عائلته جميعاً . فندعو الله سبحانه وتعالى أن يخفف عنه الألم ، ويكرمه بالأجر الجزيل و الصبر الجميل على قضاء الله ، و الرضا بالقدر ولا راد لقضاء الله تعالى وقدره .

وقد بعثنا إليه برسالة تعزية على الحادث ، فرد عليها بما يأتي :

« تلقينا رسالتكم المعزية لنا في وفاة الأخوين الشيخ سلطان بن سرور الظاهري والشيخ سعيد بن سلطان الظاهري تغمدها الله بواسع رحمته ، إن ذلك أمر الله على الجميع ولاراد لأمره وقضائه وعلينا أن نتقبله بإيمان وعقيدة راسخة ، لأننا لا نملك من أمرنا شيئاً ، ندعو الله سبحانه وتعالى أن يسكنهم فسيح جناته وأن يلهمنا وأهله وذويه الصبر والسلوان .

سلامنا إلى سماحة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي شاكرين تعزيته ومواساته وجزاه الله خير الجزاء ونرجو ألا ينسانا في دعواته بأن يرحمنا الله وأن يرحم أمواتنا ، إنه نعم المولى ونعم المجيب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشـــأهـــا :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الإسلامي

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

العدد الرابع - المجلد الثامن و الثلاثون

ذوالحجة ١٤١٣هـ-مايو و يونيو ١٩٩٣م

المـــــراسلات :

البعث الإسلامـــــي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٢ لكناؤ - الهند

ALBASS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama

P. O. Box. 93, Lucknow (INDIA)

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

جوانب إسلامية مشرقة في الحج !

شريعة الله العادلة السمحاء التي تقوم على قاعدة صلبة من العقيدة الصافية تمنح الحياة الإنسانية منهجاً عادلاً كاملاً يشمل جميع جوانبها المعنوية والمادية . ويوجه الإنسان نحو الوجهة الصحيحة السليمة التي تتولى إسعاده في مراحل الحياة كلها . وتتكفل له ببناء مستقبل زاهر في الدنيا والآخرة . وإن دراسة واقعية لتوجيهات الشريعة وأحكامها توفر لنا برهاناً ساطعاً على أن الإنسان المسلم لا يواجه لحظة ضياع أو تعطيل لقواه العملية وطاقاته الفكرية وبرامجه الحيوية . إنما هي حياة منظمة تنظيماً دقيقاً يعيش فيها مع جميع مطالبه النفسية . والعقلية . ومناسباته التشريعية. وواجباته الروحية والمادية . يعيش فيها مع حلوات النفس الهادئة . وساعات العمل الصاخبة . وفي جميع الأوضاع والظروف . دون أن يتناسى للمحة واحدة أنه يتقيد بقيود الشريعة والأخلاق . ويتمسك بذيل الطاعة والامتثال ﴿ قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ .

ولقد هدى الله الأمة الاسلامية بنور الشريعة التي جاء بها محمد - ﷺ - من عند ربه والكتاب المبين الذي أنزله على عبده الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وقد شملت هذه الهداية الربانية الحياة الإنسانية بكاملها بجميع فروعها وأصولها، وظواهرها وخفاياها . لكي لا تستيئس

وتفشل خلال رحلة الحياة ، وضغوط النفس والشهوات ، بل تمثل الشجاعة ، والنشاط ، والرؤية إلى مستقبل بعيد بعزم أكيد ، وأمل وطيد . ذاك هو شأن أمة القيادة والتوجيه ، التي جعلها الله تعالى أمة وسطاً تقوم بواجب الشهادة على الناس ﴿ وكذلك جعلناكم أمّةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ .

من هنالك تحملت هذه الأمة مسئولية الشهادة على الناس والوصاية على العالم أجمع ، ذلك لأنها خير أمة أخرجت للناس ، فهي مسئولة عن بناء هذا الكون وصيانته عن كل ما يهدد سلامته ، وينخر كيانه ، ويرجع به إلى شريعة الغابات وقانون العصابات ، إنها أمة الإسلام التي ظهرت على منصة العالم على فترة من الأمم ، وتولت زمام القيادة العالمية ، والتوجيه البشري ، في ضوء الإسلام الذي ارتضاه الله تعالى ديناً كاملاً . ومنهجاً شاملاً ، ونظاماً عادلاً ، ارتفع صرحه على خمسة أركان صرح بها رسول الله -ﷺ- في حديثه الصحيح الصريح الذي يقول فيه : « بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان . ولكل من هذه الأركان تفاصيل واضحة معلومة وأحكام ، وأسرار وحكم ، تولت الشريعة الإسلامية بيانها بشئ كثير من الدقة والعمق والوضوح .

ويأتي في إطار المناسبة شهر ذي الحجة الحرام ، فيذكرنا بالركن الرابع الذي هو حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً . وقد أكرم الله المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بهذه الاستطاعة الكريمة ، ويأتون إلى بلد الله الأمين ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ، ولا شك فإن الله سبحانه وتعالى قد أودع في هذا الركن جوانب إنسانية مشرقة كثيرة تتمخض عن هذا الاجتماع التعبدي الذي لا يوجد له نظير في أي ديانه ، أونظام أو فلسفة . إنما هي ميزة الأمة التي تنتمي

إلى الإسلام وتربط مصيرها بعبادة الله الواحد القهار .

يتضمن قوله تعالى ﴿ ليشهدوا منافع لهم ﴾ كل نوع من المنافع العلمية والدينية والاقتصادية والسياسية والإعلامية . بتقدير من الله تعالى . أما الجوانب الإعلامية فهي أبرزها مظهراً . ذاك أن ما يقوم به الحجيج من أعمال التعارف والذكر والاجتماع على كلمة واحدة . وهتاف واحد في صعيد واحد . وما يتجلى في أداء مناسك الحج من مظاهر الوحدة . والثقة ودعم عقيدة التوحيد . ورفع التلبية وتكرارها . يحمل كل ذلك من الفوائد الإعلامية الواقعية ما لا تحلم به أجهزة الإعلام في عصر التقدم العلمي والرقي الحضاري . فمن المعلوم أن الإعلام لا يهدف إلا تركيز الفكرة أو الصورة . وترسيخ المفاهيم والمشاهد بوسائله المتعددة . ثم التأثير بذلك كله في عقول الناس ومرئياتهم . وقد قيل إن الإعلام سلاح ذو حدين . يبني ويهدم . وينفع ويضر . كذلك أعمال الحج تحقق هذه الغاية الإعلامية من تركيز العقائد وفضائل الأخلاق وتحريك الهمم . وإيقاظ الروح . وإشعال جمرة الإيمان وإذكاء نار العداوة والبغضاء ضد الشيطان والوثنيات والكفر . والعادات الخبيثة . والأعمال القبيحة . والمعاصي المدمرة . وهي تبنى معالم الهدى . والسعادة . والعلم . والإيمان . وتخطط للمستقبل الإنساني النيّر . وتوفر لأهلها فرصاً سانحة للوحدة والتضامن والتعاون على البر والتقوى . وتهدم مسالك الغيّ والضلال . ومناهج الظلم والطغيان . وتحطم أغلال الشرك والعبودية والخنوع لغير الله .

إذا كان الإعلام يرسم الخطوط . ويضع القواعد . ويفصل المناهج . لتركيز الفكرة وتصوير الآلام والأحلام والآمال والأهواء . وتمثيل مناظر اللهو والمجون . والفواحش والنكبات والصور الإنسانية من جميع الأنواع . فإن أعمال الحج ومناسكه تمثل المشاهد الإنسانية والمناظر الجذابة من الرباط الوثيق بين العبد وربه وبيته ومشاعره . والعلاقة

المخلصة الجادة بصاحب الشريعة ، وحامل الوحي ورسالة الإسلام ، محمد -ﷺ- ، الذي بعث رحمة للعالمين ، إنها تصور ذلك الواقع الإنساني الذي رفع البشر إلى أعلى قمة من السعادة ، والهداية ، والطمأنينة والهدوء ، كذلك فإن في الحج كل نوع من الإعلام والإبلاغ والتوجيه ، والدعوة ، والتمثيل ، والتصوير ، فيه كل نوع من دروس الحب ، والهيام ، والتفاني في سبيل الهدف السامي ، وفيه تزكية العواطف وتنزيه المشاعر ، وتنمية روح الفضائل بإزاء العداوة للشيطان والكراهية للرذائل ، والفرار من خداع النفس ، وأخذ الحذر من كل ما يغرى العبد المؤمن في طريقه إلى الله ، ومن كل ما يخدعه من المظاهر الكاذبة المزخرفة ، وحدث عن الجوانب الإعلامية المتوافرة في هذا الركن العظيم ، في النواحي الإيجابية والسلبية كلتيهما ، ولا حرج .

ثم إن جماعات الحجيج التي تمثل جميع عواصم العالم ، وطبقات الأمة ، ومجتمعات المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، تحمل الأنباء والأخبار عما يجري حول العالم من الظروف والأوضاع المنوعة وتتولى مهمة كشف الحقائق عن كثير من شئون السياسة والاجتماع العالمية ، والنوايا والتحديات التي توجه إلى العالم الإسلامي والمسلمين لتصفية الوجود الإسلامي حيناً ، وإضعاف معنويتهم ، وثقتهم بخلود الإسلام ، وعالمية رسالته ، حيناً آخر .

كذلك تتضاعف البرامج الإعلامية بأنواعها وألوانها ، وتنشط وزارة الإعلام في المملكة العزيزة لنقل المشاهد والحقائق بأجهزة الإعلام المختلفة ، إلى جميع أنحاء العالم ، مما يفيد المجتمعات الإنسانية في العالم كله ، ويزودها بصور حية ، وأشكال متحركة ، لمناسك الحج وأعماله ، في أجواء الربوع المقدسة حيث يعيش ملايين الحجاج في وحدة

ووئام ، وحب وسلام ، ليس له نظير في أي أمة ولا تاريخ ، ولا سيما الخطبة الشاملة التي يلقيها الإمام في يوم عرفة من على منبر المسجد العظيم ، وفيها من بيان أحكام المناسك ودروس الحج ، وتعظيم شعائر الله ، وتقديس المشاعر ما يجسد تعاليم الإسلام ، لبناء الحياة الإسلامية ، ويبين مقاصد الشريعة من خلال هذا الركن العظيم .

أما حجة النبي -ﷺ- ففيها قدوة للأمة الإسلامية جمعاء ، كلما استطاع أفرادها إلى حج بيت الله الحرام سبيلا ، لقد علم النبي -ﷺ- أمته مناسك الحج بطريق عملي ، وفسر لها معالمه ومراميه ، ومفاهيمه ، بحيث لم يترك صغيرة ولا كبيرة ، دقيقة ولا جليلة إلا أحصاها ، وقد سجل التاريخ النبوي الإسلامي خطبته العظيمة الجليلة التي ألقاها من فوق جبل النور بعرفات وخاطب العدد الهائل من الصحابة الكرام - رضي الله عنهم أجمعين - و كان يبلغ هـذا العـدد أكثر من مائة ألف ، و قيل كان الصحابة الكرام في عدد لا يأتي عليه الحصر و الإحصاء ، على ما يشير إليه التاريخ .

ولم تكن هذه الخطبة مجرد كلام يُساق في مناسبة عظيمة ، وإنما كان ميثاقاً للحياة الإسلامية والاجتماعية ، لا ينطق به إلا النبي المبعوث رحمة للعالمين ، الذي كان كلامه وحيا من الله ، فكل ما جاء في هذه الخطبة يحمل مفاهيم عالية من حرمة الحياة الإنسانية وما والاها من أموال ونساء وأولاد وشئون سياسية واجتماعية واقتصادية وحضارية ، انظروا إلى شمولية هذه المفاهيم في قوله : « إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا كل شئ من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث ، وربا الجاهلية موضوع وأول

ربا أضع ربانا ، ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله ، فاتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله . ولكم عليهن أن لا يؤطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . فاستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً .

وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيناً كتاب الله وسنة نبيه ، أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه ، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم » .

ومن خلال الكلمات المتزنة الدقيقة التي تتركب بها بنية هذه الخطبة العظيمة يتجلى ذلك النبوغ الفكري والاحتواء النبوي اللذان ليس لهما نظير في كلام عامة البشر، و فيها من المؤشرات الإعلامية و المفاهيم البلاغية ما يعتبر قاعدة أساسية للفنون الإعلامية التي تزود الفكر الإعلامي في القرون المتأخرة بغذاء دسم منها ، ألم تروا كيف يوجه رسول الله - ﷺ - السؤال عن تبليغ كلامه إلى الناس ، وكيف يرد عليه ، ويشهد الله على ما قال ، وكيف يطلب إلى ذلك من الشاهد والغائب يقول : « وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس : اللهم اشهد اللهم اشهد ، ثلاث مرات » وقال في رواية : « ألا فيبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع » .

وهل يخفي أن تبليغ الرسالة الموضوعية والكلام الجادّ ، من الشاهد إلى الغائب على أعلى درجة من الإعلام ، وأقرب إلى إذاعة الكلام بأجهزة الإعلام المختلفة ، من بثّ الصور الناطقة على الهواء .

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي

Penetra

اليهودية العالمية تتحدى الصحوة الإسلامية !

سماحة العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي

لا شك أن اليهودية العالمية قد نجحت نجاحاً فوق الحساب في تحقيق مراميها وأهدافها الكثيرة ، التي ظلت آلافاً من السنين تحلم بها في تطبيق مخططاتها الكثيرة التي كانت تعتبر ضرباً من غرائب الهوس وطرائف الجنون في سهولة ويسر لم يكن يتخيلها أحد ، لا العرب ولا اليهود أنفسهم .

فقامت دولة (إسرائيل) في قلب المنطقة العربية الإسلامية المقدسة ، وبقيت جاثمة على صدر العرب والمسلمين واستطاعت بنفوذ اليهود العالمي أن لا تحتفظ بكيانها فحسب بل لم يزدها الزمان إلا قوة واستحكاماً ثم استطاعت أن تنتصر في الخامس من حزيران ١٩٦٧م ، واستولت على القدس وعلى الضفة الغربية وعلى شبه جزيرة سيناء وأصبحت قناة السويس وكثير من مدن مصر الساحلية مهددة معرضة للخطر الإسرائيلي ، وتوغلت في الأراضي السورية واستولت على عدد من المواطن الاستراتيجية المهمة ، واستطاعت أن تضرب عدة مطارات عربية في جرأة و وقاحة وهي الآن تحلم بالاستيلاء على هذه المنطقة العربية كلها وتهدد الأماكن المقدسة في قلب الجزيرة ويتحدث بعض زعمائها باسترداد ما فقده آباؤهم من حصون ومستعمرات يهودية في الجزيرة العربية وجلوا عنها في المد الإسلامي الأول ، بل يمنى اليهود أنفسهم بأن يصبحوا يوماً من الأيام السطوة العالمية التي تملى أوامرها وتفرض ارادتها على الرؤساء والوزراء والقادة والزعماء في العالم كله

وتحقق الحلم البعيد الذي رآه الربيون في التلمود حكماء صهيون في بروتوكلاتهم .

فهل يدوم هذا الوضع ؟ وهل تحقق الصهيونية ما بقي من أحلامها ومخططاتها ؟ وهل يترك العرب والمسلمون تحت رحمة هؤلآء الطامعين ؟ وهل يفسح لهم المجال ويرخى لهم الحبل حتى يستولوا على العالم كله ؟ ويحققوا أغراضهم وما يدينون به من فلسفات وأفكار ونظريات ؟ وهل يمنحون القيادة للنوع البشري وتتاح لهم الفرصة في توجيهه كما أتيحت لرسالات وفلسفات أو قوى وطاقات أو مدنيات وحضارات في الزمن السابق ؟

إننا لا نستطيع أن نجيب عن ذلك جواباً حاسماً حتى نقف وقفة قصيرة أمام هذا الكون الفسيح البديع ، وما عرفناه عن خالقه ومبدعه وأسمائه وصفاته . أفعاله وارادته وسننه وقوانينه ، وأمام التاريخ البشري وما وصل إلينا من تجاربه وحوادثه .

ولا نستطيع أن نحكم في ذلك بشئ حتى نحكم على السلالة البشرية ومدى صلاحيتها والطبيعة البشرية ونصيب الخير والشر فيها ونحكم على مستقبل الجيل البشري ومصير هذا العالم .

فإذا قررنا أن خالق هذا الكون الحكيم العليم لم يخلق هذا الكون وهذا الكوكب الذي نسكنه إلا للفساد والدمار والفوضى والانحلال والظلم والقسوة والوحشية والهمجية والمؤامرات والدسائس ولم يهتم به هذا الاهتمام - الذي يتجلى في جميع مجالاته من إبداع وإتقان وحسن وجمال وترتيب وتنسيق . يتجلى في إرسال الرسل وإنزال الكتب حيناً بعد حين وإلهام المصلحين ونصر الصالحين الصادقين وإدالة الخير من الشر وتغليب الصلاح على الفساد جيلاً بعد جيل - إلا ليسيطر عليه عنصر

ينتمي إلى بعض الأنبياء في أقدم العصور وتجري في عروقه قطرات من دمهم لا ترى بأدق مكبرة بيولوجية ولا تحسب بأكبر مهارة رياضية ولتهيمن عليه وعلى جميع طاقاته وذخائره وثرواته سلالة بشرية واحدة (شعب الله المختار) والأسرة الإلهية المقدسة .

وإذا قررنا أن هذه السلالة البشرية الكريمة هي الخلية البشرية الوحيدة التي خصها الله بجميع الطاقات وبجميع المواهب وقد ارتكزت فيها كل صلاحية وكل عبقرية وكل إبداع . أما لخلايا البشرية الأخرى التي يتكون منها النسل الإنساني الذي يملأ العالم فهي حثالة كحثالة الشعير وبراية كبراية الأقلام مجردة عن كل جدارة وصلاحية وقدرة على الإبداع والإنتاج وعن جميع المواهب والمنح .

فالعنصر اليهودي له وحده الحق في السيادة والحكم على النوع البشري أما سائر الناس فيجب أن يساقوا كما تساق قطعان البهائم الحقيرة وكل ما عدا هؤلآء الأبناء المدللين والسعداء الموهوبين فقطع شطرنج يلعب بها الدهاة اليهود والأكرمون في قدرة ومهارة ويضربون بعضها ببعض . ويغلبون بعضها على بعض ويهزمون بعضها أمام بعض وهي لا تملك من أمرها شيئاً .

وإذا قررنا أن الطبيعة البشرية هي الطبيعة الشريرة التي تفضل التدمير على البناء والإفساد على الإصلاح وهي متشائمة دائماً . حقوده ناقمة على العالم أجمع ساخطة على الماضي والحاضر ثائرة موتورة تحمل الأحقاد القديمة والجديدة وتنظر إلى كل قضية وحادثة بالمنظار الأسود ولا ترى إلا الجانب الضعيف فيما صنع الصانعون وبنى البناؤون وخلف المخلفون متذمرة تضيق ذرعاً بكل شئ تحتقر غيرها . وهي في الحقيقة مصابة (بمركب النقص) لا تعرف للسلالة البشرية كرامة ولا للإنسان

شرفاً ، ولا تعرف غاية أسمى من المادة وتحقيق الرغبات الخسيسة تقسو عند الانتصار وتجبن عند الهزيمة وتستخدم جميع الوسائل للوصول إلى الغاية ولا تتورع عن أخس الأعمال وأفحش المظالم وأحط الأخلاق وأوقح نفاق .

وإذا قررنا أن العامل البناء الوحيد القوي المؤثر في بناء المدنيات وصنع التاريخ وإسعاد البشرية وسياسة الشعوب والأمم هو الدهاء الخبيث والمهارة الإجرامية واللباقة الهادمة المدمرة والإفساد بين الناس ، والقضاء على الضمائر وفك نظام الأسرة وإشاعة الرذيلة والانحلال وإحداث الأزمات بعد الأزمات . وأن الوسيلة الأقوى التي سيطرت على مصائر الأمم وأعظم حوادث العالم وغيرت مجرى التاريخ هي المؤامرة الخفية وأن أكبر قوة يعتمد عليها هي الغدر ونكران الجميل واللؤم والخسة وأن الخلق المحبب إلى الله الضامن للغلبة والانتصار والعائد على البشرية بالسعادة والهناء هو الكبرياء والأثرة (١) .

وإذا قررنا أن مصير الإنسانية حالك مظلم لا أمل في سعادة وأمن وسلام ولا في إخاء ووئام وأنه لا يزال ينتقل من حرب إلى حرب ومن نكبة إلى نكبة ومن شئوم إلى شئوم ومن ثورة إلى ثورة ، حتى ينتهي إلى جهنم التي سعرتها الأغراض المتطاحنة والأحقاد المتواصلة ..

وإذا قررنا أنه ليس هنالك قضية رسالة وهداية وقضية عقائد ومبادئ و قضية ضمائر و قلوب و قضية أخلاق و فضائل و قضية دين مختار

---

(١) ولذلك يصفهم القرآن بالمغضوب عليهم وجاء هذا الوصف في سورة الفاتحة التي تتكرر وتجب قراءتها في كل صلاة ولا يتذوق هذه الكلمة البليغة ولا يعرف مدى انطباقها على اليهود إلا من عرف سيرتهم والدور الذي لعبوه في تاريخ الإنسانية .

وشريعة مصطفاة ومنهج مفضل للحياة إنما هي قضية سلالة ونسب ودم وعرق وقضية ثارات وتراث وأحقاد وضغائن واسترداد لمجد ضائع وأرض مسلوبة أو محتلة وإشباع لرغبة الطموح أو غريزة الاستيلاء وطبيعة الجشع .

إذا قررنا ذلك كله فلا شك أن اليهود هم المرشحون المهيئون للسيادة والغلبة وأن هذا الوضع سيظل ويدوم وأنه لا يعوق عن توسعهم في الحدود والامتلاك والاحتلال وعن تحقيق مخططاتهم شئ فإنها هي الصورة الحقيقية التي رأيناها فيما عندنا من أسفار العهد القديم وفي صحف التلمود وفي بروتوكولات حكماء صهيون ، وفي ما وصل إلينا من خطب زعمائهم ومحاضر جلساتهم السرية وفي ما تحقق من أعمالهم وإجراءاتهم منذ استولوا على القدس وعلى المدن الإسلامية العربية .

و هي صورة الحقد والاحتقار والنقمة والسخط على البشرية وتقديس العنصر اليهودي والدم الإسرائيلي إلى حد التأليه وتجريد السلالة البشرية الباقية في جميع أدوار التاريخ وفي جميع أنحاء العالم عن كل جدارة وصلاحية ، والتصميم على الاستيلاء على العالم كله لمصلحة اليهود وحدهم والبغضاء المتأصلة في النفوس والضراوة بالشر والفساد كطبيعة أصيلة والعنف والعناء كأخلاق قومية وعادات موروثة وهي الصورة التي تقترن بتاريخهم اقتران المزاج بالإنسان وترافقهم مرافقة الظل ، فالمؤامرة قوام تاريخهم وعماد حياتهم والقطب الذي يدور حول نشاطهم وذكائهم ، وهم الرأس المفكر والعقل المدبر والأصبع المحرك في كل ثورة وفي كل مؤامرة (١) في كل مذهب هدام وفي كل فلسفة مدمرة وفي كل قلق يسود

(١) وضع بنيامين دزرائيلي ، اللورد بيكونز فيلد ، ورئيس وزراء بريطانيا >>

وفي كل أزمة تحدث - اقتصادية كانت أو سياسية واجتماعية كانت أو خلقية ولا أبلغ ولا أدل من كلمة نابغتهم الدكتور أوسكار ليفي في وصف شعبه (نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم و مفسديه و محركى الفتن فيه وجلاديه) .

وليست لليهود - ولم تكن في دور من أدوار حياتهم - أي رسالة عالمية وطبيعة الرسالة العالمية لا تتفق مع تقديس العنصر والدم والغلو في تعظيم سلالة واحدة واعتقاد كل نزاهة وجدارة وصلاحية للتقدم الروحي والسمو النفسي والقرب من الله تعالى في نسل واحد وأرومة واحدة وعدم الاقتناع بعقيدة المساواة البشرية و وحدة الأصل والجنس في بني آدم وتكافؤهم في فرص الرقي والتقدم والطهارة والنزاهة وبلوغ أعلى درجات الإيمان والإحسان والرحمة والرضوان فطبيعة تقديس العنصر والدم وحصر النجابة والنبوغ والعبقرية والعظمة والاختصاص بخالق هذا الكون تعارض كل المعارضة العطف على النسل الإنساني والحماسة في نقل أفضل ما عندها من رسالة وسعادة إلى باقي البشر وسائر بني آدم وإشراكهم فيما عندها من علم ثابت وعمل صالح وأخلاق كريمة بل إن هذه

<< العظمى اليهودي . الملاحظة التالية على لسان « سيدونيا » بطله اليهودي ، وهي تصور اليهودي العالمي التصوير الحقيقي :

« ليس في وسعك أن تلاحظ حركة فكرية عظيمة في أوربا لا يكون لليهود فيها إسهام ضخم جداً . فلقد كان اليسوعيون الأوائل من اليهود والدبلوماسية الروسية الغامضة التي تزعج الدول الأوربية الغربية يقوم على تنظيمها وتنفيذها اليهود . والثورة العظيمة التي يجرى إعدادها في ألمانيا الآن والتي ستكون بمثابة حركة إصلاح ديني ثانية . ولعلها أعظم من الحركة الأولى ، والتي لا يعرف عنها إلا القليل الآن في انجلترا . تتطور الآن . وتنمو نموا كلياً تحت إشراف اليهود . » (اليهودي العالمي لـ « هنري فورد » : ص/٦٦) .

الطبيعة تجنح بطبيعة الحال إلى تضييق دائرة الهداية والدعوة وتحديدها في عنصر واحد وفي سلالة واحدة لذلك كان من الطبيعي أن الديانة اليهودية لم تكن في زمن من الأزمان دعوة عامة للخلق ولم يكلف اليهود - في ضوء من نصوص كتبهم المقدسة هتبليغ الرسالة إلى الأمم جميعاً (١) بل وردت نصوص تمنع عن ذلك وتحصر نشاطهم الدعوى في نطاقهم العنصري المحدود . وكان من الطبيعي والمعقول جداً أن يميروا دائماً بين بني إسرائيل وبين الشعوب والقبائل الأخرى . وأن يصعوا للخير والشر والبر والاثم مقاييس مختلفة تختلف باختلاف السلالات والشعوب وأن لا يتحرجوا من أكبر إجرام أو عدوان مع شعب آخر. وذلك ما أخبر به القرآن عنهم فقال : ﴿ ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ﴾ ومن الطبيعي والمعقول جداً أن تتعرض جميع الشعوب والسلالات التي يحكمها اليهود لكل اضطهاد وعسف وبخس نصيب وتطفيف كيل لأنهم لا ينظرون إليها كأسرة إنسانية زميلة أو سلالة بشرية شريفة وإنما هي قطيع من الغنم أو مجموعة من عجماوات أو جمادات خلقها الخالق لتكون آلة صماء في يد أبنائه المدللين (٢) .

اذن فالفطرة السليمة التي أودعها الله في غالب البشر وما تحدثت الأديان والشرائع والكتب المنزلة عن عدل الله ورحمته وحكمته وإرادته

---

(١) تقول السيدة الفاضلة المهتدية مريم جميلة (Margaret Marcus) اليهودية سابقاً في كتابها « الإسلام ازاء أهل الكتاب ماضياً وحاضراً » باللغة الانجليزية : « إن اليهود لا يبلغون دينهم إلى غيرهم عملياً فحسب . بل إنهم لا يرحبون بالدخول في ديانتهم . ولا أعرف إلا مثالين في تاريخهم الطويل حين دخل غير اليهود في اليهودية في عدد كبير . كان ذلك مرة في اليمن . في زمن سبق البعثة المحمدية ببضعة قرون . ومرة ثانية اعتنق عدد من غير اليهود الديانة اليهودية في مملكة خزار التاتارية الأصل التي عاشت مدة قصيرة في روسيا .

(٢) وهي نفس النظرة التي كان ينظر بها البراهمة والفاتحون من الآريين في الهند إلى سكان هذه البلاد القدماء . وعليه تأسس نظام الطبقات في الديانة البرهمية وفي المجتمع الهندي ولا يزال هو النظام المتبع .

من صنع هذا الكون الفسيح البديع المنظم المنسق - وخلقه للجيل البشري واستخلافه وتكريمه وما أودع في الأشياء من طبائع وما وضع لنهضة الأمم وانحطاطها وقيام الحكومات وسقوطها وازدهار الديانات ودولها من سنن وقوانين وما تحقق عند جميع الأديان الفطر السليمة والعقول المستقيمة من أنه ليس رب سلالة ونسل، ورب أسرة وبيت ورب بلد وإقليم بل هو إله الجميع ورب العالمين ورب المشارق والمغارب، وما ثبت في التاريخ الانساني من أن الشعوب والأمم إنما تحيى بالرسالات التي تحتضنها والغايات التي تدعو إليها والفضائل التي تكافح في سبيلها وما تحمل من إفادة ونافعية وعناء للجميع وما نبه عليها القرآن الكريم بقوله : ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاءً • وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ .

إن كل ذلك يحتم أن اليهود الذين يتحدون هذه الحقائق وهذه الطبائع وهذه السنن والقوانين والغايات الكريمة التي خلق الله لها هذا الكون وأوجد لها هذه الأجيال البشرية وما يحبونه من الخير والصلاح ومن العمران والبقاء لا يمتعون بفترة طويلة من السيادة والسيطرة والغلبة والقوة ولا يمكنون من تحقيق جميع آمالهم وأحلامهم ومشاريعهم ومخططاتهم الهادمة المدمرة الأنانية السلبية ولو أيدتهم ألف حكومة ، وكانت من ورائهم القوي الكبرى كلها في العالم ولو توفرت عندهم كل الوسائل الجهنمية التي اكتشفها المكتشفون في هذا العصر والتي برع فيها اليهود براعة ممتازة وسينتصر أهل الحق وحملة الرسالة العالمية الخالدة التي تعطف على الانسانية كلها وتساوى بين الشعوب والأمم وتنتصر للحق أينما كان وتحارب الظلم أينما وجد ، يعيشون للإنسانية ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً .

[يتبع]

أصول العلاقات الدولية
بين الإسلام والتشريعات الوضعية

(الحلقة الأولى)

أ. د. محمد الدسوقي
أستاذ الفقه والأصول بكلية الشريعة - جامعة قطر

تمهيد :

يختلف الإسلام عن سائر الأديان السماوية بأنه دعوة عالمية ، بعث بها محمد -ﷺ- لإخراج الناس من الظلمات إلى النور .

وقد وردت في الكتاب العزيز آيات كثيرة ، ونقل الرواة الثقاة أحاديث عدة . وكل هذه الأحاديث وتلك الآيات بيان صريح عن عالمية الإسلام . وأنه رسالة عامة خالدة ، جاءت لتخاطب في الإنسان فطرة الله التي فطر الناس عليها . ومن ثم كانت صالحة للتطبيق الدائم إلى يوم الدين .

وفضلاً عما ورد في القرآن الكريم من آيات تتحدث عن عالمية الإسلام وأيضاً عما اشتملت عليه كتب السنة من أحاديث تبين أن محمداً -ﷺ- خاتم النبيين . ورحمة الله للعالمين . فإن هناك مسألتين تؤكدان عموم رسالة الإسلام ، وأنها آخر الرسالات الإلهية ، وهما :

أولاً : طبيعة المعجزة التي جاء بها محمد -ﷺ- .

ثانياً : تعاليم الإسلام .

أما المسألة الأولى فإن معجزة محمد -ﷺ- التي تحدى بها العرب هي القرآن الكريم . وقد اقتضت مشيئة الله أن يكون لكل نبي معجزة تثبت أنه رسول صادق فيما يدعو إليه . وليس دعيا أو متنبئا وكانت

معجزات الأنبياء الذين بعثوا قبل محمد -ﷺ- حسية مادية ، كما أنها معجزات شخصية بمعنى أن وجودها وبقاءها مرتبط بشخصية الرسول ، فإذا توفاه الله أصبحت هذه المعجزة خبرا يروى ، وأثرا ينقل كمعجزات عيسى وموسى وإبراهيم وغيرهم من الأنبياء عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه ، ولكن معجزة القرآن ليست كذلك ، فهي عقلية غير حسية ، وهي أيضا غير شخصية ، فهي باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، والناس بعد محمد -ﷺ- يرون معجزته كمن شاهدوا محمدا وخاطبوه (١)، فهي من ثم معجزة الدهر وصوت الحق إلى الخلق ، حتى يقوم الناس لرب العالمين .

ويؤكد تعاليم الإسلام عالمية هذا الدين ، فهذه التعاليم تخاطب الفطرة الإنسانية ، وتنظر إلى الإنسان نظرة واقعية ، وتحترم العقل البشري ، وتسوى بين الناس كافة في الحقوق والواجبات ، ولهذا لا تعرف الإقليمية أو العنصرية ، فهي إنسانية عامة ، تلبي حاجة كل المجتمعات على اختلاف الأزمان والبلدان .

إن بقاء معجزة الإسلام ، وحفظها من التحريف والتبديل ، واشتمالها على تلك التعاليم التي صلح عليها أمر الدنيا والآخرة ، لدليل واضح على أن دعوة الإسلام دعوة عالمية ، وأنها خاتمة الرسالات الإلهية ، ومهيمنة عليها ولا ينكر هذا ، أو يمارى فيه إلا كل من ألغى عقله ، أو سيطر التعصب عليه ، وبغى علوا في الأرض وفسادا .

وما دام الإسلام دعوة عالمية ورسالة الله الخاتمة إلى الناس جميعاً فإنه

---

(١) انظر : القرآن ، المعجزة الكبرى ، للشيخ محمد أبو زهرة : ص/١٥ ، ط. دار الفكر العربي ، القاهرة .

في أحكامه لا يعرف حدوداً مكانية أو زمانية ، ولكن لأن هذا الدين القويم لا يعرف الإكراه في الإيمان به اقتضت الظروف أن يكون الإسلام إقليميا من حيث التطبيق ، وإن كان في الأساس عالمياً لا يخص قوماً دون قوم ولا عصراً دون عصر. فالعالم كله مخاطب به ، وهكذا يصبح الإسلام رسالة عالمية إذا نظرنا إليه من الوجهة العلمية ، وإقليمياً إذا نظرنا إليه من الوجهة العملية (١) .

على أن إقليمية الإسلام من الوجهة العملية لا تأثير لها عليه من الوجهة العلمية ، لأن لهذا الدين مبادءه العادلة التي تحكم علاقته بغير المؤمنين به سواء أكانوا مقيمين في دياره أم كانوا مقيمين في ديار خاصة بهم وهذه المبادئ التي أصبحت تعرف في العصر الحديث بالقانون الدولي تؤكد عالمية الإسلام ، وأنه أقوم منهاج لحياة الإنسان في كل مكان ، وأن الفكر البشري مهما يبدع من آراء و نظريات فإنه لن يبلغ مبلغ مبادئ الإسلام و تعاليمه ﴿ صبغة الله و من أحسن من الله صبغة و نحن له عابدون ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ١٣٨) .

وعن تلك المبادئ التي تحكم علاقة المسلمين بغيرهم تعرض هذه الدراسة في إيجاز مع الاهتمام بالأصول الكلية والقواعد العامة دون تشقيق القول في الفروع والجزئيات .

ويقوم منهج هذه الدراسة على ما يلي :

أولاً : أصول القانون الدولي في التشريعات الوضعية .

ثانياً : أصول القانون الدولي في الإسلام .

---

(١) انظر : التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالتشريع الوضعي للأستاذ عبد القادر عودة : ج/١، ص/٢٧٥ . ط. دار التراث ، القاهرة .

ثالثاً : الموازنة بين الإسلام وتلك التشريعات حول هذه الأصول .

وأخيراً خاتمة تحتوي على أهم نتائج الدراسة وبعض ما ترشد إليه من توصيات .

أولاً : أصول القانون الدولي في التشريعات الوضعية :

يراد بالقانون الدولي التشريعات التي تنظم علاقة الدول بعضها ببعض ، كما تنظم علاقة الأفراد المختلفي الجنسية في دولة من الدول . ومن هنا ينقسم هذا القانون قسمين : القانون الدولي العام ، والقانون الدولي الخاص . ولكل منهما عدة تعريفات تختلف من حيث الصياغة ، بيد أنها لا تختلف غالباً من حيث المضمون .

ومن التعريفات التي وضعت للقانون الدولي العام أنه « مجموعة القواعد التي تنظم العلاقات بين الدول ، وتحدد حقوق كل منها و واجباتها في حالتي السلم والحرب » (١) .

وهذا التعريف وإن امتاز بعدم النص على مسائل هي محل جدل بين فقهاء القانون وشراحه ، ومنها وصف تلك القواعد بأنها ملزمة للدول ، وأنها عرفية أو اتفاقية ، وأن الدول التي تأخذ بها هي المتمدنة (٢) ، دون غيرها . أغفل الإشارة إلى الهيئات الدولية التي تتولى الإشراف على تنفيذ مبادئه . ولذلك عرفه بعض فقهائه بأنه القانون الذي يحتوي من ناحية على القواعد والمبادئ التي تحكم التزامات الدول في علاقاتها المتبادلة ، و هو يبين لنا من جهة أخرى القواعد الخاصة بالتنظيم الدولي ، أي بنظام وكيفية سير الهيئات التي أنشئت لمصلحة الجماعة

(١-٢) الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام للأستاذ علي علي منصور : ص/٨٠ ، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة .

الدولية ، وحدد سلطاتها واختصاصاتها ، وذلك مثل هيئة الأمم ومكتب العمل الدولي (١) .

وأما القانون الدولي الخاص فمن التعريفات الجامعة لهذا القانون أنه « مجموع القواعد القانونية التي يطبقها القضاة بأمر صريح أو ضمني من المشرع لتحديد اختصاص محاكم الدولة إزاء محاكم الدول الأخرى بالحكم في القضايا المدنية ذات العنصر الأجنبي التي تقع بين الأفراد وإسنادها إلى القانون الذي يجب أن يحكم فيها بمقتضاه (٢) .

من تاريخ القانون الدولي في التشريعات الوضعية :

يجدر بنا قبل الحديث عن أصول القانون الدولي بقسميه الإشارة إلى طرف من تاريخ هذا القانون ، وكيف تطور عبر التاريخ حتى وصل إلى ما وصل إليه في العصر الحديث .

مما لا جدال فيه أن الدول تقوم بينها علاقات مختلفة منذ أقدم العصور وأن هذه العلاقات كانت تخضع لبعض القواعد والضوابط بصرف النظر عن مصدرها ، أو عدم الأخذ بها في أغلب الأحيان .

وقد سجل التاريخ في عهد الفراعنة معاهدة صلح بين رمسيس الثاني فرعون مصر ، وبين أمير الحيثيين في آسيا الصغرى بعد حرب طاحنة بين الدولتين . ويمكن أن تكون شروط هذه المعاهدة أقدم ما عرف من القواعد الدولية التي أخذت بها الدول في بعض علاقاتها (٣) .

---

(١) مبادئ القانون الدولي العام للدكتور محمد حافظ غانم : ص/٢٢. ط. القاهرة .

(٢) انظر القانون الدولي الخاص للدكتور علي الزيني : ص/٤٤ ، ط. الاعتماد ، القاهرة .

(٣) انظر نصوص المعاهدة في كتاب « مصر القديمة » للدكتور سليم حسن ، ص/٢٨٧ ، ط. القاهرة .

ولم تعرف أوربا حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي قانوناً دولياً ينظم العلاقات بين الدول ، وذلك أن الحاجة إلى هذا القانون لم تظهر إلا بعد انهيار الإمبراطورية الجرمانية الرومانية ، وانتهائها بوفاة آخر أباطرتها فردريك الثالث سنة ١٤٩٢م ، فقد تفرقت أوربا بعد انتهاء هذه الامبراطورية التي ظلت زهاء خمسمائة عام إلى دول كثيرة مستقلة ، وقامت بين هذه الدول الناشئة علاقات وخلافات متباينة بسبب الحدود والحروب ، ومن ثم ظهرت الحاجة ملحة إلى قانون دولي ينظم هذه العلاقات .

واتجه العلماء نحو القانون الروماني يستوحونه ، ونشأت حركة علمية - شجعتها ملابسات عصر النهضة وحركة الإصلاح الديني - غرضها بيان ما يجب على الدول وعلى رؤسائها اتباعه من قواعد في شأن قيام العلاقات بينهم ، وتزعم هذه الحركة الرعيل الأول من علماء القانون الدولي (١) . ويذكر في مقدمة هؤلاء ميكافيلي الإيطالي ، وجروتيوس الهولندي ، لأثرهما الكبير في تطور القانون الدولي الوضعي .

أما ميكافيلي فقد ظهر له كتاب « الأمير » في سنة ١٥١٢م . وجاءت فيه عبارته الشهيرة « لا محل للأخذ بقواعد الأخلاق في أمور الدول » ، وهذه العبارة اتخذت قاعدة لدى الأمراء والقواد فاتسمت العلاقات بين الدول بالقسوة والهمجية في حالة الحرب ، والخداع والوقعية في حالة السلم .

ومع أن ميكافيلي توفي سنة ١٥٢٧م فقد ظلت نظرياته وتعاليمه تحظى باهتمام من حكام أوربا ، استجابة لمآربهم الشخصية ، وقد نجم من ذلك وقوع حروب كثيرة أثارت الفزع والفوضى بين الناس ، بيد أنها مع هذا أثارت المفكرين والعلماء لمقاومة تلك التعاليم والنظريات ، ومحاولين اخراج العلاقات الدولية من الفوضى التي كانت تحيط بها .

---

(١) أصول القانون الدولي للدكتور حامد سلطان ، وعبد الله العريان : ص/٢٢ ، ط القاهـــرة .

وتبلورت تلك النزعة المضادة لكتاب ميكافيلي في كتاب « في قانون الحرب والسلم » للعالم الهولندي جروتيوس ، وقد ظهر هذا الكتاب في سنة ١٦٢٥م وتضمن تنظيماً يكاد يكون كاملاً لما قد يقوم بين الدول من روابط وعلاقات وامتاز بادراسة المنطقية المنظمة ، وبالنظريات التي لاقت احتراماً وتقديراً من المفكرين في ذلك العصر ، وقد هاجم مؤلفه اراء ميكافيلي ونظرية الرئاسة العليا في الشئون الدينية التي كانت للبابا

ولأهمية هذا الكتاب وأثره في العلاقات الدولية التزمته الدول دستوراً لعلاقاتها الخارجية مدى قرنين من الزمان ، واعتبر مؤلفه أب القانون الدولي ، وارتبط اسم جروتيوس بنشأة هذا العلم لدى فقهاء هذا القانون الغربيين .

وفي سنة ١٦٤٨م وقعت معاهدة وستفاليا التي يؤرخ الأوربيون فيها بدء العصر الحديث للقانون الدولي ، لأنها وضعت آراء جروتيوس موضع التنفيذ الفعلي بين الدول ، و لكن ظروفاً شتى جدت بعد هذه المعاهدة ساعدت على نمو القانون الدولي ، وانفساح مجاله ، فذاعت مبادؤه وتأكدت ضرورة وجوده ، ورسخت في حكم علاقات الدول قواعده (١) . ومن ذلك ظهور عدة دول جديدة بعد الثورة الفرنسية في سنة ١٧٨٩م بسبب انتشار الحركات القومية ، واستقلال كثير من الشعوب الأوربية خلال القرن التاسع عشر ، وقد ترتب على ذلك أن أصبحت العائلة الدولية تنتظم عدداً كثيراً من الدول المستقلة المتساوية ، لكل منها سيادتها وجيوشها وأساطيلها مما دعا إلى ازدياد الشعور بالحاجة إلى إيجاد قواعد خاصه بتنظيم علاقات الدول في وقت السلم والحرب .

---

(١) الشريعة الإسلامية والقانون الدولي : ص/٤٩ ، وانظر القانون الدولي العام للدكتور سامي جنينة : ص/٦٢ ، ط. الاعتماد ، القاهرة .

وأدت كثرة استقلال الدول والحاجة إلى قانون ينظم علاقاتها إلى عقد مؤتمرات دولية من أجل تنظيم قواعد قانونية وتدوينها في اتفاقيات دولية كما حدث في مؤتمر جنيف في سنة ١٨٦٤م الذي وضع قواعد حرب البرية ، وفي مؤتمر لاهاي المنعقد في سنتي ١٨٨٩م ، ١٩٠٧م الذي توصل إلى وضع ست عشرة اتفاقية دولية في مختلف المسائل ، ومنها حقوق الأسرى ، هذا بالإضافة إلى بعض المعاهدات التي نظمت حقوق المحايدين و واجباتهم مثل معاهدة باريس المنعقدة في سنة ١٨٥٦م (١) .

ولما كانت النهضة الصناعية في أوربا قد أتاحت للدول ألوانا جديدة من الأسلحة الحربية ، وهيأت لبعضها فرصة احتلال الشعوب الضعيفة واستغلالها ، ولما كانت الدول القوية قد حدث بينها صراع حول مناطق النفوذ والاحتكار ، بحيث يمكن القول بأن الحروب العديدة التي عرفها العصر الحديث العالمية منها والمحلية تكمن أسبابها الجوهرية كلها وراء نزعات الاستعمار وبسط النفوذ ، ونهب خيرات الشعوب وثرواتها وبخاصة المتخلفة منها في آسيا وأفريقيا . لما كان كل ذلك ، لجأت الدول القوية إلى عقد اتفاقات ومعاهدات دولية جديدة تتلاءم مع ظروف العصر، وأهمها معاهدة فرساي المنعقدة في سنة ١٩١٩م عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى . وقد تمخضت هذه المعاهدة عن إنشاء أول تجمع دولي أطلق عليه عصبة الأمم .

وحاولت الجمعية العامة لهذه العصبة تدوين القانون الدولي فشكلت لجنة لهذه الغاية ، و قدمت اللجنة تقريرها إلى العصبة في سنة ١٩٢٧م ، وتضمن التقرير موضوعات مختلفة ذكرت اللجنة أنها صالحة للتدوين

---

(١) القانون الدولي العام للدكتور سامي جنينة : ص/٦٨ .

وهي : الجنسية ، المياه الإقليمية ، مسئولية الدولة عن الأضرار التي تلحق بأشخاص الأجانب وأموالهم في إقليمها ، والامتيازات والحصانة الدبلوماسية ، وإجراءات المؤتمرات الدولية ، و إجراء عقد المعاهدات و صياغتها ، و استغلال منتجات البحار (١) .

وقرر مجلس العصبة وجوب الدعوة إلى مؤتمر يعقد في لاهاي تكون مهمته تدوين الموضوعات الثلاثة الأولى الواردة في تقرير اللجنة ، وعقد هذا المؤتمر في سنة ١٩٣٠م ولكنه لم يصل إلى اتفاق بشأن المياه الإقليمية ومسئولية الدولة عن الأجانب في إقليمها .

وبعد الحرب العالمية الثانية عقدت اتفاقية سان فرنسيسكو في سنة ١٩٤٥م وبمقتضاها أنشئت هيئة الأمم المتحدة التي حلت محل عصبة الأمم ، وقد نصت المادة : ١٢ في الفقرة الأولى من ميثاق الأمم المتحدة على ما يأتي : تنشئ الجمعية العامة دراسات وتشير بتوصيات بقصد انماء التعاون الدولي في الميدان السياسي ، وتشجيع التقدم المطرد للقانون الدولي وتدوينه ، ولذلك عهدت الجمعية العامة إلى لجنه القانون الدولي ببحث موضوعات شتى تتعلق بالشئون الدولية .

ويبدو أن اشتباك مصالح الدول وتعارضها في عصر الذرة والصواريخ العابرة للقارات ، وما يسمى بحرب النجوم جعل الأحداث الدولية تتوالى بسرعة ، وتتناقض تناقضا بينا متلاحقاً ، بالإضافة إلي ، وجود قوتين عالميتين تتنازعان السيطرة على العالم فكراً واقتصاداً ونفوذاً ، وهذا كله جعل من العسير إن لم يكن من المستحيل وضع قانون دولي عام ملزم لجميع الدول قبل أن يكون هناك قوة دولية كوسيلة لإلزام من يخرق

(١) أصول القانون الدولي : ص/٢٥ .

القانون باحترامه ، وتنفيذ كل ما يصدر عن الهيئات الدولية من قرارات وأحكام (١).

أصول القانون الدولي العام :

بعد هذه اللمحة التاريخية عن نشأة القانون الدولي في الفكر الإنساني وتطوره ، ما هي أصوله التي انتهى إليها فقهاؤه ، و التي يرون أنها تحمي الحقوق ، وتمنع الاعتداء وتصون السلام ؟

وقبل الإجابة عن هذا أود الإشارة إلى أن هؤلاء الفقهاء يختلفون من حيث الأسس التي تقوم عليها أصول هذا القانون ، ولذلك جدت نظريات متباينة ، فكل فقيه نظر إلى الموضوع من زاوية خاصة ، فهناك نظرية قواعد الأخلاق ، ونظرية المجاملات الدولية ، ونظرية الرضا العام الفردي ، والرضا العام الجماعي ، ونظرية القانون الطبيعي ، و مذهب القانون الوضعي الناشئ عن شروط المعاهدات المكتوبة ، و نظرية القومية والحسية التي تمخضت عن حق تقرير المصير ، و نظرية الديانة المسيحية (٢) .

ومع تباين آراء الفقهاء في هذا يكاد ينعقد الإجماع (٣) بينهم على أن العرف والمعاهدات هما المصدران المهمان للقانون الدولي العام ، وذلك لأن القاعدة القانونية تنشأ وليدة الحاجة ، فإن ثبت وجودها عن طريق تكرر استعمالها أصبح العرف مصدرها ، وإن ثبت وجودها عن طريق تدوينها في اتفاق أو معاهدة فإنه يكون مصدرها في هذه الحالة .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الشريعة الإسلامية والقانون الدولي : ص/٧٤ .

(٣) انظر أصول القوانين لأحمد كامل مرسي وسيد مصطفى : ص/٩٢ ، المطبعة الرحمانية . القاهرة .

وقد دعت لجنة القانون الدولي التابعة لهيئة الأمم المتحدة في ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٧م إلى إعداد مشروع إعلانْ حقوق الدول و واجباتها، ليصبح القانون الذي تأخذ به الدول في علاقاتها في أوقات السلم والحرب .

وقدمت هذه اللجنة مشروعها إلى الجمعية العامة سنة ١٩٤٨م فقررت صلاحيته ، وأحالته إلى الدول الأعضاء ، لتبدي كل منها رأيها فيه ، وضربت لذلك موعداً غايته شهر يوليو سنة ١٩٥٠م ، ولكن الدول جميعها أمسكت عن الرد عليه .

ولأن هذا المشروع يمثل أحدث ما وصل إليه الفكر القانوني الدولي في تنظيم العلاقات بين الدول ، وتحديد حقوقها و واجباتها رأيت الاكتفاء به في بيان الأصول الوضعية للقانون الدولي العام .

لقد بين المشروع حقوق الدول في أربع مواد ، على حين خصص عشر مواد للحديث عن واجبات الدول ، وكأنه بهذا يؤكد أن السلام الدولي يفرض واجبات كثيرة ، وأن على الدول أن تبذل وتضحى من أجل أمن المجتمع الدولي واستقراره .

والمواد التي تضمنت حقوق الدول هي :

مادة ١ : لكل دولة الحق في الاستقلال وفي ممارسة اختصاصاتها ، ومنها اختيار شكل حوماتها بمنتهي الحرية .

مادة ٢ : لكل دولة الحق في ممارسة قضائها على كل ما على إقليمها من أشخاص و أشياء .

مادة ٥ : لكل دولة حق المساواة القانونية مع الدول الأخرى .

مادة ١٢ : لكل دولة حق الدفاع الشرعي الفردي والجماعي ضد كل اعتداء مسلح (١) .

---

(١) الشريعة الإسلامية والقانون الدولي : ص/١٧٢ .

فهذه المواد تقرر لكل دولة حق الاستقلال ، وحق ولاية القضاء في إقليمها ، وحق المساواة مع الدول الأخرى ، وحق الدفاع الشرعي ، حماية لاستقلالها وسيادتها ، ودفعا لكل اعتداء يقع عليها . وهذه الحقوق الأربعة هي المجمع عليها بين علماء القانون الدولي سواء أكانوا طبيعيين أو وضعيين (١) .

وأما المواد التي حددت واجبات الدول فهي :

مادة ٢ : مراعاة الدولة لأحكام القانون الدولي في علاقاتها مع الدول الأخرى .

مادة ٤ : فض الخلافات الدولية بالوسائل السلمية، وطبقاً لأحكام القانون الدولي .

مادة ٦ : الامتناع عن التدخل في الشئون الداخلية أو الخارجية للدول الأخرى .

مادة ٧ : الامتناع عن مساعدة أية دولة تلجأ إلى الحرب ، أو استخدام آخر غير مشروع للقوة ، و كذلك أية دولة تتخذ الأمم المتحدة ضدها إجراءات القسر أو الإكراه .

مادة ٨ : الامتناع عن الاعتراف بأية زيادات إقليمية قد تحصل عليها إحدى الدول ، نتيجة للحرب ، أو أي استخدام غير مشروع للقوة .

مادة ٩ : الامتناع عن تشجيع الثورات الأهلية في أقاليم الدول الأخرى .

مادة ١٠ : ضمان أن تكون الأحوال في إقليمها على نحو لا يهدد السلام والنظام الدوليين .

مادة ١١ : منع الأشخاص الخاضعين لولايتها على أساس احترام حقوق

---

(١) أصول القانون الدولي : ص/٥٧٦ .

الإنسان والحريات الرئيسية لهم جميعاً دون تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين ، وبدون تفريق بين الرجال والنساء .

مادة ١٢: تنفيذ الدولة بحسن نيـــة لالتزاماتهـا الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولي .

مادة ١٤: عدم الالتجاء للحرب أو أي استخدام غير مشروع للقوة (١) .

ويلاحظ أن هذه المواد تركز على أمرين هما :

أولاً : رفض اتخاذ الحرب وسيلة للسيطرة أو التوسع ، والدعوة إلى حل المشكلات الدولية بالطرق السلمية .

ثانياً : احترام سيادة كل دولة ، واحترام الإنسان دون نظر إلى جنسيته أو عقيدته .

ولا مراء في أن تنفيذ هذه المبادئ بإخلاص وإيمان صادق بها يجنب البشرية كثيراً من المشكلات والأخطار ، ويقضى على كل ألوان الاستغلال والامتهان لكرامة الإنسان ، فلماذا مسكت الدول عن الإعراب عن رأيها فيه ، وكأن هذا رفض منها له ، وبخاصة أنها كانت حديثة العهد بحرب طاحنة كلفت البشرية الملايين من الأنفس والأموال .

إن موقف الدول من هذا المشروع يدل على أن الرغبة الصادقة في السلام الدولي العادل لا تتوافر لدى بعض الدول ، ولا سيما الدول الكبرى ، لأنها لو شاءت قبوله لقادت الدول الصغرى إلى الموافقة عليه .

على أن ذلك المشروع في نصه على عدم استخدام القوة في المنازعات الدولية إنما يحاول وضع ميثاق الأمم المتحدة موضع التنفيذ ، فقد جاء الميثاق بمبادئ جديدة كل الجدة في العلاقات الدولية ، كمبدأ عدم

---

(١) المصدر السابق : ص/٥٧٥ .

ستخدام القوة ، ومبدأ الأمن الجماعي (١) .

وقد نصت الفقرة الرابعة من المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة ، على ما يلي :

يمتنع أعضاء الهيئة جميعاً في علاقاتهم الدولية عن التهديد استعمال القوة أو استخدامها ضد سلامة الأراضي . أو الاستقلال سياسي لأي دولة أو على أي وجه اخر لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة .

كذلك نصت الفقرة الأولى من المادة الأولى من هذا الميثاق على ما يلي :

والغرض الأول من مقاصد الأمم المتحدة هو : حفظ السلام والأمن دوليين . وتحقيقا لهذه الغاية تتخذ الهيئة التدابير المشتركة الفعالة منع الاسباب التي تهدد السلم ولإزالتها . وتقمع أعمال العدوان وغيرها ن وجوه الإخلال بالسلم . وتتذرع بالوسائل السلمية ، وفقا لمبادئ العدل القانون الدولي لحل المنازعات الدولية التي قد تؤدي إلى الإخلال بالسلم و لتسويتها (٢) .

وهذا يعني أن الحرب التي كانت مشروعة في القانون قبل الحرب لعالمية الثانية قد أصبحت محظورة بعد هذه الحرب من الناحية لقانونية . ولكن البشرية ما زالت تصطلى بنار الحروب العدوانية في ختلف بقاع العالم . وما زال منطق القوة هو السائد في فض المنازعات بين الدول . وما زالت الدول الضعيفة أو الصغيرة تتعرض للارهاب الضغط . وما زال الخوف من نشوب حرب عالمية ثالثة لا تدع حيواناً ولا سانا إلا أتت عليه يسيطر على الجميع . ومرد هذا كله إلى الحضارة

---

(١) القانون الدولي العام للدكتور حسن الحلبي : ص/١٦٥ . ط. بغداد .

(٢) انظر النسخة العربية من ميثاق الأمم المتحدة .

المادية المعاصرة التي جعلت الحياة صراعاً بين الدول من أجل الاستغلال والنفوذ . وإلى أن القوانين الوضعية مبتوتة الصلة بضمائر الساسة والقادة ولا تلقى منهم احتراماً أو تقديراً ، ولا ينزلون على أحكامها إلا إذا اقتضت مصلحتهم ذلك .

القانون الدولي الخاص :

وأما القانون الدولي الخاص فهو كما أسلفت في تعريفه يتناول القضايا ذات العنصر الأجنبي ، وهي التي يتصل أحد عناصرها بأي شكل من الأشكال ببلد أجنبي كأن يتخاصم مصريان مثلا على مال موجود في إيطاليا ، أو مصري وأجنبي أو أجنبيان من جنسية واحدة ، أو من جنسيتين مختلفتين أمام محكمة مصرية (١) .

وهناك خلاف بين العلماء حول نوعية القضايا التي تخضع للقانون الدولي الخاص ، فيرى البعض أنه خاص بالمسائل المدنية دون الجنائية ، لأن هذه من اختصاص القانون الدولي العام ، ويرى غيرهم أن هذه المسائل تدخل في نطاق القانون الدولي الخاص (٢) .

وهناك خلاف أيضاً حول النظرة إلى هذا القانون واعتباره علماً مستقلاً بذاته ، فيذهب بعض الفقهاء إلى أن القانون الدولي الخاص علم مستقل بذاته ، على حين يذهب آخرون إلى غير ذلك ، فالانجليز مثلا لا يرون أنه يوجد قانون دولي خاص واحد مشترك لكل الدول ، ولهذا فهو لديهم معتبر من القوانين الداخلية .

---

(١) انظر مقدمة القانون للأستاذ أحمد صفوت : ص/٩٥ ، ط. القاهرة .

(٢) انظر القانون الدولي الخاص : ص/٧٢ .

وهذا القانون حديث العهد ، وإن كانت له جذور قديمة ترجع في رأي بعض فقهائه إلى العصر الروماني وإلى العصور الوسطى (١) .

وقد ازدادت أهمية القانون الدولي الخاص في العصر الحديث ، بسبب سهولة المواصلات ، واتساع نطاق التجارة بين الأمم ، وكذلك السياحة ، وهجرة العقول والأيدي العاملة .

وكل قواعد أو أصول هذا القانون تدور في نطاق شخصية القوانين ومحليتها ، بمعنى أن القانون في سريانه هل يطبق بالنسبة للأشخاص الخاضعين له دون سواهم كأن يطبق القانون المصري مثلا على المصريين وليس على الأجانب الذين يقيمون في مصر ، أو أن تطبيق القانون مرتبط أولا بالمكان الذي ينتمي إليه القانون دون نظر إلى الأشخاص الذين يقيمون فيه ، فالقانون المصري يطبق على جميع الموجودين في مصر سواء كانوا مصريين أو غير مصريين .

وهناك سوى نظرية شخصية القوانين ومحليتها مسائل يهتم بها هذا القانون مثل الجنسية وطرق الحصول عليها ، والموطن وأنواعه ، إلى غير ذلك مما لا مجال هنا لتفصيل القول فيه (٢) .

ولكن قواعد هذا القانون وموضوعاته ما زالت حتى الآن موضع خلاف بين الفقهاء على العكس من قواعد القانون الدولي العام .

[يتبع]

---

(١) انظر القانون الدولي الخاص : ص/٧٢ .

(٢) انظر المصدر السابق .

القلم أمانة في أيدينا !

بقلم فضيلة الأستاذ المرحوم السيد محمد الحسني
رئيس تحرير المجلة سابقاً

أمانة القلم من الأمانات التي خانها أهلها في هذا الزمان ، وفقدت حرمتها ومعنويتها وكرامتها .

إن الله تعالى أكرم القلم ، ورفع مناره ، وأعلى شأنه ، وأقسم به بقوله : ﴿ ن • والقلم وما يسطرون • ما أنت بنعمة ربك بمجنون ﴾ (سورة القلم) .

وكانت أول سورة نزل بها الروح الأمين على نبينا محمد - ﷺ - : ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق • خلق الإنسان من علق • إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم • علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ (سورة العلق) .

ترى ماذا صنعوا بهذا القلم وكيف أنزلوه في مراحيض الفساد ، ومواخير الرذيلة .

كيف أساؤا استعماله في صرف الأمة عن الأمجاد ، وقطع صلتها عن التاريخ ، وجرها كما يجر قطعان الماشية والغنم إلى أوكار الفساد ، وخلايا التخريب ، وحلقات الإبادة والتدمير ، حتى صارت الأمة لا تعرف من واقع حياتها غير اللسانين الطويلين السليطين ، لسان الكلام ولسان الأقلام !

وصار القلم حراً يستطيع أن ينهش كل لحم ، ويهتك كل ستر ، ويذيع كل شر ، ويشيع كل فاحشة ، ويتطاول على كل قداسة وحرمة ، بشرط أن لا يمس رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء مساً ، وأن لا ينال من الحزب الحاكم نيلا !

تلك هي أمانة القلم في البلاد التي تدعى الحرية والتقدمية والاشتراكية ، وتتغنى بكرامة الإنسان بل تريد أن تعبد الإنسان من دون الله .

وسول لهم الشيطان في بعض هذه البلاد أن يجعلوا وزارات الأوقاف و

وزارات الثقافة والتوجيه والإرشاد تابعة لهذه الأقلام الموبوءة أو المسعورة أو المأجورة على أقل تقدير . ويتلفوا أكبر مقدار ممكن من الورق الصقيل والحبر النفيس والقلم الرشيق في هذيان محموم . أو هراء مجنون . ثم تنشر هذه السخافات التي لا يتفوه بها عاقل أو كريم في حجرته الخالية . على صفحات المجلات الرسمية الصادرة من الوزارات الاشتراكية من غير حياء من الله أو حياء من الناس .

إن أمانة القلم تقتضي أن يكون لكتابتنا مفهوم . شراً كان أم خيراً . أما أن لا يكون لها مفهوم ومغزى ودلالة إطلاقا . أما أن تتجرد هذه الكتابات أو هذه الأقلام من أن تدل القارئ حتى على نوع من أنواع الشر . ولون من ألوان الفساد . وفن من فنون الجنون - دع عنك ألوان الخير وأنواع البر - فذلك نوع لا يعرفه الآدميون . وسوف لا يعرفونه ما دامت لهم عقول وما دامت على أكتافهم رؤوس .

ولا تأويل عندي لهذا الفن الحديث الذي اخترعته هذه البلاد العربية الاشتراكية . وفوضت أمر تنسيقه وإخراجه والدعاية به إلى وزارات الثقافة والإرشاد إلا أنه فن تولد في السكر والعربدة . ونشأ وقام في السكر والعربدة . إذن فلا ملام ولا عتاب . فالشرائع والأحكام أو الأعراف والتقاليد لا تجرى على السكارى وإنما لا ينفع عندهم إلا التأديب والعقاب !

هذه « الأقلام » يجب أن تحطم وتهشم . وهذه الأوراق يجب أن تمزق وتحرق . وهذه المكاتب الفخمة يجب أن تصادر وتغلق . ولو كانت في بغداد والقاهرة وبيروت . لنقيم دليلاً على أن الشباب فيهم بقية من حياء وبقية من شرف وبقية من عقل . وأنهم لم يدخلوا بعد في حديقة الحيوانات . ولم يفقدوا شعورهم وعقولهم البتة . كما يريد هؤلاء الاشتراكيون والشيوعيون والماركسيون .

كانت التجريدية تتصل أولاً بالرسم والصورة والتمثيل . وهي إما كانت شهوة وإما كانت هراء . ثم دخلت في الأدب والبيان . والفكر

والفلسفة ، والقيم والأقدار ، والأعراف والمفاهيم ، فحولتها شهوة كما أرادها بيكاسو ، أو جعلتها هراء لا يفهمه الكاتب والفنان فضلاً عن القارئ .

لا ندعوكم إلى أمانة الإسلام ، وأمانة الدين ، وأمانة الدعوة ، وأمانة العلم فأنتم لها منكرون أو كارهون .

إنما ندعوكم إلى أمانة القلم ، إلى كرامة القلم ، إلى شرف القلم الذي أنتم به مؤمنون أو به منافقون .

ندعوكم إلى أن تحفظوا هذه العلب الكبيرة من المداد والأحجام الضخمة من الورق وآلات الطباعة والاخراج ، من الضياع ، ولا تنفقوا على هذا اللون « الفريد » من الآداب البرولتارية التي لاخلاق لها في الدنيا والآخرة ، من أموال المسلمين الذين لا يؤمنون بكم ، ولا يرضون بكم حكاماً و ولاة ، ولكنه الارهاب والجاسوسية ، وسوط الجلاد وآلات التعذيب !

ونعود إلى موضوع الحرية في هذه الأقلام الاشتراكية .

لقد تتغنى هذه الأقلام بالحرية والاشتراكية والوحدة وتلهج لها بالثناء والدعاء في مكان وفي غير مكان ، كأنها كلمة نزلت من السماء ، أو وحي نزل به الروح الأمين - ومعاذ الله - على قلب هؤلآء الغوغائيين ، أما الأمر الواقع أما الحياة التي تتجاوز حدود الفم أو ريشة القلم ، فلا ترى هناك إلا سجناً كبيراً سموه دولة اشتراكية ، إنك ترى هناك مؤسسات ، وكليات ، ومعاهد ، ومساجد ، ولكنه رغم كل ذلك سجن كبير ، لا تستطيع فيه أن تدلى برأيك الحقيقي ، أو تعرف شيئاً اسمه الضمير ، ومع هذا الحذر والتدبير تراهم يخافون كل نقير وقطمير ، وكل شبح وظل ، و « يحسبون كل صيحة عليهم » وقد كتب المنفلوطي في إحدى كتاباته يصف بعض المتفرنجين المائعين في زمانه فكان مما قال : « إذا سمع صفير الصافر مات وجلا وإذا رأى غير شئ ظنه رجلا » .

وتلك هي نفسية الاشتراكيين تتشابه نفسية اللصوص الذين ينتابهم

الخوف وهم مقبلون على الجريمة . فاللص مهما قوي ساعده ، واشتد بأسه . وكثر حذره ، وكثرت تجاريه . فإنه « لص » . لص بنفسيته المنهزمة . بلبه الشارد ، بضميره الآثم . بقلبه الوجل ، ولو أقدم على القتل . أما هذا الشباب الفج ، الغر المبهور الذي قفز على مقاعد الحكم في بلاد الإسلام والمسلمين ، فعهده بهذه اللصوصية الأدبية قريب ، فكيف لا يحذر ولا يخاف . وكيف لا يلوذ بأذيال الاضطهاد والارهاب ، أو يتذرع بتضليل العقول وتخدير الأعصاب .

الحرية البروليتارية معناها تحرير الرؤس من العقول والأفهام وتحرير الأفئدة من العواطف والمشاعر . وتحرير الكلام من المعاني والحقائق ، وهي كلمة وجيزة ، سلخ الإنسان من إنسانية ، واعتباره نوعاً من الجماد أو نوعاً من الحيوان . وما حدث في سوريا أخيراً بوفد رابطة العالم الإسلامي (١) يصدق ما قلنا . وذلك جزء صغير من مخطط مدروس كبير ، يجرى على قدم وساق في البلاد الاشتراكية كلها كما أنه يدل على نفسية اللص المذعور الذي فقد ثقته بنفسه وصدرت منه حركات ألصقت به التهمة وسلطت عليه الأضواء وهو هارب بعد أن سرق المتاع .

ولو أردنا أن نصور واقع الاشتراكية العربية هذه الأيام لما كان غير هذه الصورة إلا أن هذا اللص قد تقدم خطوة ، فأصبح يكتب ويخطب ويجول ويصول ، وصار كما قال الله تعالى في كتابه المجيد ، يصف قوماً يشبههم ، والناس أنماط وألوان : ﴿ وتقطعون السبيل • وتأتون في ناديكم المنكر • فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من

---

(١) زار وفد رابطة العالم الإسلامي برئاسة الأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي دمشق ، وبعد مدة يوم ونصف من وصوله إلى دمشق ، وصل ثلاثة من رجال الأمن السوري « فندق أمية » بعد منتصف ليلة السبت ، وأمروا أعضاء الوفد بمغادرة الفندق حالاً ، وساقوهم فعلا إلى الحدود اللبنانية السورية عند الساعة الرابعة صباحاً دون أن يسمحوا لأعضاء الوفد بمراجعة السفير السعودي في دمشق أو أي مسئول آخر .

قريتكم إنهم أناس يتطهرون ﴾ (سورة العنكبوت) .

إن هذه الحرية الكاذبة التي يطمع فيها بعض الطامعين والمسحورين في البلاد العربية عامة يشترونها وانتحار يقدمون عليه ، راضين طائعين ، وهم لا يعلمون مصيرهم الكئيب في هذا « اليانصيب » .

إنها مائدة القمار ، فتحت أبوابها وروجت بضاعتها بكل حيلة و وسيلة وتلفيق وتزوير ، و دعت كل غر ساذج أن يلقى فيها سهمه ، ويجرب فيها حظه ، ثم لا يفيق من هذا السكر المعنوي والسكر الحسي إلا بعد أن يفقد كل ما عنده من مال أو متاع ، أو بقية من رجولة أو حياء ، ويعود عارياً عن كل معنى ، متجرداً عن كل زينة ، عاطلاً عن كل تبعة ، فارغاً عن كل مسئولية ، فيعيش عالة على المعسكرين الشرقي أو الغربي كالعبيد والاماء ، ويتبع كل سبيل غير سبيل الله ، ويؤمن بكل دين غير دين الإسلام ، ويبيع شرفه ، وعرضه ، وتاريخه ، وبلاده ، وأمجاده ، « بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين » .

المحافظة على شرف القلم - وهو أحد اللسانين كما يقول المثل العربي القديم - واجب لا يحتمه الدين فحسب بل إنه واجب الإنسانية الأول ، واجب كل مجتمع ذاق طعم الحرية ، وخرج من دور الطفولة والعبودية ، كل مجتمع تعلم أبناؤه القراءة والكتابة ، و واجب كل إنسان عرف معنى الإنسانية وتحمل مسئوليتها وآمن بالأقدار الخلقية العامة وحرمتها ، إنه واجب الدول العربية الشقيقة قبل الدول الأخرى والشعوب الأخرى ، فمنها تعالى نداء القرآن أول مرة مدوياً في الآفاق يسمو بالقلم ومكانته وشرفه وأمانته .

﴿ إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم • علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ .

فلتحافظ تلك الشعوب على هذه الأمانة الأخيرة الغالية ، أمانة الأقلام ، رحمة بأبنائها وغيرة على بناتها ، إذا لم تطب لنفوسها « الأبية » أن تحافظ على أمانة الإسلام التي لولاها لما كانت مصر والشام بل وما كان عالم الإسلام !

••••••

الدعوة الإسلامية :

« الجهل بالدين »

دكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » الرياض

لدين الإسلام أساسيات وعموميات . فالأساسيات هي التي لا يعذر أي فرد في تعلمها ، لأن بها استقامة حياته ، وانتظام عباداته اليومية ، وسلامة عقيدته في علاقته بخالقه جل وعلا ..

والعموميات هي ما يهتم به الراسخون في العلم ، ولا يدركه إلا طبقة معينة من الرجال ، الذين زادهم الله سعة واطلاعاً ، وفقههم في الفقه في خفايا أحكام دينهم .

والفرد المسلم غير معذور بالجهل ، إذ عليه أن يسأل ويتابع ، وعليه أن يدرك حقائق دينه ، ليعبد الله على بصيرة ، ويسأل العلماء عن كل ما يشكل عليه ، حتى يكون على بينة من أمره ، امتثالاً لأمر الله جل وعلا بقوله الكريم : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ (سورة النحل ، الآية : ٤٢) ، وبالسؤال تتضح الحقيقة ، وتزول الشبهة وتبرأ الذمة ..

وقد حث الإسلام بتعاليمه على الأمر بالسؤال ، والاستقصاء عن أمور الدين ، وحضور مجالس الذكر ، فكتاب الله وسنة رسوله الكريم - ﷺ - ، هما مصدرا المعرفة اليقينية بأمور الدين من عبادات ومعاملات ، وحلال وحرام .. وهما من ألزم ما يجب أن يحرص عليه الفرد : فهماً ومتابعة ، لأن أساسيات الدين بأصوله وفروعه ، واضحة فيهما ، وعبارات التوجيه من أوامر ونواه ، وترغيب وترهيب فيهما لاغبار عليها ، ولا غموض في مدخل الاستدلال .. وهذا من نعمة الله على من يجيد اللغة العربية ، حتى ولو كان لسانه عامياً ، وإذا كان الفقهاء - رحمهم الله - قالوا : إن المسلم

لا يعذر بجهله ، ولا تسقط عنه الشرائع بذلك لأنه لم يبذل جهداً في التحري عن أمور دينه ، استبراء للذمة . فإن العالم أيضاً عليه مسئوليه التبليغ والتنبيه ، وإعطاء الناس مما علمه الله . لأن حمل العلم أمانة وتبليغه للناس واجب ، وقد حذر رسول الله -ﷺ- من كتم العلم حيث قال في الحديث الصحيح : « من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة » .

وهذا مما يحتم على العلماء البساطة ولين الجانب ، وبذل النفس والوقت ، مع الناس حتى يعلموا عنهم ذلك . فيأتوا إليهم سؤالاً وإفادة ، ويرغبوا فيما لديهم من علم بالتزود والمتابعة ، وكان رسول الله -ﷺ- يجلس في مسجده لتعليم الصحابة أمور دينهم ، والإجابة على أسئلتهم . ومن حرصهم - رضي الله عنهم - على التفقه في الدين : ملازمتهم لحلقات رسول الله -ﷺ- واهتمامهم بالأخذ والسؤال ، وبعد عودتهم لمنازلهم وخاصة من كانوا يقيمون في عوالي المدينة ، كانت نساؤهم يسألنهم عما أنزل من كتاب ، وعما عرفوا من أحكام دينهم ، في ذلك اليوم الذي لازموا رسول الله فيه .

مسترشدين في ذلك بقوله -ﷺ- : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » .

فالتواضع والحرص ، مطلوب من العالم والمتعلم .. ذلك أن العالم عندما يكون بشوشاً وليناً ، تتمثل فيه أخلاق العلماء ، ويلجأ إليه الناس في حل قضاياهم ، والاسترشاد عما يجهلون في أمور دينهم ، والمتعلم عندما يكون حسن الخلق ، ولبقاً في عرضه لما يشكل عليه ، يعين العالم في التبسط معه ، وتعليمه لما يحتاج إليه ، وإفادة من كان حاضراً ، ولم يتجرأ على السؤال ، أو لم يمر عليه مثل هذه المسألة ، لكنه يحتاجها في موقف آخر ، أو ليصحح مفهوماً أخذه من مصدر ناقص ، ذلك أن العلم كما

ويقول أبو حازم : لا يناله مستكبر ولا مستحي .

وقد تمثل الشافعي - رحمه الله - ببيتين يصوران ، حالة الذي يعبد الله على جهل ولا يسأل ليعرف ما يجب عليه ، وحالة العالم الذي لا يؤدي حق العلم نحو الناس تبليغاً ونحو نفسه عملاً ، هما قوله :

و عالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عابد الوثن
كذاك من بغير علم يعمل أعماله مردودة لا تقبل

وسبب دخولي في هذا الموضوع ، الذي تحدث فيه العلماء -رحمهم الله- قديماً وحديثاً ، وأفاضوا فيه ، محبة في المشاركة القاصرة ، بعد أن وصلتني رسالة أحزنتني ، من أخ مسلم يتكلم العربية ، يطرح فيها سؤالاً هو من أبسط البديهيات عند كل مسلم ، لأن القرآن الكريم بالنص حرمه ، ولأن العرف والذوق يأباه ، ولأن الثقافة البدائية في البيت المسلم أولاً ، وفي غيره من ذوي النحل تنفر منه .. إذ لم نسمع عمن يبيح نكاح ذوات المحارم ، إلا الملاحدة والمارقين من الأديان ، ومع ذلك فأغلب هؤلاء ينفرون من زواج الأمهات مع جرأتهم بإباحة ذوات المحارم .

يسأل صاحب الرسالة : عن حكم من تزوج أمه وأنجبت منه ولداً ، فهل يكون هذا الولد أخاً له أو ابناً له ؟ ولكي يبرئ السائل نفسه من هذا السؤال وآثاره ، فإنه يقول : إن هذا السؤال قد طرحه عليه شخص يعتنق المذهب الشيوعي ، ويجادله في مثل هذا الأمر .

وفي الوقت الذي نستغفر الله لنا وللسائل عن التجرئ على محارم الله ، فإنني أرجو أن يكون هذا السؤال من باب الافتراضات ، لا الحقائق الواقعة ، ذلك أن المعهود في كتب الفقه طرح افتراضات كثيرة أمام العلماء ، لمعرفة الإجابة فيما لو حصل لها مثيل ، ولإدراك الداخل إذا طرحت أسئلة مقاربة ، أو وقعت لبعض الناس أمور تقترب من ذلك .

ذلك أن المحرمات في النكاح ضربان : الأول من تحرم إلى الأبد ، والثاني

من تحرم إلى أمد ، فالأم والجدة من قبل الأم أو الأب وإن علت محرم نكاحها إلى الأبد ، وهي من الضرب الأول ، الذي جَّاء تحريمه بنص صريح في كتاب الله جل وعلا ، يقرؤه كل مسلم يتلو كتاب الله كما قال تعالى في سورة النساء : ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم ، وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم ﴾ (سورة النساء ، الآية : ٢٢) ، قال الوزير وغيره : أجمعوا على أن المحرم في كتاب الله أربع عشرة امرأة : سبع بالنسب ، وسبع بالسبب ، توضحهن هذه الآية ، والآية التي قبلها .

و لما كان الرضاع محرماً للنكاح بنص الآية أيضاً ، حيث يعلل الأصوليون أن الرضاع غذاء ، نمى منه الجسم ، وهم محدود جداً ، من خلاصة جسم المرأة المرضعة ، فاكتسب بذلك صفة الأمومة فكان سبباً في تحريم النكاح ، والأم الحقيقية أشد التصاقاً بالابن ، حيث تغذى في بطنها من جسمها وحملت عليه بقلبها ، وأرضعته من ثديها حولين كاملين ، فكان سبب التحريم أقوى ، وعظم الحقوق أكبر .

إن الفكر الشيوعي ، الذي يحكى عنه هذا السائل : عند ما يبيح مثل هذا الأمر ، ويراه شيئاً لا ضير فيه ، فإنما يدل على انحطاط ذلك الفكر ، وتجرئه على القيم والأخلاق ، فضلاً عن بنائه لقاعدته على مبدأ الإلحاد ، ومحادة الله ورسوله ، ذلك أن الإنسان إذا مات إحساسه أصبح أقل مرتبة من الحيوان الأعجم .. والذين يدرسون طباع الحيوانات والطيور يدركون منها الغيرة الشديدة على محارمها ، والأنفه من أن يشاركها فيها أحد ، فضلاً عن عزوف الذكور منها عن الاتصال بأمهاتها ، وقد أشار الجاحظ في كتابه الحيوان ، إلى نوعيات من الحيوانات تأنف من ذلك العمل السئ . ولقد جمعتني مجلس نقاش ومحاورة ، قبل عشر سنوات في القاهرة مع مجموعة من المهندسين الزراعيين والبيطريين ، وتداولنا طباع الحيوانات وأعمالها ، وأن الإنسان الذي ميزه الله بالعقل ، إذا فقد

الوازع الديني ، انحدر عقله إلى الرتبة الحيوانية أو أقل ، وأن قلبه يتمرد على التعاليم والقيم ، ويقسو بحيث يصبح كالحجارة ، أو أشد قسوة ، لأن تمرد الإنسان عن معصية وعلم ، فهو محاسب عليه لأنه مكلف .. بينما الحيوان ينتظم في عمله و يمتثل في وقت هو غير مكلف بذلك ، ولكنها الفطرة السليمة ، التي هدى إليها الإنسان بالتعاليم الشرعية ، فكان عليه لزاماً أن يدرك ويحافظ ..

فقال أحدهم سأحكي لكم تجربة تتبعت فصولها في حظيرة الأبقار التي أشرف عليها، وخلاصتها أن عجلاً ولد ونمى جسمه ، وهو مع أمه في الحظيرة ، وأحسست أنه بلغ مبلغ الثيران ، وأنه يطلب ما يطلبه غيره ، فأردت امتحانه ، هل ينزو على أمه أم لا ؟! لأنني سمعت أقوالاً متضاربة إيجاباً وسلباً ، وقصدي الوصول للحقيقة عن تجربة أقطع بها الشك ، ففصلت العجل في حظيرة مستقلة لمدة أيام ، من أيام الإخصاب عند هذه الفصيلة ، وفي الموعد المحدد ربطت عينيه حتى لا يرى ، وأدخلت عليه أمه ، فنزا عليها ، ثم فككت رباط عينيه ، فلما رأى أن أمه هي الوحيدة التي معه في الحظيرة ، هاج وماج ، وكنت أتوقع ضرراً منه ، لو كنت معه في الحظيرة ، أو غيري من بني آدم ، و قد أتى بحركات غريبة لم أعهدها فيه ، كمن يعبر عن غضب اجتاح نفسه ، وفي أثناء دورانه وشدته في الحظيرة ، رأيته يقفز سياجها ، ويعدو مسرعاً إلى النهر القريب منه ، ثم يرمي بنفسه بانفعال شديد ، فوقفت أرقب الموقف ، حتى غرق وغاص في قاع النهر .

رويت هذه الحادثة ، كدليل على أنفة الحيوانات من أعمال يقوم بها البشر ، وفي كتاب قرأته قبل سنوات اسمه : « فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب » تأليف محمد بن خلف بن المرزبان المتوفى في سنة ٣٠٩هـ ، أورد المؤلف نماذج من وفاء الكلاب وغدر بعض البشر .

العقيدة الإسلامية وأثرها في بناء الإنسان

[الحلقة الأولى]

بقلم : الدكتور شوكت محمد عليان
أستاذ الثقافة الإسلامية - الرياض

عبر القرآن الكريم في كثير من آياته عن العقيدة بالإيمان ، وعن الشريعة بالعمل الصالح ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً ﴾ (سورة الكهف ، الآية : ٣٠) ، وقوله جل شأنه : ﴿ من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياةً طيبةً ولنجرينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ (سورة النحل ، الآية : ٩٧) . وقوله سبحانه : ﴿ والعصر • إن الإنسان لفي خسر • إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ (سورة العصر) .

ومن هذه الآيات الكريمة نلاحظ أن العقيدة هي الأصل والأساس الذي تبنى عليه الشريعة ، وعلى ذلك فإن الشريعة تعتبر أثراً تستتبعه العقيدة حيث لا تقوم الشريعة بدون العقيدة ، فهما أمران متلازمان مترابطان بحيث لا يصح إهمال أحدهما والإبقاء على الآخر ، فالعقيدة أصل يدفع إلى الشريعة والشريعة تلبية واستجابة لانفعال القلب بالشريعة .

والأصول التي تقوم عليها العقيدة ستة على النحو الآتي :

الأصل الأول : الإيمان بالله تعالى .

الأصل الثاني : الإيمان بالملائكة .

الأصل الثالث : الإيمان بالكتب السماوية .

الأصل الرابع : الإيمان برسل الله .

الأصل الخامس : الإيمان باليوم الآخر .

الأصل السادس : الإيمان بالقدر خيره وشره .

الأصل الأول : الإيمان بالله تعالى :

الأصل لغة ما يبنى عليه غيره ، سواء أكان الابتناء حسياً كالأساس الذي يشيد عليه البناء فهو أصل له ، أم كان الابتناء عقلياً كابتناء الأحكام الجزئية على القواعد الكلية .

وكلمة أصل تستخدم في هذا العلم بمعناها اللغوي - الذي ذكرناه - أي ما يبني عليه غيره ، ذلك لأن ما عدا هذه الأصول من أمور الدين يبنى عليها ، ويتفرع عنها .

والإيمان لغة : مشتق من الفعل آمن بمعنى صدق على زنة أفعل لأفاعل والإلجاء مصدره فعالاً ، وهمزته للتعدية ، كأن المصدق جعل الغير آمناً من تكذيبه ، أو للصيرورة كأنه صار ذا أمن أن يكذبه غيره .

الإيمان شرعاً : التصديق بالقلب بالأمور المعلومة من الدين بالضرورة وقيل : تصديق بالجنان وإقرار باللسان .

ومن تلك المتعلقات التي يجب الإيمان بها الإيمان بالله تعالى ، بمعنى أن يؤمن الإنسان بأن الله تعالى موجود ، وأنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله ، لا شريك له في الألوهية ، وأنه لا مثيل له ولا شبيه ، وأنه منفرد بكل صفات الكمال .. منزه عن كل صفات النقص ..

ويتحقق الإيمان بالله تعالى وما جاء من عنده عن طريق الشرع من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، بطريق العقل من النظر والفكر السليمين .

الدليل النقلي : ورد في القرآن الكريم كثير من النصوص التي تتحدث عن الله تعالى وعن وجوده ، وعن وحدانيته وعن صفاته ، ومن ذلك :

قوله تعالى : ﴿ إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحيّ ذلكم الله فأنى تؤفكون • فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم • وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقومٍ يعلمون • وهو الذي أنشأكم من نفسٍ واحدة فمستقرّ ومستودعٌ قد فصلنا الآيات لقومٍ يفقهون • وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كل شئ • فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه • انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه • إن في ذلكم لآيات لقومٍ يؤمنون ﴾ (سورة الأنعام ، الآيات : ٩٥-٩٩) .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجلٌ مسمى عنده ثم أنتم تمترون • وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سرّكم وجهركم ويعلم ما تكسبون ﴾ (سورة الأنعام ، الآيات : ١-٣) ، وقوله تعالى : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥) ، وقوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد • الله الصمد • لم يلد ولم يولد • ولم يكن له كفواً أحد ﴾ (سورة الاخلاص) .

وقوله جل شأنه : ﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾ أي إن في ذلك لدلائل واضحة على وجود الصانع و وحدته وكمال علمه وقدرته .

الدليل العقلي : إن أكبر دليل على وجود الله تعالى هو مخلوقاته ، وأوثق ما علمنا من حقائق الطبيعة يدعونا إلى الإيمان بأنه لا ريب أن لهذه الدنيا إلهاً واحداً ، إن وجود الكون ، وهذا النظام العجيب الذي

اشتمل عليه ، وأسراره الدقيقة لا يمكن تفسير ذلك كله إلا بأنه من صنعة خالق لا حدود له ، فالعالم حادث وكل حادث لابد له من محدث ، ومحدث هذا الكون الله جل جلاله .

ذلك لأننا إذا آمنا بوجود هذا الكون فلابد أن نؤمن بإله هذا الكون ، إذ لا معنى لأن نؤمن بالمخلوق ونرفض وجود خالقه ونحن لا نعلم شيئاً جاء إلى الوجود من العدم دون أن يخلق ، فكيف بنا نؤمن بأن كوناً عظيماً مثل كوننا جاء إلى الوجود ذاتياً دون خالق .

ومن أجل الأدلة على وجود الله تعالى وأوضحها ما ذكره ابن رشد باسم العناية والاختراع .

دليل العناية : وهذا يظهر في العناية بالإنسان وخلق جميع الموجودات من أجله ، فجميع الموجودات التي هاهنا موافقة لوجود الإنسان ، ثم إن هذه الموافقة ضرورة من قبل فاعل قاصد لذلك مريد ، إذ ليس يمكن أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق .

والموافقة تحصل باعتبار موافقة الليل والنهار والشمس والقمر لوجود الإنسان ، وكذلك موافقة الزمان والمكان الذي هو فيه أيضاً والحيوان والنبات والجماد والأمطار والأنهار والبحار والنار وما اعلى ذلك وكذلك أيضاً تظهر العناية في أعضاء الإنسان وأعضاء الحيوان أي كونها موافقة لحياته ووجوده .

ومن آيات الله في هذا المجال :

﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ﴾ (سورة الفرقان ، الآية ٦١) .

﴿ ألم نجعل الأرض مهاداً • والجبال أوتاداً • وخلقناكم أزواجاً • وجعلنا نومكم سباتاً • وجعلنا الليل لباساً • وجعلنا النهار معاشاً•

وبنينا فوقكم سبعاً شداداً • وجعلنا سراجاً وهاجاً • وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً • لنخرج به حباً ونباتاً ﴾ (سورة النبأ ، الآيات : ٦-١٥) .

﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صباً • ثم شققنا الأرض شقاً • فأنبتنا فيها حباً•وعنباً وقضباً•وزيتوناً ونخلاً•وحدائق غلباً • وفاكهة وأباً•متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ (سورة عبس ، الآيات : ٢٤-٣٢) .

دليل الاختراع : وهو ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات كاختراع الحياة في الجماد والإدراكات الحسية والعقل .

ويدخل فيه وجود الحيوان كله و وجود النبات و وجود السماوات وذلك أن هذه الموجودات مخترعة فإنا نرى أجساماً جمادية ثم تحدث فيها الحياة فنعلم قطعاً أن هناك موجداً لهذه الحياة وهو الله تعالى وأما السماوات فنعلم من قبل حركتها التي لا تفتر أنها مأمورة بالعناية بما هاهنا ومسخرة لنا . والمسخر المأمور مخترع من قبل غيره ضرورة .

قال تعالى : ﴿ إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ﴾ (سورة الحج ، الآية : ٧٣) .

إن كل مخترع له مخترع ، فعلى من أراد معرفة الله حق معرفته أن يعرف جواهر الأشياء ، ليقف على الاختراع الحقيقي في جميع الموجودات لأن من لم يعرف حقيقة الشئ لم يعرف حقيقة الاختراع .

قال تعالى : ﴿ أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شئ ﴾ (سورة الأعراف ، الآية : ١٨٥) . ﴿ فلينظر الإنسان ممّ خلق • خلق من ماءٍ دافقٍ • يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ (سورة الطارق ، الآيات : ٥-٦-٧) .

إن التفسير الحقيقي لهذا النظام هو أن نؤمن بقدرة خارقة وقوة

جبارة وعظمة إلهية بسطت يديها فسيرت الكون على هذا النحو العجيب . فالنظام والقصد والانسجام والحكمة الظاهرة في الطبيعة ومظاهرها المختلفة المتنوعة طريق ظاهرة لإثبات وجود الله تعالى .

أثر الإيمان بالله في حياة الإنسان :

من آمن أن الله تعالى هو الذي خلق هذا الكون العظيم في نظام وحكمة وسخر هذا الكون للإنسان بما فيه من سماوات وأرضين ورياح وأمطار وحيوان ونبات وبحار وأنهار وغير ذلك من موجودات هذا الكون ، وإنه ليس من أحد غير الله يستطيع أن يفعل شيئاً من ذلك ، أحب الله تعالى حتى ملك عليه عقله وقلبه ، ويظل في منأى عن المعاصي والذنوب ، وعلى قدر ما تعظم المحبة تزيد الطاعة ولقد كان رسول الله -ﷺ- أعظم الخلق عبادة لله تعالى لأنه كان أعظم الخلق حباً لله تعالى ، وعلى قدر ما يعظم الخوف من الله تعالى والتهيب من عصيانه تكون الطاعة كذلك ، وقد كان رسول الله -ﷺ- أكثر الخلق خوفاً من الله تعالى مع أنه صفوة الخلق وحبيب الرحمن .

هذا الحب لله تعالى يجعل الإنسان يحب ما يحبه الله ويدعو إليه ، ويبغض ما يبغض له الله - ولو كان الأهل والمال - وينفر منه .

والإيمان بالله تعالى ينشئ في الإنسان العزة والتواضع ، فالله تعالى هو القوى و لاضار ولا نافع ولا محي إلا هو سبحانه وتعالى فلا يخضع لإنسان مهما عظم سلطانه ، كما لا يتضرع إليه ولا يخشى من كبريائه ، وكذلك تراه لا يفخر بماله وعزته وإنما يقول هذا هبة الله .

وكذلك نرى أن المؤمن يرى أن النجاة والفلاح لا تكون إلا بتزكية النفس والعمل الصالح ، ونجده كذلك على درجة كبيرة وقوة عظيمة من العزم والاقدام والصبر والثبات والتوكل مع الشجاعة والجرأة لأن الذي

يؤهن عزمه حبه للنفس والمال والأهل واعتقاده بأن هناك غير الله من يستطيع تحقيق ضروراته ، و أنه قادر على أن يدرأ عن نفسه الموت بحيلة ما .

فالإيمان بالله تعالى يرفع قدر الإنسان وينشئ فيه الترفع والقناعة والاستغناء ويطهر قلبه من الطمع ومن كل صفات ذميمة .

ومن خاف الله حق الخوف وأحبه حق المحبة عظم قدره سبحانه عنده ، فالخوف من لوازم الإيمان وموجباته .

إنما يقدر الإنسان ربه حق قدره بالعلم والمعرفة وذلك حاصل من تلاوة كتابه الكريم وفهمه له وتدبر آياته ومعرفة أحكامه وأغراضه ، وكذا النظر في حديث رسول الله -ﷺ- وفهمه لمعانيه ومراميه ، ثم إعمال النظر العلمي والبحث الفكري في مخلوقات الله تعالى ، ومعرفة ما أودع الله تعالى فيها من الأسرار على قدر ما تيسر له الإحاطة به .

وفي الإيمان بالله تعالى ثبات واستقرار للنفس عل طاعة الله وعبادته وحده .

فالاستقامة تقتضي الصبر على طاعة الله تعالى والدوام عليها دون انقطاع بدافع من كسل أو غرض ، وتعني الصبر عن معاصي الله تعالى دون انقطاع بدافع من هوى أو غرض ، والصبر على قضاء الله تعالى والرضا به على الدوام دون انقطاع بدافع من خوف أو جزع ، فالاستقامة هي التي تدفع المؤمن ليجعل همه في الحياة واحداً هو رضوان الله تعالى ، ثم الأمر عنده سيان رضي الناس عنه أم سخطوا فيكفيه الله تعالى هم الدنيا والآخرة ويجعل قلوب الصالحين تتجه إلى حبه .

ثم إن الإيمان بالله يجعل الإنسان متقيداً بقانون الله تعالى ، ومحافظاً عليه ، فهو إن خلا بنفسه ليلاً أو نهاراً يعلم أن عليه رقيباً

يحاسبه عن كل صغيرة وكبيرة اقترفها . فتراه يسارع إلى التوبة كما قال تعالى : ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروه لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله • ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ (سورة آل عمران ، الآية : ١٢٥) . ويسارع كذلك إلى فعل الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . فوازعه النفسي يحضه على الخير ، وينهاه عن كل نقيصة ورذيلة .

الأصل الثاني : الإيمان بالملائكة :

الملائكة جمع ملك نظراً إلى أصله الذي هو ملاك ، وتقديم الملائكة على الكتب مراعاة للترتيب الواقع لأنه تعالى أرسل الملك بالكتاب إلى الرسل ، ولا يعني هذا التقديم تفضيل الملائكة على الرسل ، وإلا للزم تفضيلهم على الكتب ولا قائل به .

والإيمان بالملائكة هو التصديق الجازم والاعتقاد القاطع بوجود الملائكة وأنهم عباد الله مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

وقد ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة ما يدل على صفاتهم وأعمالهم عليهم السلام وهي كثيرة منها :

إنهم يعبدون الله تعالى ويذكرونه .

إنهم يصلون ويقفون صفاً في صلاتهم .

إنهم يخافون الله تعالـى و يطيعون أوامره . و لا يقدمون على قول أو فعل حتى يكون الله تعالى هو الذي يأذن لهم بذلك .

إنهم يدعون للمؤمنين بأن يغفر الله تعالى ذنوبهم ويقيهم الخطايا والسيئات ويدخلهم الجنة مع أهليهم .

إنهم يشفعون للمؤمنين في الآخرة شفاعة مقبولة باذن الله تعالى .

إنهم يشهدون لله تعالى بالوحدانية وأنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

ومن الملائكة من وكل إليه قضايا الإنسان التكوينية من تطوير النطفة في الأرحام ثم تصويرها ثم نفخ الروح في الجنين وكتابة أعماله التي سيعملها حتى موته .

ومنهم الكرام الكاتبون والموكلون بحضور مجالس العبادات والطاعات على اختلاف أنواعها .

ومنهم الموكلون برفع الأعمال الصالحة إلى الله وبسؤال الإنسان في القبر يتعاقبون عليها في صلاتي الفجر والعصر ليشهدوا لمن يحضر هاتين الصلاتين خاصة .

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : « قال رسول الله -ﷺ- . تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة النهار وصلاة العصر فيجتمعون في صلاة الفجر فتصعد ملائكة الليل وتثبت ملائكة النهار فيسألهم ربهم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون فاغفر لهم يوم الدين » (١) .

ومنهم من تحف بأجنحتها طالب العلم وتظلله لرضاها بعمله الذي يرفع به الجهل عن نفسه ، ويتفقه في أحكام دينه ابتغاء مرضاة الله وفضله .

ومنهم من يرافق العبد المؤمن في مختلف مسالك حياته وطرق عيشه ورؤساء الملائكة الكرام أربعة هم :

جبريل - عليه السلام - . ميكائيل - عليه السلام - .

إسرافيل - عليه السلام - . عزرائيل - عليه السلام - .

---

(١) متفق عليه .

هذا والملائكة أرواح قائمة في أجسام نورانية ، وهي قادرة على التمثل بأمثـــال كريمة مختلفة باذن الله تعالـــى ، و لا يأكلون و لا يشربون و لا يتناسلون و لايوصفون بذكورة ولا بأنوثة ، حياتهم عبادة الله تعالى وطاعته وتسبيحه وتنفيذ أوامر الله تعالى وطاعته .

و وجود الملائكة ثابت بالدليل القطعي من الكتاب و السنة ، قال تعالى : ﴿ أمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٢٨٥) ، ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً ﴾ (سورة النساء ، الآية : ١٣٦) .

﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ (سورة آل عمران ، الآية : ١٨) ، إلى غير ذلك من النصوص الكريمة .

وليس الإيمان بالملائكة مستحيلاً عند العقل البشري ، بل هو من الممكنات التي يجوز العقل وجودها .

فالإنسان مثلاً يسلم بوجود بلاد لم يرها حين يخبر بها عن صادق أنه رآها ، كذا يسلم بمسموعات لم يسمعها حين يخبره صادق أنه سمعها .

فإذا كان هذا الإنسان المحدود الإدارك يسلم فيما يخرج عن حدوده لمن تجاوز ذلك منه ، فكيف لا يسلم بوجود الملائكة وقد ورد الخبر الصادق بذلك من الله تعالى ورسوله -ﷺ- الذي لا ينطق عن الهوى .

وكم من المرئيات لا نراها لأن أبصارنا تعجز عن رؤيتها ، مثل الهواء والجاذبية والرياح ومع ذلك نؤمن بها .

ومن هنا كان إنكار الملائكة كفراً بإجماع المسلمين ، بل بنص قوله تعالى : ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل

ضلالاً بعيداً ﴾ .

على أن الإيمان بنبوة محمد - عليه السلام - ونزول القرآن عليه يستلزم الإيمان بالملائكة ، فإنكار وجودهم إنكار للنبوة وللقرآن معاً .

أثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان :

لقد سخر الله تعالى الملائكة الكرام لصالح أمر الإنسان ، وهذا تفضلا منه سبحانه وتعالى ولطفاً بالعباد ، فقد جعل منهم ملائكة ينزلون بالوحي والهدى من الله تعالى لصالح أمر المؤمن كي يحيي على هدى من الله تعالى ونور مبين .

وأمرهم بمرافقة المؤمن يعدونه بالخير إذا أطاع الله تعالى ، وبحضور المؤمن عند احتضاره يبشرونه بإقباله على الله جل جلاله يقبل الحسنة ويضاعفها ويتجاوز عن السيئة ويمحوها ، وما يزال معه حتى يرى مقعده من الجنة ، قال تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة • ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون • نزلاً من غفورٍ رحيم ﴾ (سورة فصلت،الآيات : ٢٠-٢٢) .

إذا كان الإنسان يعلم ذلك جيداً فلا شك وأنه يجد في قلبه دوافع تدفعه إلى الاستقامة على طاعة الله تعالى والمبادرة إلى طلب مرضاته على كل حال .

كما أنه يجد خجلاً في نفسه من حضور الملائكة معه في كل مكان وزمان وعلمهم بأعماله وكتابة ذلك في صحيفة يقرؤها يوم القيامة فيمنعه ذلك من معصية الله .

فالإنسان المؤمن يقوى إيمانه بالله تعالى لما يبدو له من عظمة الله

وقدرته وينشط إلى العبادة والطاعة ويكثر من فعل الخيرات ، ويحب الملائكة الكرام ويعرف فضلهم ويعتقد أنهم عباد الله المكرمون .

الأصل الثالث الإيمان بالكتب المنزلة :

مما لا يخفي أن العقل البشري له حدوده وإدراكاته التي ينتهي إليها ، ومجالاته التي يصول فيها ويجول ، وأن سمعه وبصره وقدرته وعمره كذلك محدود ، فليس عجباً أن لا يبصر الإنسان فوق طاقته ، ولا أن لا يدرك العقل ما وراء حدوده .

ولهذا العجز وذاك القصور فقد أنزل الله تعالى كتباً وصحفاً على المصطفين من رسله تضم بين دفتيها مجموعة من أحكام الله تعالى وأوامره ونواهيه ، ومواعظه وإرشاداته إلى عباده ، يتدبرونها ويتفهمون معانيها بعقولهم وقلوبهم ، فيهتدون بهديها ، وإذا تغلبت عليهم شهواتهم كانت زاجرة لهم عن الاقدام على المعاصي .

وقد أنزل سبحانه وتعالى صحفاً - كتباً - قليلة الصفحات إلى بعض رسله كما أرسل كتباً كثيرة الصفحات إلى بعض رسله - عليهم السلام - إذ ما من شك في أن كل رسول بعث لأمة كان لديه تعاليم سماوية تهدف إلى تصحيح عقيدة التوحيد أولاً ، وتنظيم علائق الناس ومعالجة الأمراض الخلقية والاجتماعية التي كانت متفشية في تلك المجتمعات .

وتعددت الصحف بتعدد الرسل وكذلك الكتب ، قال الله تعالى : ﴿ إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى ﴾ (سورة الأعلى ، الآية : ١٩) ، ﴿ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ﴾ (سورة الأنعام ، الآية : ٩١) ، ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٨٧) ، ﴿ وآتينا داؤد زبوراً ﴾ (سورة النساء ، الآية : ١٦٢) ، ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ﴾ (سورة المائدة الآية : ٤٨)

وكما أشرنا فقد كانت تلك الصحف والكتب لأجيال معينة وفي أماكن معينة . أما القرآن الكريم فأنزل لكل الأجيال من كل الأمم والبلدان إلى يوم القيامة . وقد تولى سبحانه وتعالى حفظه بنفسه ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

وقد أثبت الله تعالى في القرآن الكريم أصول ما في الكتب والصحف السابقة من تقرير توحيد الله تعالى . وطاعة الرسول فيما يأمرهم به . والقيام بعبادة الله تعالى . والحث على مكارم الأخلاق . وبين الحلال والحرام في البيوعات كما نقل أموراً أخرى أخفاها أهل الكتب أو بدلوها . يدفع ذلك كل شبهة ويدحض كل حجة . قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ﴾ (سورة المائدة . الآية : ٤٨) .

وقال سبحانه : ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير • قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين • يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ (سورة المائدة . الآية : ١٥) .

فمن أركان الإيمان أن نؤمن بصحف إبراهيم وموسى والتوراة والزبور والإنجيل والقرآن لورود ذكرها في القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

كما يلزمنا الاعتقاد بأن ما أكده القرآن الكريم مما في تلك الصحف والكتب وأكدته السنة النبوية كذلك هو الحق الذي أنزله الله تعالى ولا نزيد فيها شيئاً . وما ورد فيها مما يخالف ما في القرآن والسنة فذلك باطل . لأن الله تعالى ألزمنا العمل بكتابه الكريم لأنه متضمن جميع

التعاليم الإلهية ومحتو لتلك الكتب .

أثر الإيمان بالكتب المنزلة في حياة الإنسان : اختار الله تعالى الإنسان ليكون خليفة في أرضه في الدعوة للإيمان به ولإعمار هذه الأرض وإقامة العدل فيها ، وإحقاق الحق بين قاطنيها . ففي القرآن الكريم الذي أنزل على قلب محمد الأمين -ﷺ- تقرير نظام الحياة الجسدية والروحية الفردية والاجتماعية ، في النفس والأسرة والمجتمع وعلاقات المسلمين بعضهم ببعض وبغير المسلمين ، بما لا يدع مجالاً للشك في أن ذلك حقاً اختيار الحكيم العليم وإنه صالح لحياة الإنسان في مختلف مراحلها الدنيوية والأخروية .

إن الإنسان وهو يعتقد ذلك إنما يستشعر فضل الله تعالى عليه إذ أنزل عليه وصايا وأحكاماً وإرشادات وأوامر وفرائض وتكاليف لتوجه عقله وتهدي فكره وترشد فطرته وتسلك بعواطفه سبيل الخير والرشاد ، فيزداد بذلك حباً لله ويقبل عليه بالطاعات والقربات ، وبالجملة فإن الإيمان بالكتب السماوية المنزلة على الرسل - عليهم الصلاة والسلام - يقوى إيماننا بالله تعالى وحبنا له سبحانه ، فنؤثر طاعته على طاعة سواه ، ونقدم أمره على كل أمر ونصحه على كل نصح ، ولا نبتغي بكتاب الله تعالى بديلاً فهو وحده الحق ﴿ وماذا بعد الحق إلا الضلال ﴾ وهو وحده كل شئ وما عداه فليس بشئ .

ومن ثمرات الإيمان بالكتب كذلك أن نقبل على القرآن الكريم بلهف وشوق وحنين لتلاوته وفهمه وتدبر آياته ، ونزداد به عملاً وتطبيقاً في حياتنا الدنيا ليكون السلطان في الأرض لكتاب الله ويكون الدين كله لله تعالى .

[يتبع]

تيارات الغزو الفكري

(الحلقة السادسة)

بقلم : الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ المساعد بجامعة الأزهر وقطر

ومما لا يخفي على باحث أو دارس ، أن الغزو الفكري لكي يحقق أهدافه من إبعاد الأمة الإسلامية عن أصالتها ، وآدابها ، اتخذ له منافذ متعددة ، وتيارات مختلفة ، قد تبدو متباينة ، ولكنها تلتقي جميعها في محاربة الإسلام والمسلمين . ومن هذه التيارات والحركات :

(الاستشراق) (التبشير) (الصهيونية) (الماسونية) (أندية الروتاري) (العلمانية) (القوميات) (التغريب) (الوجودية(١)) (الفوضوية) (القاديانية) (البابية والبهائية) .. .. وغير ذلك ..

إن هذه التيارات والحركات ، صنعها « الغزو الفكري » ليمر من خلالها إلى الشعوب الإسلامية وقد استطاعت هذه التيارات أن تثبت أقدامها ، وتوطد علائقها ، وتقيم معاهدها ، ومدارسها ..

وهناك مجتمعات إسلامية - جميع أبنائها مسلمون - بدت فيها ظاهرة لا يتنبه لها إلا أولئك الباحثون - أمثالي - وما أخطر هذه الظاهرة ، ظاهرة انتشار صورة الصليب في أشكال قد لا تلفت النظر لأول وهلة .

فقد يكون الصليب داخل مربع يضئ ليلاً أعلى قمة محل تجاري ..

وقد يكون الصليب داخل إطار دائري ، تتزين به حجر الاستقبال ..

قلت لصديقي الذي تتزين حجرة جلوسه بثلاث من هذه الدوائر : ما هذا؟

قال : لا أدري - والله - إنها أدوات زينة .

---

(١) انظر : وراجع كتابنا ، التيارات الفكرية والحركات المعاصرة ، ط. دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٤١٢هـ .

وقد يكون الصليب داخل إطار كتابي «شعاراً» لأحد الشركات الكبرى .

وفي بعض المجتمعات الإسلامية ، لا يستطيع أحد أن يشير إلى أي ظاهرة من ظواهر الغزو الفكري في المجتمع ، بأي إشارة كانت .

وهكذا تعيش بعض المجتمعات الإسلامية في ظواهر الغزو الفكري ، ولا أحد يرى ، ولا أحد يتكلم ، ولا أحد يسمع .

لقد نجحت الحملات التي قامت بها مؤسسات الغزو الفكري الغربي في تحقيق أغراضها نجاحاً بعيداً ، حين ضمت إليها فئات مثقفة من المسلمين ، وجعلتها في صفها تحارب الإسلام وثقافته ، وأكثر من هذا أن هؤلآء المثقفين صاروا يستنكرون الثقافة الإسلامية إذا تناقضت مع الثقافة الغربية ، وصاروا يستمرئون الثقافة الغربية ويتعشقونها ، ويتجهون في الحياة طبق مفاهيمها (١) .

لقد أقبل الكثير من المسلمين على ثقافة الغرب يدرسونها ويطبقونها ويتسابقون في الأخذ بها ، واستجاب المسلمون إلى الدعوات العنصرية حتى صارت على لسان الكثيرين ، وحتى صارت الأقليمية الضيقة هي المرتكز لأي عمل في أي اتجاه سياسياً كان أم اقتصادياً أم فكرياً ، إن هناك حرباً تشن على العقائد الموروثة ، وعلى المسلمات التي تتصل بالوحي والبعث ، وهناك فلسفات مطروحة ، ترمى إلى إلغاء القيم الثوابت ، وإقامة التطور المطلق ، وتجاوز الروح وإقامة المادة وحدها ، وإلغاء الضوابط الأخلاقية والمسئولية الفردية ودعوة إلى رفع الوصاية عن الشباب ، بل هناك دعوة صريحة أعلنت خطتها بإخراج العرب والمسلمين من إطارات الدين ، ودعوتهم إلى علمنة الذات العربية ، وهناك دعوات إلى إعادة طرح الأساطير ، والإباحيات في أفق الفكر الإسلامي عن طريق القصة ، والمسرح ، والصحافة ، وهناك دعوات تزين الباطل وتزخرفه

---

(١) انظر : عزالدين الخطيب التميمي وآخرين، نظرات في الثقافة الإسلامية : ص/ ٤٦ .

ودعوات تحول الشر إلى صور براقة زاهية (١) .

أهداف الغزو الفكري :

لا يمكن أن يتصور عاقل : أن الحرب بين الإسلام وأعدائه قد وضعت أوزارها ، ولا يمكن أن يتصور عاقل أن اعداء الإسلام قد سكتوا عن الإسلام بعد أن تحالفوا ضد أهل الإسلام فغلبوهم وجعلوا منهم أمماً بعد أن كانوا أمة ، وفرقاً بعد أن كانوا وحدة ، ولا زال أعداء الإسلام ، يدبرون لحربه كل يوم وسيلة ، ويحشدون للوقوف في وجهه كل يوم قوة وليس خطر الكلمة والفكرة بأقل من خطر الجندي والسلاح في المعركة الضارية التي يشنها أعداء الإسلام على الإسلام وأهله .

إن هؤلآء الأعداء قد سكتوا عن حرب الجنود والأسلحة ، ليشنوا حرب التشويه والتخريب للإسلام : منهجه وتاريخه ورجاله وتراثه ولغته وقرآنه ، وتحالفوا وتآزروا وابتكروا حديث الوسائل ، وخبث التيارات والأساليب ، فغزوا المسلمين في قلوبهم ، وأفكارهم ، وأخلاقهم ، وأزيائهم ، وشنوا على العالم الإسلامي من الغارات ما لا يخفى أمره (٢) .

وإن أخص صفات عصرنا ، هي أنه ينتج من الأفكار ، بقدر ما ينتج من الأشياء ، وليس من الضروري أن نتطلب من الأفكار المنتجة ، أن تكون نافعة دائماً كالأشياء فإن المجتمعات التي تصدر إلينا أشياء الحضارة ، ترى في الأفكار سلعة ، ينبغي أن تتغير كل يوم ، كما تتغير طرز الأشياء ، ولذلك يقف مثقفونا مبهورين ، أمام موجات الفكر الوارد من الخارج ، ماذا يأخذون وماذا يدعون ، بل قل : ماذا يقرءون ، وماذا يترجمون ؟ ولا شئ أكثر من هذا .. يكفيهم أن يستطيعوا ملاحقة

---

(١) أنور الجندي شبهات التغريب في غزو الفكري الإسلامي : ص/٤٧-٤٨، ط. المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٢هـ .

(٢) انظر الدكتور على عبد الحليم محمود ، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام : ص/٥-٦ .

الأفكار ، دون أن يكون عليهم أن يواجهوها أن ينقدوها فهم إلى أن يصوغوا نقداً معيناً لأحد الاتجاهات الجديدة نسبياً ، يكون الوقت قد فات ، وتقادم بمرور الزمن ما ينقدون ، وغطت عليه أفكار أخرى أشد لمعاناً ، وأكثر جاذبية وإشعاعاً .

ومما لا شك فيه أن العالم الإسلامي هدف ثمين من أهداف تصدير الأفكار ، نظراً إلى موقعه وخطورة موقفه ، ليبقى هذا العالم مفتقراً إلى الدول المصدرة وليحال بينه وبين أفكاره الأصيلة التي يمكن أن تغنيه عن الاستيراد .

وسوق الأفكار أخطر أسواق المنتجات ، وأكثرها تقبلاً للتزييف والإفساد ، ومن ثم حفلت أسواقنا ، بما هو أشد فتكاً من السموم ، وأعظم انتشاراً من الهواء ، يتخلل كل خلية وينخر في كل بناء . أفكار ترتدي أثواباً ، أو تحمل شعارات ، أو ترفع مشاعل ، ليس الثوب فيها ، أو الشعار ، أو المشعل ، إلا قناعاً يستر الزيف الخطر (١) .

إن هذا الغزو الفكري الذي يجتاح الشعوب الإسلامية

يهدف فيما يهدف إلى :

١ - أن تظل الشعوب الإسلامية خاضعة لنفوذ القوي المعادية لها .. تلك القوى التي تتمثل في عدد محدود من الدول الكبيرة ، التي يحمي بعضها بعضاً ، ويتبادل ساستها الدفاع عن المصالح ، التي تهم أي طرف من أطرافها .

٢ - أن تظل بلدان العالم الإسلامي خصوصاً ، والعالم النامي عموماً تابعة لتلك الدول الكبيرة المتقدمة ، تبعية غير منظورة ، وفي هذه التبعية يمكن دهاء تلك الدول المتبوعة وذكاؤها ، فليس أقتل للشعوب من أن تحس بالحرية والاستقلال ، بينما هي ترسف في قيود الذل والتبعية ،

---

(١) انظر : الدكتور عبد الصبور شاهين ، مقدمة كتاب الإسلام يتحدى ، وحيد الدين خان : ص/٨-٩ ، ط. المختار الإسلامي ١٢٩٧هـ الطبعة السابقة ، القاهرة .

وليس أضيع لمستقبل أمة من الأمم أن تعجز عن أن تخطط لمستقبلها ومصيرها إلا وهي دائرة في فلك دولة كبيرة واهمة ذاهلة عن حقيقة ما تعانيه من تبعية .

٣- أن تتبنى الأمة الإسلامية أفكار أمة أخرى من الأمم الكبيرة دون نظر فاحص ، وتأمل دقيق ، مما يؤدي إلى ضياع حاضر الأمة الإسلامية في أي قطر من أقطارها ، وتبديد لمستقبلها ، فضلاً عما في ذلك من صرف عن منهجها وكتابها ، وسنة رسولها .. وما يترتب على هذا الصرف من ضياع أي ضياع ، إذ لا يوجد مذهب سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي يغني الأمة الإسلامية عن منهجها الالهي ، ونظامها الشامل المتكامل ، في كل زمان ومكان .

٤- أن تتخذ الأمة الإسلامية مناهج التربية والتعليم ، لدولة من هذه الدول الكبيرة ، فتطبقها على أبنائها وأجيالها ، فتشوه بذلك فكرهم ، وتمسخ عقولهم ، وتخرج بهم إلى الحياة ، وقد أجادوا بتطبيق هذه المناهج عليهم شيئاً واحداً ، هو تبعيتهم لأصحاب تلك المناهج الغازية أولاً ، ثم يلبس الأمر عليهم بعد ذلك ، فيحسبون أنهم بذلك على الصواب ، ثم يجادلون عما حسبوه صواباً ويدعون إليه ، وهم بذلك يؤكدون تبعيتهم من جانب آخر ، فيعيشون الحياة وليس لهم منها إلا حظ الأتباع والأذناب .

٥- أن يحول العدو بين الأمة الإسلامية وبين تاريخها وماضيها وسير الصالحين من أسلافها ، ليحل محل ذلك تاريخ تلك الدول الكبيرة الغازية ، وسير أعلامها وقادتها .

٦- أن تزاحم لغة الغالب لغة المغلوب ، فضلاً عن أن تحل محلها أو تحاربها بإحياء اللهجات العامية أو الأقليمية ، وما دام الإنسان لا يفكر إلا باللغة فإن اضعاف لغة أمة هو إضعاف لفكرها .

٧- أن تسود الأمة المغزوة أخلاق الأمة الغازية ، وعاداتها وتقاليدها (١) .

---

(١) انظر : الدكتور علي عبد الحليم محمود ، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام : ص/٨-١٠ بتصرف .

٨- تصوير تراث الأمة الإسلامية بصورة التخلف ، وعدم قدرته على إمداد الحضارة بشئ مفيد ، وأنه لم يكن له فضل على الحضارات التي جاءت بعده .

٩- إحياء الجوانب الضعيفة في التراث الإسلامي خاصة فيما يتعلق بالخلافات السياسية التي وقعت بين المسلمين أنفسهم ، والتركيز على دعوات الحركات الباطنية ، وإخراجها بصورة جميلة مضيئة ، و وصف هذه الدعوات بأنها كانت تحمل فكرا عالياً ، وفلسفة عميقة (١) .

١٠- إضعاف مثل الإسلام وقيمه العليا من جانب ، و إثبات تفوق المثل الغربية وعظمتها من جانب آخر ، وإظهار أي دعوة للتمسك بالإسلام بمظهر الرجعية والتأخر .

١١- تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري ، بدعوى أن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان ، ولم يكن العرب والمسلمون إلا نقلة لفلسفة تلك الحضارة وآثارها .

١٢- إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام ، وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم (٢) .

١٣- اقتلاع العقيدة الإسلامية من قلوب المسلمين ، وصرفهم عن التمسك بالإسلام نظاماً وسلوكاً .

١٤- تفريغ العقل والقلب من القيم الأساسية ، المستمدة من الإيمان بالله ، ودفع هذه القلوب عارية أمام عاصفة هو جاء تحمل معها السموم عن طريق الصحافة والمسرح والفيلم والأزياء والملابس .

[يتبع]

---

(١) إبراهيم النعمة ، المسلمون أمام تحديات الغزو الفكري : ص/٢٠ .

(٢) أنور الجندي ، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي : ص/١٨ .

قراءة في كتاب :

« الإسلام كما ينبغي أن نؤمن به »

للأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس

بقلم : الأستاذ الكبير علـي القـاضـي

الإسلام هو الدين الذي جاء به محمد -ﷺ- وهو شامل للعقل والوجدان والجسم والروح وهو يخاطب الإنسان بكيانه كله ويتفاعل مع كل طاقاته وهو موجه للرجل والمرأة وللفرد والمجتمع معاً في سياق واحد دون انفصام أو تجزئة .

والرباط الذي يربط المسلم بالإسلام هو الرباط الذي يربطه بروحه ومن هنا كان لابد من العناية - في التربية الإسلامية - بالجانب الوجداني والجانب السلوكي والتربوي والأخلاقي إلى جانب التربية الروحية والجسمية .

وبذلك يصل الإنسان إلى مرحلة الإيمان والتقوى .

وبذلك يستطيع المسلم أن يؤدي وظيفته في هذه الحياة باعتباره خليفة في الأرض يقول الله تعالى :

﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ (سورة الحجرات ، الآية : ١٥) .

ومشكلة المسلمين اليوم تظهر في انحسار مفهوم المسلمين للإسلام نفسه وفي قصور المسلمين في تعاملهم مع الإسلام فما عاد المسلمون - إلا أقل القليل - يستطيعون الصعود إلى قمة التصور الإسلامي الصحيح .

إن الإسلام الكوني : قد أصبح في نظر بعض المسلمين - إسلاماً نوعياً

أو جزئياً أو مذهبياً أو نظرياً أو مظهرياً أو وسيلة من وسائل العيش - وقد أصبح تناول معظم المسلمين للإسلام تناولاً عفوياً أو سطحياً يعيش في دائرة هامشية تفتقد المعاناة الفكرية والمعاشية والتفاعل الواعي مع حقائق الإسلام - فكراً و نظاماً - ومع حضارته -واقعاً- ظهر في التاريخ البشري وارتبط بالزمان والمكان .

كما أصبح القرآن الكريم : لا يجاوز الحناجر - لدى الكثيربن - فقد أصبح الإسلام لا يجاوز التزاماً ببعض الشعائر في نظر بعضهم - ورسالة جاءت بالعقيدة الصحيحة - في نظر بعضهم وديناً لا يزيد في حجمه عن حجم الأديان الأخرى ولا علاقة له بنظام الحياة ومنهج السلوك الاجتماعي في رأى آخرين .

وبعض الناس لا يهمهم من أمر الإسلام إلا بعض القضايا المبتسرة وقد أهملوا - أولم يهتموا - ببعض الأسياسيات الإسلامية ويكاد الواحد منهم يلبس نظارة سوداء لا يرى من خلالها المسلم إلا في هذه الصورة التي رسمها .

ولذلك فإن الإسلام قد تحول - حتى في الجامعات الإسلامية ومعاهد الدعوة إلى نظرية وقانون ومذهب له تفسيره وفقهه وأصوله . أما روحه فليست موجودة في منهاج الجامعات والمعاهد الإسلامية وقد يكون الإنسان بهذا مسلماً لا مؤمناً وقديماً ظن بعض الأعراب أن الإسلام يكفي وقالوا : آمنا فرد عليهم القرآن بقوله :

﴿ قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً • إن الله غفورٌ رحيمٌ ﴾ (سورة الحجرات ، الآية : ١٤) .

وحين ظن بعضهم أن لهم فضلاً بإسلامهم - على النبي - قال القرآن الكريم لهم في صورة واضحة صريحة :

﴿ يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ﴾ (سورة الحجرات ، الآية ١٧) .

وهذا كله هو الذي جعل الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس يؤلف هذا الكتاب ليقدم الإسلام للمسلمين وغيرهم في صورة شاملة تبين تكاملية الإسلام وتجاوز الأخطاء المرحلية والضغوط المذهبية والاتجاهات الذاتية بعيداً عن التركيز العقلي الذي يجعل الإسلام مجرد نظرية فلسفية وبعيداً عن التركيز الفقهي الذي يجعل الإسلام مجرد قانون من القوانين وبعيداً عن التركيز الوجداني الذي يجعل الإسلام طرقاً صوفية أو تجربة روحية شخصية سرعان ما تحفل بالبدع والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان .

لقد ألف هذا الكتاب محاولة لإيقاف هذا السيل من الأهواء الضاغطة التي توشك - عن حسن نية غالباً - أن تخرج الإسلام عن حقيقته النقية البيضاء وأن تفرض على الناس منظارها الذي تنظر به إلى الإسلام من زاوية خاصة ، وبالتالي تنتهي به إلى ميزان خاص تزن به إسلام الناس كأنها - كما قيل - تريد أن تزن الجبل بميزان الذهب والله سبحانه وتعالى يقولها واضحة صريحة : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (سورة الحجرات ، الآية : ١٣) .

ولذلك كان من أكبر مهام المخلصين لهذا الدين أن يعيدوا إلى المسلمين فهمهم الصحيح للإسلام حتى تنتهي هذه النظرة الجزئية للإسلام أو النظرة الخاطئة فتختفي النظرة الصوفية أو النظرة التي تكره الصوفية أو النظرة الشيعية أو النظرة العقلانية .

ومن الملاحظ : أن هناك قضايا عصرية عولجت بطريقة خاصة واشتط فيها بعض المسلمين وانحرف فيها بعضهم وهذه القضايا عولجت بعيداً عن ثلاث قواعد أساسية في التصور الإسلامي وهي :

أولاً : ضرورة ربط كل القضايا بالبناء الإسلامي الشامل والكامل .

ثانياً : ضرورة الربط بالقاعدة الأصولية القائلة بأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

ثالثاً : ربط القضايا بالمصالح الكبرى والمردود الفعلي لكل قضية بعيداً عن التشنج والانفعال المرحلي .

ومن هذه القضايا التي عولجت بطريقة خاطئة :

تكفير طوائف كثيرة من الأمة وتكفير الحكام أو تفسيقهم والصلاة في المساجد أو عدم الصلاة فيها لأنها بنيت بأيدي الحكومة .

لماذا اعتنقت الإسلام :

سأل محمد أسد نفسه هذا السؤال و سجل الإجابة في كتابه : « الإسلام على مفترق الطرق » فقال : « يجب أن اعترف بأنني لا أعرف جواباً شافياً - فلم يكن الذي جذبني إلا ذلك البناء المجموع العجيب والمتراص بما لا أستطيع له تفسيراً من تلك التعاليم الأخلاقية بالإضافة إلى منهج الحياة العملية » .

ثم قال : « ولا أستطيع اليوم أن أقول أي النواحي قد استهوتني أكثر من غيرها ، فإن الإسلام - على ما يبدو لي - بناء تام الصنعة وكل أجزائه قد صيغت ليتمم بعضها بعضاً ويشد بعضها بعضاً ، فنتج عن ذلك كله ائتلاف متزن مرصوص ولعل هذا الشعور من أن جميع ما في الإسلام من تعاليم وفرائض قد صيغت مع هذا كله ووضعت في مواضعها - هو الذي كان له أقوى الأثر في نفسي - وربما كان مع هذا كله مؤثرات أخرى يصعب على الآن أن أحللها - وبالإيجاز - فقد كان ذلك قضية من قضايا الحب ، والحب يتألف من أشياء كثيرة من رغباتنا وتوحدنا ومن أهدافنا السامية ، وكذلك كان شأني » .

والإسلام ينتظم ثلاثة عناصر :

العقيدة والشريعة التي تشمل العبادات والمعاملات والأخلاق .

والذي يحافظ على هذه الأوضاع الإسلامية يحس بأنه يحيا في هذا الكون الصديق له .

وبذلك يمكنه أن يؤدي وظيفته في الأرض مستوحيا القوة والسلوك والاتجاه من قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ (سورة الأنفال ، الآية : ٢٤) .

إن القرآن الذي نزل على محمد -ﷺ- .

هو القرآن الذي لا زال بين أيدي المسلمين .

وإن آثار الجاهلية التي لمسها الجيل الأول من الصحابة ، يلمسها المسلمون في جاهلية العصر الحديث وكأن التاريخ يعيد نفسه .

ومع ذلك فإن موقف المسلمين الحضاري من القرآن الكريم والإسلام هو موقف في غاية الضعف والخمول في العصر الحديث .

إن المسلمين - في العصر الحديث - لا يريدون الشيوعية الإلحادية ، ولا يريدون النصرانية ولا اليهودية ولا غيرها من الأديان ، ولا يريدون أن يعيشوا دون أن يحملوا شعار دين ينتسبون إليه .

يقرأ عليهم القرآن فيدندنون ويهمهمون .

و بأمرهم بالجهاد و يعد المكتنزين بعذاب جهنم فيطربون و يهللون - ولا مانع من أن يؤدوا الصلاة ويصوموا شهر رمضان المبارك - شهر الخيرات والسهرات والفوازير .

ولا مانع أن يحجوا إلى بيت الله الحرام مرة ومرة ومرة .

ولذلك فإننا رأينا كثيراً من الذين دخلوا في الإسلام : حمدوا الله تعالى على أنهم دخلوه قبل أن يعرفوا المسلمين في فهمهم للإسلام وفي

تطبيقهم له وإلا ما دخلوه .

ويرى المؤلف الفاضل : أن من أكبر واجبات المخلصين لهذا الدين أن يعيدوا إلى المسلمين فهمهم الصحيح للإسلام وأن يقضوا على فوضى الفهم للإسلام ثم بعد ذلك يمكنهم أن يدعوا إلى دين الله تعالى وهم يمثلونه التمثيل الصحيح .

وأن يشغلوا أنفسهم بالرد على أعداء الإسلام .

وأن يعملوا وأن يدركوا سنن الله في الكون وأن يكون العلم الحقيقي في مقدمة اهتماماتهم فالقرآن الكريم به نحو خمسين آية لتحريك العقل البشري إلى جانب عشرات الآيات في إيقاظ الحواس من سمع وبصر ولمس ، وعشرات الآيات في إيقاظ التفكير والفقه وطلب الحجة والبرهان .

وقد جاءت مادة العلم مراداً بها علم الناس لا علم الله في نحو ستمائة آية وقد كان من تقدير القرآن الكريم للعلم والعلماء أنه قرنهم بالملائكة في قوله :

﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط ﴾ (سورة آل عمران ، الآية : ١٨) .

كما قال إن العلماء هم الذين يخشون ربهم في قوله بصيغة القصر :

﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ (سورة فاطر ، الآية : ٢٨) .

والمقصود بالعلم ، العلم الذي يقصد به النفع والخير لا الضلال والاستعلاء وأن يصحبه العمل الجاد المثمر .

وهكذا ينبغي أن يكون فهم المسلمين للإسلام فيؤمنوا به الإيمان الكامل الذي يجعلهم يقومون بوظيفتهم في هذه الحياة كما قام بها المسلمون الأوائل .

بذلك يعيشون في أمن وأمان وسلام واستقرار .

وبذلك يرضى الله عنهم في الدنيا وفي الآخرة .

التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس

(الحلقة الثالثة الأخيرة)

الدكتور عبد الحليم عويس
الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

وفي الأيام الأخيرة لغرناطة كانت هذه الآفة المادية قد باضت وأفرخت وأصبحت فلسفة وهدفا ، ولهذا فأنا أتجرأ وأزعم أن غرناطة - مع تقديرنا - كما ذكرت - لكل عوامل السقوط - لم تسقط بالحرب ، بل سقطت - بدرجة كبيرة - لسيطرة هذا العامل المادي على منهج الحياة ..

وقد أدرك الصليبيون وجود هذا المرض الخبيث في حكام غرناطة والمسيطرين على شئونها ، سواء من أبناء الأسرة الحاكمة أم الوزراء التنفيذيين ، أم بعض الفقهاء الذين اتخذوا الدين وسيلة للدنيا ، ولم يشتهر من الفقهاء - ونحمد الله على ذلك - إلا فقيه واحد ، يمثل قمة الخيانة للإسلام وعبادة المادة هو الفقيه البلقيني .. بينما اشتهر من الوزراء في أيام السقوط الوزيران اللذان توليا - مع الفقيه البلقيني - المفاوضات حول تسليم غرناطة للجانب الصليبي ، وهما الوزير أبو القاسم المليح والوزير يوسف بن كماشة - فلقد كان هذان الوزيران جشعين ماديين يبحثان عن مصالح مادية خاصة لهما وللكهما وأسرته الحاكمة ، حتى في هذه الأيام النكداء .. أيام سقوط غرناطة ..

وقد كشف هذان الوزيران عن مدى وضاعتهما النفسية ونهمهما المادي من خلال تلك الرسائل التي كانا يرسلانهما إلى المفاوض النصراني (إيرناندو دي ثافرا) الذي كان يفاوضهما باسم فرناندو وإيزابيلا ، فقد جرت عادتهما القبيحة أن يبدءا الرسائل - وأحياناً يختتمانها -

بعبارات تفيد أنهما يقبلان قدمي الملكين وأيديهما (١) ، وفي ذلك أكد دليل على أن الرجلين عميلان للنصارى . وكانا في الوقت نفس يتظاهران أمام أبي عبد الله بعكس ذلك (أي أنهما يعملان من أجل الصالح العام !!؟) ويؤكد لنا خيانة الرجلين تلك الرسائل التي وجهها إليه المفاوض النصراني ايرناندو دي ثافرا ، وفيها يقدم الوعود بالمكافأة م قبل الملكين لأبي القاسم المليح ويوسف بن كماشه ، وكانت تلك الوعو مقرونة بطلب الملكين فرناندو وإيزابيلا من أبي القاسم ويوسف ب كماشه بضرورة التعجيل باستسلام غرناطة (٢) ، كما يؤكد خيانته أنهما كانا يتغاضيان مرتبات من قبل الملكين الكاثولكيين في الوق الذي يشتد فيه الحصار على أبناء دينهم .

وقد بلغ التكالب المادي والخيانة بالوزير أبي القاسم المليح أن يخاط مفوض الملكين الكاثولكيين (إيرناندو دي ثافرا) بقوله : « أقسم بالله وبالشريعة أنني إذا استطعت أن أحمل غرناطة على كتفي لحملتها إل أصحاب الجلالة ، وهذا برغبتي ، وليقض الله عليّ إذا كنت أكذب ، ك أتمنى أيضاً من الله أن ينتهي هذا الأمر على خير (أي تسليم غرناطة) م هؤلآء القوم المجانين (يقصد الشعب المسلم الرافض لصفقة بيع غرناطة وأرجو أن تكونوا على يقين بأنني خادم شريف و مخلص لأصحا

---

(١) انظر : رسالة أبو القاسم المليح إلى إيرناندو دي ثافراورسالة يوسف ب كماشة وأبو القاسم المليح إلى الملكين الكاثولكيين ، في :
Archivo de Herndo de Zafra).

(٢) انظر : رسالة إيرناندو دي ثافرا إلى أبي القاسم المليح ، وانظر رسالة أب القاسم ويوسف بن كماشة والتي يطلبان فيها من الملكين النصرانيين أن يرس لهما مبلغ ألف دويلة (انظر : عبده عواجي : الخلافات السياسية في الدو النصرية ودورها في سقوط الأندلس : ص/٢٥٧ ، رسالة ماجستير بكلية العلو الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٤١٠هـ) .

الجلالة . لكن أهل المدينة لم يصل إدراكهم سنّ النضج والتفتح (١) (لأذ
يرفضون الصفقة المشينة) .. ! » .

ومن الغريب أن السلطان أبا عبد الله أشار إلى أن الشكوك كانت تساو
مسلمي غرناطة تجاه أبي القاسم المليح . وأنه كان يريد بيعهم للنصارى
وقد جرت محاولات للإطاحة به لكنها فشلت (٢) ونعتقد أن السبب ا
بقاء هذا الخائن مساندة الجانب النصراني وبعض شركائه في الخيانة له .

ولم يقتصر المفاوض النصراني إيرناندو دي ثافرا على التفاوض ،
أبي القاسم المليح ويوسف بن كماشة . بل استطاع أن يجذب إليه عما
آخرين اشتركوا في المفاوضة . منهم المدعو بالفقيه البلقيني الذي ك
أحد المقربين من السلطان أبي عبد الله . وعلى دراية كاملة بما يدور حول
وكان يتمتع بحظوة خاصة عنده ومن المستشارين المقربين إليه .

وقد اهتم إيرناندو دي ثافرا بهذا الفقيه الخائن لدينه وأمته ليخ
سادته من خلال مداهنته وتقديم الوعود البراقة له واغداق النعم عل
باعتباره أقرب المقربين إلى أبي عبد الله نظراً لمكانته الدينية .

وبالفعل فقد حالف الحظ إيرناندو دي ثافرا . فقد شرع الفق
المذكور في بعث الرسائل إليه وأصبح جاسوساً للنصارى على سلطا
أبي عبد الله . وصار يوافيهم بكل تحركاته وسكناته . وبما يدور
خلده تجاههم (٢) .

وفي نهاية إحدى رسائله إلى إيرناندو دي ثافرا يصرح بمطال

---

(١) من أرشيف فرناندو ثافرا .

(٢) عبده اجي : المرجع السابق : ص/٢٥٩ .

(٢) انظر ر الفقيه البلقيني إلى إيرناندو دي ثافرا - في :
rchivo de Herndo de Zafra) .
و : عبده عواجي : الخلافات الأسرية : ص/٢٦٠ .

الشخصية من الملكين الكاثولكيين وهي التأكيد على حصوله على منصب قاضي البشرات وأمور أخرى (١) .

لقد كشفت لنا الوثائق أن الوزيرين أبا القاسم المليح وابن كماشة والفقيه البلقيني يصدرون - مع أبي عبد الله - عن منهج واحد . فقد انحسر همهم في الحصول على الأعطيات والامتيازات التي يمكنهم أن ينالوها من أصحاب الجلالة بفضل كرم أخلاقهم مع النصارى وتفريطهم في حقوق الإسلام والمسلمين (٢) .

وانطلاقاً من هذا المنهج فقد تضمنت المراسلات الجارية بينهم وبين المفاوض النصراني ، كما تضمنت وثائق تسليم غرناطة - قوائم بالأعطيات التي ستمنح للملك ولوزيريه الخائنين . ومما ورد في وثيقة من هذه الوثائق أنه في اليوم الذي ينبغي فيه تسليم الحمراء لأصحاب الجلالة يلتزم فيه أصحاب الجلالة بتسليم الأمير والرهائن الذين معه ، وأيضاً عليهم تسليم مبلغ الثلاثين ألف قشتالي للملك والعشرة الآلاف لابن كماشة والعشرة الآلاف الأخرى لأبي القاسم المليح ليكون إجمالي المبلغ خمسين ألف قشتالي وذلك في نفس اليوم . وعند ما ينفّذ أصحاب الجلالة ذلك وكل هذه العطايا وكل هذه الأشياء المكتوبة في شروط الاتفاقية سيلتزمون بتسليم الحمراء بقواتها وأبوابها كما هي عليه الآن في حيازة الملك (٣) .

وفي نص جديد لرسالة الامتيازات يرد الآتي بعد المقدمة (......) :

يتم الإثبات والاتفاق بأنه على أصحاب الجلالة أن يعملوا على تقديم العطايا للملكات : أمه وأخواته وإلى الملكة زوجته وزوجة مولاى أبي

---

(١) الأرشيف السابق . المرجع السابق : ص/٢٦٨ .

(٢) عبده عواجي : المرجع السابق : ص/٢٧٠ .

(3) Archivo de Herndo de Zafra .

النصر وتأكيد أن لهن كل البساتين والأراضي والطواحين والحمامات والمتلكات التي لهن في مدينة غرناطة وفي البشرات ليكون كل شئ لهن ولورثتهن وخلفائهن بحق الميراث للأبد ، وأنه يمكنهن البيع والنقل والتصرف بالشكل والطريقة التي يرونها للممتلكات الأخرى للملك المذكور .

ويتم الإثبات والاتفاق على أن كل الممتلكات المذكورة الخاصة بالملك المذكور وبالملكات المذكورات وزوجة مولاى أبي النصر المذكور تكون معفاة من كافة الرسوم التي كانت حتى تاريخ اليوم اعتباراً من الآن وإلى الأبد .

وأمر آخر ، إن كل ما أخذه ملك غرناطة وقادته وفرسانه من ممتلكات وعقارات وبساتين وأشياء أخرى سواء بطريق العدل أو بغيره من المسلمين أو المسيحيين في أيام السلم أو في أيام الحرب يأمر أصحاب لجلالة ومن يخلفهم بعدم مطالبة أي شخص بأي شئ ولا بحق السنة من الآن ولا في أي وقت .

ومما ورد في هذا النص أيضاً يؤكد سيطرة النزعة المادية ما يلي :

« لا تدفع رسوم عن الأراضي الأميرية من البساتين أكثر مما كان يدفع عادة عليها ، تلك المجاورة للعقارات العامة ولا ترفع الرسوم حيث إنها مجاورة وقريبة من المدينة ، ولا يحق لأي شخص أن يلحق بها أضراراً ، وإن القادة والفرسان كانوا يعتادون على ذلك بخصم أجورهم من الرسوم ولهذا كانوا يكلفونهم أكثر مما كانوا يستحقون » .

« وأمر آخر ، إن كل المناطق الآهلة وغير الآهلة والعليا والسفلى وكل مناجم الملح والأشياء الأخرى والموجودة في الملاحات المذكورة وقراها في «اسكاثار» (Escazar) و « اجرون » (Agron) و « بيره » (Beyra) و « يوكار» (Yucar) و « كوبوليه » (Gopolier) و « قاسن » (Gacin) ونهرها و « وله » (Huelme) و « تيجارجال » (Tigargal) وقرية « الدويار » (Doyar) وقرية البوردا » (Bordaoı) و « بوفانتيس » (Bovantes) وقرية « سورفيان »

(Sorvillan) و قــــــرية « ديستانبيسا » (Destanbisa) و « جارجيليس » (Jarjilis) و « المثار» (Almachar) يوقع عليها أصحاب الجلالة والقسم بحق الميراث بأنه يمكننا بيعها أو الاحتفاظ بها أو التصرف فيها وأن يرثها أحفادنا وأحفاد أحفادنا لكل تلك المناطق الآهلة وغير الآهلة والمراعي . وكل عشيراتها وعوائدها ورسومها . وكل الذين يريدون تعميرها من المسلمين » .

و أمـــر آخـر . إن كل منطقـــة « العقارين » (Alecrin) و « لانجارون » (Lanjaron) بقواتها ورسومها وممتلكاتها وعشيراتها ومناجمها لا يدخلها أي أحد معنا ولا في مجالس قضاتها ويلتزم بذلك أصحاب الجلالة من الآن وفي كل وقت .

وأمر آخر . في مقاطعة « داليه » (Dalia) ترعى الماشية الخاصة بالمسلمين في وقت الشتاء .

أمر آخر . أن تكون ملاحات مقاطعة « داليه » (Dalia) مثلها مثل الآتي ذكره وأيضاً أراضي قرية « أوتورا » (Autura) وديارها وبستانيها وكل طواحينها والأراضي الأميرية والقسم بأن تكون ميراثاً لابني محمد وكذلك لابن الوزير وكل قرية « بولينا » (Pullena) وأن تكون ميراثاً أيضاً كل تركة محمد بن الحاج في منطقة « العقارين » (Alacrin) و فـــي « فريره » (Ferreyra) و « بوركيره » (Porqueyra) وفي غرناطة بأراضيها وبساتينها وديارها،وحقول الزيتون تكون لابني «حامدي » (Hammete) لتكون ميراثاً له وكذلك ما تركه أبو القاسم وابن المليح في غرناطة وفي العقارين وفريره وبوركيره لابن الوزير محمد . ليكون ميراثاً له وكذلك قرية « جوشار» (Goxar) لابن عمي الجويني لتكون ميراثاً له .

أمر آخر أن يمنحنا أصحاب الجلالة مصداقيتهم ويقسموا لنا بشريعتهم . وأن يلتزم السيد الأمير بذلك معنا من الآن وبعد الآن وإلى

الأبد بألا يخذلنا ، وأن نحظى بالشرف في كل ممتلكاتنا التي نحصل عليها في دار أصحاب الجلالة وفي دار الكونتات وعلية القوم ، وأن يمنح التفويض المناسب بذلك ، وهذا ما نأمله من أصحاب الجلالة ، وكذلك بالنسبة لكل الذين خرجوا معنا من الفرسان بأن يتم إعفاؤهم من الرسوم كما لو كانت ديارنا وممتلكاتنا المعفاة في غرناطة إلى الأبد .

أمر آخر : أطلب من جلالتكم أربع دواب سليمة البنية وبغلتين تكون كل واحدة منهما عالية وعريضة !!

تُرى : هل كنّا على حق عند ما ألمحنا إلى أن غرناطة لم تسلم بحرب ، ولم تهزم في معركة ، وأنها قد بيعت في صفقة مشينة تجسد صورة من أحط صور الخيانة والسعار المادي .. ؟

إن شروط التسليم ، والرسائل التي تبودلت بين الجانبين المتفاوضين - في غيبة الشعب المسلم المقهور- تؤكد أن الأمر كان صفقة تجارية ، تخضع للرشاوى المباشرة والهدايا المشبوهة .. وأن الأمر لم يكن خسارة معركة أو سقوط دولة .. بل كان عبادة للمادة ، وكفراً بالإسلام .. فالذين سلّموا غرناطة - أو باعوها - كانوا قد خلعوا ربقة الإسلام قبل ذلك .. وكانت المفاوضة بالتالي - تتم بين كاثولكيين من جانب .. وغير مسلمين من جانب آخر !!

وهكذا تضغط عبادة المادة على وجدان الإنسان وعقله حتى تخرجه عن دينه ، مهما كان دينه الأزكى والأعلى ..

وكما وقع هذا في كثير من الحضارات السابقة ، ويقع الآن في الحضارة الأوربية المعاصرة ، فقد وقع - كذلك - في غرناطة ..

﴿ سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾ و لله عاقبة الأمور .

••• ••• •••

الإمام النسائي وصناعته الحديثية في سننه

الدكتور تقي الدين الندوي
أستاذ الحديث في جامعة الإمارات العربية

المبحث الأول :

أ - ترجمة الإمام النسائي :

١ - **التعريف به :** هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني النسائي صاحب السنن (١) .

النسائي : قال ابن خلكان (٦٨١هـ) : نسبته إلى « نساء » بفتح النون وفتح السين المهملة وبعدها همرة ، وهي مدينة بخراسان ، خرج منها جماعة من العلماء (٢) .

وقال القاريء : بفتح النون والمد (٣) هو اسم بلد كان سبب تسميته بهذا الاسم أن المسلمين لما وردوا خراسان قصدوها ، فلما أتوها لم يروا بها رجلا فقالوا هؤلآء نساء ، والنساء لا يقاتلون فننسئ أمرها إلى أن يعود رجالها وتركوها ومضوا ، وهي بينها وبين سرخس يومان (٤) .

٢- **مولده ونشأته :** ولد الإمام النسائي بنسأ سنة خمس عشرة

---

(١) هذا هو الصواب في نسبه ، وهكذا ورد في معظم الكتب التي ترجمته ، انظر (سير أعلام النبلاء : ١٤/١٢٥) و (تهذيب الكمال ١٠/٢٢) و (تهذيب التهذيب : ١/٢٦) و (خلاصة تهذيب التهذيب : ١/٧) و (المنتظم : ٦/١٢١) .

وما ذكر ابن خلكان في (وفيات الأعيان : ١/٦٦) من زيادة علي بين أحمد وشعيب فهو خطأ .

(٢) وفيات الأعيان : ١/٦٦ .

(٣) مرقاة المفاتيح : ١/٢٢.

(٤) مراصد الاطلاع : ٢/١٢٦٩ .

ومائتين (١) قال النسائي : يشبه أن يكون مولدي في سنة خمس عشرة ومائتين (٢) . وتلقى العلم من علماء بلده ثم ارتحل وطوف بالبلاد في طلب العمل وتحصيل الرواية .

في سنة مائتين وثلاثين رحل إلى قتيبة بن سعيد وله خمس عشرة سنة . فقال أقمت عنده سنة وشهرين (٣) .

قال الذهبي (٧٤٨هـ) : جال في طلب العلم في خراسان والحجاز ومصر والعراق و الجزيرة و الشام و الثغور . ثم استوطن مصر و رحل الحفاظ إليه و لم يبق له نظير في هذا الشأن (٤) قدم مصر قديماً وكتب بها وكتب عنه (٥) انتشرت بها تصانيفه وطلب له القيام بها فأقام طويلاً . ثم خرج من مصر قبيل وفاته سنة ٣٠٢هـ إلى دمشق .

٢ - **شيوخـــــه** : سمع من خلائق : وسرد الحافظ الذهبي أسماء جماعة في « سير أعلام النبلاء » منهم قتيبة بن سعيد (٢٤٠هـ) . وإسحاق بن راهوية (ت ٢٣٨هـ) أحمد بن منيع (ت ٢٤٤هـ) والحارث بن مسكين (ت ٢٥٠هـ) وهناد بن السرى (ت ٢٤٣هـ) وأبو داؤد السجستاني (ت ٢٧٥هـ) . والترمذي (ت ٢٧٩هـ) صاحب السنن . قيل إن النسائي روى عنه (البخاري) في الصيام من سننه ولم يصح . ولكن تعقب عليه الحافظ ابن حجر حيث ذكر النسائي من الكبار الآخرين عن البخاري (٦) .

التحقيق في أن النسائي قد سمع عن البخاري :

قال الحافظ ابن حجر : أما ما رجحه المصنف (أي مصنف تهذيب

(١) سير أعلام النبلاء : ١٤/١٢٥ . (٢) تهذيب التهذيب : ١/٢٦ .

(٣) تذكرة الحفاظ : ٢/٥٤ .

(٤) انظر سير أعلام النبلاء : ١٤/١٢٧ . (٥) انظر تذكرة الحفاظ : ٢/١٤٢ .

(٦) مقدمة *فتح الباري* . ص/٤٩٢ .

الكمال) وهو المزى من أن النسائي لم يلق البخاري فهو مردود إلخ .
والحاصل أن من أنكر كون البخاري من مشايخه احتج عليه بأن النسائي - رحمه الله - يروى في كتاب الكنى له عن البخاري بواسطة عبد الله بن أحمد الخفاف ولو كان من مشايخه لروى عنه بدون الواسطة . لكن أثبت الحافظ ابن حجر بثلاثة دلائل كونه من مشايخه : الأول : أن النسائي نفسه ذكر الإمام البخاري في مشايخه . والثاني : أن ابن مندة روى في كتاب الإيمان له عن النسائي عن البخاري حديثاً . والثالث : أنه روى النسائي في السنن الكبرى روايات عديدة عن البخاري من غير واسطة (١) ثم الحديث الذي رواه النسائي عن الإمام البخاري في الصيام على اختلاف النسخ هو ما أخرجه النسائي في باب الفضل والجود في شهر رمضان من كتاب الصوم (٢) ولفظه أخبرنا ابن إسماعيل البخاري . قال : حدثني حفص بن .... إلى آخره . وهذا في النسخة التي بأيدينا وهي نسخة ابن السنى وفيها تصريح بأن محمد بن إسماعيل هو البخاري . بعد هذا لا يبقى شك في أن البخاري من شيوخه .

٤- <u>من روى عنـــــه</u> : قد أخذ عنه خلق كثيرون وتلقوا عنه منهم : أبو بشر الدولابي (ت ٣١٠هـ) وأبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ) صاحب المعاجم الثلاثة . والإمام أبو جعفر الطحاوي (ت ٣٢١هـ) وأبو حاتم ابن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ) وحمزة بن محمد الكناني (ت ٣٥٧هـ) وأبو بكر أحمد بن محمد بن السني (ت ٣٦٤هـ) . ومحمد بن معاوية بن الأحمر الأندلسي (ت ٣٥٨هـ) . والحسن بن رشيق (ت ٣٧٠هـ) وخلق كثير (٣) .

---

(١) انظر تهذيب التهذيب : ٥٥/٩ .	(٢) سنن النسائي : ١٢٥/٤ .
(٣) سير أعلام النبلاء : ١٢٨/١٤ .

وذكر الحافظ المزي (ت ٧٤٢هـ) أسماء كثير منهم نحواً من خمس وخمسين نفسا منهم أبو عوانة صاحب المستخرج (١).

مذهبه الفقهي : إن أهل العلم اختلفوا في مذاهب أئمة الحديث فبعضهم عدوهم من المجتهدين وآخرون رأوهم من المقلدين . قال الإمام ولي الله الدهلوي (ت ١١٧٦هـ) أما البخاري فإنه كان منتسباً إلى الشافعي وموافقاً له في كثير من الفقا ، وقد خالفه أيضاً في كثير ، وأما أبو داؤد والترمذي فهما مجتهدان منتسبان إلى أحمد وإسحاق ، وكذلك ابن ماجة والدارمي فيما نرى ، وأما مسلم والذين ذكرناهم (وهم النسائي والدار قطني و البيهقي و البغوي) فهم منفردون لمذهب الشافعي ، و يتأصلون دونه (٢) ، وحكى الشيخ طاهر الجزائري (ت ١٣٢٨هـ) أن الإمامين البخاري وأبا داؤد مجتهدان ، والباقي منهم النسائي على مذهب أهل الحديث ليسوا بمقلدين بواحد من الأئمة ولا من المجتهدين (٣) .

وقال العلامة الكشميري (ت ١٣٥٢هـ) : النسائي وأبو داؤد حنبليان صرح به الحافظ ابن تيمية (٤) .

وأما الأمير صديق حسن خان (ت ١٣٠٧هـ) فقد ذهب إلى أنه شافعي (٥) وهذا هو الأرجح لأنه صنف كتاباً في المناسك على مذهب الشافعي ، فقد ذكر الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٦) قال ابن الأثير في أول « جامع الأصول » كان شافعياً ، له مناسك ، ألفها على مذهب الشافعي (٧) من هنا

---

(١) تهذيب الكمال : ١/٢٢ و ٢٤ . (٢) الانصاف في سبب الاختلاف : ص/٨٠ .
(٣) انظر توجيه النظر : ص/١٨٥ . (٤) فيض الباري : ١/٥٨ .
(٥) انظر أبجد العلوم : ص/٨١٠ . (٦) سير أعلام النبلاء : ١٤/١٢٠ .
(٧) ج/١، ص/١٩٦ .

تبين لنا أن لا يبعد أن يكون النسائي في الطبقة الثانية من فقهاء الشافعية وهي طبقة المجتهدين في المذهب ، الذين يوافقون في الأصول ويخالفون في الفروع لإمامهم . والله أعلم (١) .

٦- أخلاقه وصفاته : كان شيخاً مليح الوجه طاهر الدم حسن الشيبة ، وكان نضر الوجه مع كبر السن (٢) .

كان رحمه الله غاية في الورع والتقى متحرياً ، يصفون من اجتهاده في العبادة بالليل والنهار ومواظبته على الحج والجهاد ، وإقامة السنن المأثورة واحترازه عن مجالس السلطان وإن ذلك لم يزل دأبه إلى أن استشهد (٣) .

٧- وفاته : توفي الإمام النسائي في شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة (٤) بعد أن عمر تسعاً وثمانين سنة .

وقال محمد بن جعفر الكتاني : توفي الإمام النسائي بالرملة بمدينة فلسطين من أرض الشام ودفن بها ، وقيل : حمل إلى مكة وتوفي بها فدفن بها بين الصفا والمروة (٥) وخالف في هذا الإمام الذهبي فقال : الصواب

---

(١) ولا بد من الإشارة هنا إلى المسألة الآتية : سئل النسائي عن إتيان النساء في أدبارهن ؟ فقال : لا يصح في الدبر شئ ، لكن حدث محمد بن كعب القرظي عن ابن عباس قال : إسق حرثك حيث شئت ، فلا ينبغي أن يتجاوز قوله .

وتبين لنا معنى قوله لا يصح في الدبر شئ أي لم يثبت حديث لجواز إتيان المرأة في دبرها ، بل إنه حرام وأيد رأيه بما ذكر من قول ابن عباس ، هو رأى الشافعية وجمهور العلماء ، انظر (سير أعلام النبلاء : ١٤/١٢٨) .

(٢) سير أعلام النبلاء : ١٤/١٢٧ و ١٢٨ .

(٣) تهذيب التهذيب : ١/٣٨ .

(٤) وفيات الأعيان : ١/٦٥ .

(٥) الرسالة المستطرفة : ص/١١ .

أنه توفي بالرملة (١) ودفن ببيت المقدس وهذا هو الذي جزم به ابن يونس وهو من تلاميذ النسائي في تاريخه وقال به أبو جعفر الطحاوي وأبوبكر محمد بن عبد الغني بن نقطة (٢) هو الراجح من سياق حياة النسائي ولقائه بأمير الرملة كما سيأتي تفصيله في الحديث عن السنن واختصاره .

ب - ثناء الأئمة عليه :

أثنى عليه بعض من عاصره من العلماء ، وكثير ممن جاء بعده ثناء طيباً وإلى القارئ بعض أقوالهم فيه :

١- قال أبو علي النيسابوري : أخبرنا الإمام في الحديث بلا مدافعة (٣).

٢- قيل لعلي بن عمر الدار قطني : إذا حدث محمد بن إسحاق بن خزيمة وأحمد بن شعيب النسائي حديثاً من تقدم منهما ؟ قال (الدار قطني) : النسائي لأنه أسند على أني لا أقدم على النسائي أحداً ، وإن كان ابن خزيمة اماما ثبتا معدوم النظير .

٣- كان أبو بكر بن الحداد كثير الحديث ولم يحدث عن أحد غير أبي عبد الرحمن النسائي فقط، وقال : رضيت به حجة بيني وبين الله تعالى .

٤- قال الدار قطني : كان أبو عبد الرحمن النسائي أفقه مشايخ مصر في عصره وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار وأعلمهم بالرجال (٤) .

٥- قال الذهبي : كان من بحور العلم من الفهم والإتقان والبصر ونقد الرجال وحسن التأليف ولم يكن أحد في رأس الثلاث مائة أحفظ من

---

(١) بلدة بفلسطين .

(٢) انظر (البداية والنهاية : ١١/١٢٤) و (سير أعلام النبلاء : ١٤/١٢٢ و ١٢٣)

(٣) وفيات الأعيان : ١/٦٥ .

(٤) تهذيب التهذيب : ١/٢٧ .

النسائي هو أحذق بالحديث وعلله ورجاله من مسلم وأبي داؤد ومن أبي عيسى (١) .

قلت في هذا شئ من المبالغة ، والدليل على ذلك أن الحافظ ابن كثير قال : وقول ابن السكن وكذا قول الخطيب في كتاب السنن ، انه صحيح ، فيه نظر وإن له شرطاً في الرجال أشد من شرط البخاري ومسلم غير مسلّم ، فإن فيه أي في كتاب النسائي رجالاً مجهولين إما عينا وإما حالا وفيهم المجروح (٢) .

مؤلفاته :

صنف الإمام النسائي مؤلفات عديدة (٣) منها :

١ - مسند علي . ٢ - الكني . ٣ - خصائص علي ، فهو داخل في سننه الكبير . ٤ - عمل يوم و ليلة . ٥ - التفسير . ٦ - كتاب الضعفاء والمتروكين . ٧ - كناب المناسك . ٨ - كتاب الجمعة . ٩ - كتاب التميز. ١٠ - فضائل الصحابة . ١١ - تسمية فقهاء الأمصار. ١٢ - السنن الكبرى . ١٣ - السنن الصغرى .

وهذه الكتب منها ما هو مطبوع أو مخطوط ، ومنها ما عرف بذكر بعض الأئمة له ونقلهم عنه .

ويتبعه

(المبحث الثاني)

---

(١) سير أعلام النبلاء : ١٤/١٢٧ .

(٢) اختصار علوم الحديث : ص/٢٢ .

(٣) انظر (سير أعلام النبلاء : ١٤/١٢٥) و (تدريب الراوي : ص/٢٦٤) و (التقييد والإيضاح : ٤٤٧) و (تاريخ التراث العربي :١/٢٦٦) و (تاريخ الأدب العربي : ٢/١٩٩) .

قل موتوا بغيظكم

بقلم : فضيلة الشيخ سعود بن محمد آل عوشن - الرياض

لقد دأب الإعلاميون في العالم العربي والإسلامي في حملتهم على الإسلاميين في أي قطر إسلامي وذلك على المستويات المختلفة من أعلاها إلى أدناها ويضعون الخطط والعراقيل في وجه التيار الإسلامي الجارف ودون جدوي فكلما عملوا على سد طريق فتح بدله عشرات الطرق وكلما حاولوا كتم صوت نطقت بدلاً منه مئات الأصوات وان صادروا كلمة أو كتيباً ذاع وانتشر حتى يملأ المكاتب ، وإن منعوا شريطاً نسخت منه مئات الآلاف من الأشرطة ، فأسقط في أيديهم في كل مجال ، وبعد أن كانوا يستترون في حربهم على الإسلاميين حفاظاً على مقاماتهم وشعبيتهم إذا بهم يعلنونها حرباً صريحة في مواجهة الإسلام . فيفقدون فعلا تلك الشعبية والثقة التي كانت توليهم إياها جماهير الأمة ، ثم إذا بهم يتساقطون ويتفككون لفقد ثقة بعضهم في بعض من ناحية وليقظة البعض منهم ووضوح الحق له فيهرب من الضلال والتضليل إلى البيان والتبيين ، وأخذوا في الفترات الأخيرة يلهثون وراء أسيادهم ومعلميهم من اعلام الغرد ، ويتلقفون منهم كل طريقة لمحاربة الإسلاميين ، بل كل كلمة يتخذها الغرب في وصفه الفئة المسلمة يأخذها الإعلام العربي في الترديد دون إدراك لمعناها ، سواء تنطبق عليهم أو لا تنطبق ، فما دام *الغرب قالها* نقولها . ومن الغريب في أمر هؤلآء الاعلاميين أنهم يلمسون ويدركون *انتصارات الإسلام وأهله* ، ولذا أصابهم الرعب والخوف منه

وسخروا لحرية الأموال والجهود كل الوسائل ، ظنا منهم بأنهم سيهزمونه لاعتقادهم الفاسد بأنها حرب بين بشر وأنهم يملكون من الوسائل والإمكانيات مالا يملكه أضدادهم من حملة لواء الإسلام ،ولضعف أو عدم إيمانهم بالنصوص القطعية الثبوت بالكتاب والسنة والتي تفيد بأن النصر بيد الله وأن الله ينصر من ينصره ، فلينفقوا طاقاتهم وليموتوا بغيظهم وليعلموا علم يقين أن الله سيصدق وعده وينصر حزبه ويظهر دينه على الدين كله مهما وضع أمامه من عراقيل أو قيود وأن المنافقين والكافرين سيجنون ما زرعوا ﴿ الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله • فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ﴾ وسينالون هزيمة وذلة في الحياة الدنيا وعذابا وعقاباً في الآخرة فالله لهم بالمرصاد ، ولا يغيب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء فأين المهرب يا رجال الاعلام ان كنتم تعقلون هل تلوذون عنه بأمريكا وأوربا التي تسيرون في ركابها ، ومعظمها خطب جهنم ، أم ستكونون معهم في السعير ما دمتم تحاربون الله ورسوله وأولياءه ؟! الأجل دريهمات قليلة ولذات قصيرة ، تبيعون حياتكم الوحيدة بالدنيا والآخرة بتلك ، فلا سعادة ظفرتم بها في الدنيا مع قصرها ، ولا أمل ترجونه في الآخرة ، إن هذا هو الخسران المبين ، تعيشون الدنيا بين الخوف والرعب ، والحسرات والندم وتأنيب الضمير ، وفي الآخرة ماذا ينتظركم من الحساب العسير والعذاب المستطير إن لم تتداولكم رحمة من الله بتوبة عاجلة قبل فوات الأوان ، فهل تدركون ذلك ، أو تفهمونه ، أو تعقلونه ، أم على قلوب أقفالها ، عافانا الله من كل بلاء وأنار لنا طريق الحق وهدانا إليه و وقانا من كل سوء ، إنه سميع مجيب ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

رسالة ولد إلى أبيه بعد وفاته :

الأستاذ محمد الخزنوي - سوريا

الحمد لله الذي لا يبقى إلا وجهه ولا يدوم إلا ملكه والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه ومن تبع هداه أجمعين .

إن العين لتدمع وإن القلب ليخشع وإنا على فراقك يا أبانا ، لمحزونون ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا لله وإنا إليه راجعون .

والدي : ما كان يدور في خلدي ولا يخطر على بالي في يوم من الأيام أنني سأمسك بقلمي الراعش لأخط كلمات في نعيك وأحمل يراعتي المضطربة لأتحدث عن شمائلك وأرثيك ولكن القدر إذا حل والقضاء إذا نزل فما للقلوب المفجوعة الثكلى إلا التسليم المطلق والرضا الكامل بما يقدر الله ويفعل ، ولكن أي بيان مهما عظم عاجز عن أن يوفيك حقك ، وأي كلام وأي قلم قاصر عن أن ينطق بما يعتمل في الصدور ويختلج في القلوب ، وشهد الله أن الخبر المحموم الفاجع حينما قرع الآذان ، كادت القلوب أن تنفلق والأفئدة أن تتمزق ، وكأن صاعقة نزلت من السماء وكاد الصواب أن يطير من هول الصدمة وجسامة الكارثة وفداحة الفاجعة ، لو لا تمسكنا بحبل الله المتين واستعصامنا بإيماننا .

أبتاه ! لقد كنت تحمل بين جنبيك نفساً جبارة وروحاً عالية لا تعرف الملل لا تعرف إلا معاني الجد حتى في أوقات الراحة والمرض ، كم كنت أقول مهلا يا أبتاه فإن الأطباء لا يسمحون لك بهذا الجهد والتعب والسهر ، فتقول يا ولدي ما قيمة حياتي إذا صار حجاب بيني وبين إخواني ، الموت أحب إلى من ذلك .

إن همتك العالية كانت تجعلك تحلق دائماً إلى الأعالي ، لقد كنت تنظر إلى الدنيا الفانية بكل متعها وملذاتها ومغرياتها بل بكل رجالها

وطبقاتها كما ينظر راكب الطائرة المحلقة في أعالي الفضاء إلى المدن والقرى والناس ، ولذلك بقيت ناجحا في دعوتك ومسارك مؤيدا بنصر الله لك وحتى آخر لحظة من حياتك بقيت وأنت ترعى المعهد الشرعي الخزنوي المجاني بتل معروف - القامشلي الذي أسسه والدك الشيخ أحمد الخزنوي منذ عام ألف وتسعمائة وعشرة .

لقد أنفقت على المعهد الداخلي طيلة حياتك من جيبك الخاص دون أن تسمح لأحد أن يساهم بليرة واحدة في ذلك لتعليم الناس وتربيتهم على العفة والنزاهة وتصحح مسار الطرق كلها وتنبه الناس أن مهمة الشيخ المربي عملية قبل أن تكون قولية ، وتضحية بالمال قبل سرد الأقوال ، وأنها حقاً لمهمة صعبة فقد كنت تقدم الخدمات لأكثر من أربعمائة طالب طيلة حياتك ونرجو الله أن يوفقنا نحن أنجالك أن نتابع السير من بعدك على نهجك ولو حبوا ، كنت يا سيدي تسخر أموالك في سبيل راحتهم وتجند أبناءك في تعليمهم وتسهر على تربيتهم وتزكيتهم ، أما موائدك العامرة في التكية المباركة وخارجها والتي كانت ولا يزال يؤمها آلاف الناس يومياً والحمد لله فقد ذكرت المجتمع بالرجال المخلصين الذين فنوا في الله وعاشوا لمجتمعاتهم ، والفرنان اللذان يعملان ليلاً ونهاراً يقدمان الخبز الطازج لكل راغب وطالب مجاناً ، أثبتا للناس أن في أمة محمد -ﷺ- بقية من الرجال الذين جسدوا جوانب عملية في حياة سيدنا رسول الله -ﷺ- الذي كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، أما في مجال التربية والسلوك فقد كنت يا سيدي قبلة للسالكين ، وموئلاً للطالبين داعياً إلى الله بحالك قبل قالك ، أمرضت جسمك لتصلح قلوب الآخرين ، أتعبت بدنك لتخريج نفوس الناس ، كدرت خاطرك لتطمئن قلوبهم وخواطرهم بطلعتك البهية ، ذكرتهم بالله ، ربطتهم بشريعة الله وأنشأت أجيالاً علموا بل شعروا حقاً ومن أعماقهم أن في القلب شعثا لا يلمه إلا الإقبال على الله ، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله ، وفيه حرقة

ونيرانا لا يطفئ آوراها إلا محبته ، والإنابة إليه ودوام ذكره ، وصدق الإخلاص له ، وكم كانت لك آمال عريضة وبعيدة في مجّال الدعوة إلى الله ، وبالمقابل كم كان الطريق إليها شائكا وطويلاً ، والعقبات متنوعة والمعوقات كثيرة ومع ذلك كنت قوي النفس ماضي العزيمة دائم الجهاد ، زرت الكثير من البلدان إلى أن وصلت أوربا وغرست فيها غرسة الإيمان لأنك كنت تسند ظهرك إلى إيمان قوي بالله وتشد أزرك بيقين خالص لا حدود له ، فكنت لا تبالي بشئ في جنب الله ، كنت راسخاً حين اضطربت سفينة الحياة وأحاط بها الموج في كل جانب ، كنت بإيمانك ومعرفتك بالله أقوى من الأمواج والأعاصير ، ولا عجب ، فالله يقول : ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ﴾ والرسول يقول : إن من أمتي لرجالا الإيمان في قلوبهم أثبت من الجبال الرواسي ، ويقول لو عرفتم الله حق معرفته لزالت بدعائكم الجبال ..

والدي : لم تبق عين من عيون محبيك إلا وأسلبت عليك الدموع .

تبكيك يا فلذة الأكباد أعيننا
دما يسيل على الخدين مدراراً
خلفت بعدك أكبادا مقرحة
تبقى على الحزن آمادا و أدهاراً

لم يبق قلب محب لك ينبض بذكر الله إلا وذاق لوعة الحرقة واكتوى بنار المصيبة ، لم يبق فم محب لك إلا وانطلق يلهج بذكرك الطيب ويتحدث عن خلالك الكريمة ويروى أخبارك ومجالسك العذبة حتى أولئك *الذين يخالفونك في الرأى والفكر* ، قد تأثروا لموتك .

بكيناك ، بكينا فيك العلم والكرم والوفاء والإخلاص والصدق والإيمان والتقوى والورع والعمل الدائب والتفكير السليم الواعي والشجاعة والجرأة في الحق .

والدي وشيخي إننا إذ نعاهدك نعاهد روحك الطيبة الطاهرة أننا على

دربك سائرون بنهجك عاملون . لقد كنت مربيا ومرشداً في الطريق تضيئ الطريق للغافلين ولئن حاولت النفوس المظلمة المريضة من أعداء الإسلام أن تقضي على هذه المعالم الإسلامية وأن تطفئ هذا النور . خسئت وخابت لأن هذه الشعلة من النور ستمد نورها من نور الله وإن الله متم نوره ولو كره الكافرون .

يا صاحب القلب الكبير يا صاحب العقل المنير : لا أدري عن أي شئ أتحدث بعد . فإن القلم عاجز وإن البيان قاصر عن الوفاء بحقك . لقد رحلت عن هذه الدنيا الفانية وأنت مرفوع الرأس عالي الجبين لم تطأطئ رأسك إلا للواحد القهار ولم تحن جبهتك إلا للعزيز الغفار . لقيت الله لقاء الفرسان الشجعان الذين لم يعرفوا معاني الذلة ، الهوان والصغار . لقد كنت شعلة من الإيمان الراسخ ونبراساً من التقوى الصادقة وطاقة هائلة من الحركة والعمل . وكم كنا نسمع منك يا سيدي تقول للأطباء ولنا من فضل الله على : يرافقني خمسون عالماً في تجوالي للدعوة والإرشاد في المحافظات وغيرها . كلهم يتعبون وأنا لا أتعب وثابت على قدمي والحمد لله على ذلك . صحيح . يا سيدي إن جسدك الطاهر فارق الدنيا ورحل عنا ولكن روحك الزكية لا تزال وسوف تبقى خالدة في قلوب مريديك وتلاميذتك ومحبيك . فسلام الله عليك يوم ولدت ويوم ارتحلت ويوم تبعث حياً .

وإلى اللقاء - إن شاء الله تعالى- في جنة الخلد يا أبتاه مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

ملاحظـــــــــــــة :

كانت ولادة الوالد في قرية خزنه سنة ١٩٢٥م التابعة لمنطقة القامشلي - الحسكة . أما الوفاة فكان يوم الجمعة ٣١/تموز ١٩٩٢م في مدينة دمشق ونقل جثمانه الطاهر بطائرة خاصة إلى مركزه الديني ومحل إقامته الدائمة في بلدة تل معروف التابعة لمنطقة القامشلي وتم الدفن يوم الأحد بجانب والده الشيخ أحمد الخزنوي وأنجاله .

طيبة الطيبة

شاعر طيبة الشيخ محمد ضياء الدين الصابوني
المدرس بالمعهد العالي لاعداد الأئمة والدعاة
بمكة المكرمة

قلب المتيم هائم بهواها || هي (طيبةٌ) عم الوجود سناها
زرها و قبل تربة قد مسها || قدم الحبيب ، من الجنان براها
كم ذا يكابد من يفارق مرغما || و يحب من أجل الحبيب ثراها !
فتراه دوماً هائماً في روضها || مستعبر العينين يدعو الله ...
متضرعاً في ذلةٍ و مهابة || و الروح مصغية إلى نجواها
و سفينة الأشواق قد أرست بها || في حيرة ، سبحان من أرساها
كم سالت العبرات في جنباتها || كم صعدت أعماقنا الآها
إني إدا دكرت لتهمى أدمعي || و أعيش أيامي على دكراها
مادا أقول ؟ و قد شغفت بحسنها || ملكت على عيني طيب كراها
كم دكرياتٍ حلوةٍ برياضها || و ليالي أنس في ربوع (قباها)
تحلو بها الأيام و هي مريرة || حتى و لو جار الزمان و تاها
أيام أمرح ناعماً في جوها || و تحفني بحنانها عيناه
يا عاشق(ا لمختار) طب نفساً بها || عمرتك بالآلاء ريّا شذاه
أني اتجهت رأيت فيها أنفساً || حرّى ، و تلثم في التراب شفاها
و ترى يقبل تربها في لهفةٍ || و يكحل العينين في رؤيا

الشمس تخجل من ضياء جبينها ... و البدر يقبس من بهيّ ضياها
(جبريل) يغشاها بآيات الهدى ... تتنزل الآيات في أرجاها
تلك (العرائس) كم تتيه بحسنها ... تحي وتنعش قلب من يهواها !
ما بين منبر (أحمد) و مقامه ... من جنة الفردوس قد سواها
الله باركها و بارك أهلها ... و جبالها وهضابها وثراها
اجد السعادة و السرور بقربها ... يا ليتني قد فزت في سكناها !!
إني و إن فارقت (طيبة) حقبةً ... لأحن من شوقٍ إلى لقياها
و أكاد للذكرى أذوب صبابةً ... و أنا الذي في حبها قد تاها
فلعل يجمعنا الزمان (بطيبة) ... أطفى أوار النفس في مغناها
غنيت (ملحمة النبوة) والهاً ... والله يعلم صدقها و تقاها
الودّ و الأخلاص لحمة نسجها ... و الحب و الإشراق كل سداها
(أحد) الحبيب يحبنا و نحبه ... و نزوره بعشيةٍ و ضحاها
قد ضمّ (حمزة) الشهيد بحضنه ... وحنا حنو المرضعات وباهى
و الله أسأل أن أقيم بأرضها ... و يضمنى بعد الممات ثراها
فالله أكرم من يحقق منيتي ... فأنا المتيم لا أحب سواها
صلى المليك على النبي و آله ... مادام ينفح في الوجود شذاها

===== =====

==== ====

لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه

واضح رشيد الندوي

كان الموقف الجديد الذي وقفه الاعلام العالمي إزاء قضايا المسلمين ومشاكلهم في العالم ، عنصر تفاؤل كبير ، فقد كان الاعلام دائماً يغفل معاناة المسلمين ، بل كان في كل حادث ، يرى من واجبه أن يقوم بإدانة المسلمين أنفسهم ، ويثبت أنهم أنفسهم أثاروا الفتنة ، فإذا كان المسلمون في أي منطقة عرضة لقتل ونهب كان المسلمون لا ينالون العطف ولا يثير شقاؤهم عواطف الرحمة ، في القلوب ، لأن الاعلام ودوائر الحكومة كانت تحول المسئولية إليهم ، فإذا حدث انفجار في منطقتهم وقتل عدد منهم ، كان يقال إن المسلمين كانوا يعدون قنبلة فانفجرت هذه القنبلة ، فكان أبناء المسلمين ، بل أعضاء الأسرة المنكوبة بالانفجار يعتقلون ويحاكمون ، وهكذا كان يزداد همهم وتتضاعف معاناتهم .

ومثل ذلك كان إذا وقع الهجوم على المسلمين ، وقام المسلمون بالدفاع عنهم ، فكان دفاع المسلمين عن أنفسهم يعتبر هجوماً ، فكان جهاز الأمن يستهدف المسلمين ، ويبطش بهم ، ويسجل ضدهم قضايا في المحكمة .

وقد تغير موقف الاعلام في الأيام الأخيرة ، وخاصة في الأحداث التي تلت الهجوم على المسجد البابري وتسويته بالأرض ، في عملية إجرامية تآمرية ، وكان من العوامل التي ساعدت على تكوين هذا الموقف هجر

الهاجمين على المسجد ، على مراسلي الصحف ، ومصوريها ، و وقع هذا لهجوم الذي لا يوجد له نظير في العهد القريب ، بتعليمات وتوجيهات من قادة الحملة ، وكان هدفهم من ذلك اسدال ستار الكتمان على أعمالهم لعدوانية التي خرقت جميع نواميس الأخلاق ، والعدل ، وأحكام القضاء ، وكرامة الأديان ، والإنسان ، فظهرت نتائج معكوسة ، وانقلب هذا الإجراء صدهم ، وثار الاعلام عليهم ، فقام الاعلام بدعاية معادية لهم ، وعرف العالم ما حدث في ضوء النهار ، كما يشاهد شاهد عيان ، وقد لعب الاعلام العالمي دوراً رائداً في ذلك ، كذلك الأحداث التي وقعت في مدن الهند الأخرى نقلت إلى المستمعين والمشاهدين في سائر أنحاء العالم كصور حية متحركة بدقة وسعة بواسطة الاعلام العالمي .

ومثل الأحداث في الهند كانت الأحداث في البوسنة والهرسك ، وقد عرف العالم بهذه التغطية الاعلامية ما يرتكب ضد المسلمين من جرائم ، وما هي صخامة معاناة المسلمين .

كانت الأحداث التي وقعت في طاجكستان مؤلمة كذلك فقد اضطر مآت لألوف من الطاجكيين إلى الخروج من البلاد بتهمة انتمائهم إلى الإسلام ومطالبتهم بمنح الإسلام مكانته في النظام في بلاد المسلمين ، واجبروا على اللجوء إلى البلدان المجاورة ، وقتل آلاف منهم في الصراع المسلح ، وعرف العالم كيف تفرض على سكان المنطقة فلسفة ثبت فشلها ، وقد تخلى عنها البلد الذي كان موطن هذه التجربة الفاشلة ، وكيف أصبح هذا العدد الهائل من المشردين والمطرودين عبأ على البلد الذي يعاني نفسه من حرب دامت أكثر من ثمانية أعوام ، ويتحمل مسئولية اسكان ملايين من النازحين الذي شردتهم الحرب إلى البلدان المجاورة ، وقد تحطم اقتصاد

بلد ، ولا تزال الأزمة السياسية تهدد سلامة تلك البلاد ، ولم تستقر ظروف فيها ، لكنها آوت هؤلآء المشردين ونصرتهم لأنهم اخوة مسلمون ، قامت بايوائهم ونصرتهم وهي في حاجة إلى ذلك بنفسها ، فكان ذلك مثالاً رائعاً للعواطف الإسلامية النبيلة ، ونصرة المسلمين .

إن المحن التي واجهها المسلمون أخيراً ، أثبتت للعالم وخاصة لمن تابع الأحداث ، شقاء المسلمين في مختلف أنحاء العالم ، ولا يستطيع العالم أن ينكرها ، فقد شاهد وقوعها بنفسه ، وعرف من يرتكب هذه الجرائم ، ومن يتعرض لها ، ولماذا ترتكب هذه الجرائم .

إن هذه المحن لم تكن من أجل القومية ، أو العنصرية ، أو الخلافات اللغوية ، أو النزاعات الاقطاعية ، أو الطبقية وإنما كانت من أجل العقيدة الدينية ، والثقافة المنبعثة من هذه العقيدة .

وكذلك عرف العالم أن الصراع السياسي في عدد من البلدان يجرى من أجل هذه العقيدة ، والثقافة المنبعثة من هذه العقيدة .

يعرف العالم بمشاهدة هذه الأحداث ، الفريقين ، الفريق الذي يعتدى ، والفريق الذي يُعتدى عليه ، والفريق الذي تقدم إليه المعونات ويرفد ، والفريق الذي يعاني ولا تقدم إليه المعونات ، ولا يرفد ، والفريق الذي يرتكب جرائم ويخرق قوانين دولية ، ولا يُدان ، ولا يتخذ إجراء ضده ، والفريق الذي يدان بدون ذنب له ، وإنما تلصق به تهمة الجرائم المصطنعة ، وتفرض عليه عقوبات .

لا يستطيع العالم أن ينكر هذا التمييز ، ولا يستطيع أن يتردد في إصدار حكمه على أساس هذه الوقائع لمن يقع فريسة لهذا الاعتداء .

كانت الحرب في عهد الاستعمار موجهة إلى الإسلام ، وكان المسلمو

محكومين ، ولكن لم يكونوا مضطهدين ، وقد انجلى هذا الكسوف ، وظهر وجه الإسلام في العهد الأخير ، وبدأ الناس يقبلون على الإسلام بعد أن درسوه دراسة موضوعية ، وعرفوا زيف دعاية الأوربيين ، وتلفيقهم ، وانتصر الإسلام بكسب عقول أوربية كثيرة ، وكذلك كان الإقبال على الإسلام في آسيا وافريقيا ، فيدخل الناس في دين الله أفواجاً .

لم يكن من الميسور وقف هذا الزحف ، وقد اعترف المبشرون أنفسهم أن الإسلام يتقدم وينتشر رغم ميزانيتهم الضخمة التي يصرفونها لنشر المسيحية ، وقد عرف العالم بتجريته وبدراسته أن الأديان والمذاهب الأخرى لا تحمل صلاحية لقيادة البشرية وأنها اخفقت في اسعادها ، وكان احفاق الشيوعية التجرية الأخيرة في العالم الأوربي ، فوجه العالم المعادي للإسلام اهتمامه إلى ضرب المسلمين أنفسهم ، وتحطيم قوتهم .

إنه كان من المغالطات الكبرى أن الشيوعية سقطت بالهزة التي أوقعتها أوربا العربية ، كما يدعى الأوربيون ، أو أن المسيحية هي التي اسقطت هذه النظرية ، فالحق أن الشيوعية تأكلت من أساسها ، و وهن عظمها وسقطت كما تسقط الخشبة التي تأكلها الأرضة ، ومن لا يعرف ، وهو يشاهد ما يحدث في روسيا الكبرى من معاناة ، وما يشاهد من مظاهر بؤس وشقاء ، ويشاهد اليوم من حروب ، وصراعات مسلحة ، إنه في الواقع سقوط نظرية كانت صناعية ، فرضت بالقوة ، والمكر والخديعة ، سقطت تلقائياً ، وإذا كانت هناك هزة من الخارج ، فإنه كان من المجاهدين الأفغان ، وستتضح هذه الحقيقة عند ما تنهار الدول الكبرى الأخرى التي تسيطر على العالم اليوم ولكن تأكلها من الداخل ، بدأت آثاره تظهر للعيان ، وستصل أوربا إلى عهدها السابق ، عهد التناحر ،

والصراع ، والتخلف ، ولا تستطيع الآلات ، والقوة العسكرية أن تمنع زوال أمة إذا فقدت شروط البقاء والحياة .

وقد ساعد الاعلام بنقل احداث العالم الإسلامي بهذا الطريق على تكوين تصور خاص في المسلمين أنفسهم ، وهو أنهم مضطهدون لأنهم مسلمون ، وأنهم واخوتهم في العقيدة في العالم كله يواجهون الشدائد ، وإن هذا التصور يوجد فيهم التصور العالمي ، ويوطد الاخوة الإسلامية ، ويثير فيهم العواطف الإسلامية ، و دوافع نصرة أخوتهم في المعاناة ، ويعرفهم بأعدائهم ، و وسائل اضطهادهم ويعرفهم بطرق مواجهة هذه المعاناة ، فيعرفون كيف يصبر اخوتهم في البوسنة والهرسك في هذه المحنة ، ويحتفظون بانتمائهم إلى الإسلام ، وقد أشارت إليه سفيرة البوسنة في باكستان أن هذه المعاناة قد زادت مسلمي البوسنة إيماناً ويقيناً ، وصبراً على المكروه ، وأنهم مستعدون لبذل أي تضحية في سبيل الإسلام ، كذلك يشاهدون صبر المسلمين في أماكن أخرى .

وهكذا كانت الأحداث في الهند، فقد عرف المسلمون كيف خانهم قادتهم ، وكيف خانهم القضاء ، والجهاز الإداري ، وكيف خسروا مسجدهم رغم الوعود، والعهود. وكيف ساعدت القوات الأمنية في تحقيق هذه المؤامرة . فازدادوا إيماناً ويقيناً ، ثم كانت الأحداث الدامية عنصر تثبيت همتهم وثقتهم بالنفس ، ودافعاً قوياً إلى أن يلجأوا إلى الله ، ويستفتحوه وكان خير مناسبة ليقولوا :

لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه

••••••

صدر حديثاً :

« الحلول الشرعية للمشكلات المعاصرة »

قلم التحرير

وصل إلينا هذا الكتاب القيم الذي ألفه فضيلة الشيخ محمد برهان الدين السنبهلي رئيس قسم التفسير بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة ندوة العلماء ومدير قسم الدراسات الشرعية في ندوة العلماء .

تناول في الكتاب قضايا مهمة استجدت في العصر الحاضر بتأثير العوامل الحضارية المتطورة . وقد درسها المؤلف الكريم في ضوء الكتاب والسنة . وبحث عن حلولها العملية وجوانبها الإنسانية في ضوء دراسات وأقوال الأئمة الأعلام من المتجمدين والفقهاء على ما جاء في كتب الفقه الإسلامي الموثوق بها .

وتأتي المشكلات والقضايا المذكورة أدناه في رأس القائمة ، وهي ذات أهمية قصوى في الظروف الحضارية المتطورة التي يعيشها المسلمون في كل مكان :

مشكلة قضية التأمين والبنوك ، الربا التجاري والقروض الحكومية . مصارف الربا . أداء الضرائب بأموال الربا ، قضية توظيف المرأة . قضية الوظائف في شركات التأمين ، حقوق الطباعة والتأليف ، تبادل العملات بين البلدان ، قضية التصوير ، الفيديو ، التلفاز ، قضية تحديد النسل . مولود الأنبوب ، استعمال الأعضاء الإنسانية والدم وبيع ذلك . بنوك البان المرأة للرضاعة ، حقيقة « الكوحل » وحكمه ، تشريح لجسم . الصلاة في الطائرة وتعيين القبلة فيها . حكم الصلاة والصيام في لبلدان والمناطق غير المعتدلة ، إعطاء أموال الزكاة لبيوت الأموال

والمناطق غير المعتدلة ، الزواج بطريق المحكمة ، تعيين التاريخ القمري بالتقويم ، تقديم الأضاحي في الحج عن طريق البنك الإسلامي ، الذبائح الآلية ، التغني بالنشيد الرسمي للجمهورية الهندية ونشر العلم الرسمي ، الجمعيات الخيرية والبنوك الغير الربوية ، سهام الشركات ، بيعها وشراؤها ، إلى غير ذلك من المسائل والمشكلات المتجددة التي تتجاوز مائة قضية ومشكلة .

إن هذا الكتاب يعتبر من أهم الكتب المعاصرة التي ألفت في هذا الموضوع ، فهو يتميز بالاحتواء العلمي والفقهي ويرد على كثير من التحديات التي يواجهها الإسلام في هذا العصر المتطور من قبل المشككين والمشككين وضعاف العقيدة من المسلمين الذين يعتبرون الفقه الإسلامي - من سوء حظهم - قاصراً حرجاً يعجز عن مواجهة القضايا المعاصرة وتقديم حلول إنسانية لها .

كما أن الكتاب يثبت خلود القانون الإسلامي الذي نعبر عنه بالفقه الإسلامي ، والذي يصلح لكل زمان ومكان في كل جيل وعصر ، ويحقق أن الإسلام دين طبيعي للإنسان يتفق والفطرة في كل حال ، وكلما تجددت الظروف والأوضاع توافرت لها إجابات وردود صالحة للعمل والتطبيق .

نقدم الكتاب كهدية علمية فقهية لجميع طبقات الأمة من المثقفين والحضاريين الجدد والذين يتابعون الإسلام في ضوء دراسات المستشرقين ، وقلما تسنح لهم فرص لدراسة الإسلام بمصدريه الأصليين ، وفي ضوء العلم الحديث والتطورات الحضارية . ولغة الكتاب أردوية .

تقبل ا. هذا الجهد العلمي وجعله مشكوراً ومقبولاً لدى طبقات الأمة والمجتمعات الإنسانية كلها .

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشـــأهـــا :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في عام ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الإسلامي

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

[illegible] - المجلد الثامن و الثلاثون

[illegible] هـ - يوليو-أغسطس ١٩٩٢م

المـــــــراسلات :

البعث الإسلامـــــــي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٣ لكناؤ - الهند

ALBAAS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama

P. O. Box, 93, Lucknow (INDIA)

في هذا العدد

الافتتاحية .

العداء اليهودية والنصرانية ضد الدعوة الإسلامية

واجه الإسلام خلال رحلته الطويلة التي تمتد في مساحتها المكانية ، العالم كله شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً . وفي مساحتها الزمنية أربعة عشر قرناً وثلاثة عشر عاماً ، صنوفاً من المخالفات والمحاربات ، ولقد كانت ردة القبائل إبان خلافة الخليفة الأول أبي بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه - ، أول صدمة واجهتها الدعوة الإسلامية في فجر تاريخها ، ثم تلتها محن كثيرة كادت تفقد الثقة بخلود رسالة الإسلام ، وتزعزع العقيدة والإيمان ، ولكن الله تعالى تولاها بالرعاية واللطف ، وكتب لها الانتفاضة والحياة من جديد ، وقيض للدعوة الإسلامية دعاة مخلصين ، سهروا على عمل الدعوة والبلاغ ، ورفعوا راية الجهاد ضد كل دعوة مناهضة أو حركة مناوئة ، ولم يبخلوا في سبيل ذلك بأي ثمن .

واستمرت الدعوة الإسلامية تنتشر في الآفاق تكسب أنصاراً ومعجبين بها ، و تغزو القلوب و تسود الأسر و البيوت ، حتى تكونت مجتمعات إسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، ولكن سرعة تأثير الإسلام في النفوس واتساع نطاق الدعوة الإسلامية أقض مضاجع الفئات المعادية التي أشرب في قلوب أهلها الحقد على الإسلام والمسلمين ، فكان من شأنها أن تتآمر ضد هذا الدين الخالد ، وتضع مواهبها وطاقاتها كلها في إعداد الوسائل التي تهدم الإسلام من الرجال والأموال ، ولم يتوقف

الأمر على ظاهر العداء والحقد ، وإنما تعدى إلى مؤامرات سرية ومخططات خطيرة ، دُبّرت في الظلام ، وأصبحت محاربة الإسلام أكبر مهمة تشغل الفكر ، وتستولى على المشاعر والعقول .

وتحقيقاً لهذا الغرض أنشئت مؤسسات وجمعيات تولى إدارتها رجال تجردوا لهذا العمل ، وتخصصوا في هذا الفن بأساليب منوعة ، فقاموا بتخطيط دقيق لدس سمومهم في عقول الشباب المسلم . فلم يتركوا وسيلة من وسائل العلم والإعلام إلا وقد وظفوها لهدم الإسلام وإخراج هيبته من القلوب ، وتأكيد أن الإسلام لا يملك حضارة . وليس فيه ما يساعد المرء في الاطلاع على الإبداعات العلمية والحضارية . واستخدموا من أجل ذلك كل الدعايات والإغراءات .

كانت الغارات الصليبية تحدياً كبيراً لبقاء الإسلام في العالم كله ، ولولا أن الله سبحانه وتعالى قد أعد لقمع فتنتها وردها على أعقابها رجالاً من أولى الغيرة مثل صلاح الدين الأيوبي ، لكان الإسلام قد انزوى إلى ركن ، والمسلمون قضى عليهم بالزوال . لقد كانت حملات شرسة استمرت إلى قرنين من الزمان تحاول إقصاء الشريعة الإسلامية عن حياة المسلمين بصورة نهائية ، والعودة بهم إلى حياة جاهلية جديدة ، وكانت خطراً عظيماً على الجامعة الإسلامية والوحدة الإسلامية التي كانت ثمرة مجهودات السلطان صلاح الدين الأيوبي و رفاقه المخلصين في هذا المجال بالذات .

وقد قام المؤرخون الانجليز أنفسهم بتصوير هذه الغارات الصليبية فقال أحدهم وهو « ستينلي لين بول » :

« توغل الجيش الصليبي في البلاد كما يشق أحد خشباً منخوراً بالياً ، وخيل للناس ولو لبرهة من الزمان أن الصليبيين سوف يحطمون جذع دوحة الإسلام ، ويكسرونها تكسيراً » .

ويتحدث مؤرخ آخر - وهو من كبار المؤرخين النصارى - عما فعل الصليبيون الغاشمون الألداء بالمسلمين المنكوبين العزل الأبرياء عند دخولهم بيت المقدس ، وقد تملكتهم نشوة الانتصار فيقول : لما دخل المغيرون الصليبيون بيت المقدس منتصرين ، وضعوا السيف في الناس ، وأحدثوا مجزرةً هائلة ، حتى يقال : « إن خيل الصليبيين الذين ذهبوا إلى مسجد عمر راكبين ، كانت غارقة في الدماء إلى الركب ، وأخذوا بأرجل الأطفال وضربوهم عرض الحائط ، أو دوّروهم ورموا بهم من سور البلد ، وأحرقوا اليهود كلهم في هيكلهم وهم أحياء » .

وكانت نكسة « بيت المقدس » تؤذن بضعف المملكة الإسلامية وسقوطها ، ويقظة العالم النصراني ونهوض قوته الناشئة ، وكانت نذير خطر في العالم الإسلامي ، فقد تأسست أربع ولايات نصرانية في الشام وفلسطين (القدس ، وأنطاكية ، وطرابلس ، والرها) وكانت تشكل خطراً قائماً وسيفاً مسلولاً على حرية مركز الإسلام ، وقد توسعت أطماع النصارى إلى أن هم « ريجي نالد » والي كرك بالزحف على الحرمين الشريفين ، وتفوه بما يتضمن الاعتداء على مدفن الرسول -ﷺ- ، وأبدى نواياه الخبيثة .

والحق أن هذه المرحلة كانت أدق وأحرج مرحلة في التاريخ الإسلامي بعد وقعة الردة ، فكان وجود الإسلام معرضا للخطر ، وقد تحتم على العالم الإسلامي أن يخوض معركة مصيرية حاسمة » (١) .

---

(١) « صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله - ، البطل الناصر لدين الله » لسماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، (المطبعة الندوية ، ندوة العلماء) لكناؤ (الهند) عام ١٩٨٩م .

كانت غارة التتار في القرن السابع الهجري فتنة عمياء شملت جميع بلدان العالم الإسلامي وشلت قوى الإسلام وعطلت شعائره ، وكان يبدو أن المسلمين سيلقون حتفهم الأخير فيها ، وسوف لا يجد الإسلام مجالاً للانتعاش والقيادة ، ويستسلم أمام الظروف التاتارية ، ويتجفف نبعه عن كل عطاء علمي وديني وحضاري .

واجه الإسلام في هذه الفتنة محنة قاسية وكانت فترة عليه عسيرة ، بعثت التشاؤم في قلوب المسلمين فظنوا أنها هي النهاية الأخيرة لرسالة الإسلام ، تمثلت أمامهم صورة اليأس والهزيمة وصدق عليهم قول الله تعالى : ﴿ إذ جاؤكم من فوقم ومن أسفل منكم • وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا • نالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ﴾ .

وحدب الله على دينه وحماه برعايته ، وردّ إليه نضارته بعد ضراوة التتار ، وبيض وجه المسلمين وإعاد إلى نفوسهم الثقة بخلود رسالته ، والإيمان بقوله : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ وقد سجل التاريخ أن الله سبحانه قيض لهذا العمل رجالا من عباده المؤمنين وفتح قلوب التتار أنفسهم لقبول رسالة الإسلام واعتناق دينه بكل اقتناع وإصرار .

وفي عالمنا المعاصر سجل التاريخ صحوة إسلامية شاملة ، لم يستطع الغرب أن يهمل شأنها ويقلل قيمتها وإنما حسب لها كل الحساب ، ودرس أبعادها و تأثيرها بعمق وجدية . فإذا بها تغزو العقول و القل والمجتمعات والمؤسسات والحياة بجميع ألوانها وأنشطتها . وهنا نشطت المؤسسات الغربية بوسائلها الظاهرة والباطنة لمقاومة

الصحوة المباركة وحشر لها جميع وسائل الهدم ، لصد تيارها وإرجاعه إلى الوراء ، وقد أحسن بخطورتها الغرب بجميع قطاعاته وفصائله وعلى جميع المستويات العلمية والصناعية والسياسية والاجتماعية ، فتوصل الغرب كله بعد استعراض الصحوة الإسلامية من جميع نواحيها وتفقد تأثيرها ، وبعد مشاهدة الإقبال على الإسلام في الأسر والعائلات الغربية ، وبين علماء الغرب وأصحاب الفكر والثقافة فيه ، إلى وضع الحد عليها بشتى الأساليب والفنون من الاعلام والثقافة والعلم والصناعة والإغراءات المادية والنفسية ، وفتح أبوابه للشباب المسلم في مجال التعليم والتربية ، والعلم والتكنولوجيا ، وفعلاً تحقق كل ذلك في هذه المجالات إلا أن النتائج التي ترقبها لم تتوافر ، وظلت الصحوة الإسلامية تغزو العقول والقلوب وتتفاعل معها أفكار الناس ومشاعرهم ، مما ألبس القضية لباس الاهتمام ، وحولها إلى أخطر قضية ، تفرض على المعنيين بها أن يتشاوروا لأخذ العدة اللازمة لصد تأثيرها ، وبالتالي للقضاء عليها نهائياً .

وبدا لهؤلآء الناس خلال هذا التفكير الهادف والدراسة الجدية لقضية الصحوة التي أقضت مضاجعهم و أفقدت راحتهم ، أن يدرسوها على مستوى « الأمم المتحدة » التي تشترك فيها النصرانية بجميع وسائلها وآلاتها واليهودية بجميع مكائدها وأسلحتها ، مع نبذ جميع الخلافات العقائدية بينهما ، وصرف النظر عن الظروف المذهبية المعادية التي تفصل بينهما ، ذلك لأن القضية أهم وأخطر ، تتطلب أن تكون جميع الفئات والديانات يداً واحدةً في مقاومتها ، وقمع شوكتها ، ورد تيارها .

ومن ثم تعانقت اليهودية مع المسيحية والتقت كلتاهما على جميع

محاور الحرب ضد الإسلام ، والصحوة الإسلامية ، فكان التقاءاً تاريخياً، حيث تصافحت اليهودية مع المسيحية لأول مرة في التاريخ على ساحة محاربة الإسلام ، وتناست كلتاهما جميع التهم والإجرامات التي كانتا تتبادلانها فيما بينهما ، و تتصافيان في المودة وحسن الظن والثقة ، ولا تفعلان كل ذلك إلا من أجل هذه الصحوة التي أقلقت قلوب الجميع .

إنها نقطة تحول مهمة في تاريخ الديانتين والشعبين اللتين تلتقيان على نقطة المحاربة ضد الإسلام ودعوته ، وتجتمعان على هذه السلبية التي لا تعني إلا العداء والكراهية للإسلام والمسلمين .

من غرائب مصادفات التاريخ أن تتحد اليهودية والمسيحية لضرب الصحوة الإسلامية والقضاء عليها ، ويتفرق المسلمون على جميع الاعتبارات ويتناحروا فيما بينهم على أتفه الأمور ، ويعودوا إلى الجاهلية الأولى ، تمزقهم العداوات والحزازات ، وترميهم الخلافات إلى أبعد حدود الفرقة والشقاق .

اليهود والنصارى يعتصمون بحبل الوحدة والتضامن ، والمسلمون يعيشون الفرقة والانشقاق ويستغنون عن الاعتصام بحبل الله ، ويضرب بعضهم رقاب بعض .

فأين المسلمون اليوم مما ذكرهم الله به من نعمة الأخوة والوحدة والألفة بعد العداوة البغيضة التي مزّقت قوة الإنسان وحطمت وجوده ، وأين هم من الاعتصام بحبل الله الذي كان ضماناً بالسعادة والكرامة ، وكان أول بشارة لهم بعد التخلص من حومة الجاهلية ، وأوار الشرك .

﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءاً فألف بين قلوبكم • فأصبحتم بنعمته إخواناً • وكنتم على شفا حفرة من النار • فأنقذكم منها • كذلك يبين الله لكم آياته • لعلكم تهتدون ﴾ .

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي

اليهودية العالمية تتحدى الصحوة الإسلامية !

[الحلقة الثانية الأخيرة]

سماحة الشيخ العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

وقد كان الدهاء والمكر والخديعة والذكاء الذي لا يقوم على احترام الإنسانية ولا يقف عند الحدود العقلية والخلقية والذي يتجه دائماً إلى الأنانية والسلبية انتصارات بهرت العقول والألباب ، وغشت على العيون والأبصار وشككت في التاريخ البشري وكادت تفقد الثقة بقوة الحق وحسن العاقبة للصادقين المتقين ، وكانت لهذه القوة التخريبية الماكرة جولات وصولات في التاريخ حتى تحركت الجبال الراسيات واضطرب رجال الفلسفات وعلماء الديانات وقد صور القرآن بإعجاز هذه الساعات الدقيقة العصبية وما ينتاب العقول والقلوب في ذلك الوقت من حيرة واضطراب وشك وارتياب وليس هناك تصوير أبلغ من تصوير القرآن :

﴿ حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ﴾ وقوله : ﴿ إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ﴾ (سورة الأحزاب ، الآية : ٩-١١ .

وقد عالج القرآن هذه النفسية التي تخضع دائماً للغلبة والقوة مهما كانت عارضة مؤقتة ومهما كانت سحيقة هازلة فقال : ﴿ لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾ (سورة آل عمران ، الآية : ١٩٦-١٩٧) ، وقال : ﴿ ما يجادل في آيات الله إلا الذين

كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد ﴾ (سورة غافر ، الآية : ٤) .

وعالج كذلك النفسية الضعيفة التي تستسلم دائماً لدهاء دقيق ومكر محكم أو مؤامرة ناجحة فذكر مراراً وتكراراً أن مصيره إلى الانهيار والافتضاح والخيبة والإخفاق وأنه كنسيج العنكبوت ﴿ وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ (سورة العنكبرت ، الآية : ٤١) ، وقرر أن الخير لا ينتج من الشر وما كان أساسه ضعيفاً متداعياً للسقوط ولم يكن له أصل ثابت ولا جذور عميقة - في الأرض الكريمة أو الفطرة السليمة - يكون البناء الذي يقوم عليه مستعداً للانهيار في كل لحظة ، فقال : ﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ (سورة البراءة ، الآية : ١٠٩) ، و قال : ﴿ و مثل كلمةٍ خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار﴾ ، وقال على لسان نبي الله موسى مخاطب لجماعة السحرة : ﴿ قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ﴾ (سورة يونس ، الآية : ٨١) ، وقال يتحدث عن المكر والدهاء في مختلف الأزمنة والأماكن كقانون عام خالد : ﴿ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴾ (سورة فاطر ، الآية : ٤٢) ، وقال : ﴿ والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ﴾ (سورة فاطر ، الآية : ١٠) ، وأعلن حقيقة عالمية لا تختلف باختلاف الزمان والمكان والشعوب والأوطان ومظاهر الفوز والخسران والسعادة والحرمان فقال غير مبال بما يعتقده البشر من نجاح الحكام والملوك والطامحين المغامرين في عصرهم : ﴿ فاصبر إن

العاقبة للمتقين ﴾ (سورة هود ، الآية : ٤٩) ، و قال : ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل • إن الباطل كان زهوقاً ﴾ (سورة الإسراء ، الآية : ٨١) .

بالعكس من ذلك فالعرب رغم جميع العلل ومواضع الضعف والطوارئ التي تحدثنا عنها في مقالاتنا ومحاضراتنا السابقة في صراحة ليست فوقها صراحة مازالوا ولا يزالون أصحاب دعوة إنسانية عامة ورسالة عالمية تملأ الآفاق : والدين الإسلامي الذي أكرمهم الله بالسبق فيه والدعوة إليه حق مشاع وثروة مشتركة لجميع الأمم والشعوب والعناصر والأجناس والأسر والبيوتات والبلاد والأوطان ليس فيه احتكار مثل احتكار بنى لاوى من اليهود أو البراهمة من الهنود لا يتميز فيها شعب عن شعب ولا نسل عن نسل ليس الاعتماد فيها على العرق والدم بل الاعتماد فيها على الحرص والشوق وحسن التلقى وزيادة التقدير والتفوق في الجهاد والاجتهاد وقد روى الإمام أحمد بن حنبل بسنده عن النبي -ﷺ- أنه قال : « لو كان العلم بالثريا لتناوله أناس من أبناء فارس » وقد دان العرب في جميع عصورهم لكل من برز في العلوم الدينية وتفوق فيها وأقروا لهم بالامامة والزعامة فيها وخلعوا عليهم من النعوت والألقاب ما لم يخلعوها على كثير ممن برع في هذه العلوم من العرب ، فلقبوا الإمام محمد بن إسماعيل (بن إبراهيم بن مغيرة بن بردويه) الجعفي البخاري صاحب الجامع الصحيح (م ٢٥٦هـ) بأمير المؤمنين في الحديث وقالوا عن كتابه أنه أصح كتاب بعد كتاب الله ولقبوا الإمام ابا المعالي عبد الملك الجويني النيسافوري (م ٤٧٨هـ) بإمام الحرمين ولقبوا الإمام أبا حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (م ٥٠٥هـ) بحجة الإسلام ، وقد كان الموالي وأبناء العجم هم زعماء العالم ومراجع المسلمين

في جميع عواصم المملكة الإسلامية الواسعة في آخر القرن الأول الهجري وقد انتهت إليهم رئاسة العلم والفتيا والفقه والحديث وهي قصة معروفة في جميع كتب الطبقات والسير والتراجم وتاريخ الحضاره الإسلامية واستمر ذلك في العصور الإسلامية الذهبية التي ساد فيها العرب حتى قال نابغة العرب العلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربي (م ٨٠٨هـ) « من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم سواء في العلوم الشرعية أو في العلوم العقلية إلا في القليل النادر مع أن الملة عربية وصاحب شريعتها عربي .. فكان صاحب صناعة النحو سيبويه والفارسي من بعده والزجاج من بعدهما : وكلهم عجم في أنسابهم وكذا حملة الحديث وعلماء أصول الفقه وحملة الكلام وأكثر المفسرين (١) » .

والعرب بفطرتهم التي فطرهم الله عليها من أقرب الأمم والشعوب إلى قبول مبدأ المساواة الإنسانية واحترام النوع البشري وأنشطها في تطبيق هذا المبدأ والعمل به قد حملوه معهم في فتوحهم الواسعة وزحفهم المبارك الذي فتح للعالم آفاقاً جديدة في العلم والمدنية والفضيلة والتقوى حتى أحبتهم الشعوب المفتوحة - وقد فتنت الشعوب في بداية التجربة بعد معرفتها بالإسلام ببعض الفاتحين وعلا بعض الغلاة الوثنيين من مشركي السند والملتان في شبه القارة الهندية في القرن الأول الإسلامي فصنعت لمحمد بن القاسم الثقفي الفاتح العربي ، تماثيل أضافتها إلى تماثيلها القديمة حبا وجلالا ، وكانت المعاملة الرقيقة الغريبة التي عامل بها الخليفة عمر بن عبد العزيز أهل سمرقند المفتوحين سبباً لحب

(١) مقدمة ابن خلدون : المطبعة البهية المصرية ، ص/٤٠١ .

الفاتحين وانتشار الإسلام بسرعة غريبة في هذه البلاد (١) بخلاف البلاد التي فتحها غير العرب قاطبة . فدخلت في الإسلام واعتنقت الحضارة الإسلامية وتكلمت باللغة العربية وفضلت الفاتحين الأجانب وما حملوه معهم من أخلاق وعادات وشرائع وقوانين ولغات ولهجات على ما توارثتها منذ أحقاب طويلة وأجيال متواصلة وتكون من هذه الشعوب هذا العالم العربي الذي تتحدث عنه ولا تزال كلمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب التي قالها لأحد قادته الكبار يتردد صداها في الآذان والقلوب وفي صفحات التاريخ : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً »

وقد كانوا في جاهليتهم وفي إسلامهم من أبعد الأمم بحكم الفطرة والنشأة والمثل العليا التي كانوا يدينون بها عن طبيعة المؤامرات والتكتم والسرية والدسيسة والنفاق فكانوا أعداء جهارا وعلانية وكانوا أصدقاء جهارا وعلانية وكانوا إذا حاربوا حاربوا في الميدان وإذا صالحوا صالحوا عن إعلان . دل على ذلك شعرهم وأدبهم و وصاياهم وحكمهم وأمثالهم في الجاهلية والإسلام . ولم يكن النفاق من طبيعتهم الأصلية ولذلك يكاد المفسرون يتفقون على أنه لا نفاق في مكة لأنها بيئة عربية خالصة لا تشوبها شوائب اليهودية والعناصر الدخيلة وعلى أن

---

(١) جاء في فتوح البلدان للبلازري : ص/٤٢٨ . قال أبو عبيدة وغيره لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد عليه قوم من أهل سمرقند فرفعوا إليه أن قتيبة دخل مدينتهم وأسكنها المسلين على غدر فكتب عمر إلى عامله يأمره أن ينصب لهم قاضياً ينظر فيما ذكروا فإن قضى بإخراج المسلين أخرجوا . فنصب لهم جميع بن حاضر الباجي فحكم بإخراج المسلين على أن ينابذوهم على سواء . فكره أهل مدينة سمرقند الحرب وأقروا المسلين فأقاموا بين أظهرهم وكان ذلك بعد ما مضى على فتح سمرقند سبع سنوات .

جميع الآيات التي جاء ذكر النفاق والمنافقين فيها مدنية (١) ، وقد استدل لذلك بعض المفسرين والأصوليين بقوله تعالى في سورة البراءة : ﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ﴾ (سورة البراءة ، الآية : ١٠١) ، فلا خطر على العالم وعلى الرقعة التي يحكمها العرب وعلى الشعوب والأمم التي يقودونها وعلى المدنيات والمؤسسات التي يوجهونها وعلى السياسة التي يلعبون فيها الدور لحاسم من مؤامرة سرية ومن دسائس خفية ومن النفاق في الأخلاق ومن الافساد بين الطوائف والطبقات ومن خلق المشاكل والأزمات لمصلحة قومية وأنانية فردية أو جماعية ، انما هي قيادة واضحة حاسمة وسياسة ظاهرها وباطنها سواء وحكم يعدل مع القريب والبعيد والشرقي والغربي والعجمي والعربي .

أما هذه العصبية الجاهلية التي ابتليت بها بعض الجماعات العربية لأسباب ليس هذا محل شرحها فهي طارئة دخيلة لا تنسجم مع الطبيعة العربية الإسلامية الأصيلة وهي تثور عليها في أول فرصة وتعود إلى أصالتها القديمة وإلى إيمانها الذي امتزج بلحمها ودمها وتغلغل في أحشائها بقوله تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (سورة الحجرات ، الآية : ١٢) ، ويقول الرسول الأعظم -ﷺ- : « الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى » (٢) .

وإذا كان الإسلام رسالة الله الأخيرة الخالدة التي تكفل الله ببقائها

---

(١) سبق لكاتب هذه السطور ، مقال في هذا الموضوع نشرته صحيفة « الفتح » لغراء لصاحبها محب الدين الخطيب سنة ٢٢ أو ٢٣م .

(٢) رواه الترمذي وغيره عن النبي -ﷺ- .

وخلودها وإذا كان القرآن هو الكتاب السماوي الأخير الخالد الذي ضمن الله بقائه وحفظه ولا بقاء للإسلام ولا للمسلمين (كأمة ذات عقيدة وشخصية وقانون وشريعة ودعوة ورسالة) بغيره وكل ذلك مكفول مضمون وقد قال الله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (سورة الحجر ، الآية : ٩) ، كان بقاء العرب مضموناً مكفولاً كذلك ، فلا بقاء للقرآن بغير اللغة العربية ولا بقاء للغة العربية بغير أهلها فإن كل ذلك لا يقوم في الفضاء وليس من المعقول ولا من اللائق بحكمة الله تعالى أن يبقى هذا الكتاب الخالد العالمي لغزا لا يفهمه أحد أو مختوما لا يستطيع أحد أن يفض هذا الختم ويستفيد به أو يبقى أثراً تاريخياً في المتاحف والمستودعات قد اندسرت لغته كما اندسرت الهيروغليفية أو الفينيقية أو الحيرية وتعالى الله عن أن يسمى ذلك حفظاً وصيانة وفضلاً وكرامة ويمن بها على الأمة وعلى الإنسانية التي لا تزال تستمد منه القوة والحيوية وتسير في ضوئه في كل عصر وجيل . وليس من الحكمة أن يعيش العرب مستعبدين أذلاء صاغرين ويفقدون كل حول وطول وكل وسيلة لتوجيه البشرية وقيادة الإنسانية وتصبح هذه المنطقة التي أشرقت منها شمس الإسلام وانطلقت منها موجة المد الإسلامي في الآفاق وارتبط بها تاريخ الإسلام والمسلمين هذا الارتباط الوثيق الذي لا مثيل له في تاريخ الديانات وفيها هذا البيت العتيق الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا ومراح الأرواح ومهوى الأفئدة ومدينة الرسول التي هي مهبط الوحي وظئر الإسلام ومصنع التاريخ فلا بقاء للإسلام والمسلمين - ولو قامت لهم ألف دولة وارتفع لهم ألف علم - ولا شرف لهم ولا كرامة ولا هدوء لهم ولا راحة إذا ذل العرب وفقدوا هذه المنطقة التي فيها مقدساتهم

وهي معقل الإسلام ومصدره ومأزره ولذلك جاء في بعض كلمات مأثورة : « إذا ذل العرب ذل الإسلام » .

ولذلك كانت هذه الأوضاع غير الطبيعية غير صالحة للبقاء والاستمرار ، تعارضها الفطرة البشرية والعقل المستقيم والمنطق السليم وطبائع الأشياء والحقائق الراهنة والظروف المحيطة والنصوص الدينية والوعود الإلهية والتاريخ والجغرافية والسياسة الحكيمة التي لم تفقد رشدها ولم تجن جنونها وإذا بقيت مدة قصيرة فهي مدة طويلة بالنسبة إلى حكم الوضع وطبيعة الأشياء وبداهة العقل .

وبعد فإن انتصار الصهيونية في هذه الفترة التي يمر بها العالم العربي والإسلامي الآن وتحقيق بعض أهدافها ومخططاتها في الاستيلاء على هذه المنطقة العربية الإسلامية لم يكن انتصار رسالة على رسالة ولا انتصار أمة على أمة ولا انتصار دين على دين ولا انتصار حق على باطل فإن اليهود ليست لهم أي رسالة في هذا العصر ولم تكن هناك معركة بين اليهود والأمة الإسلامية أو الشعوب العربية .

أما قضية الرسالات وقضية جدارة الأمم وصلاحيتها للبقاء واستحقاقها للنصر فقضية عسيرة معقدة فلا يسهل إبدال رسالة برسالة ولا يسهل نفخ روح في جثة هامدة ، والأمة العربية الإسلامية لا تحتاج إلى رسالة جديدة ولا إلى دين جديد ولا إلى بعث وإحياء فإنها هي الأمة الزاخرة بالحيوية والقوة المستعدة للانتفاض في كل وقت ، أما الأفراد فهم كأمواج نهر دافق جار تأتي وتذهب وتغدو وتروح وترفع رأسها وتثبت وجودها وقد تغرق بعض السفن وتتحطم بعض القوارب ولكنها تغيب في وجود النهر الخالد الكبير وتتوارى في هذا الخضم

المائج . والنهر مع ذلك لا يفقد اسمه ولا وجوده ولا شخصيته .

وقد شهد التاريخ الإسلامي أمواجاً من هذا النوع ارتفعت حتى وصلت إلى عنان السماء ثم نامت في مهد هذا البحر اللجى وفي أعماقه فقامت حكومات وطويت حكومات وجاءت جماعات وذهبت جماعات والإسلام هو الإسلام والأمة هي الأمة والرسالة هي الرسالة والكتاب هو الكتاب والإيمان هو الإيمان .

وهكذا النكبات والكوارث وحوادث التراجع وانتكاس تجارب طبيعية تمر بها الأمم الحية النامية الدافقة بالحياة ومحن تمحص بها وتصهر لتبلغ النضج والاكتمال وتتعود اليسر والعسر والسراء والضراء ولا تبطر عند الفتح ولا تيئس عند الهزيمة : ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾ (سورة الحديد ، الآية : ٢٣) . كالجسم الحي النامي الذي لا يعتمد على حيويته وقوة مقاومته حتى يمر بمراحل مختلفة من الصحة والمرض والقوة والضعف واختلاف الأجواء والمناخات وتنوع الفصول والطقس فيحتمل كل ذلك ويتمرن عليه والعودة إلى الصحة مضمونة للجسم السليم القوى والانتصار مكفول لصاحب الرسالة الفاضلة المفيدة للبشرية والصفات الكريمة العائدة بالخير على الجميع وصدق الله العظيم : ﴿ قد خلت من قبلكم سننٌ فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين • هذا بيان للناس وهدىً وموعظةٌ للمتقين • ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين • إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرحٌ مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين • وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴾ (سورة آل عمران ، الآية : ١٣٧-١٤١) .

خواطر إسلامية

دكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » الرياض

الذي يمر ببعض البلاد التي فيها أقليات إسلامية ، ويحرص على الالتقاء بهم في صلاة الجمعة ، حيث هي الفرصة التي يلتئم فيها جمعهم ، ويلتقي قاصيهم بدانيهم بسبب قلة المساجد ، وتباعد المساكن ، والانهماك بالأعمال ، ومشاغل الحياة المتعددة في بلاد لا تراعى للمسلم ظرف عبادة ، ولا وقت صلاة ، وإنما هو الشعور منهم كمسلمين بما يفرضه عليهم دينهم من محافظة والتزام ، والحرص على أداء العبادة التي حث عليها الشارع .

فتكون صلاة الجمعة للالتقاء بهؤلآء الإخوة من أي جنسية كانوا ، وفي أي موقع من الأرض حلوا ليتعارفوا ويتحدثوا ، ويبث بعضهم الشكوى لبعض مما يؤرقهم ، أو يرون فيه مصلحة لتبادل الرأى مع إخوانهم ، والسؤال من المهتمين منهم عما يهمه في أمور دينه ، ليجد جواباً يعينه في العبادة ، أو يريح نفسه مما قد أهمها امره .

والمسلمون في كل مكان عند ما يكون عددهم قليلاً ، فإنهم يواجهون مشكلات كثيرة ، أهمها ما يتعلق بأبنائهم والمحافظة عليهم ، والحرص على تعليمهم القرآن الكريم ، وأمور دينهم ، لأن هؤلآء الصغار اليوم ، هم رجال الغد وأمهاته ، وبمحافظتهم يمتد النمو الإسلامي ، وبتهاونهم يذوبون في المجتمع الذي تكتنفهم فيه المغريات في كل شئ ، حيث يتوفر لدى الشباب ما قاله الشاعر العربي ، وأكثر منه :

إن الشباب و الفراغ و الجدة
مفسدة للمرء أي مفسدة

وفي هذا اللقاء معك أخي الكريم سأنقل لك مشهداً واقعياً مما يختلج بصدور أفراد من المسلمين في استراليا ، حيث أدركتنا صلاة الجمعة ١٤٠٩/٦/٢٠هـ في مدينة « برزبن » وفي مسجد بنته أول جالية إسلامية من الأفغان منذ ١٧٠ عاماً تقريباً ، والحالات التي أعرض ما هي إلا نماذج كثيرة لما يمر بكل فرد في بلاد الغربة : غربة البلد ، وغربة الإسلام .

هذا المسجد الذي يبرز عالياً بقبته وعلاماته الدالة عليه ، شاهد حي على أن الإسلام طاقة قوية تشحن النفوس ، وتمدها بالزاد الذي يعينها على تخطى الأزمات ، وأن تمكن عقيدته في النفوس يحتاج إلى جهود متظافرة ، ليكون المسجد مصدر امداد بالعلوم والمعرفة للكبار والصغار، .. فللكبار باللقاءات والمواعظ وشرح أمور العبادات في خطب الجمعة والمناسبات ، وللصغار بالرعاية والتعليم واستغلال الأوقات المسائية في تنظيم الدروس وحفظ كتاب الله ، وتعلم اللغة العربية التي هي وعاء الدين الإسلامي ، ومن الأحاديث واللقاءات بالإخوة المصلين الذين ينتمون لأكثر من عشر دول في أصولهم ، ومنابع نشأة آبائهم وأجدادهم ، لمسنا نماذج تفرح ، وتدعو للتفاؤل بمستقبل الإسلام وانتشاره ، إلى جانب الأمور المحزنة ، والتي تدعو إلى حل ، وتظافر جهود ، وصدق في النية والعمل .

والصور كثيرة ، وما يلمسه المختلط بالمسلمين في كل مكان منبع ثرّ للعرض ، ومنطلق جيد لمن يريد أن يعمل ويحتسب ، فأمر الله واجب الإتباع ، ودينه الذي ارتضاه لخير أمة أخرجت للناس يجب الذود عنه وتبيينه لمن يجهله .

صور من الأوضاع :

وساكتفى في هذا الموقف بعرض ثلاث حالات . يحس منها القارئ الكريم ما يتفاعل في نفوس الناس هناك نحو أنفسهم ونجاة أبنائهم . من إيجاب وسلب .

= الحالة الأولى :

لمجموعة من الإخوة من الهند جاء جدهم مهاجراً لهذه القارة منذ مائة وعشرين عاماً وتناسل أبناؤه . لكن هؤلآء الأبناء الذين بلغ عددهم سبعة ، ورزقهم الله مالاً وافراً لم ينسوا معه واجبهم الديني . فالتأموا في مسكن متجاور ، ونظموا فيما بينهم وقتاً لتعليم الأبناء والبنات أمور دينهم وتحفيظهم القرآن الكريم . وجعلهم يعيشون في جو إسلامي حتى لا يذوبوا في هذا المجتمع الذي ولدوا فيه . ولم يسمحوا لأي واحد من أبنائهم أو بناتهم أن يتزوج من غير المسلمين الهنود .. والمشكلة التي تؤرقهم هي عدم توفر مدرسة إسلامية لديهم . ونقص الجهود المبذولة لأبنائهم .. كما هي المشكلة العامة للأقليات المسلمة في كل مكان .

وقد حدث لأحدهم موقف في زواج أخته . وابن أخيه . اللذين رغبا في الارتباط في حياتهما الزوجية من بيئتهما الجديدة . وما كان منه إلا أن أخذ هما في رحلة شملت الهند . وذهبوا القرية التي ولد بها جدهم . وهناك زوج ابن أخيه . ثم كانت الفرصة مواتية بالعرض على شاب تخرج حديثاً ولم يتوفر له عمل بزواجه من أخته . وتهيئة فرصة عمل وهجرة إلى استراليا .. ولما كان النظام في استراليا يمنح له امتيازات بزواجه من استرالية الجنسية . فقد فرح بذلك لأن الله قد ساق إليه رزقاً وافراً من عدة قنوات . فالله جل وعلا يرزق من يشاء بغير حساب .. عاد هذا الرجل بالجميع . وقد ربطهم الإسلام بزواج متكافئ . وارتاحت نفسه لأنه بذل

جهداً في التغلب على مشكلة ستكون نتائجها البعيدة خطيرة على سلامة لدين ، وامتداد الفروع المحافظة على ما أمر الله برعايته ، والعناية بأجيال سيبدأ ذوبانهم تدريجياً بالابتعاد عن الإسلام والانصهار في مجتمع غير مجتمعه في حالة إهمالهم .

ثم باهتمامه بأداء الأمانة التي أمر الله كل مسلم أن يؤديها نحو نفسه ، وتجاه أسرته ومن يستطيع التأثير فيهم ، ثم نحو المجتمع الإسلامي ، وامتداد جذور الإسلام أخذاً من قول الله تعالى : ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون ﴾ .

لم يكن هذا الرجل من العلماء ولكنه مسلم شاعر بدور الإسلام في بناء النفوس ، وأثره في تربية المجتمعات ، رغم أنه رجل أعمال يشتغل في تعبيد الطرق ، والانتقال من مكان إلى آخر ، ومثل هذا العمل من الدور الذي يجب أن يضطلع به كل مسلم فهماً وبعد نظر ، إذ توفر أمثال هؤلاء في المجتمعات الإسلامية مهما صغر حجمها وقل عدد أفرادها يدل على أن الإسلام بخير ، وأنه لا يحافظ عليه إلا أبناؤه المتحمسون له المهتمون بمراقبة الله، والمحافظة على شرائعه، وهذا هو الإحسان الذي أمر الله به ، كما فسره حديث جبريل - عليه السلام - .

= الحالة الثانية :

مشهد محزن لمن اهتم بدنياه وترك دينه ورعاية أولاده ، شخص جاء يجأر إلى إمام المسجد ليقول له بحزن وألم ، أدرك أنت أيها الشيخ والأخوة المصلون معك ابنتي قبل فوات الأوان ، قال له : كيف ؟ قال : إنها رغماً عنا سوف تتزوج رجلاً مسيحياً ، وسوف تعقد لهم الكنيسة في الأسبوع القادم ، وفق المراسيم النصرانية ، وقد بذلت جهدي أنا وأمها لمنعها ، ولكنها أصرت وضربت بجهودنا ورجاءاتنا عرض الحائط ،

وبقيت على إصرارها ..

قال : وماذا تريد أن نعمل ؟ قال : المنع أو عمل أي جهد ترونه للحيلولة دون هذا الزواج .

فقال إمام المسجد : منذ متى وأنت في هذه المدينة ؟ قال : منذ عشرين سنة ، قال : وكم مرة رأيناك فيها ، قال : هذه أول مرة .. قال له : سبحان الله !.. ضيعت نفسك وأولادك ، ثم جئت بعد هذا لترغب منا أن نصلح في ساعة ما أفسدته بأعمالك طوال هذه المدة ، إنك وأولادك قد ضيعتم أنفسكم في معرفة أمور دينكم ، وحضور الصلاة مع إخوانكم ، وربط الأبناء بالمسجد حتى يكون لديهم معرفة بأمور دينهم وما يوجبه عليهم ، وحتى يتعرفوا على إخوانهم المسلمين في هذه المدينة ، وسوف تسأل أمام الله عن تضييعك نفسك ، وإهمالك تعليم أبنائك ، حتى كانت النتيجة ، كما ترى ، ولعلك لم تأت إلينا إلا خوفاً من السمعة وكلام الناس ، أما الخوف من الله ، وامتثال شرعه فهو آخر ما فكرت فيه ، لأن الرسول -ﷺ- يقول : تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة .

ثم تداول الاخوة بتوجع أمثال هذا الرجل من الكثيرين الذين ذابوا في المجتمعات التي عاشوا فيها ، حيث كان آباؤهم وأمهاتهم مسلمين ، ولكنهم نتيجة للجهل بأمور تعاليم الإسلام ، وتساهلهم في تطبيق شرائعه ، والبعد عن كتاب الله ، أصبحوا من غير المسلمين ، وخسرهم المجتمع الإسلامي .

= والحالة الثالثة :

تمثل خمسة من شباب استراليا الذين دخلوا الإسلام مجدداً ، فكانوا نواة طيبة لمجتمع إسلامي في مدينتهم الصغيرة التي تبعد عن مدينة « برزبن » ثلاث ساعات للسيارة ، يأتون كل أسبوع لصلاة الجمعة

وللتذاكر والإفادة من إخوانهم ، وللسؤال عما يعترضهم .. آخرهم إسلاماً كان منذ شهرين فقط ، تحس منهم اليقظة والاهتمام ، وتلمس من حرصهم الرغبة الأكيدة في هذا الدين الذي استولى على مشاعرهم وأحبوه عن قناعة .. فدخلوا فيه ، وحرصوا على أن يمتثلوا تعاليمه في كل شأن من شئون حياتهم ، فعند ما التقيت بهم وسمعت منهم أدركت الحرص على تفهم هذا الدين وما ينتهجه لأبنائه ، وتذكرت ما كان يعمله صحابة رسول الله -ﷺ- من الحرص على تعلم القرآن ، وتفهم ما يأمر به هذا الدين ، واهتمام من عرف منهم بالذهاب إلى من لا يعرف ليكون عوناً له وسنداً ، في التعليم والإفادة ، فمن كثرة أسئلتهم أدركت نقص ذخيرتهم .. وهم قد يعذرون ، لكن طلبة العلم والعارفين لا يعذرون في متابعتهم لأمثال هؤلآء ممن دخل الإسلام مجدداً ، بتعليمهم الإسلام طاهراً نقياً ، وخالياً من الخلافات المذهبية والانتماءات العرقية .

كانت دقائق سريعة قضيتها مع هؤلآء الخمسة ، وهم في شوق و لهفة لمعرفة أمور دينهم ، والسؤال عما يعترضهم في عباداتهم ؛ والتخوف على مصير أبنائهم ، لأنه لا يوجد في قريتهم وممن حولهم ، من يدين بالإسلام سواهم ، وتتفطر قلوبهم أسى وحسرة على آبائهم وأمهاتهم الذين لم يقبلوا الدخول في الإسلام بعد ، لحرصهم على هدايتهم ، واهتمامهم بانتشالهم من وهدة الضلالة إلى طريق الهدى .

شعرت في تلك الدقائق بدور هذا الدين في إصلاح النفوس ، وهيمنته على المشاعر ، وحرص المنتمين إليه على الخير وبسطه للناس .. ومفهوم لذة الإيمان .

إنه دين الرحمة والمحبة ، ودين الألفة والروابط المكيفة ، التي تربط القلوب ، فتتصافى ، ويؤلف بين الأفئدة فتتجاذب .. وهو مشهد يلمس

المرء له نظائر مع كل من دخل الإسلام مجدداً . وأحس بلذته تلامس أوتار قلبه . والمثل العربي يقول : وبضدها تتميز الأشياء .

سمــــو الإسلام :

إن مكانة الإسلام في سلامة العقيدة . والانتماء إلى مجتمعه . والاستئناس بأهله . تكمن في معرفة شرائعه . وتطبيقها عملاً . والحرص على ما يدعو إليه هذا الدين .. و هذا لا يدركه إلا من ذاق لذاذة الإيمان . حيث كان دعاء كثير من السلف : اللهم أذقني حلاوة الإيمان ..

ذلك أن طعم الإسلام لمن أحبه . وتغلغل في أعماق وجدانه . له نكهة خاصة . وعلامات مميزة . يشعر بها أكثر من عاش في مجتمع للشر فيه صولة وجولة . حيث يصبح المسلم المتمسك . كالقابض على الجمر . وتبرز علاماتها . والمعالم الدالة عليها في أحاسيس من دخل الإسلام مجدداً . وعاش في صراعات ومكابدة مع الأهل والأقرباء . الذين يريدون ثني عزيمته . وإرجاعه إلى الضلالة التي خرج منها . وتزيين المغريات . وتجسيم الصغائر . حتى يكره الإسلام . ويرتد عنه . و وضع العقبات التي تعزى أمامه إلى المنهج الجديد الذي اختار . والدين الذي اعتنق . حتى يشعر المرء في امتحانه هذا بالضيق والحرج والانعزالية فيرجع إلى دينه السابق . ويتبرأ من الإسلام الذي دخل فيه مؤخراً ..

إنها مواقف عديدة لمسناها مع من تحدثنا معه . ويلمسها غيرنا مع كل من يدخل الإسلام خاصة في المجتمعات التي يمثل المسلمون فيها أقلية . ويشكل طلبة العلم بينهم . ندرة كندرة الكبريت الأحمر. لأن المسلم يعاني من أمور عديدة تتفاعل في نفسه . وتؤرق أحاسيسه على نفسه وماله . وعلى مصير أبنائه وزواج بناته .

وحلاوة الإيمان يحس بعمقها من تأصلت في أعماقه أركان الإيمان الستة .

والإسلام الخمسة وسار عليها عقيدة وعملاً ، كما أخبر بذلك رسول الله -ﷺ- بقوله في حديث رواه مسلم والترمذي عن العباس بن عبد المطلب -رضي الله عنه- قال : إنه سمع رسول الله -ﷺ- يقول : « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً .. فحلاوة الإيمان هنا في عمق الإحساس ، وأصالة العقيدة ، والرضا بالإسلام منهج سلوك ، والقناعة بأنه الدين الحق ..

وتأتي حلاوة الإسلام في الأمور العملية ، بتقديم طاعة الله على هوى النفس ، وترقب أجره سبحانه المدخر ، على الأهواء والرغبات والمصالح الدنيوية العاجلة ، و الزخارف الفانية ، و امتثال شرع الله برضا واستسلام ، كما نلمس ذلك في ثلاث صفات ، أخبر المصطفى -ﷺ- بأن من فعلهن ، فقد ذاق طعم الإيمان ، كما في حديث عبد الله بن معاوية الغاضري - رضي الله عنه - الذي أخرجه أبو داؤد ، قال : قال رسول الله -ﷺ- : « ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان : من عبد الله وحده ، وعلم أنه لا إله إلا الله ، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه ، رافدة عليه كل عام ، ولا يعطى الهرمة ، ولا الدرنة ولا المريضة ، ولا الشرط اللئيمة - أي الرذيلة من المال - ولكن من وسط أموالكم ، فإن الله لم يسألكم خيره ، ولا يأمركم بشره » . [أبو داؤد : ١/٢٢٢] .

إن من يتحدث إلى أمثال أولئك الذين دخلوا الإسلام مجُدداً ، وصبروا على المعاناة الشديدة واهتموا بالتعلم والتطبيق ، يتبادر إلى ذهنه كثير من مواقف صحابة رسول الله -ﷺ- من حيث :

= الاهتمام بالدين وتعلمه ، فلقد كانوا يلازمون مسجد رسول الله -ﷺ- ، ويسألون عما يهمهم من الأمور التعبدية ، حتى ينفذوها براحة

نفس ، وقناعة ضمير .

= الحرص على العلم والفهم ، كما قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : كنا اذا تعلمنا عشر آيات من كتاب الله لم نتجاوزهن حتى نفهم معانيهن ونحفظهن .

= تقديم طاعة الله ، وطاعة رسوله -ﷺ- على كل ما سواهما أخذاً من قول رسول الله -ﷺ- : لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به .

= اعتبار الأخوة في الدين أقوى من رابطة النسب ، والتفاني في تماسك أبناء المجتمع الإسلامي حيث آخي رسول الله -ﷺ- بين المهاجرين والأنصار ، فأنسوهم غربة الوطن ، والبعد عن الأهل ، بعد الهجرة التي تركوا من أجل دين الله ، والالتفاف حول رسول الله -ﷺ- الديار ، والأموال ، وقنعوا باليسير .

وغير هذا من المواقف الكثيرة ، التي صهرت نفوسهم ، وقوت عزائمهم ، ومكنت الإيمان من قلوبهم فكانوا غرة في جبين التاريخ ، يعتز كل مسلم بأن يتأسّى بطباعهم ، ويترسم خطاهم .

إن من يتحاور مع المسلمين الجدد ، يشعر بإحساس فياض ، ويتأثر من المواقف التي تعترضهم ، ويشعر بعمق الرغبة في الاستقصاء والسؤال .. وهذا مما يبشر بخير ، وأذكر منذ سنوات موقفاً مؤثراً عند ما تحدث مسلم أمريكي عن سبب إسلامه بعد صلاة المغرب في أول يوم من رمضان ، ومحبته لهذا الدين الذي ملك عليه مشاعره ، وسيطر على جميع أعماله بعد أن كان مجرماً متمرساً في فنه ، ما يكاد يخرج من السجن حتى يرجع إليه ، وإذا به متأثر من أحد الدعاة الذي زارهم في السجن وتحدث عن الإسلام ، ودوره في صلاح الفرد ، وانتظام مسيرة الجماعة ، وقد بكى وهو

يقارن حالة بحالة ، وخاصة أخوة الإسلام التي ربطته بجنسيات مختل
عاملوه بلطف ، وأسمعوه كلمات التقدير والمحبة التي لم تقارع سمعه
قبل ، وما كادت خطواته تبلغ باب منزله حتى أسلمت زوجته وأولاد
تأسى به من عرف قصته ، حيث وجد عملاً شريفاً ، ولازم المسجد الو
في تلك المدينة في فراغه ، عبادة وسؤالاً وتعلماً ، إنه دين الإسلام ا
يغير الطباع ويهذب النفوس ويحمي المجتمعات من الشرور .

الأعمال الصامتة :

للمملكة العربية السعودية : حكومة وشعباً مواقف مشرقة في كل م
يزوره الإنسان ، ويلتقي به بأقليات إسلامية ، من المساهمة الفعلية في
المساجد ، وتأسيس المدارس ، وتوزيع الكتب والمصاحف .. وهي أع
يعترف بها كل منصف ، ويرى أثرها كل وافد ، بذلت في سبيل
بهدوء وصمت ، ولم تتبع بمن أو أذى ، ولم تقدم بشروط أو التزا
مقيدة ، لأن من ينفق لله ، لا يريد الجزاء من غيره ، فخير الصدقة ما
بخفاء ، كما في الحديث الشريف : « حتى لا تعلم شماله عما أنفقت يه
» فالله جل وعلا يعلم السر وأخفى ، وهذه الأعمال لم تكن متكلفة
يراد بها المحمدة ، بل هي جزء من الأعمال المتأصلة في النفو
والمندفعة من قاعدة الإيمان .. زادهم الله توفيقاً ، ورزقهم على ال
أعواناً ، وهي جهود تذكر فتشكر ، وأحاسيس تتفاعل في نـ
المسلمين ، حيث النتائج بارزة ، والجهود متظافرة .

....

أصول العلاقات الدولية
بين الاسلام والتشريعات الوضعية

(الحلقة الثانية)

أ. د. محمد الدسوقي
أستاذ اللغة والأصول بكلية الشريعة - جامعة قطر

ثانياً : أصول القانون الدولي في الإسلام :

أومأت في مستهل هذه الدراسة إلى عالمية الإسلام، وأن هذه العالمية تثبتها المعجزة القرآنية، والأحكام التي اشتملت عليها هذه المعجزة.

وقد أسلفت أيضاً أن الإسلام يقرر الحرية الدينية، وأنه يرفض مبدأ الإكراه في اعتناقه، وقد تمخض عن هذا أن كان الإسلام إقليمياً في تطبيق أحكامه، وإن كان عالمياً من حيث أصوله وتعاليمه، وذلك أن المسلمين الأوائل لإيمانهم الصادق بعموم دينهم ومسئوليتهم عن تبليغه إلى الناس قاطبة حملوا أرواحهم على أكفهم وانساحوا في الأرض لا يخشون إلا الله، لقد جاهدوا في الله حق جهاده، فنصرهم الله نصراً عزيزاً، وفتح عليهم بلاداً كثيرة، ولهذا انتشر الإسلام في فترة زمنية وجيزة في بقعة شاسعة من العالم، ومع هذا ظلت هناك شعوب وجماعات وأفراد لا ترتضى الإسلام ديناً.

وقد نجم عن هذا الانتشار السريع للإسلام، وبقاء أمم وأفراد أبت أن تؤمن به مشكلات مختلفة تتعلق بالعلاقة بين هؤلاء الذين رفضوا الإسلام ديناً وبين المؤمنين به.

وإذا كانت هذه المشكلات تختلف من حيث الزمان والمكان فإن أصول معالجتها كما قررها الإسلام واحدة، ويقتضى بيان هذه الأصول الحديث في إيجاز عما يلي :

أ- الحرب في الإسلام .

ب- أنواع الديار .

ج- أصول العلاقات الدولية الإسلامية .

أ- الحرب في الإسلام :

إذا كان الإسلام دعوة عالمية ، وكان مع هذا ينهى عن الإكراه في الدين ، فلماذا أباح الحرب ، وحض على الجهاد ، وأعد في سبيله الأجر الجزيل ، والنعيم المقيم ؟

إن الحرب في الإسلام ليست أصلاً من أصوله ، ولا يمكن أن تكون وسيلة لحمل الناس على الإيمان به ، لأن الاقتناع الصادق القائم على الوجدان والبرهان عماد اليقين الراسخ ، ولا يتسنى لأية قوة في الأرض أن تفرض على إنسان عقيدة يأباها قلبه وينفر منها عقله ، فما هي الغاية إذن من الحرب في الإسلام ؟

إن من رحمة الله بعباده أنه لا يسألهم عما كتبه عليهم إلا بعد الإنذار إليهم ﴿ وما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولاً ﴾ (سورة الإسراء ، الآية : ١٥) وقد بلغ محمد -ﷺ- رسالة ربه إلى قومه ، كما بلغها إلى الأمراء والملوك في عصره عن طريق رسله وكتبه ، وفي هذا تأكيد لمبدأ عالمية الإسلام ، وأنه رسالة الله الخاتمة إلى الناس كافة ، وتوفي - عليه الصلاة والسلام - بعد أن ترك قومه على المحجة البيضاء ، وكان على هؤلاء العرب الذين اصطفى الله منهم خاتم رسله أن يحملوا هذا الدين إلى غيرهم من الأمم ، فالشرائع لا تلزم إلا بعد السماع (١) ، ومن ثم فإن غير العرب إذا لم تصل إليهم دعوة الإسلام فلا حجة عليهم ، وإنما تقع الحجة على الذين بلغتهم هذه الدعوة ، ثم قصروا في تبليغها إلى سواهم .

فمن أجل تبليغ الإسلام إلى الناس في كل زمان ومكان ، وحماية الدعوة

---

(١) انظر شرح السير الكبير للسرخسي : ج/٤ ، ص/٢٩١ ، ط. الهند .

إليه من القاسطين والمفسدين فرض الجهاد ، وكان ماضياً إلى يوم القيامة . إنه جهاد من أجل حماية التبليغ ، فمن شاء بعد ذلك فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، فقد برهنت أحداث التاريخ على أن الطغاة لا يتركون الناس أحراراً فيما يدينون به ، أو يسمعون له ، وفي حياة الرسول -ﷺ- المثل الحي على ذلك فقد دعا قومه إلى عبادة الله وحده ، وترك عبادة الأصنام فآذوه واضطهدوه ، وعذبوا من صدقه واتبعه ، ثم أخرجوه وأصحابه من مكة .

إن مشركي مكة أرادوا الحجر على القلوب والعقول ، وأبوا أن يدعوا للناس الحرية في التفكير والاختيار ، فهم بهذا يحمون مبدأ الإكراه في الدين ، فلو ترك هؤلآء الكفار وشأنهم لطغى الباطل على الحق ، ولطمس النور الظلام ، فكان الإذن بالقتال وإعداد القوة لدفع هذا الظلم الذي تعرض له المؤمنون ، لأنهم قالوا ربنا الله ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير • الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله • ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ﴾ (سورة الحج ، الآيتان : ٣٩-٤٠) .

فغاية الحرب الأولى في الإسلام تنحصر في تحرير الناس من الطغاة ، وحماية الضعفاء من الأقوياء ، حتى لا يكون في الأرض سلطان غير سلطان الحق تبارك وتعالى ، فلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

ولأن غاية الحرب في الإسلام هي تحقيق الحرية الدينية ، وإنقاذ المستضعفين من براثن المتجبرين فإن هذا الدين قد لطف من حدتها وجعل لها قانوناً عادلاً ونظاماً محكماً وآداباً لم تعرفها البشرية في تاريخها الطويل ، وأكبر ما يسجل له من أمرها أنه لم يشرعها لنيل المغانم وفرض المغارم ، ولكنه جعلها وسيلة عند الضرورة لتبليغ كلمة الله ونشرها بين الأمم ، كما جعلها وسيلة لرد الاعتداء ، والدفاع عن

عقيدة الأمة وحريتها ، وعزة المؤمنين واستقلالهم وسلامة أوطانهم .

وما دامت الحرب ليست أصلاً من أصول الإسلام ، وليست غاية في ذاتها فإن أول ما يجب على المسلمين إذا ساروا إلى غيرهم هو البدء بالدعاء إلى الإسلام ، وهذا الدعاء قد يكون (١) موجها لقوم لم تبلغهم الدعوة فيجب إعلامهم حتى يكونوا على بينة من أمرهم ، وقد يكون موجها لقوم بلغتهم الدعوة ، ودعاؤهم مرة ثانية أمر مطلوب ، ففيه مبالغة في الإنذار بما ينفع ، وإشارة إلى أن الإسلام يؤثر السلم على الحرب في تبليغ دعوته ، فإذا استجاب هؤلآء طوعاً واختياراً لما دعاهم إليه المسلمون ، فهم إخواننا لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، وإن أبوا ولم يستجيبوا فإن على المسلمين أن يدعوهم إلى الدخول معهم في عهد وميثاق ، ليصبحوا أهل ذمة لا يتعرض لهم في عقائدهم الدينية ، ويتمتعون بكل حقوق الحماية والرعاية في مقابل ضريبة مالية يسيرة لا تجب إلى على الرجال البالغين الأصحاء القادرين مادياً ، وذلك لغاية واحدة ، وهو أن يأمن المسلمون لهؤلآء ، فلا يظاهروا غير المسلمين على المسلمين ، فإن أبوا أن يدخلوا مع المسلمين في عهد وميثاق فقد جاهروا بهذا الرفض بالعداء ، وأعلنوا وقوفهم ضد رسالة التبليغ ، فكان قتالهم في هذه الحالة لتحرير الناس من التسلط والقهر ، ولتأمين طريق الدعوة إلى الله ، روى عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال : « كان رسول الله -ﷺ- إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أو صاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال : أغزوا باسم الله في سبيل الله من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم .. فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، وإن أبوا

---

(١) انظر المبسوط للسرخسي : ج/١٠ ، ص/٦ .

فاستعن بالله عليهم وقاتلهم .. » (١) .

وجاء في شرح السير الكبير للإمام السرخسي : « إن الكفر وإن كان من أعظم الجنايات فهو بين العبد وربه جل وعلا ، وجزاء مثل هذه الجناية يؤخر إلى دار الجزاء ، فأما ما عجل في الدنيا - وهو قتال الكفار - فهو مشروع لمنفعة تعود إلى العباد » (٢) .

وما قاله الإمام السرخسي يشير إلى أن القتال في الإسلام ليس للإكراه في الدين ولكن لتحقيق مصالح العباد بإنقاذهم من الطغاة المستبدين ، حتى يكون الطريق أمام دعوة الله خالياً من الأشواك والعقبات يسلكه من يشاء ، ويعرض عنه من أبي .

وإذا كان القتال في الإسلام لدفع فتنة الكفر وشر الكفار فإنه لا يجوز قتال إلا هؤلآء الذين يمثلون الفتنة ، ويمكنون للشر بالفعل أو بالقول ، ولهذا لا ينبغي قتل النساء والأطفال والمجانين والذين لا يخالطون الناس وترهبوا في الأديرة وكذلك الشيوخ الفانين ، لقوله تعالى : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ﴾ وهؤلآء لا يقاتلون ، فإذا شارك أحد منهم برأيه أو فعله في الحرب فقد أصبح مقاتلاً يجوز قتاله وقتله فيما عدا المعتوه ونحوه فإن على المسلمين أخذه ومنعه من المشاركة في الحرب (٣) .

وكما جاء النهي عن قتل غير المحاربين جاء النهي أيضاً عن الغدر والمثلة وحمل الرؤوس وقطع الأشجار وتخريب الديار ، وذبح المواشي إلا لضرورة اطعام الجند .

---

(١) رواه مسلم وابن ماجه والترمذي . وانظر نيل الأوطار للشوكاني : ج/٨ ، ص/٥١ ، طبعة الدمشقي .

(٢) شرح السير الكبير : ج/٢ ، ص/١٨٢ .

(٣) شرح السير الكبير : ج/٢ ، ص/١٩٤-١٩٧ .

قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - في وصيته لجيش أسامة : « لا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكله ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له » (١) .

إن وصية الخليفة الأول تعبير عن مبادئ الإسلام وآدابه في الحرب ، الحرب الإنسانية الخالصة لله ، الحرب التي لا تعرف ظلماً ولا قسوة ولا دماراً ، ولا اعتداء ولا غدراً ولا غلولاً ، الحرب التي تكفل حرية العقيدة للناس جميعاً ، وتحمى أماكن العبادة لكل الديانات ، إنها حرب العدل والرحمة والوفاء (٢) .

والحرب إذا وضعت أوزارها وانتهت فإنها تنتهي بأحد أمرين : إما الصلح (٣) ، وإما النصر، أما الصلح فالعهود فيه محترمة ، والوفاء بما تضمنت واجب ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم • ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها • وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ﴾ (سورة النحل ، الآية : ٩١) .

وأما النصر فهو انتصار الجماعة التي غضبت للحق ، واستشهدت في سبيله فلن تفعل حين انتصارها إلا ما يوطد أركان الحق في الأرض ، ويمنع البغي والفساد بين الناس ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر • ولله عاقبة الأمور﴾ (سورة الحج ، الآية : ٤١) .

إن الانتصار نعمة تقابل بالشكر عليها . وذلك بإقامة شرع الله في دنيا الناس . شرع الطاعة الموصولة . والتعاون على البر والخير

(١-٢) انظر « من روائع حضارتنا » للدكتور مصطفى السباعي : ص/٩٨ ، ط المكتب الإسلامي

(٣) قد يكون الصلح موادعة أو هدنة مؤقتة أو دائمة أو عقد ذمة .

ومكافحة الفساد والشر ، وكفالة العدالة للجميع .

ومن إقامة شرع الله في الأرض احترام آدمية الإنسان ، ومن ثم لا يلقى المهزوم عنتا وإهدارا لكرامته ، فالفار لا يتبع ، والجريح لا يذفف عليه بل يعالج ولا تساء معاملته ، والأسير لا يقتل ، ولا يكره بوسائل غير مشروعة للاعتراف بما لديه من معلومات عن العدو ، ويخير ولي الأمر فيه بما يراه أوفق لمصلحة المسلمين (١) ، وأكثر انسجاماً مع العرف الدولي في شأن الأسرى ، ما دام هذا العرف لا يتعارض مع المقررات الإسلامية في رعاية المصلحة العامة ، وحماية العزة والكرامة ، وتحقيق الوئام والسلام بين الناس .

وبهذا يتضح أن الحرب في الإسلام ضرورة ، وأنها تخضع لقانون العدل والإنصاف واحترام آدمية الإنسان ، وليست لإكراه الناس على الإيمان ، وما يذهب إليه جمهور المستشرقين ومن سلك سبيلهم من الباحثين من أن الإسلام دين انتشر بالسيف زعم باطل ، يرده انتشار الإسلام في بلاد كثيرة لم تدخلها الجيوش الإسلامية ، ثم انتشاره في العصر الحاضر في كل دول العالم .

إن الحرب في الإسلام حرب تعمير لا تدمير ، وهي في جوهرها ترسى دعائم السلم الدائم بين الناس ، لأنها تنقذهم من تجار الحروب ، والطامعين في خيرات الشعوب ، وأولئك الذين يكرهون سواهم على ما لا يبتغون .

[يتبع]

---

(١) انظر الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور وهبه الزحيلي : ج/٦ ، ص/٤٧١ ، ط. دار الفكر .

نقد الغزو الفكري ومواجهته

[الحلقة السابعة]

بقلم : الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ المساعد بجامعة الأزهر وقطر

بعد أن اتضحت لنا أبعاد « الغزو الفكري » وتياراته ، وحركاته ، التي تعمل ليل نهار ، يبقى أمامنا السؤال الكبير : ماذا فعلنا نحن ؟ ما موقفنا من الغزو الفكري ؟ إن جزءاً كبيراً من الغزو الفكري ، حركة فكرية هائلة ، وما تنتجه هذه الحركة ، يخصنا نحن المسلمين ، ويخص عقيدتنا ، ولغتنا ، وتراثنا ، وتاريخنا ، وذاتيتنا .

وإن جزءاً كبيراً آخر من الغزو الفكري ، حركة عملية هائلة . تأخذ المواقع ، وتسيطر على القلوب .

والغزو الفكري بحركته الفكرية والعملية ، من أخطر ما نواجه في حياتنا ، *لأن ما يقوم به من أهداف تقوض الدعائم يتعلق بأعمق أعماقنا* عقدياً . وفكرياً . وحضارياً . وليس هناك أمام المسلمين من سبيل إلا *المواجهة وقبول التحدي وإثبات الذات* . وإلا فلسنا جديرين بالحياة .

ولا يخفى على أحد أن السعي إلى إثبات الذات . والعمل على مواجهة هذه التحديات والتيارات الغازية دليل صحة . ودليل صحوة .. - إذن - لابد من منهج .

والمنهج الصحيح هو أن نواجه الفكر بالفكر . والعمل بالعمل . ولما كان التخطيط الاستشراقي منبعاً لكثير من التيارات ، والتحرك التبشيري غزواً عملياً للمجتمعات ، كان علينا أن نواجه هذين التيارين في قو

وحزم .

أولاً : مواجهة الفكر الاستشراقي :

لا شك أن الاستشراق كان ولا يزال يشكل الجذور الحقيقية ، التي تقدم المدد للتنصير والاستعمار ، والعمالة الثقافية ، ويغذى عملية الصراع الفكري ، ويشكل المناخ اللائم ، لفرض السيطرة الاستعمارية على الشرق الإسلامي ، وإخضاع شعوبه .

فالاستشراق هو المنجم ، والمصنع الفكري ، الذي يمد المنصرين والمستعمرين ، وأدوات الغزو الفكري ، بالمواد التي يسوقونها في العالم الإسلامي ، لتحطيم عقيدته ، وتخريب عالم أفكاره ، والقضاء على شخصيته الحضارية التاريخية (١) .

لقد تطورت الوسائل ، وتعددت طرق المواجهة الثقافية الحديثة ، ويكفي أن نشير إلى مراكز البحوث والدراسات ، سواء أكانت مستقلة أم أقساماً للدراسات الشرقية ، في الجامعات العلمية ، وما يوضع تحت تصرفها من الإمكانات المادية ، أو المبتكرات العلمية ، والاختصاصات الدراسية ، تمثل الصور الأحدث فيتطور الاستشراق ، حيث تمكن أصحاب القرار من الاطلاع والرصد ، لما يجري في العالم يومياً (٢) .

ففي القارة الأمركية وحدها ، حوالي عشرة آلاف مركز للبحوث والدراسات ، القسم الكبير منها متخصص بشئون العالم الإسلامي ، و وظيفة هذه المراكز تتبع ورصد كل ما يجري في العالم ، ومن ثم دراسته وتحليله ، مقارناً مع أصوله التراثية التاريخية ، ومنابعه العقدية ، ثم

---

(١) انظر : عمر عبيد حسنة ، مقدمة كتاب الأمة رقم ٢٧ ، ص/٢٢ .

(٢) المصدر السابق : عدد/٢٧، ص/٩

مناقشة ذلك مع صانعي القرار ، لتبنى على أساسه الخطط ، و توضع الاستراتيجيات الثقافية ، والسياسية ، وتحدد وسائل التنفيذ (١) .

وإن الباحث في مؤسسات الاستشراق ، و وسائلها المختلفة ، يجد أنها استطاعت ، أن تؤثر في العقلية الإسلامية ، فهذه دائرة المعارف الإسلامية تعد أكبر مصدر للمعلومات والحقائق الإسلامية ، وأثمن ذخيرة لها ، وتعتبرها بعض البلاد الإسلامية اليوم ، أساساً للمعلومات الإسلامية ، وتقوم بترجمتها إلى لغاتها بنصها وروحها (٢) .

ولقد نجحت العقلية الأوربية الاستشراقية ، في فرض شكليتها وآليتها على التحقيق ، والتقويم ، والنقد والسيطرة على مصادر التراث العربي الإسلامي ، ويمكن القول بأن معظم الكتابات العربية المعالجة للتراث ، قد سارت على هذا النهج في التاريخ ، والأدب ، وغيره .. ولم تتجاوزه إلا في القليل النادر ، و انتهت إلى إيجاد ركائز عربية معبرة عنها ، ومتبنية لوجهة نظرها ، ومدافعة عن المواقع الثقافية التي احتلتها ، حتى في الجامعات ، والمؤسسات العلمية ، لا يزال الخضوع والاحتكام للقوالب الفكرية ، التي اكتسبها بعض المثقفين العرب ، من الجامعات الأوربية (٣) .

وبجانب كل هذا فإن الاستشراق يذهب إلى محاولة إلغاء النسق الإسلامي ، ومحاولة تشكيل العقل المسلم ، وفق النسق الغربي الأوربي .

---

(١) المصدر السابق عدد/ ٢٧، ص/ ٩

(٢) الشيخ أبو الحسن الندوي ، الإسلام والمستشرقون ، مجلة المنهل : عدد/ ٤٧١ ، ص/ ٢٦

(٣) الأستاذ عمر عبيد حسنة ، مقدمة كتاب الأمة : العدد رقم ٢٧، ص/ ١٤ .

وإنجاب تلامذة من أبناء العالم الإسلامي ، لممارسة هذا الدور والتقدم ، باتجاه الجامعات والمعاهد ، ومراكز الدراسات والإعلام ، والتربية ، في العالم الإسلامي ، لجعل الفكر الغربي ، والنسق الغربي هو المنهج ، والمرجع ، والمصدر ، والكتاب (١) .

ومما يلحظه الباحث بوضوح : أن عمليات الاستشراق والتغريب ، لم تستسلم ، ولم تلق السلاح ، لكن لما أعياها السعي ، فبدل أن تقر بفساد نظريتها ، وطروحاتها ، وعدم إمكانية القبول لها في العالم الإسلامي ، تحاول اليوم أن تعتبر أن المشكلة والعلة ، في بنية العقل المسلم أصلاً ، لتأتي على البنيان الإسلامي من القواعد ، وترسب في النفوس أن السبب في التخلف ، والعجز ، والتخاذل الثقافي ، وعدم القدرة على الإبداع ، وقبول الفكر الغربي ، هو في بنية هذا العقل ، وتكونه ، وميراثه الثقافي .

فهو عقل مولع بالجزئية ، وعاجز عن النظرة الكلية للأشياء ، وهو عاطفي يحب الإثارة والانفعال ، ويعجز عن الفعل ، وهو محكوم أيضاً بموروث ثقافي ، لا يستطيع الفكاك منه ، فهو لا يفكر بطلاقة ، وحرية ، لأنه محكوم بوحي مسبق ، وهو يقوم على منهج التفكير الاستنتاجي ، ويعجز عن التفكير الاستقرائي ، وهو معجب بالمنهج البياني ، وعاجز عن المنهج البرهاني ، وهو يخلط بين الواقع المعاش ، والمثال الخيالي ، وصاحبه يحب الثأر ، ويغرق في الملذات ، وأن الإسلام الذي يكون هذا العقل هو دين أمر ونهي ، وزجر وكبت للحرية ، وإلغاء للإجتهاد ، الأمر الذي أدى إلى التقليد وفقدان الشخصية ، والقدرة على الإبداع (٢) .

---

(١) المصدر السابق : ص/١٦ .

(٢) المصدر السابق : ص/٢٧-٢٨ .

ولابد أن نعترف بأن الاستشراق يستمد قوته من ضعفنا ، و وجوده نفسه مشروط بعجز العالم الإسلامي عن معرفة ذاته ، فالاستشراق في حد ذاته كان دليل وصاية فكرية ، ويوم أن يعي العالم الإسلامي ذاته ، وينهض من عجزه ، ويلقى على كاهله أثقال التخلف الفكري والحضاري ، يومها سيجد الاستشراق نفسه في أزمة وخاصة الاستشراق المشتغل بالإسلام ، ويومها لن يجد الجمهور الذي يخاطبه ، لا في أوربا ، ولا في العالم الإسلامي ، ولا يجوز لنا أن ننتظر من غيرنا - أياً كان هذا - أن يساعدنا على النهوض من كبوتنا (١) .

وإذا كان علينا أن نضع عن أنفسنا أغلال الوصاية الفكرية ، فإن علينا من ناحية أخرى ، أن نتحرر من عقدة التخلف ، التي تسيطر علينا ، في جميع مناحي حياتنا ، والتي تسد علينا منافذ الأمل ، في الخروج من أزمتنا ، فقد تحررنا من الاستعمار العسكري ، ولكننا لم نتحرر من القابلية للاستعمار ، ولهذا فإن نظرتنا لكل ما يأتي من الغرب ، هي نظرة التقدير ، والإكبار ، حتى وإن كان هذا الذي يرد إلينا ، متمثلاً في أزياء غريبة عن أذواقنا ، وتقاليدنا (٢) .

وحتى نكون في مستوى الحوار الفكري ، والتبادل المعرفي ، ونوقف فعلاً الغزو الفكري والاختراق الاستشراقي ، لابد أن نكون قادرين على امتلاك الشوكة الفعلية .. أن نكون قادرين على الإنتاج الفعلي ، لمواد ثقافية ، تمثل ثقافتنا ، وتأتي استجابة لها ، وتغرى الناس بها ، وبذلك

---

(١) الدكتور محمود حمدي زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري : ص/١٢٧-١٢٨ .

(٢) المصدر السابق : ص/١٢٨ .

وحده نكون في مستوى الحوار ، والتبادل المعرفي ، فالمواجهة لا تكون بإدانة الآخرين ، والنظر إلى الخارج دائماً ، وإنما تبدأ حقيقة من النظر إلى الداخل أولاً لملأ الفراغ بعمل بنائي مستمر ، وتحصين الذات (١) .

وقد لا يكون المرء مجانباً للصواب ، إذا قال : إننا إذا لم نتصدى للتيار الاستشراقي بكل قوة ، فسوف نتعرض للانسلاخ والذوبان ، لا محالة والمعركة بين الاستشراق والإسلام معركة فكرية هائلة ، جند لها المستشرقون كل المعاول التي تحاول أن تهزم المسلمين ، وتبعدهم عن إسلامهم .

وإن الإنسان الذي يتابع النشاط الاستشراقي ، قد يلحظ بوضوح ، أن هذا النشاط يمثل قمة التحدي للفكر الإسلامي ، وقد يكون معروفاً لدى الباحثين : « أن التيارات الفكرية الأجنبية القديمة - التي كانت تمثل تحدياً للإسلام ، والفكر الإسلامي الأصيل ، في عصور الإسلام الزاهرة - كانت حافزاً للمسلمين ، في تلك الأيام الخوالي ، للوقوف أمامها بقوة وصلابة (٢) .

وقد رأى الإمام الغزالي ، في عصره ، أن التيارات الفلسفية ، يتردد صداها في الأرجاء وأنها تصول ، وتجول ، في تحد سافر ، للفكر الإسلامي ، والمسلمين ، فلم يقف الغزالي موقف المتفرج ، ولم يسب ، ويشتم ، ويصرخ ، ويولول ، ولم يرغب أن يترك الأمر ، ويقول لا شأن لي به ، ولكنه عزم على خوض المعركة ، فأعد العدة ، واتخذ لها الأدوات من

---

(١) عمر عبيد حسنة ، مقدمة كتاب الأمة : العدد رقم ٢٧ ، ص/٢٩ .

(٢) الدكتور محمود حمدي زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري : ص/١٢٤ .

لعلم والمعرفة بما عند هؤلاء .

وقد رأى أن يتقن الفلسفة ، ويتفرغ لقضاياها ، ويتعرف على مقاصد لفلاسفة ، واستطاع في دقة واتقان أن يخرج كتابه : «مقاصد الفلاسفة» .كان ما قام به هو الخطوة الأولى في منهج المواجهة للفكر الفلسفي ، ثم جاءت الخطوة الثانية بعد ذلك ، بالكشف عما في « مقاصد الفلسفة » من تناقض للفكر ، ومخالفة للمنطق والعقل ، وتعثر في المقاصد ، فكان كتاب « تهافت الفلاسفة » يمثل قمة المواجة .

واستطاع بهذا المنهج النقدي أن يواجه المعركة ، ويخوض غمارها ، في ىوة ، ودقة ، ويقول الغزالي معبراً عن ذلك المنهج : « ثم إني ابتدأت - بعد الفراغ من علم الكلام - بعلم الفلسفة ، وعلمت يقيناً و أنه لا يقف على نساد نوع من العلوم ، من لا يقف على منتهى ذلك العلم ، حتى يساوي أعلمهم في أهل ذلك العلم ، ثم يزيد عليه ، ويجاوز درجته ، فيطلع على ما م يطلع عليه صاحب العلم ، من غوره وغائله ، وإذ ذاك يمكن أن يكون ما بدعيه من فساده حقاً ، ولم أر أحداً من علماء الإسلام ، صرف عنايته وهمته إلى ذلك » (١) .

وإذا كان الغزالي ، قد استطاع أن يواجه الفكر الفلسفي ، في عصره ، فإن الأمر بالنسبة للاستشراق يحتاج إلى جهود أفراد ومؤسسات ، فمكتبات العالم مليئة بإنتاج المستشرقين ، وبشتى اللغات الإنسانية ، وهناك عشرات المجلات ومئات المؤسسات التي ترعى الاستشراق ،

---

(١) الإمام الغزالي ، المنقذ من الضلال ص ٩٢ ، تقديم الدكتور عبد الحليم محمود ، ط دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٨٥م

وتعمل لخدمة المستشرقين ، وهناك أيضا آلاف العلماء والباحثين ، من المستشرفين ، الذين يتفرغون لبحوثهم ودراساتهم ، وهناك المؤتمرات الاستشراقية العالمية التي تعقد حسب الحاجة في العواصم العالمية .

ولقد كان لحركات الفكر الاستشراقي منذ القرن الثامن عشر ، قوة دفع ، ورواج واستقطاب ، أثارت اهتمام رجال الفكر الإسلامي ، بما كتبه المستشرقون عن الإسلام ، في الكتب ، والمجلات ، والموسوعات ، وعن مصدريه الأساسيين : القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وعن النبي -ﷺ- الذي بعثه الله بهذا الدين الحنيف (١) . ومواجهة التحديات الاستشراقية ، ضرورة لابد منها ، إن كنا نريد الحفاظ على عقائدنا ، التي جاء بها الإسلام ، وكنا نريد الحفاظ على ذاتيتنا ، وشخصيتنا ومواجهة الاستشراق في مجال العقيدة الإسلامية وغيرها يحتاج - كغيره - إلى بذل جهود صادقة ، ومخلصة ، لرد هذه الطعون المفتراة ، حتى لا يأتي زمن نجد أنفسنا فيه ، بألسنة غير ألسنتنا ، نردد ما يقوله المستشرقون ، دون وعي أو دون أن نحس أننا مسلمون لنا عقائدنا وشخصيتنا .

[يتبع]

(١) الدكتور التهامي نقرة ، القرآن والمستشرقون : ص/٢١ ، من كتاب « مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية- الجزء الأول » ط. مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ١٩٨٥م .

العقيدة الإسلامية وأثرها في بناء الإنسان

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم : الدكتور شوكت محمد عليان

الأصل الرابع : الإيمان بالرسل :

اقتضت حكمة الله جلت قدرته وعلت عظمته في إصلاح ما يقع في الأرض من فساد ، وضلال بين الناس نتيجة انحراف الناس عن مسالك الهدى والخير ، أن يبعث في كل أمة رسولا ، يعلمهم الكتاب والحكمة ويدعوهم إلى عبادة الله تعالى وحده ، قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ (سورة النحل ، الآية : ٣٦) ، ومن أجل وحدة دعوة الرسل - عليهم الصلاة والسلام - دعا الإسلام الناس إلى التصديق بجميع رسل الله وعدم إنكار أحد منهم قال تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٢٨٥) ، كما أمر الإسلام باعتقاد أن هؤلآء الرسل كانوا متصفين بأفضل الصفات البشرية من أمانة وصدق وفطنة وذكاء ، منزهين عن الرذائل والنقائص من خيانة وكذب ونحوهما ، قال تعالى : ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴾ (سورة الأنبياء ، الآية : ٧٢) .

فلو ترك الناس وشأنهم لالتبس عليهم الأمر في معرفة الخير والشر ، ولما أمكن التمييز بين ما هو حسن وما هو قبيح ، ولا بين الفضيلة والرذيلة ، لذلك كله فإن العقل البشري محتاج في إرشاده إلى ما هو خير له في الحياتين إلى معين يستعين به في بيان وجه الاعتقاد بالله

وصفاته وتحديد أنواع الأعمال ، وبيان النافع منها والضار ، وبيان ما ينبغي أن يعرفه من الحياة الأخرى .

يعني أن العقل البشري بحاجة إلى من يعينه في تحصيل وسائل السعادة في الدارين ، وهذا المعين يجب أن يكون من جنس البشر ﴿ لقد منّ الله على المؤمنين • إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبينٍ ﴾ (سورة آل عمران ، الآية ١٦٤) .

فإن قيل : ما مكانة العقل في مجال العقيدة ما دمنا بحاجة إلى الرسل .

قلنا : العقل أساس التكليف ، ولا يمكن أن يأمر الإسلام بشئ ، وينهى عنه في نفس الوقت ، والشارع قد أمر بإيقاف العقل البشري عند حدوده ، وإبقائه في نطاق مهمته ، لأن العقل إذا جنح وتجاوز الحد تعايش مع الخيال والوهم ، وليس واحد منهما يصلح أساساً للمعرفة الصحيحة .

ثم إن العقل دل على صدق الرسل ، ومعنى صدقهم وجوب تصديقهم فيما أخبروا به والعمل بما دعوا إليه .

ومن جملة ما أخبرنا به الرسول محمد -ﷺ- ما دعا إليه الرسل السابقون من الدعوة إلى توحيد الله ، وهذا يعني بالضرورة أن المصدر الوحيد لمعرفة معاني العقيدة هو القرآن والسنة النبوية ، ومنهما تستقى جميع أنواع الثقافات .

أثر الإيمان بالرسل في حياة الإنسان :

رسل الله تعالى معصومون من الشرك والكفر ، ومن سوء الأفعال والأقوال ، ومعصومون كذلك من التأثر بالأهواء والعواطف إلى حد يحرج بهم عن حدود الأخلاق .

وإذا كان ذلك ، فهم القدوة الحسنة ، والمثل الأعلى الذي ينبغي أن يتطلع نحوه كل إنسان ، قال تعالى : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم

اقتده ﴾ (سورة الأنعام ، الآية : ٩٠) ، وقال سبحانه : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ ﴾ (سورة الأحزاب ، الآية : ٢١) .

وبالرسل يهتدى الإنسان إلى العلم الصحيح والفهم الدقيق ، ويأخذ العظات من قصص الأولين ، ومن قصص الموت والقيامة وما أدراك ما يوم القيامة .

وكذلك يتعرف الإنسان على السبب الحقيقي الذي من أجله خلق ، فيعرف قيمة الحياة ، وما تهدف إليه : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ (سورة الأنعام ، الآية ١٦٢) ، والرسول -ﷺ- تعرض لكثير من صنوف الأذى ، شأنه في ذلك شأن غيره من الرسل السابقين ، وقد صبروا جميعاً فنالوا بذلك حسن الدارين .

فالعاقل يكون أكثر صبراً على مشاق الحياة ، وأكثر تحملا لأعبائها وتهون عليه النفس والاهلون في سبيل طاعة الله وحبه لرسوله -ﷺ- .

الأصل الخامس : الإيمان باليوم الآخر :

الإيمان بالله تعالى يحقق المعرفة بالمصدر الأول الذي صدر عنه الكون . والإيمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصدر الذي ينتهى إليه هذا الوجود ، وعلى ضوء المعرفة بالبداية والنهاية يستطيع الإنسان أن يتخذ من الوسائل ما يصل بها إلى الهذف ويبلغ الغاية .

لليوم الآخر أسماء كثيرة ورد ذكرها في القرآن الكريم ، فمن ذلك :

يوم البعث : لأن الموتى يبعثون فيه من قبورهم .

يوم الحساب : لأن الناس يحاسبون فيه على ما عملوا في دنياهم .

يوم الفتح : ويحكم الله تعالى فيه بين عبادة بالحق .

يوم الدين : يعني يوم الجزاء .

يوم الحسرة : لأن الكفار فيه يتحسرون على ما فاتهم من الإيمان بالله .

يوم الخلود : لخلود أهل الجنة في نعيمها ، وأهل النار في جحيمها .

فيجب أن يعتقد كل إنسان بوجود حياة أخرى غير هذه الحياة ، وذلك بعد أن يبعث الله الخلائق بعد موتهم للحساب والجزاء ، قال تعالى : ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قال بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾ (سورة التغابن ، الآيه : ٧) .

وقال جل شأنه : ﴿ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها ﴾ (سورة الأنعام ، الآية : ٢١) .

وقال سبحانه : ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ (سورة التوبة ، الآية : ٢٨) .

هذا ولا يعلم أحد من الخلائق باليوم المحدد - المعلوم - لقيام الساعة وقد أورد القرآن الكريم بعض النصوص القاطعة بأن الله وحده الذي يعلم ذلك : ﴿ إليه علم الساعة ﴾ (سورة فصلت ، الآية : ٤٧) .

وإخفاء الله تعالى أمر الساعة لحكمة أرادها سبحانه ، ثم هو ادعى إلى الطاعة وازجر عن المعصية .

أثر الإيمان باليوم الآخر في حياة الإنسان :

إذا اعتقد الإنسان بوجود الله تبارك وتعالى وأنه يراقبه في أقواله وأفعاله ويحاسب علي ذلك ، فإنه يتوخى عقاب الله بالابتعاد عن كل مامن شأنه أن يعرضه للعقاب ، فتكون أعماله وأقواله حسنة حميدة ، بعيدة عن كل نقص ورذيلة ، خشية سخط الله وغضبه ، وخصوصاً إذا اعتقد هذا الإنسان بأن الملائكة يسطرون عليه كل صغيرة وكبيرة اقترفها ، وان الله تعالى وكل إليهم أمر ذلك ، فإنه يخيفه الذنب اليسير ، ويحاسب نفسه على كل ما يصدر منها ، وتجده متواصل الأحزان دائم الفكرة ، سريع العبرة ، شديد الخوف من الله ، لا يكاد يهدأ إلا إذا أقبل على الله

بفعل الطاعة .

فالإيمان باليوم الآخر يحقق نجاحاً وفلاحاً للنفس البشرية وفوزاً لها في الدارين وإن خفي عليها شئ من ذلك ، قال تعالى : ﴿ عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٢١٦) .

الأصل السادس : الإيمان بالقضاء والقدر :

القضاء لغة : يرد بمعاني كثيرة فمنها الحكم والأمر قال تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ ، ويرد بمعنى الفعل قال تعالى : ﴿ فاقض ما أنت قاض ﴾ .

القضاء اصطلاحاً : علم الله المحيط بما كان وبما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة .

القدر لغة : القسمة والتقدير ، ومنه قدرت الثوب فانقدر أي جاء على مقدار ، وفي القرآن الكريم ﴿ إنا كل شئ خلقناه بقدر﴾ (سورة القمر، الآية : ٤٩) ، ﴿ و القمر قدرناه منازل • و خلق كل شئ فقدره تقديراً ﴾ (سورة الفرقان ، الآية : ٢) .

القدر اصطلاحاً : وقوع الحوادث في الأزمنة والأشخاص طبقاً لما في علم الله وإرادته .

معنى الإيمان بالقضاء والقدر :

الاعتقاد بأن ما يصيب الإنسان من خير أو شر واقع حسب علم الله وتقديره وإرادته .

يعني أن الله تعالى سبق علمه بكل مخلوق ، وشاء وجوده ، وأوجده وفق ما قدره له ، وشاء ما يصدر عنه بعد وجوده .

ومما يجب التنبيه إليه أن علم الله تعالى بما سيقع من عباده و وقوعه منهم حسب هذا العلم والتقدير لا يعني أن العباد مجبرون في أفعالهم ،

ملزمون بالاتيان بها وإلا بطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والوعد والوعيد . فالانسان هو الذي يخط أفعاله بنفسه متخذاً الطريق الذي يراه . قال تعالى : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره • ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره ﴾ (سورة الزلزلة . الآيتان : ٧-٨) .

أثر الإيمان بالقضاء والقدر في حياة الإنسان :

إن من خصائص المعرفة في الإسلام أنها تؤثر في سلوك الإنسان سواء كان ذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة . والذي يعنينا في هذا المقام هو معرفة مدى تأثير الإيمان الصحيح بالقضاء والقدر في سلوك الإنسان في مختلف أنشطة الحياة سواء في نفسه أو في علاقاته مع الآخرين .

وحيث أن الإنسان لا يستطيع العيش منفرداً . بل لابد له من جماعة يتبادل معها شئون الحياة . ومن هنا نشأ المجتمع . وتداخلت المصالح المشتركة . وتعددت الرغبات . وتولدت غرائز الانتفاع . وحب الغلبة والانتقام والانتصار على الغير .

والإيمان بالقضاء والقدر يورث في الإنسان سلوكاً مستقيماً . قائماً على الصدق والأمانة . ويورث القوة والشجاعة ومواجهة الأعداء حيث تجب المواجهة لأن أقصى ما يمكن أن يناله من الأعداء هو القتل . وهذا لا يكون إلا عند تمام الأجل وانتهاء حياة الإنسان في هذه الدنيا .

والإيمان بالقضاء والقدر يحفظ المؤمن من الغرور المهلك عند الغلبة . ويحفظه من الحزن المهلك عند الهزيمة . قال تعالى : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾ (سورة الحديد . الآية : ٢٢) .

والإيمان بالقضاء والقدر يدفع المؤمن إلى طاعة الله وإلى تصحيح إيمانه بالله وقبوله عنده تعالى . فلا يتم إيمان لإنسان حتى يؤمن بكل هذه الأصول التي ذكرناها .

والإيمان بالقضاء والقدر يدفع المؤمن إلى العفو والصفح عمن أساء إليه ، حيث يؤمن المؤمن بأن ما أصابه من هذا الغير مقدور عليه ، وإنما كان الغير الذي وقع منه الضرر واسطة لوصول هذا الضرر .

وصاحب هذا الاعتقاد يعلم يقينا أن الأمر كله بيد الله تعالى خلقاً ومشيئة وتقديراً وإيجاداً ، إذا كان ذلك كذلك ، فالمستعان على حصول المراد أو دفع المراد هو الله تعالى وحده لا غير ، ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ فإذا استعان المؤمن بالله وباشر السبب وحصل المقصود فهذا من فضل الله ، وان لم يحصل المقصود لم ييأس المؤمن ، فقد يكون في عدم حصول مطلوبه خير له لا يعرف وجهه ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٢١٦) ، فالمؤمن تجده يباشر الأسباب بيده ولكن اعتماده على الله تعالى وحده لا على السبب ، وحين يقدم المؤمن إلى فعل الحسنات وعمل الصالحات يعلم يقينا بأن ذلك إنما هو بمحض فضل الله وإرادته ، وهذا يؤدي بدوره إلى قمع نزعات الكبر والغرور والعجب بنفسه والمن على الناس ونحو ذلك من الأقذار القلبية ، كما يترتب عليه طهارة قلبه من أرجاس كثيرة ، وبالتالي يستقيم سلوكه وتزكو أخلاقه .

والإيمان بالقضاء والقدر يعود النفس الصبر عند المكاره ، وقد تقع هذه المكاره بلاء وفتنة والابتلاء لما فيها من امتحان للعبد في هذه الدنيا ، فالدنيا وكما نعلم دار ابتلاء ، ولا ينجو أحد من مصائبها ، فالموت مثلا لابد منه ، وفيه فراق الأحبة ، والمؤمن الذي وقعت له المصيبة يستحضر حالاً في ذهنه قضاء الله وقدره ﴿ ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ (سورة التغابن ، الآية : ١١) ، وفي الحديث الشريف " واعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك " بهذا تهدأ نفس المؤمن بالقدر فيرضى ويسلم .

وملخص ما ذكرنا أن الإيمان بالقضاء والقدر فيه :

١ - صحة الإيمان وقبوله عند الله تعالى .

٢ - رضا الإنسان المستمر على كا ما يجرى في الحياة الدنيا .

٣ - الإقدام على المخاطر في سبيل الله إيماناً بأن الموت والحياة بيد الله .

٤ - بيان سعة الرزق وضيقه وأنه إنما يقع بقضاء الله .

٥ - تعويد النفس الصبر وتحمل الأذى والعفو والصفح عمن أساء إليها .

٦ - بيان لما يجري للمؤمن من أحداث في هذه الدنيا وان ذلك كله خير .

وبعد فتلك هي بعض آثار الإيمان الصحيح بالقضاء والقدر في سلوك الإنسان في علاقاته مع الآخرين وموقفه من أفعاله وما يقع له من مصائب ، ومنها يتبين أن أمور العقيدة في الإسلام هي الأصل في نوع سلوك الإنسان ومواقفه من أحداث الحياة .

إن هذه الثقافة التي تقوم على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وقضائه تعالى وقدره لا شك أنها تنشئ في النفس الإنسانية ثقة مرتكزة على يقظة ذاتية وحيوية داخلية ، تدعو تلك النزعة الفطرية إلى الاستقامة وتدفع بالإنسان إلى حسن الأخلاق والسيرة والسلوك ، فلا يحتاج الإنسان إلى رقابة خارجية ، فالوازع عنده والموجه له هو الاعتقاد الجازم الذي يحمله قلبه ويقربه لسانه ، وهنا يظهر الفارق بين المؤمن الذي يحمل في نفسه القوة الدافعة إلى العمل المستقيم ، وبين الإنسان الذي يضع في اعتباره - عند إرادة عمل ما - قوة القانون الذي يضع مواده ولاة الأمور بشتى الوسائل والسبل ، بمعنى أن الأول يظل منقاداً للوازع الديني الذي يهيمن على قلبه ويظل مرتبطاً كذلك بالقيم الإسلامية ، بينما قد يفلت الثاني من طائلة القانون إما بشفاعة ذوى الجاه والحسب ، وإما بتهاون ولاة الأمر في تطبيق القانون ، وبالتالي فإن الإنسان والحال كذلك يتهاون هو أيضاً في أداء ما كان ينبغي أن يؤديه وما يفرضه عليه هذا القانون ، وقد يترتب على ذلك ضياع حقوق

وظلم عباد ، وفي ذلك شر وفساد .

وبعد فتلك الثقافة الإسلامية تقوم على أصُول اعتقادية وتهذيبية وتشريعية تتلاقى جميعاً في منهج تكاملي يصلح من شأن الإنسان ، ويعمل على إسعاده في الدنيا والآخرة .

هذا وإننا نرى أن العنصر الأخلاقي فيها أصيل و واضح ، كما أنه السمة البارزة في سيرة رسول الله -ﷺ- ، وسيرة صحابته الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - وفي هذا التعاون الوثيق والتساند المحكم بين التوجيه والقدوة والإرشاد والتطبيق يشاد البناء الأخلاقي على أمتن الأسس ، ويبلغ في القوة والإحكام .

قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ .

ونلمس أثر هذا العنصر الأخلاقي في الدعوة الدائمة الملحة إلى الأخلاق الكريمة من أمانة و وفاء ، وعدل ، وبر وإحسان ،و وفاء بالوعد ، وصيانة للعهد ، والتحذير الدائم من الصفات السيئة كالغدر والخداع ، والظلم والاعتداء والغش ، وغير ذلك مما تأباه الطباع الكريمة .

ولا يقف الأمر عند حدود التوجيه والترغيب ، أو النقد والتحذير ، بل يتجاوز ذلك إلى التنفيذ والالتزام في التشريع والأحكام ، لتكون المسئولية الفردية والجماعية أساس الحماية والتطبيق لهذا الجانب الأخلاقي في حياة الأفراد والجماعات ، وليكون هذا الجانب الأخلاقي الروح الحية الفعالة في أعماق ضمائر المؤمنين ، والمحور الذي ينظم سلوكهم في حياتهم الخاصة ، و واقعهم الاجتماعي .

قال -ﷺ- : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان :

أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار » .

فهذه ثلاث خصال يتحلى بها الذي تذوق طعم الإيمان ، فأشرق في قلبه فتجلى منه العمل الصالح ، فيقبل :

أولاً : على ربه بمحبته أي بطاعته ، وتحمل المشاق في سبيل تحقيقها والسبق في جنى ثمارها ، والإكثار من ذكره تعالى واستغفاره ، وشدة الخوف منه ، وترك زخارف الدنيا ، والرغبة في شهواتها والابتعاد عن المعاصى .

ومحبة الرسول -ﷺ- إقامة شعائر دينه ، وكثرة الصلاة عليه ، ونصر دينه ، ودعوة الناس إلى اتباعه ، والعمل بسنته .

ثانياً : محبة خلق الله والشفقة عليهم ، والذب عن حياضهم ، والميل إلى صالحهم ، فيرى الفرد نفسه عضواً في المجتمع ، نفعه نفع للناس ، وضرره إضرار بها ، فإذا أحس هذا الإحساس الصادق ، وانطبع في نفسه ، رأى غيره كنفسه ، بل رآه نفسه ، فيحب له مثل ما يحب لنفسه ، وأما أن يحب لنفسه أمراً ولا يحبه لغيره ويحسده ، أو يحقد عليه أن ناله ، فذلك منافٍ للإيمان ، بل ذلك بقية من آثار الكفران .

وكما يحب لغيره ما يحب لنفسه يبغض له ما يبغض لها ، وفاء بحق الإيمان .

ثالثاً : التخلي عن الرذائل ، وكراهية المعاصى ، ونبذ عقيدة الكفر ، وعدم الإشراك بالله .

فهذا عنوان كمال الإيمان ليعتقد الإنسان ان المنعم بالذات هو الله سبحانه وتعالى ، وأنه لا مانح ولا مانع سواه تعالى ، فلتتوجه القلوب إليه وحده ﴿ من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياةً طيبةً ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ .

وهكذا فالعقيدة الصحيحة هي أهم ما يطلب من الإنسان ، لأن العمل إنما يتبع الاعتقاد وعلى قدر ما تصح عقيدة المسلم وتقوى تستقيم أعماله وتزكو أخلاقه .

وبهذا الذي قدمنا يبدو واضحاً مدى أهمية دور العقيدة الإسلامية في بناء الإنسان فكراً وسلوكاً وخلقاً .

•••••••

الهداية وأسبابها

فضيلة الشيخ سعيد مسفر القحطاني
أبها (المملكة العربية السعودية)

ولكن ماهي الهداية ؟؟!

الهداية هي الانفتاح القلبي على الله والانشراح الصدري على الدين ولذلك يقول تعالى : ﴿ ومن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ فالهداية إذن أن يشرح الله صدرك للإسلام والدين . قال تعالى : ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين ﴾ وانشراح الصدر يؤدي إلى رغبة في طاعة الله ورسوله -ﷺ- . وبغض وعزوف عن كل ما يسخط الله فإذا شعرت يا أخي المسلم بهذا الشعور فاعلم أن الله قد هداك .

ولكن أين نجد الهداية ؟ فهي ليست بضاعة تشترى ولا حاجة تقتضى وإنما هي نعمة من الله يمن الله بها على من يشاء من عباده . قال تعالى : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ﴾ فهذه الهداية نعمة يقول تعالى في حقها : ﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ وللحصول عليها أسباب كغيرها من متطلبات الحياة التي لا تتحقق إلا بالسعي من أجلها والأخذ بأسبابها : قال الشاعر :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها :
إن السفينة لا تجري على اليبس

فإذا أردت الهداية يا أخي المسلم فسر في طريقها وعليك بأسبابها الكثيرة جداً والتي سوف نذكر منها عشرة أسباب هي كالتالي :

١ - **التوبة** : وهي الانتقال من حياة الشيطان والعبث واللهو إلى

حياة الإيمان بدليل قوله تعالى : ﴿ ويهدي إليه من أناب ﴾ وقوله : ﴿ وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له ﴾ فالهداية ثمرة من ثمرات التوبة . إذ لا يمكن أن تأتي الهداية والعبد مقيم على المعصية فكيف يهتدي من يرى بعينيه الحرام ؟ أو يسمع بأذنيه الحرام ؟ أو يقول بلسانه الحرام ؟ أو يمد يده إلى الحرام ؟ أو يملأ بطنه بأكل أموال الربا والرشوة والمال الحرا ؟ او من يسير بقدمه إلى الحرام ؟ !

٢ - **العلم :** بالله سبحانه وبرسوله -ﷺ- وهو علم الكتاب والسنة . فالجهل آفة وظلمة ويكفينا أن أول كلمة نزلت في ديننا هي قوله تعالى ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق • إقرأ وربك الأكرم • الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ فديننا دين العلم • لقوله تعالى : ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب ﴾ فسبيل ديننا هو سبيل العلم ولا مكان للجاهل في ديننا . ولا ينبغي لإنسان مسلم أن يبقى جاهلاً في دين الله ولو كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب . فعليه وإن بلغ عمره المائة عام أن يتعلم . فإذا قال له الشيطان إن من العيب أن يتعلم الإنسان وهو شايب كبير السن . قلنا : بل إن من العيب أن يقدم الإنسان على الله وهو جاهل .

٣ - **الإيمان :** وهو التصديق والجزم بحقائق الإيمان وأركانه الستة . والإيمان بالجنة والنار . وبالصراط والكتاب . والحوض . وعذاب القبر وأن الساعة حق .. إلخ .

فالايمان هو الاقتناع والتصديق بأن كل تلك الأمور حقائق إيمانية كائنة لا محالة وهنا تكون النتيجة حصول الهداية . قال تعالى : ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ ويقول : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات نعيم ﴾ .

٤ - **الاعتصام بالله :** والتمسك بحبله والتوكل عليه . قال تعالى :

﴿ ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ﴾ ويقول سبحانه في الحديث القدسي : « وعزتي وجلالي ما اعتصم عبد من عبادي بي فكادته السماوات والأرض إلا جعلت له منها مخرجاً . وعزتي وجلالي ما اعتصم عبد من عبادي بمخلوق دوني إلا قطعت عنه أسباب السماء وأسخت الأرض من تحت قدميه ثم لا أبالي في أي واد هلك » .

٥ - الدعـــــــاء : وهو من أقوى أسباب الهداية لأن الله لا يرد من يدعوه طالباً منه الهداية . قال تعالى : ﴿ وقال ربكم ادعوني استجب لكم ﴾ وهنا يجب أن يكون الدعاء صادقاً ومن محل صالح . قال تعالى : ﴿ و إذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ ولهذا شرع الله لعباده أن يدعوه في كل ركعة من الصلاة فريضة كانت أو نافلة أو راتبة وأن يسأل العبد ربه قائلاً : ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ فمن طلب الهداية من الله أجابه الله سبحانه وحقق له مادعا به إن شاء الله .

٦ - إتباع الكتاب والسنة :

ويعني ذلك الانقياد والاستسلام الخالص لتعاليم الكتاب والسنة بمعنى أن يقول العبد لما جاء في الكتاب والسنة ﴿ سمعنا وأطعنا ﴾ دون تساؤل أو استفهام أو بحث عن السبب أو نحو ذلك لأن هذا ليس من شئونه . فإبليس عند ما لم يتبع أمر الله . وعند ما رفض أمر الله بالسجود لآدم - عليه السلام - واستكبر وحاول الاستعلاء . قال جل جلاله : ﴿ أخرج منها فإنك رجيم وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين ﴾ فمن اتبع كتاب الله وسنة رسوله الطاهرة وعمل ما فيها هداه الله سبحانه . قال تعالى : ﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه • أولئك الذين هداهم الله ﴾ وبذلك تكون الهداية ثمرة من ثمار استماع القول الصالح واتباعه .

٧ - المجاهـــــدة : وتعني استفراغ الجهد في استعمال النفس في

طاعة الله وما ينفعها حالاً ومآلاً ، ومنعها مما يضرها حالاً ومآلاً ، بدليل قوله تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ فالله يهدي الإنسان بعد المجاهدة ، أما الهارب فلا هداية له .

قال تعالى : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾ وقال في الصنف الآخر : ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فعلى نفسه ، لقوله تعالى في الحديث القدسي : « يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها يوم القيامة » وهنا يحسن بنا أن نشير إلى أن المجاهدة تكون للنفس وللشيطان وللكفار وللمنافقين ، وتفصيل ذلك كالتالي :

أ - جهاد النفس ويكون على أربع مراتب هي :

= حملها على تعلم الهدى بسماع الأشرطة الإسلامية وحضور الدروس وقراءة القرآن والكتب الدينية .

= حملها على العمل بما علمت من العلم أولاً بأول .

= حملها على الدعوة إلى الله وذلك بتعليم الآخرين ما علمت بالأسلوب اللين والطريقة الحسنة .

= الصبر على الأذى في سبيل الدعوة إلى الله سواءاً من المجتمع أو الأهل أو نحوهما .

ب - جهاد الشيطان وله مرتبتان :

= جهاد دفع ما يلقيه من الشكوك والشبهات في الدين والعقائد ويكون ذلك بسؤال أهل العلم .

= جهاده على دفع ما يلقيه من الإرادات والشهوات ، فالشيطان يزين الحرام ويبغض الحلال .

ج - جهاد المنافقين .

د - جهاد الكفار ويكون بالسنان في ميدان الجهاد وبالبيان في ميدان

الكتابة والتأليف والإعلام والتدريس والدعوة لكشف شبهات الكفر وأساليبه كما يكون ببغضهم قلبياً وعدم محبتهم .

٨- أداء الصلاة : وهي سبب هام وعامل رئيسي لما يترتب على أدائها والقيام بها والمحافظة عليها من حصول الهداية .

٩- الصحبة الطيبة : لأنها تقود إلى الله وتدل عليه فأصحاب الهدى يدعون إلى الهداية ونور الله ، أما أصحاب الضلال فيدعون إلى الضلال واتباع الشيطان يقول الشاعر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي
إذا ما صحبت القوم فاصحب خيارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

وقد جاء في الحديث قوله -ﷺ- : « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك وكنافخ الكير» .

١٠- الابتعاد عن رفقاء السوء :

الداعية إلى الضلال لأنه أخطر من أصحاب الأمراض والأوبئة ، بل هم يحملون الأمراض في عقائدهم والأوبئة في أخلاقهم والأوجاع في أفكارهم . قال تعالى : ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ وهذا أمر رباني يوجب البعد عن رفقاء السوء ومجالسهم لأن ذلك من دواعي البعد عن الهداية والقرب من الغواية .

أخي المسلم إن هذه الأسباب تحتاج إلى بذل وصبر ومجاهدة ، ولكن نتائجها تكون طيبة مثمرة في مقعد صدق عند مليك مقتدر فلا تكسل ولا تغتر ولا تتهاون . والحمد لله رب العالمين .. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

دراسات وأبحاث :

بحث حول الناسخ والمنسوخ

دكتور محمد شفيق الله
أستاذ مشارك في القسم العربي بجامعة راج شاهي - بنغله ديش

إن معرفة الناسخ والمنسوخ ركن عظيم في فهم الإسلام وفي الاهتداء إلى صحيح الأحكام ، وقد قال علي - رضي الله عنه - لقاضٍ : أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا . قال : هلكت وأهلكت (١) .

وقد دنزل التشريعات السماوية من الله تعالى على رسله لإصلاح الناس في العقيدة والعبادة والمعاملة . والعقيدة واحدة لا يطرأ عليها تغير لقيامها على توحيد الألوهية و الربوبية - و أما العبادات و المعاملات منها - منها تهذيب النفس والمحافظة على سلامة المجتمع وربطه برباط التعاون والإخاء إلا أن مطالب كل أمة قد تختلف عن مطالب أختها ، وما يلائم قوماً في عصر قد لا يلائمهم في آخر مسلك الدعوة في طور النشأة يختلف عن شرعتها بعد التكوين والبناء فحكمة التشريع في هذه غيرها في تلك . والمشرع هو الله سبحانه وتعالى يسع كل شئ رحمة وعلما ، ولله الأمر والنهي فلا غرابة في أن يرفع تشريع بآخر مراعاة لمصلحة العباد عن علم سابق بالأول والآخر (٢) .

---

(١) سيوطي : الإتقان في علوم القرآن : ج/١، ط.٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر- ص/٢٠ .

(٢) مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ط.١٩ ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٢م ، ص/١٤ .

= تعريف النسخ =

النسخ في اللغة :

يطلق النسخ في لغة العرب على معانٍ :

١ - إزالة شئ بشئ يتعقبه ، كنسخ الشمس الظل ، والظل الشمس والشيب الشباب (١) ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته ﴾ (سورة الحج ، الآية : ٥٢) .

٢ - التبديل : كقوله تعالى : ﴿ وإذا بدلنا آيةً مكان آية ﴾ (سورة النحل ، الآية ١٠١) .

٣ - التحويل : كتناسخ المواريث بتحويلها من قوم إلى قوم .

٤ - ويأتي أخيراً بمعنى النقل من موضع إلى موضع ومنه نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه حاكياً للفظة وخطبة (٢) .

النسخ في الإصطلاح :

النسخ في الاصطلاح هو : « رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي » -والحكم الشرعي هو خطاب الله المتعلق بأفعال المتكلفين - وإما على سبيل الطلب أو الكف أو التخيير وإما على سبيل كون الشئ سبباً أو سرطاً أو مانعاً أو صحيحاً أو فاسداً .

والدليل الشرعي هو وحي الله مطلقاً متلوا أو غير متلو ، فيشمل الكتاب والسنة (٣) .

---

(١) الراغب : المفردات في غريب القرآن ، المطبعة اليمنية ، مصر ١٣٢٤هـ ، ص/٥٠٩ .

(٢) الإتقان : ج/٢، ص/٢٠ .

(٣) الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج/٢ ، القاهرة ، ص/١٩١.

فخرج بقيد « الحكم الشرعي » ابتداء إيجاب العبادات في الشروع ، فإنه يرفع حكم العقل ببراءة الذمة ، وذلك كإيجاب الصلاة ، فإنه رافع لبراءة ذمة الإنسان منها قبل ورود الشرع بها .

وخرج بقيد « بدليل شرعي » رفع الحكم الشرعي بدليل عقلي وذلك كسقوط التكليف عنه بأحد هذه الأسباب يدل عليه العقل إذا الميت والمجنون والغافل لا يعقلون خطاب الله تعالى حتى يستمر تكليفهم والعقل يقضي بعدم المرء إلا بما يتعقله ، وإن الله تعالى إذا أخذ ما وهب أسقط ما وجب (١) .

ويطلق الناسخ على الله تعالى كقوله : ﴿ ما ننسخ من آية ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ١٠٦) ، وعلى الآية وما يعرف به النسخ فيقال : هذه الآية ناسخة لآية كذا ، وعلى الحكم الناسخ لحكم آخر والمنسوخ هو الحكم المرتفع ، فآية المواريث مثلا أو ما فيها من حكم ناسخ لحكم الوصية للوالدين والأقربين فيشترط في النسخ :

١ - أن يكون الحكم المنسوخ شرعياً .

٢ - أن يكون الدليل على ارتفاع الحكم دليلاً شرعياً متراخياً عن الدليل المنسوخ حكمه .

٣ - وألا يكون الدليل المرفوع حكمه مقيداً بوقت معين - وإلا فالحكم ينتهي بانتهاء وقته ولا يعد هذا نسخا - قال مكي : ذكر جماعة أن ما ورد من الخطاب مشعرا بالتوقيت والغاية مثل قوله في البقرة : ﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ١٠٩) ، محكم غير منسوخ - لأنه مؤجل بأجل - والمؤجل بأجل لا نسخ فيه (٢) .

---

(١) مناهل : ج/٢ ، ص/١٩١-١٩٢ .

(٢) مباحث في علوم القرآن ، ص/٢٢٢-٢٢٣ .

الفرق بين النسخ والبداء :

البداء يطلق على معنيين :

١ - الظهور بعد الخفاء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ (سورة الزمر، الآية : ٤٧) .

٢ - نشأ رأى جديد لم يك موجوداً ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ثم بدالهم من بعد ما رأو الآيات ليسجننه حتى حين ﴾ (سورة يوسف ، الآية : ٣٥) ، أي نشأ لهم في يوسف رأى جديد هو أن يسجن سجناً وقتياً .

ذانك معنيان متقاربان للبداء ، وكلاهما مستحيل على الله تعالى ، لما يلزمهما من سبق الجهل وحدوث العلم ، لأن الله تعالي هو خالق هذا العالم ومدبره وهو محيط بكل ما كان وما سيكون وما هو كائن ، وقد جاء في القرآن العظيم : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ﴾ (سورة الحديد ، الآية : ٢٢) .

وقد زعم قوم إن النسخ ضرب من البداء أو مستلزم للبداء ، وقالوا لولا ظهور مصلحة لله ونشوء رأى جديد له ما نسخ أحكامه وبدل تعاليمه ، فاليهود أنكروا النسخ وأسرفوا في الإنكار ، والرافضة أثبتوا النسخ ثم أسرفوا في إثبات هذا البداء اللازم له في زعمهم ونسبوه إلى الله تعالى في صراحة و وقاحة وهذه عقيدة باطلة (١) .

الفرق بين النسخ والتخصيص :

النسخ هو « رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي » والتخصيص هو قصر العام على بعض أفراده . ولذلك أنكر بعض من العلماء وقوع النسخ

---

(١) مناهل : ج ٢، ص ١٩٧-١٩٨ .

الشريعة ، ومنهم من أدخل صوراً من التخصيص في باب النسخ ، وهذا باطل بوجوه آتية :

١ - إن العام بعد تخصيصه مجاز ، لأن مدلوله وقتئذ بعض أفراده مع أن لفظه موضوع للكل ، وكل ما كان كذلك فهو مجاز .

أما النص المنسوخ فمازال كما كان مستعملاً فيما وضع له غاية ، إن النسخ دل على أن إرادة الله تعلقت أزلا باستمرار هذا الحكم إلى وقت معين وإن كان النص المنسوخ متناولاً جميع ألا زمان (١) .

٢ - إن حكم ما خرج بالتخصيص لم يك مراداً من العام أصلاً بخلاف ما خرج بالنسخ ، فإنه كان مراداً من المنسوخ لفظاً .

٣ - إن التخصيص لا يتأتى أن يأتى على الأمر لمأمور واحد ولا على النهي لمنهى واحد ، وأما النسخ فيمكن أن يعرض لهذا كما يعرض لغيره .

٤ - إن النسخ لا يكون إلا بالكتاب والسنة ، بخلاف التخصيص فإنه يكون بهما وبغيرهما كدليل الحسن والعقل .

٥ - إن النسخ لا يكون بدليل متراخ عن المنسوخ والتخصيص فيكون بالسابق واللاحق والمقارن (٢) .

الآراء في النسخ وادلة ثبوته :

لأهل الأديان أربعة مذاهب في النسخ :

١ - اليهود : هو ينكرون النسخ لأنه يستلزم في زعمهم البداء ، وهم يقولون : إن النسخ إما أن يكون لغير حكمة ، وهذا عبث محال على الله تعالى وإما أن يكون لحكمة ظهرت ولم تكن ظاهرة من قبل ، وهذا يستلزم البداء وسبق الجهل وهو محال على الله سبحانه وتعالى .

---

(١) المرجع السابق : ص/ ٢٠١ .   (٢) المرجع السابق : ص/ ٢٠٢ .

واستدلالهم هذا باطل وفاسد، لأن حكمة الناسخ والمنسوخ معلوم عند الله تعالى من قبل فلم يتجدد علمه بها. واليهود يعترفون بأن شريعة موسى - عليه الصلاة والسلام - ناسخة لما قبلها. وأيضاً جاء في نصوص التوراة النسخ كتحريم كثير من الحيوان على بني إسرائيل بعد حله كما قال الله تعالى في إخباره عنهم: ﴿ كل الطعام كان حلاً لّبني إسرائيل إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه ﴾ (سورة آل عمران، الآية: ٩٢). وثبت في التوراة أن آدم - عليه الصلاة والسلام - كان يزوج من الأخت وقد حرم الله ذلك على موسى - عليه الصلاة والسلام - وإن موسى - عليه الصلاة والسلام - أمر بني إسرائيل أن يقتلوا من عبد منهم العجل ثم أمرهم برفع السيف منهم (١).

٢- الروافض: وهؤلآء غالوا في إثبات النسخ، وأجازوا البداء على الله تعالى فهم مع اليهود على طرفي نقيض. واستدلوا على ذلك بأقوال نسبوها إلى علي - رضي الله عنه - زوراً و بهتاناً، و بقوله تعالى: ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت ﴾ (سورة الرعد، الآية: ٣٩). على معنى أنه يظهر له المحو والإثبات.

وذلك تحريف للقرآن، فإن معنى الآية: ينسخ الله ما يستوصب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في إثباته كمحو السيآت بالحسنات ومحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة وإثبات إيمانهم وطاعتهم ولا يلزم من ذلك الظهور بعد الخفاء بل يفعل الله هذا مع علمه به قبل كونه (٢).

٣- أبو مسلم الأصفهاني (معتزلي من كبار المفسرين) عنده يجوز

---

(١) المرجع السابق: ص/٢٠٢.

(٢) مباحث في علوم القرآن، ص/٢٢٤- ٢٢٥.

النسخ عقلاً ، ولكن يمنع وقوعه شرعاً وهو يحتج بقوله تعالى : ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ (سورة فصلت ، الآية ٤٢) ، على معنى أن أحكامه لا تبطل أبدا ، ويحمل آيات النسخ على التخصيص .

ورد عليه بأن معنى الآية إن القرآن لم يتقدمه ما يبطله من الكتب ولا يأتي بعده ما يبطله (١) .

- جمهور العلماء : أنه جائز عقلاً و واقع سمعاً -

أدلة جواز النسخ عقلاً :

١ - إن النسخ لا محظور فيه عقلاً ، وكل ما كان كذلك جائز عقلاً أما الكبرى فمسلمة .

وأما الصغرى فيختلف دليلها عند أهل السنة عن دليلها عند المعتزلة .

فأهل السنة يقولون : إنه لا يجب على الله تعالى لعباده شيء ، بل هو سبحانه الفاعل المختار والكبير المتعال ، وله أن يأمر عباده بما شاء ، وينهاهم عما شاء ، وأن يبقى من أحكامه على ما شاء وأن ينسخ منها ما شاء ، والمعتزلة يقولون : إنه تعالى يجب أن يتبع في أحكامه مصالح عباده ، فما كان فيه مصلحة لهم أمرهم به وما كان فيه مضرة عليهم نهاهم عنه ، وما دار بين المصلحة تارة والمفسدة أخرى أمرهم به تارة ونهاهم عنه أخرى (٢) .

٢- ولو لم يكن النسخ جائزاً عقلاً و واقعاً سمعاً لما جوزوا أن يأمر الشارع عباده بأمر موقت ينتهي بانتهاء وقته لكنهم يجوزون هذا عقلاً

---

(١) مباحث في علوم القرآن : ص/٢٢٥ .

(٢) مباحث : ص/٢٢٦ .

ويقولون بوقوعه سمعاً فليجوزوا هذا ، لأنه لا معنى للنسخ إلا انتهاء الحكم الأول لميقات معلوم عند الله بيد أنه لم يكن معلوماً لنا من قبل ، ثم أعلمنا الله إياه بالنسخ وهذا ليس بفارق مؤثر (١) .

٣- إن النسخ لو لم يكن جائزاً عقلاً و واقعاً سمعاً ، لما ثبت رسالة سيدنا محمد -ﷺ- إلى الناس كافة ، ولكن رسالته العامة للناس ثابتة بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ، إذن فالشرائع السابقة ليست باقية بل هي منسوخة بهذه الشريعة الخاتمة و إذن فالنسخ جائز و واقع (٢) .

أدلة وقوع النسخ سمعاً :

فهذا نوعان : أحدهما تقوم به الحجة على منكرى النسخ من اليهود والنصارى من غير توقف على إثبات نبوة الرسول -ﷺ- له ، فمنه ما يأتي :

١- فقد جاء في السفر الأول من التوراة إن الله تعالى قال لنوح - عليه الصلاة والسلام - عند خروجه من السفينة : إني جعلت كل دابة حية مأكلا لك ولذريتك وأطلقت ذلك لكم كنبات العشب ما خلا الدم فلا تأكلوه ، ثم اعترفوا بعد ذلك بأن الله تعالى قد حرم كثيراً من الدواب على أصحاب الشرائع من بعد نوح - عليه الصلاة والسلام - (٣) .

٢- إن الله تعالى أمر إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - بذبح ولده ثم قال الله تعالى له لا تذبحه ، وقد اعترف منكروا النسخ بذلك .

٣- إن عمل الدنيا كان مباحاً يوم السبت ، ومنه الاصطياد ، ثم حرم الله تعالى الاصطياد على اليهود باعترافهم .

---

(١) مناهل : ص/٢٠٤ .

(٢-٣) المرجع السابق : ص/٢٠٦ .

٤- إن الجمع بين الأختين كان مباحاً في شريعة يعقوب - عليه الصلاة والسلام - ثم حرم في شريعة موسى - عليه الصلاة والسلام - .

٥ - إن الطلاق كان مشروعاً في شريعة عيسى - عليه الصلاة والسلام - ثم جاءت شريعة عيسى - عليه الصلاة والسلام - فحرمته إلا إذا ثبت الزنا على الزوجة (١) .

اما النوع الثاني فما تقوم به الحجة على من آمن بنبوته -ﷺ- كأبي مسلم الاصفهاني ، فمنه ما يأتي :

١ - قوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ (سورة البقرة ، الآية ١٠٦) .

٢- قوله تعالى : ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ (سورة الرعد ، الآية : ٣٩) .

٣- قوله تعالى : ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ (سورة النحل ، الآية ١٠١) .

٤- قوله تعالى : ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴾ (سورة النساء ، الآية : ١٦٠) .

[يتبع]

---

(١) المرجع السابق : ص/ ٢٠٧ .

(٢) المرجع السابق : ص/ ٢٠٨ .

الإمام النسائي وصناعته الحديثية في سننه

[الحلقة الثانية]

الدكتور تقي الدين الندوي
أستاذ الحديث في جامعة الإمارات العربية

المبحث الثاني :

أ- التعريف بكتاب السنن وبيان خصائصه :

١ - التعريف بكتاب السنن :

إن كتب الحديث على أنواع منها السنن :.وهي ما كانت بترتيب أبواب الفقه . قال الكتاني (ت ١٣٤٥هـ) هي في اصطلاحهم الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية من الإيمان والطهارة والصلاة والزكاة إلى آخرها (١) .

فكتاب السنن للإمام النسائي ، مرتب على أبواب الفقه ، الذي يعد أحد أركان الستة هو السنن الصغرى ، قال الكتاني : سنن النسائي الكبرى منها لخص الصغرى تاركاً لما تكلم في إسناده بالتعليل ، وإذا أطلق أهل الحديث أن النسائي روى حديثاً فإنما يعنون في السنن الصغرى وهي المجتبى (٢) .

ومعنى المجتبى (٣) المنتخب ، وذلك لأن هذا السنن منتخب من السنن *الكبرى للنسائي .*

٢- انتخاب السنن : اختلف العلماء فيمن هو الذي انتخب هذا الكتاب

(١-٢) الرسالة المستطرفة : ص/٢٩ .

(٣) المجتبى : هو بالباء الموحدة ويقال بالنون أيضاً . لكن رجح الشيخ عبد العزيز الأول « بستان المحدثين » : ص/١١١ .

من سننه الكبرى . قال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) : وقد جمع (النسائي) السنن الكبرى والصغرى ، وانتخب منه ما هو أقل حجماً منه بمرات (١) .

إن النسائي لما صنف الكبرى أهداها لأمير الرملة فقال له الأمير كل ما فيها صحيح ؟ قال : لا ، قال : فميز لي الصحيح من غيره فصنف له الصغرى (٢) .

ورأى بعضهم أن المجتبى اختيار ابن السني ، ولكن الذهبي رفض هذا ، فقال : إن هذه الرواية لم تصح بأن المجتبى اختيار ابن السني (٣) .

ومال بعضهم إلى الجمع بين القولين ففي « اليانع الجني » (٤) وأما حكاية الذهبي ومن وافقه فقد يمكن حملها على أن يكون ابن السني باشر اختصارها بأمر النسائي أو أعانه في ذلك ، فلتحمل عليه ولا يجترئ على شق عصا الجماعة بقول محتمل .

٢- إذا أطلق النسائي فما المراد بذلك ؟

إذا أطلق المحدثون بقولهم رواه النسائي فمرادهم هذا المختصر المسمى بالمجتبى لا الكتاب الكبير ، وكذا إذا قالوا : الكتب الخمسة أو الأصول الخمسة فهي البخاري ومسلم وسنن أبي داؤد وجامع الترمذي ومجتبى النسائي (٥) .

قال الكتاني : في بيان الأصول : ومنها سنن النسائي ، والمراد بها الصغرى فهي المعدودة من الأمهات ، وهي التي خرج الناس عليها الأطراف

---

(١) البداية والنهاية : ١١/١٢٢ ، وسير أعلام النبلاء : ١٤/٢٢١ .

(٢) تدريب الراوي : ص/١٠٢ .

(٣) سير أعلام النبلاء : ١٤/١٢١ . (٤) سير أعلام النبلاء : ص/٥٢ .

(٥) مرقاة المفاتيح : ١/١٨ .

والرجال دون الكبرى خلافاً لمن قال : إنها المرادة (١) .

قال السيوطي : الثالث سنن النسائي هو أحد الكتب الستة أو الخمسة هي الصغرى دون الكبرى ، صرح بذلك التاج ابن السبكي ، قال : وهي التي عليها الأطراف والرجال وإن كان شيخه المزى ضم إليها الكبرى ، وصرح ابن الملقن بأنها الكبرى ، وفيه نظر (٢) .

و الحافظ المنذري إذا عزا الحديث إلى النسائي في كتابه الشهير « الترغيب والترهيب » أراد به الكبرى كما صرح هو بنفسه في مقدمة هذا الكتاب .

٤ - ثناء العلماء على السنن :

لن أستطيع الحصر ولا الاستقصاء لو أردت أن أذكر كل ما قيل في الثناء على هذا الكتاب العظيم ، ولذلك فسأكتفي بإيراد بعض الكلمات لأشهر العلماء :

١ - قال الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسافوري (ت ٤٠٥ هـ) : أما كلام أبي عبد الرحمن على فقه الحديث فأكثر من أن يذكر ، ومن نظر في كتاب السنن له تحير من حسن كلامه (٣) .

٢ - وقال أبو الحسن المعافري (ت ٤٨٤ هـ) : إذا نظرت إلى ما يخرجه أهل الحديث فما خرجه النسائي أقرب إلى الصحة مما خرجه غيره (٤) .

---

(١) الرسالة المستطرفة : ص/١٢ .

(٢) تدريب الراوي : ص/١٢ .

السنن الصغرى هو المطبوع المتداول بين الناس في هذا الزمان وأما السنن الكبرى إنما طبع جزء منه سنة ١٢٩١ هـ في بمبائ بالهند .

(٣) سير أعلام النبلاء : ١٤/ ١٣٠ .

(٤) فتح المغيث : ١/ ٨٤ .

٣- قال الحافظ أبو عبد الله بن رشيد (ت ٧٢١هـ) : إنه أبدع الكتب المصنفة في السنن تصنيفاً وأحسنها ترصيفاً ، وهو جامع بين طريقتي البخاري ومسلم مع حظ كثير من بيان العلل ، وفي الجملة فكتاب السنن أقل الكتب بعد الصحيحين حديثاً ضعيفاً ورجلاً مجروحاً ويقاربه من الطرف الآخر كتاب ابن ماجة فإنه تفرد فيه بإخراج أحاديث عن رجال متهمين بكذب وسرقة الأحاديث (١) .

٤- قال بعض المكيين من شيوخ ابن الأحمر إنه أشرف المصنفات كلها وما وضع في الإسلام مثله (٢) .

قلت : يمكن هذا القول بالمقارنة مع السنن الأربعة غير الصحيحين ، لأن الإمام النسائي ذكر : ما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن إسماعيل .

قال الحافظ ابن حجر : والنسائي لا يعني بالجودة إلا جودة الأسانيد كما هو المتبادر إلى الفهم من اصطلاح أهل الحديث (٣) .

٥- عناية العلماء بسنن النسائي :

لم تنل سنن النسائي العناية اللائقة بها قديماً وحديثاً .

قال السيوطي : منذ صنف أكثر من ستمائة سنة لم يشتهر عليه من شرح ولا تعليق (٤) . ومن أهم شروحه :

١- شرح الشيخ سراج الدين عمر بن علي الملقن الشافعي (ت ٨٠٤هـ) لكنه تناول بشرح زوائده على الصحيحين وأبي داؤد والترمذي ، وغالب

---

(١) مقدمة زهر الربى على المجتبى : ص/٤ ، وفتح المغيث : ١/٨٤ .
(٢) فتح المغيث ١/٨٤ .
(٣) مقدمة فتح الباري : ص/١٠ .
(٤) مقدمة زهر الربى : ص/١ .

الظن أنه زوائد المجتبى .

٢- زهر الربي على المجتبى لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) وعلق على هذا السنن كما علق على سائر الكتب من الصحاح الستة ، هو حل فيه بعض ألفاظه ولم يتعرض بشئ للأسانيد وقد طبع من المجتبى مراراً . ولهذا التعليق مختصر باسم « عرف زهر الربي » لعلي بن سليمان الدمناتي المغربي (ت ١٣٠٦هـ) وقد طبع بالقاهرة ١٢٦٦هـ .

٣- حاشية لأبي الحسن محمد بن عبد الهادي السندي (المتوفى بالمدينة المنورة ١٢٢٦هـ) وهي مطبوعة مع زهر الربي والسنن (١) .

٤- تأليف لأبي عبد الرحمن محمد البنجابي ومحمد عبد اللطيف ، طبع في دلهي عام ١٨٩٨م ، مع شرح مجمع من السيوطي والسندي وغيرهما .

٦- مكانة سنن النسائي بين الكتب الستة :

إن الإمام النسائي اختار منهجاً دقيقاً في كتابه فرتبه على الأبواب الفقهية والتزم التحرى والدقة في الرجال والتشدد في قبول الروايات . وقد أطلق على كتابه اسم الصحيح كثير من الأئمة منهم ابن مندة (ت ٢٩٥هـ) ، وابن السكن صاحب الصحيح (ت ٣٥٢هـ) وأبو علي النيسافوري ، وابن عدى والخطيب ، والدارقطني ، قالوا : كل ما فيه صحيح ، وانتقد عليه الشيخ على القارئ وقال : فيه تساهل صريح ، وشذ بعض المغاربة ففضله على كتاب البخاري ولعله لبعض الحيثيات الخارجة عن كمال الصحة والله أعلم (٢) .

---

(١) انظر تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين : ١/٢٦٧-٢٦٨ ، وتاريخ الأدب العربي : ٢/١٩٦ .

(٢) انظر مرقاة المفاتيح : ١/٢٤ .

٧ - شرط النسائي في كتابـــــه :

فقد عرف الإمام النسائي بالتحرى والدقة حتى قيل : إن له شرطاً في الرجال أشد من شرط مسلم .

قال العلامة محمد أنور الكشميري : قد استنبطت شروط من صنيع هؤلاء الأئمة أرباب الصحاح ، فشرط صحيح البخاري الإتقان وكثرة ملازمة الراوي للشيخ ، وشرط مسلم الإتقان ولم يشترط كثرة الملازمة بل يشترط بثبوت اللقاء ، واكتفى بمحض المعاصرة بين الراوي والشيخ ، وهذا هو مذهب جمهور المحدثين ، واشترط أبو داؤد والنسائي كثرة الملازمة فقط ، ولم يشترط أبو عيسى الترمذي شيئاً منهما (١) .

والمعروف أن مذهب النسائي في تخريج الأحاديث مذهب متسع لا يقتصر في التخريج على الرواة المتفق على قبولهم ، بل يأخذ رواية المختلف فيه أيضاً ، كما في الفية العراقي حيث قال :

و النسائي يخرج من لم يجمعوا
عليه تركاً مذهب متسع

قال الحافظ السخاوي : في شرح هذا الكلام أي كان الحافظ أبو عبد الرحمن النسائي لا يقتصر في التخريج على المتفق على قبولهم ، بل يخرج حديث من لم يجمعوا أي أئمة الحديث عليه تركاً أي تركه حتى إنه يخرج من مجهولين حالاً وعيناً للاختلاف فيهم

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني : إن المراد من الإجماع على تركه إجماع المتشددين والمتوسطين من أئمة النقد ، فالمراد بالإجماع الإجماع الخاص ، وأما المتساهلون فلا عبرة بتوثيقهم مثلاً إذا اختلف في رجل

---

(١) معارف السنن : ١/٢٠ .

٣

فضعفه أحد من المتشددين مثل يحيى القطان وقواه أحد من المتوسطين مثل عبد الرحمن بن مهدي . فحينئذ لا يتركه النسائي . وأما إذا اتفق المتشددون والمتوسطون على تضعيف رجل . فحينئذ لا يأخذ النسائي روايته وإن قواه أحد من المتساهلين (١) .

قال السخاوي : فكم من رجل أخرج له أبو داؤد والترمذي تجنب النسائي إخراج حديثه بل تجنب النسائي إخراج حديث جماعة من رجال الشيخين حتى قـــال بعض الحفاظ . إن شرطه في الـــرجال أشد من شرطهما (٢) .

حكى أبو الفضل ابن طاهر قال : سألت سعد بن علي الزنجاني عن حال رجل من الرواة فوثقه فقلت إن النسائي لم لم يحتج به ؟ فقال : يا بني ! إن لأبي عبد الرحمن شرطاً في الرجال أشد من شرط البخاري ومسلم (٣) .

علق الحافظ الذهبي على هذه الرواية وقال : صدق فإنه (النسائي) لين جماعة من رجال صحيحي البخاري ومسلم (٤) .

وإني أرى أن شروط الصحيحين أعلى من شروط غيرهما . ومثل هذا القول يرجع إلى اختلاف أنظار المجتهدين . وأيضاً هذا يدل على شدة تحري النسائي ودقته وكان هذا المنهج داعياً أن يترك أحاديث ابن لهيعة . قال أحمد بن نصر الحافظ « من يصبر على ما يصبر عليه النسائي ؟ كان عنده حديث ابن لهيعة ترجمة فما حدث عنه بشئ » وكان لا يرى أن

---

(١) فتح المغيث : ١/٨٢ .   (٢) مقدمة فتح الباري : ص/١٠ .

(٣) شروط الأئمة الستة : ص/٢١ . وسير أعلام النبلاء : ١٤/١٢١ . والبداية والنهاية : ١١/١٢٢ .

(٤) سير أعلام النبلاء : ١٤/١٢١ .

يحدث بحديث ابن لهيعة (١) .

٨ - درجات أحاديث السنن :

قال الحافظ أبو الفضل ابن طاهر : كتاب أبي داؤد والنسائي ينقسم على ثلاثة أقسام :

الأول : الصحيح المخرج في الصحيحين .

الثاني : صحيح على شرطهما ، وقد حكى أبو عبد الله بن مندة أن شرطهما إخراج أحاديث أقوام لم يجمع على تركهم إذا صح الحديث باتصال الإسناد من غير قطع ولا إرسال ، فيكون هذا القسم من الصحيح إلا أن طريقه لا يكون طريق ما أخرجه البخاري ومسلم في « صحيحيهما» بل طريقه طريق ما ترك البخاري ومسلم بن الحجاج لما جزنا أنهما تركا كثيراً من الصحيح الذي حفظاه .

الثالث : أحاديث أخرجاها من غير قطع منهما بصحتها وقد أبانا علتها بما يفهمه أهل المعرفة .

وإنما أودعا هذا القسم في كتابيهما لأنه رواية قوم لها واحتجاجهم بها فأورداها وبيّنا سقمها لتزول الشبهة ، وذلك إذا لم يجد له طريقاً غيره لأنه أقوى عندهما من رأى الرجال (٢) .

٩ - خصائص سنن النسائي :

اختص كتاب السنن للنسائي بعديد من الخصائص التي تضفي عليه أهمية خاصة تدل على جلالة قدر الكتاب ومكانته بين مصادر السنة مما جعله مرجعا هاماً للعلماء والمحدثين والفقهاء على مر العصور حتى يومنا

---

(١) شروط الأئمة الستة : ص/٢٢ .

(٢) ديباجة زهر الربي : ١/٤ . وانظر شروط الأئمة الخمسة : ص/١٢ .

هذا ، وتستطيع أن تلخص هذه الخصائص فيمايلي

١ - قصد النسائي في سننه جمع ما ثبت عن رسول الله - ﷺ - من أحاديث الأحكام مما يمكن أن يستدل به الفقهاء فجمع بين الحديث والفقه ، إلى حد ما ، لأنه استنبط من الحديث مسائل عديدة على طريقة الإمام البخاري ، وسلك طريقة جمع الأسانيد في مكان واحد كصنيع مسلم بن الحجاج فكان في حقيقة الأمر جامعاً بين طريقي البخاري ومسلم ، كما أورد في باب الوضوء مما غيرت النار حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - من خمسة طرق (١) و حديث عائشة - رضي الله عنها - إن رسول الله - ﷺ - كان يغتسل وأنا من إناء واحد إلخ ، من أربع طرق في مكان واحد (٢) .

كما أخرج حديث أمر النبي - ﷺ - أن يسجد على سبعة أعضاء إلخ (٣) من تسع طرق في تسعة أبواب واستخرج في كل باب مسألة جديدة ، وأخرج حديث عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - ﷺ - كان إذا أراد أن ينام وهو جنب توضأ إلخ ، في ثلاثة أبواب بأسانيد مختلفة واستنبط منه كل مرة مسألة جديدة (٤)

٢ - إنه لا يكرر الأسانيد ذات المتون المتشابهة ، بل إذا اضطر لتكرار الحديث يحاول أن يأتي بإسناد آخر فيه مغايرة لبعض الرواة أو تكون في المتن زيادة ، كما أخرج حديث علي بن أبي طالب بطريق أبي أفلح الهمداني عن زرير أنه سمع علي بن أبي طالب يقول : *إن نبي الله - ﷺ - أخذ حريراً فجعله في يمينه وأخذ ذهباً فجعله في شماله ، ثم قال :* إن

---

(١) سنن النسائي : ١/١٠٥　　(٢) سنن النسائي : ١/١٢٩ .

(٣) سنن النسائي : ٢/٢٠٨-٢١٠ و ٢١٥-٢١٦ .

(٤) انظر سنن النسائي : ١٠/١٢٩ .

هذين حرام على ذكور أمتي .

ثم أخرج هذا الحديث بطريق آخر فيه عن رجل من همدان يقال له أبو صالح عن زرير أنه سمع علي بن أبي طالب إلخ .

ثم قال : أخبرنا محمد بن حاتم قال : حدثنا حبان قال : أنبأنا عبد الله عن ليث بن سعد قال : حدثني يزيد بن حبيب عن ابن أبي الصعبة عن رجل من همدان يقال له أفلح عن ابن زرير أنه سمع علياً إلخ (١) .

٣- اعتني النسائي بذكر اسم من أغفل اسمه في الإسناد وبين ذلك ورفع الإبهام وإذا كان الراوي معروفاً بكنيته يذكر اسمه ، وإذا كان معروفاً باسمه يذكر كنيته كما قال : أبو عمار اسمه عريب بن حميد ، وعمرو بن شرحبيل يكني أبا ميسرة (٢) ، وقال : أبو معشر هذا اسمه زياد بن كليب (٣) ، وقال : أبو المتوكل عن أبي سعيد الخدري ، اسمه علي بن داؤد (٤) كما قال أبو كثير سمع أبا هريرة اسمه : يزيد بن عبد الرحمن (٥) .

واذا أورد اسمه فهو يذكر نسبه كما قال : إسماعيل بن جعفر هو ابن جعفر بن أبي كثير القاري (٦) كما قال : أزهر هو ابن سعد السمان (٧) .

٤- وقد اعتني النسائي فيما يرويه عن الحارث بن مسكين (٨) أن يقول الحارث بن مسكين قراءة عليه وأنا أسمع (٩) ولا يقول حدثني ولا

---

(١) سنن النسائي : ٨/١٦٠ . (٢) السنن : ٥/٤٩ . (٣) السنن : ٤/١٧ .
(٤) السنن : ٨/٢٩٢ . (٥) السنن : ٨/٢٩٤ . (٦) السنن ٢/١٩ .
(٧) السنن : ١/٤٢ .
(٨) الحارث بن مسكين أبو عمرو المصري قاضيها ، ثقة فقيه ، من العاشرة مات سنة خمسين ومائتين ، تقريب التهذيب : ١/١٤٤ .
(٩) سنن النسائي : ١/١٢٤ .

أخبرني لأنه لم يقصد بالتحديث ، وإنما كان يهمعه من غير أن يشعر به ، قال ابن الأثير : قيل : إنه أتى الحارث بن مسكين في زي أنكره ، عليه قلنسوة وقباء ، وكان الحارث خائفاً من أمور تتعلق بالسلطان فخاف أن يكون عينا عليه فمنعه فكان يجيئ فيقعد خلف الباب ويسمع ، ولذلك ما قال حدثنا الحارث ، وإنما يقول : قال الحارث بن مسكين قراءة عليه وأنا أسمع (١) وهذا يدل على غاية الاحتياط والورع للنسائي .

٥- قد وقع فيه حديث عشاري يعني بينه وبين النبي -ﷺ- عشرة أنفس هو ما رواه في كتاب الصلاة (٢) من حديث أبي أيوب مرفوعاً : قل هو الله تعدل ثلث القرآن ، وقال النسائي : ما أعلم في الحديث إسناداً أطول من هذا .

وقال السيوطي (٣) : هذا الحديث رواه الترمذي وهو عشارى للترمذي أيضاً ، قلت : فهذا الحديث بالنسبة إلى السيوطي وأمثاله في غاية العلو ، وبالنسبة إلى الإمام النسائي والترمذي في غاية النزول .

٦- وغاية ما في سنن النسائي من العلو هو الرباعيات أي ما بين المصنف وبين النبي -ﷺ- فيه أربع وسائط ، قال السخاوي : وهي أي الرباعيات أعلى ما في صحيح مسلم وسنن النسائي (٤) .

٧- إنه لا يخلى كتابه من النقل عن الفقهاء ، وإن كان ذلك قليلاً كما نقل عن مسروق فتوى في الهدية والرشوة وفي شرب الخمر (٥) ونقل عن سعيد ابن المسيب وإبراهيم النخعي وغيرهما (٦) وفعل ذلك في مواضع أخر من كتابه .

[يتبع]

---

(١) انظر جامع الأصول : ١/١٩٦-١٩٧ . (٢) سنن النسائي : ٢/١٧١ .
(٣) تدريب الراوي : ص/١٦٦ . (٤) فتح المغيث : ٢/١١ .
(٥) المصدر السابق : ٨/٢١٤-٢١٥ (٦) المصدر السابق : ٨/٢٢٤ .

منهجية البحث العلمي [٢] :

قضية « المصادر » و « المراجع »

بقلم د/ظفر الإسلام خان
مدير معهد الدراسات الإسلامية والعربية بدلهي الجديدة

تنقسم المصادر إلى أولية وثانوية . ولسهولة الأمر سنطلق على المصادر الأولية وصف «المصادر» وعلى المصادر الثانوية وصف «المراجع» والتقسيم الواضح بين هذين النوعين من المصادر ليس سهلاً . ولكن يمكننا أن نقول - تبسيطاً للأمر - أن « المصادر» هي أدلة وشهادات أولية ألفها أو أدلى بها أصحابها أو شهودها بناءاً على ما مروا به أو شاهدوه من تجارب وأحداث وأفكار إلخ . أما « المراجع » فهي - مثل بحثك - نتاج جهد بشري يعتمد مباشرة على نتائج جهود الآخرين . وتتمثل « المراجع » عموماً في الكتب والمقالات وهي توجد عموماً في المكتبات العامة ويمكن الاهتداء إليها عن طريق قوائم المكتبات وبطاقاتها والقوائم الببليوغرافية العامة والمتخصصة . ويمكن أن تكون « مراجع » الدراسات الإسلامية والعربية بأية لغة عصرية بما فيها اللغة العربية نفسها .

المصادر : وينبغي عليك كباحث أكاديمي أن تعتمد في بحثك على المصادر الأساسية . وكلما كان المصدر قديماً وأقرب - زمناً - إلى الأحداث التي يتناولها كلما كان أكثر قيمة وأجدر بالاعتماد عليه . وكلما كان المصدر حديثاً وبعيداً عن الأحداث والقضايا التي يتناولها كلما كان غير جدير بالاعتماد عليه في بحثك الأكاديمي . وعلى سبيل المثال لو أردت تقصى المعنى الدقيق لكلمة عربية ما . فعليك الرجوع إلى أقدم المعاجم

العربية المتوفرة بدلاً من النظر في معاجم عصرية كالمنجد ، ولكنك لو أردت أن تجرى دراسة مقارنة لتطور معاني كلمة ما فعليك الرجوع إلى كل المعاجم المتوفرة وإمعان النظر في ما يورده مؤلفوها حول معاني كلمة ما ، لتلاحظ الفروق التي تطرأ جيلاً بعد جيل وقرناً بعد آخر ، وفيما يلي ثبت ببعض المعاجم العربية المتوفرة في صورة مطبوعة ، وهي مرتبة حسب سنوات وفاة مؤلفيها (وهكذا ينبغي عليك وضع مصادرك الأساسية خلال عملية البحث وفق ترتيب زمني لتميز الأهم من الهام)

= الفراهيدي ، الخليل بن أحمد (م : ١٦٠/٧٧٦-٧٧٧) « كتاب العين » تحقيق : أنستاس كرملي

= أبو زيد الأنصاري (م : ٢١٥/٨٣٠) « كتاب النوادر» تحقيق : سعيد الخوري الشرتوني (بيروت ١٨٩٤م) ، و « كتاب الهمز» تحقيق : لويس شيخو (بيروت ١٩١٠م)

= ابن الأنباري (م : ٣٢٧/٩٢٨-٩٢٩) « كتاب الأضداد » تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (الكويت)

= الأزهري (م : ٢٧٠/٩٨٠-٩٨١) « كتاب التهذيب » تحقيق : عبد السلام محمد هارون (القاهرة)

= الجوهري (م : ٢٩٢/١٠٠٢) « الصحاح في اللغة » (القاهرة)

= ابن فارس (م : ٢٩٥/١٠٠٤) « معجم مقاييس اللغة » (القاهرة ١٢٧١هـ - ١٩٥١م)

= ابن سيدة (م : ٤٥٨/١٠٦٥-١٠٦٦) « المحكم » تحقيق : مصطفى السقا وحسين نصار (القاهرة)

= الراغب الأصفهاني (م : ٥٠٢/١١٠٨) « المفردات في غريب القرآن »

(بيروت ب. ت.) .

= الزمخشري (م : ٥٢٨/١١٤٣-١١٤٤) « أساس البلاغة » (القاهرة ١٣٤١هـ) .

= ابن الأثير الجزري (م : ٦٠٦/١٢١٠) « النهاية في غريب الحديث » (القاهرة ١٣١١هـ - ١٨٩٣م) .

= المطرزي (م : ٦١٠/١٢٢٠) « المغرب في ترتيب المعرب » (حلب ١٩٧٩م) .

= الرازي (م : بعد ٦٦٦/١٢٦٨) « مختار الصلح » (القاهرة ١٩٧٦م) .

= ابن منظور (م : ٧١١/١٣١١) « لسان العرب » (بيروت ١٩٥٦م) .

= الفيومي (م : ٧٧٠/١٣٦٥-١٣٦٦) « المصباح المنير» تحقيق : مصطفى السقا (القاهرة ١٩٥٠م) .

= الفيروزآبادي (م : ٨١٧/١٤١٥) « بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز» (القاهرة ١٩٧٠م) « القاموس المحيط » (القاهرة ١٩٥٢م).

= الزبيدي (م : ١٢٠٥/١٧٩٠) « تاج العروس » (بنغازي ١٩٦٦م) .

ونفس الشيء ينطبق على دراسة التاريخ الإسلامي على سبيل المثال .. فلن نعتمد في دراستنا الأكاديمية عن أوائل التاريخ الإسلامي على دراسات حديثة مثل كتابات أحمد أمين أو أحمد شلبي (وإن كانت هذه الكتابات ستفيدنا في كيفية فهم مؤرخين معاصرين لتلك الحقبة وستدلنا ، كذلك ، إلى بعض المصادر والمراجع) بل سنعود إلى أقدم المؤلفات مثل (على سبيل الذكر لا الحصر) :

= ابن أبي طاهر طيفور (م : ٢٨٠/٨٩٢) « تاريخ بغداد » (المجلد السادس هو الباقي في أيدينا وهو يتناول عصر المأمون منذ دخوله بغداد

إلى وفاته عام ٢١٨هـ - ٨٣٢م) .

= البلاذري (م : نحو ٢٧٩/٨٩٢) « فتوح البلدان » تحقيق : رضوان محمد رضوان (القاهرة ١٩٣٢م) (نشرة لأول مرة المستشرق الهولندي دي غويه سنة ١٨٧٠م) .

= الدينوري (م : ٢٨٢/٨٩٥) « الأخبار الطوال » تحقيق كراتشكوفسكي (ليدن ١٩١٢م) وعبد المنعم عامر (القاهرة ١٩٦٠م) .

= اليعقوبي (م : ٢٩٢/٩٠٤-٩٠٥) « تاريخ اليعقوبي » (النجف ١٣٥٨هـ) .

= الطبري (م : ٢١٠/٩٢٢-٩٢٣) « تاريخ الرسل والملوك » تحقيق دي غويه (ليدن) ومحمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة ١٩٦٩م) .

= خليفة بن خياط العصفري (م : ٢٤٠/٨٥٤) صاحب « التاريخ و « الطبقات » .

= المسعودي (م : ٢٤٦/٩٥٦-٩٥٧) « أخبار الزمان ومن أباده الحدثان (القاهرة ١٩٣٨م) « التنبيه والاشراف » تحقيق : دي غويه (ليدن وعبد الله إسماعيل الصاوي (القاهرة ١٩٣٨م) « مروج الذهب ومعادن الجوهر» تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة) .

وسيقل اعتمادنا على متأخرين مثل :

= مسكويه (م : ٤٢١/١٠٢٠) صاحب « تجارب الأمم وتعاقب الهمم تحقيق : أ. ف. امدروز ١٩١٦م ، والذي انتهى فيه إلى سنة وفاة عضد الدولة (٢٧٢/٩٨٢) (فهما يتعلق بتاريخ فترة ما قبل البويهيين) .

= ابن الجوزي (م : ٥٩٦/١١٩٩-١٢٠٠) « المنتظم في تاريخ الملوك والأمم » (حيدرآباد الدكن ١٢٩٥هـ) (فيما يتعلق بتاريخ ما قبل العه

السلجوقي) .

= ابن الأثير (م : ٦٢٠/١٢٢٢-١٢٢٣) « الكامل في التاريخ » (القاهرة ١٢٤٨هـ) .

= ابن الطقطقي (م : ٧٠٩/١٢٠٩) « كتاب الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية » فيما يتعلق بالغزو التتري وسقوط الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦/١٢٥٨م) .

= الذهبي (م : ٧٤٠/١٢٣٩-١٢٤٠) « كتاب دول الإسلام » (حيدرآباد الدكن ١٢٢٧هـ)(أكمله السخاوي على نفس منهجه إلى سنة ٩٠١هـ وسماه « الذيل التام لدول الإسلام » « تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام » (القاهرة ١٢٦٨هـ) .

= ابن تغرى بردي (م : ٨١٢/١٤١٠) « النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة » (القاهرة ١٩٢٩م) .

= السيوطي (م : ٩١١/١٥٠٥) « تاريخ الخلفاء » تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد (ط. ٤ القاهرة ١٩٦٩م) (يشمل التاريخ من أيام أبي بكر إلى عهد قايتباي) « حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (أويسالا ١٨٢٥م) (فيما يتعلق بفترة ما قبل المماليك) .

إلا أن هذه المصادر نفسها تصبح غاية في الأهمية حين تتحدث عن أحداث عصرها أو ما قبل عصرها بقليل (مثل رواية مسكويه عن البويهيين) .

ولكن مبدأ « المصدر القديم أفضل من الحديث » لا ينطبق على الحالات .. فمن المعهود في المؤلفات العربية القديمة أنها أشبه بموسوعات في مجالها وهي تحصى كل ما وصل إليه العلماء والمؤرخون إلى

لمؤلف وهي بالتالي كثيراً ما تحوى في طياتها كتبا أو أجزاءا من كتب تعتبر مفقودة الآن . ويشير المؤلفون المحدثون في بعض الأحايين إلى مصادر معلوماتهم ويهملون ذكرها في أكثر الأحايين . وقد جمع البعض في السنوات الأخيرة كتباً تاريخية وفقهية اندرست بعد استقاء مقتطفاتها من بطون مختلف الكتب المتأخرة . وعلى سبيل المثال : جمع الدكتور محمد مصطفى الأعظمي أجزاء من كتاب عروة بن الزبير (م : نحو ٩٢/٧١١-٧١٢) « مغازي رسول الله » (الرياض ١٤٠١هـ - ١٩٨١م) بعد استخراجه من بطون مختلف الكتب التي حوت اقتباسات منه . ولعله أول ما دون في السيرة النبوية .

وأحياناً يصل الباحثون إلى كتب ظن الناس أنها اندرست منذ زمن طويل ولم يجدوا إلا مقتطفات منها في بعض الكتب . وعلى سبيل المثال : اكتشف الباحث التركي أ. ز. ف. طوقان (A.Z.V. Togan) في مشهد سنة ١٩٢٢م رسالة أبي دُلَف مِسْعَر بن مهلهل (م : نحو ٢٩٠/نحو ١٠٠٠) حول رحلته عبر آسيا الوسطى وبلاد فارس (نشرت بالقاهرة سنة ١٩٥٢م ثم بموسكو سنة ١٩٦٠م) ومن هذه الكتب رسالة ابن فضلان في بلاد البلغار « رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩هـ » تحقيق : سامي الدهان (دمشق ١٩٥٩م) والتي كانت معروفة من قبل عبر مقتطفات منها استخدمها ياقوت الحموي (م : ٦٢٦/١٢٢٨-١٢٢٩) في « معجم البلدان » تحقيق : وستنفلد (لايبزيغ ١٨٦٨م) والقزويني (م : ٦٨٢/١٢٨٣م) في « آثار البلاد وأخبار العباد » تحقيق : وستنفلد (غوتنغن ١٨٤٨م) .

وانطلاقاً من نفس هذا المعيار يمكن اعتبار تاريخ الطبري « تاريخ

الأمم والملوك » (انتهى إلى حوادث سنة ٣٠٢هـ) مصدراً للقرن الأول ونصف القرن الثاني الهجري . وذلك لأن الطبري يستخدم مؤلفات اندرست مثل كتابات سيف بن عمر التميمي (م : ٢٠٠/٨١٥) صاحب كتب « الجمل » و « الفتوح الكبير» و « الردة » والزهري (م : ٢٤٩/٨٦٣) صاحب كتاب « الضعفاء » في رواة الحديث و أبو مخنف الأزدي (م ١٥٧/٧٧٤) صاحب « فتوح الشام » وغيرها من المؤلفات (التي بقي بعضها مثل « مقتل الحسين » و « أخبار المختار بن أبى عبيد الثقفي » والمدائني (م : ٢٢٥/٨٤٠) صاحب المؤلفات في المغازي والسيرة النبوية وسير الخلفاء بقيت منها « المردفات من قريش » و « التعازي » وهم المؤلفون الذين كانوا قد جمعوا أدق المعلومات حول الأسر والقبائل وغيرها من الآثار . وابن الأثير (م : ٦٣٠/١٢٣٢-١٢٢٣) في « الكامل في التاريخ » يقدم لنا معلومات هامة ابتداء من القرن السادس الهجري الثالث عشر الميلادي . إلا أنه يتحفنا أحياناً بمعلومات أغفلها من سبقوه من مؤرخين حول وقائع الجناح الشرقي من العالم الإسلامي كذكره لتفاصيل المعارك التي جرت بين العرب والصينيين في آسيا الوسطى في القرن الثامن الميلادي . والتي قررت التوجهات التاريخية والثقافية لتلك المنطقة لقرون طويلة قادمة . ويملك ابن الكثير كذلك معلومات وفيرة حول المغرب والأندلس على بعدهما من « الجزيرة » حيث كان ابن الأثير يقيم تحت رعاية أتابك الموصل .

[يتبع]

الكتب المحرفة وشهادة القرآن عليها

محمد رشيد - كاليكوت - كيرلا

إن غاية الرسالات السماوية محيطة بسعادة البشرية ، وهذه الرسالات تسعد الإنسانية بالفوز في الدنيا والآخرة ، وعلى الإنسان أن يعترف بألوهية الله وأنه خالقه ورازقه ، وأن يعبده وحده دون غيره من المخلوق ، وتتطلب الشريعة الإسلامية أن تكون حياة الإنسان حسب مقتضياتها وإلا تكون متعرضة للدمار والهلاك ، ويخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين ، ولتصريح هذه الحقائق أرسل الله الأنبياء في أحقاب مختلفة ، قاموا بهذه المهمة العظيمة أحسن قيام ، ومن المعلوم أن الله أوحى إلى هؤلاء الأنبياء وأنزل معهم الكتب والصحف .

يقول الله تعالى : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داؤد زبوراً • ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً • رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ (سورة النساء ، الآيات : ١٦٢-١٦٥) .

ويقول الله عزوجل : ﴿ وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدىً ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدىً وموعظةً للمتقين • وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ (سورة المائدة ، الآية : ٤٦-٤٧) .

والإنجيل من الكتب المنزلة المحرفة ، وهي يعد اليوم بأناجيل أربعة : إنجيل متى ، إنجيل مرقس ، إنجيل لوقا ، إنجيل يوحنا ، وكتاب أعمال الرسل للوقا وعدة رسائل لبولس ، وبطرس ويعقوب ويهوذا

ويوحنا ، ولو أمعنا النظر في هذه الأناجيل التي تعرف بالكتاب المقدس لنرى أن هناك تلاعباً جرى بكلام الله ، وافترى على المسيح - عليه الصلاة والسلام - وأما الأناجيل الأربعة المتداولة اليوم عند النصارى فقد اختيرت من مآت الأناجيل التي عمت في القرن الرابع الميلادي ، ولغتها غير لغتها اليوم ولكن لم يعلم من هو المترجم لهذه الأناجيل من لغتها الأصيلة .

« في سنة ٣٨٤هـ أمر البابا داماسيوس بترجمة لاتينية جديدة من العهدين القديم والحديث للكنائس ، وكان تيودويس الملك قد ضجر من الخصامات الجدلية بين الأساقفة ، قال مرتب الأناجيل : « بعد أن قابلنا عدداً من النسخ اليونانية القديمة ورتبناها بمعنى أننا نقحنا ما كان فيها مغايراً للمعنى وأبقينا الباقي على ما كان عليه » ، ثم إن هذه الترجمة قد ثبتها المجمع ، « الزيد تتين » سنة ١٥٤٦م أي بعدها على ما كان عليه ، ثم إن هذه الترجمة قد ثبتها سنة ١٥٩٠م وأمر بطبع نسخ جديدة ثم خطأ كلمنغوس الشام هذه النسخة الثانية أيضاً وأمر بطبعة جديدة منقحة هي الدارجة اليوم عند الكاثوليكيين » [تفسير الجواهر : ج ٢ ، ص/١٢١ ، الطبعة الثانية] .

ادخل في كتاب الأناجيل الأراجيف والأكاذيب ، وتسرب إليها أساطير وخرافات . واختلق علماء المسيحية في القضايا التي تتصل بشأن المسيح (ع) لها ، وتعاليمه أباطيل ، وامتزجت المسيحية بالوثنية والمجوسية والبوذية ودب إليها مسألة التثليث وقضية الصليب والفداء وكذلك قضية طبيعتين للمسيح ، هما : ناسوتية و لاهوتية [راجع للتفصيل تفسير المنار ، الجزء السادس] .

« التوراة والأناجيل المنزلة من الله نراها اليوم محرفة ، هذا ما يعترف به علماء الأناجيل » .

Kurt Kuhl - the Old testament: its Origin and Com post Hom (LONDON 1961) (PP 47, 51, 52).

وافترقت الديانة المسيحية إلى فرق وأحزاب ، وتفرد كل واحد منهم بكتاب مختص وعدوا ما عداها باطلة ومحرّفة ، وأما تبرير علماء النصارى أن الكتاب المقدس دون بأقلام ملهمين ، فيكفي لتفنيد هذا الدعوى أنها تعارض بعضها بعضاً .

إن الكتاب المقدس صور المسيح بأبشع تصوير وفيما يلى بعض النماذج لذلك .

إن يسوع المسيح (ع) ، جاء إلى الأرض ليشيع الفتنة وإليه يشير هذه الكلمة .

« ولا تظنوا أني جئت لألقى سلاماً على الأرض ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً [متى : ١٠-٢٤] .

وفي موضع آخر يقول : « جئت لألقى ناراً على الأرض فماذا أريد لو اضطرمت ولي صبغة اصطبغها وكيف انحصر حتى نكمل ، *أتظنون أني* جئت لاعطى *سلاماً على* الأرض كلا *أقول لكم بل إنقساماً » [لوقا* ١٢-٤٩-٥١] .

وغلوّ النصارى في دينهم قد سبب عدم الوصول إلى دين الله الصحيح ورضا الله سبحانه وتعالى ، يقول الله تعالى :

﴿ ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به ، فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ، وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ﴾ (سورة المائدة ، الآية :١٤) .

والتقط كتاب الأناجيل من أهواء الذين ضلوا وأضلوا وشوّهو شخصية المسيح - عليه الصلاة والسلام - وتعاليمه بأبشع الصور ، ومن بعض نماذج التشويه :

« أنا والأب واحد » [يوحنا ١٠ - ٣٠] .

« فاذهبوا وتلّمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والإبن والرو

المقدس » [متى ٢٨ - ١٩] .

« وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد » [يوحنا ١٧ - ٢٢] . أراد الله أن لا يهلك القوم ولهذا بذل إبنه فداء للأمة .

« لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » [يوحنا ٣ - ١٦] .

وهناك كثير من انحرافات النصرانية التصقت بالكتاب المقدس لا يتسع المجال لذكرها . وهذا الانحراف دب إليهم بسبب تقليدهم بالأمم السالفة كما ذكرنا آنفاً . يقول تعالى :

﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾ (سورة المائدة الآية : ٧٧) .

يقول تعالى عن مصير الشؤم لهؤلاء الذين تلاعبوا بكلام الله :

﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله • ليشتروا به ثمناً قليلاً • فويل لهم مما كتبت أيديهم • و ويل لهم مما يكسبون ﴾ (سورة البقرة . الآية : ٧٨)

فالحقيقة أن الديانة المسيحية تقوم على المعتقدات الفاسدة والأساطير والأهواء البشرية التي ما أنزل الله بها من سلطان . واختلقت كثيراً من الأباطيل باسم المسيح - عليه الصلاة والسلام - كذباً وافتراءاً عليه . دعا القرآن الكريم النصرانية إلى ابتعاد عن هذه الخرافات والأباطيل إلى تعاليم المسيح - عليه الصلاة والسلام - الحقة ومن الضلالة إلى الهداية ومن الظلمات إلى النور حيث قال :

﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير،قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين ﴾ (سورة المائدة . الآية : ١٥) .

سنن الله غالبة والنصر قادم

بقلم : فضيلة الشيخ سعود بن محمد آل عوشن - الرياض

إن الكثير من أبناء أمتنا أخذ يؤمن بالماديات أكبر من إيمانه بصدق وعد الله لعباده بالنصر والسنن الكونية الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل يتخذ من هذه الماديات من عدة أو عتاد مقاييس للقول بالنصر أو الهزيمة وقد نسي أو تناسى أن النصر بيد الله لا بالماديات وان كان مأموراً بالاستعداد للقاء العدو وأخذ كل حيطة . لكن ليس معنى هذا أن النصر بهذه الأسباب . إنما هي وسائل مأمور بها وفي نهايتها. انفاذاً للواجب . لكن لا تتخذ مبدأ للنصر أو الهزيمة أبداً فالنصر بيد الله والهزيمة من أمره وتقديره . ولنا بمراحل التاريخ وأطواره خير دليل على ذلك . فلو كانت الماديات مقياساً لأي معركة مضت لما قام للإسلام عزة في كل أطواره ومعاركه . فما كانت هناك يوماً ما معركة متقايضة . بل ولا متقاربة . فقد كان الفارق الكبير فيها لأولياء الشيطان . ولكن النصر لأولياء الرحمن رغم الفوارق في العدة والعتاد وكل جوانب النواحي المادية . فهل يعي أبناء بوش ذلك ويصححوا مفاهيمهم للحياة ومبادئها . أن سيبقون على عميائهم . يلهثون وراءهم في كل نازلة أو تهديد بها . ويسلون أنفسهم لذلك . لجوءاً وذلاً واتباعاً من غير ثقة بالنفس . أو نصراً لله إذا ما بذلت جهدها وآمنت بربها وجاهدت من أجله وحده . ونسيت أن الله ينصر من ينصره حقاً . ولنأخذ من تاريخنا المعاصر عبرة ففي جهاد أفغانستان أعظم دليلٍ على ذلك . فلقد قام الجهاد على توحيد الله ومناصرته وبأقل الإمكانيات المادية . بنادق تقابل قنابل و قاذفات و صواريخ . و بغال

وحمير تقابل طائرات ودبابات ، ورجال مؤمنون حفاة وشبه عراة أمام أكبر عملاق في الدنيا يملك أكبر الإمكانيات المادية جحافل جيوش جرارة تغطي الأرض والسماء وتمتد من أرض المعركة إلى مصدر القوة والتموين موسكو ، أي تناسب هذا وينصر من الله يندحر هذا العملاق مهزوماً أمام القوة الإلهية ، بل وينهار كالبناء الخرب ، فتتفكك أوصاله وتنهد أركانه وتذهب قواه وتتناثر أشلاؤه ، ويذهب يستحدى من غيره ، في طلب الدعم والمدد ، ويمد بأضعاف أضعاف ما يعطى للجهاد بأكمله ومع هذا لا تقوم له قائمة ، بل يزداد في الإحباط والانهيار فضلاً من الله ونعمة ، ويقطع المدد والدعم عن الجهاد والمجاهدين من المؤيدين والمناصرين بل ويشوه الجهاد ، ويراهن المراهنون على هزيمته وخسارته بعد فرض الحصار عليه ويشاء الله أن يندفع في الانتصار حتى يصل إلى قمة مراده المادية العاصمة ، فينزعج أصحاب الباطل ويوحدون قواهم رغم تباينهم في المبادئ والاتجاه ، والأديان ، وعداوة بعضهم لبعض ، ولكنه الكفر ملة واحدة ، واليوم ماذا يجابه المجاهدون ؟ إنهم يجابهون قوى الدنيا بكاملها أو غالبها ، قوى المكر والخديعة ، قوى الدس والافساد ، قوى التخريب والتفريق والتشتيت ، قوى شراء الضمائر للتفريق ، انهم لما أحبطوا في المجابهة والمواجهة بمادياتهم رغم تفوقها الذي لا يتناسب أو يقارب بما يواجهون به ، ذهبوا إلى سبل الشيطان وخطط الماسون فاندسوا في الصفوف وتحت الحجب ومن وراء الستار وباسم النصح والمودة والإصلاح حيث تتبع شهوات النفوس ونزواتها في حب السلطة والسيادة ليتخذوا منها وسيلة للتفريق بين المجاهدين وبالنمامة والوشاية والافتراء والتزوير وغير ذلك من الحيل الشيطانية ، ويجدون

من يسمى لهم أو يصغى لأقوالهم أو يتخذ بعض وصاياهم . ولاغرابة في ذلك فالمجاهدون بشر . يتأثرون بما يتأثر به البشر من مؤثرات خفية أ ظاهرة . وقد يسيرون وراء ذلك اعتقاد صدقه ونصحه وصوابه لما يلبس به من وسائل التلبيسات . وأحدث ما وصل إليه علم الإنسان من وسائل المكر والخديعة . لا من الأعداء الظاهرين ولكن من الأصدقاء والأصفيا والاخوان الذين اتُخذوا مطايا لذلك .

إن الجهاد اليوم في أفغانستان يواجه أشرس معركة وأقواها نفوذاً إنها معركة داخلية تسرى في الجسم كما يسرى الدم . إنهم شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض من الأصدقاء والأعداء . اتحدوا في جهوده وقواهم وحشدوها في الحيلولة دون إقامة حكم إسلامي . وقد استخدمو كل وسيلة وطريقة تواصل إليها العلم البشري فعسى الله أن يحبط كيدهم كما أحبط سحر سحرة فرعون وأن يثبت المجاهدين ويريهم الحق حقاً ويرزقهم اتباعه والباطل باطلاً ويعينهم على اجتنابه . وأ يبصرهم لخفايا الأمور وظواهرها .

وإننا لواثقون بحول الله لا شريك له أن النصر والعزة لله وحده ولرسوله والمؤمنين وانه سيقوم حكومة إسلامية عامة إن شاء الله تعالى طال الطريق لحكمة أرادها الله أم قصر لأمر قدره الله . المهم أن نطمئن ونؤمن بالنصر المبين إن شاء الله تعالى وأن نبذل ونجتهد ونجاهد ، في إمكاننا . فهذا واجبنا ونحن مأجورون عليه : أما النصر فهو بيد الله يهبه لمن يشاء ومتى شاء فنسأله ذلك لجهادنا في أفغانستان وفي كل مكان ولأمتنا الإسلامية عامة . انه سميع مجيب وبالاجابة جدير. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم .

رسالة إلى إخواننا العرب المسلمين

أسامة أمين الطيب
من دعاة الفلبين

أيها الإخوة الأعزاء ! إن القلوب دائماً معلقة بكم ، وإن العيون لتنظر إليكم وإن الآمال معلقة بكم بعد الله جل جلاله لما لسلفكم الصالح من الفضل العظيم والأجر الكبير في هدايتنا بإذن الله إلى هذا الدين القويم بعد أن كنا كغيرنا شبه حيوانات نأكل ونشرب ونتناسل ونعبد الأوثان كأي قطر لم يبلغه الإسلام ، وأنقذنا الله بفضله ومنته ثم بفضل أولئك الذين قطعوا الفيافي والفجاج خلال الشهور العديدة وبين الأخطار المحدقة من أمواج البحار وهوامه وقراصنته ، ويهلك البعض منهم شهيداً - إن شاء الله تعالى - ويصل إلينا بعد تلك المخاطر البعض لا لغرض مادي أو توسع سياسي أو أي غرض أخر سوى أداء الواجب في إبلاغ دين الله إلى عباده لإعلاء كلمته على أرضه وإظهار دينه لأنهم عرفوا واجبهم وأدركوا مسئولياتهم وخافوا يوم الحساب ، عرفوا معنى نزول القرآن الكريم في بلدهم وبلغتهم وعلى أحدهم ان ذلك يعني مما يعنيه تحمل العب ء الكبير في حمله وإبلاغه ، ثم أدركوا معنى الآيات الأخرى بإبلاغه والدعوة إليه وأن ذلك أمر واجب التنفيذ ، وعرفوا معنى التقصير فيه والحساب عليه ثم علموا علم يقين عظيم الأجر والثواب لمن قام بهذه الدعوة لأنها أهم وظيفة في الحياة فهي وظيفة الأنبياء والرسل ومن

تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . إذاً هذه أمور تقتضي التضحية بالغالي والنفيس والنفس والمال وكل ممتلكات الحياة من ماديات أو معنويات أو طاقات علمية أو عملية،وتعلموا ما فعلوا وحق لهم ذلك الفعل والفوز بالأجر والثواب لما أحدثوا من أثر فعال في هذه الجزر حيث أنقذوها من براثن الشرك إلى هدى الإسلام . فنسأل الله لنا ولهم القبول والغفران والفوز بعالي الجنان إنه سميع مجيب .

أيها الإخوة الأعزاء !

مع اعترافنا بجميلكم في مؤازرتنا في هذا العصر الحاضر بالمساعدات المادية والمعنوية منذ وبدء اليقظة الإسلامية الجديدة إلا أننا نعتبر أنفسنا وإياكم مقصرين تقصيراً كبيراً تجاه هذا الدين العظيم وما يجب له من الدعوة والإبلاغ . فنحن وإن كنا قد أخذنا في الدعوة إلى الله وأنشأنا المؤسسات التعليمية والتربوية باللغة العربية ، وعلى مناهج البلاد العربية ومنهج السلف الصالح بجهودنا الضعيفة ومساعدتكم بالإمداد المادي والمعنوي وساعدت هذه في نشر اللغة العربية لينفذوا إلى الإسلام من خلالها مباشرة فيرتووا من معينه الصافي واهتدى الكثير وأسلم كذلك من الوثنيين والنصارى . إلا أننا نعتبر أن هذه جهود ضعيفة وأعمال هزيلة . إذا قورنت بما يجب علينا جميعاً وبما نملك من الوسائل الآلية مما يمكن من إبلاغ دينه والدعوة إليه في كل دار وفي أي موقع وبأقصى سرعة وأقل تكلفة وأعطى الله منه الإسلامي من خزائن الأرض الظاهرة والباطنة ما لم يحصل عليه الأولون مما يهيئ لهم أداء هذا الواجب على خير وجه . لكن مع الأسف قصروا تقصيراً كبيراً . العاملون منهم والمديرون والمالكون للثروة إلا القليل . فبقيت شعوباً وأمما

تعرف من الإسلام إلا إسمه ومن عرف إسمه لم تبلغه حقيقته ، أنه دين الله الحق الذي يجب اتباعه ولم يعلم عن مبادئه ومحاسنه وأحكامه إلا ما ينقله أعداؤه من تشويهات له . ومع هذا تنقل الأمة الإسلامية وغيرها لعبة من لعب السفهاء - كالكرة مثلاً - وتبلغها إلى كل دار بصورها وأحكامها وقوانينها وسذاجها المسميين بالأبطال وغير ذلك وبكل لغة حتى يفهمها كل فرد،أما الإسلام فلا .. وإذا نقل عنه شيئاً نقلت صورة الكعبة المشرفة - حرسها الله - أو مظاهر الحجاج أو بعض المساجد وبدون دعوة وإيضاح على ما ينبغي وبلغات لا يفهمها إلا المسلمون مسبقاً فتصبح عند غير المسلمين كأي صورة أخرى . فالفاتيكان تنقل صورة الحشود فيه لصلاتهم الضالة ومعابد بوذا تنقل صورها بعباداتها وإله الصين كذلك وغيرها من صور المعابد والعبادات الضالة ، ولا يعرف من لا دين له أيها أصوب لأن هذه المنقولات مجرد دعاية لا دعوة وإيضاح .. ألا يعتبر عملنا هذا تقصيراً كبيراً في حق أنفسنا وديننا ؟ بلى والله ؟ ومن جانب أخر إذا رجعنا إلى تعليمنا ومدارسنا نجدها تقوم بالدرجة الأولى على رسوم طلابها الفقراء أو ما يتبرع به بعض الفقراء أو سديدي الحال ؟ لا الأغنياء .. وتسير الهوينا بشكل يزدراء . فالكتاب المدرسي الذي هو عماد التعليم لا يوجد إلا بالنقل من اللوح - السبورة - أو تصويراً لمن يجيد قيمة التصوير .. ومباني المدارس معظمها من القش والأخشاب والزنك . وبالإضافة إلى سوء مظهرها تهلهل ماء الأمطار على طلابها . والمدرسون معظمهم متطوعون أو بمكافآت رمزية . فيدرس درساً ويترك الأخر ولا عليه من سبيل ما دام متطوعاً .. والمراجع الإسلامية شبه معدومة . ورب الأسرة قد يدرس واحداً من أبنائه أو أكثر ولا

يدرسهم بالكلية لأنه قد لا يجد النفقات الدراسية من رسوم أو أدوات مدرسية .

وهكذا يسير تعليمنا الإسلامي بخط متعرة ، ومع هذا له أثر أكبر مما يعطى له من إمكانيات مادية أو معنوية ، وذلك فضل من الله ونعمة لا من البشر المقصرين أو أصحاب الباطل . ففي كل حي أو قرية تجد فيها مدرسة على الطراز الحديث بالبلاد ومجهزة بالمعلمين والكتب والوسائل المدرسية وحتى وسائل العلاج . وتستميل أبناء المسلمين بالإغراءات والعروض المادية فتعطيهم الكتب والمواد المدرسية مجاناً بل واللباس والعلاج . وفي بعض المواقع تعطي لأهلهم بعض الأطعمة والملابس . وفي مواقع أخرى تهئ لهم المساكن للعائلة بكاملها مقابل تمكينهم فقط واحداً في مدارسهم لينصروه أو يمسخوا من إسلامه فيكون حربة ضده وحتى الجبال العالية التي لا تصل إليها السيارات يصلونها بالطائرات المروحية أو على الدراب .. فمال هؤلآء القوم مع ضلالهم يبذلون بسخاء ويتعاونون بشدة ويتحملون من الأتعاب والغربة في المسافة ما لم نتحمله نحن أبناء البلاد وأبناء المسلمين .. وهم قد أتوا من بلاد الترف والنعيم .. لماذا هذه المفارقات أيها الإخوة الأعزاء .

أين الإسلام لا يتحمل في سبيله الساعات أو أيام قلاقل وعلى وسائل مريحة وفي نعم بدون مشاقة ويعتبر هذه مفاخرة .. وأين الضلال يقيم الشهور والسنين ويخترق الغابات ويتسلق الجبال العاليات ويجتاز المخاطر . كل ذلك في سبيل الدعوة إلى ضلاله .. لماذا هذه الفوارق ؟ ألا يدل ذلك على خلل في المنهج التربوي لأمتنا المعاصرة ؟ بلى والله إنه لبرهان عليه .

ولو نهجنا منهج رسول الله -ﷺ- في تربية أصحابه وما ساروا عليه
، تربية أتباعهم ومن بعدهم : أولئك الذين فتحوا الدين بكامله آنذاك .
و فعلنا ذلك لما سبقنا هؤلاء إلى أعمال التضحية والبذل في سبيل
لمبدأ . إن هذه هي رسالتكم حملة العلم والمعرفة ومسئوليتكم تجاه أمتكم
من . نزل هذا الدين القويم بلغته وفي بلده .. مسئوليتكم بالدرجة
لأولى ثم مسئولية كل فرد مسلم بأن تربوا الأمة الإسلامية على حمل همة
لإسلام وجعله أهم شئ في الحياة على الفرد المسلم فإذا بصرتموهم إلى
ذا الواجب وأشعرتموهم بمسئوليتكم ودبيتموهم على ذلك .. فإن هذا
ـفيل بإعادة دور - الأمة الإسلامية إلى مكانتها اللائقة بها .. فهل أنتم
ـاعلون ؟ إننا والله مقصرون ، نهتم لمأكلنا ومشربنا وراحتنا أكثر مما
هتم للإسلام بل الكثير منا لا يهمه إلا نفسه إسعادها بالماديات ولا يحمل
لإسلام هما ، ومن حمل منه شيئاً قارنه بمصلحته قبل الإقدام عليه ،
ـسأل الله العون والبصيرة لنا ولإخواننا في كل مكان .

يها الإخوة الأعزاء !

إن هذه مشاعر نحملها وأثقلت كواهلنا وأبدينا لكم طرفاً منها من باب
ـبادل الشعور والإحساس وإلا فنحن نعلم أن إخواننا العرب المسلمين
علم منا بهذه الأمور وما ينبغي تجاهها فلعلكم تشاركوننا في حمل هذه
لمشاعر وإبلاغها إلى إخوانكم الذين لم يبلغهم العلم بها ولعل المجلات
لإسلامية تنقل بعضاً من الصورة الواقية لأحوال هذه الأمة الواقعة في
لد نائي مختفي عن الأنظار لا إعلام عنه إلا إعلام السوء ومع أن الفلبين
بلد ذو خير وعطاء إلا أن مصادر الثروة والأعمال فيها استحوذ عليها
لنصارى بالسلطة الحاكمة بل حتى تجار المسلمين استحوذت عليهم

منظمات الضلال من ماسونية أو روتارية أو غيرها وسخرت أموالهم لخدمتها بالتخريب والانحلال باسم الإنسانية وخدمتها ورفاهيتها بدلاً من الهداية والرشاد ، ونذكركم والذكرى تنفع المؤمنين بأنكم بعلمكم هذا قد تحملتم شيئاً من المسئولية عن هذه الأمة فعليكم بذل المستطاع من الجهد والمال والعلم والعمل أو الإعلان أو التوعية لإصلاح هذه الأوضاع من ناحية ومن ناحية أخرى تجاه الدين وإبلاغه والدعوة إليه ، فلدينا غابات وجبال يسكنها بشر لم نبلغهم دين الله الحق بالطريقة التي يفهمونها ، إننا والله لمسئولون عن ذلك وقد يمسكون بنا يوم القيامة عند الواحد القهار ، ويطلبون الإنصاف لأنهم لم يبلغوا بهذا الدين رغم توفر الوسائل والاستطاعة لذلك نسأل الله العفو عند الحساب والرحمة يوم العقاب .

أيها الإخوة الأعزاء !

مع ما ذكرناه أعلاه من واجبات ومسئوليات ومشاعر فإننا نعترف بفضلكم سابقاً ولاحقاً ونقر بجهدكم ونقول أن لكم الباع الطويل في هذه الأعمال ونتائجها تعليماً ودعوة فما وجدنا المدد المادي والمعنوي إلا من الله ثم من إخواننا العرب المسلمين ، فنسأل الله لنا ولهم القبول والغفران والرحمة الواسعة كما نسأله أن يقدم النصر والتمكين للإسلام والمسلمين في إعلاء كلمة الله على أرضه ، وإظهار دينه على الدين كله ولو كره المشركون وما ذلك على الله بعزيز وبالإجابة جدير وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

•••••••

رسالة من السفارة التونسية في الهند

إن تونس الخضراء التي يرجع تاريخها إلى ثلاثة آلاف عام . دخلها الإسلام في القرن الأول من الهجرة وهي تعد قلعة الإسلام الأولى في الشمال الإفريقي . حيث أسس عقبة بن نافع مدينة القيروان وجامعها الشامخ . ومن هذه المدينة واصل الإسلام زحفه إلى أن اكتسحت جيوشه كامل الجزائر والمغرب إلى أن وصلت إلى الأندلس .

وتونس اليوم كما كانت بالأمس وفية لتراثها العربي الإسلامي وسوف لن تحيد عنه رغم كره المناهضين لها والمتآمرين على استقرارها ومناعتها وستبقى تونس منارة يحتذى بها في كل ما يتعلق بالأصالة الحقة والتفتح المتزن والتقدم المطرد من أجل رفع مستوى عيش مواطنيها وتوفير أسباب العيش الكريم والاكتفاء الذاتي كما أن تونس أرض الحضارات هي أيضاً أرض التلاقي والمحبة والتسامح ، قوتها تكمن في وحدة شعبها العربي المسلم وفي إخلاص ونزاهة قادتها الساهرين على جميع مستوياتهم على البذل والعطاء متخذين من قـــوله تعالى : ﴿ و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله والمؤمنون ﴾ صدق الله العظيم .

وجاء السابع من نوفمبر ١٩٨٧م وأخذ الرئيس زين العابدين بن علي مقاليد الحكم بعد انتخاب حر ونزيه من طرف شعب تونس الذي كان يترقب التغيير بفارغ صبر في خشية وقلق . وقد سعى الرئيس بن علي منذ توليه مقاليد السلطة إلى الاستجابة إلى طموحات الشعب وإلى زرع الثقة في النفس والاطمئنان والمصالحة بين كل الفئات وترسيخ جذور الحضارة العربية الإسلامية والاعتزاز بالانتماء إليها .

أخذت كلية الشريعة وأصول الدين حظها من جديد وأضيئت الجوامع وامتلأت بيوت الله المنتشرة في كافة ارجاء البلاد بالفقهاء والمدرسين والطلبة ، واستأنفت كلية الزيتونة نشاطها وفتحت أبوابها أمام الطلبة القادمين إليها من أقصى البلدان الإفريقية طالبين للعلم والدين . وأضيئت المساجد التي أقيمت في كل مكان . ولئن توخت تونس الجديدة الانجازات ذات الطابع الديني فإننا لا ننسى تعاليم ديننا الحنيف الذي يأمرنا بالاجتهاد والتطور ومواكبة العصر حتى يكون بحق ديناً صالحاً لكل زمان ومكان وحتى تكون بحق خير أمة أخرجت للناس . وفي نظرنا يجب على المرأة أن تضطلع بمسئولياتها داخل المنزل وخارجه . ويجب على المرأة أن تربي النشأ على أسس متينة تنبع من الروح الإسلامية الحنيفة ومبادئ الإسلام الحقة التي لا تتعارض مع مستوجبات العصر الحديث ولا تشل نصف قوى الشعب .

لذا . أولينا أساليب وبرامج التعليم الأهمية القصوى تفرضها علينا الحوار الجغرافي ووجوب التقدم العلمي والاقتصادي دون تنكر للمبادئ الإسلامية الأصيلة .

ولقد عرفت تونس بتوخيها دائماً السبل الموصلة والعملية . لذا وصفت دائماً بمرونة معالجتها للمشاكل مهما استعصت ومهما كبر حجمها .

[الملحق الصحفي بالسفارة التونسية]

فضيلة الشيخ السيد صبغة الله البختياري في ذمة الله

قلم التحرير

أفادت الأنباء بوفاة أحد علماء الهند الكبار، وهو الشيخ صبغة الله البختياري في ١٩ من شهر ذي القعدة ١٤١٢هـ المصادف ١٢ مايو ١٩٩٢م وقد كان مريضاً منذ مدة في مدينة مدراس جنوبي الهند ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الفقيد من علماء الهند المعروفين باهتماماتهم الدينية وأعمالهم التربوية ، كان من شيوخ العلم ، اشتغل بتعليم التفسير والحديث النبوي الشريف بجامعة دار السلام عمرآباد ثم في جامعة الباقيات الصالحات بمدينة ويلور بولاية تامل نادو (الهند) إلى مدة طويلة . وتخرج عليه جماعة من تلاميذه البارعين .

وقد وُفق أخيراً إلى تأسيس مركز لتربية الشباب والدعاة على نهج الكتاب والسنة سمّاه المركز الإحساني ، وقام بجولات في سبيل ذلك في الهند وبعض الدول العربية وظل قائماً على هذا المركز يساعد في ذلك أنجاله ، وأكبرهم السيد محمود الله البختياري .

وكان من زملاء سماحة شيخنا العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي فكان يزوره في ندوة العلماء ويقيم بضيافته ويتبادل معه الآراء والأفكار .

وقد تميز في حياته بالصلاح والورع والفكر الهادئ السليم والرزانة والجدّية .

أقيم حفل تعزية على وفاته في مسجد دار العلوم ندوة العلماء ألقى فيه سماحة العلامة الندوي كلمة عزاء أشاد فيها بخدماته وتحدث عن صفاته ، وأشار إلى الصلة التي كانت بينه وبين الفقيد رحمه الله .

وإن أسرة المجلة إذ تقدم التعازى الخالصة على وفاته إلى أنجاله وأهله وذويه ، تبتهل إلى الله تعالى وتدعو له بالمغفرة والرحمة ، وأن يسكنه الله تعالى فسيح جناته .

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشـــأهـــا :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في عام ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الإسلامي

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

العـدد السادس - المجلد الثامن و الثلاثون

ربيع الأول ١٤١٤هـ - أغسطس - سبتمبر١٩٩٣م

المـــــراسلات :

البعث الإسلامـــــي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٣ لكناؤ - الهند

ALBAAS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama
P. O. Box, 93, Lucknow (INDIA)

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

[illegible]

[illegible]

لعل مدوني التاريخ الإسلامي يجمعون على أن الفترة التي اجتازها المسلمون في العهد المكي لهذا التاريخ ، أقسى وأشد وقعاً من أيّ فترة أخرى على المجتمع الإسلامي الذي كان في دور التكون والنشوء يوم ذاك ، وكان المسلمون معذبين منكوبين جسمانياً وروحانياً ، وكان الطرف الآخر من مشركي مكة في نشوة من الانتقام من هذه الفئة القليلة والانتصار عليها ، ولقد أوذي رسول الله -ﷺ- بغاية من القسوة والجفاء ، وباستمرارية منقطعة النظير ، ولكنه لم يفكر هو وأصحابه يوماً ما في صد هذا العدوان وكف هذا الأذى بطريق غير طبيعي وإنما أراد ترسيخ مبادئ الإسلام في النفوس بالتظاهر بالخلق الإسلامي العظيم ، والصبر على كل ما يوضع من جهات الرفض والأنانية من العراقيل في طريق الدعوة الإسلامية ، فقد كانت حكمة الدعوة تقتضي ذلك في فجر التاريخ الإسلامي ، لأنها كانت مفاجأة عجيبة في المجتمع المكي الذي كان غارقاً إلى الآذان في الشرك والوثنية ، وكان عريقاً فيهما ، دون أن يسمح بدين جديد يبطل جميع تقاليده الوثنية وعاداته الجاهلية ، ويفند النهج الذي ألفه كابراً عن كابر ، و ورثه أباً عن جد .

فكان الصبر على المكاره والأذى ، والصمود في طريق الدعوة من لوازم النجاح ، وكان ذلك في الواقع ثمناً للدعوة الإسلامية في ذلك الوقت المبكر، فهو الذي يتكفل بالمستقبل البهيج ويبشر بالنصر المبين في وقت قريب ، فلم يكن هناك طريق إلا الصبر والصمود ، وتحمل المشاق والظروف المضادة بوحي من الله تبارك وتعالى : ﴿ واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً ﴾ ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة ﴾ ولكن لا تنازل ولو عن جزء طفيف من المبدأ الأساسي ، وهو تغليب عبادة الله على كل عبادة واقتلاع جذور الوثنية والشرك ، مهما اشتدت وطأة المصائب والمحن ، فإذا اجتمع الصبر على الشدائد والإصرار على المبدأ ، والتقى استنكار الوثنية والمصارحة بالتوحيد لأنتج ذلك انتصار الحق على الباطل ، وأثبت أن المبدأ لا يخضع أمام الافتراضات والترهات ، لذلك يؤمر النبي -ﷺ- بالإعلان عن الفرق الواضح الصريح بين العبادتين عبادة الله وعبادة الأوثان ، وبين الدينين ، دين الإسلام وديانة الجاهلية .

﴿ قل يا أيها الكافرون • لا أعبد ما تعبدون • ولا أنتم عابدون ما أعبد • ولا أنا عابد ما عبدتم • ولا أنتم عابدون ما أعبد • لكم دينكم ولي دين ﴾ .

لقد كانت هذه الفترة المكية أشبه بإصلاح الأرض وتسميدها وإلقاء البذرة فيها ، وهي لا شك أحرج فترة لدى أصحاب الزراعات وخبراء النبات والانبات ، فإذا نالت الرعاية الكاملة ، وسهر عليها الزارع وتحمّل مشاق الحر والبرد وشدائد الطقس والفصول في سبيل الحفاظ عليها ، ولم يبال بما قد يواجهه من الظروف المعاكسة التي تهدده بالخسران والضياع ، فلا شك أنه يستحق الضمان الكامل بأحسن نتاج زراعي

وأكمله ، ﴿ كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه • يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾ ولما أمد الله تعالى رسوله الكريم بالتأييد والتمكين ، وأظهر دينه على الدين كله ، عادت المسئولية على أمته التي هي خير أمة أخرجت للناس ، أن تقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علناً وجهاراً ، وتستخدم لذلك الأسلوب المناسب الذي يلائم نفسية المخاطبين ، والظروف التي يعيشونها ، والجو الذي يتنفسون فيه ، فقد أمر الله تعالى رسوله الكريم -ﷺ- بالصدع بالدعوة ، والإعراض عن المشركين ﴿ فاصدع بما تؤمر • وأعرض عن المشركين ﴾ .

وكان القتال ضد الفئة الباغية التي أبت إلا أن تشرك بالله وتعبد الأوثان ، وتجاهر بالعداء والكراهية نحو الإسلام أمراً جازماً يدعو إلى الامتثال الكامل ، ومن هنالك كانت الغزوات التي غزاها النبي -ﷺ- والمسلمون ، أحد أساليب الدعوة وإعلاء كلمة الله ، وكانت سنة الجهاد امتداداً لهذا الأسلوب ، إذا توافرت الشروط واقتضت المصلحة ، وتيسر الإعداد المطلوب ، لذلك فإن الجماهير من المسلمين لا يبتون في إقامة الجهاد ما لم يصدر الحكم بذلك من الإمام ، الذي يدرس الأوضاع في ضوء الكتاب والسنة ، والإعدادات اللازمة ثم يفتي بالجهاد ، أما أن يكون للجماهير خيرة في ذلك فلا يسمح بها .

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس عملاً سهلاً يمارسه كل من هب ودب من الناس ، ولكنه مسئولية لا يحسن أداءها إلا الدعاة المخلصون الذين يطلعون على طبائع الناس ، وخبايا نفوسهم ونفسياتهم ومداركهم ، ويدركون الظروف ويعرفون المصالح والحكم المطلوبة في هذا العمل بشئ

كثير من الدقة والإتزان والبراعة ، دون أن يبرحوا الانحياز من جانب إلى جانب آخر ، ومن فئة إلى فئة أخرى .

إن هذا الموضوع ركن مهم في حياة المسلم ، وأمر مفروض عليه ، فيتطلب العناية الفائقة بالتدريب الخاص به ، باعتباره موضوعاً ذا حساسية كبيرة في البناء الحضاري للإسلام الذي لا تكمل بدونه الحياة الإسلامية المنشودة ، لذلك فإن تعاليم الإسلام ركزت على هذه الناحية الحساسة أكثر من كل شئ ، واعتبرت هذا الأمر والنهي أو بتعبير آخر هذا الإيجاب والسلب دعامتين أساسيتين للحياة الإنسانية السعيدة ، التي يغلب فيها جانب الاستعلاء بحكم النصح والخير ، على جانب الاستيلاء الذي لا يتم إلا باستخدام القوة والمكر والخديعة في عامة الأحوال ، ألا ترون أن القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتبوأ منصباً عالياً في الدين ، ومكانة سامية في الورع ، فيوجه دعوته إلى الناس من قمة عالية ، بلهجة حافلة بالثقة والاستعلاء الإيماني ، ومن هنا تكون حياته مثالاً حياً في العمل والخلق والعقيدة الراسخة والسلوك الفذ الجميل ، وتلك هي القدوة العملية التي يعجب بها المخاطبون ، وتنفتح لها قلوب المدعووين .

لكي تنجح عملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن تستند إلى قوة محركة تدفعها إلى الأمام وتصبغها بصبغة الإيمان والشجاعة التي لا تزول بعوامل المال والجاه والحكم ، ولا بقوة الحديد والنار ، إنها الشجاعة التي تنبع من أعماق القلب المؤمن ، فتصل بالداعية إلى الله إلى أعلى منازل الثقة والطمأنينة والسمو الخلقي ، حيث تتذاوب هيبة القوى المادية ومخاوف الطريق نحو بناء المستقبل اللامع ، وتتلاشى جميع

الصور الواهية من السلطة والحكم .

ذلك أن هذه العملية هي في الواقع أقوى من أي سلطة مادية ، إنها روح تستمد غذاءها من ذلك الأمر الإلهي الذي ناط بالإنسان المسلم هذه الوظيفة السامية ، وبشربها الأمة الإسلامية التي تميزت عن غيرها من الأمم والشعوب بهذه الكرامة السماوية . فلا يمكن أن نتصور صاحبها في مستوى ضعيف من الجراءة الإيمانية والأخلاق الفاضلة والعمل الصالح ، أضف إلى ذلك كفاءته العلمية ومناعته الدنيوية . فطالما رأينا أناسا نشطوا لأداء هذه المهمة ، ولكنهم لم يلبثوا أن دب فيهم الوهن ، وانصرفوا من عمل الدعوة لمجرد أنهم لم يكونوا متصفين بصفات الداعية ، فما كان لهم بد من الانسحاب عن مجال الدعوة .

لا نقول أن يتظاهر العاملون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمظاهر غير لائقة بهم ، ذلك كأن يدعوا الحكمة وفقه الدعوة إلى جانب ، ويقبلوا على استخدام القوة والاعتماد على العنف ، في هذا المسار ، ثم يعبروا عن ذلك بالجهاد في سبيل الله ، بل على العكس يستطيعون أن يحولوا كل عنف وإرهاب وتسرّع وتهور إلى تفكير هادئ ، وعقل رزين ومواجهة حكيمة .

ذلك هو الأسلوب المتميز للدعاة الذين يدرسون الوضع في المجتمع الذي يتناولونه بالإصلاح والتربية ، يدرسون الوضع ويستعرضون فيه جوانب الخير والشر ، ويخططون لتغيير المنكرات وإزالة الضعف وإصلاح مواضع الفساد ، في ضوء الواقع والظواهر النفسية ، فتارة يكتفون باستعمال قوة اللسان والقلب في تغيير المنكر ، إذا كانت الظروف تشير إلى ذلك ولا تسمح باستخدام القوة المادية ، ولكن الأولوية لقوة اليد في تغيير المنكر ، إذا كان الداعية يتمتع بالاستعلاء الفكري

والمادي ، ولا تثور ضده عناصر الغيظ والكراهية ، ولعل النبي -ﷺ- أشار إلى هذا المعنى في قوله : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .

ومن ثم فإن المنهج الذي وضعه الإسلام لبناء المجتمع الإسلامي ، ليس مما يعني التواكل والانسحاب عن ميدان الحياة ، طلباً للعافية ، وفراراً من المشقة ، ولكنه يدعو إلى بذل الجهد والسعي الكامل لإعلاء كلمة الله ، وتنفيذ حكمه وشريعته في الحياة والمجتمع .

من المشاهد المعلوم أن الإنسان يبذل كل قيمة وقوة مستطاعة في سبيل شرف مزعوم وعزة كاذبة وحمية زائلة ، وقد لا يبالي بما إذا كلف ذلك ثمناً باهظاً من النفس والمال ، فكيف بالمسلم الذي أمره الله تعالى بالجهاد في الله حق جهاده ، يعني ببذل الجهد والسعي ، في بناء الحياة الإسلامية المثالية ، سئل رسول الله -ﷺ- عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياءً أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال رسول الله -ﷺ- : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، فهو في سبيل الله .

إذن يجب أن لا نتخاذل في سبيل إعلاء كلمة الله ، وتنفيذ شريعته ، ولا نؤثر العافية والراحة على تحمل المشاق في سبيل الله ، ولم يكن المسلم ضعيفاً قط ، إلا بضعف الإيمان ، والانسحاب عن الميدان ، وما كان المسلم قوياً ذاهيبة و وزن مرهوب الجانب ، إلا بقوة الإيمان ، وفضائل الأخلاق ، والقدوة الحسنة في العمل والسلوك .

تلك هي القوة التي لا قوة أقوى منها ، والهيبة التي لا تساويها هيبة أخرى ، وبهما تتميز الحياة الإسلامية عن غيرها ، وتنال الثقة والاعتبار في ميزان الحق والعدل .

﴿ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي

التشخص الديني ، حاجة أكيدة للأمة

بقلم سماحة العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي
تعريب سعيد الأعظمي

[هذا المقال مقتطف من الجزء الخامس لكتاب سماحة العلامة الندوي ، الذي وضعه حول حياته باسم « في مسيرة الحياة » وقد احتوى على صور واقعية تجتازها الأمة الإسلامية ولا سيما في الهند وبالنظر إلى الحقائق التاريخية والحضارية التي يحويها المقال ويحتاج المسلمون في كل مكان إلى دراستها ورؤية الظروف من خلالها، نترجم هذا المقال من الأردية إلى العربية . ونقدمه إلى قرائنا الكرام]
[التحرير]

أما الأمة الإسلامية فلا يكفيها البتة مجرد بقاء النسل والجسم واستمراريتهما ، وصيانة الأموال والأرواح ، وحرية الانتفاع بالفرص السياسية والاقتصادية والديمقراطية ومنافعها ، بل ولا تكفيها المشاركة والمساهمة في الإدراة والحكومة في بلد ديمقراطي ، إن ذلك لا يتفق وشأن أمة مثالية ذات عقيدة ودعوة ورسالة ، لأنها مسئولة في كل عهد وبلد عن الإبقاء على التشخص الديني ، وتمثيل شعائر الإسلام والعيش وفق العقائد الدينية ، وحرية العمل بأحكام الشريعة وصيانة القوانين العائلية ، وصبغ الحياة بالحضارة الإسلامية ، والمجتمع الإسلامي ، بل الواقع أنها مسئولة عن إبقاء تلك اللغة والثقافة الخاصة كذلك ، التي هي ذريعة للاطلاع على تعاليم دينها ، والارتباط بماضيها ، *فإذا فقدت هذه الضمانة والشروط بالتميز الديني في الأمة* ، فلا نستطيع أن نتأكد أن الأمة الإسلامية تعيش بحرية وصيانة وعزة في ذلك البلد وتلك المدينة ، ولا نعتبرها عضواً مشاركاً في الحياة الديمقراطية ، لذلك البلد الديمقراطي .

وبالأخص في بلد يعرف بإبادة الديانات والحضارات والثقافات الأخرى

في بوتقة الديانة والحضارة وطريقة الحياة التي يتبناها ، ذاك لأنه يعيش في انقطاع عن العالم المتمدين الخارجي ، وينحصر في جزء من الأرض منذ آلاف من السنين بطبيعته وتقاليده الخاصة وصيغته الدينية المألوفة . ففي مثل هذا البلد نحتاج للإبقاء على شخصيتنا الاجتماعية والمعنوية إلى بذل مجهودات غير عادية ، وإلى يتقظ واستعداد مستمرين ، لقد كان شاعر الهند الإسلامي الشهير ألطاف حسين حالي يعبر عن حضارة الهند وطبيعتها بقوله : « أكال الأمم » ويعني بذلك أن كل شعب أو قوم نزل إلى هذه البلاد انذاب في حضارتها وطبيعتها ، ولم يعد يملك خصائصه وامتيازاته ، وكان مثالاً لما جاء في المثل « كل شئ في معدن الملح يتحول إلى ملح » لذلك فإن شل هذا البلد يحتاج فيه المسلمون إلى تميزهم بالتشخص الديني وحساسيتهم الحضارية والمحاسبة الواقعية والاحتساب القومي ، أكثر من أي بلد آخر.

ثم إن البلد الذي توافر فيه الترتيب المتعصب للتاريخ خضوعاً للعوامل التاريخية والسياسية والانتخابية الخاصة ، وتحت مؤامرة أجنبية ، وحيث بدأ عمل الإبادة الجنسية والحضارية والمعنوية وفق مشروع مدروس وبأسلوب حكم قومي ، (وقد تحدثنا عن تفاصيل ذلك ، حيث ذكرنا الأحزاب المتطرفة وإعلانات زعمائها المتطرفين في كتابنا « في مسيرة الحياة ») فهنالك تتضاعف هذه المسئولية أضعافاً مضاعفة ، وإن غفلة يسيرة في أدائها تدين الأمة بالردة الحضارية والفكرية إذا لم تصبها بالردة الدينية ، وتحوّل هذا البلد إلى أندلس ثانية (لا قدر الله تعالى) ذلك البلد الذي حكم فيه جزء من هذه الأمة إلى قرون ، ولم يعرّف هذا البلد الوثني بعقيدة التوحيد والمساواة ، واحترام الإنسانية ، والعلوم والأفكار ، والآداب الحديثة فحسب ، بل قام باثرائه بكل ذلك .

ويتفاقم هذا الخطر حينما نرى افراداً من الأمة – ولو كان عددهم قليلاً – ،

يحتلون في الميدان ويرفضون بصراحة حاجة الأمة إلى التشخص الديني ، ولا يرونه لازماً للأمة ، بل يرونه بالغ الضرر بالبلاد والأمة ، ويعبرون عن أيّ مطالبة لاستكمال جرء للدين وبذل المجهود في سبيله ، بالتفرقة ، بل يحملون ذلك على سذاجة الأمة والعاطفية الزائدة ، وقلة الفهم لدى قادتها ، حتى إنهم يتهمون المجهودات الناجحة المثمرة التي بذلت في سبيل صيانة الأحوال الشخصية للمسلمين في هذه البلاد بعمل لغو ، لا طائل تحته ، ويعتبرونه اضاعة للوقت والطاقة ، فهنالك تكون الأمة بحاجة أشد إلى الإصرار على التميز بالتشخص الملي بجميع شعبه ، واليقظة الكاملة والحمية الإيمانية الرائدة والاستعداد الدائم .

وقد سبق أنني صرحت بهذا الخطر بمناسبة الكلمة التي ألقيتها في الاحتفال المئوى لجامعة دار العلوم ديوبند في مارس عام ١٩٨٠م أمام حفل عظيم ، حينما لم يكن هذا الخطر قد تمثل للعيون كشأنه اليوم ، وقلت : « إنني أعلن بكل صراحة و وضوح وأريد أن تعلنوا أنتم كذلك ، أننا لن نرضى بالعيش كالبهائم التي لا تبغى إلا العلف والصيانة ، إننا نرفض ألف مرة أن نختار حياة ومكانة كهذه ، إننا سنعيش على وجه هذه الأرض بصلواتنا وتكبيراتنا ، بل ولن نرضى أن نتنازل عن حرية العمل بجزء طفيف من النوافل ، وأعمال التطوع أيضاً ، إننا نلتزم بكل سنة من سنن رسول الله -ﷺ- ، ونستنير من سيرته ، ولن نرضى بالتنازل عن أي أثر من آثاره ، ولا أي نقطة من حياته » .

وبالمناسبة يحلو لي أن أنقل هنا مقتطفاً من مقدمة على ترجمة الكتاب « اقتضاء الصراط المستقيم ومخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام العلامة الإمام ابن تيمية - رحمه الله - فقد قام المجمع الإسلامي العلمي بندوة العلماء بنشر هذه الترجمة ، وكتبت عليها مقدمة ضافية احتوت على بيان التأثيرات العميقة النفسية الواسعة للحضارة والاجتماع

والشعائر والعادات ، جاء فيها : « إن بعض الحقائق التي اكتشفها العلم الحديث ودراسة الأوضاع النفسية الفردية والاجتماعية ، وكذلك التجارب التي أجريت بتكرار واستمرار ، لتأثير الحضارة والاجتماع والشعائر والعادات والخصائص ، ولا سيما منذ بداية هذا القرن ، إنما أزاح اللثام عن وجه الحضارات والحياة الاجتماعية ، وأثبت أن قضيتهما ليست عابرة أو طافحة ، كما كانت تعتبر قبل مدة يسيرة ، وليست مثل ما عرضها المعجبون بالحضارة الغربية والدعوان إليها ، أو كما صورها حملة لواء الاتحاد القومي في وسط هذا القرن .

لقد أصبح من مسلمات الحقائق أن العادات والاتجاهات والميول ذات جذور عميقة تتأصل في القلوب والعقول ، ودورها كبير ومهم في تكوين الشعوب والملل ، وفي بناء شخصيتهما ، إن الحضارة تكون صورة ظاهرة للعواطف والنزعات وللإعجاب والكراهية ، والسلوك الفكري ، ولذلك لا يمكن رؤية خفايا الحضارة وعناصرها التكوينية بأي مكبرة .

كيف يتداخل في أساس الحضارة اتجاهات من الشرك والجهل والظلم والتكبر والتنعم وعناصر العفلة وأجزاؤها ، وما هو مدى نسبتها ، وكيف يتكون ذلك جزءا لا يتجزأ منها ، وما هي الأوضاع الاقتصادية والسياسية والخلقية ، وما هي الأجواء النفسية والفكرية التي تربّت فيها الحضارة واجتازت فيها بمراحل التقدم والرقى وما هو الطابع العميق واللون الثابت الذي تركته على الحضارة ؟ كل ذلك أمر يعجز عن تحليله وتجزئته كبار علماء فلسفة الاجتماع ومؤرخو الحضارات ، إذ لم يقم إلى الآن معمل كيمياوي يبحث في ذلك ويتحقق فيه عمل التحليل والتحقيق بكل نجاح .

إن مجهودات الأخذ والقبول ، والتقليد والاستفادة التي تتم في مجال الحضارات والاجتماعات كيف تخلف تأثيراً عميقاً في نفسية الأمة وكم

تزيحها عن مكانتها الأصيلة ، وكيف تتغير بها مقاييس البر والإثم والطاعة والمعصية ، والإسلام والجاهلية والحياء والوقاحة والعدل والظلم والقناعة والإسراف ؟ ذلك ما لا يمكن أن يقدره أحد من كبار الزعماء والمصلحين المدققين ، إنما هي ذات الله سبحانه وتعالى العليم الخبير الذي يتولى صيانة هذه الأمة بواسطة نصوص الكتاب وأحكامه ، الأمة التي تقوم بشخصيتها المتميزة في هذا العالم بمسئولية الدعوة والتوجيه .

إن الحيطة البالغة التي يراعيها الإسلام حول التشبه والتقليد و وضوح تعاليم الإسلام وتبيينها وإصرار الشريعة الإسلامية عليها ، لنتيجة لشمول دين الإسلام الذي ليس مجموعة لعدد من التقاليد والعقائد ، بل إنه منهج كامل للحياة وصبغة ثابتة لحياة إسلامية شاملة ، إنه يدعو إلى صبغة الله ويهتف بها ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ﴾ ويعتبر كل حضارة واجتماع من الجاهلية التي تنبع من الأهواء والمصالح والمنافع المادية ، واللذة والعزة ، أو تقوم على مجرد التجارب والقياس بصرف النظر عن الشريعة الإلهية ، والتوجيهات الربانية ، والإسلام هو الذي تحمّل لأول مرة مسئولية الكشف عن حقيقة ثابتة ، وهي أن أي فرد من أفراد البشر لا يستطيع أن يعيش على مجرد العقائد ، فمن المعلوم أن الحضارة والاجتماع لا يمنعان عن التأثير في الاخلاق والعادات والعقائد والعبادات ، وكل جهد يبذل لإقامة الحاجز بينهما لا يمت إلى الفطرة بصلة ، وذلك ما حاولته الحضارة الغربية بمناسبة استفاصتها ، يوم نادت بأن الدين قضية من قضايا الإنسان الخاصة .

إن حياة الإنسان ليست مجموعة لوحدات متعددة يضم بعضها إلى بعض كلما شاء ، ويفرقها متى أراد ذلك ، ولكنها وحدة مستقلة ثابتة ، فلنعبر عنها بأي اسم شئنا ، سواء بالإسلام أو الدين أو الطاعة ، وذلك هو تفسير قول الله عزوجل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان • إنه لكم عدوّ مبينٌ ﴾ .

•• •• ••

عقبات في طريق الصحوة الإسلامية

بقلم . فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي
رئيس كلية اللغة العربية بجامعة ندوة العلماء لكناؤ

إن أصداء الصحوة الإسلامية اليوم لم تعد خافتة على المطلعين على أخبار العالم وأحداثه التي تقدمها الصحف والاذاعات ، ولا شك في أن جهود الكتاب والمفكرين المسلمين في العهد الأخير الذي يبتدئ من جمال الدين الأفغاني ويمتد إلى الامام حسن البناء الشهيد وأصحابه وتلاميذه في البلدان العربية وإلى من عاصرهم ممن اتحدت أفكارهم مع أفكارهم من قادة الفكر في الهند وباكستان ، فلا شك في أن جهود هؤلآء جميعاً قد تفاعلت في إيجاد هذه الصحوة ، وقد قويت الصحوة واشتدت اشتداداً وظهرت نتائجها بصورة هادئة علمية حيناً ، وفي صورة مقاومة سرية أو سافرة حيناً آخر في مناطق مختلفة ، وان تطور الصحوة إلى هذا المدى قد جعل الباحثين في أمر الصحوة فريقين : فريق ينتقد اختيار طريق العنف كوسيلة من وسائل نشدان الهدف ويراها غير ملائمة مع ضرورة تحبيب الفكرة الإسلامية إلى الناس ومع عرضها في صورة نظرية إنسانية بناءة فاضلة ، وفريق آخر يرى انه لا مناص من ذلك ، وإنها نتيجة طبعية لأي كفاح يقوم لتغيير الوضع الفاسد وإصلاح الفساد الظالم ، ولقد هيّأ رأى هذا الفريق وتأييده لاختيار سبل العنف للصحوة الإسلامية مزيداً من الوقود للنار المشتعلة في المناطق التي تمر من خلال

المقاومة وبخاصة تلك المناطق التي يحكمها المسلمون أنفسهم ، وهي التي يحدث فيها ان الشعب المسلم يطالب بتحكيم الشريعة الإسلامية وتغيير النظام المنحرف بدون تأخير ، أما الحكام فيها فيما طلون ويتشبثون بمعوقات مختلفة ، وبذلك يشتد النزاع ويكفهر الجو ، ويصبح طبيعياً أن يصل الأمر إلى الحد العدائي العنيف والمواجهة السافرة ، كنتيجة حتمية لكل دعوة وحركة تلقى استجابة من الانفعال الشعبي العام ، ولكنه عند ما يصل الأمر إلى هذا الحد فمما لا شك فيه أنه يعسر فيه تهدئة العواطف وإبقاء العمل الدعوى على علميته ورزانته ويعسر استثمار الصحوة للوصول إلى الهدف وحينئذ يجب على القادة من الجهتين أن يستعرضوا الأمر ويحسبوا الواقع حساباً جدياً ويضعوا خطة مخلصة ، ويكون من واجب القادة أن يخلصوا الأمة من المحنة و ينقذوها من معركة داخلية تضر بمكانه الأمة وتضيع طاقاتها ولا يستفيد منها إلا الأعداء ، والأجانب ، وعدو الإسلام القوى الماكر بالمرصاد .

ومن الحكمة في مثل هذه الأوضاع أن لا يغفل قادة الفكر والرأى استخدام الطاقات الدعوية والأدبية وسبل الحكمة والموعظة ، ومنها لقاءات ومحادثات أخوية وطرق إعلامية مؤثرة ، فإنها قد تأتي بنتائج مدهشة لا تأتي بها طرق أخرى ، كما يجب أن نعرف أن أي دعوة من الدعوات وأي حركة من الحركات الإصلاحية إدا لم تستند إلى أسلوب الاقناع الذهني فإن وسائل الضغط والاجبار لا تنوب عنها ولا تفعل شيئاً كبيراً ، ونرى اليوم ان قادة الفكر والرأى المسلمين لا يبلغون في أداء واجبهم في ذلك إلى الحد المطلوب ، فصار تصور غالبية المثقفين

الثقافة العصرية اليوم عن الإسلام تصوراً خاطئاً أما عن تطبيق الشريعة الإسلامية فتصورهم تصور الخوف والكراهة . فإنهم يظنون انهم لن يطيقوا الحياة في حالة تطبيقها بل وقد يصبحون أول رهط يرجم أو يجلد أو تقطع أيديهم إذا طبق الإسلام ، وان خوفهم هذا نفسية كل إنسان عند ما يكون جاهلاً عن حقيقة الأمر ، أنظروا كدليل على ذلك ما حدث في قضية إسلام سيدنا عمرو بن العاص - رضي الله عنه - ، فإنه لما تقدم إلى رسول الله -ﷺ- للإسلام قبض يده عن البيعة وطلب العهد بأنه لن يؤاخذ على ما صدر منه قبل الإسلام ، فأراح رسول الله -ﷺ- قلبه بقوله : « إن الإسلام يهدم ما كان قبله » .

إن عقلية المثقفين الثقافة الغربية وهم الطبقة الغالبة في أهل المعرفة والعلم اليوم تنطوي على الخوف من الإسلام ، لأنهم لا يعرفون عن الإسلام إلا تضييقات مختلفة للرجل والمرأة كليها في حياتيهما ، وذلك لأنهم لا يعرفون التسهيلات والموافقات الفطرية للحياة التي يحملها الإسلام لأتباعه في مختلف جوانب حياتهم فإن الدين يسر ، وما خير رسول الله -ﷺ- بين أمرين إلا اختار أيسرهما وقال رسول الله -ﷺ- : « وان لنفسك عليك حقاً وان لزوجك عليك حقاً إلخ » وقد جعل الإسلام أتباعه أحراراً في تناول كل طاهر من المأكولات وأباح فهم أخذ الطيبات من الرزق ، وأباح لهم الاستفادة مما خلق الله في هذه الأرض من الطيبات : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ ولكن المثقفين الثقافة الغربية لا يعرفون عن ذلك شيئاً وان عرفوا فلا يعرفون ، كيف تحصل لهم هذه التيسيرات ، لهم لذلك يخافون من الإسلام ويكرهونه ونحن ما دمنا نقصر في ازالة هذا الخوف والكراهة من الإسلام من قلوب

الناس فسنبقى نواجه كره أمم العالم للإسلام والمسلمين ومقتها لهم بل وسنبقى نواجه خصومة وعداوة بين المسلمين بين الداعين إلى تطبيق الإسلام وبين الهاربين منه .

لقد هدانا الرسول - عليه الصلاة والسلام - إلى اختيار الوسائل المجدية في ذلك ، وذلك بأوامره حيناً وبسلوكه حيناً آخر ، فقد كان يقرب الناس إلى دينه بطرق محبة وإكرام وبالاقناع وضرب الأمثال ، فكان يقربهم حيناً بصلة الرحم وإكرام الضيوف وبالإحسان والبر مع الناس حيناً آخر ، فقد أعطى المؤلفة القلوب ما لا وفيراً ليؤنسهم به ويرجو أنهم سيتحولون مسلمين مخلصين أوفياء لدين الله ، وقد حصل ذلك منهم بتأثير بر رسول الله -ﷺ- ، وقد جاء في القرآن الكريم : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه • ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ﴾ (سورة التوبة ، الآية : ٦)ويدل على الاهتمام بهذه الفكرة ما حدث من عقد الصلح بين المسلمين والمشركين في الحديبية رغم أن المسلمين كانوا على أحر من الجمر ، غضباً على المشركين ، وكانوا يرون في أنفسهم قوة واستعداداً لأعطاءهم درساً قاسياً يكون تقويضاً لقوتهم العنيدة وجبروتهم العاتي ، وكانت قلوبهم تتلهف للدخول إلى مكة ولكنهم منعوا من ذلك موقتا ، وأمروا بدلا منه بقبول الصلح مؤقتا لأن الله تعالى اراد أن يوفر للمسلمين والكفار فترة اختلاط ولقاءات خلال استمرار الخصومة والعداء الشديد بينهما كأنه مهد بذلك للكفار أن ينظروا في الدين الإسلامي بالحياد الذهني ويطلعوا على محاسن الإسلام ويروها بتجربة وبقلوب متفتحة فلعلهم يقبلوا الإسلام وقد وقع ذلك فعلا ، فإن عدد من أسلموا في هذه الفترة التي لم تطل أكثر

من سنتين اثنتين أكبر من عدد من أسلم طيلة المدة الطويلة الماضية ، فكسب الإسلام بهذه الطريقة قلوب كثير من الكفار ثم أعيدت الحالة السابقة حالة استخدام القوة والقتال عند ما نقض أعداؤهم العهد فقام المسلمون بالقضاء على الأرواح العنيدة التي لا تقبل الخير في أي حالة .

وزماننا اليوم هو زمان انتشار العلم والمعرفة ، وأصبحت وسائل التوجيه وإبلاغ الفكرة واحلالها في النفوس والقلوب كثيرة ومتنوعة ويستفيد بها الكفار كل الاستفادة ، فقد أفسدوا ببحوثهم ومؤلفاتهم وبتعليمهم وإعلامهم أذهان الناس وأبعدوها عن الإسلام وعن شريعة الإسلام وعن نبي الإسلام ، نجد ذلك عند ما نزور أي بلد من بلدان الكفر وندخل في دار لتوزيع الكتب أو مكتبة من المكتبات ، ونلتفت إلى ركن كتب تتحدث عن الإسلام وتاريخه وشريعته وأحكامه ، أو عن نظمه للحياة ، ونتصفح أي كتاب منها فنرى تخليطاً للحقائق وعرضا محرفاً ، يثبت منه أن الإسلام دين الجهالة والتخلف وغير مساير للحياة ، فيه تعدد للزوجات لاشباع النفس بالشهوات ، وفيه ظلم على المرأة وضربها إذا خالفت زوجها ، وفيه كذا وكذا .

ولقد تصفحت كتاب سيرة للرسول -ﷺ- ألفه أحد أصحاب الاختصاص الغربيين في علوم الشرق ، أثبت فيه ببحثه ودراسته أن محمداً -ﷺ- لما كان قد نشأ في بلد الفقر والقفر قام بعمله لمجرد إخراج قبيلته من الفقر ، ثم اخراج العرب إلى الثروة والقوة بقتاله وحروبه .

في هذا الوضع كيف نعتقد ان الذين يملكون أزمة السياسة والحكم وقيادة نظم الحياة الاجتماعية المختلفة سيرضون بالإسلام كبديل حسن لنظمهم السائدة بل ولن يكرهوا الإسلام ولن يكيدوا ضد غلبته و وصول

المتمسكين به والمتعصبين له إلى منصة الحكم .

الأمر في كل ذلك إنما يرجع إلى تقصيرنا نحن وإلى خطأنا في التقدير وعدم استعراضنا للحالة الواقعية . وإلى أننا لا نهتم إلا قليلاً جداً بتصحيح فهم المخطئين لفهم الإسلام وفهم تاريخه المجيد في صورته النافعة الحقيقية . ولا نهتم باعداد وتوزيع كتب لشرح الإسلام للجاهلين له . ولا نهتم بعقد ملتقيات في الأوساط الكافرة تعرض على الغافلين ما يمتاز به الإسلام على غيره من فضائل وموافقات طبيعية . ولا نهتم باختيار وسائل الاعلام في العالم الأجنبي وفي العالم الإسلامي كليهما . إن جهودنا في كل هذه المجالات قليلة تافهة جداً نحن نبذل أموالاً طائلة على رغباتنا الشخصية ولكننا لا نبذلها على مصالحنا الاجتماعية وحاجاتنا الدعوية وعلى الوسائل الأدبية والعلمية المفيدة إلا قليلاً أما في مجال التعليم فإن تخريجنا لرجال يضطلعون بمهام العمل في النظم الإدارية والتخصصات التنظيمية والعلمية مع معرفتهم الصحيحة لأحكام الإسلام وامتلاكهم للكفاءة اللازمة لتسيير الحياة السياسية والاجتماعية والإدارية في البلاد يبلغ في الحجم إلى مستوى منخفض جداً . أمام تخريج النظم الغربية لأصحاب الملكات والكفاءات المطلوبة ممن لا يؤمنون بجدارة الإسلام في العصر الحاضر ولم يتربوا على الإيمان والعقيدة الصحيحة ولم يتلقوا مبادئ الدين الإسلامية . فبات يصبح في هذا الوضع طبيعيا أن لا يبلغ أصحاب الصحوة الإسلامية والجهاد الإسلامي مهما بلغوا في دعوتهم وجهادهم إلى النجاح إلى منصة إدارة البلاد . بل يبقون محتاجين إلى أن يستخدموا الفئات العلمانية المخالفة لهم لتسيير البلاد وإدارتها فكيف يمكن بعد ذلك أن تسرى الروح الإسلامية الصحيحة في الحياة السياسية والاجتماعية في البلاد وبذلك يصبح نجاح الصحوة الإسلامية أملا يراود النفوس فقط .

هذا بالنسبة إلى العمل في داخل بيئات المسلمين أما بالنسبة إلى خارجها من بيئات أعداء الإسلام أو مسيئ الظن بالإسلام من الكفار والأجانب فأمر يبعث على القلق والأسى أيضاً ، فإننا لانؤدي واجب الدعوة وتقريب الإسلام إليهم أو تقريبهم إلى فهم الإسلام بوسائل سلمية وأدبية وعلمية جادة بدون الصراخ والعويل أو المظاهرات الجوفاء ولماذا لا نرى جماعات تقوم بمثل هذا العمل الجاد الجاف المفيد المنتج لنتائج عظيمة .

إننا نعرف أن أعداء الإسلام من القوى الغربية يعملون ضد الإسلام والمسلمين بكل ما أوتوا من حول وطول وبمساعدة التأثير الصهيوني في الغرب حتى أصبحت الحرب بينهم وبين المسلمين ماكرة وسافرة فكيف يمكن للمسلمين الاكتفاء بالسلم والهدوء وإلى متى الصبر والاحتمال . إن مثل هذا الشعور صحيح ولا يمانع مسلم عاقل عن ذلك ولكن لابد مع ذلك أن تبقى جبهة الدعوة الحكيمة الحليمة عاملة كذلك ولابد من طائفة من المسلمين تقوم بالعمل بطرق أدبية وإنسانية مجردة ليكسبوا مقتنعين مؤمنين بالإسلام فإن الإسلام بمفرده يملك طاقات للتأثير وتقريب المدعوين إليه ، كما حدث في العهد المكي من تاريخ الإسلام فمن الواجب أن لا يخلو هذه الجبهة كذلك وعلينا أن نستنير في هذا الاتجاه من الآية القرآنية الموحية بطرق الدعوة السلمية : ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم • وما يلقاها إلا الذين صبروا • وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم • وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ؕ إنه هو السميع العليم ﴾ (سورة حمٓ السجدة ، الآيات : ٣٤-٣٦) .

لماذا لا نبذل جهودنا لتربية كتاب ومؤلفين يقومون باعداد بحوث علمية وأدبية ، ويؤلفون الكتب على المنهج العلمي الرائق ، وباللغة الفصيحة التي يستحسنها أهل اللغة ويستجيدون قراءتها ليعرفوا فيها حقائق الإسلام بروعة تعبير ، وأسلوب أخاذ تجذب إليها القراء وكذلك أمر الصحافة والإعلام ، فنحن فيهما في الحضيض لا نستخدمها إلا لمجرد الاستهلاك المحلي ولاشباع الرغبات فحسب ، وعدونا يستخدمها لتربية الأذهان ولمصلحته الخاصة ، إنه عمل متعب ومضن دون شك ، ولكنه لابد منه إذا أردنا أن يفهمنا غيرنا على الصورة الصحيحة الصادقة ليقتنعوا بجدارة الإسلام لمسايرته للحياة المعاصرة .

لا شك أنه تقوم طائفة من المفكرين الإسلاميين بتأليف كتب وبحوث في الإسلام لشرح أذهان المسلمين ولكن يجب أن يكون بجنب ذلك نظام للتأليف والعرض للإسلام أمام جاحديه ومعانديه من الكفار ، وكذلك يجب إنشاء بيئات يعمل فيها أبناؤها المسلمون بالإسلام الصحيح الذي تعرضه علينا كتاب الإسلام في حياتهم الفردية والاجتماعية حتى تكون دعوتنا وعرضنا للإسلام على الصعيد الطبعي السليم بحيث يصدق ما نقول ونقدم نماذج في شرحه وعرضه فالدعوة الإسلامية بحاجة إلى العمل الجاد واقناع العقول وجذب النفوس وهي حاجة الصحوة الإسلامية كذلك وفي غياب ذلك نخاف من أن يصبح عملنا في فراغ وبنائها في الهواء .

••• •• •••

نقد الغزو الفكري ومواجهته

[الحلقة الثامنة]

بقلم الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ المساعد بجامعة الأزهر وقطر

ومنهج نقد الاستشراق في مجال العقيدة الإسلامية وغيرها مما تناوله الاستشراق لابد وأن يقوم من وجهة نظرنا على الأصول الأساسية التالية :

أولاً : استيعاب شامل للإنتاج الاستشراقي ، في مختلف المجالات الإسلامية ، وهذا الاستيعاب لابد منه ، ومن حق الأمة الإسلامية أن يعرف أبناءها ما يقوله الآخرون عنها ، في عقائدها وغير عقائدها ، ليكون أبناء الأمة على بينة مما يقوله أو يتقوله هؤلآء المستشرقون .. ويلزم هذا الاستيعاب الشامل تحقيق الأمور التالية :

١ - القيام بحصر شامل لكتابات المستشرقين في المجالات المختلفة في القرنين التاسع عشر ، والعشرين ، بصفة أساسية ، باللغات الإنجليزية ، والفرنسية ، والألمانية ، والأسبانية ، والإيطالية ، والروسية ، ويشمل هذا الحصر : الكتب ، والمجلات ، والدوريات .

والقيام بعملية حصر هذه الأعمال الاستشراقية يحتاج إلى خبراء وعلماء مسلمين متخصصين ، ويحتاج إلى عدد من المساعدين في مجال كل لغة نأخذ منها .

٢ - لابد من توفير كل الأعمال الاستشراقية ، المشار إليها ، عن طريق الشراء ، إذا كانت متوفرة ، أو عن طريق التصوير ، إذا لم يمكن شراؤها، وتشكل هذه الأعمال مكتبة استشراقية تكون تحت أيدي الخبراء

والعلماء .

٣- يقوم جهاز متعاون من الخبراء في اللغات المختلفة ، بتحضير المادة وتصنيف الموضوعات ، وضم المادة التي يتكرر الحديث عنها في لغات مختلفة ، تحت موضوع واحد .

٤- تقدم المادة للعلماء الذين سيقومون بإعداد النقود العلمية ، ويراعي عند تقديم المادة للعلماء ، أن تترجم لهم الأفكار الأساسية للقضايا المعروضة ، ليكون عند العلماء تصور شامل لكل ما قيل حول القضية المطروحـــة ، و حتى يغطي التناول للموضوع ، وجهات النظر التي قيلت فيه (١) .

٥- تذكر مع المادة التي تقدم للعلماء أسماء المستشرقين الذين تناولوها وأزمنتهم وبيئاتهم ، والدوافع وراء مقولاتهم .

٦- العمل على بيان المصادر ، التي اعتمد عليها المستشرقون ، في كتاباتهم عن قضايا المسلمين ، وهل هي مصادر إسلامية أصيلة في الموضوع ، أم مصادر غير إسلامية ، لأن بعض المستشرقين يعتمد على ما ذكره المستشرقون السابقون ، كمصدر أساسي ، دون الرجوع إلى كتب المسلمين .

٧- بيان المنهج الذي التزم به هؤلاء الكاتبون في العقائد والشرائع ، والتاريخ ، والحضارة ، والسيرة لأن بيان مناهج المستشرقين ، سوف يكشف لنا عن أخطاء جسيمة في المنهج والنتائج ، والدارس لمقولات المستشرقين في العقائد الإسلامية وغيرها يجد في هذه الكتابة تغرباً

---

(١) الدكتور محمود حمدي زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري : ص/١٢٤ ، بتصرف وإضافة واختصار .

عن المسلمات ، وخروجاً صريحاً على البداهات ، وما يمكن اعتباره محاولات متعمدة لإصابة هذه المسلمات والبداهات بالجروح والكسور ، وهي لن تفعل فعلها في يقين المسلم ، إلا في حالات معينة ، بينما نجدها تدفعه في أغلب الحالات وأعمها ، إلى الاشمئزاز ، والنفور .

هذا مع أن معالجة واقعة ، تمتد جذورها إلى عالم الغيب ، وترتبط أسبابها بالسماء ، ويكون فيها الوحي همزة وصل مباشرة بين الله سبحانه ورسوله الكريم ، ويترسى في ظلالها المنتمون على عين الله ورسوله ليكون تعبيراً حياً عن إيمانهم ، وقدوة حسنة للقادمين من بعده . مواقع كهذه لا يمكن بحال أن تعامل كما تعامل الجزئيات والذرات والعناصر في مختبر للكيمياء ، أو كما تعامل الخطوط والزوايا والمساحات على تصاميم المهندسين ، بل ولا كما تعامل الوقائع التاريخية التي لا ترتبط بأي بعد ديني أصيل (١) .

إننا هنا بمواجهة تجربة من نوع خاص ، وشبكة من العوامل والمؤثرات تند عن حدود مملكة العقل ، وتستعصي على التحليل المنطقي الاعتياري المألوف ، ومن ثم فإن محاولة قسرها على الخضوع لمقولات العقل الصرف ، ومعطيات المنطق المتوارثة ، لا يقود إلى نتائج خاطئة حيناً ولا تستعصي عليه بعض الظواهر حيناً آخر فحسب ، بل إنه يقوم بما يمكن اعتباره جريمة قتل بشكل من الأشكال ، أو محاولة لتفحص الجسد البشري ، كما لو كان في حالة سكون مطلق بعيداً عن تأثيرات الروح وتعقيدات الحياة (٢) .

(١-٢) الدكتور عماد الدين خليل ، المستشرقون والسيرة النبوية : ص/٦ ، ط دار الثقافة بالدوحة ١٤١٠هـ ١٩٨٩م .

والعلماء .

٣- يقوم جهاز متعاون من الخبراء في اللغات المختلفة ، بتحضير المادة وتصنيف الموضوعات ، وضم المادة التي يتكرر الحديث عنها في لغات مختلفة ، تحت موضوع واحد .

٤- تقدم المادة للعلماء الذين سيقومون بإعداد النقود العلمية ، ويراعى عند تقديم المادة للعلماء ، أن تترجم لهم الأفكار الأساسية للقضايا المعروضة ، ليكون عند العلماء تصور شامل لكل ما قيل حول القضية المطروحـــة ، و حتى يغطي التناول للموضوع ، وجهات النظر التي قيلت فيه (١) .

٥- تذكر مع المادة التي تقدم للعلماء أسماء المستشرقين الذين تناولوها وأزمنتهم وبيئاتهم ، والدوافع وراء مقولاتهم .

٦- العمل على بيان المصادر ، التي اعتمد عليها المستشرقون ، في كتاباتهم عن قضايا المسلمين ، وهل هي مصادر إسلامية أصيلة في الموضوع ، أم مصادر غير إسلامية ، لأن بعض المستشرقين يعتمد على ما ذكره المستشرقون السابقون ، كمصدر أساسي ، دون الرجوع إلى كتب المسلمين .

٧- بيان المنهج الذي التزم به هؤلاء الكاتبون في العقائد والشرائع والتاريخ ، والحضارة ، والسيرة لأن بيان مناهج المستشرقين ، سوف يكشف لنا عن أخطاء جسيمة في المنهج والنتائج ، والدارس لمقولات المستشرقين في العقائد الإسلامية وغيرها يجد في هذه الكتابة تغر

(١) الدكتور محمود حمدي زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري : ص/١٢٤ ، بتصرف وإضافة واختصار .

عن المسلمات ، وخروجاً صريحاً على البداهات ، وما يمكن اعتـ
محاولات متعمدة لإصابة هذه المسلمات والبداهات بالجروح والكسو
وهي لن تفعل فعلها في يقين المسلم ، إلا في حالات معينة ، بينما تـ
تدفعه في أغلب الحالات وأعمها ، إلى الاشمئزاز ، والنفور .

هذا مع ان معالجة واقعة ، تمتد جذورها إلى عالم الغيب ، وتر
أسبابها بالسماء ، ويكون فيها الوحي همزة وصل مباشرة بين
سبحانه ورسوله الكريم ، ويتربى في ظلالها المنتمون على عين
ورسوله ليكون تعبيراً حياً عن إيمانهم ، وقدوة حسنة للقادمين من بعـ
مواقع كهذه لا يمكن بحال أن تعامل كما تعامل الجزئيات والذ
والعناصر في مختبر للكيمياء ، أو كما تعامل الخطوط والز
والمساحات على تصاميم المهندسين ، بل ولا كما تعامل الوقائع التاريـ
التي لا ترتبط بأي بعد ديني أصيل (١) .

إننا هنا بمواجهة تجربة من نوع خاص ، وشبكة من العو
والمؤثرات تند عن حدود مملكة العقل ، وتستعصي على التحليل المنـ
الاعتياري المألوف ، ومن ثم فإن محاولة قسرها على الخضوع لمقـ
العقل الصرف ، ومعطيات المنطق المتوارثة ، لا يقود إلى نتائج خا
حيناً ولا تستعصي عليه بعض الظواهر حيناً آخر فحسب ، بل إنه ا
مما يمكن اعتباره جريمة قتل بشكل من الأشكال ، أو محاولة لتفـ
الجسد البشري ، كما لو كان في حالة سكون مطلق بعيداً عن تأثـ
الروح وتعقيدات الحياة (٢) .

(١-٢) الدكتور عماد الدين خليل ، المستشرقون والسيرة النبوية ، ص/٦
دار الثقافة بالدوحة ١٤١٠هـ ١٩٨٩م .

وإن الدين ، والغيب ، والروح ، والوحي ، والقضاء ، والقدر ، وما اتصل بهذا من أمور العقائد ، ليس بمقدور الحس أو العقل أنْ يدلي بكلمته فيها إلا بمقدار ، وتبقى المساحات الأكثر عمقاً وامتداداً بعيدة عن حدود عمل الحواس وتحليلات العقل والمنطق .

ثانياً : نقد المنهج الذي التزم به المستشرقون في معالجة قضايا العقيدة الإسلامية ، ونقد المنهج هو خطوة حاسمة وضرورية قبل البدء في نقد ما جاء من أخطاء وافتراءات في مجال العقيدة ، لأن : « مناقشة أي من المستشرقين على مستوى التفاصيل والجزئيات ، لا تغني شيئاً لأنها ستكون بمثابة نقد موقوت يتحرك على السطح ، ويستهلك نفسه في الجزئيات ، دون أن يبحث عن الجذور العميقة ، التي تظل تنبت الشوك والحسك .

والجذور العميقة هي المنهج الخاطئ ، الذي تقوم عليه أبحاث هؤلاء المستشرقين . فإذا استطعنا أن نضع أيدينا على عيوب المنهج وشروحه استطعنا معرفة المنبع الذي يتمخض عنه تيار الأخطاء الموضوعية ، وخلخلة الأسس التي جاءت بهذه الثمار المرة ، واقتلاعها (١) .

ثالثاً : نقد الأخطاء التي وقع فيها المستشرقون في مجال الإسلاميات ، وعملية نقد هذه الأخطاء ، والمزاعم ، تقتضي منا عرض الشبهات ، والمقولات ، ونقدها نقداً علمياً ، بعيداً عن النزعات الهجومية ، حتى يكون لهذا العمل العلمي ، أثره الإيجابي ، لدى المثقفين من المسلمين ، وغير المسلمين .. وحتى يكون كذلك دافعاً للمستشرقين إلى إعادة النظر في أقوالهم ، وعوناً لهم على تصحيح اتجاهاتهم ، وفي النهاية يكون هذا

---

(١) المصدر السابق : ص/٨ .

العمل بمثابة تعريف بالإسلام ، لكل راغب في التعريف عليه (١) . ولا يخفي أن العمل العلمي القائم على النقد السليم ، يحمل العمل البنائي ، الذي يأخــذ بالناس جميعاً إلى العلم ، و المعرفة ، و العملية النقدية ، الهادفة ، جديرة بالممارسة ، والمتابعة ، لإثراء الفكر الإنساني بكل حق ، وبكل مفيد .

والنقد المطلوب لشبهات وأخطاء المستشرقين لابد وأن يتجاوز الدفاع المتشنج إزاء كل ما طرحه أولئك الذين تخصصوا في الاستشراق ..

رابعاً : إبراز ما ردده بعض المستشرقين في نقديهم لمستشرقين آخرين ، فإن هذه النقود العلمية التي ذكرها المستشرقون لها دلائلها ، وقد تكون أبلغ في باب النقد ، والتصدى والمواجهة ، وما أكثر ما جاء عن المستشرقين في باب النقد ، إن ما ذكره بعض المستشرقين في هذا الباب ، يشكل ثروة مفيدة ، وليس من الكياسة أن نبتعد عن المنصفين .

خامساً : إثبات أن المصادر التي اعتمد عليها رجال الاستشراق غير أصيلة في الموضوع ، وقد رأى الباحثون ، أن المستشرقين قد يرجعون إلى آراء مستشرقين سابقين قد أعماهم التعصب ، فنفثوا سمومهم فيما كتبوه ، وبعضهم يرجع إلى مصادر لا تتصل بالعقيدة الإسلامية من قريب أو بعيد ، وبعضهم يعتمد على كتاب ألف ليلة وليلة ، وكليلة ودمنه ، وغيرهما من الكتب التي تجرى مجراهما .

سادساً : يحسن أن تحاط النقود ببيان ما وقع فيه بعض المستشرقين ، من أخطاء علمية ، أو لغوية ، أو تاريخية ، عن جهل ، أو

---

(١) الدكتور محمد حمدي زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري : ص/١٢٢ .

عن سوء فهم ، وضيق نظر أو عن شطط في الافتراضات (١) .

سابعاً : أن تقوم النقود ، التي توجه إلى الاستشراق على منهج يضم الأدلة العقلية ، والأدلة النقلية ، لأن نقد الاستشراق هو بالدرجة الأولى للمسلمين حتى لا يخدعوا بهذه البحوث والدراسات التي تصل عن طريق الاستشراق ، وحتى لا ينبهروا بهذا التيار .

كما أن نقد الاستشراق هو للمستشرقين ، وقد لا يعترفون بالدليل النقلي ، فكان لابد من الدليل العقلي المقنع ، الذي يجعلهم يفكرون كثيراً ، قبل أن يقدموا على تناول ما للمسلمين بغير المراد .

ثامناً : أن تكون النقود التي توجه إلى الاستشراق شاملة لآراء السلف والخلف ، في مسائل العقيدة ، من الأسماء ، والصفات ، والتشبيه والتأويل ، والقضاء والقدر ، والحرية ، والجبرية ، وقضية الألوهية ، والإسلام ، والإيمان ، والنبوة ، والرسالة ، والوحي ، والمعجزة ، والبعث وما جرى مجرى هذا من مسائل العقيدة .

ومواجهة الفكر الاستشراقي بما ذكره السلف والخلف فيه تضييق وحصار لآراء المستشرقين .

تاسعاً : لابد من تفرغ عدد كبير ، من علماء الأمة الإسلامية - المتخصصين والذين لهم اتصال بالبحوث والدراسات الاستشراقية - للقيام بهذه النقود العلمية واستخراجها على ما ينبغي .

عاشراً : أن تتوفر لهذا العمل الجدية . والجهود المخلصة . لتتمكن الأمة من المواجهة . والعمل

وهناك أعمال أخرى تتصل بمنهج نقد الاستشراق وهي ضرورية ليكون هناك تكامل وحسم في المعالجة

[يتبع]

(١) الدكتور التهامي نقره القرآن والمستشرقون مناهج المستشرقين ج١ ص ٢٢

« هل يظلم المرء نفسه ؟؟!! »

بقلم سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » الرياض

الظلم من الأمور القاسية ، وشديدة الوطأة .. وقد تعهد الله جل وعلا أن ينصر المظلوم ، وأن ينتصف لظلامته ، ولو بعد حين ، وحرمه سبحانه وتعالى على نفسه ، ونهى عباده عن التظالم بينهم ، كما جاء ذلك في حديث أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - الذي رواه مسلم والترمذي الطويل ومنه ، أن رسول الله -ﷺ- قال : فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم » إلى آخر الحديث ، لكن المؤلم أن يتعدى الإنسان على نفسه فيظلمها ، وقد يدري أولا يدري .. وما شدة الظلم ، وأثره القاسي ، إلا لما تحمله الكلمة من معنى وما ينتج عنه من جراحات في نفس المظلوم ، ونتائج في المجتمع ..

فالظلم تسلط من قوي أدلى بقوته ، وتعالى بمكانته وقدرته ، مستضعفاً من هو أدنى منه وآخذاً حقاً ليس له منه ، ففي هذا التصرف قهر للنفس ، وتعدٍ على ما للآخرين ، سواء كان مالاً ، أو عرضاً .

قال الزبيدي في تاج العروس : الظلم بالضم : التصرف في ملك الغير ، ومجاوزة الحدّ ، قاله المناوي ، قال شيخنا : ولذا كان محالاً في حقه تعالى ، إذ العالم كله ملكه تعالى لا شريك له ، وقال الراغب : هو عند أكثر أهل اللغة : وضع الشئ في غير موضعه .. قال الجوهري : ومن أمثالهم من

أشبه أباه فما ظلم . قال الأصمعي : أي ما وضع الشبه في غير موضعه ، ويقال أيضاً : من استرعى الذئب فقد ظلم ، قال الراغب : ويقال في مجاوزة الحد الذي يجري مجرى نقطة الدائرة ، ويقال فيما يكثر ، وفيما يقل من التجاوز ، ولهذا يستعمل في الذنب الكبير ، وفي الذنب الصغير ، ولذا قيل لآدم - عليه السلام - في تعديه ظلم ، وفي إبليس ظالم ، وإن كان بين الظالمين بون بعيد ، ونقل عن بعض أئمة الاشتقاق : أن الظلم في أصل اللغة النقص ، واستعمل في كلام الشارع لمعان : منها الكفر ومنها الكبائر ، وقد قال بعض الحكماء : الظلم ثلاثة : الأول ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى ، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق ، ولذلك قال عزوجل : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ ، والثاني ظلم بين الإنسان وبين العباد ، وإياه قصد بقوله تعالى : ﴿ إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ﴾ وقوله تعالى في قتل النفس : ﴿ ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً ﴾ أما الثالث : فهو ظلم بينه وبين نفسه ، وإياه عين بقوله عزوجل : ﴿ فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ﴾ وقوله تعالى في حق آدم وحواء : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ أي لأنفسهم ، وقوله تعالى : ﴿ ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ﴾ وكل هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس ، فإن الإنسان في أول ما يهم بالظلم فقد ظلم نفسه ، والظالم أبداً مبتدئ بنفسه في الظلم ، ولذا جاء في كتاب الله في أكثر من موضع قول الله عزوجل : ﴿ وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ [٨: ٢٨٢] .

والعدل هو نقيض الظلم ، وقد جاءت الشرائع بالعدل فيما بين الناس بعضهم البعض ، حتى ينصافي المجتمع وتزول منه الشحناء والبغضاء ، وتسود الأمة وبيئتها الألفة والمحبة ، بإيصال الحقوق لأصحابها ، وبعدم التجاوز والتطاول ..

أو فيما بين الإنسان ونفسه ، فلا يحملها ما لا تطيق ، ولا يثقلها بأعباء فوق قدرتها ، سواء كانت تلك الأعباء عقلية أو بدنية ، أو مالية أو صحية .

وكل شئ في هذه الحياة المحسوسة لدينا ، له طاقة في التحمل ، وقدرة معينة في الاستطاعة ..

= فوسائل النقل الحديثة : من طائرات وسفن ، وشاحنات أرضية ، يقدر المختصون الوزن الذي تستطيع حمله ، وكل ما تجاوز هذا المقدار فإنه يعرض الناقلة للخطر .

= والطرق التي تسير عليها الحافلات ، والجسور التي يمر من فوقها الناس والدواب ، و وسائل النقل المختلفة لها ثقل معين تستطيع تحمله . ومتى زاد ذلك الحمل ، فإنها معرضة للأضرار ، والسائرون عليها للمخاطر.

= والمباني بأدوارها المتعددة لابد أن يكون في مواصفاتها اختبار للتربة ، وتحديد للنوعية في المواد المقامة منها ، ومعرفة لمقدار الأدوار والبشر ، وما يتعلق بهم من أثاث ومتاع ، ثم مراقبته لذلك وعدم الزيادة ، وإلا فإن مآسي ستحصل ، وكوارث ستقع للمبنى ومن يسكنه ، إن لم يتجاوز ذلك إلى المجاورين .

= والحيوان الذي هيأه الله للإنسان ، من الظلم له تحميله فوق قدرته ، وبحسب حالته الجسدية ، أو جعل ما خصص لحالته في غير مكانها : كالحمل على ما خصص للحلب ، أو الركوب لما خلق للحرث ، أو زيادة الأعباء والأحمال بما ينهك ذلك المخصص لهذه المهنة .. وقد نهي رسول الله -ﷺ- في مواضع كثيرة عن ظلم الحيوان ، أو تعذيبه ، أو وسمه في وجهه أو لعنه ، أو غير هذا مما يضعف الأمانة التي تحملها الإنسان تجاه

نفسه وتجاه ما تحت يده ولو كان لا يشكو ولا يتألم .. وهذا قبل أن يعرف الإنسان الغربي الرقة ، أو يدعو لجهعيات الرفق بالحيوان ، وغير هذا كثير مما نحسه ونلمسه في حياتنا ، بحسب أعمالنا وتخصصاتنا ، لأن المعادلة العلمية : بأن كل فعل له رد فعل ، وكل قوة أو رافعة ، لها مقدار تتحمله ..

كيف يظلم المرء نفسه :

وإذا تجاورنا ظلم الناس بعضهم لبعض ، ذلك المنهج الذي كفل الإسلام فيه : ردع الظالم ، وإنصاف المظلوم ، وكبح جماح القوي ، وإراحة نفس الضعيف .. بالحقوق الشرعية المفروضة ، والتعليمات والأوامر الموجهة من مصدري التشريع في الإسلام ، ثم بما هيأه الله من حق في الولاية ، وسلطة تنفذ ، وأحكام شرعية تحقق ، فإن هذا من دفع الله الناس بعضهم عن بعض .

فإننا نأتي لكتاب الله الكريم لنرى فيه تأكيداً كثيرا عن ظلم البشر لأنفسهم : ﴿ كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ حيث جاءت في أكثر من عشرة مواضع ، أما عن اشتقاق الظلم ، وعودته للنفس البشرية ، فقد وردت في كتاب الله جل وعلا أكثر من خمسة عشر مرة .. موضحة لما قبلها من عمل يضر بالنفس ، ويحرفها عن مسارها الطبعي الذي وجهت إليه ، وفيه مصالحها ومنافعها .. واللغة العربية يقول المختصون في علومها النحوية واللغوية : بأن زيادة المبنى زيادة في تمكين المعنى .

فالشارع عند ما أبان طريق الفلاح ، ومنهج السعادة ، فإنه قد جعل عليه علامات وميزة بما يجعله واضحاً لا غبار عليه ، ولا لبس في المسلك إليه ، وهذا هو التكليف الشرعي الذي يجب على العاقل إدراكه ،

والتقيد به ، وعدم تجاوزه ، بالإسراف على النفس قسراً وتكليفاً ، لما في هذا من ضرر وظلم .

وهذا التجاوز هو الانحراف عن الهدى إلى الضلال ، ومن الإيمان إلى الكفر .. وهذا الظلم بقيادة النفس إلى ذلك المنحدر ، الذي فيه عصيان لله ، وابتعاد عن طريق الحق الذي أوضحه لعباده وأمرهم باتباعه ، ووعد من استرشد بالخير والفلاح ، والجزاء الأوفى ، ومن حاد وابتعد وعاند ، بالشقاوة والخسران ، والعذاب في الأخرى .

وقد أعطى الله الإنسان العقل ليميز ، ورسم له الطريق ليتبع ، وأبان له النتائج ليوازن ويتعمق ، فإن اختار الطريق الآخر ، فقد ظلم نفسه ، وأوردها المهالك ، وهذا أنكى أساليب الظلم للنفس ، ذلك أن الحيوانات وغيرها من كثير من الكائنات ، أعمق فهما من الإنسان في هذا الجانب المهم ، وأكثر إدراكاً لما يجب على النفس .

= فقلوب كثير من البشر أشد قساوة من الحجارة .

= وكثير من البشر أقل تسبيحاً لله وشكراً لنعمه من الحيوانات والطيور .

= وغالبية البشر أضعف توكلاً على الله من الطير .

= بل إن الغالبية العظمى من الكائنات على وجه الأرض أعرف بمصالح أنفسها وما ينفعها من البشر .

وبالمقارنات نجد أن الإنسان وهو الذي تميز عقله بالإدراك ، وحسه بالفهم ، وذهنه بالمعرفة ، قد يوقع نفسه في أمور كثيرة ، تضر بحياته ، وتنتهك جسمه ، ويتناسى معها مصلحته ، فينسى أو يتناسى مع رغبته الجامحة ، ما وراء ذلك العمل من أضرار ، وما ينجم عن تلك التصرفات من

مصائب على نفسه قبل مجتمعه ، وعلى مصيره الأخروي قبل واقعه الدنيوي .

ويظهر ذلك جلياً في المعاصي والآثام التي حرمها الإسلام ، فإن وراء كل سبب علة ، وكل حالة آثاراً ولكي يجنب العقلاء إخوانهم في كل عصر ، ظلم النفوس ، وإرهاقها بما لا تطيقه من آثار عاجلة ، ونتائج آجله .. فإنهم يجب أن يخاطبوهم بما يفهمون في عصرهم ، ويجسموا أمامهم ما هو محسوس لديهم ، في وسائل توضيحية ، ومقارنات مقنعة .. ففضلاً عما هو موضح في كتاب الله جل وعلا ، وفي سنة رسوله الكريم -ﷺ- ، من عقاب ، وعذاب ، ونذر في الدنيا ، فإن كل مختص في ميدانه يوضح النتائج لتلك المقترفات بما ظهر له : طبياً وعلمياً ، ومختبرياً ونفسياً ، أخذاً من دلالة الآية الكريمة : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ وهذا من مخاطبة الناس بما يعرفون ، مربوطاً بالدلالة الشرعية .

= إذ من ظلم النفس بالزنا ظهور الأوبئة الخطيرة والكثيرة ، حيث كتب أحد الأطباء رسالة أحصى فيها أكثر من ١٥ مرضاً .

= ومن ظلم النفس بمنع الزكاة احتباس القطر من السماء ، ونزع البركة من المال ، وتعريضه للآفات .

= ومن ظلم النفس بتعاطي الخمور أمراض الكبد وتفتتها ، والحوادث الكثيرة ، وتوسع الجريمة .

= ومن ظلم النفس بالسرقة انتشار الخوف في المجتمع ، وتزعزع الأمن .

= ومن ظلم النفس بالأعمال الزائدة ، الإرهاق والقلق النفسي ، الذي قد يفضي إلى أضرار صحية ، وأمراض نفسية .

= ومن ظلم النفس بحمل ثقل فوق طاقة النفس ، حصول أمراض عاجلة تكبر وتصغر بحسب هذا التحميل ، سواء مسّ المفاصل أو الأعصاب أو العظام ، أو الأعضاء الداخلية للجسم .

إلى غير ذلك من أعراض تظهر آثارها العاجلة ، لتندر ذوى العقول المتبصرة ، والأفئدة المتيقظة ، إذ كل عمل يخالف الفطرة السليمة ، والمنافع الظاهرة صحياً واجتماعياً ، فهو أولاً ظلم للنفس ، وتحميل لها فوق طاقتها التي كلفها الله في حدود هذه الطاقة ، وستجنى هذه النفس عقابيل هذا الظلم ، الذي نبهت عنه فلم تنتبه ، ورسم الطريق لها فانحرفت عنه .

ورسول الله -ﷺ- يحذر الأمة الإسلامية ، من أي مسلك فيه ظلم للنفس ، وإضرار بالمجتمع ، حتى تعرف النتائج بآثارها ، وتتدارك كل نفس من جانبها ، ما تستطيع به ردع ذلك الظلم : فردياً كان أو اجتماعياً ، عند ما يقول صلوات الله وسلامه عليه في حديث رواه ابن ماجه في سننه بسنده إلى عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : أقبل علينا رسول الله -ﷺ- فقال : « يا معشر المهاجرين ، إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم قط ، حتى يعلنوا بها ، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ، ولم ينقصوا المكيال والميزان ، إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة ، وجور السلطان عليهم ، ولم ينقضوا عهد الله ، وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ، ويتخيروا مما أنزل الله ، إلا جعل الله بأسهم بينهم .

فهذه الخصال ، وغيرها مما أخبر الله ورسوله في مصدري التشريع

عنها نتائج كبيرة لظلم الإنسان نفسه ، وأشدها وأكثرها ألماً عقاب الله في الآخرة ، بنار جهنم ، لمن ظلم نفسه بالشرك بالله ، حيث سماه الله الظلم العظيم ، ومن هنا جاءت العقوبات والحدود في التشريع الإسلامي لردع النفوس عن الظلم ، وكبحها التعدي على كل ما حرم الله ، مما يسئ للنفس ، ويضر بالمجتمع .

وذوق الألم العاجل مما ينبه النفس ، ويعرفها مالها وما عليها ، ويعيدها إلى جادة الصواب ، لأن عقاب الدنيا أخف من عقاب الآخرة ، مهما كانت وطأته .

نماذج من الظلم :

لو وضعنا حيواناً في حديقة ملأى بالنباتات الضارة والنافعة ، لوجدناه ويرعى من النافع ويترك الضار ، ولو وضع أمامه ماء حاراً وآخر باردا ، وثالثاً : متوسطاً لرأيناه يتحمس النافع لجسمه ليتناوله ويترك شديد البرودة ، وعادي الحرارة لما لهما من ضرر على حياته وجسمه وأسنانه .. فمن الذي علمه ذلك ، وأرشده إلى ما فيه مصلحته ، وصرفه عما فيه ضرر عليه .. لا شك أن ذلك بتوجيه من الله جل وعلا ، الذي هدى كل شئ إلى ما يقوم حياته ، وتستقيم به حاله ..

فإذا كان هذا في جميع الكائنات التي نشاهدها في حياتنا ، فإن الانسان الذي أكرمه الله وفضله على كثير ممن خلق ، هو أولى بأن يضع نفسه في المكان الذي اختاره الله له ، وأن لا يتجنى على هذه النفس بسلوك طريق يضر بها ، وبالأداء المطلوب للأمانة ، التي عرضت على السماوات والأرض والجبال وأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها وحملها هذا الإنسان الضعيف بجسمه ، الضعيف بظلمه لنفسه ، والضعف بعدم إدراك

ذلك الثقل الملقى عليه فيتجاوزه غافلاً أو متناسياً أو متعمداً هذا الظلم لا يتم إلا عند ما تضعف الرقابة الإيمانية على هذه النفس ، أو يقل الوازع فتستسلم للهواجس والوساوس ، وتلين مع الشهوات ، وتنجذب للرغبات ..

ولهذا فإننا نعتبر من ظلم النفس التراخي في الأمانة الملقاة على عائق كل مسلم :

= فمن أهمل في تربية أولاده ، وتوجيه بناته ، وإبانة الطريق الذي يجب أن يسيروا فيه وفق تعليم دينهم ، وشرائع ربهم محافظة وأداء .. فهو ظالم لنفسه .

= ومن قصر في دعوة أهل بيته ومن حوله لأمور دينهم ، وحثهم على أداء عبادات ربهم ، وإبانة حكم الله في أمورهم التعبدية والعقدية .. فهو ظالم لنفسه .

= ومن لم يهتم لمكاسبه المالية ، وحسن تجميعها من الحلال ، وردع النفس عن الحرام ، مع الحرص على أداء حق الله في هذا المال : إحساناً و صدقة : وبراً وصلة رحم ، وزكاة وتفقداً للمحتاجين .. فهو ظالم لنفسه .

= ومن ادعى العلم وهو لا يعلم ، أو نصب من نفسه مفتياً ومحللاً للشرائع عن قصور علم ، ونقص فهم ، فهو ظالم لنفسه .

= ومن اسرف على نفسه يتعاطى السموم ، التي بانت أضرارها ، وشرحت مفاسدها الكثيرة التي لا يحصيها حيز صغير كهذا : كالخمر والمخدرات .. وغيرها من السموم التي لا نفع فيها البتة ، بل هي ويلات وبلاء متلاحق فهو ظالم لنفسه .

= ومن ضعفت نفسه عن تحمل المصائب والكوارث ، ولم يحتسب ما جاءه

من عند الله أجراً مدخراً ، ورضاء بما قسم الله ، فخرج وسخط .. أو تجاوز لذلك لما هو أدهى فقتل نفسه لأي سبب ، فهو ظالم لنفسه .

= ومن تحمل أمانة العمل أمام ولي الأمر ، أو وضع في عنقه بيعة له بالسمع والطاعة ، ثم جنحت به هذه النفس الأمارة بالسوء ، ففضل رغبة دنيوية ، ومصلحة ذاتية ، وانقياداً مع آخرين ، فلم يؤد العمل الذي نيط به على الوجه المطلوب ، فأختلس الجهد أو الوقت أو المال ، ولم يراع ذمة ما التزم بها بغفلة من ولي الأمر ، وبحث لنفسه عن تسويفات ، وعلل لتصرفه بمخارج ، فهو ظالم لنفسه .

وهكذا كل عمل يقوم به الإنسان ، ويستحيى من إعلانه على الملأ ، لأنه سيجد فيه انتقاداً أو توبيخاً فهو من موارين ظلم النفس ، والقياس في هذا بنظرة العقلاء ، وأصحاب العلم الشرعي ، كما أخبر بذلك المصطفى - ﷺ - فمن حديث طويل : « والاثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس ، وإن أفتاك الله وأفتوك » .

فالمدرس من ظلمه لنفسه عدم الإخلاص في إيصال المعلومات لطلابه ، أو [illegible] والأم ظالمان لنفسيهما إذا [illegible]

[illegible]

... ...

الفقه الإسلامي :

« الفرق بين الديانة والقضاء »

[بحث أصولي]

بقلم فضيلة الشيخ عتيق أحمد البستوي

نقله إلى العربية الأخ رحمة الله الندوي الطهرموري

لا يخفى على من يلم بدراسة الكتب الفقهية أن الفقهاء في كثير من القضايا والمسائل يبينون حكمين معاً ، ويعبرون عن ذلك فيقولون : هذا الحكم « بالديانة » وهذا « بالقضاء » ونجد أمثلة هذا النوع من المسائل بكثرة كثيرة في باب الطلاق ، حيث يفرقون بين الحكمين ، الحكم « بالديانة » والحكم « بالقضاء » ، وكذلك لا يخلو كتاب النكاح وكتاب الأيمان وكتاب العتق من مثل هذا النوع من المسائل .

ونورد هذا البحث الوجيز حول الفرق بين الديانة والقضاء ، والهدف ، بذلك إثارة بعض الأسئلة في أوساط العلماء وأصحاب الفتيا والقضاء ، حتى يتمكنوا من إيضاح بعض جوانب الموضوع التي خفيت عليهم ، وليسوا هم على خبرة تامة بها .

وبادئ ذي بدء نسرد فيما يأتي ما كتبه العلامة الشيخ أنور شاه الكشميري - رحمه الله - حول هذا الموضوع في كتابه : « فيض الباري على صحيح البخاري » حتى يطلع عليه القراء :

« واعلم أنهم فسروا الديانة بما بينه وبين الله ، والقضاء بما بينه وبين الناس ، وفهم منه بعضهم أن الديانة تقتصر على معاملة الرجل نفسه ، فإذا شاع وبلغ إلى ثالث ، خرج عن معنى الديانة إلى القضاء ، وهذا غلط فاحش ، فإن مدار الديانة والقضاء ليس على الاشتهار وعدمه ،

بل يبقى الأمر تحت الديانة ، ما لم يرفع إلى القاضي ، وإن كان اشتهر اشتهار الشمس في رابعة النهار ، فإذا رفع إليه خرج عن الديانة ودخل تحت القضاء ، ولولم يسمعه قرينك ، ثم إن القاضي من تولى من جهة الأمير لتنفيذ الأحكام وإجرائها ، بخلاف المفتي ، فإنه يعلم مسائل الشريعة عند الاستفتاء ، ولا يحتاج إلى نصب الأمير ، ولا له إجراء الأحكام ، وقد علمت مرة فيما سبق أن المفتي يحتاج إلى علم المسألة فقط ، ويجيب على الاحتمالات والتقديرات أيضاً ، مثلاً لو كان الأمر كذلك كان الجواب ذلك ، بخلاف القاضي ، فإنه يحتاج إلى علم الواقعة ، ولا تعلق له بالتقديرات ، فإنه نصب لإجراء المسائل ، ولا يكون إلا بعد التحقيق عما في الواقع .

إذا علمت هذا فاعلم أن مسائل الديانات كلها يفتى بها المفتي لا يحكم بها القاضي ، وهكذا مسائل القضاء ، يحكم بها القاضي ، ولا علاقة بها للمفتي ، فإن الديانة والقضاء قد يتناقضان حكماً ، أي يكون حكم الديانة نقيض ما في القضاء ، وقد صرحوا أنه لا يجوز لأحدهما أن يحكم بحكم الآخر ، والمفتون اليوم غافلون عنه فإن أكثرهم يفتون بأحكام القضاء ، و وجه الابتلاء فيه : أن المذكور في كتب الفقه عامة هو مسائل القضاء وقلما تذكر فيها مسائل الديانة ، نعم تذكر تلك في المبسوطات ولا تنال إلا بعد تدرب تام ولعل وجهه أن القاضي في السلطنة العثمانية لم يكن ينصب إلا حنفياً بخلاف المفتين فإنهم كانوا من المذاهب الأربعة ، وكان القاضي الحنفي ينفذ ما أفتوا به فشرع المفتون تحرير حكم القضاء لينفذ القاضي فاشتهرت مسائل القضاء في الكتب وخملت مسائل الديانة ثم لا يجب أن تتفق الديانة والقضاء في الحكم بل قد يختلفان .

ففي الكنز : إن ولدت ذكرا فأنت طالق واحدة وإن ولدت أنثى فثنتين فولدتهما ولم يدر الأول تطلق واحدة قضاء وثنتين تنزها أي ديانة ، فههنا أخذ القاضي بجانب المتيقن والمفتي بالأحوط ولو قال في هذه المسألة بعينها : إن ولدت أنثى فثلاثة فولدتهما فهي ثلاثة ديانة و واحدة قضاء فاختلف الحكمان حلا وحرمة ، ثم الأحوط ههنا واجب كما صرحوا به لا أنه مستحب ، وهكذا الإقالة في الغرر الفعلي واجبة عندنا ديانة وليست بمستحبة فظهر أن الديانة لا تكون مستحبة كما زعم أن العمل بالقضاء يكون واجباً وبالديانة يكون مستحباً فليس الفرق بينهما من هذه الوجوه ، ثم لي تردد ههنا وهو أنك قد علمت أن الديانة والقضاء قد يتخالفان حلا وحرمة فإن عمل الرجل المبتلى به بالديانة وكانت الديانة فيه مثلا أنه حرام ثم رفعه إلى القاضي فحكم بالحل فهل يرتفع من قضائه تلك الديانة أم لا ؟ وهل يصير هذا الأمر حلالا له بقضاء القاضي بعد ما كان حراماً له ؟ فلا نقل فيه عندي غير جزئية واحدة تروى عن صاحبيه وهي : أن الزوج الشافعي - رحمه الله تعالى - إن طلق امرأته الحنفية طلاقاً كنائياً ثم أراد الرجوع لأن الكنايات رواجع في مذهبه وأبت أن ترجع إليه لأنها بوائن عندها فإن حكم القاضي الشافعي - رحمه الله - بالرجوع نفذ ظاهراً وباطناً ويصح رجوعه وليست عندي ضابطة كلية يستفاد منها أنه متى ترتفع الديانة من القضاء ومتى لا ترتفع ، ولذا أتردد في ارتفاع الكراهة ديانة فيما حكم القاضي بالرجوع في الهبة عند ارتفاع الموانع السبعة لأن القضاء بالرجوع مع بقاء الكراهة ديانة أيضاً ممكن ولكني متردد فيه ، والذي يظهر أنه يرتفع تارة وتارة لا يرتفع .

وأول ما تنبهت على الفرق بين القضاء والديانة من كلام التفتازاني في التلويح لما ذكر صاحب التوضيح مسألة الاستعارة بين السبب والحكم في « باب الحقيقة والمجاز» وقال : لو نوى بالشراء الملك وبالعكس يصدق فيما عليه ولا يصدق فيما له ، قال التفتازاني : وفيما له أيضاً ديانة يفتى به المفتي ولا يحكم به القاضي ، ففهمت منه أن القضاء أمر غير الفتوى ، ثم لم أزل أفتش هذا الفرق في عبارات الفقهاء حتى وجدت في أصول العمادي لابن ابن صاحب الهداية مقدمة ممهدة لذلك وقد بسطه الطحاوي في (مشكل الآثار) أيضاً وهذا الفرق معتبر في المذاهب الأربعة ، ففي قصة امرأة أبي سفيان ، خذي ما يكفيك و ولدك ، وبحث عليه النووي هل كان هذا قضاء أو فتوى ؟ فإن كان الثاني فإنه يصح أن يفتى به كل عالم وإن كان الأول فإنه لا يجوز إلا للقاضي ، وعند الطحاوي : [ص/٢٥٠ ، ج/٢] ما يدل على أن هذا الفرق كان دائراً في السلف أيضاً : حدثنا سليمان بن شعيب عن أبيه عن أبي يوسف عن عطاء عن السائب قال سألت شريحا ، فقال : إنما أقضي ولست أفتي وهذا صريح في أن القضاء غير الإفتاء وأن القاضي لا يجوز له أن يحكم بالديانة ما دام قاضيا وجالساً في مجلس القضاء فإذا تحول عنه والتحق بسائر الناس فإنه مفت كسائرهم ويسوغ له ما يسوغ لهم . فالحاصل : أن الزوج إن استيقن بخبر المرضعة جاز له أن يقبل شهادتها ويعمل بالديانة ويفارقها فإن بلغ الأمر إلى القضاء لا يجوز له أن يحكم بتلك الشهادة ومن ههنا تبين أن مراد ابن الهمام - رحمه الله تعالى - من التنزه والتورع الكراهة تنزيها دون الاحتياط فقط (١) .

---

(١) فيض الباري على صحيح البخاري ، مع حاشية البدر الساري إلى فيض الباري (ج/١، ص/٨٩-١٨٧)

وبعد هذا المقتطف الطويل من كتاب « فيض الباري » نريد أن نلفت أنظار العلماء إلى بعض الأسئلة الناشئة منه .

الواقع أن المسائل التي فرق فيها العلماء والفقهاء بين حكم الديانة والقضاء تبلغ إلى عدد لا بأس به . فما هو واجب أصحاب الفتيا نحو هذه المسائل . هل هم يفتون فيها بحكم الديانة أبداً . أم لهم خيرة في هذا الباب . فيختاروا ما شاءوا من حكم الديانة أو القضاء .

هذا هو السؤال الأساسي الذي يتطلب الرد العاجل عليه . وبذلك نكون قد أدينا واجبنا . وفرنا بصيانة أصحاب الفتيا والقضاء عن كثير من الخلافات والنزاعات .

ويظهر من نصوص كتب الفقه وأصول الفقه أن القضايا التي تختلف فيها الأحكام بين الديانة والقضاء لو استفتى فيها رجل ليعمل بها . فالمفتي يفتى فيها بحكم الديانة . وقد تناول هذه القضية العلامة المذكور في كلامه . وأسندها إلى العلامة التفتازاني . وقبل أن نورد نص العلامة التفتازاني يحسن بنا أن نقرأ نصا آخر من أشهر كتاب لأصول الفقه الإسلامي حول هذا الموضوع .

فيقول العلامة البردوي - رحمه الله - في باب الاستعارة وصحتها بين العلة والحكم من الطرفين : « وإن نوى بالشراء الملك . حتى يشترط الاجتماع فيه فلا يعتق النصف الباقي يصدق ديانة . لأنه استعار السبب أي العلة لحكمه . فيجوز . ولا يصدقه القاضي . لأنه نوى ما فيه تخفيف عليه . فلا يقبل قوله للتهمة . لا لعدم صحة الاستعارة » .

ثم المراد من قوله : « يدين فيما بينه وبين الله تعالى . ولا يدين في القضاء . أنه إذا استفتى يجيبه المفتي على وفق ما نوى . ولكن القاضي

يحكم عليه بموجب كلامه ، ولا يلتفت إلى ما نوى ، إذا كان فيه تخفيف ، وكان هذا نظير ما لو استفتى رجل عن فقيه ، أن لفلان على ألف درهم ، وقد قضيته هل برئت من دينه ، فالفقيه يفتيه بأنك برئت منه ، وإذا سمع القاضي ذلك منه ، يقضى عليه بالدين ، إلا أن يقيم بينة على الإيفاء ، كذا في بعض شروح الجامع » (١) .

وتدل عبارة الشيخ عبد العزيز البخاري بكل وضوح وصراحة على أن المفتي يفتى بحكم الديانة في المسائل التي اختلف فيها الحكمان ، (الديانة والقضاء) .

و وافقه كليا العلامة التفتازاني في كتابه ضمن بيانه قضية الملك والشراء (٢) .

ويقول العلامة ابن عابدين الشامي وهو يشرح الدر المختار : « ولو نوى به الطلاق عن وثاق دُيّن ، إن لم يقرنه بعدد » ، « قوله دُيِّن أي تصح فيما بينه وبين ربه تعالى ، لأنه نوى ما يحتمله لفظه ، فيفتيه المفتي بعدم الوقوع ، أما القاضي فلا يصدقه ، ويقضى عليه بالوقوع ، لأنه خلاف ظاهر بلا قرينة » (٣) .

وتوجد صراحة كاملة في هذا الصدد في أهم وأشهر كتاب للفقه الحنفي ، وهو « الفتاوى البزازية » وفيما يأتي نصه بكل ما له وما عليه دون أي

---

(١) [illegible] عبد العزيز البخاري على أصول الإمام [illegible] ط مكتبة الصنائع [illegible]

(٢) [illegible] التوضيح [illegible] ص [illegible] ١٢٠ ط [illegible]

(٣) [illegible] المجلد الثالث ، ص ٢٥١ طبع شركة [illegible]

حذف . فقال في كتاب الأيمان من الفتاوى البزازية : « كل امرأة يتزوجها فكذا . ولو نوى امرأة من بلد كذا لا يصدق في ظاهر الرواية . وذكر الخصاف أنه يصدق . وهذا بناءاً على جواز تخصيص العام بالنية . فالخصاف جوزه . وفي الظاهر لا . وعلى هذا أخذ منه درهماً وحلفه على أنه ما أخذ منه شيئاً، ونوى الدنانير. فالخصاف جوزه . والظاهر خلافه . والفتوى على الظاهر . وإذا أخذ بقول الخصاف فيما إذا وقع في يد الظلمة . لا بأس به . وقد ذكروا عن السلف أن اليمين على نية الحالف . إن كان مظلوماً . وعل نية المستحلف إن كان الحالف ظالماً . وفي الديانة يصدق في الأحوال كلها . بلا خلاف . ومعناه أن المفتي يفتيه . أنك غير حانث في اليمين بهذه النية . لكن القاضي يحكم بالحنث ولا يصدقه . كما إذا استفتى فيما إذا استقرض من رجل وأوفاه . هل برئ ؟ يفتى بالبراءة لكن إذا سمع القاضي يقضى بالمال . إلا أن يبرهن على الإيفاء . دل على أن الجاهل لا يمكنه القضاء بالفتوى أيضاً . فلابد من كون القاضي الحاكم في الدماء والفروج . عالماً ديناً . وأين الكبريت وأين العلم » (١) .

ويقول العلامة ابن عابدين في كتابه « أدب القاضي » وهو يشرح قول الفتاوى البزازية « المفتي يفتى بالديانة » . قوله : « المفتي يفتى بالديانة » مثلاً إذا قال رجل : قلت لزوجتي أنت طالق . قاصداً بذلك الاخبار . فالمفتي يفتيه بعدم الوقوع . والقاضي يحكم عليه بالوقوع . لأنه يحكم بالظاهر . فإذا كان القاضي يحكم بالفتوى . يلزم بطلان حكمه في مثل ذلك . فدل على أنه لا يمكنه القضاء بالفتوى في كل حادثة . وفيه

---

(١) الجزء الأول من الفتاوى البزازية على هامش المجلد الرابع من الفتاوى الهندية : ص/ ٢٤٢ . طبع دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان .

نظر . فإن القاضي إذا سأل المفتي عن هذه الحادثة لا يفتيه لعدم الوقوع ، لأنه إنما سأله عما يحكم به ، فلابد أن يبين له حكم القضاء . فعلم أن ما في البرازية لا ينافي قولهم : يحكم بفتوى وغيره » (١) .

وبعد اتضاح هذا الأصل الشرعي يبدو أن ما انتقد عليه العلامة الكشميري ، و وجه الاعتراض إليه في كلامه الطويل التفصيلي أمر ثابت يمت إلى الواقع كلياً ، وذاك أن كثيراً من أصحاب الفتيا في عصرنا هذا يفتون بحكم القضاء في مثل هذه المسائل الخلافية ، مع أنه ينبغي لهم أن يفتوا فيها بحكم الديانة ، وقد تناول العلامة نفس الموضوع في كتابه : « العرف الشذى » – مجموعة أماليه على سنن الترمذي – وقد زاد فيه بعض ما لم يذكره في كتابه فيض الباري .

وقبل أن اتوجه إلى تلك النكات يناسب لي أن استرعى انتباهات العلماء وأصحاب القضاء والإفتاء إلى بعض المسائل التي تحتاج إلى البحث والتحقيق :

١ – يبدو من دراسة كتب الفقهاء الحنفية أنهم تارة يعبرون عن حكم الديانة بقولهم : « هذا ديانةً » وبقولهم : « يدين » تارة أخرى ، وتارة بقولهم : « فيما بينه وبين الله » فالسؤال أن هذه التعبيرات الثلاثة تؤدى معنى واحدا أم أنها تدل على معان مختلفة .

٢ – قد فرق العلماء الأحناف في عدد كثير من مسائل الطلاق بين الحكم قضاءً وديانة [illegible] حتى إن عدد مثل هذا النوع من المسائل في باب الطلاق أكثر إحداثا من الأبواب الفقهية الأخرى . فإن استعمل رجل كلمات

(١) رد المحتار على [illegible] ج ١ ص ٢٠١ طبع شركة الحاج محمد سعيد [illegible] لاهور

صريحة للطلاق ثلاث مرات ولم يصرح عن العدد ، ثم قال : لم أنو بإيراد ألفاظ الطلاق في المرتين الثانية والثالثة إلا تأكيد الطلاق الأول ، دون إيقاع الطلاق الثاني والثالث . فوفق تقرير الفقهاء يقع واحداً ديانةً وثلاثاً قضاءاً ، وكذلك إيراد الصيغ الكنائية للطلاق في حالة الغضب أو عند مذاكرة الطلاق ، فقد صرح به الفقهاء أنه يقع ببعض الألفاظ بغير النية كذلك دون بعض ، لكن هذا التفصيل في الحكم قضاءا ، أما في حكم الديانة فلا يقع الطلاق البتة بغير النية في ألفاظ الكناية ، سواء تفوه بها حالة الغضب أو عند محادثة الطلاق .

يقول العلامة الشامي ضمن شرحه قول الدر المختار : « فالكنايات لا تطلق بها قضاءاً إلا بنية ، أو دلالة الحال ، وهي حالة مذاكرة الطلاق أو الغضب » ، قوله : « قضاءً لأنه قيد به لأنه لا يقع ديانة بدون النية ، ولو وجدت دلالة الحال ، فوقوعه بواحد من النية أو دلالة الحال ، إنما هو في القضاء فقط ، كما هو صريح في البحر وغيره » (١) .

ومما ذكرنا من نصي « كتاب الطلاق وكتاب أدب القاضي » للشامي يبدو أن المفتي يفتي بالديانة كذلك في مسائل الطلاق التي يفترق فيها الحكم قضاءً وديانةً ، غير أن هذا المعنى والعمل به يصعب في باب الطلاق ، وهذا من أجل ذلك الأصل الذي يتناوله الفقهاء الأحناف في باب الطلاق وهو « المرأة كالقاضي » .

فإن اقتصرت دائرة هذا الأصل في صورة المسألة التي « سمعت الزوجة ألفاظ الطلاق بنفسها أو أخبرها به رجل عدل ، والزوج ينكر ذلك ، فالمرأة تحل محل القاضي في هذه الصورة دون أي صعوبة أو مشكلة ، لكن مما

(١) : رد المحتار على الدر المختار ، للعلامة ابن عابدين الشامي ج/٢ ، ص/٢٥٢

زاد الطين بـلــة أن بعض الفقهاء قد وسعوا نطاق الأصل « المرأة كالقاضي » باتخاذه قاعدة عامة في إطار واسع .

فيقول العلامة ابن الهمام : « وكل ما لا يدينه القاضي إذا سمعته منه المرأة أو شهد به عندها عدل ، لا يسعها أن تدينه ، لأنها كالقاضي ، لا تعرف منه إلا الظاهر » (١) .

وخلاصة هذا الأصل الذي ذكرناه سالفاً أن القضايا المنوطة بالطلاق التي لا يصدق فيها القاضي قول الزوج لا تصدق فيها المرأة قوله : وإنها تبين منه بتقريرها نفسها مطلقة .

والمشكلة التي تعرض في ضوء هذا الأصل الفقهي إنما هي في المسائل التي تختلف فيها الأحكام ديانةً وقضاءً ، وصورتها أن المفتي يفتى للزوج بعدم وقوع الطلاق نظراً إلى حكم الديانة ، وفي جانب آخر يفتى للزوجة بكونها مطلقة ، فلا تفوض أمرها إلى الزوج قطعياً ، وهذا ما يؤدي إلى تعقد قضية الزوجين دون أن تنحل ، ثم يعود الأمر إلى القاضي لحل هذه القضية ، فترفع إليه ، ثم هو يحكم فيها بالقضاء ، ويلزم على كلا الفريقين الالتزام بما حكم به القاضي ، ولا يسوغ لأي منهما العدول عن قضاء القاضي .

لكن المشكلة التي تحول دون تحقق هذا الأمر هي أن الهند مملكة ينقصها نظام الحكم الإسلامي ، وقلما يوجد في بعض المناطق ، حتى تخلو منه الولايات بأسرها ، ثم رفع القضية إلى القاضي في مثل هذه الظروف أمر صعب ، والأمر الذي يتطلب استرعاء انتباهات العلماء

---

(١) فتح القدير لابن الهمام : ج/٣ ، ص/٢٥٢ .

والباحثين من أصحاب الفتيا والحكم ، وإيجاد سبيل التخلص من هذه العقدة ، وإنقاذ الجماهير منها واجب ديني يعود إليهم .

وقد اتضح من مختلف المقتطفات الفقهية لهذا البحث أن قاضياً لو استفتى مفتياً عن المسائل المرفوعة إليه ، فهو يفتى طبق حكم القضاء لا بحكم الديانة ، والأمر الذي يحتاج إلى البحث والنظر هو أنه لو جاء الفريقان المتنازعان عند المفتي ، فهل له أن يفتى بحكم الديانة ، لم ينص على هذه القضية أحد من الفقهاء بكل صراحة ، لكني كما اعتقد بعد البحث والنظر الغائر أن المفتي سوف يشبه القاضي في تلك الصورة ، ومن ثم هو يحكم بالقضاء لا بالديانة ، لأنه لو أفتى بالديانة ، ويصرف النظر عن الظاهر يتهم بالانحياز ، ولم يؤمر القاضي بالحكم بالظاهر إلا لكي لا يطعن ولا يتهم ، فكذلك للمفتي أن يصون نفسه عن هذه التهمة .

ومن أمثلة تباين حكم القضاء والديانة في باب الطلاق « قضية إضافة الطلاق » فلو لم يضف الزوج الطلاق إلى الزوجة صراحةً ، فإن دلت القرائن القوية على أنه لم يلفظ بكلمات الطلاق إلا لزوجته يقع الطلاق قضاءاً ، سواء نوى إيقاع الطلاق ، أم لم ينو ، لكن حكم الديانة يختلف منه ، فإن صرح الزوج في هذه الصورة – أي عدم إضافة الطلاق إليها صراحةً – أنه لم يرد إضافة الطلاق إليها لا يقع ديانةً ، وإن كانت القرائن الصريحة تدل على أنه لم يرد إلا إيقاع الطلاق عليها .

﴿ اللهم فقهنا في الدين وعلمنا التأويل ﴾

••••••••••••

•••••••••

المـال فـي الإسلام

بقلم الدكتور شوكت محمد عليان
أستاذ الثقافة الإسلامية - الرياض

المال هو كل ما ينتفع به ، أو يكون صالحاً لأن ينتفع به ، ومحلا للتعامل . سواء كان مملوكاً أو غير مملوك . هذا ما ذهب إليه جمهور الفقهاء .

أما فقهاء الحنفية فقالوا : المال هو ما أمكن حيازته وإحرازه والانتفاع به انتفاعاً عادياً جائزاً في غير الحالات الضرورية .

وعلى هذا فليس من المال ، المنافع ، كالمبتكرات الفنية ، والمخترعات العلمية ، لأنها ليست أعياناً ، وكذا الميتة ليست بمال ، لأن الانتفاع بها غير جائز إلا في حالات الضرورة .

والمال في جملته عنصر هام في الحياة ، اشغل عموم الناس ، وحتى المفكرين منهم لا يزالون يعانون حل مشكلة المال - باعتباره قوام الحياة وعصبها - فهم حين يسعون إلى تحويل رأس المال من الفرد إلى الجماعة ، كحل للمشكلة المالية ، نراهم يبررون دعوتهم ، بأن جعل الجماعة تحت الاشراف والمراقبة من السلطة القائمة ، أيسر منالاً ، وأسهل عملاً من محاولة ذلك مع الأفراد .

وفي نظرهم أيضاً أن الحكمة في هذا التحويل هي توزيع المال وفوائده بنسبة لا تتناقص مع مصلحة الأمة ، ولا يتطرق إليها الاستبداد ، لأن انحصار المال بيد الأفراد ، واكتنازهم له من وجوه الظلم الذي يصبح من العسير تحرير الناس منه ما لم يتم توزيع المال ، وتصير مصلحة العمل

ضمن مصالح المجتمع ، ويكون العامل عاملا للمصلحة العامة لا الخاصة ، فتوزيع المال هو أضمن وسيلة للقضاء على كل سلطة فردية تعوق سير المجتمع عن التقدم والرقي .

ويرى نفر من الناس أنه لا يكتفي بتوزيع المال ، بل يجب منع تملك الأفراد للأرض ، والموارد الطبيعية للقوى المحركة وغيرها من وسائل الإنتاج .

وهذه كلها دعاوي غير مسلمة ، لأن فيها اصطداما للفطرة الإنسانية التي جبلت على حب التملك ، والعناية بما تملك

وهذا لا يعني الاستسلام للفكر الرأسمالي الذي يرمي إلى مجرد الكسب ، وتراكم الثروة وتكديسها لدى أصحاب رؤوس الأموال ، بغض النظر عن طرائق الكسب ، أو النظر إلى اعتبارات أخرى ، كتوزيع الثروة والدخل .

وعلى كل فسواء هذا وذاك ، فمن الملاحظ أن الناس كلما تقدموا في الحضارة والتمدن ، اتسعت مشكلة المال أمامهم ، وازدادت تعقيدا ، وبعداً عن الحل ، وربما يرجع في نظرنا إلى تمركز السلطة في أيدي الرأسماليين واستعدادهم التام لمكافحة الطوارئ ، وتلافي الأخطار التي قد تهز من كيانهم ، وتهدد نفوذهم القائم على السيطرة والاحتكار ، ولما كان الدين الإسلامي هو السلطة الوحيدة القادرة على كبح جماح البشر ، وكان الدين الإسلامي هو أكبر سلطة وجدت لكبح سلطان المال فإن كلا الفريقين ، سواء الرأسمالي والشيوعي ، نجدهم يقفون في وجه هذا الدين ، بشكل أو بآخر ، ويحولون دون انتشاره بشتى الأساليب .

فعند الفكر الرأسمالي ، باصطناع رجاله ، وتسخير أتباعه وحملة تعاليمه ، وجعلهم منفذين لمشيئتهم بشكل أو بآخر ، حتى انك تجدهم

يقولون : إن توزيع الثروة على البشر قسمة إلهية يجب الوقوف عندها والاستسلام لها .

ومثل هذا القول في حد ذاته ، إنما يخدم حقيقة أصحاب المال - الذين هم في الأعم الأغلب أصحاب السلطة ، أو أعوانها ..

ثم إن القول بهذا يحول دون التفكير في الحقوق الضائعة ، والحقوق المغتصبة ، والمطالبة بها ، وبذلك يصبح الناس ، أو يظل الناس منقادين ومسخرين لأفراد قلائل من رجالات المال ومن لف لفهم .

وإن ذكرت هؤلاء الأثرياء بالفقراء والبؤساء والمعوزين ذوي الحاجات ، قالوا : « أنطعم من لو يشاء الله أطعمه » .

وعند الفكر الشيوعي الذي ينادي بتفتيت المال من يد الأفراد خشية تمركزه في أيديهم ، بدعوى القضاء على كل سلطة فردية تعوق سير المجتمع في التقدم والرقي ، فقد صار الفرد عندهم جزءاً من آلة الإنتاج الكبرى ، فليس له حرية التملك ، ولا حرية الانتقال في العمل ، ولا حرية التعبير ، ولا مجال له في الإبداع والابتكار الذي بهما يستحق الإعجاب والتقدير ، ومن ثم فلم يحقق الفكر والتطبيق الخاص بالتوزيع في النظامين ، الرأسمالي والشيوعي ما تمنياه من حرية في الإنتاج ، وفي العمل ، ومن حرية في الإبداع ، وإظهار الملكات والقدرات ، كما أنه لم يحقق العدالة والمساواة في التوزيع ومجاراة الفطر والغرائز الإنسانية .

ومع هذا الاتفاق في العيوب في هذين النظامين ، فإن هناك عيوباً خاصة لكل منهما .

فالنظام الرأسمالي ينفرد بوجود فوارق كبيرة في المجتمع بين الأغنياء والفقراء ، وتركز الثروات في أيد قليلة ، والفرد هنا هو الهدف ،

والدولة والمجتمع وسائل الأفراد للوصول إلى غايتهم ، ولو على حساب المجتمع .

وفي النظام الشيوعي الدولة هي الغاية ، والأفراد هم الوسائل التي تصل بها الدولة إلى ما تريد ، وما هم إلا جزء من آلة تتحرك .

وبـــعـــد :

فهذا هو أثر المال في ظل هذين النظامين اللذين يسودان العالم اليوم . أما في ظل تعاليم الإسلام ، فلا أثر لذلك مطلقاً ، لأن الإسلام وضع قيودا على المال كفل بها عدالة التوزيع - التي هي عصب المشكلة المالية - ، من هذه القيود :

أ- ما يعود إلى كسب المال .

ب- ومنها ما يعود إلى استعماله .

ج- ومنها ما يعود إلى مصلحة الآخرين .

فمن القيود التي تعود إلى كسب المال ، أن لا يكون الكسب عن طريق الربا ، والاحتكار ، والغش ، والسرقة ، والرشوة ، والغصب ، والظلم ، وسائر البيوع المحرمة .

ومن القيود التي تعود إلى استعماله ، تجنب الاسراف ، والتقتير .

ومن القيود التي ترد لمصلحة الغير .

١- النفقات : فكل من يرث الفقير العاجز عن الكسب لو مات غنياً ، تجب عليه نفقته في حال عجزه ، لأن الحقوق متبادلة ، والغرم بالغنم .

٢- الصدقات الاختيارية : وهي أعظم القربات إلى الله ، وهي بعد الزكاة ميدان فسيح ، يتسابق فيه الأغنياء لمصلحة الفقراء .

وهذه الصدقات من أخص أوصاف المؤمنين ، وقد حث القرآن الكريم على

هذا النوع من الصدقة ، فقال جل شأنه : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٢٤٥) .

وقال سبحانه : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابلٌ فآتت أكلها ضعفين ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٢٦٥) .

فهي تنمو في المجتمع وتعود عليه وعلى صاحبها بالخير .

ومن هذه الصدقات الاختيارية أيضاً الوقف ، وهو ما ينتفع به مع بقا أهله ، إذ لا يتصدق بأصل العين ، وإنما بالمنفعة فقط ، وهو اما عا لمختلف جهات الخير ، واما خاص لأناس بأعينهم ، أو لباب واحد من أبواب الخير .

٣- الصدقات الواجبة : وهي صدقة الفطر لصيام شهر رمضان والأضاحى ، والنذور ، والكفارات ، والدماء والصدقات الواجبة في الحج .

وعلى ضوء ذلك يمكن القول بأن الإسلام كفل عيش الفقراء ، وذوى الحاجة في المجتمع المسلم ، لا تصدقا عليهم من ذوى اليسار ، بل حق لهم عملا بقوله تعالى : ﴿ وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ﴾ (سورة الذاريات ، الآية : ١٩) . وقوله : ﴿ والذين في أموالهم حقّ معلوم للسّائل والمحروم ﴾ (سورة المعارج ، الآيتان : ٢٥-٢٤) . إنه حق يؤخذ بالقوة ويقاتل عليه ، وينفق على المستحقين من ذوى الحاجات ، ممن لم يشملهم التوزيع ، أو لم يصل بهم إلى حد الكفاية .

قال ابن حزم : (١) وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا

---

(١) المحلي لابن حزم ج ٦ ص ٢٢٤ م ٧٢٥

بفقرائهم ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكاة بهم ، ولا في سائر أموال المسلمين بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لابد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن يكنهم من المطر والشمس وعيون المارة ، قال الله تعالى : ﴿ ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين ﴾ (سورة المدثر، الآيات : ٤٢-٤٤) . فقرن الله تعالى إطعام المسكين بوجوب الصلاة .

وعن رسول الله -ﷺ- : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله ، ومن كان على فضلة ورأى المسلم أخاه جائعاً عرياناً ضائعاً فلم يغثه فما رحمه بلا شك » (١) .

وقال عمر - رضي الله عنه - : « لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على الفقراء المهاجرين » .

قال علي - رضي الله عنه - : « إن الله تعالى فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم ، فإن جاعوا أو عروا وجهدوا ، فبمنع الأغنياء ، و حق على الله تعالى أن يحاسبهم يوم القيامة ، و يعذبهم عليه » (٢) .

وكان أول عمل فعله رسول الله -ﷺ- حين هاجر إلى المدينة ، هو أن آخي بين المهاجرين والأنصار ، لأن المهاجرين كانوا فقراء ، والأنصار كانوا أغنياء ، فقام النبي -ﷺ- ، بتعديل التوزيع على المسلمين ، اعتماداً على إيمان المجتمع الإسلامي آنداك ، وخصوصاً الأغنياء منهم فكان الأنصاري يوسع على المهاجر ، ويعطيه من ماله ، ويساعده في

---

(١) المحلي : ج/٦ ، ص/٢٢٦ .

(٢) المحلي : ج/٦ . ص/٢٢٨

جميع شئونه المادية .

ولا يعني هذا أن المهاجر كان عالة على الأنصاري ، بل نجد في السير أن المهاجرين كانوا يتعففون ما أمكنهم ، فعن سعد بن الربيع الأنصاري ، وعبد الرحمن بن عوف المهاجر ، وقد آخى بينهم رسول الله -ﷺ- ، فقد عرض سعد بن الربيع على عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنهما - أن ينزل له سعد عن نصف ماله وداره وأهله ، فما كان من عبد الرحمن بن عوف إلا أن قال لسعد بارك الله لك في مالك وأهلك ودارك ، إني رجل تاجر ، دلني على السوق ، فلما ذهب إلى السوق ، تاجر وربح ، وأصبح من أغنياء المدينة .

لقد كانت مهمة الرسول -ﷺ- آنذاك ، تقريب الشقة بين الأغنياء والفقراء ، وبحيث لا تكون هناك هوة بين الفريقين ، ولقد دأب الخلفاء من بعده على هذا الأسلوب .

فهذا عمر بن الخطاب يقول لخازن بيت المال حين حمى أرض الربذة وجعلها لسائمة المسلمين وخيلهم ، اجعلها لفقراء المسلمين ، وجنبها ابل عثمان بن عفان ، وسائمة ابن عوف ، فإن هؤلآء سيجدون لماشيتهم ما تقتات به ، أما الفقراء فإن لم يجدوا فسيأتون إلى يطالبونني بالمدد من بيت المال ، وهذا أهون على من هذا .

قال ابن حزم : « ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة ، أو لحم خنزير ، وهو يجد طعاماً فيه فضل عن صاحبه ، لمسلم أو ذمي ، لأن فرضاً على صاحب الطعام ، اطعام الجائع ، فإذا كان ذلك كذلك ، *فليس بمضطر إلى الميتة ، و لا إلى لحم الخنزير»* (١) . *و للجائع أن يقاتل صاحب الطعام*

---

(١) المحلى ج ٦ ص ٢٢٠ . لابن حزم الظاهري طبعة ١٩٦٩م

الذي عنده من الطعام ما يزيد عن حاجته ، وحاجة من تلزمه نفقتهم . فإن قتل فعلى قاتله القود ، وإن قتل المانع - صاحب الطعام - فلا قود على قاتله لأنه منع حقاً ، ومانع الحق باغ على أخيه الذي له الحق ، وقد قال تعالى في البغاة : ﴿ فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيئ إلى أمر الله ﴾ (سورة الحجرات ، الآية ٩) .

وهذا لا يعني أن الفقراء والمعوزين لا دور لهم في الحياة ما دامت حقوقهم قائمة تجاه الأغنياء ، بل العكس من ذلك ، فللمسلم دور إيجابي في هذا الكون ، سواء كان غنياً أم فقيراً ، ذلك لأن تكوين الثروة في نظر الإسلام ، يرجع إلى فعل الإنسان ، فليست الأرزاق تأتي عفواً من تلقاء نفسها تجر اذيالها ، فمما لا شك فيه أن للإنسان أفعالاً اختيارية منوطة بإرادته الجزئية المكتسبة ، ومن هنا يحث الإسلام على العمل ويرغب فيه ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ (سورة الملك ، الآية : ١٥) . ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ (سورة التوبة ، الآية : ١٠٥) .

سئل -ﷺ- ، أي الكسب أفضل ؟ فقال - عليه الصلاة والسلام - : « عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور» (١) .

وقد سخر الله تعالى الكون وما فيه من مخلوقات لخدمة الإنسان ، وما على الإنسان إلا أن يستغل ما في الكون ، ويستفيد منه ، على أن يؤثر المنفعة العامة على المنفعة الخاصة ، لأن المنفعة العامة هي الأدوم والأنفع على طول الزمن ، وأن حصر النفع في المنفعة الخاصة فهم خاطئ لمعنى المنفعة .

---

(١) بلوغ المرام من أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني رقم ٨٠٠ .

قال تعالى : ﴿ وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه إ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (سورة الجاثية ، الآية : ١٢) .

ومما أود الاشارة إليه ، والتنبيه عليه ، أن تسخير الله الكون وما فيه لخدمة الإنسان ، ليس على إطلاقه ، بل هو منوط بجهد الإنسان وطاقته فإذا بذل جهداً ، وكشف عن سنن الكون وأحسن استخدامها ، فإن الكون هنا يستجيب له ، ويكون خادماً مطيعاً ، أما إذا تقاعس وتحوقل فإن الكون لن يستجيب له ، وسيظل معرضاً صامتاً أمامه .

والله تعالى يعلمنا السنن الشرعية ، ويعلمنا السنن الطبيعية الكونية في آياته في الآفاق والأنفس ، ومن ذلك السير والنظر إلى سنن الذين خلوا من قبل ، فهو سبحانه لم يقص علينا في القرآن قصة إلا لنعتبر بها ، وإنما يكون الاعتبار إذا قسنا الثاني بالأول وكانا مشتركين في المقتض للحكم (١) .

والسنن قانون الله لمخلوقاته .

والعلم هو معرفة هذه السنن .

والتسخير هو نتيجة هذه المعرفة .

ومن هنا ندرك أهمية العلم ، ولماذا كان العلم امام العمل وقائده ، فإذا فهم المسلم ذلك جيداً ، كان العلم شاهداً بصدق الإيمان بالله واليوم الآخر وصرورتهما كما شهد العلم بصدق قوانين الجاذبية مثلاً ، حيث استطاع الإنسان أن يتعامل معها ، وعرف عاقبة هذا التعامل ، فمن يخرج على قوانين الجاذبية ، ويحاول أن يقفز من السطح أو الطائرة دون أن يراعي قوانين الجاذبية فإنه يتحطم ، والمجتمع الذي لا يراعي الناس فيه

(١) مجموعة الفتاوى لابن تيمية : ج/١٤، ص/٢٢٢ .

الحقوق والواجبات التي أمر الله بها في علاقات الناس بعضهم ببعض ، فإن هذا المجتمع يتكسر ويفسد بسبب خروجه على قوانين الأخلاق ، أو قوانين الله في البشر ، كما يتكسر الذي يخرج على قانون الطبيعة في الجاذبية .

على أنه مما يجب التنبيه عليه أن التملك الشخصي ، وتفاضل الناس في متع الحياة ، وكون بعضهم أحسن حالاً من البعض الآخر في طعامه ولباسه ، لا ينبغي أن يعد في نفسه فساداً ، ما دام ذلك من مقتضى الفطرة . يقول المودودي : (١) ولو أن مكارم الأخلاق تؤدي رسالتها بين الناس ، وتمسك بيدها ميزان الإنصاف ، أو لو كان للمجتمع نظام سياسي يقيم العدل بسلطته وقوته ، لما نجم للفساد قرن ، ولا شكا الناس طغيان الشر .. فحين جحد الأغنياء حقوق الذين لم يكن لهم نصيب فيما وزع بين الناس من مرافق الحياة ومتعها ، أو كان ما نالوه من ذلك أقل من أن يفي بحاجتهم ، حين جحد أولئك هذا الحق قست قلوبهم ، فصارت لا ترق للبؤساء ولا ترقى لحال المساكين ، وأنه لضيق أفكارهم وحرج صدورهم صاروا لا يشعرون بأن قسوتهم هذه ستدفع بكثيرين من بني قومهم إلى ارتكاب الجرائم ، واقتراف الآثام ، ليصيبوا من الطريق المحرم أسباب العيش التي حيل بينهم وبين الحصول عليها من الطريق المستقيم ، وأن ما يفقده هؤلآء التعساء المعدومون من قواهم الفردية الفكرية والجسمية ، تفقد به الأمة بمجموعها جزءاً من ثروتها الإنسانية ، ولولا ما أصيب به هؤلآء المحرومون بسبب حرمانهم لكانوا مدداً للحضارة في تقدمها ، وللمدنية في رقيها ، وللإنسانية فيما تقوم به من واجباتها .

(١) معضلات الاقتصاد وحلها في الإسلام : ص/٢٥ .

فهؤلآء الغلاظ القلوب - أغنياء المجتمع - قد غاب عنهم أن تأخر البؤساء والمساكين عن موكب الهناء قد جرّ الضرر على الأمة لأنهم أعضاء في كيان هذه الأمة (١).

وقد نهي الله تعالى عن الإمساك عن النفقة . فقال جل شأنه : ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ (سورة التوبة ، الآية : ١٩٥) . ومعنى التهلكة ترك النفقة في سبيل الله ، ولم يكتف جل شأنه بالدعوة إلى الإنفاق في سبيله ، بل توعد المقصرين في الإنفاق ، قال سبحانه : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ (سورة التوبة ، الآية : ٢٤) . وسمى المسلمون الأوائل الممتنعين عن الزكاة بأهل الردة ، وما أكثرهم اليوم .

ورغب الإسلام في الوسطية في الإنفاق والإمساك ، فقال جل شأنه : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكانوا بين ذلك قواماً ﴾ . لأن التقتير يحول دون نشاط التداول النقدي الذي لابد منه للحياة الاقتصادية في كل مجتمع ، فحبس المال وكنزه تعطيل لوظيفته .

وأما الغلو في الاسراف والتبذير فهو مضيعة للمال الذي جعله الله قياماً للناس ، فضلاً عن أنه يورث الحقد والكراهية بين المحرومين مما يجعلهم يتطاولون على أصحاب رؤوس الأموال .

ومما لا يخفي أنه ليست الزكات هي كل الحق الشرعي المترتب على المال ، بل هناك حقوق أخرى حض عليها الشارع ، ورغب الناس فيها ، وندب إليها ، غير أنه لم يعطها حكم الزكاة باعتبارها أحد أركان الإسلام ، وإنما ترك أمرها لضمائرهم ، رغبة منهم واختياراً وطيب خاطر ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ (سورة آل عمران ، الآية : ٩٢) .

---

(١) المرجع السابع : ص/٢٦ .

فهذا لفت نظر واشعار بأن بلوغ أسمى منازل الفضل التي جماعها البر ، لا تأتي بغير إنفاق ، وفي الوقت ذاته ، هو تنبيه على أن المال لا يكتسب للادخار والتفاخر والتعالي بل للإخراج والاستفادة منه في الإنفاق ، وفي المصالح التي فيها قوام الدين .

ولنا في رسول الله -ﷺ- وصحابته الكرام المثل الأعلى في أعمال البر. فهذا أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يتصدق بجميع ماله في سبيل تقوية الدين ونصرته ، ولما سأله النبي -ﷺ- ما أبقيت لأهلك ؟ قال : الله ورسوله ، وعمر - رضي الله عنه - أعطى نصف ماله للمسلمين ، وعثمان - رضي الله عنه - جعل ماله وقفاً في سبيل الله .

هذا وإن أفضل صدقة بعد الزكاة ، صرف المال في وجوه البر ، وقال كثير من المسلمين إن في المال حقوقاً سوى الزكاة ، لقوله تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ...﴾ (سورة البقرة ، الآية : ١٧٧) .

ففي قوله تعالى : ﴿ وآتى المال على حبه ﴾ ما يشعر بأنه ليس الزكاة المفروضة لقوله تعالى : ﴿ وأقام الصلاة وآتى الزكاة ﴾ .

فلو أن الأثرياء من المسلمين اليوم وجهوا جهودهم نحو فعل الخير والبر بالمعوزين - لا فرق في ذلك بين آحاد المسلمين - لما وقع في المجتمعات العربية ، هذه الموجة العارمة من الانحطاط والغضب ، وعدم الرضا ، والنيل من بعضهم البعض على كافة المستويات ، ولما تمكن الشيوعيون وغيرهم من دعاة الفكر الهدام ، إلى نشر مبادئهم ، وبث سمومهم بين المسلمين .

إن أثرياء اليوم من أبناء العروبة مسئولون أمام الله عن البر بالفقراء ، وتقديم المعونات لهم ، وتذليل الصعاب أمامهم ، وتهيئة فرص الحياة لمن

هو أهل لها ، فإنه ليس من البر أن يتمتع أناس بنعيم الدينا ، وملاذ الحياة وترفها ، وفي المجتمع ممن لا عهد له بالقُوت ، ولا طمع له بالشبع ، الأمر الذي أدى ويؤدي إلى تفكك المجتمع ، وانتشار الفساد ، وشحن قلوب الفقراء بالحقد والكراهية للأثرياء .

لقد أنصف الإسلام البشرية بما حمل من تعاليم وتوجيهات لجميع فئات البشر ، وقد حفلت بكل معالم الخير ، وزخرت بكل مقومات النهوض والارتقاء (١) .

كما ضمنت الفرص المتكافئة في الحياة لعموم المسلمين ، فلا فقر ولا حرمان ولا بؤس في ظلال الإسلام .

فلو أن يد الصياغة الأمينة ، تولت صياغة الفقه الإسلامي ، فأحكمت صياغته ، و وجهت المسلمين إليه ، وعملت على تطبيق تعاليم الإسلام كل لا يتجزأ ، ولعموم المسلمين ، لحاز المسلمون بذلك قصب السبق والتقدم في مدارج الحياة ، ولكانوا بذلك ، خير أمة أخرجت للناس .

ومن هنا نقول : إن الحل الإسلامي لمشكلة المال - فيما أرى - يكمن في اعتبار الثروة الفردية رأس مال اجتماعي ، بمعنى استقطاع جزء من فوائدها وتحويله إلى الرأسمالية العمومية ، وتخصيصها للقيام بالمصالح العامة ، ودفع الاحتياجات لذوى الحاجات (٢) .

---

(١) ويمكن الاستفادة أيضاً في هذا المجال من كتاب المال والحكم في الإسلام للأستاذ الكبير عبدالقادر عوده تحت عنوان حقوق الغير في مال الله : ص/ ٥٠. الطبعة الرابعة بيروت ١٩٧١م ، وكتاب الشهيد سيد قطب ، معركة الإسلام و الرأسمالية ، الطبعة الرابعة ١٩٦٩م ، تحت عنوان في الإسلام خلاص : ص/٢٦، وكتاب أبحاث في الاقتصاد الإسلامي للدكتور محمد النبهان تحت عنوان أهمية إشراف الدولة على أموال الزكاة جباية وتوزيعاً : ص/١٠٩. طبعة أولى ١٩٨٦م وغير ذلك من الكتب التي تناولت المال في الإسلام .

(٢) انظر في هذا المعنى ، الإسلام والاقتصاد ، للدكتور عبد الهادي النجار ، طبعة ١٩٨٢م : ص/١٧٠ .

الإمام النسائي وصناعته الحديثية في سننه

[الحلقة الثالثة]

الدكتور تقي الدين الندوي
أستاذ الحديث في جامعة الإمارات العربية

المبحث الثالث :

منهجه في الأبواب والتراجم :

لقد وضع الإمام النسائي لكل باب من الأبواب الكتاب على كثرتها ترجمة هي عنوان لما يحويه من حديث أو أحاديث . وترجمة الباب تكون في الواقع مظهراً من مظاهر شخصية المحدث ودليلاً على فقهه ودقة نظره .

قال العلامة الكشميري : البخاري هو سباق الغايات في وضع التراجم بحيث ربما تنقطع دون فهمها مطامع الأفكار ، قال : يتلوه في التراجم أبو عبد الرحمن النسائي . وربما أرى في مواضع أن تراجمهما تتوافق كلمة كلمة في مثل هذا ولا سيما إذا كان البخاري من شيوخه (١) .

وأورد النسائي تراجم كتابه على عدة وجوه :

١ - إن المصنف يورد في مبدأ كل كتاب آية تتناسب بالأبواب المذكورة فيه ، ذكر كتاب الطهارة ، باب تأويل قوله عزوجل : إذا قمتم إلى الصلاة ، الآية (٢) .

هذه الترجمة بمنزلة قول المحدثين من المصنفين في هذا المقام كتاب الطهارة ، عدل المصنف عن هذا العنوان إلى هذا إشارة إلى أن جميع

---

(١) معارف السنن : ج/١ ، ص/٢٢ .

(٢) سنن النسائي : ج/١ ، ص/٦ .

الروايات والأحاديث الواردة في الوضوء والطهارة هي تبيين وتفسير لقوله تعالى : ﴿ إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا ﴾ (سورة المائدة ، الآية : ٦) وهذا الأسلوب البديع اختاره ههنا في مبدأ الكتاب بل وفي سائر الكتب كما ذكر في مبدأ كتاب الحيض (١) تأويل قول الله عزوجل : ﴿ ويسئلونك عن المحيض ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٢٢٢) وفي مبدأ كتاب المياه (٢) قال الله عزوجل : ﴿ وأنزلنا من السماء ماءاً طهوراً ﴾ (سورة الفرقان ، الآية : ٤٨) وهذا ففي آخر الكتاب من كتاب الأشربة (٣) تأويل قوله عزوجل : ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب ﴾ (سورة النحل ، الآية : ٦٧) . وذلك إشارة إلى أن الأصل في ذلك هو هذه الآيات ، والأحاديث الواردة فيه تفسير لكلام الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ (سورة النحل ، الآية : ٤٤) فليس الحديث الشريف إلا تفسيراً للقرآن الكريم .

٢- إنه اعتني بكثرة التفريعات والتفصيلات في الباب الواحد بحثاً عن السنن ، ويبين مستند الفقه حتى في أدق الأشياء ، فخذ مثلا كتاب السهو (٤) تجد أبوابه كالتالي : باب التكبير إذا قام من الركعتين ، باب رفع اليدين في القيام إلى الركعتين الأخريين ، باب رفع اليدين للقيام إلى الركعتين الأخريين حذو المنكبين ، باب رفع اليدين وحمد الله والثناء عليه في الصلاة ، باب السلام بالأيدي في الصلاة ، باب رد السلام

---

(١) سنن النسائي : ج/١ ، ص/١٨٠ .

(٢) سنن النسائي : ج/١ ، ص/١٧٤ .

(٣) سنن النسائي : ج/٨ ، ص/٢٢٦ .

(٤) سنن النسائي : ج/٢ ، ص/٢ .

بالإشارة في الصلاة ، باب النهي عن مسح الحصى في الصلاة ، باب الرخصة فيه مرة ، باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة .. إلخ .

لكثرة التفريعات إنه أحياناً يكرر الحديث الواحد عدة مرات وعلى سبيل المثال فكرر حديث النية « إنما الأعمال بالنيات » ست عشرة مرة حتى قيل : إنه أكثر الكتب تكراراً للأحاديث (١) .

٣ - أورد تراجم عديدة فيمكن أن يغرو بينها بالنظر إلى لفظ الحديث الوارد تحت كل ترجمة ، ولا ينكر ما في هذه الأحاديث من اختلاء ألفاظ الروايات المقتضي لتعدد الأنواع في بيان دقائق الاحكام واختلاف الأسانيد وألفاظ الروايات ، ولو كان الغرو بينهما يسيراً ولذا لا يتحامي ولا يتقي عن إعادة الأحاديث وتكرار الأبواب بجنب تلك الفوائد والفروق التي يشير إليها بتلك الفوائد والفروق التي يشير إليها بتلك التراجم .

من ذلك عقد الإمام النسائي باب بدأ التيمم (٢) أخرج فيه حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت : خرجنا مع رسول الله -ﷺ- في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو ذات الجيش انقطع عقد لي إلخ ، وفيه فأنزل الله عزوجل آية التيمم ، فقال اسيد بن حضير ما هي باول بركتكم يا آل أبي بكر إلخ .

إن المصنف أشار بذلك إلى مبدأ حكم التيمم ، وقد أخرج البخاري هذا الحديث أيضاً ، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : إن البخاري أراد أن يبين أن المراد بالآية المبهمة في قول عائشة في حديث الباب فأنزل الله آية التيمم ، إنها أية المائدة وقد وقع التصريح بذلك في رواية حماد بن

(١) انظر التاج الجامع للأصول الجزء الأول - المقدمة .

(٢) سنن النسائي : ج/٢ ، ص/١٦٢ .

سلمة عن هشام عن أبيه عن عائشة في قصتها المذكورة ، قال : فأنزل الله آية التيمم « فإن لم تجدوا ماء فتيمموا » الحديث . فكان البخاري أشار إلى هذه الرواية .

قلت : وقد اقتدى النسائي بالبخاري في هذه الترجمة .

ثم ههنا قصتان : قصة نزول التيمم وقصة الافك وكلتاهما كانتا لأجل فقد العقد وأيضاً قصة الافك متقدمة « على الظاهر» على قصة التيمم . واتفقوا على أن قصة الافك إنما وقعت في غزوة بني المصطلق ويقال لها غزوة المريسيع . وكانت سنة ست أو خمس أو أربع أقوال (١) و وقعت قصة نزول التيمم في غزوة أخرى بعد ذلك كما في رواية الطبراني ، لكن لم تسم الغزوة .

قال الحافظ في شرح قوله : ما هي بأول بركتكم أي بل هي مسبوقة بغيرها من البركات . أو هذا يشعر بأن هذه القصة كانت بعد قصة الافك فيقول قول من ذهب إلى تعدد ضياع العقد . وممن جزم بذلك محمد بن حبيب الاخباري . ملخصا من فتح الباري (٢) .

ثم أورد النسائي حديث عمار بن ياسر بطريقين : بطريق عبد الرحمن ابن أبزي ، إن رجلا أتى عمر فقال : إني أجنبت فلم أجد الماء ، قال عمر : لا تصل . فقال عمار بن ياسر يا أمير المؤمنين أما تذكرنا إذ أنا وأنت في سرية فأجنبنا فلم نجد الماء إلخ .

وبطريق ناجية بن خفاف عن عمار بن ياسر قال : أجنبت وأنا في

---

(١) انظر فتح الباري : ج/٧ ، ص/٤٢٠

(٢) (١/٤٢٢) وفيض الباري : ج/١ ، ص/٢٩٨ ، وعمدة القاري : ج/٢ ص/١٥٥ . وشرح الزرقاني : ج/١ ، ص/١٠٨ .

الإبل فلم أجد ماء فتمكعت في التراب (١) .

قال السندي : في نسختنا : التيمم في الحضر ، يعني عقد النسائي هذه الترجمة على حديث عمار مرة أخرى .

ويمكن أن يفرق بينهما بأن يقال إن الترجمتين وإن كانتا متعلقتين بالحضر ، لكن الغرض من الترجمة الثانية بيان نوع آخر من التيمم فالمذكور في حديث الباب الأول ضرب الوجه واليدين ، والمتبادر من لفظ اليدين إلى المرفقين على الظاهر ، إذ اليد يطلق من الأصابع إلى الابط ، فلا أقل إلى المرفقين كما هو مذهب الأئمة الثلاثة ، والمذكور في الباب الثاني ضرب الوجه والكفين كما هو مذهب الحنابلة وأهل الحديث .

وقد أشار السندي وقال : وكأنه أخذ هذه الترجمة من تيمم النبي -ﷺ- للتعليم (٢) وكان -ﷺ- حاضراً إذ ذاك .

أو يقال إن الحديث مشتمل على جزئين : الجزء الأول سؤال السائل عمر عن التيمم والجزء الثاني : قصة عمار ، والظاهر إن قصته متعلقة بالسفر لا بالحصر ، فالمطابقة بين الترجمة والحديث بحسب الجزء الأول وهو غير مقيد بالسفر .

أما التيمم في الحضر قال الزرقاني : وإلى جوازه في الحضر ذهب مالك وأصحابه وأبو حنيفة والشافعي لأنه شرع لادراك الوقت ، فإذا لم يجد الحاضر الماء تيمم ، والآية خرجت على الأغلب من أن المسافر لا يجد الماء كما أن الأغلب ان الحاضر يجده فلا مفهوم له ، وقال أبو يوسف وزفر: لا يجوز التيمم في الحضر بحال ولو خرج الوقت (٣) .

---

(١) سنن النسائي : ج/١ ، ص/١٦٦ .

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي : ج/١ ، ص/١٦٦ .

(٣) شرح الزرقاني على الموطا : ج/١ ، ص/١١٢ .

كما عقد باب الدعاء في السجود (١) وأورد فيه اثنى عشر باباً ، وتحت كل باب اخرج حديثاً وقد كرر هذه التراجم لبيان اختلاف الأسانيد أو ألفاظ الروايات .

كما عقد باب الدعاء بعد الذكر (٢) أورد فيه عدة أبواب (٣) لبيان اختلاف ألفاظ الروايات .

٤ - دقة النسائي في تراجم كتابه :

إن النسائي عقد كثيراً من التراجم والأبواب وقصد فيها إبراز فقه الحديث واستنباط الفوائد فيه :

أ - من ذلك باب الوضوء بماء الثلج (٤) .

أخرج فيه حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت : كان النبي -ﷺ- يقول : اللهم اغسل خطاياى بماء الثلج والبرد ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس .

قال السندي : إن الشارع - عليه السلام - عبر في هذا الحديث عن إزالة المعاصي والذنوب بالغسل بالثلج فيستفاد من هذا التعبير والتسمية أنه أي الغسل بالثلج مفيد معتبر شرعاً ، فثبت منه جواز الوضوء ، قلت : أو يقال معنى الحديث طهرني من الخطايا بمحض فضلك

---

(١) انظر سنن النسائي : ج/٢ ، ص/٢١٨-٢٢٤ .

(٢) انظر فتح الباري : ج/٧ ، ص/٤٢٠ .

(٣) انظر باب : نوع آخر من الدعاء ، أخبرنا قتيبة : ج/٢ ، ص/٥٢ ، باب نوع آخر من الدعاء ، أخبرنا يونس ٥٢ ، باب نوع آخر من الدعاء ، أخبرنا أبو داؤد ٥٤٠ ، باب نوع آخر ، أخبرنا يحيى بن حبيب ٥٤ ، *وانظر أمثلة : ١٢٨-٢٢٤ ، و ج/٢ ، ص/٧٤-٧٩ ، و ج/٢، ص/١٢٨-١٤١ ، و ج/٢ ، ص/١٦٧-١٧٩ ، و ج/٧ ، ص/١٢٨-١٢٥ .*

(٤) *سنن النسائي ج/١ ، ص/٥١*

وكرمك تطهيراً يشبه التطهير الذي يحصل بسبب الثلج وتشبيه الشئ بالشئ يتوقف على حصول وجه الشبه في المشبه به ، فعلم منه حصول التطهير بالثلج ، وبه تظهر المناسبة بين الحديث وترجمة الباب .

ب- ومن ذلك : فيمن لم يجد الماء ولا التراب (١) .

أخرج في هذا الباب حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت : بعث رسول الله -ﷺ- أسيد بن حضير وناسا يطلبون قلادة كانت لعائشة نسيتها في منزل نزلته فحضرت الصلاة ، وليسوا على وضوء ، ولم يجدوا ماء فصلوا بغير وضوء ، فذكروا ذلك لرسول الله -ﷺ- فأنزل الله عزوجل آية التيمم ، قال أسيد بن حضير : جزاك الله خيراً ، فو الله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله لك وللمسلمين فيه خيراً .

قال السندي : الظاهر أن مراد المصنف بالترجمة ان من لم يجد ماء ولا ترابا يصلي ولا يعيد ، و وجه استدلاله بالحديث تنزيل عدم مشروعية التيمم منزلة عدم التراب بعد المشروعية ، إذ مرجعهما إلى تعذر التيمم وهو المؤثر ههنا (٢) ومال إليه البخاري في صحيحه .

وقد استدل المصنف على الجواز بهذا الحديث من حيث أنه -ﷺ- لم يأمرهم بالاعادة ، وبهذا تظهر مناسبة الحديث للترجمة ، ففيه دليل على وجوب الصلاة لفاقد الطهورين ، و وجه ذلك أنهم صلوا معتقدين وجوب ذلك ، ولو كانت ممنوعة لانكر عليهم النبي -ﷺ- (٣) .

ثم إن مسألة فاقد الطهورين فيه مذاهب ، قال أبو حنيفة : لا يصلي بل

(١) سنن النسائي : ج/١ ، ص/١٧٢ .
(٢) حاشية السندي على سنن النسائي : ج/١ ، ص/١٧٢ .
(٣) لامع الدراري : ج/١ ، ص/١٩٧ .

يقضى وقال مالك : لا يصلي ولا يقضي ، وقال الشافعي : يصلي ويقضي وجوباً ، وهو أصح أقواله عند أصحابه ، وقال أحمد : يصلي ولا يقضي وهو وجه للشافعية (١) .

ج - ومن ذلك باب الاغتسال من النفاس :

أخرج فيه حديث أسماء بنت عميس حين نفست بذى الحليفة أن رسول الله -ﷺ- قال لأبي بكر مرها أن تغتسل وتهل (٢) .

استنبط العلماء من هذا الحديث أن الاحرام يصح من الحائض ، وغسل الحائض والنفساء عند الاحرام مستحب عند الكل ، غير ابن حزم فإنه فرض عنده (٣) ثم هذا الاغتسال ليس للتطهير بل إنما هو لمجرد التنظيف ، ولذا أورد عليه السندي في حاشيته إن كتب وليس هو من قبيل الاغتسال من النفاس لأنه إنما يكون عند انقطاع النفاس لا في اثنائه وحال قيامه فإنه لا ينفع حينئذ ، وهذا الاغتسال المأمور به كان في ابتداء النفاس ، لأنه لا وجه لذكر هذا الحديث في هذا الباب و الله أعلم .

قلت : إيراد السندي واضح ، لكن المصنف محدث جليل وفقيه نبيل دقيق النظر فكيف خفي عليه مثل هذا فينبغي التدبر فيه ، فأقول بعون الله تعالى وتسديده ، إن المصنف - رحمه الله - ، على علم وخبرة بأن هذا الغسل المذكور في الحديث ليس هو غسل النفاس ، بل هو الغسل المسنون عند الاحرام ، لذا ترجم على حديث الباب فيما سيأتي ، بلفظ : باب ما

---

(١) انظر معارف السنن : ج/١ ، ص/٣١ .

(٢) سنن النسائي : ج/١ ، ص/١٩٥ .

(٣) حجة الوداع وجزء عمرات النبي -ﷺ- : ص/٤٧ .

تفعل النفساء عند الإحرام (١) .

ومع ذلك أخرج المصنف ههنا في باب الغسل من النفاس ، هذا الحديث فكأنه أشار بذلك إلى أنه ليس فيه حديث على شرطه إلا هذا الحديث الذي فيه ذكر غسل النفساء لكن لا من النفاس بل للإحرام والمطلوب ذلك لا هذا ، فلله در المصنف .

وقد تحقق عندي بعد البحث أنه لم يثبت في الغسل من النفاس حديث يحتج به ، يظهر ذلك بالرجوع إلى منصب الراية ، وغيره من الكتب ولذا لم يترجم له أحد من أرباب الصحاح إلا الإمام النسائي - رحمه الله تعالى- وكذا لم يتعرض له بعض من صنف في الأحكام مثل ابن دقيق العيد في « الالمام » والحافظ ابن حجر في « بلوغ المرام » ولا البغوي في « المصابيح » ، وقال ابن قدامة : وقد أمر النبي -ﷺ- بالغسل من الحيض في أحاديث كثيرة ، ثم ذكر بعض تلك الأحاديث ثم قال : والنفاس كالحيض سواء كان دم النفاس هو دم الحيض إلى آخره ولم يذكر فيه حديثاً (٢) ، ومن هنا نؤكد أن المصنف إنما ساقه لذكر غسل النفساء من النفاس .

د - من ذلك باب هل استاك الإمام بحضرة رعيته :

أخرج في هذا الباب حديث أبي موسى : فيه فكأني انظر إلى سواكه تحت شفته قلصت إلخ ، كأنه أشار بخصوص الترجمة بالإمام إلى أن الاستياك بحضرة الغير ينبغي أن يكون مخصوصاً بمن لا يكون ذلك مستقذرا منه لكونه إماماً ونحوه والله أعلم (٢) . [يتبع]

---

(١) سنن النسائي : ١/٢٠٨ . (٢) المغني : ١/٢٠٩ .

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي : ٢/٨٩ .

أصول العلاقات الدوْلية
بين الإسلام والتشريعات الوضعية

[الحلقة الثالثة]

بقلم : أ. د. محمد الدسوقي
أستاذ اللغة والأصول بكلية الشريعة - جامعة قطر

ب- أنواع الديـــــــار :

تواضع الفقهاء على تقسيم الديار ثلاثة أقسام (١) : دار الإسلام ، ودار العهد ، ودار الحرب ، وهذا التقسيم هو بحكم الواقع لا بحكم الشرع ، لأن الإسلام لم يقيد الدولة الإسلامية بحدود جغرافية أو مكانية ، فهو كما ذكرت من قبل دعوة عالمية ، ولكن تطبيق أحكامه مرتبط بسلطان المسلمين ، فكلما اتسعت دار الإسلام اتسع نطاق تطبيق أحكام هذا الدين ، ومن هنا اقتضت الظروف أن يكون الإسلام إقليمياً حتى تعم دار الإسلام العالم بأسره (٢) .

والذي لا خلاف عليه بين الفقهاء أن الدار التي تحكم بسلطان المسلمين ، وهم حماتها وأهل المنعة فيها هي دار الإسلام ، وأن دار العهد هي غير دار

---

(١) انظر « نظرية الحرب في الإسلام » للشيخ محمد أبو زهرة : ص/٢٠ ، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، ويضيف بعض الفقهاء داراً رابعة وهي دار البغي يكون الأمر فيها للبغاة ، وهم الخارجون على الإمام الحق بغير الحق ، وانظر تبيين الحقائق للزيلعي : ج/٢ ، ص/٢٩٢ .

(٢) انظر من الفقه الجنائي المقارن للمستشار أحمد موافي : ص/٩٠ ، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة .

المسلمين الذين ارتبطوا مع المسلمين بعهد (١) .

وأما تعريف دار الحرب فقد اختلف فيه الفقهاء على رأيين : أحدهما : أن دار الحرب هي الدار التي لا يكون فيها السلطان للحاكم المسلم ، ولا تنفذ فيها أحكام الإسلام ، وليس بين المسلمين وأهلها عهد ، وهذا رأى الصاحبين وجمهور الفقهاء .

والرأى الثاني : يذهب إلى أن كون السلطان لغير المسلمين لا يجعل الدار دار حرب بل لابد من تحقق شروط ثلاثة مجتمعة لتصير الدار دار حرب وهي :

أولاً : ظهور الأحكام غير الإسلامية .

ثانياً : أن يكون الإقليم متأخماً للديار الإسلامية بحيث يتوقع منه الاعتداء على دار الإسلام (٢) .

ثالثاً : ألا يأمن المسلم ولا الذمي فيها بحكم الإسلام ، بل يأمن فيها بعهد يعقده ، وهذا رأى أبي حنيفة والزيدية وبعض الفقهاء (٣) .

ويرى بعض المعاصرين (٤) أن رأى الإمام أبي حنيفة أرجح من رأى الصاحبين وجمهور الفقهاء ، لأنه ناط الحكم على الدار بأنها دار حرب بزوال أمن المسلمين فيها ويتوقع الاعتداء عليهم منها ، وهذا يوافق

---

(١) نظرية الحرب في الإسلام : ص/٢٠ ، والعلاقات الدولية في الإسلام للشيخ محمد أبو زهرة : ص/٥٢ ، ط. بالقاهرة .

(٢) إن اشتراط المتأخمة لتوقع الاعتداء أصبح في عصرنا غير ذي موضوع ، فقد تطورت أسلحة الحروب ، ولم يعد القتال في حاجة إلى متأخمة ، وجاء في تفسير المنار : ج/٦ ، ص/٤٠٩ أن دار الحرب بلاد غير المسلمين وإن لم يحاربوا ، وكان القاعدة أن كل من لم يعاهدنا على السلم يعد محاربا .

(٢-٤) انظر العلاقات الدولية في الإسلام : ص/٥٤ .

الأصل في فكرة الحرب الإسلامية وأنها لدفع الاعتداء ، وحماية الضعفاء ونشر الأمن والسلام .

ويبدو من ذلك التقسيم أن الدار تكون دار إسلام بسيطرة المسلمين عليها وظهور أحكام دينهم فيها ، فلا تحكم بغير ما شرعه الله ، ولا يكون لغير المسلمين سبيل عليها ، فإذا لم يتوافر لها الاستقلال والحكم بما أنزل الله فإنها لا تكون دار إسلام بالمعنى الصحيح .

ولا فرق بين دار العهد ودار الحرب إلا من حيث إن الأولى بينها وبين المسلمين معاهدة سلام ، على حين لا يوجد هذا بالنسبة للثانية فكانت دار حرب يتوقع منها الاعتداء في أي وقت ، وهما عدا هذا دار واحدة تقابل دار الإسلام ، فهما لا يعترفان بهذا الدين ، ولا عبرة بما قد يكون من تفاوت في العقائد بين أهل دار العهد ودار الحرب ، فهذا لا يؤثر في أنهما دار واحدة غير إسلامية .

وإذا كان الإسلام يحمى الحرية الدينية ، ولا يكره أحداً على الإيمان به فإن دار الإسلام قد تضم غير المسلمين ، وهؤلآء قد يقيمون في هذه الدار إقامة دائمة ، وقد يقيمون فيها إقامة مؤقتة .

والذين يقيمون إقامة دائمة في دار الإسلام هم أهل الذمة ، وهم يتمتعون بهذه الإقامة ، طوعاً لعقد يتم بناء على توافق إرادتي وليّ الأمر، ومن يرغب في الإقامة مع المسلمين ، وبمقتضاه يحصل الذمى على جنسية الدولة الإسلامية ، ويصبح رعية إسلامية له كل حقوق المواطنة في هذه الدولة وعليه في مقابل ذلك بعض الالتزامات والواجبات ، ويجمعها الشرطان التاليان :

أولهما : أن يلتزم الذميون إعطاء التكليفات المالية على القادرين ، لكي يسهموا في بناء الدولة ، ويشتركوا في تكوين ميزانها المالي .

ثانيهما : أن يلتزموا أحكام الإسلام في المعاملات المالية ، وفي الخضوع للعقوبات الإسلامية ، ليكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين (١)

قـــال السرخسي : « الذمي ملتزم أحكام الإسلام فيما يرجع إلى المعاملات » (٢) . وجاء في مقدمة ابن رشد الجد : « ولا يجوز بين المسلم والذمي في التعامل إلا ما يجوز بين المسلمين » (٣) .

فأهل الذمة إذن يخضعون للأحكام الإسلامية في الحدود والمعاملات المالية ، وما سوى هذا لا يسألون عنه مثل الشعائر الدينية الخاصة بهم وأحكام النكاح فيما بينهم ، وما دام أهل الذمة رعية إسلامية ، أو جزءاً من المجتمع الإسلامي (٤) ، ولهم ما للمسلمين من حقوق الرعاية والحماية والإنصاف مع ضمان الحرية الدينية لهم ، فإنهم لهذا خارجون عن نطاق المعاملات الدولية بمفهومها الخاص والعام .

أما الذين يقيمون في دار الإسلام إقامة مؤقتة فهم المستأمنون الذين يدخلون البلاد الإسلامية على غير نية الإقامة المستمرة فيها ، ويسمح لهم بذلك لمدة معلومة يجوز تجديدها ، فالقاعدة هي عدم الإقامة الدائمة ، وإلا

---

(١) العلاقات الدولية في الإسلام : ص/٦٢ .

(٢) المبسوط : ج/١٠ ، ص/٨٤ .

(٣) مقدمات ابن رشد : ج/٢، ص/١٥٩ ، ت سيد أحمد غراب ، ط. دار الغرب الإسلامي .

(٤) الذمي وإن كان مواطنا يحمل جنسية الدولة الإسلامية لا يطالب بالجهاد مع المسلمين ، ولكنه ليس محظوراً عليه ، أو ممنوعاً منه ، فهو اختياري بالنسبة له ، ولولي الأمر الحق في أن يشرك الذميين في صفوف الجيش إذا رأى في ذلك مصلحة للأمة

تحول المستأمن إلى ذمي ، وأصبح رعية إسلامية (١) .

والإسلام وهو دين الإخاء الإنساني ، وديدن العدل والحرية والسلام ، عامل المستأمن الوافد على دياره معاملة كريمة لا تعرفها القوانين الوضعية ، فهو ما دام محافظاً على عقد الأمان ، أو شروط الإذن بالإقامة لمدة محددة في دار الإسلام له الحرية الكاملة في التنقل ومباشرة نشاطه الذي وفد من أجله كالتجارة أو السياحة أو الدراسة ، وهو آمن على نفسه وماله حتى ولو كان ينتمي إلى دولة نشب القتال بينها وبين المسلمين .

ويذهب جمهور الفقهاء إلى أكثر من هذا فيرون أن مال المستأمن الذي اكتسبه في دار الإسلام يبقى على ملكه ، ولا تزول عنه ملكيته ، ولو عاد إلى دار الحرب وقاتل المسلمين (٢) .

قال ابن قدامة في المغني " وإذا دخل حربي دار الإسلام بأمان فأودع ماله مسلماً أو ذمياً أو أقرضهم إياه ثم عاد إلى دار الحرب نظرنا [illegible]

[illegible]

اعتقال رعايا العدو الموجودين في إقليمها بمجرد قيام الحرب ، وتحجزهم كأسرى حرب ، كما كانت تصادر أموالهم ، ثم جنحت تلك التشريعات إلى منع أسر رعايا العدو ، وكذلك إلى منع مصادرة أموالهم ، ولكن ظل القانون الدولي يجيز طرد رعايا العدو من إقليم الدولة بمجرد نشوب الحرب ، وإن لم تكن هناك جريرة منهم (١) .

والمستأمن الذي يتمتع بحريته في التنقل في دار الإسلام ، وممارسة نشاطه الذي وفد من أجله ، كما يتمتع بحرمة ماله يخضع لأحكام الشريعة فيما يتعلق بالمعاملات المالية ، سواء جرت هذه المعاملات بينه وبين مسلم أو بينه وبين ذمي ، أو مستأمن مثله ، وهذا لا خلاف فيه بين الفقهاء .

أما ما يتعلق بالحدود فقد اختلف فيه الفقهاء ، فيرى بعضهم إقامة جميع الحدود عليه (٢) ، ويذهب الإمام أبو حنيفة إلى أنه لا يقام من الحدود على المستأمن إلا ما فيه حق العباد ، وذلك لأنا ندبنا إلى معاملته معاملة تحمله على الدخول في دارنا ليرى محاسن الإسلام فيسلم ، وهو بالأمان التزم حقوق العباد ، فالتزم أن ينصفهم كما ينصف ، وأن لا يؤذى أحدا كما لا يؤذى .

وأما حقوق الله فلا تلزم ، لأنه لم يلتزمها ، ألا ترى أنه لم يضرب عليه الجزية ، ولم يمنع من رجوعه إلى دار الحرب (٣) .

والرأي الذي أخذ به جمهور الفقهاء هو عدم التفريق بين حقوق الله وحقوق العباد وأن المستأمن يخضع لأحكام الشريعة في جميع الحدود

---

(١) انظر آثار الحرب في الفقه الإسلامي للدكتور وهبه الزحيلي : ص/٥٠٧-١٠ ط. دمشق .

(٢) انظر الأم للشافعي : ج/٧، ص/٢٢٥-٢٢٦، ط. مصورة عن طبعة بولاق .

(٣) انظر تبيين الحقائق للزيلعي : ج/٢، ص/١٨٢، ط. القاهرة .

وهذا الرأى أكثر اتساقا مع المبادئ الإسلامية ، لأنه يتفق مع ما ينبغي أن تكون عليه أمور الدولة من منع الفساد وكمال السيادة على كل من يقيم في ربوعها (١) .

على أن رأى أبي حنيفة في عدم تطبيق الحدود الشرعية على المستأمن والمستأمنة إلا حد القذف كان سندا للامتيازات الخاصة للأجانب في عصر الاحتلال ، وكم جرّت هذه الامتيازات على المسلمين من نكبات (٢) .

ومن المستأمنين طائفة تتمتع ببعض المزايا الخاصة التي تكفل لها القيام بمهمتها التي وفدت من أجلها ، وهي طائفة الممثلين السياسيين ، أو ما كان يطلق عليهم قديماً الرسل .

هذه الطائفة أعطاها القانون الدولي المعاصر حصانة في أمور ثلاثة :

أولها : الحصانة لشخص الممثل فلا يتعرض له ، ولا يعتدي عليه ، حتى يستطيع أداء عمله السياسي من غير حرج ، ولا يتعرض لسكنه أو أمتعته الشخصية .

ثانيها : حصانة تتعلق بالمال فيعفى من الضرائب والرسوم في حدود معينة .

ثالثها : الحصانة القضائية ، ومن شأنها حماية البعوث السياسية من الملاحقات الجنائية ومن الملاحقات المدنية الخاصة بعمله الرسمي (٣) .

فهل هذه الأمور الثلاثة التي أعطاها القانون الدولي المعاصر للممثلين السياسيين يقبلها الإسلام أو يرفضها ؟

إن تقرير العرف في الشرع في استنباط الأحكام يقضي بأن كل ما

---

(١) انظر العلاقات الدولية في الإسلام : ص/٧١ .

(٢) انظر التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالتشريع الوضعي للأستاذ عبد القادر عودة : ج/١، ص/٢٨٥، ط. دار التراث بالقاهرة .

(٣) انظر العلاقات الدولية في الإسلام : ص/٧٢ .

يتعارف عليه المجتمع الدولي من وسائل التعاون والتآلف لا يرفضها الفكر القانوني الإسلامي ما لم تعارض نصا أو قاعدة . فالحصانة الشخصية والمالية ما دامت تقوم على أساس المعاملة بالمثل ولا يوجد من أحكام الشريعة ما يعارضها فإن تطبيقها على الممثلين السياسيين لا حرج فيه .

ولكن الحصانة القضائية ليست كالحصانة الشخصية والمالية ، فكل من يرتكب حداً في دار الإسلام ينبغي أن يعاقب ، وفقاً للأحكام الشرعية ، ولا يجوز أن يحاكم على أساس قانون آخر ، ففي هذا تعطيل لأحكام الله في أرض الإسلام .

أما الذين يرتكبون ما يوجب عقوبة تعزيرية ، وهي العقوبة غير المقدرة في الكتاب والسنة ، ويتولى ولي الأمر تقدير العقاب فيها ، أو يترك تقديرها للقاضي المختص ، فهذه العقوبة في نظر بعض المعاصرين يصح أن تدخل في ضمن حصانة الممثلين السياسيين ، وحجته أن تقديرها من حق ولي الأمر ، فيجوز له أن يدع العقاب عليها لدولة الممثل أو الرسول ، ولكن ما الذي يضمن أن تطبق دولة الممثل هذه العقوبة ، وهل تطبيقها سيكون وفقاً لأحكام الله ؟

إن التفاوت بين القوانين وكذلك التفاوت في النظر إلى أنواع الجرائم والعقوبات يمكن أن يجعل ما هو جريمة في دار الإسلام ليس بجريمة في غير هذه الدار ، وأن يكون العقاب مختلفاً في حالة وحدة الجريمة في الإسلام والقوانين الوضعية ، ولهذا أرجح الرأى الذي يذهب إلى أن الحصانة القضائية لا ينبغي أن تكون على حساب شرع الله ، وأن العرف الدولي لا ينبغي أن يكون حاكماً على هذا الشرع ، وإنما يجب أن يكون محكوماً به (١) .

---

(١) انظر العلاقات الدولية في الإسلام : ص/٧٢ .

ويبدو من الحديث عن غير المسلمين في دار الإسلام أنهم جميعاً سواء ، لا فرق بين ذمي ومستأمن في وجوب تطبيق أحكام الشريعة عليهم فيما يتعلق بالمعاملات المالية والحدود . والفرق بينهما أن الذمى أمانة مؤبد أو يحمل جنسية الدولة الإسلامية على حين أن المستأمن أمانة مؤقت وليس رعية إسلامية . وبديهي أن هذا كالذمى في التمتع بالحرية الكاملة فيما يدين به دون أن يكون في هذا فتنة للمسلمين .

هذا ما يتعلق بالعلاقات الإسلامية بالنسبة لغير المسلمين في دار الإسلام .

أما دار العهد أو الموادعة فإن أول فقيه إسلامي تحدث عنها هو الإمام محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ) الذي كتب في العلاقات الدولية الإسلامية كتابة علمية جامعة لم يسبق بها . وذلك أن كل من كتب قبله من الفقهاء في موضوع السير كانوا يتحدثون عن دار الإسلام ودار الحرب فقط . وكانت العهود تبرم إما بين المسلمين وأهل الذمة الخاضعين لهم . أو بينهم وبين الحربيين المستأمنين . ولكن الإمام الشيباني تحدث (١) عن دار لا تخضع للحكم للمسلمين فأهلها إذن ليسوا بأهل ذمة . ثم هم قد دخلوا مع المسلمين في عهد موادعة ومسالمة فخرجوا بهذا عن أن يكونوا حربيين .

وإذا كان بين الفقهاء اختلاف حول الأسباب التي تدعو إلى موادعة غير المسلمين فإنه مهما تكن الظروف التي تدفع بالمسلمين إلى مسالمة سواهم فإن العلاقة بينهم وبين أهل دار الموادعة تقوم على احترام العهود

---

(١) انظر المبسوط : ج/١٠، ص/٨٥، وشرح السير الكبير: ج/٤،ص/١ وما بعدها .

المكتوبة وغير المكتوبة إلى أقصى حد ، وعدم الغدر والخيانة مطلقاً ، والتعاون المتبادل في كل شئ إلا فيما يكون سبباً لتقوية غير المسلمين من السلاح ونحوه فإن على المسلمين ألا يمكنوا غيرهم موادعين أو حربيين من الحصول على ما يزيدهم قوة وبأسا (١) .

والكلام في وجرب احترام العهود والتحرز عن الغدر مع الموادعين ذو شجون ، وتكفي الإشارة إلى أن الفكر الإسلامي الدولي قد شقق القول في هذا الموضوع على نحو إنساني (٢) بديع أبرز سمو النظرة الإسلامية في معاملة غير المسلمين ، وأن هذه النظرة تفردت بقيم الأخوة والمساواة والعدالة والفضيلة .

وأما غير الموادعين الذين ليست بينهم وبين المسلمين حرب فعلية ولا تربطهم بالمسلمين رابطة ما ، فإنهم ما داموا لا يؤذون المسلمين ولا يحرضون على إيذائهم فإن العلاقة التي تربط المسلمين بهم تقوم على نفس الأسس التي تقوم عليها العلاقة بين المسلمين والموادعين من الاحسان إليهم والبر بهم ، وتبادل المنافع معهم إلا فيما يكسبهم قوة ومنعة ، وإذا أردنا السير إليهم لتبليغهم دعوة الإسلام فلابد من إعلامهم وعدم الاعتداء عليهم أو الغدر بهم وأخذهم على غرة (٣) ، وقد بينت في الكلام عن الحرب في الإسلام ما يجب على المسلمين من القيام به نحو هؤلاء الذين ساروا إليهم قبل أن يشهروا السلاح عليهم ، ويدخلوا معهم في قتال وجهاد .

[يتبع]

---

(١) انظر شرح السير الكبير: ج/٢، ص/٧٥-١٧٧-٢٧٦ .

(٢) المصدر السابق : ج/٤ ، ص/٧ .

(٣) المصدر السابق : ج/٢، ص/١٠٩ ، و ج/٤، ص/١٦-٢٢ .

تعريف وجيز

بمسانيد الإمام أبي حنيفة النعمان وأصحابها للمحدث الجليل فضيلة الشيخ عبد الرشيد النعماني

تعريب : بلال عبد الحي الحسني الندوي

إن للإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان مكانة مرموقة في فن الحديث الشريف ومسانيده كثيرة وهذا شرف عظيم لم يبلغ إليه كبار الأئمة المحدثين . وبذلك تقدر أهميته في هذا الفن .

كان فن الرواية والكتابة في الحديث ما زال يرتقي حتى بلغ إلى حد [illegible] وتعددت موضوعاته من بين صحاح وسنن ومستخرجات [illegible] [illegible] الحفاظ [illegible] [illegible] والإمام أبو حنيفة [illegible] [illegible] الأئمة [illegible] [illegible] ولا [illegible] [illegible]

[illegible] المحدثين الذين دونوا مسانيده [illegible] حفص الدوري [illegible] [illegible] والقع في [illegible] يعقوب الدورقي [illegible] بكار [illegible]

والإمام مسلم بن الحجاج وأخذ عنه كبار الحفاظ كالدارقطني وابن عقده وابن المظفر وغيرهم ، ذكره الحافظ الذهبي في كتابه : « تذكرة الحفاظ » تبدأ ترجمته بهذه الألفاظ « الإمام المفيد الثقة مسند بغداد ، وقال : كان معروفاً بالثقة والصلاح والاجتهاد بالطلب » سئل المحدث الدارقطني عنه . فقال ثقة مأمون .

طبع اسم والده « أحمد » في تذكرة الحفاظ والصحيح « مخلد » كما في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ومعجم البلدان لياقوت الحموي وغيرهما في كتب الرجال .

جمع الحافظ الدوري مسند الإمام أبي حنيفة ، ذكره الخطيب في تاريخ بغداد في مواضع شتى بمناسبات مختلفة ، فيقول في ترجمة محمد بن الحسن بن الوازع أبي داؤد الجمال .

« روى عنه محمد بن مخلد الدوري في جمعه حديث أبي حنيفة » (١) .

٢- الحافظ ابن عقدة ، هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي ، و « عقدة » لقب والده وكان رجلاً صالحاً يعلم علم النحو ، يقول الذهبي عنه : « ابن عقده حافظ العصر والمحدث البحر» ويقول : « إليه المنتهى في قوة الحفظ وكثرة الحديث ، وصنف وجمع وألف في الأبواب والتراجم » .

يقول ابن الجوزي في المنتظم : « كان من كبار الحفاظ ، وقد روى عنه كبار من الحفاظ كالحافظ أبي بكر بن الجعابي وعبد الله بن عدى ، والطبراني وابن المظفر والدارقطني ، وابن شاهين وغيرهم .

توفي في شهر ذي القعدة سنة ٣٣٢هـ ، وكانت ولادته سنة ٢٤٩هـ .

---

(١) تاريخ بغداد :١٨٨/٢ ، طبع مصر .

يقول الحافظ بدرالدين محمود العيني شارح البخاري ، في تاريخه الكبير .

« إن مسند أبي حنيفة لابن عقدة يحتوي وحده على ما يزيد على ألف حديث » (١) .

٣- الحافظ أبو القاسم ، هو عبد الله بن محمد بن أبي العوام السعدي (م ٣٢٥هـ) أخذ الحديث عن الإمام النسائي (٢) والإمام الطحاوي ، ولي القضاء بمصر ، كتب في مناقب أبي حنيفة كتاباً بسيطاً ومسند أبي حنيفة له جزء هذا الكتاب ، ونسخته الخطية موجودة في خزانة الكتب الظاهرية بدمشق ، وصورنه موجودة في مكتبة مجلس احياء المعارف النعمانية بحيدرآباد .

٤- الحافظ الأشناني ، هو القاضي أبو الحسين عمر بن الحسن بن علي (م ٣٣٩هـ) يقول الحافظ طلحة بن محمد عنه : « كان من جلة أصحاب الحديث المجودين وأحد الحفاظ وقد حدث كثيراً وحمل الناس عنه قديماً وحديثاً .

قـال الحافظ أبو علي شيخ الدارقطني ، والحاكم صاحب المستدرك : أنه ثقة .

رتب مسند أبي حنيفة واستفاد به المحدث الخوارزمي في كتابه جامع المسانيد ونقل أحاديثه .

٥- الحافظ ابن عدى ، هو أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني المعروف بابن القطان صاحب الكامل في الجرح والتعديل (٢٧٧-٣٦٥هـ)

---

(١) تانيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أي حنيفة من الأكاذيب ، للعلامة زاهد الكوثري : ص/١٥٦ ، طبع مصر .

(٢) تذكرة الحفاظ ترجمة الإمام النسائي .

أخذ الحديث عن الاءمام النسائي وأبي يعلي الموصلي وبرز في فن الجرح والتعديل ، له « مسند أبي حنيفة » كتب في مقدمته مناقب الإمام أبي حنيفة كما في « السهم المصيب في كبد الخطيب » للملك المعظم عيسى بن أبي بكر الأيوبي (١) .

٦- الحافظ محمد بن المظفر ، أبو الحسين البغدادي (٢٨٦-٣٧٩هـ) بدأ في سماع الحديث سنة ٣٠٠هـ وكان عمره أربعة عشر عاماً وسافر لأخذ الحديث إلى مصر والشام والجزيرة والعراق ، ومن شيوخه (الإمام محمد بن جرير الطبري) وأخذ عنه الدارقطني وابن شاهين والبرقاني وأبو نعيم الأصفهاني وغيرهم من كبار المحدثين .

سمع عنه الدارقطني ألوفاً من الأحاديث ، وكان يبجله ولا يتكئ أمامه . بدأ الحافظ الذهبي ترجمته فقال : « الحافظ الإمام الثقة محدث العراق » وقال : « جمع وألف وعن مطابق هذا الفن لم يتخلف » .

يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني في مقدمه كتابه : « تعجيل المنفعة بروائد رجال الأئمة الأربعة » وكتابه : « مسند أبي حنيفة » سواء بمسند أبي حنيفة للحافظ أبي بكر بن المقرئ ، واكتفى بالأحاديث المرفوعة فيه ، وهو أصغر من مسند أبي حنيفة للحارثي .

٧- الحافظ طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد أبو القاسم (٢٩١-٣٨٠هـ) محدث شهير ، يقول العلامة الخوارزمي عنه : « كان مقدم العدول والثقات الأثبات ، ونقل الحافظ تقي الدين السبكي حديثاً من مسنده في كتابه : « شفاء السقام في زيارة خير الأنام » فقال : « وفي مسند الإمام أبي حنيفة - رحمه الله - تصنيف أبي القاسم طلحة بن

---

(١) السهم المصيب في كبد الخطيب : ص/١٠٥ ، طبع ديوبند (الهند) .

محمد بن جعفر الشاهد العدل حدثني إلخ » (١) . وكتب المحدث الخوارزمي عن مسنده أنه رتب على حروف المعجم .

٨- الحافظ ابن المقرئ ، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي الخازن ، المعروف بابن المقرئ الأصبهاني ، من كبار الحفاظ والمصنفين ، أخذ الحديث عن الإمام الطحاوي وروى عنه كتابه الشهير « شرح معاني الآثار» يقول الذهبي عنه : « ابن المقرئ محدث أصبهان الإمام الرجال الحافظ الثقة » ويقول أبو نعيم الأصبهاني : « محدث كبير صاحب المسانيد سمع ما لا يحصى كثرة » هو يقول عنه : « إني سافرت شرقاً و غرباً أربع مرات ، توفي في شوال سنة ٣٨١هـ وسنه كانت ستاً وتسعين» .

يقول الذهبي عنه في تذكرة الحفاظ : « وقد صنف مسند أبي حنيفة » وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في مقدمة كتابه : « تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة » إن مسنده يحتوي على الأحاديث المرفوعة وهو أصغر من كتاب الحارثي ، ويقول الحافظ السخاوي في : «الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » (٢) ، أن الحافظ قاسم بن قطلوبغا صنف كتاباً في رجال مسند أبي حنيفة لابن المقرئ ، ورتب أحاديث هذا المسند على الأبواب الفقهية .

٩- الحافظ ابن شاهين ، أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي الواعظ المعروف بابن شاهين (٢٩٧-٣٨٥هـ) صاحب المصنفات الكثيرة ، هو يقول عنه : إني كتبت ثلاثين وثلاث مائة كتاب وفيها ألف جزء للتفسير الكبير ، وثلاث مائة وألف جزء للمسند ومائة وخمسون جزء للتاريخ ومائة جزء في الزهد . يقول الذهبي عنه : « ابن شاهين الحافظ المفيد المكثر محدث العراق صاحب التصانيف » ذكره مسنده العلام

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام : ص/٥٥ . طبع دائرة المعارف الإسلامية حيدر آباد .

(٢) الإعلان بالتوبيخ : ص/١١٧ ، طبع دمشق .

الزاهد الكوثري في كتابه : « تانيب الخطيب » (١) . وراجعت في ذلك الشيخ أبا الوفاء الأفغاني ، رئيس لجنة إحياء المعارف النعمانية ، فقال في رسالته التي كتب إلى في ١٥ من رمضان المبارك سنة ١٢٧١هـ .

« سألت عن ذلك العلامة الكوثري فقال : إن أحد العلماء المالكية جمع كتب الخطيب التي كانت معه حين قدومه إلى دمشق وفيها مسند الإمام أبي حنيفة للدارقطني ولابن شاهين وللخطيب ، وسمى هذا الجزء « تسمية ما ورد به الخطيب دمشق » (الفهرست الجديد رقم ٢٠٩ قسم الفهارس) وفيه إنه كانت مع الخطيب أربع وسبعون وأربع مائة كتاب ، و فيها أربعة وستون من مصنفاته ، وهي من عمدة كتب الحديث والتاريخ .

١٠ - الحافظ الدارقطني ، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي (٣٠٦-٣٨٥هـ) محدث مشهور ، صاحب السنن وقد طبع ، مضى ذكر مسند الإمام له أنه كان موجوداً عند الخطيب .

١١ - الحافظ أبو نعيم الأصفهاني ، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق المهراني الصوفي من كبار المحدثين والمصنفين (٣٣٦-٤٣٠هـ) حصلت له الإجازة من شيوخ عصره وهو صغير في سنه ، يقول الذهبي عنه : « تهيأ له من لقي الكبار ما لم يقع لحافظ » وبدأ ترجمته فقال : أبو نعيم الحافظ الكبير محدث العصر» كتب مسند الإمام أبي حنيفة ، وصورته موجودة في لجنة إحياء المعارف النعمانية ، يقول الشيخ أبو الوفاء الأفغاني ، رئيس اللجنة في رسالته التي كتب إلى في ربيع الثاني سنة ١٢٧٢هـ .

كتب أبو نعيم : مسند الإمام أبي حنيفة صغير في حجمه وكبير في فائدته ، بذل فيه جهده ذكر المتابعات وأوضح التفردات ودل إلى أوهام الرواة ، ولكن له عندي نسخة واحدة وفيه أغلاط مطبعية كثيرة ، وبياضات في بعض المقامات .

---

(١) تانيب الخطيب : ص/١٥٦ .

بحث حول الناسخ والمنسوخ

[الحلقة الثانية الأخيرة]

دكتور محمد شفيق الله

أستاذ مشارك في القسم العربي بجامعة راج شاهي - بنغله ديش

أقسام الناسخ :

الحجج أربعة : الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وأما القياس فلا يصح ناسخاً لكل من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، لأن الصحابة تركوا العمل بالرأى لأجل الكتاب والسنة حتى قال علي -رضي الله عنه - لو كان الدين بالرأي لكان باطن الخف أولى بالمسح من ظاهره ، لكني رأيت رسول الله -ﷺ- يمسح على ظاهر الخف دون باطنه ، وكذا الإجماع في معنى الكتاب والسنة ، وأما عدم كون القياس ناسخاً للقياس فلان القياسين إذا تعارضا في زمان واحد يعمل المجتهد بآخر القياس المرجوع إليه ولكن لا يسمى ذلك نسخاً في الاصطلاح ، وكان ابن شريح من أصحاب الشافعي يجوز نسخ الكتاب والسنة بالرأي ، والأنماطي منهم ، يجوز نسخ الكتاب بقياس مستخرج منه (١) .

وأما الإجماع فقد ذكر بعض المتأخرين إنه يصح النسخ به ، والصحيح أن النسخ به لا يكون إلا في حياة النبي -ﷺ- والإجماع ليس بحجة في حياته -ﷺ- لأنه لا إجماع دون رأيه والرجوع إليه فرض وإذا وجد منه البيان كان منفرداً بذلك لا محالة ، وإذا صار الإجماع واجب العمل به لم

---

(١) ملا جيون : نور الأنوار : ص/٢١٢-٢١٤ .

يبق النسخ مشروعاً (١) .

وإنما يجوز النسخ بالكتاب والسنة وذلك أربعة أقسام : نسخ الكتاب بالكتاب والسنة بالسنة ونسخ السنة بالكتاب ونسخ الكتاب بالسنة وذلك جائز عندنا (٢) . وقال الإمام الشافعي - رحمه الله - بفساد القسمين الآخرين تمسكا بأنه لو جاز نسخ الكتاب بالسنة ليقول الطاعنون إن الرسول -ﷺ- أول ما كذب الله فكيف نؤمن بالله بتبليغه . ولو جاز نسخ السنة بالكتاب ليقول الطاعنون بأن الله تعالى كذب رسوله فكيف نصدق قوله - عليه السلام - . قلنا مثل هذا الطعن لا مفر عنه في المتفق أيضاً وهو صادر من السفهاء الجاهلين فلا يعبأ به (٣) .

وتمسك الشافعي - رحمه الله - في عدم جواز نسخ الكتاب بالسنة بقوله - عليه الصلاة والسلام - إذا روى لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فاقبلوه وإلا فردوه . وكيف ينسخ بها . وفي عدم جواز نسخ السنة بالكتاب بقوله تعالى : ﴿ لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ (سورة النحل . الآية : ٤٤) . فلو نسخت السنة به لم تصلح بياناً له .

قلنا لما كان النسخ بيان مدة الحكم المطلق جاز أن يبين الله مدة كلام رسوله أو رسوله مدة كلام ربه (٤) .

أنواع النسخ في القرآن :

النسخ الواقع في القرآن . يتنوع إلى ثلاثة أنواع :

---

(١) أبو الحسن علي بن محمد البزدوي - رحمه الله - : أصول البزدوي : ص/٢٢١ .

(٢) المرجع السابق : .

(٣) نور الأنوار : ص/٢١٤ .

(٤) نور الأنوار : ص/٢١٥ .

مثاله ما ورد عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : كان فيما ، أنزل من القرآن : عشر رضعات معلومات يحرمن ، ثم نسخن بخمس معلومات وتوفي رسول الله -ﷺ- وهن فيما يقرأ من القرآن (١) .

٢- نسخ الحكم دون التلاوة يدل على وقوعه آيات كثيرة ، منها أن آية تقديم الصدقة امام مناجاة الرسول -ﷺ- وهي قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ﴾ (سورة المجادلة ، الآية : ١٢) ، منسوخة بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ أ أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات • فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله ﴾ (سورة المجادلة ، الآية : ١٣) .

٣- نسخ التلاوة دون الحكم يدل على وقوعه ما صحت روايته عن عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - وأبي بن كعب انها قالا : « كان فيما أنزل من القرآن ، الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما » .

نحن نعلم إن هذه الآية لم يعد لها وجود بين دفتي المصحف ولا على ألسنة القراء ، مع أن حكمها باق على أحكامه لم ينسخ (٢) .

أنواع نسخ السنة بالسنة :

نسخ السنة بالسنة يتنوع إلى أنواع أربعة :

١- نسخ سنة متواترة بمتواترة .

٢- نسخ سنة أحادية بأحادية .

٣- نسخ سنة آحادية بسنة متواترة .

---

(١) مسلم : في الرضاع .   (٢) مناهل : ص/٢٢٢ .

٤- نسخ سنة متواترة بسنة أحادية .

أما الثلاثة الأول فجائزة عقلاً وشرعاً وأما الرابع فاتفق علماؤنا على جوازه عقلاً ، ثم اختلفوا في جوازه شرعاً فنفاه الجمهور وأثبته أهل الظاهر .

أدلـــــــة الجمهور :

استدل الجمهور على مذهبهم بدليلين :

١- إن المتواتر قطعي الثبوت وخبر لواحد ظني ، والقطعي لا يرتفع بالظني لأنه أقوى منه والأقوى لا يرتفع بالأضعف (١) .

٢- إن عمر - رضي الله عنه - رد خبر فاطمة بنت قيس أن رسول الله -ﷺ- لم يجعل لها سكنى مع أن زوجها طلقها وبث طلاقها وقد أقر الصحابة عمر - رضي الله عنه - على رده هذا فكان إجماعاً وما ذاك إلا خبر أحادى لا يفيد إلا الظن فلا يقوى على معارضة ما هو أقوى منه وهو كتاب الله إذ يقول : أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم (٢) ، وسنة رسوله المتواترة في جعل السكن حقاً من حقوق المبتوتة .

حكمــــــة النسخ :

١- مراعاة مصالح العباد .

٢- تطور التشريع إلى مرتبة الكمال حسب تطور الدعوة وتطور حال الناس .

٣- ابتلاء المكلف واختباره بالامتثال وعدمه .

---

(١) المرجع السابق : ص/٢٦٥ .

(٢) مسورة الطلاق : ٦ .

٤ - إرادة الخير للأمة والتيسير عليها لأن النسخ إن كان إلى أشق ففيه زيادة الثواب وإن كان إلى أخف ففيه سهولة ويسر (١) .

النسخ إلى بدل وإلى غير بدل :

النسخ يكون إلى بدل وإلى غير بدل .

فالنسخ إلى بدل : فإما إلى بدل أخف أو إلى بدل مماثل ، أو إلى بدل أثقل .

١ - النسخ إلى غير بدل : كنسخ الصدقة بين يدي نجوي رسول الله -ﷺ- وقد أنكر بعض المعتزلة والظاهرية ذلك وقالوا إن النسخ بغير بدل لا يجوز شرعاً لأن الله تعالى يقول : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ حيث أفادت الآية انه لابد أن يؤتي مكان الحكم المنسوخ بحكم أخر خير منه أو مثله .

ويجاب عن ذلك بأن الله تعالى إذا نسخ حكم الآية بغير بدل فإن هذا يكون بمقتضى حكمته رعايةً لمصلحة عباده فيكون عدم الحكم خيراً من ذلك الحكم المنسوخ في نفعه للناس (٢) .

٢ - النسخ إلى بدل أخف : مثاله قوله تعالى : ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ﴾ (٣) ، فهي ناسخة لقوله تعالى : ﴿ كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ (سورة البقرة ، الآية ١٨٧) .

٣ - النسخ إلى بدل مماثل : كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالتوجه إلى الكعبة في قوله تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ (سورة

(١) مباحث في علوم القرآن : ص/٢٤٠ .

(٢) المرجع السابق : ص/٢٤١ .

(٣) المرجع السابق نفسه .

البقرة ، الآية : ١٨٢) .

٤ - النسخ إلى بدل أثقل : كنسخ الحبس في البيوت في قوله تعالى : ﴿ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم • فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٤٤) .

بالجلد في قوله تعالى : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ (سورة النساء ، الآية : ١٥) . وقد قسم المتزيدون في النسخ سور القرآن أقساماً بحسب ما دخله النسخ وما لم يدخله .

فعدوا ثلاثاً وأربعين سورة فقط ليس فيها ناسخ ولا منسوخ وست سور فيها ناسخ ، وليس فيها منسوخ ، وأربعين سورة فيها منسوح وليس فيها ناسخ ، وإحدى وثلاثين سورة اجتمع فيها الناسخ والمنسوخ .

والحق أن الأصل في آيات القرآن كلها الأحكام لا النسخ إلا أن يقوم دليل صريح على النسخ فلا مفر من الأخذ به فما زال العلماء المحققون بالآيات التي قيل إنها منسوخة ، يبحثونها من وجوهها المختلفة حتى حصروا ما يصلح منها لدعوى النسخ في عدد قليل ، وتعقب آخرون هذا القليل نفسه فآثروا في طائفة منه القول بالإحكام على القول بالنسخ ، فالعلامة السيوطي - رحمه الله - حصر دعوى النسخ في إحدى وعشرين آية على خلاف بعضها ثم استثنى منها آيتى الاستئذان والقسمة ، فذكر ان الأصح فيهما انهما محكمات ، فصارت الآيات المنسوخة في نظره لا يزيد على تسع عشرة آية (١) . فقد نظمها السيوطي - رحمه الله - في أبيات : فقال : (٢) .

---

(١) الاتقان : ج/٢ ، ص/٢٢ .

(٢) الدكتور صبحي صالح : مباحث في علوم القرآن ، دار العلم للملايين ، بيروت الطبعة السادسة عشرة ، ١٩٨٥ : ص/٢٧٢-٢٧٤ .

و قد أكثر الناس في المنسوخ من عدد
و أدخلوا فيه آيًا ليس تنحصر
و هاك تحرير آي لا مزيد لها
عشرين حررها الحذاق و الكبر
أي التوجه حيث المرء كان وان
يوصي لأهليه عند الموت مختصر
و حرمة الأكل بعد النوم مع رفث
و فدية لمطيق الصوم مشتهر
و حق تقواه فيما صح في أثر
و في الحرام قتال للأولى كفروا
و الاعتداد بحول مع وصيتها
و ان يدان حديث النفس و الفكر
و الحلف و الحبس للزاني وترك أولى
كفروا شهادهم و الصبر و النفر
و منع عقد لزان أو لزانية
و ما على المصطفى في العقد محتظر
و دفع مهر لمن جاءت و آيـــة
نجواه كذاك قيام اليل مستطر
و زيد آية الاستئذان من ملكت
و آية القسمة الفضلى لمن حصروا

••• •• •••

سور وأوضاع:

تكتل لمكافحة الأصولية الإسلامية

واضح رشيد الندوي

أثارت زيارة وزير خارجية إسرائيل للهند في مايو ١٩٩٢م تساؤلات ـريبة . فقد قوبل وزير الخارجية الإسرائيل شمعون بيريز بترحيب ـار ، من الأوساط الرسمية ، والسياسية ، لأن هذه الزيارة كانت الزيارة الأولى التي جرت بصورة علنية سافرة ، وقد زار الوزراء الإسرائيليون لهند قبل ذلك ثلاث مرات بصورة سرية . وكان لهم دور في اتخاذ بعض لاجراءات التي اتخذت في الهند ، وان كان موقف الحكومة الهندية في عهد حكم المؤتمر الوطني موقف تحديد العلاقات مع إسرائيل ، والاكتفاء ـالقنصلية في بومباي ، ولكن حزب بهارتي جانتا وبعض زعماء الأحزاب لسياسية الآخرين كانوا يصرون على توسيع هذه العلاقات والسماح لإسرائيل بفتح السفارة في دلهي الجديدة والاستفادة من إسرائيل في البحوث الزراعية ، وقهر الصحراء والأمور الأخرى ذات المصلحة المشتركة وازداد هذا الضغط أخيراً بتوسيع نفوذ هذا الحزب سياسياً وميل بعض زعماء الحزب الوطني إلى تفكير زعماء حزب بهارتي جانتا ، وأشار بعض الزعماء أن تجربة إسرائيل في قمع الحركة الأصولية والارهاب ، في لبلاد قد تكون نافعة للهند التي تواجه نفس الخطرين ، فلما زار وزير خارجية إسرائيل الهند برزت المسألتان في المحادثات ، و وعد الوزير الإسرائيلي بالمساعدة في مواجهة الخطرين وقدم خبرة الموساد في مكافحة هذه النشاطات .

كانت الهند في الفترة التي تمت فيها زيارة الوزير الإسرائيلي تواجه الخطرين ، خطر الإرهاب في بعض ولاياتها كبنجاب وكشمير وآسام وحركة التامليين ، وخطر الأصولية ، فقد انتشر الإرهاب في عدة ولايات هندية ، وتصعدت حركات الانفصال وضرب المنشآت الحكومية ، كما

تصعدت الأصولية في السنوات الأخيرة . فكان من الطبيعي أن تستعين الهند بخبرة إسرائيل في ذلك . ولا شك أن اسرائيل في موقف أفضل لتقديم معونة في هذا المجال . فإنها دولة عرفت في العالم بوسائل القهر والكبت . وخرو القوانين الدولية . فلا تفرق بين رضيع . وشيخ هرم . وتعاقب من يلقى الحجر بالقنابل . و دك المنازل كلها على السكان . مقابل حجرة واحدة . ولا تبالى بما تتخذه الأمم المتحدة من قرارات لادانتها على خرق حقوق الإنسان .

و تنقذها أمريكا بالفيتو . عند ما تشتد الأزمة . لأنها قامت بتربيتها ودعمها . ولإسرائيل سجل حافل العمليات المأسوية فإنها تحتل ثلث لبنان . وارتكبت أقسى الجرائم بالهجوم على المخيمات . وقتل النساء والأطفال . وفوق ذلك أنها دولة مغتصبة استوطنت أرض العرب . بتهجير اليهود من أوطانهم في أوربا وأمريكا . ولغتهم وثقافتهم غير لغة فلسطين . وثقافة فلسطين . كل ذلك يجعل إسرائيل مؤهلة للمعونة في وسائل القمع والقهر لأي حركة ضد الحكومة . ولديها خبرة واسعة في هذا السبيل . ولا شك أنها خير عون في قمع الارهاب .

أما الأصولية . فالمسألة فيها غريبة للغاية . لأن إسرائيل نفسها دولة أصولية . فإنها دولة قامت لليهود . ولليهودية . ورجال الدين فيها يملكون سيطرة كاملة على سياسة الدولة . والحكام فيها يلتزمون بأمور الدين . وطقوسه . وهم يعتقدون بتفوق الجنس اليهودي . ثم بالجنس السامي . وقد اعترف الذين رسموا خطة التعليم في إسرائيل بأن التعليم يجب أن يكون خاضعا لفلسفة . وفلسفة التعليم في إسرائيل فلسفة دينية حسب معتقدات اليهود في الدين والسياسة . والتاريخ .

فكيف تساعد إسرائيل في مكافحة الأصولية . حقاً انها تستطيع أن تساعد في مكافحة الأصولية الإسلامية . وتؤيد الأصولية الهندوسية التي تعرف بهندوتية . التي تكتسح في البلاد . في الوقت الحاضر . والتي تعلن أن الهند للهندوس . وثقافة الهند ولغتها ثقافة الهندوس ولغتهم

وأن أرض الهند مقدسة ، وهو جزء من إيمان الهندوس ، كذلك إن الجنس الآري أفضل من أي جنس آخر .

وقد اعترف بذلك زعماء الهندوسية المتطرفون مراراً . فقد أوضح جول والكر فيلسوف الحركة الهندوتية المعاصرة في كتابه « مجموعة أفكار» (Bunch of thoughts) وصرح بذلك المستر بلراج مدهوك رئيس جن سنغ ، وهجم المستربلراج مدهوك على الساميين . و قد أوضح جول و الكر في كتابه (We the Nation defined) أن طريق هتلر لتصفية الاجناس الأخرى خير مثال للهند ، والمسألة إذا ، التقاء تفكير المتطرفين في الهند وإسرائيل في هذه القضايا .

وقد نوهت الصحافة الهندية بشخصية وزير خارجية إسرائيل وأعربت عن سرورها بأن إسرائيل تستطيع أن تساعد الهند في المسألتين اللبتين تهمان الهند وعلى عكس ما ابرزته الصحافة الهندية أعلن وزير الخارجية الإسرائيلي ، أن هم إسرائيل هو دعم اقتصادها ، ولعل ذلك الهم يرجع إلى الشعور بأن أمريكا ليست في موقف لتحمل أعباء دولة إسرائيل مدة أطول ولعلها هي التي نصحت إسرائيل أن تنفتح وتتوسع في الاعتماد على وسائل تمويل أخرى ، وقال ان مسألة الارهاب والأصولية مسألتان جزئيتان لإسرائيل ، وليست لهما تلك الأهمية التي تحملها المسألتان للهند .

إن إسرائيل بدون شك نفسها دولة أصولية ، وهي تواجه الأصولية الإسلامية ، في شكل حماس ، وقد اعترف الإسرائيليون أن رجال حماس الحقوا إسرائيل بخسائر لم تلحقها منظمات تحرير فلسطين منذ إنشاء إسرائيل ، وأن الخطر الحقيقي هو الخطر الإسلامي ، وكانت إسرائيل هي التي دفعت أمريكا ودول أوربا الأخرى إلى مكافحة الحركة الإسلامية .

ويلتقي فكر أمريكا بفكر إسرائيل فإن زيارة نائب وزير خارجية أمريكا للهند وباكستان في فترة واحدة تحمل أهمية ، وأفادت التقارير الصحفية بأن نائب وزير خارجية أمريكا قدم إلى سلطات باكستان قائمة

للمجاهدين العرب الذين اشتركوا في الجهاد الأفغاني ولا يزالون في البلاد ، ويجرى الآن عمل اخراجهم من باكستان ، وفي أمريكا نفسها خطر الأصولية ، وعداء أمريكا للأصولية الإسلامية أمر معروف وهي التي تدفع الحكومات الإسلامية إلى ضرب الحركات الإسلامية . .

ويفيد ذلك وما يجري في البلدان الإسلامية من مطاردة الإسلاميين ، ومحاكمتهم وتعذيبهم ، ومراقبة المؤسسات التي تبث الفكر الإسلامي ، يفيد كل ذلك باحتمال تكتل عالمي لضرب الحركة الإسلامية ، ويزيد هذه المخاوف ، اثارة هذه المسألة في منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في كراتشي ، ومناقشتها خلال زيارة رئيس الوزراء الهندي لاوزبكستان ، وقاذخستان ، فقد اعرب زعماء هذه الدول عن اهتمامهم البالغ بمسألة الأصولية ، ولا توجد في البلدين المذكورين أصولية ، إلا الأصولية الإسلامية .

وما يوجد من التناقض أن إسرائيل تتجاهل أنها دولة يهودية أصولية ، وأن هناك تياراً للأصولية الشيوعية في دول الاتحاد السوفيتي المتحررة ، وأن هناك تياراً قوياً للأصولية الهندوسية في الهند ، وإذا قيل أن الحكومات في هذه الدول منسجمة مع تلك الأصوليات فلا يكون ذلك بعيداً عن الواقع .

فما هي الأصولية التي تعنيها هذه الدول ، أليست هذه هي الأصولية الإسلامية .

وهناك مسألة أخرى وهي أن الدول الإسلامية التي تحارب الأصولية الإسلامية و مظاهرها ، تقف بهذا الموقف المعاند للحركة الإسلامية مع إسرائيل وأمريكا ، والدول الاشتراكية الأخرى التي تحارب الحركة الإسلامية .

••• •• •••

إلى رحمة الله :

الأستاذ أحمد محمد جمال في ذمة الله

قلم التحرير

نعت الأنباء الواردة من مكة المكرمة الأستاذ أحمد محمد جمال أحد علماء المملكة العزيزة وكتابها الراسخين ، يوم عرفة المبارك ١٤١٢هـ ، وفي القاهرة حيث كان مقيماً لغرض العلاج ، ﴿ فإنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ .

كان الأستاذ أحمد محمد جمال من أدباء العربية البارزين وعلماء المملكة ودعاتها المخلصين ، فقد كان ذا اهتمام كبير بالقضايا الإسلامية ، ويكتب عنها بأسلوبه الرصين الجميل ، وكان له ركن خاص في جرائد المملكة ، وجريدة « المدينة المنورة » بالذات ، بالموضوعات الاجتماعيه ، يعتمد في الكتابة حولها على تعاليم الكتاب والسنة .

ولقد زرته أول ما زرته في مكتبه بدار الثقافة الإسلامية بمكة المكرمة عام ١٩٥٨م ، ثم كنا نراه ونسمع به ونقرأ له في المؤتمرات والجولات والجرائد والمجلات ، ولقد رافق سماحة شيخنا العلامة السيد أبي الحسن الندوي في الوفد الذي رأسه سماحته و زار أفغانستان وإيران ولبنان والأردن في عام ١٩٧٣م ، من قبل رابطة العالم الإسلامي وأصدر تفاصيل هذه الرحلة في كتابه القيم الذي سماه « من نهر كابل إلى نهر اليرموك » .

كما مثل الرابطة المؤقرة مع وفده في مؤتمر المديح النبوي الذي أقامته رابطة الأدب الإسلامي العالمية في أورنغ آباد الهند في عام ١٩٨٨م ، وفي ندوة رابطة الأدب الإسلامي التي عقدت بمدينة رائ بريلي حول المناجاة والابتهالات في عام ١٩٨٩م .

وهكذا كان وطيد الصلة بنشاطات ندوة العلماء ورئيسها الكبير العلامة الندوي ، وكان آخر ما كتبه قبل وفاته بساعات مقالاً بعنوان « لن تؤمنوا حتى تراحموا » في ركن « مدرسة النبوة » لجريدة « المدينة » الصادرة من المملكة العزيزة ، والعنوان قطعة من حديث النبي -ﷺ- الذي جاء فيه : ما من رحمة ، على لسان النبوة ، فتناوله بالتفسير في أسلوبه الخاص ، وقد نشرت جريدة « المدينة » صورة من كلمته الأخيرة هذه ، بخط يده الأخير ، الذي خطته يمينه ، فطوبى له هذا العمل الأخير .

رحمه الله رحمة واسعة وغفر له زلاته وأدخله فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

كلمة تعزية إلى صاحب السمو حاكم عجمان

تلقت ندوة العلماء وأسرة الصحافة الإسلامية فيها نبأ الحادث المفاجئ بوفاة سمو الأمير عبد الله بن حميد النعيمي نجل صاحب السمو الشيخ حميد بن راشد النعيمي حاكم إمارة عجمان بدولة الإمارات العربية المتحدة ، بشئ كثير من الأسف والأسى ، ﴿ فإنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ .

هذا هو الحادث الثاني الكبير في ظرف ثلاثة أشهر فقط ، كنا قدمنا التعازى الخالصة على وفاة شقيقه - رحمه الله - في أواخر رمضان المنصرم ، واليوم نتقدم إلى سموه بالتعزية القلبية على وفاة نجله العزيز - رحمه الله - ، وعلى ما فجع به سموه وأسرته الكريمة بهذا الحادث المؤلم ، فصبراً على هذه المصيبة ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ وبشّر الصابرين إذا أصابتهم مصيبة ، قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ .

بعثت ندوة العلماء برقية تعزية إلى سموه المعظم وعلى رأسها سماحة العلامة السيد أبي الحسن علا الحسني الندوي ، رئيسها العام ، وجميع المشايخ والأساتذة والطلاب ، رحم الله الفقيد الغالي وجعله أجراً وذخراً لوالديه وللأقارب ، والله يتولى الصالحين ، وإن لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شئ عنده إلى أجل مسمى .

الطبيب البارع الشيخ محمد صيانة الله في ذمة الله

فقدت ندوة العلماء أحد أعضائها المحترمين سعادة الطبيب البارع الشيخ محمد صيانة الله في شهر ذي الحجة ١٤١٢هـ ، ٢٤/من شهر مايو ١٩٩٢م عقب نوبة قلبية مفاجئة ، ﴿ فإنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ .

كان الفقيد المرحوم من بلدة أمروهه بمديرية مرادآباد (الهند) فكان يمثل هذه المنطقة في المجلس التنفيذي لندوة العلماء ، وكانت له علاقة وطيدة بندوة العلماء وبرامجها ، وكان يحب سماحة العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ويزوره حيناً لآخر ، ويقضي بجواره وقتاً طيباً ، وكان يدير الجامعة الحسينية في بلدته ويشرف عليها .

أكرمه الله تعالى بالورع والصلاح ، وبالحذاقة الكبيرة في معالجة الأمراض بالطب العربي ، أقيم حفل تعزية على وفاته في مسجد دار العلوم ، ودعى له بالمغفرة والرحمة ، وأن يلهم الله تعالى أهله وأنجاله وذويه الصبر والسلوان .

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشــأهــا :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في عام ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيــد الندوي

العــدد السابع - المجلد الثامن و الثلاثون

ربيع الثاني ١٤١٤هـ - سبتمبر-أكتوبر١٩٩٢م

المــــراسلات :

البعث الإسلامـــــي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٣ لكناؤ - الهند

ALBAAS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama

P. O. Box, 93, Lucknow (INDIA)

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الغرب الصليبي اليهودي الحاقد الذي كان يسدل الستار على جميع
ـراءات الحقد والعداء ضد الإسلام والمسلمين ، ويتمثل أمام العالم
'سلامي بأزياء جذابة كثيرة ، تكشّف اليوم بوجهه الحقيقي في عدة
ـايا ، تتصدر من بينها قضية البوسنة والهرسك ، التي يعذب فيها
ـسلمون ويُقتّلون بأقسى أنواع التعذيب والتقتيل ، نزولاً على رغبة
ـعوب الحاقدة عليهم من سكان هذه المنطقة بالذات ، وإن الغرب هو
ـي يلعب فيها بأرواح المسلمين وأعراضهم وحرماتهم ، وينتهك قرارات
ـلس الأمن ، ويوحي إلى أوليائه بتضييق الخناق على المسلمين
ـاكنين في هذا البلد «المشئوم» حتى ضاقت على هؤلآء الأشقياء الأرض
ـا رحبت ، ﴿ وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ﴾ .

إن الغرب الصليبي اليهودي مصمم اليوم على تصفية الوجود الإسلامي
هذه المنطقة الحساسة ، التي عاشت أيام الخلافة العثمانية في عزة
ـلو ، ولم تفارق عقيدة الإسلام وروح الإيمان ، في أي فترة من تاريخها،
ـعل الغرب بدأ بعمل تصفيتهم عن هذه المنطقة لموقعها الاستراتيجي ،
ـي يوفر له جبهة مهمة للهجوم على العالم الإسلامي ، وتدمير مراكزه
ـوحية ومقدساته الإسلامية ، فكم تمنى اليهود أن يستولوا على
ـرمين الشريفين ويعيدوا هناك تاريخهم القديم ، ويتخذوا المدينة
ـنورة منطلقًا لنشاطاتهم وشهواتهم ، ولا تزال أمنيتهم القديمة تراود
ـوسهم ، ويريدون أن يحققوها بمساعدة من النصارى ، حيث إن اليهود
ـلنصارى يلتقون اليوم على هذه النقطة ، ويتبادلون الثقة والمودة فيما
ـنهم ، ويستهدفون كسر قوة المسلمين وتشتيت شملهم وطردهم عن
ـطانهم ، وإلقاءهم على قارعة الطرق مخذولين منهوكين ، كلحم على وضم .

إن ما يجري في هذه المنطقة اليوغوسلافية منذ سنة كاملة تقريبًا ، من
ـازل الوحشية ضد المسلمين وبإيعاز من الغرب الصليبي اليهودي لأصدق

دليل على ما يكنه هذا الغرب من نوايا سيئة ضد المسلمين ، ذلك أنه ينفذ اليوم ما قد قرره زعماؤه السياسيون وقادته الدينييون في مجال تغيير عقلية المسلمين وغسيل مخهم ، بواسطة الجمعيات والمؤسسات المشبوهة التي أقيمت لهذا الغرض ، وسهر عليها الغرب حكومةً وشعبًا ، ولا حاجة إلى تعريفها ، فهي معروفة بأسمائها وبرامجها ومخططاتها .

هذا إلى جانب ، وفي جانب آخر تخطيطات هائلة لهجوم شامل ضد العقائد الإيمانية والقضايا الأساسية لزعزعة اعتقاد المسلمين بخلود الإسلام وشريعته ، وزرع بذور التشكيك في تاريخ الإسلام وأحداثه و وقائعه ، وبالتالي إثارة الشبهات حول سيرة النبي -ﷺ- وحياته الناصعة البيضاء ، وتوجيهاته السماوية ، التي كان يتلقاها بطريق الوحي ، زد إلى ذلك الجهود المضنية التي تبذل في سبيل هدم معنوية المسلمين ، وتحبيب الفساد إلى نفوسهم ، وتزيين المنكرات في عيونهم ، عن طريق الإعلام الغربي الذي يقوم بوسائله الهائلة بتوجيه البرامج الهدامة نحو دول العالم الإسلامي وبلدانه ، عبر الإذاعة والتلفزيون والفيديو والصحف والمجلات الخليعة والكتب الماجنة ، وقد أصبح كل ذلك بمتناول الإنسان العام في كل مكان ، بل و قد أصبح علامة للحضارة والعلم والتطور ، وموضع اهتمام الأسر والبيوتات ، على اختلاف أعضائها من الرجال والنساء والأطفال والشيوخ .

إن هذا الإعلام الغربي يعرض للناس صورًا هزيلة لحياة المسلم ونشاطاته ، ويصور المجتمع المسلم بأبشع شكل ، من التخلف والعجز والخمول والنهامة بإشباع الغرائز بطريق شرعي وغير شرعي ، مما يقلل قيمة الدين ، بل وقد ينفر الطبائع عنه ، ويثير لدى المسلم العام شعورًا بمركب النقص ، الذي يجعله يتعيّر عن الانتماء إلى الإسلام ، ويتمنى أن ينضم إلى عضوية الغرب المتحضر ويعيش تحت ظلال الحضارة الحديثة ، والإبداعات العلمية التي يتولاها الغرب ، وفعلاً قد تمكن من إعداد جيل من المسلمين ممن أخذوا بسحر الحضارة المادية ، وأولعوا بأساليبها وتصوراتها المادية البحتة ، ثم أصبحوا عملاء مخلصين للسادة الغربيين ، وممثلين صادقين لجميع المناهج الغربية وترويج بضاعتها الرخيصة ، وتصديرها إلى العالم الإسلامي ومجتمعات المسلمين ، وقد كان لهذا الجيل

دور كبير في الشرق الإسلامي الذي وقع فريسة للغرب عن طريق التجارة والصناعة ، وضعفت صلته بالحضارة الإسلامية ، كان له دور في تغيير العقلية واستبدال النظرة الإيمانية نحو الحياة والكون والإنسان ، بنظرة مادية خالصة في جميع شئون الحياة ، وإحلال الدين في زاوية صغيرة ، عسى أن تمس الحاجة إليه ، في أي مناسبة .

أما الأصولية التي يروجون عنها الأكاذيب التاريخية والاتهامات الباطلة ، ويلصقونها بالمسلمين ، فإنها متأصلة عريقة في الشعوب الأوربية ، أكثر منها في الأمة الإسلامية التي لا تعمل إلا بأحكام الشريعة الإسلامية ، ولا تتمسك إلا بقوانين الآداب ، ولا تعتز إلا بأركان الإسلام ، التي يقوم عليها صرح الحياة الإسلامية ، استجابة لقول رسولها الكريم -ﷺ- : « بني الإسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان » .

فالأصولية الإسلامية إنما تعني التمسك بالأصول والمبادئ التي لا تكتمل سعادة الإنسان بدونها ، ولا يعم تبادل المنافع والمشاريع في المجتمع الإنساني من غير تلك الأصول والمبادئ ، إذا كانت هذه الأمة لا تتنازل عن أخلاقها وآدابها وأحكام شريعتها في يوم من الأيام ، فلا يعتبر ذلك عيبًا لها ، وإنما يكون مفخرة للحياة ، وغرة على جبين التاريخ ، ولا ينبغي أن تُعيَّر بذلك ، باسم « الأصولية » .

يتصدى الغرب اليوم لتنفيذ مخططاته وتحقيق أحلامه القديمة في المجتمعات الإسلامية بصورة سافرة وبأسلوب متحدٍّ ، ويشن الهجوم على العقيدة والشريعة ، ويضلل شبابنا ويصرفهم عن موضوعيتهم ، وذلك بوسائله القوية ، وأسلحته الحضارية الحديثة ، إنه يفند الأحكام الشرعية في الشئون الفردية والعائلية والاجتماعية ، ويعتبرها عائقًا كبيرًا في التقدم العلمي والتكنالوجي ، ولذلك فإنه لا يرضى بأن يوجد في العالم كله مجتمع أو بلد تنال فيه الشريعة الإسلامية إقبالاً أو قبولاً ، ويستظل الناس تحت ظلالها الوارفة الهنيئة ، وكل بلد أو مجتمع يركن إلى تنفيذ الشريعة الإسلامية في الحياة فهو مستهدف بمخططاته ونواياه الكالحة .

وتبدو تصميمات الغرب ضد الصحوة الإسلامية من تلك المخططات

السرية التي يخططها خبراؤه من اليهود والصليبيين ممن تربوا في معاهد التربية والتدريب الغربية التي علمتهم فنون تغيير العقلية ، وتدمير روح الإيمان والعقيدة في نفوس المسلمين ، أولئك الذين أتقنوا أساليب القهر والقمع والإرهاب والإبادة ، وأجروا تجاربها على المسلمين ومجتمعاتهم من غير خوف ولا مبالاة ، و وجهوا تعليمات حول تنفيذ كل ذلك إلى عملائهم وعمالهم القائمين بهذه المهمة في كل مكان .

يتعرض المسلمون في أقطار متعددة أوربية وإفريقية وإسلامية ، وفي دول من جنوب شرق آسيا لحملات الإبادة بطرق مختلفة ، و وسائل منوعة ، ولقد كانت الجمهوريات التي استقلت في بلاد ما وراء النهر مع ذوبان الاتحاد السوفياتي ، موئل أمل مشرق لأهلها المسلمين الذين عاشوا فيها حياة القهر والكبت إلى مدة طويلة واختفت شرارة إيمانهم تحت الرماد إلى مدة طويلة ، وكانوا قد تنفسوا الصعداء بعد ليل حالك طويل ، ولكن العدو الغربي لم يصبر على ذلك وسارع في نسج خيوط المؤامرات ضدهم ، والعودة بهم إلى حياة الجاهلية الأولى .

تُكبُّ الدول الغربية برجلها ورجالها وبسلاحها و وسائلها على تصفية الوجود الإسلامي ، وتهديد المسلمين بنتائج سيئة إذا ما ألحوا على دينهم وشريعتهم ، ولم يرضوا بالانسياق مع التيار الحضاري وأصرّوا على التمسك بتقاليدهم القديمة والعقيدة الإيمانية ، وما قصة إبعاد أكثر من أربع مائة شخص فلسطيني من أوطانهم وديارهم إلى جبال لبنان الباردة منذ مدة قليلة ، إلا تنفيذ ذلك التهديد الذي يوجهونه إلى المسلمين ، ولعل هذه الاجراءات توشر إلى أن العدو الغربي قد نفد صبره في تحمل الوجود الإسلامي ، وبقاء آثار الفضيلة والحق والعدل والرحمة في المجتمعات الإسلامية ، وهو متهيئ للوثوب عليها والقضاء على الشخصية الإسلامية التي يمثلها المسلمون ويتحدون بها الغرب ، في حضارته وتقاليده وأفكاره وفلسفاته المادية .

ومما يشق على الغرب الراعن أن يبرز المسلمون كقوة مستقلة ذات رسالة وعقيدة ويخاطبوا الشعوب المادية ويدعوها إلى اتخاذ المنهج

الإسلامي للحياة ، والانضمام إلى الأسرة الإسلامية الكبيرة ، يشق عليه أن تكون لديهم حضارة إسلامية ، ومناهج إنسانية طبعية في الحكم والسياسة والاجتماع ، والعلاقات الدولية ، والتطورات المادية ، وأن تكون لديهم مواصفات في بناء السيرة وتربية الإنسان وتكوين البيئة وصناعة المجتمع .

يحقد الغرب على الإسلام لأنه منهج متكامل للحياة ، ويجمع بين حسنى الدين والدنيا ، والعلم والإيمان وبين قوتي العقل والقلب ، ويعطى كل ذي حق حقه من الرعاية والاهتمام ، لأنه دين قصد واتزان لا يهمل أي طرف من الحياة والكون والإنسان ، وإنما يضعه على الميزان العادل ويصهره في بوتقة الجد والطاعة والخضوع الكامل للأوامر والنواهي التي هي مبينة مصرح بها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله -ﷺ- .

يتوجس الغرب خيفة مما إذا وجد الإسلام طريقه نحو الحياة والمجتمع وساد على شئونهما فشق طريقا نحو القيادة وأنتج أفرادًا يمثلون الإسلام الكامل ويتسلمون زمام القيادة العالمية بقوة وجدارة ، ويهزمون جميع القيادات المادية القائمة على المصالح الشخصية والمنافع الذاتية ، كما قد شهد نماذج ذلك التاريخ الإنساني في فتراته المختلفة ، ذلك هو الخوف الذي يساور نفوس الزعماء والقادة الماديين فيبذلون طاقاتهم لصدّ أي صحوة إسلامية تظهر في بلاد المسلمين ، وسد جميع المنافذ التي قد يتسرب إليها الروح الإسلامية وتأخذ أهلها بالتربية وتثير فيهم الحمية الإسلامية والغيرة الدينية التي هي الخطوة الأولى نحو الخلافة الإسلامية وتنفيذ شريعة الله في الأرض ، ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم • وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا • يعبدونني لا يشركون بي شيئًا • ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ .

إن الغرب اليوم - تفاديًا من هذا الخوف الذي يستولى عليه - يقوم بحركات صبيانية عجيبة من القتل والطرد والتشريد والتنكيل من غير سبب ، و ينفذ مخططاته الشرسة و مؤامراته العدائية ضد الإسلام

والمسلمين من غير حياء أو خجل ، وذلك بتشويه الشخصية الإسلامية تارة ، وبتدمير بلدان وديار المسلمين تارة أخرى ، لا يقصر في حشر وسائل الاغراء والترهيب ، لهذا الغرض ، ولا يبخل في إنجاز هذا المشروع الخطير بأي ثمن ، وإذا كان موقفه من هذه القضية مطمورًا غامضًا في السابق ، فقد تبين الآن بشئ كثير من الوضوح والاعلان ، وإذا كان شعاره المعلوم نحو تفريق المسلمين وأملاء الحكم عليهم « فرق تسد » فقد زاد إليه « دمّر تعد » دمّر المسلمين وبلدانهم تعد إلى الاعتبار والقوة ، وقد أصبح هذا الشعار هو موضع التنفيذ اليوم بإجماع الجهات المعنية عليه ، وذلك ما نراه اليوم في شتّى أقطار وبلدان المسلمين من تدخل أجنبي في شئون الحكم والسياسة والتغييرات العقلية والحضارية ، وما يجرى فيها من محاولات لقطع المسلمين عن منابع الشريعة وإبعادهم عن التصلب في الدين والعقيدة بطرق وأساليب متعددة .

ذلك أن تصلب المسلمين في الدين والعقيدة وتمسكهم بالأسس الخلقية التي يوجه إليها الإسلام يتكفل لهم بمستقبل لامع في جميع مجالات الحياة ويمهد لهم الطريق نحو قيادة عالمية وبالتالي إلى الخلافة الإسلامية التي ترتجف ، بمجرد سماع اسمها ، المجتمعات الغربية وزعماؤها الكبار ، إن الخلافة الإسلامية اسم مرعب للغرب كله ، وهو الذي يركز جميع طاقاته و وسائله في وضع عراقيل كافية تمنعها عن العودة إلى بلدان المسلمين ، والغرب يتمنى أن يحصل على ضمان يؤكد له أن الخلافة الإسلامية ولّت من غير رجعة وقضى عليها بالزوال لآخر مرة ، مع آخر الخلفاء العثمانيين .

ولتأكيد هذا الضمان وتحقيق هذه الأمنية الغالية ، يقوم الغرب اليوم بما يقوم به نحو مجتمعات المسلمين ودولهم ، ويمارس فيها أعمالاً وحشية من غير لين ولا هوادة ، كأنه يطارد الأشباح ويجرى وراء الأصوات ، ويجاهد في غير جهاد ، « والله لايهدى القوم الظالمين » .

﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلبٍ ينقلبون ﴾ . سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي

قصة الهجرة والجهاد في الهند

بقلم سماحة العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

جب ايمان كى بهار آئى

إذا هبت ريح الإيمان جاءت بالأعاجيب في العقيدة ، والأعمال ، والأخلاق ، ورأى الناس روائع من الشجاعة واليقين ، والعفة والأمانة ، والإيثار وهضم النفس ، وروح التطوع والاحتساب ، والتواضع في المظاهر ، وكبر النفس وسمو النظر ، ورأوا آيات من العدل والرحمة ، والمحبة والوفاء كادوا ينسونها ويقطعون منها الرجاء .

وقد هبت هذه الريح المباركة في فترات تاريخية ، قصرت أحياناً وطالت أحياناً ، وهي معلومة مسجلة في تاريخ الدعوة الإسلامية ، والتجديد الإسلامي .

وقد هبت هذه الريح في الهند في فجر القرن الثالث عشر الهجري ، وتجددت ذكريات القرون الأولى يوم قام الامام السيد أحمد بن عرفان الشهيد بدعوة التوحيد ، والتجديد والجهاد .

ودعا إلى الدين الخالص ، وأشعل في القلوب شعلة الإيمان ، والحماسة الإسلامية ، والجهاد في سبيل الله ، ونظم جماعة كبيرة ، وأحسن تربيتها الدينية و الحربية ، و هاجر معها من طريق بلوجستان ، وأفغانستان إلى حدود الهند الشمالية ، واتخذها مركزاً لدعوته ، ليتقدم منها إلى الهند لاجلاء الإنجليز ، وتأسيس دولة إسلامية على منهاج الكتاب والسنة ، وقد هزم هؤلاء المجاهدون السيخ (Sikhs) (الذين احتلوا بنجاب ، وأذاقوا المسلمين سوء العذاب) في معارك كثيرة .

وأسس هؤلآء المجاهدون دولة شرعية في الحدود الهندية الشمالية الغربية تشتمل على « بشاور» ، وما جاورها من البلدان والقرى ، ونفذوا الحدود الشرعية، وطبقوا النظام الإسلامي المالي والإداري تطبيقاً دقيقاً، ولكن ثارت عليهم القبائل التي تقطن الحدود لصادمة هذا النظام لمآربهم الشخصية وعاداتهم الجاهلية ، فقلبوا هذا النظام ، ثم اصطدم المجاهدون بجيش السيخ في وادي « بالاكوت » فاستشهد الإمام أحمد وصاحبه الشيخ إسماعيل ، وكبار أصحابهما في ٢٤ من ذي القعدة عام ١٢٤٦هـ (٦ من مايو عام ١٨٣١م) ، ولجأ الفل إلى الجبال ، ولم يزل هؤلآء وأصحابهم في الهند قائمين على الحق ، باذلين في ذلك النفس والنفيس ، والإنجليز يطاردونهم ، ويطاردون أملاكهم وأموالهم ، ويحاكمونهم محاكمات طويلة عريضة (١) ، وهم صابرون محتسبون ، لا يضطربون ولا يتزعزعون ، ولا يلينون ولا يستكينون ، حتى كانت ثورة ١٨٥٧م ، التي تزعمها المسلمون ، و أسهم فيها المواطنون ، وأخفقت لأسباب يطول ذكرها ، وقوبل زعماؤها بصفة خاصة ، والمسلمون بصفة عامة بوحشية نادرة (٢) ، و استتب الأمر للإنجليز ، و دخلت الهند في الحكومة البريطانية بصورة عامة ، وبقي هذا الوضع إلى ١٩٤٧م ، حين نالت الهند الاستقلال ، وكان التقسيم ، وقامت الجمهورية الهندية وقامت دولة

(١) اقرأ كتاب (The Great Wahabi Case) وكتاب (Indian Mudalmans) لويليم هنتر (W W Hanter) .

(٢) اقرأ كتاب المؤلف « المسلمون في الهند » فصل « الدور الذي قام به المسلمون في تحرير الهند » .

باكستان الإسلامية وهي تشتمل على أكثر المناطق التي كانت مركز نشاط المجاهدين وكفاحهم ، وكانت في مقدمة مخطط هذه الحركة الإصلاحية الجهادية وهدفها الأول .

وقد شرح الله صدري في سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) لأن اختار روايات من هذا التاريخ العجيب ، فأصوغها في العربية في أسلوب أدبي ، قصصي شائق ، لا يشوبه شيئ من المبالغة فصلاً عن الكذب ، تدل على مكانة قائد هذه الحركة العبقري ، وما أوتي من مواهب عظيمة ، وعناصر قوية ، وعلى مدى نجاحه في تربية النفوس وتزكيتها ، وعلى إخلاصه وتجرده للغاية التي كان يسعى لها ، وتفانيه في دعوته ، وتدل على نفسية هذا الجيل المؤمن المجاهد ، وخلقه ، ومبلغ تأثير الدعوة الإسلامية ، والتربية الإيمانية في نفوس تلاميذها ، ونشرت هذه الروايات في مجلة (المسلمون) الغراء حين كانت تصدر من القاهرة في سنة ١٩٥٢م في عددي يناير ، وفبراير من هذه السنة ، ثم شغلت عنها لأعمالي الكتابية والتأليفية والدعوية الأخرى ، حتى مضى على ذلك عشرون سنة .

ثم لفت نظري بعض إخواني (١) الأعزاء إلى قيمة هذه السلسلة القصصية ، وما لها من تأثير في نفوس القراء ، واستجابة خفية لقبولها وتقليدها ، وإنني إذا لم تساعدني الظروف ، ولم يتسع وقتي لوضع تأليف مستقل في سيرة هذا الإمام الكبير، وفي تاريخ دعوته وجهاده ، وفي اللغة العربية ، كما فعلت في أردو (٢) ، فلا مانع من أن أكمل هذه

---

(١) في مقدمتهم محمد الحسني ، وسعيد الأعظمي محرراً مجلة « البعث الإسلامي » .

(٢) لكاتب هذه السطور كتاب « سيرة سيد أحمد الشهيد » في جزئين كل جزء في نحو خمس مائة صفحة بالقطع الكبير .

السلسلة ، فقد تكون صورة مصغرة من هذا التاريخ الكبير الذي يشغل آلافاً من الصفحات (١) . ويمتد على مساحة مكانية تتكون من آلاف من الأميال وعلى مساحة زمانية تستغرق قرناً كاملاً (٢) . ويستطيع القارئ الذكي أن يكون من هذه الشذرات الملتقطة من هنا وهناك فكرة متناسقة جامعة ، عن هذا الجهاد الطويل ، وعن هذه المدرسة المنجبة المنتجة ، فيكون في ذلك سد إلى حد لهذا الفراغ ، الواقع في المكتبة الإسلامية ، العربية المعاصرة (٣) و ري لكثير من النفوس المتعطشة إلى معرفة هذا الفصل الرائع من الجهاد الإسلامي ، وتاريخ التجديد الديني في الهند ﴿ و إن لم يصبها وابل فطل ﴾ .

وكنت إذا قرأت روايات « الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني » (م ٣٥٦هـ) وأنا في أيام الطلب ، وريعان الشباب ، أوخذ بسحر أدبها ، ولغتها العربية الفصحى وتعبيرها الجميل ، وتصويرها البارع لخواطر النفس وأشكال الحياة ، وكنت أغار على هذه العربية الفصحى ،التي نزل بها القرآن ، وتكلم بها الرسول -ﷺ- وأصحابه ، أن تسخر للأغراض التافهة

---

(١) للكاتب الباكستاني الشهير ، والصحافي الكبير المرحوم غلام رسول مهر كتاب « سيد أحمد الشهيد » في أربعة مجلدات مجموع صفحاتها ١٩٢١ .

(٢) يبتدئ هذا التاريخ في الحقيقة من عام ١٢٢٥هـ حين بدأ السيد نشاطه ، ويدوم إلى سنة ١٣٢٠هـ العام الذي توفي فيه الشيخ عبد الله بن ولايت علي الصادقفوري أمير جماعة المجاهدين ، وهي مدة نشاط هذه الجماعة وقيادتها .

(٣) يجب أن ينوه المؤلف هنا بفضل صديقه الفاضل الكاتب القدير وأديب العربية الكبير الأستاذ على الطنطاوي في تأليف أول كتاب يصدر من قلم أحد كتاب العرب وهو كتيب « أحمد بن عرفان الشهيد » في ٤١ صفحة صدر سنة ١٣٨٠هـ في سلسلة « أعلام التاريخ » من دمشق

- إذا لم أقل الخسيسة - التي ألف لها هنئ الكتاب ، وأن تضيع في الألحان والأغاني ، ورنات المثالث والمثاني ، وتصور جوانب الضعف ومواضع السقط ، ومكامن الريب في المجتمع الإسلامي الذي عاش في القرون المشهود لها بالخير . وكنت أتمنى أن تستخدم هذه الملكة البيانية ، وهذه الثروة اللغوية الفذة . وها الأسلوب القصصي الخفيف الجميل ، في مقاصد شريفة وأغراض نبيلة ، وفي تصوير جانب مشرق من تاريخ جميل مشرق .

وقد حاولت بقدر استطاعتي أن أحاكي هذا الأسلوب في هذه القصص ، التي اخترتها على عجل ، من تاريخ الإصلاح والتجديد في الهند ، فإن لم يتحقق لي نجاح الأصبهاني وغيره - وأنى يدرك الضالع شأو الضليع - فلا تفوتني فائدة التقليد لأسلوب ساحر ، ولا تفوتني نية القاصد ، وأجر العامل .

ولهذه الحكايات التاريخية والروائع الإيمانية والخلقية فائدة ، لا يستهان بقيمتها وأهميتها ، وهي أنه يستطيع القارئ الذكي أن يقيس بها عظمة الشخصية التي هي مصدر كل هذا الفضل ، ومصدر كل انقلاب ، وكل دعوة وجهاد ، والتي منها انبثق هذا التاريخ ، وانتشر هذا النور ، وعم هذا البر ، وهي شخصية الرسول الأعظم -ﷺ- ، ولم يكن المجددون في كل دور ، والمربون في كل جيل والمصلحون في كل بلد إلا رشحاً من رشحات هذه التربية والدعوة ، وظلا من ظلالها الفيحاء ، فإذا كان هؤلآء المجددون ، وأولئك الدعاة والمربون ، وهم تلاميذ هذه المدرسة المحمدية ، وأتباع أتباع المتخرجين فيها ، بهذه المكانة من الإيمان والاخلاص ، وعلى هذه القدرة من التأثير والإنتاج ، فكيف بالرسول -ﷺ- الذي أرسله الله

بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وأكرمه بالوحي ، والكتاب المعجز الخالد ، وأيده بروح القدس ، وكيف بالناس الذين نشأوا في أحضانه ، وتربوا بين سمعه وبصره ، وكان وجود هؤلاء المجددين والمربين في القرون المتأخرة ، وفي بلاد بعيدة عن مهد الإسلام ، ومركز الدعوة الإسلامية ، دليلاً على خلود هذا الدين ، وتدفقه بالحيوية والتوليد ، وعلى أن شجرة الإسلام لا تزال تثمر ، وخليته لا تزال تعسل ، وهي فائدة ليست ضئيلة القيمة ، ولا قليلة الأهمية .

ومن خصائص هذه الجماعة التي تلفت النظر ، أنها كانت تجمع بين جهاد النفس وجهاد العدو ، وبين الحب لله والخشية له ، والحب لله والبغض لله ، وبين الزهد والعبادة ، والحمية الدينية والغيرة الإسلامية ، وبين السيف والمصحف ، والعقل والعاطفة ، وبين التسبيح في المسجد والبيت في ظلام الليل ، والتكبير في ساحة الجهاد على صهوات الخيل ، صفات وجوانب خيّل لكثير من المطلعين على التاريخ ، المختبرين لحركات الإصلاح أنها متناقضة متضادة ، وذلك بفضل التربية الدقيقة التي أخذ بها قائدها ومربيها ، والوعي الديني الصحيح الذي نضج ورسخ ، واستوعب الحياة كلها ، وبسبب أنها لم تمر بمرحلة التربية الدينية مراً عابراً سريعاً ، ولم تخض المعركة من غير استعداد ، بل أخذت الأمور بنصابها ، وأتت البيوت من أبوابها ، وذلك هو المثل الكامل لجيل مؤمن مجاهد ، والنموذج الرائع للربانية الصحيحة المطلوبة في كل عصر (١) .

---

(١) هذا المقال هو في الواقع مقدمة على كتاب « إذا هبّت ريح الإيمان » الذي جمع فيه العلامة الندوي روائع من تاريخ الهجرة والجهاد في القرن الثالث عشر الهجري في الهند لقائده العظيم الإمام أحمد بن عرفان الشهيد .

أصول العلاقات الدولية
بين الإسلام والتشريعات الوضعية

[الحلقة الرابعة الأخيرة]

بقلم أ. د. محمد الدسوقي
أستاذ اللغة والأصول بكلية الشريعة - جامعة قطر

ج - أصول العلاقات الدولية الإسلامية :

يتضح بجلاء من الحديث عن الحرب في الإسلام وأنواع الديار أن نظرة الإسلام إلى غير المسلمين لا تعرف العداء والتعصب والاستعلاء ، وإنما تقوم على التسامح والتعاون والإخاء واحترام العهود والوفاء بها ، مهما تكن الظروف والأسباب . وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين • إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾ (سورة الممتحنة ، الآيتان : ٨-٩) .

فهاتان الآيتان تلخصان الدستور الإسلامي في العلاقات الدولية ، وهو دستور يقوم على السلم ، ويؤثر المودة على العداوة ، حتى مع من عادوه ما ضمن كفهم عن الاعتداء ، استحياء للمودة الإنسانية ، وتوثيقاً للروابط البشرية ، فقبل الآيتين قوله تعالى : ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم ﴾ .

والحاصل أن أصول العلاقات الدولية الإسلامية تقوم على ما يلي :

أولاً : المساواة بين الناس :

يقرر الإسلام أن الناس جميعاً أمة واحدة ، ولأن المساواة بينهم في الكرامة الإنسانية وفي المسئولية ، مصدرها وحدة النشأة و وحدة المصير ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ (سورة النساء ، الآية : ١) .

وما دامت المساواة حقيقة لا مراء فيها لأنها ترجع إلى هذا المصدر الواحد « فكلكم لآدم وآدم من تراب » فإن كل الأبحاث والدراسات التي يقوم بها علماء الاجتماع والأجناس وغيرهم ممن يصنفون الناس تصنيفاً عرقياً ، وما يتمخض عن هذا التصنيف من أن يكون لبعض الناس من الامتيازات ما ليس لغيرهم ، ليست عملاً علمياً صحيحا ، لأنه غفل عن الأصل الذي يرجع إليه الجميع ، وأن ما بينهم من تفاوت أيا كان لونه لا يعني على الاطلاق تقسيما عرقياً يجعل منهم طبقات يستعبد بعضها بعضاً .

إن النزعات العرقية ، أو ما يسمى بالتفرقة العنصرية قد جلبت على البشرية في الماضي والحاضر الويلات والمشكلات ، والإسلام بمبادئه التي تقرر المساواة في الإنسانية بين الناس جاء لانقاذ البشرية من تلك النزعات الفاسدة ، وبين أن التفاوت في الألوان والألسن والطاقات ليس سبيلا لاستعلاء الأقوياء ، وامتهان الضعفاء ، فهذا التفاوت آية من آيات الله في خلقه ، ومظهر من مظاهر حكمته في كونه ، و وسيلة من وسائل الابتلاء لعباده ﴿ ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾ (سورة الروم ، الآية : ٢٢) .

ثانياً : السلم أصل العلاقة بين الناس :

يتفرع على تقرير مبدأ المساواة . وأنه لا طائفية ولا عنصرية ولا مفاصلة بالألوان والأجناس والأوطان وإنما بتقوى الله والعمل الصالح . قيام العلاقة بين الناس على المحبة والمودة والسلام والوئام . لأن معنى المساواة يفقد مدلوله إذا لم يلغ كل أسباب الاستغلال والامتهان لكرامة الإنسانية .

إن خلق الناس من ذكر وأنثى وجعلهم شعوباً وقبائل من أجل أن يتعارفوا ويتعاطفوا ويتعاونوا ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (سورة الحجرات . الآية : ١٣) . وبذلك كان السلم هو العلاقة الطبيعية بين الشعوب ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ﴾ (سورة البقرة . الآية ٢٠٨) .

ثالثاً : الحرب من أجل السلام :

إذا كان الإسلام قد قرر أن أصل العلاقة بين الناس السلم فإن هذا لا يتعارض مع إذنه بالحرب وحضه على الجهاد . فالحرب التي أباحها أو التي شرعها هي في جوهرها حماية للسلم وتمكين له في دنيا الناس . إنها حرب إنسانية لا تقر إذلال الشعوب . ولا تسعى لنهب الأموال . لأنها حرب في سبيل الله . حرب تدافع عن العقيدة والحرية والسلم . وبون شاسع بين حرب تنصر الحق . وتقاوم الشر . وبين حرب تبغي الفساد في الأرض ﴿ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾ (سورة النساء . الآية : ٧٦) .

ولأن الحرب الإسلامية حرب حق وخير كانت لها قيمها ومبادئها التي تلتقي مع مهمتها في تحقيق السلام والذود عنه .

رابعاً : العـــدالـــة :

يحرم الإسلام الظلم في كل صوره وأشكاله ويأمر بالعدل مع الأصدقاء والأعداء في كل الأحوال ﴿ ولا يجرمنّكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ (سورة المائدة ، الآية : ٨) . فالعدل في الإسلام حق لكل إنسان بوصفه إنساناً دون تفرقة بين مؤمن وكافر وصديق وعدو وقريب وغير قريب ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ﴾ (سورة الأنعام ، الآية ١٥٢) . فالقرابة قد تضعف الإنسان حين يقف موقف الشاهد أو القاضي فلا يعدل في قوله أو في حكمه . ولذا ينبه القرآن إلى هذا مؤكداً دعوته إلى قول الحق والعدل ومراقبة الله وحده ، فهو أقرب إلى المرء من حبل الوريد .

وإذا كان من العدل أن نرد الاعتداء بمثله ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ١٩٤) . فإن الإسلام كما تنص الآية الكريمة لا يجعل رد الاعتداء بمثله أمراً مطلقاً ، بل يقرن به تقوى الله ، ومن هنا يكون العدل في الإسلام عدلاً إنسانياً رحيماً لا يعرف التشفي ، ولا يمتهن الكرامة والفضيلة ، ولا ينزل إلى مستوى الهمجية والوحشية . ولو كان غيرنا قد هبط إلى هذا المستوى ، ومن أجل ذلك كان الإسلام دين القوة ، قوة الإيمان والأبدان والانتاج والاعداد للجهاد حتى نرهب أعداء الله ، وأعداء الحياة ، ونكون دائماً أباة حماة ، أذلة على أنفسنا أعزة على غيرنا .

خامساً : احترام العهود والوفاء بها :

للعهود والمواثيق في الإسلام حرمة مقدسة ، يجب احترامها وعدم التفريط فيها ، والنصوص في ذلك كثيرة يمكن الاجتزاء منها بقول الله تعالى ﴿ و أوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون • ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة ﴾ (سورة النحل ، الآيتان : ٩١-٩٢) .

هذا النص القرآني الكريم يحتم الوفاء بالعهد وعدم نقضه ، ويحذر من الخديعة والدخل في المواثيق ، أي اتخادها ذريعة للغش والغدر والمكر ، ويشبه الذين يعقدون العهد ثم ينقضونه بالحمقاء التي تغزل غزلاً محكماً و بعد ذلك تنقضه ، و في هذا إشارة إلى أن نقض العهد لا يفعله إلا الحمقى ، ويومئ النص إلى أن الرغبة في زيادة الأرض أو القوة لا يصح أن يكون شئ من هذا سبباً لنقض العهد ، فالعدالة الإسلامية لا تجعل مصلحة الدولة سبيلاً لنقض العهد ما دامت شروطه مصونة من قبل الأعداء ، ولذلك يحذر القرآن الكريم من نقض العهد حين يستنصر المسلمون إخوانهم ليجاهدوا معهم في الدين ، فإن عليهم أن يحترموا ما بينهم وبين غيرهم من مواثيق ﴿ وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴾ (سورة الأنفال ، الآية : ٧٢) .

ولم تكن هذه المبادئ القويمة في رعاية العهود مثلا نظرية ، وإنما كانت سلوكاً واقعياً في حياة المسلمين وفي صلاتهم الدولية ، ومن ذلك ما جاء عن حذيفة بن اليمان قال : « ما منعنى أن أشهد بدرا إلا أنني خرجت أنا وأبو الحسيل ، فأخذنا كفار قريش ، فقالوا : إنكم تريدون محمداً ،

فقلنا ما نريده وما نريد إلا المدينة فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لنطلق إلى المدينة ولا نقاتل مع محمد فأتينا رسول الله -ﷺ- فأخبرناه الخبر فقال : انصرفا .. نفي بعهودهم ونستعين الله عليهم » .

قال أبو رافع مولى رسول الله : « بعثتني قريش إلى النبي ، فلما رأيت النبي وقع في قلبي الإسلام فقلت : يا رسول الله لا أرجع إليهم ، قال : إني لا أخيس العهد ولا أحبس البرد ولكن ارجع إليهم فإن كان في قلبك الذي فيه الآن فارجع » (١) .

وبعد ، فهذه في إجمال أصول العلاقات الدولية في الإسلام ، وهي أصول لحمتها وسداها الإخاء الإنساني ، والسلام العالمي ، والتعاون الدولي وهي وحدها التي تكفل للبشرية الحياة الآمنة المطمئنة ، الحياة التي تجدر بالإنسان الذي كرمه خالقه ، وجعله خليفة في الأرض ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة .

ثالثا و بين الإسلام والتشريعات الوضعية :

إن الموازنة العلمية بين أصول العلاقات الدولية في الإسلام والتشريعات الوضعية من خلال الحديث عنها فيما سبق يمكن أن تعطى النتائج التالية :

أولاً : إن أصول هذه العلاقات في الإسلام بعيدة كل البعد عن الطائفية والعنصرية وتحترم الإنسان لذاته لا لجنسه أو لغته أو عقيدته ، فالناس جميعاً أمة واحدة ، متساوون في الحقوق والواجبات ، و واجب القوي نحو الضعيف المعاونة والمساعدة لا التحكم والإدلال ، ومن ثم كانت أصولا تحقق السلام العالمي بين البشر تحقيقاً عادلاً لا يعرف المحاباة

---

(١) انظر مجلة « المسلمون » شوال سنة ١٢٧٢هـ : ص/٢٢ .

وعدم الإنصاف .

أما قواعد القانون الدولي في صورته الراهنة - على الرغم من تطور الفكر القانوني ، وتطلعه نحو أفق رحب من الإنسانية والعالمية - فإنها لا تستجيب لمبادئ المساواة بين مختلف البشر من غير تمييز بين أديانها وأجناسها وألوانها .

ويلاحظ أن انقسام العالم انقساماً سياسياً بين المذاهب الرأسمالية والشيوعية والحيادية قد ساعد من جديد على ظهور الطائفية في نطاق القانون الدولي ، وبدأت طواهر هذه الطائفية في التكتلات الدولية الحديثة (١) .

ثانياً : أصل العلاقة بين الناس هو الأخوة والسلم والألفة والمودة والتعاون على البر والتقوى . هذا ما قرره الإسلام ودعا إليه وحذر من التفريط فيه . وإذا كان هذا الدين قد أباح الحرب فإنه أباحها فقط لدفع الظلم ورد العدوان وتأمين البلاغ إلى الله ، فهي لذلك حرب إنسانية لا تعرف الهمجية أو الوحشية ولا تقوم من أجل استغلال الشعوب وامتهان كرامتها .

أما قواعد القانون الدولي فقد انتهى أخيرا إلى نبذ الحرب في فض المنازعات الدولية وقد كان هذا بسبب الدمار المروع الذي تعرضت له البشرية في الحرب العالمية الثانية . ومع هذا فإن ما انتهى إليه هذا القانون لا يعبأ به ولا يلقى من الدول الرعاية والتقدير ، وما زالت الحرب القانون الذي يلجأ إليه في المشكلات الدولية ، وما زالت القاعدة التي

---

(١) انظر القانون الدولي في وقت السلم للدكتور حامد سلطان : ص/ ٤٢

تعيش عليها وهي : القوة تخلق الحق وتحميه وتضع حداً لكل نزاع هي المعول عليها في انهاء الخلافات بين الأمم على الرغم من وجود المنظمة الدولية وجمعيتها العامة . وما تصدره من قرارات .

ثالثاً : ترتبط أصول العلاقات الدولية الإسلامية ارتباطاً وثيقاً . فهي جزء منها لا يكمل الإيمان إلا بها . ومن هنا تلقى من الدولة والأفراد في المجتمع الإسلامي كل الاحترام والاقناع الذاتي بها .

أما القوانين الوضعية - ومنها القانون الدولي - فإنها مبتوتة الصلة بعقائد الأفراد والدول . ولا تلقى الاحترام غالباً بدافع ذاتي . ويزداد الأمر بالنسبة للقانون الدولي أنه غير ملزم في رأي بعض فقهائه (١) . وأنه يحول بين أطماع الدول السياسية والاقتصادية . وهي أطماع لا يردعها غير القوة الحربية . وليس ما يجري في العالم في العصر الحاضر من عدوان على الضعفاء إلا دليلاً ملموساً على أن القانون الدولي لا يلقى - مع قصوره - الاحترام والصدق في تطبيق قواعده .

وإذا نظرنا إلى المعاهدات بين الدول فإننا نجد أن الإسلام يدعو إلى الوفاء بها ورعاية شروطها . ويحذر أبلغ الحذر من الغدر والدخل فيها . وينهى عن الأخذ بمبدأ مصلحة الدولة في نكث العهود . وذلك كله تحقيقاً لمبادئ العدالة ونشر السلام بين الناس .

ولكن الأمر بالنسبة للعرف الدولي يختلف كل الاختلاف . فالمعاهدات لدى هذا العرف وسيلة القوي ينال بها من الضعيف . وهي لا تعدو أن

---

(١) انظر آثار الحرب في الفقه الإسلامي للدكتور وهبه الزحيلي : ص/١٠ .

تكون قصاصة ورق يمكن نكثها قبل أن يجف مدادها . ففي مطلع القرن الميلادي الحالي اتفقت بعض الدول على حياد بلجيكا ، وأرادت ألمانيا أن تمر بجيوشها من الأراضي البلجيكية حتى تحارب فرنسا ، ورفضت بلجيكا ذلك ، واحتجت انجلترا على تصرف ألمانيا وأنذرتها بالحرب إذا لم تعدل عن خرق حياد بلجيكا ، وقال المستشار الألماني في رده على انجلترا : « إنه من الهول ما تنويه حكومة جلالة الملك البريطاني ، ومما يعز على أن اتصور جلالته قابلا دخول حرب مراعاة لقصاصة ورق يسمونها معاهدة ، واتفاقاً على حياد أرض » (١) .

فالمعاهدات قصاصات ورق ولا قيمة لها إذا تعارضت مع مصلحة الدولة ، والمصلحة هنا تشمل الغزو والاحتلال ، وهذا يؤكد أن قواعد القانون الدولي - وهي تحص على المحافظة على المعاهدات - مبتوتة الصلة بضمائر الأفراد والجماعات .

رابعاً : إن أصول العلاقات الدولية في الإسلام تعرف ما يسمى اليوم بشخصية القانون ، فغير المسلم في دار الحرب يلتزم بأحكام الشريعة الإسلامية في المعاملات والحدود دون غيرها مما يتصل بعقيدته الدينية فلا يخضع فيها لأحكام الإسلام ، وهذا من باب الحرية الدينية التي كفلها الإسلام للجميع .

ويتحدث فقهاء القانون الدولي الخاص عن وجوب مراعاة شخصية القانون في بعض الحالات ، ولكن الدول حتى الآن لم تتفق على وجوب هذا ،

---

(١) انظر نظم الحرب في الإسلام للأستاذ جمال الدين عياد : ص/٢٧ ، طبع في القاهرة .

وقد استغلت الدول الاستعمارية نظرية شخصية القانون فتحولت إلى امتيازات باسم القانون تسلب الدولة سيادتها وكرامتها كما حدث في عهد الاحتلال الانجليزي بمصر .

خامساً : سبق الإسلام القانون الدولي في تقريره لأصول العلاقات الدولية فما عرفت البشرية هذا القانون إلا حديثاً ، وإن كانت له بعض الجذور القديمة ، بيد أنها لا تمثل في الواقع تفكيراً قانونياً صحيحاً . لقد ظهر الإسلام والناس فوضى لا يحتكمون إلى قانون ، وكانت في وقت ظهور الإسلام - وبقيت بعده فترة طويلة - تعيش في ظلمات الفكر والتشريعات والسياسة ، فكان الإسلام المنهج الإلهي الذي أعاد للبشرية كرامتها وحريتها وأمنها واستقرارها وسعادتها في الدارين .

ومن هذه الموازنة الموجزة يبدو الفارق جليا بين تشريع الله وقانون البشر ، وأن هذا التشريع دون سواه هو الصراط المستقيم للناس في كل زمان ومكان ، وأنهم إن حادوا عنه ضلوا طريق الحياة الإنسانية واكتنفتهم الأخطار من كل جانب ، وعاشوا في صراع نفسي ومادي يسلبهم السلام والأمن ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ (سورة الأنعام ، الآية : ١٥٢) .

خاتمة

وأخيراً ما أهم ما انتهت إليه هذه الدراسة الموجزة من نتائج ، وماذا ترشد إليه من توجيهات ؟

إن أهم هذه النتائج ما يلي :

١- إذا الإنسان في تفكيره ما لم يكن محكوماً بتشريع إلهي يسدد خطأه

فإنه يزل ويصل ، ولا يكون لما يصل إليه من آراء -وإن جاءت صحيحة - جدوى في مجال التطبيق العملي .

٢- وهذا بين في مجال الفكر القانوني الدولي ، فقد تعثر هذا الفكر عبر رحلته التاريخية الطويلة ، لأنه فقد الغاية المقدسة ، ولهذا لم ينته إلى تشريع يدرأ الظلم ويحمي العدل ، ويحقق الأمن والرخاء ، وما زالت البشرية حتى الآن تعيش في دياجير القلق والاضطراب والاطماع الدولية المختلفة .

٣- إن الإسلام - وهو منهج إلهي متكامل - جاء بالتشريعات في كل المجالات ، وهذه التشريعات دون سواها تصون الحياة من عبث الطغاة وترسي دعائم السلام على أسس من الأخوة والمساواة ، وستظل البشرية تعاني مما تعاني منه ما لم تعتصم بتلك التشريعات وتستجيب لحكم الله في كل شئ ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ (سورة المائدة ، الآية : ٥٠) .

٤- إذا كان الأوربيون يعدون جروتيوس الهولندي مؤسس القانون الدولي فإن هذا خطأ علمي تاريخي ، لأن الإمام محمد بن الحسن الشيباني وقد سبق جروتيوس بأكثر من ثمانمائة عام قد كتب في القانون الدولي الإسلامي في تفصيل وشمول لم يسبق به ، ومن ثم يعد هذا الإمام مؤسساً للقانون الدولي في العالم كله .

على أن هناك من الباحثين (١) من يرى أن جروتيوس قرأ ما كتبه الشيباني في كتابه « السير الصغير» و « السير الكبير» ونقل منهما ما

---

(١) انظر مجلة « منبر الإسلام » ربيع الآخر سنة ١٢٨٦ : ص/٥ .

عزاه إلى نفسه .

٥- وليس فضل الشيباني في أنه أول من كتب في العلاقات الدولية فحسب وإنما يظهر فضله أيضاً في مجال الفكر القانوني أن القانون الدولي المعاصر لم يأت بجديد بالنسبة لما كتبه الإمام محمد .

٦- وقد تنبه إلى هذه الحقيقة العلمية والتاريخية فقهاء فرنسا ، فأنشأوا في سنة ١٩٣٢م جمعية الشيباني للقانون الدولي ، ثم حذا حذوهم فقهاء ألمانيا ، فأسست في عوتنجن جمعية الشيباني للقانون الدولي ، وضمت هذه الجمعية علماء القانون الدولي والمشتغلين به في مختلف أنحاء العالم وانتخب رئيساً لها الفقيه المصري ، أحد أعلام القانون الدولي المعاصرين الأستاذ عبد الحميد بدوي (ت ١٩٦٥م) - رحمه الله - .

وأما ما ترشد إليه الدراسة من توجيهات فيتلخص في أن كل فكر مهما يكن صالحاً للحياة وأولى من سواه في التطبيق إذا لم يكن له حماة يؤمنون به ويذودون عنه فإنه يظل كصرخة في واد ، والمسلمون أصحاب عقيدة وشريعة وفكر لا نظير له ، ولكن يبقى ما لدى المسلمين من مبادئ وقيم وفكر بعيداً عن التأثير الفعلي في واقع الحياة ما دام أهله لا يلتزمون به التزاماً كاملاً أولاً ، وما داموا ثانياً لا يملكون القدرة على التمكين له والدفاع عنه ، ولهذا كانت دعوة الإسلام إلى إعداد القوة بمفهومها الشامل ، فهذا الإعداد هو السبيل لأن يصبح الفكر النظري واقعاً مطبقاً ، فقوة المسلمين عقيدة وإعداداً هي مناط إرهاب أعداء الله وتطبيق شرعه وإعلاء كلمته ، فالضعف دائماً يقود إلى الهزيمة المعنوية والمادية .

....

عناصر القوة العسكرية

[الحلقة الأولى]

بقلم : الدكتور شوكت محمد عليان
أستاذ الثقافة الإسلامية - الرياض

تعتمد القوة العسكرية على العوامل الطبيعية والعوامل البشرية ، فهما اللذان يحددان نصيب كل أمة من القدرة الكاملة على صيانة حقوقها المشروعة ، ودرء العدوان عنها .

وإن هذه العوامل في مجموعها ، تتكون من : عناصر مادية ، تتحدد بالمركز الجغرافي ، والموارد الطبيعية ، والكفاءة الصناعية ، والاستعداد الحربي ، وعدد السكان .

وعناصر معنوية : تتحدد بالروح المعنوية ، وكفاءة الإدارة المشرفة على القطاعات العسكرية .

وفي ضوء هذا نورد البيان والتفصيل لما اجملنا من جانبين :

الأول : الاعداد المادي .

الثاني : الإعداد الفكري .

الاعداد المادي :

مما لا شك فيه ان لكل دولة من الدول جيشاً يحميها ، فهو الدرع الحصين لها ، وان قوة الأمة بقوة جيشها ، ولتمكين هذا الجيش من تنفيذ مهماته لابد أن يتسلح بالعلم ، والتدريب أحد فروع هذا العلم ، فإنه يوسع مدارك المتدرب ، وينمي لديه قابلية البحث والابتكار .

وتنحصر غايات التدريب الرئيسية في الوقت الحاضر بما يلي :

١ - الاستخدام الأمثل للأسلحة والمعدات المستخدمة في القتال .

٢ - التدريب على أساليب سياقات الإنتاج وطرق الاشتباك بالعدو بكافة

اشكال الحرب .

٣- تدريب الجندي والضابط عسكرياً وعقائدياً .

٤- وضع وإبداع الطرق والوسائل الكفيلة بإحباط تخطيط العدو على مستوى الفكر والتسلح .

٥- التأكد من صلاحية و واقعية الخطط الموضوعة .

ومما الفت الانظار إليه ان التدريب ليس مقصوراً على الجندي فقط بل يشمل تدريب الآمرين وهيئات الركن . فهذا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يعطينا درساً واضحاً لتدريب الآمرين وهيئات الركن . فحين أمر أبا عبيد بن مسعود حرب العراق . قال له : اسمع من أصحاب رسول الله -ﷺ- واشركهم في الأمر . ولا تجتهد مسرعا حتى تتبين . فإنها الحرب . والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث (١) الذي يعرف الفرصة والكف (٢) .

وإلى سعد بن أبي وقاص عند التحضير لمعركة القادسية كتب إليه عمر: « إذا جاءك كتابي هذا فعشر الناس وعرف عليها . وأمر على أجنادهم . وعبهم ومر رؤساء المسلمين فليشهدوا وقدرهم وهم شهود » (٢) .

وعمر بهذا إنما كان يقتدي بفعل رسول الله -ﷺ- فقد كان - عليه الصلاة والسلام - لا يتخذ أمرا من الأمور إلا بعد استشارة صحابته . وخير مثال لذلك استشارته للصحابة قبل معركة أحد . ومعركة الخندق المعروفتين . وغير ذلك كثير .

---

(١) أي الرزين . لا يعجل في الأمر .

(٢) تاريخ الأمم والملوك : ج/٢ . ص/٤٤٥ . لأبي جعفر بن جرير الطبري . تحقيق محمد أبو الفضل .

(٢) تاريخ الأمم والملوك : ج/ ٢ . ص/٤٨٨ للطبري .

التدريب الرياضي :

ويعتبر التدريب الرياضي أمراً مهماً للمقاتل لما له من تأثير على بنية الإنسان ، فإنه يرفع من قابليته الجسدية والمعنوية ، ويزيد من يقظته الفكرية ، ويجعله مهيئا للقتال جسدياً وفكرياً .

و التدريب الرياضي يأخذ ألواناً و أشكالاً عديدة و هي في جملتها مفيدة ، ولكنها للمقاتل أعظم فائدة .

التدريب على استعمال الأسلحة :

والتدريب على استعمال أنواع الأسلحة لا سيما الحديثة منها أمر ضروري ، ولابد للمقاتل أن يتعرف عليه . ومما يؤكد أهمية التدريب على الأسلحة الاتجاه الذي سارت عليه الدول الحديثة من قيامها بما يسمى بالمناورات ، والتي يجب أن تبنى على الواقعية ، وغالباً ما تجرى المناورات قبل بدء القتال بوقت قصير للتأكد على مدى استعداد المقاتلين ، وانجاح الخطط المدروسة والمتبعة .

على أن هذا الاتجاه العسكري الجديد الذي انتهجته معظم الدول المتقدمة لا يعتبر تطوراً في التدريب العسكري الحديث . كما لا يعد ابتكارا جديدا للدول المتقدمة . فإن هذا النوع من التدريب ، عرفه المسلمون الأوائل وقاموا به بعد الفتوحات الإسلامية الأولى . فقد اجرى الجيش الإسلامي [illegible] في ساحات حركات العراق والشام . [illegible] التدريب [illegible]

[illegible]

(١) [illegible] بالعراق

(٢) [illegible] من بلاد [illegible] وغرب [illegible] بالعراق

(٣) [illegible] بالشام

تحركت هذه الارتال تجاه الجريرة مضادة لحركات هرقل ، وبعد تقدم الارتال في العراق بالعمق ، ترك الرتل الثالث في الجزيرة كغطاء لتدريباتهم . أما ارتال الشام فكانت قطاعات الجيش بقيادة أبي عبيدة غطاءها (١) .

ويعتبر هذا التدريب أول تدريب إجمالي على هذا المستوى يقوم به الجيش الإسلامي ، ولهم تدريبات أخرى كانوا يسمونها الشواتي والصوائف ودلك لغرض تأمين منطقة الحدود ، وجمع المعلومات عن العدو ، ورفع معنويات القطاعات وعرس روح التعرض ، وتمرينهم الدائم على القتال فعليا في كافة الفصول ، وأنواع الأراضي (٢) .

ولا تعجب إدا قلت : إن فكرة قوات الانتشار السريع - الطوارئ - أول من أنشأها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، وهي ما تفخر به اليوم أمريكا حيث طبقته في عدة مناطق من العالم ومنها المنطقة العربية ، وتتباهى بالسرعة الفائقة التي تحظى بها ، ونسيت أو تناسى معها العرب ان سلفنا الصالح كان سباقا إلى مثل هذا العمل العسكري ، فقد اتخذ عمر - رضي الله عنه - قراراً هاماً بوضع قوة خاصة مهما نقل قوات الجيش بأقصى سرعة ، وفي أي وقت ، فقد وضع في كل مصر من الامصار أربعة آلاف فرس ، وكانت آنذاك ثمانية امصار ، فيكون الجميع اثنين وثلاثين ألف فرس ، يتحركون فور تلقى الأمر قبل تحرك بقية القطاعات الموجودة والتي هي ليست في الانذار ، وهذه الخيل موسومة في افخاذها جيش في سبيل الله ، وهذه القوات تستخدم في حالات الطوارئ فقط ،

---

(١) الجيش العربي الإسلامي في التخطيط السوقي : ص/٩٨-٩٩ ، لحازم [إب]راهيم العارف .

(٢) تاريخ الأمم والملوك : ج/٤ ، ص/٦٦ ، وانظر المرجع السابق : ص/٩٩ .

وبأمر من القائد العام ، وقد استخدمت فعلا عندما تآمر أهل الجزيرة مع البيزنطيين وهاجموا أبا عبيدة الجراح في حمص ، فقد وصلت قوات الطوارئ السريعة الانتشار خلال ثلاثة أيام من واقعة الروم على أهل حمص ، وفكوا الحصار على حمص وانزلوا بالبيزنطيين خسائر فادحة ، وقد اشرك لهم عُمر في الغنيمة (١) وهذا ما دفع بالقيادة العسكرية إلى تمصير الامصار ، وإنشاء الثغور للاحتفاظ بقوات عسكرية في تلك الأماكن لمعالجة الاحتمالات المعادية ، لأنه يصعب وضع قوات في كل بلد وفي كل نقطة من نقاط الحدود .

المـــــال و اهميته :

المال هو كل ما ينتفع به ، أو يكون صالحاً لأن ينتفع به ومحلا للتعامل سواء كان مملوكاً أو غير مملوك ، وهو المحرك الرئيسي لأنشطة الحياة ، سواء في الحرب أو السلم ، وعليه فلابد من اتخاذ الاجراءات الكفيلة لتأمين ما تحتاجه القوة العسكرية من الأموال بأشكالها المختلفة ، والاحتفاظ بهذه الأموال لتأمين احتياجات هذه القوة العسكرية .

ومن هنا فقد اقترنت الدعوة إلى الجهاد بالدعوة إلى انفاق المال في سبيل الله قال تعالى : ﴿ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ (سورة التوبة ، الآية : ٤١) .

والجهاد بالمال يحصل باشكال عديدة :

منها انفاقه على نفسه في السير في الجهاد .

ومنها صرف ذلك إلى الآلات التي يستعان بها على الجهاد .

ومنها صرفه إلى من ينوب عنه أو يخرج معه .

ومنها صرفه في سبيل الدعوة إليه تعالى وهو ما يكون بالتعاون

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ج/٤ ، ص/٥٢ .

والتضافر والتضام والاتحاد التام ونشر الرسائل التعليمية . والصرف على من يقوم بالخدمة العلمية والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة . إلى غير ذلك من وجوه البر .

ونظراً لما للمال من أهمية فقد انفذت فكرة العطاء للجند زمن رسول الله -ﷺ- . وسار على نهجه خلفاؤه الراشدون .

وترجع أهمية العطاء إلى :

١- اعتماد الناس على الدولة في العطاء .

٢- مكن القيادة الإدارية من اعطائها دوراً متزايداً في تنظيم معيشة الأفراد .

٣- اعطى المقاتلين شيئاً من الأمان . مما جعلهم يفكرون في القتال . والنصرة على عدوهم . لا في معيشة أهليهم وذويهم . ولأن الدولة تكفلت لهم بالانفاق على دريتهم ان هم استشهدوا .

وهذا عمر الفاروق - رضي الله عنه - يمنع تقسيم الأراضي بعد فتحها في العراق والشام ومصر على المقاتلين كما طلب منه البعض . وقد كتب إلى قواد الفتوح . منهم سعد بن أبي وقاص في العراق : اترك الأرض والانهار لعمالها ليكون ذلك من اعطيات المسلمين . فأنت ان قسمتها بين من حضر لم يبق بعد شئ .

و إلى عمرو بن العاص في مصر . وإلى أبي عبيدة في الشام بنحو ذلك (١) .

[يتبع]

---

(١) أنظر فتوح البلدان : ص/٢٥١ - و - ٢٢٥ للبلاذري .

« حبل الباطل قصير »

بقلم : سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » - الرياض

الحق والباطل يتصارعان ، مع قدم وجود الإنسان على ظهر الأرض ، الحق يدعمه أنبياء الله ، والدعاة لإثبات ما جاء عن الله ، وتوضيحه للنفوس ، أمراً جلياً ، وتبراساً يهتدون به .. والباطل يسير وراءه دعاته حماسة ودعوة ، لتثبيت دعائم الشيطان وأعوانه ، ولصرف الناس من الحق ، وعن الطرق المؤدية إليه .

وقد أخبر الله عزوجل في كتابه الكريم ، وبين رسول الله -ﷺ- ، نماذج من تلك المسارب التي سار فيها أعوان الباطل ودعاته ، وما يجب أن ينتجه أهل الحق ، ويسير فيه الراغبون فيه .. وصراع المنحرفين من أهل الكتاب ، مع رسل الله ، وجهدهم في تحريف الكلم عن مواضعه ، قديم ومتأصل فيهم ، مع قدم استسلامهم للشر ، وتأصل جذور الخلاف .. حتى إن الشيطان يزين لبعضهم أن منهجهم هو الحق ، ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، بحرصهم ودعوتهم الباطلة ، وبعنادهم لما جاء من الله ، وصدهم الناس عن سبيله .

وقد أبانت آيات كثيرات من كتاب الله ، نماذج من حوار أهل الكتاب مع رسول الله -ﷺ- ، وحدبهم على جذب رسول الهداية ، ونبي الرحمة ، إلى منهجهم الضلالي ، وعقيدتهم الفاسدة ، في تزيين للتهم المحرفة ، حسبما جاء في هذا النص الكريم : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ١٢٠] ، بل بلغ بهم صلفهم إلى

تجهيل من ليس على ملتهم ، والحكم عليه بالحسارة الأبدية عند الله ، بموازين هم الذين افترضوها ، ومقاييس هم الذين وضعوها ، وذلك بحكمهم على حجب الجنة عن كل من يخالفهم في الملة والعقيدة ، أو يتباين معهم في المعتقد الديني ، حيث أخبر عنهم جل وعلا بقوله : ﴿ و قالوا لن يدخل الجنة • إلا من كان هوداً أو نصارى ﴾ ولكن الله جلت قدرته ، رد عليهم بما ينقض زعمهم ، ويدحض دعواهم ، التي ماهي إلا أماني لا تستند على أصل وأوهام لا ترتكز على دعامة حقيقية بل هي محض أمنيات وغرور ، لا تتعدى ما يسمى حديثاً بأحلام اليقظة فقال سبحانه : ﴿ تلك أمانيهم • قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ١١١] .

فالمركب الذي يمتطيه المعادون للإسلام قديماً وحديثاً : متفق أصله ، مختلفة وسائله ، فالقاعدة الأساسية تكمن في الإضرار بدين الإسلام ، دين الله الحق ، و محاولة الكيد له و التمويه على الناس ، لإبعادهم عنه ، وتجسيم أعمال تعاليمه وما يسير عليه المسلمون ، بأمور تنفر منها الطباع تزويراً وبهتاناً ، ولكن الحق هو الثابت ، وأمر الله لا تطمس معالمه الجهود البشرية ، إلا أن أعمالهم حجة عليهم ، ونبراس أمام أهل الحق ، يدعمهم حتى يثبتوا أمام حقهم ، ويدافعوا عنه ، ويدركوا أثره في تجثيث النفوس ، فالحق يعلو ولا يعلي عليه ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

ومن يتابع حركات المبشرين حسب اصطلاحهم ، وإلا فهم المنصرون ، لأنهم يبذلون الجهد والمال في سبيل دفع البشر إلى النصرانية ، فإنه لا يفتأ يقرأ ويسمع عن حكايات تجعل صاحب العقل الواعي ، والإحساس

المتوهج ، يدرك بطلان ما يدعون إليه ، وتمويه الأساليب التي يطرحون ، فقبل فترة قرأنا عن منصر حاول الاستهانة بكتاب الله ، وقرر إحراقه فاحترقت يداه ، وآخر في نيجريا نال في محاضرة له من رسول الله -ﷺ- ، وتعاليم الإسلام ، و وصف أتباع دين الإسلام بنعوت مجحفة قاسية ، وفي عودته إلى مسكنه يكون عقاب الله يترصده ، عند ما زلت قدمه وسقط في ترعة ماء ، لم يتمكن أحد من إنقاذه حتى لفظ أنفاسه غرقاً ، ومات معه أحد أعوانه عند ما حاول إنقاذه .

وآخر معلومات وصلتني من هذا القبيل : أن مبشراً مسيحياً اسمه : فاستو .. وهذا هو اسمه العقائدي في مهمة التنصير. أما كامل اسمه فهو : « أبيودون أبودون رن » ، وهو من أصل أفريقي احتضنته الكنائس لتخرجه عالماً من علماء الديانة النصرانية ، ليؤدي مهمة كبيرة ، في حوار عامة المسلمين ، وتحويلهم عن إسلامهم إلى ملته التي اعتقد ، وطريقته التي ربي عليها ، فأراد أن يسلك طريقاً مثيراً ، يلفت الأنظار ، ويوهم المتابعين له ، بأن لملته أساساً راسخاً عند الله ، وأنها هي الحق الذي يجب أن يلتف الناس حوله ، بدليل ما سوف يبرزه أمام المتلقين لطريقته من معجزات ، وما سوف يتراءى أمامهم من كرامات ، حيث علق في أذهان كثير من البشر أن الله قد خص الصادقين من أتباع دين الإسلام ، على مر الأيام ، وكر السنين بكرامات تبرهن على صدق دعوتهم ، وأعمال تلفت النظر نحو هذا الدين ، وما له من مكانة ، وقد دخل كثير من اليهود والنصارى الدين الإسلامي ، عن قناعة وحب ، لما برز أمامهم من مواقف تبرهن على صحة هذا الدين ، وأنه دين الله الحق ، الذي لامراء فيه ، فلانت قلوبهم من تلك المواقف ، بدءً من عبد الله بن سلام في عهد رسول الله

-✽- وتتابعاً بمواقف تاريخية كثيرة أورد منها المؤرخون المسلمون نماذج ، هي من الله برهان وضياء ، وللبشر نور وهداية .. وعلى المعاندين الجاحدين حجة ودليل .

زار هذا الداعية المنصر إحدى حدائق الحيوانات في شهر جمادى الأولى من هذا العام ١٤١٢هـ ، في مدينة أبادن عاصمة « أيو » إحدى الولايات النيجرية الواقعة في جنوب نيجريا ، وهذه المنطقة غالبية سكانها من المسلمين ، وتحمس ليردهم عن دينهم الحق إلى الضلال ، وليشككهم في صحة دين الإسلام وأن ما يدعو إليه من النصرانية هو الدين الذي يجب أن تتحول إليه القلوب : حسداً مما في قلبه ورغبة في إظهار الباطل على نور الله . ذكرت خبر هذه الواقعة واحدة من الصحف المحلية في جمهورية نيجريا هي جريدة « ويك إند كنكورد » التي تصدر باللغة الإنجليزية في إحدى الولايات في نيجريا في عددها الصادر يوم السبت ١٧ جمادى الأولى عام ١٤١٢هـ الموافق ٢٣ نوفمبر ١٩٩١م ، والذي يحمل الرقم ١٤٠ وهذا من باب التوثيق ، مع أن الخبر قد شاع في بعض الصحف الأخرى النيجرية ، ونشرت الصورة المؤكدة لذلك ، ونقلته عنها بعض وكالات الأنباء العالمية ، التي لم تفصح عن السر الذي ذكرته هذه الصحيفة .

تقول هذه الصحيفة في خبرها : زار فاستو ، وهو من علماء الدين المسيحي ، في يوم الأحد ١١ جمادى الأولى ١٤١٢هـ الموافق ١٧ نوفمبر ١٩٩١م حديقة الحيوان في مدينة أبادن ، وكان معه كتابه المقدس الانجيل وفي اليد الأخرى حبل ، معتقداً بأنه سيرى الناس معجزة في دخوله على الأسد ، بحجة أن الانجيل يحميه من مخاطر الأسد ، وأنه

كرجل يطبق ما فيه ، يجعل الأسد يخاف منه ، فيأتي إليه متسلماً ليحنو برأسه أمام حبله ، حتى يقتاده كما تقاد النعاج ، ولكنه مع غباوته الشديدة ، وجهله المطبق دهب فتسلق شجرة ، وتنقل من واحدة إلى أخرى ، حتى وصل إلى الشجرة التي ينام تحتها الأسد ، فعند دلك بدأ يشير بالانجيل إلى الأسد ، معتقداً أن هذا التصرف هي المعجزة وأن الأسد سيذعن أمام حركاته ، وأن الجمهور الذي يتطلع إلى النتيجة سيأتي إليه ليستسلم له كما استسلم الأسد ، لكن الأسد لم يعبه به ، أو كأنه يجرؤه على نفسه حتى ترداد به حماقته إلى الاعتقاد بأنه حقق معجزة ، وهو في قرارة نفسه تهيج ويترقب الفرصة لينقص عليه .

ولعل هذا ما حصل ، فقد دب الهاجس إلى نفسه ، وأعراه نشوة ما علق بذهنه ، إلى الصياح أمام الناس بالدعوة إلى أن يلتفوا حوله ، وينظروا ماذا حقق من معجزة طبها باهرة ، لكن الأسد بعد ما سمع جلبة الناس استيقظ من سباته ، وتنبه إلى صوت الرجل ، وعرف حركته التي استفرته ، فاتجه إليه مغضباً على جرأته ، و وثب عليه ، وأنشب أنيابه في هذه الفريسة التي ساقها الله إليه في الوقت المناسب .

فأخذ الرجل يصيح ، ونادى بأعلا صوته : جاه ، جاه ، جاه ، ويقول المحيطون به في تلك الحادثة إن هذا هو اسم الصنم الذي كان يتوسل به ، لكن الأسد الدي يبلغ أربع سنوات من عمره ويدعى « كوان » قتل هذا الرجل ، وتلذذ بلحمه الذي فتح شهيته بعد جوع ، وأسكت ذلك الصوت المغرور إلى الأبد ، ليكون فيه عبرة لمن يريد أن يتعظ .

تساق هذه الحكاية الواقعية ، والعريبة في حوادثها كعبرة من العبر ، التي يجب أن تلتفت إليها الأفئدة ، وترعوى إليها العقول ، كما قال

تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه لهم الحق أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ﴾ [سورة فصلت ، الآية : ٥٢] . وفي قصص المعاندين المحاولين طمس الحق عناداً واستكباراً قديماً وحديثاً عظة لمن يتعظ ، وهداية لمن يريد أن يسترشد ، فالحق لا ينطمس أمام الباطل مهما كان دعاته ، ومهما بذلوا في سبيله من جهود وأموال كما أخبر سبحانه : ﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ﴾ [سورة الأنفال ، الآية : ٣٦] .

يقول سيد قطب في الظلال : سيظل اليهود والنصارى يحاربونك يا محمد ، ويكيدون لك ولا يسالمونك ولا يرضون عنك إلا أن تحيد عن هذا الأمر ، وإلا أن تترك هذا الحق ، وإلا أن تتخلى عن هذا اليقين ، تتخلى عنه إلى ما هو ضلال وشرك ، وسوء تصور كالذي سبق بيانه في الآية : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ فتلك هي العلة الأصيلة ، ليس الذي ينقصهم هو البرهان ، وليس الذي ينقصهم هو الاقتناع بأنك على الحق ، وأن الذي جاءك من ربك الحق ، ولو قدمت إليهم ما قدمت ، ولو تَوددت إليهم ما توددت ، لن يرضيهم من هذا كله شئ ، إلا أن تتبع ملتهم ، وتترك ما معك من الحق ، إنها العقدة الدائمة التي نرى مصداقها في كل زمان ومكان ، إنها هي العقيدة هذه هي حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض ، وفي كل وقت ضد الجماعة المسلمة ، وقد تتخاصم شيع الملة الواحدة فيما بينها ولكنها تلتقي دائماً في المعركة ضد الإسلام وأهله .. إنها المعركة العقيدية في صميمها وحقيقتها ، ولست معركة الأرض ولا الغلة ولا المراكز المختلفة [١ :

١٣٢-١٤٢] . فالله ناصر دينه ، ومؤيد الداعية إليه ، ولذلك فإن المسلم يجد في كل عصر عبرة ، ويمر به في كل زمان ما يدعوه للتمعن فيما يجب عليه ، ولمعرفة الدور الذي لابد أن يتأصل في أعماق نفسه نحو دينه : شعوراً وعملاً ، وإحساساً وتفكيراً ، وأن ثباته على العقيدة صدقاً و وفاء سلاح مكين في نفسه ، ويدافع الله عنه ما قصرت حيلته دونه ، ويمتحن الله إيمانه بمواقف تبرز الجوهر الأصيل من الرديئ .. ويتضح أمام المتبصر أن حبل الباطل مهما امتد فهو قصير ، وقوة الباطل مهما طغت فهي مهزومة كما يقول الشاعر الحكيم :

الخير أبقى و إن طال الزمان به
و الشر أخبث ما أوعيت من زاد

عمر و الغنائم :

جاء في كتاب قصص العرب : أن عمر بن الخطاب بعث سلمة بن قيس الأشجعي إلى طائفة من الأكراد كانو على الشرك ، فخرج إليهم في جيش أرسله معه من المدينة ، فلما انتهى إليهم دعاهم إلى الإسلام ، أو إلى الجزية فأبوا ، فقاتلهم فنصره الله عليهم ، فقتل المقاتلة ، وسبى الذرية ، و وجد حلية وفصوصاً وجواهر ، فقال لأصحابه : أ تطيب أنفسكم أن نبعث بهذا إلى أمير المؤمنين ، فإنه غير صالح لكم ، .وإن على أمير المؤمنين لمؤنة وأثقالاً ؟ قالوا : نعم قد طابت أنفسنا ، فجعل الجواهر في سفط - أي كيس كبير - وبعث به مع واحد من أصحابه ، وقال له : سر فإذا أتيت البصرة ، فاشتر راحلتين فأوقرهما زاداً لك ولغلامك . وسر إلى أمير المؤمنين ، قال ففعلت فأتيت عمر وهو يغذّى الناس قائماً متكئاً على عصا ، كما يصنع الراعي ، وهو يدور على القصاع فيقول : يا يرفأ

زد هؤلاء لحماً ، زد هؤلاء خبزاً، زد هؤلاء مرقة ، فجلست في أدنى الناس ، فإذا طعام فيه خشونة ، طعامي الذي معي أطيب منه ، فلما فرغ أدبر فاتبعته ، فدخل داراً فاستأذنت ، ولم أعلم حاجبه سن أنا ، فأذن لي ، فوجدته في صفة جالساً على مسح متكئاً على وسادتين من جلد ، محشوتين ليفاً ، وعليه ستر من صوف ، فنبذ إلى إحدى الوسادتين فجلست عليها .

فقال : يا أم كلثوم ألا تغذوننا ؟ فأخرجت إليه خبزة بزيت في عرضها ملح لم يدق ، فقال : يا أم كلثوم ألا تخرجين إلينا تأكلين معنا ؟ قالت : إني أسمع عندك حسّ رجل ، قال : نعم ، ولا أراه من أهل هذا البلد ، فقالت : لو أردت أن أخرج إلى الرجال لكسوتني كما كسا الزبير امرأته ، وكما كسا طلحة امرأته ، قال : وما يكفيك أنك أم كلثوم ابنه علي بن أبي طالب ، وزوجة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، قالت : إن ذاك عندي لقليل الغناء ، ثم قال : كل فلو كانت راضية لأطعمتك اطيب من هذا ، فأكلت قليلاً ، وطعامي الذي معي أطيب منه ، وأكل فما رأيت أحداً أحسن أكلاً منه ، ما يتلبث طعامه بيده ولا فمه .

ثم قال : اسقونا فجاؤا بعسٍّ من سلت ، فقال : اشرب فشربت قليلاً ، وإن سويقي الذي معي لأطيب منه ثم أخذه فشربه حتى قرع القدح جبهته ، ثم قال : الحمد لله الذ أطعمنا فأشبعنا ، وسقانا فأروانا ، إنك يا هذا لضعيف الأكل ، ضعيف الشرب .

فقلت : يا أمير المؤمنين إن لي حاجة ، قال : ما حاجتك ، قلت أنا رسول سلمة بن قيس ، قال : مرحباً بسلمة ورسوله ، فكأنما خرجت من صلبه ، حدثني عن المهاجرين ، كيف هم ؟ قلت : كما تحب - يا أمير المؤمنين -

من السلامة والظفر والنصر على عدوهم ، قال كيف أسعارهم ، قلت : أرخص أسعار ، قال : كيف اللحم فيهم ، فإنه شجرة العرب ، ولا تصلح العرب إلا على شجرتها ؟ قلت : البقرة فيهم بكذا ، والشاة بكذا فيهم ، ثم قلت : سرنا يا أمير المؤمنين حتى لقينا عدونا من المشركين ، فدعوناهم إلى الذي أمرت به : الإسلام فأبوا ، ثم الخراج فأبوا ، فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم ، فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية ، وجمعنا الثروة ، فرأى سلمة في الأموال حلية ، فقال للناس : اتطيب أنفسكم ان أبعث به إلى أمير المؤمنين ؟ قالوا : نعم ، ثم استخرجت سفطي ففتحته .. فلما نظر إلى تلك الفصوص من بين أحمر وأخضر وأصفر ، وثب وجعل يده في خاصرته يصيح صياحاً عالياً ، ويقول : لا أشبع الله إذن بطن عمر - يكررها - ، فظن النساء أني حنت لأغتاله فجئن إلى الستر فكشفنه فسمعنه يقول : لف ما جئت به ، يا يرفأ جئ عنقه ، فأنا أصلح سفطي ويرفأ يجأ عنقي ، ثم قال : النجاء النجاء ، قلت : يا أمير المؤمنين ، فاحملني ، فقال : يا يرفأ أعطه راحلتين من إبل الصدقة ، فإذا لقيت أحداً أفقر إليهما منك فادفعهما إليه

وقال أظنك ستبطئ أن الله لئن يعدو المسلمون في مشاتيهم قبل أن يقسم هذا فيهم لأفعلن بك وبصاحبك الفاقرة . قال فارتحلت حتى أتيت إلى سلمة بن قيس ، فقلت : ما بارك الله فيما اختصصتني به اقسم هذا في الناس قبل أن تصيبني وإياك فاقرة . فقسمه فيهم . فكان الفص يباع بخمسة دراهم وستة ، وهو خير من عشرين ألفاً . [٢/٤٢٧] .

• • • • • • • • • • •

السيرة النبوية وأهميتها في فهم الإسلام

(الحلقة الأولى)

بقلم الدكتور عمر يوسف حمزة
المدرس بقسم التفسير والحديث . كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة قطر

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونتوب اليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

فلقد من الله تعالى على بأن أكتب في هذا الموضوع الهام وهو « السيرة النبوية وأهميتها في فهم الإسلام » .

تمهيد :

فالسيرة النبوية : دعوة بالحسنى إلى الرقى الاخلاقي الذي تجرى وراءه الإنسانية المهذبة . إنها دعوة إلى التاجر أن يكون صادقاً ، فيحشر مع النبيين والصديقين والشهداء ، وإلى العامل أن يتقن عمله لأن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه .

وإلى الصانع أن يؤدى العمل كما يجب ، حيث أخذ الأجر ، ومن أخذ الأجر حاسبه الله على العمل .

وهي دعوة إلى الأب باعتباره أبا ، وإلى الأم في وضعها كأم ، وإلى الأخ في مهمته كأخ (١) .

وهي دعوة إلى كل فرد من أفراد المجتمع : أن يرعى كل منهم ما وكل

---

(١) السنة النبوية ومكانتها في التشريع ، دكتور عبد الحليم محمود : ص/٦ بتصرف .

إليه من أمر رعيته : يقول -ﷺ- : « كلكم راع ومسئول عن رعيته ، الحديث » (١) .

والسيرة النبوية دعوة للناس إلى الأمانة . حيث إنه لا إيمان لمن لا أمانة له ، فلقد اجتمعت لرسول الله الكريم -ﷺ- سائر الكمالات والفضائل النفسية التي اعتبرها الفلاسفة والحكماء أصول الفضائل كلها من الصدق والشجاعة والعدل والعفة والأمانة ما لم يجتمع لغيره فكان مستودع أمانات المشركين وتفائسهم وان خالفوا دينه ، وخالف هو شركهم وجاهليتهم . فلا يجدون آمن منه على ودائعهم وأموالهم وهو بمكة وقد كان أحق بها وأهلها .

إذا استبقى عليا عند هجرته ليرد الأمانات إلى أهلها المشركين (٢)

والسيرة دعوة إلى الرحمة العامة الشاملة التي بعث بها رسول الله -ﷺ- حيث يقول الخالق جل وعلاه : ﴿ وما أرسلناك إلى رحمة للعالمين ﴾ .

قال ابن عباس : هذا عام للبر والفاجر . فمن آمن به تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة ومن كفر به صرفت عنه العقوبة إلى الموت والقيامة (٣) .

وذكر ابن كثير من رواية الطبراني عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ قال : من تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة ومن لم يتبعه عوفي مما كان يبتلى به سائر الأمم من الخسف والمسخ والقذف (٤) .

---

(١) البخاري : ج/٢ . ص/٢١٧ . و ج/١٢ . ص/١٠٠ . ومسلم : ج/٩ . ص/١٨ وأخرجه أبو داود : ج/٢ . ص/٢٩

(٢) مجلة مركز بحوث السنة العدد الثامن : ص/٢٧٧ بتصرف .

(٣) (زاد المسير لابن الجوزي : ج/٥ . ص/٢٩٨) . و الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء .

(٤) تفسير ابن كثير : ج/٣ . ص/٢٠٢ .

و روى مسلم في صحيحه (١) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قيل يا رسول الله ادع على المشركين . قال : انى لم أبعث لعانا . وانما بعثت رحمة .

وروى الدرامي : عن أبي صالح مرسلا قال : كان النبي -ﷺ- يناديهم ويقول : « يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة » (٢) . وقد وصله الحاكم في المستدرك (٢) عن أبي هريرة - رضي الله عـــنـــه - وصححه و وافقه الذهبي .

وخذ أي خلق كريم تتمنى أن يسير عليه المجتمع : فستجد في السيرة دعوة إليه . بوسيلة أو بأخرى وبثالثة .

وهي في هذه الدعوة تنبه دائماً إلى دور الأمة الإسلامية في الاخلاق العالمية : أن دورها : إنما هو دور الرائدة الراعية . وعلى الرائد دائماً أن يكون المثل الأعلى . والأسوة الكريمة والقدوة الصالحة . ولقد كان رسول الله -ﷺ- : الصورة الحية الناطقة التي طبقت كمبادئ إنسانية ممكنة . الخلق الذي رسمه الله وأحبه للإنسانية جمعاء . والذي عبرت عنه السيرة أجمل تعبير وأبلغه .

وسوف أتناول في هذا البحث « السيرة النبوية وأهميتها في فهم الإسلام » من خلال النقاط التالية :

أولاً : تعريف السيرة لغة وإصلاحاً .

ثانياً : فهم شخصية الرسول الكريم -ﷺ- (النبوية) من خلال حياته

---

(١) صحيح مسلم : ج/ ٤ . ص/ ٢٠٠٧ .

(٢) سنن الدرامي : ج/ ١ . ص/ ٩ .

(٢) مستدرك الحاكم على الشيخين : ج/ ١ . ص/ ٣٥ .

وظروفه التي عاش فيها للتأكد من أن رسول الله الكريم -ﷺ- لم يكن مجرد عبقري سمت به عبقريته بين قومه ولكنه قبل ذلك رسول من عند الله تعالى أيده الله تعالى بالمعجزات الباهرات .

ثالثاً : أن نجد الإنسان بين يديه صورة المثل الأعلى في كل شأن من شئون الحياة الفاضلة ، كي يجعل منها دستوراً يتمسك به ويسير عليه ، ولذا جعله الله تعالى قدوة للإنسانية كلها إذ قال في محكم كتابه : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ (١) .

رابعاً : أن يجد الإنسان في دراسة سيرة المصطفى -ﷺ- ما يعينه على فهم كتاب الله تعالى ، وتذوق روحه ومقاصده ، إذ أن كثيراً من آيات القرآن الكريم إنما تفسرها وتبينها الأحداث التي مرت برسول الله الكريم -ﷺ- وموقفه منها .

خامساً : أن تتجمع لدى المسلم من خلال دراسته لسيرة رسول الله -ﷺ- أكبر قدر من الثقافة والمعارف الإسلامية الصحيحة ، سواء ما كان منها متعلقاً بالعقيدة والأحكام والأخلاق ، إذ لا ريب أن حياته صلواته الله وسلامه عليه انما هي صورة مجسدة نيرة لمجموع مبادئ الإسلام وأحكامه .

سادساً : أن يكون لدى المعلم والداعية الإسلامي نموذج حي عن طرائق التربية والتعليم ، فلقد كان رسول الله -ﷺ- معلماً ناصحاً ومربياً فاضلاً لم يأل جهداً في تلمس إحدى الطرق الصالحة إلى كل من التربية والتعليم

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٢١ .

خلال مختلف مراحل الدعوة الإسلامية (١) ، وان من أهم ما يجعل سيرته -ﷺ- وافية بتحقيق ، هذه الأهداف كلها ، أن حياته -ﷺ- شاملة لكل النواحي الإنسانية والاجتماعية ، التي توجد في الإنسان كفرد مستقل بذاته أو من حيث إنة عضو فعال في المجتمع (٢) .

فالرسول -ﷺ- من خلال سيرته الطاهرة يتحدث عن إصلاح المجتمع ، وعن عوامل الهدم التي تعمل على تقويضه ، وعن عوامل البناء التي تعمل على إقامته على قواعد سليمة .

ومن أجل دلك كله كان نشر السيرة النبوية واجباً دينياً ، وعملاً اجتماعياً كريماً و واجباً وطنياً ، وإصلاحاً اخلاقياً سامياً .

فإن الفهم الصحيح لسيرة رسول الله -ﷺ- ضرورة ملحة في عصر تحاول الرذيلة فيه أن تعمم الانحلال الخلقي في كل أسرة وفي كل بيت ، ويحاول الفساد أن يأتي على مقدسات الأمة ومقوماتها من عرض وشرف وكرامة .

لقد أحب الله تعالى للإنسانية مثالاً اخلاقياً كريماً رسمه سبحانه في القرآن الكريم قولاً ، فكان رسول الله -ﷺ- الصورة التطبيقية الكاملة للرسم الإلهي ، وكان بذلك الإنسان الكامل ولقد وصفه تعالى في كتابه الكريم فقال جل وعلا : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ (٣) .

وما من شك في أن الأمة الإسلامية حينما تقتدى بالرسول الكريم

---

(١) فقه السيرة ، دكتور محمد سعيد رمضان البوطى : ص/١٤-١٥ ، بتصرف .

(٢) فقه السيرة : ص/١٥ ، بتصرف ، دكتور محمد سعيد رمضان البوطي .

(٣) سورة القلم ، الآية : ٤ .

-٭- : إنما تقتدى بأعظم رجولة وإنسانية .

وتقتدى بمن أحب الله سبحانه أن تقتدى به . يقول في محكم كتابه الكريم : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة • لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ (١) .

وإن العمل على نشر السيرة إنما هو توجيه للاقتداء بالرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - .

والله أرجو أن ينفع بهذا البحث ويجعله عاماً . وأن يهدى به وأن يجعله ذخيرة لي في يوم يقوم الناس فيه لرب العالمين .

المبحث الأول :

تعريف السيرة لغة واصطلاحاً :

السيرة : لغة : الطريقة . وسار في الناس سيرة حسنة أو قبيحة . والجمع سير . مثل سدرة وسدر وغلب اسم السير في ألسنة الفقهاء على المغازى (٢) .

فيتضح لنا من ذلك أن السيرة هي الطريقة . حسنة كانت أو سيئة .

قال خالد بن عتبة الهذلي :

فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها
فأول راضي سنة من يسيرها (٣)

وفي الكتاب العزيز ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض

---

(١) سورة الأحزاب . الآية ٢١

(٢) المصباح المنير أحمد بن محمد الفيومي ص/١١٤ . ومختار الصحاح ص/٢٢٩

(٣) لسان العرب لابن منظور . ج/٢ . ص/١٧٠ . و القاموس المحيط : مادة سير .

فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ (١) .

و في التنزيل العزيز أيضاً يقول جل علاه : ﴿ سنعيدها سيرتها الأولى ﴾ (٢) .

قال الفراء : طريقتها . يقول : نردها عصى كما كانت (٢) .

وأما السيرة في الاصطلاح :

إذا كانت السنة النبوية في اصطلاح المحدثين : ما أثر عن النبي -ﷺ- من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة . سواء أكان قبل البعثة أم بعدها (٤) .

وهي مرادفة للحديث عند الأكثر (٥) .

فإذا كان هذا هو تعريف السنة في مصطلح المحدثين . فإن سيرته -ﷺ- هي السنة . لكن علماء السير نحوا بها الناحية التاريخية فبعدت عن السنة والحديث من حيث الوثوق بمحتوياتها . فهم يتساهلون في سردها تساهلهم في التاريخ . حتى الذين عنوا منهم بذكر الأسانيد لم يعنوا بالصحيح منها . بل جمعوا صحيح الروايات مع ضعيفها . وصرحوا بمنهجهم هذا حين قالوا : إذا روينا عن النبي -ﷺ- في الحرام والحلال

---

(١) سورة آل عمران . الآية : ١٢٧ .

(٢) سورة طه . الآية : ٢١ .

(٢) زاد المسير : ج/٥ . ص/٢٨٠ . ولسان العرب مادة سير .

(٤) السنة ومكانتها : ص/٥٩ . مصطفى السباعي : وتوجيه النظر /٢ .

(٥) دراسات في الحديث : ج/١ . ص/١ . دكتور الأعظمي . ولمحات في

أصول الحديث : ص/ ٢١ .

والأحكام شددنا في الأسانيد وانتقدنا في الرجال .

وإذا روينا في الفضائل والثواب والعقاب والسير تساهلنا وتسامحنا ويمكننا أن نتساءل ما الذي حملهم على هذا ؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول : لعلهم قصدوا أن العقائد والفروع شريعة تعتمد عليها العبادة والطاعة ، وأما السيرة النبوية فهدفها العظة والعبرة ، وما جاء في السيرة يؤخذ على أنه ترغيب أو ترهيب أو تكريم وتبجيل أو تصوير وتحسين (١) .

خلاصة القول :

أن السيرة معناها في اللغة الطريقة سواء كانت سيئة أو حسنة وقد استعملها الإسلام في معناها اللغوي ثم خصصها بطريقة النبي -ﷺ- .

ومن ناحية أخرى : فإن هذه الكلمة حينما تطلق يراد بها سيرة المصطفى -ﷺ- والسيرة النبوية هي ما أضيف إلى النبي -ﷺ- من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية سواء أكان قبل البعثة أم بعدها ، وهي بهذا مرادفة للسنة .

ولكن العلماء تساهلوا في روايتها وتشددوا في رواية السنة .

[يتبع]

(١) دراسات في السيرة وعلوم السنة . دكتور موسى شاهين و دكتور صلاح شلبي : ص/ ٥ .

نقد الغزو الفكري ومواجهته

(الحلقة التاسعة الأخيرة)

بقلم الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ المساعد بجامعة الأزهر وقطر

ونذكر من تلك الأعمال ما يلي :

١ - أن يصاحب النقود التي توجه للاستشراق عمل موسوعة الرد على المستشرقين . وموسوعة الرد شاملة لكل ما تناوله الاستشراق . وفي هذا يقول الدكتور محمود حمدي زقزوق : « إن المواجهة الفكرية الجادة هي الطريق الصحيح لمواجهة أية تيارات مناوئة للإسلام والمسلمين . ومن أجل ذلك ينبغي أن ننظر إلى حركة الاستشراق بكل جدية . ونأخذ في الحسبان . أن لها آثاراً كبيرة على قطاعات عريضة من المثقفين في العالم الإسلامي . وفي العالم الغربي على السواء . ولهذا لابد من التوفر على دراسة الاستشراق دراسة عميقة . ولما كان الفكر الاستشراقي مكتوباً بشتى اللغات الحية . ومنتشراً انتشاراً واسعاً على مستوى عالمي . فمواجهته لابد أن تكون على المستوى العالمي نفسه » (١) .

وقد دعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في القاهرة . في نهاية عام ١٩٧٩م إلى ندوة لمناقشة موضوع إعداد « موسوعة للرد على المستشرقين » وقد حضر الندوة عدد يزيد على عشرين من العلماء والمفكرين المهتمين بهذا الموضوع . وقد أعدت التقارير وقضي الأمر

---

(١) الدكتور محمود حمدي زقزوق . الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري : ص/ ١٢١ .

ونامت الفكرة » (١) .

ولا يفوت الباحث أن يذكر أن « موسوعة الرد على المستشرقين » تختلف عن « منهج نقد الاستشراق في مجال العقيدة والسنة وغيرهما » لأن الموسوعة شاملة للفكر الإسلامي .

٢ - لابد من عمل دائرة معارف إسلامية ، يقوم بعملها العلماء المسلمون « مشروع إصدار دائرة معارف إسلامية » من بين الأولويات العلمية الملحة ، فلا يجوز أن نظل نقتات فكرياً من دائرة المعارف الإسلامية ، التي قام بإعدادها المستشرقون قبل الحرب العالمية الثانية ، فقد تجاوزها المستشرقون وانتهوا منذ بضع سنوات من إصدار دائرة معارف إسلامية جديدة ، و واجبنا نحن المسلمين أن نقوم بإصدار دائرة معارف إسلامية باللغة العربية ، واللغات الأوربية ، تقف على الأقل في مستوى دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين ، تخطيطاً وتنظيماً ، وتتفوق عليها علمياً ، وتنقل وجهة النظر الإسلامية في شتى فروع الدراسات الإسلامية والعربية إلى المسلمين وغير المسلمين على السواء » (٢) .

وقد لا يكون المرء مجانباً للصواب إذا عرف أن تقاعس المسلمين حتى اليوم ، عن عمل « دائرة معارف إسلامية » يدل على الضعف ، الذي يدب في النفوس . وأن مؤتمرات العلماء المسلمين ، وقراراتهم تمثل مظاهرة صاخبة ، هاجت وماجت ، ثم نامت .. إن مشكلتنا أننا نتكلم أكثر مما نعمل ، وإن شئت فقل : إننا نتكلم ولا نعمل .

ومهمتنا لنواجه الاستشراق ، أن نعمل على إصدار عدة موسوعات

(١) المصدر السابق : ص/١٢١ .

(٢) المصدر السابق : ص/١٤٢ .

ودوائر معارف في التاريخ ، والعقائد ، والأدب ، والاخلاق ، والفقه ، والحديث ، ومختلف العلوم ، والفنون . لأن الحركة فكرية قوامها انتشار الكلمة .

٣ - من الضروري لمؤازرة منهج نقد الاستشراق في الأمور التي خاص فيه أن تكون هناك دوريات ، ومجلات ، ونشرات بمختلف اللغات تتناول ما يتصل بمواجهة الاستشراق ، لمحاصرة الفكر الاستشراقي ، وصد هجومه ، والوقوف أمام زحفه .

٤ - من الضروري لنجاح التصدي ، لسوء ما جاء عن بعض المستشرقين أن تكون هناك مؤسسات علمية ، وأكاديمية ، ودعوية ، ترعى شئون النقد ، والمواجهة وإعداد الدوريات والمجلات والمؤتمرات .

وفي إمكان الأمة الإسلامية أن توجد الهيئات العلمية العالمية ، وتهيئ الأجواء المناسبة ، التي تكفل نجاح المواجهة ، والتصدي للزحف الاستشراقي ، وذلك أن أمتنا الإسلامية حباها الله سبحانه وتعالى ، بأعظم النعم ، كما بها من الجامعات ما يمكن من وجود آلاف العلماء المتخصصين في مختلف العلوم والفنون ..

٥ - أن نمد يد الصداقة والمودة للهيئات الاستشراقية العالمية ، وأن يكون لنا دور بالمشاركة في المؤتمرات الاستشراقية ، التي تعقد في مختلف العواصم العالمية .

وهذه المشاركة لها أثر إيجابي ، في نفوس المستشرقين ، فقد تجعل المستشرقين يشعرون بأننا لسنا منعزلين ، وإننا نريد أن نفهمهم من نحن ، ومن نكون ؟ ومن الكياسة أن ندعو بعض المستشرقين المنصفين لفكرنا ، وتراثنا إلى مؤتمراتنا وندواتنا .

٦- أن تقيم كل جامعة في مجتمعات الأمة الإسلامية معهداً للدراسات الاستشراقية، يمنح الدارسون في هذا المعهد درجات علمية عالمية، وقد لا يتصور الإنسان أن الأمة الإسلامية وقد تعددت جامعاتها المختلفة، لم تعمل بعد على إنشاء معاهد أو أقسام للدراسات الاستشراقية، في حين أننا نجد أنه ما من جامعة في أوربا أو أمريكا إلا وملحق بها معاهد وأقسام لدراسة الإسلام والمسلمين، حتى أصبحنا بحركاتنا وسكناتنا واقعين تحت سيطرة وأقوال وآراء الاستشراق.

٧- أن تعمل كل جامعة، وكل معهد، وكل مؤسسة، على تفرغ عدد معين من أساتذتها للدراسات الاستشراقية، في مواضع محددة.

٨- أن يكون هناك تنسيق وتخطيط بين المؤسسات الإسلامية، وتكامل في الموضوعات المطروحة.

وبهذه الأعمال العلمية نستطيع أن نتصدى للتحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، وبهذه الأعمال نستطيع أن نكشف في وضوح أن جهود المستشرقين لا تستند على حجة، ولا عقل، ولا منطق، بل هي جهود مغرضة، الهدف منها النيل من الإسلام وأهله، وقد اتسمت هذه الجهود بالكذب والافتراء والمغالطة.

ومن يتصفح كتب المستشرقين وموسوعاتهم ودوائرهم .. يجد مئات من الاتهامات والأباطيل، وآلاف التخريجات التي لا صلة لها بالعلم.

وإذا كان المسلمون يظنون أنهم في صحوة إسلامية، و وعي إسلامي، فإن من مبادئ الصحوة الإسلامية وأولياتها: مواجهة الاستشراق والمستشرقين، حتى لا يأتي وقت تكون فيه هذه الصحوات إرادة استشراقية، وتجارب مرادة، تجعل المسلمين يهتمون بالأشكال

والقشور، وكل ما من شأنه أن يبعث على الجمود، والتأخر، والتخلف.

ثانياً : مواجهة التبشير :

كلمة « التبشير» من الكلمات التي أطلقت على المنظمات الدينية النصرانية، التي تستهدف نشر الديانة النصرانية في المجتمعات الإسلامية والوثنية والالحادية.

ومما يجدر أن نعرفه أن البعض من الدارسين والباحثين، يستعملون في بحوثهم التي تتصل بنشر النصرانية كلمة « التنصير» بدلاً من كلمة « التبشير» لأن كلمة التبشير في المعاجم تعني : « الخبر الذي يفيد السرور» . والبعض الآخر يستعملون كلمة « التبشير» لأن كلمة التبشير هي لسانهم وعقيدتهم، ونحن نستعمل في بحوثنا كلمة الاستعمار، والشيوعية، والاشتراكية، والعلمانية، والديموقراطية، كما ذكرها أصحابها، ولا مانع أن نذكر كلمة التبشير كما جاءت.

والتبشير - كما تذكره الموسوعات - حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية في الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة، وبين المسلمين بخاصة، بهدف احكام السيطرة على هذه الشعوب.

ويعتبر المبشر « ريمون لول » أول نصراني يتولى التبشير بعد فشل الحروب الصليبية في مهمتها، إذ أنه قد تعلم اللغة العربية بكل مشقة، وأخذ يجول في بلاد الشام مناقشاً علماء المسلمين، ومنذ القرن الخامس عشر الميلادي، وأثناء الاكتشافات البرتغالية دخل المبشرون الكاثوليك إلى إفريقيا، وبعد ذلك بكثير أخذت ترد الإرساليات التبشيرية البروتستانتية، إنجليزية وألمانية، وفرنسية.

وقد اهتمت الكنيسة بتوجيه الجهود إلى التنشير في المجتمعات
'سلامية ، تريد أن تقتلع الإسلام من نفوس المسلمين ، أو تبعد المسلمين
ن الإسلام حتى يمكن أن يعتز الإنسان بالقومية أو الحربية أو
لاشتراكية ، أو ما جرى مجرى هذا دون أن يفكر في الإسلام .

ويكاد يجمع المبشرون فيما بينهم على أن القوة التي تخيف أوربا
أمريكا هي قوة الإسلام والمسلمين . ولذا يعمل التبشير بكل ما يملك
لى تمزيق الأمة الإسلامية . ويصرح المبشر لورانس براؤن : بالهدف
حقيقي للمبشرين من عملهم في بلاد المسلمين فيقول : « إذا اتحد
لمسلمون في امبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم
خطراً ، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نقمة له . أما إذا بقوا منفرقين
إنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير» .

ويعبر القس صمويل زويمر عن النوايا السيئة التي تحملها النصرانية
للإسلام والمسلمين . فيقول : « لا ينبغي للمبشر المسيحي أن يفشل أو أن
ييأس ويقنط عندما يرى أن مساعيه لم تثمر في جلب كثير من المسلمين
لى المسيحية . لكن يكفي جعل الإسلام يخسر مسلمين بذبذبة بعضهم ،
عندما تذبذب مسلماً وتجعل الإسلام يخسره تعتبر ناجحاً . يا أيها
المبشر المسيحي . يكفي أن تذبذبه ولو لم يصبح هذا المسلم مسيحياً » .

وصمويل زويمر رئيس إرسالية التبشير العربية في البحرين ورئيس
جمعيات التنصير في الشرق الأوسط . كان يتولى إدارة مجلة العالم
لإسلامي الإنجليزية التي أنشأها سنة ١٩١١م . دخل البحرين عام
١٨٩٠م . ومنذ عام ١٨٩٤م قدمت له الكنيسة الإصلاحية الأمريكية دعمها
الكامل . وأبرز مظاهر عمل البعثة التي أسسها زويمر كان في حقل

التطبيب في منطقة الخليج ، ويعد زويمر من أكبر أعمدة التنصير في العصر الحديث ، وقد وضع كتاباً تحت عنوان « العالم الإسلامي اليوم » جاء فيه :

١ - يجب اقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداء لهم .

٢ - يجب نشر الكتاب المقدس بلغات المسلمين لأنه أهم عمل مسيحي .

٣ - تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم ، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها .

٤ - ينبغي للمبشرين ألا يقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة ، إذ من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين .

ويقول صمويل زويمر في مؤتمر القدس التنصيري عام ١٩٢٥ : « لكن مهمة التبشير التي ندبتكم لها الدول المسيحية في البلاد الإسلامية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية ، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً ، وإنما مهمتكم هي أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها » .

ويقول أيضاً : « إنكم أعددتم نشئاً لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية ، وبالتالي فقد جاء النشء طبقاً لما أراده الاستعمار ، لا يهتم بعظائم الأمور ، ويحب الراحة والكسل ، فإذا تعلم فللشهوة ، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوة يجود بكل شئ » .

إن المبشرين كانوا يخططون لاختراق مجتمعات المسلمين في دقة وخبث ودهاء ، فالمبشر لويس ماسينيون قام على رعاية التبشير

والتنصير في مصر ، وكان عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، كما أنه كان مستشاراً لوزارة المستعمرات الفرنسية في شئون شمال إفريقيا ، والمبشر « دون هك كري » كان أكبر شخصية في مؤتمر لوزان التبشيري وهو بروتستانتي ، عمل مبشراً في الباكستان لمدة عشرين سنة .

ولقد كان للمبشرين ولا يزال الكثير من المؤتمرات الإقليمية والعالمية التي يناقشون فيها خطط التبشير ، واتخاذ ما يرونه مناسباً لهم ، ومن تلك المؤتمرات المؤتمر التبشيري العالمي في أدنبره باسكوتلنده عام ١٣٢٨هـ ١٩١٠م ، وقد حضره مندوبون عن ١٥٩ جمعية تبشيرية في العالم ، ومن أخطر المؤتمرات مؤتمر كولوراداو في ١٥ أكتوبر ١٩٧٨م ، تحت اسم « مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين » حضره مائة وخمسون مشتركاً يمثلون أنشط العناصر التنصيرية في العالم ، استمر لمدة أسبوعين بشكل مغلق ، وانتهى بوضع استراتيجية بقيت سرية لخطورتها .

وما أكثر مؤتمرات التبشير التي تعقد في أماكن متفرقة حسب الحاجة لعرقلة جهود المسلمين ، واقتلاعهم من الإسلام ، ويتخذ المبشرون وسائل وأساليب متعددة تحيط بالإنسان ، ومن وسائلهم التطبيب ، والتعليم ، والأعمال الاجتماعية ، والفتن ، والحروب ، يقول الدكتور نجيب الكيلاني : « إن روح التعصب الأعمى ضد كل ما هو إسلامي لم تزل سائدة حتى أيامنا هذه ، تلك الروح التي غذاها المبشرون ورجال الدين من معتنقي الصليبية القديمة » .

وإن الباحث في أساليب التبشير التي أحاطت بالمسلمين يجد أن هذه الأساليب أضرت بالمجتمعات الإسلامية ، وأصبحت عاملاً معوقاً لكل تقدم

إسلامي ، وقد نجح التبشير في مواقع كثيرة لأن إمكاناتهم هائلة ويتحملون ويعملون ويصبرون ويخططون ويتربصون ، وإذا كنا تنبهنا أخيراً إلى الأخطار المحدقة بالمسلمين من جانب المبشرين ، فإن تنبهنا لم يأخذ بنا إلى الطريق السليم ، وليس من الكياسة أن نكتفي بإنشاء مراكز للدعوة هنا وهناك ، إن الأمر يقتضي قبل مراكز الدعوة أن نكون أقمنا الملاجئ والمستشفيات والمدارس والمعاهد ومؤسسات الاغاثة والاعاشة .

المواجهة الصحيحة تقتضي عملاً يعمل ، لا كلاماً يقال : إن المبشرين يعملون ونحن لا نعمل ، وإذا رغبنا في مواجهتهم لإنقاذ إخواننا المسلمين فلابد وأن يكون عملنا أزيد من عملهم ، وتحركاً أسرع من تحركهم .

وإن المواجهة تحتاج إلى تخطيط ، وتنظيم واتساع المواقع ، والتعرف الدقيق ، فإذا ما فعلنا ذلك ، كان ذلك بداية في طريق طويل .

أما أن نترك المسلمين في قارة إفريقيا وآسيا وغيرهما تفترسهما النصرانية فإن ذلك أمر بالغ الخطورة .

وإذا كان للتبشير مؤتمرات دولية ، ومعاهد علمية ، وجمعيات تبشيرية ، فلماذا لا تكون للمسلمين مؤتمرات للدعوة والمواجهة ، وهنا ربما يقول قائل : للمسلمين مؤتمرات للدعوة كثيراً ما سمعنا وقرأنا عنها ، نعم للمسلمين مؤتمرات ، ولكن الناس يجتمعون فيها لينفضوا ، فهي تساوي مظاهرة في الشارع ، فيها تصفيق وكلام ، ثم يدخل كل واحد بيته .

نحن نريد مؤتمرات لا تكون توصياتها وقراراتها حبراً على ورق ، وإنما نريد عملاً يعمل في دقة وتخطيط وسرية .

إن المجتمعات الإسلامية تعاني من التسلط التبشيري في الصحافة

وسائر وسائل الإعلام و وكالات الأنباء ، وتعاني في البيت وفي الشارع وفي أمور كثيرة ، قد يعرفها البعض ويسكت ، وما أكثر الساكتين لأنهم لا يملكون أن يقولوا شيئاً ، إنك ترى برنامجاً في التلفزيون ينطلق من دولة إسلامية عربية فيشدك إلى مزارع وحدائق خضراء بأندونيسيا ومستشفيات ومدارس أخذت بيد الأندونيسي يقال عنها أنها : « من صنع وإدارة وأعمال الكنيسة الكاثوليكية ، هكذا تسمع وترى ، ولا يخفى أن هذه الدعاية التبشيرية نصرانية ، ومن الغريب والعجيب أنك ترى في أسواق الصحافة في بعض البلاد الإسلامية ، ما هب ودب ، وهو وهي ، من المجلات والصحف ، وتمنع من الدخول والوصول بعض المجلات والصحف الإسلامية ، لماذا ؟ لأنها إسلامية ، وكل ما هو إسلامي يقض مضاجع المبشرين ، ومن المؤلم حقاً أنك تجد عنه باعة الصحف مئات المجلات في كل التخصصات ما عدا الإسلام ، فمجلاته قليلة تعد على أصابع اليد الواحدة ، ويبدو أن هذا ربما تكون وراءه أجهزة تبشيرية ، حتى لا يكون هناك التأثير الذي يمنع من التأثر بالتبشير ، إن أمتنا الإسلامية مطالبة بأن تتبصر العواقب ، وتتعرف على خطواتها بحكمة وتدبر قبل أن يتسع الخرق على الراقع ، إن التبشير نجح في تنصير البعض ، ونجح في أنه جعل المسلمين في موقف المدافع وهو موقف المهزوم ، فهل نتدارك هذه المواقف ، ونتخطاها إلى موقف المواجهة ؟

أولاً : علينا أن ندرك تماماً أن هؤلآء لا يبشرون بدينهم وعقائدهم ، أو يعملون على تحويل المسلم عن الإسلام ، إلا في حالة إدراكهم أن المسلمين غير مهتمين بالإسلام ، سلوكاً وتطبيقاً ، ومن هنا كان علينا أن تكون مواجهتنا للتبشير عملاً يعمل يهتم بإنشاء المدارس والمستوصفات ،

والملاجئ ، ورعاية الأيتام ، واللقطاء ، والمسنين ، ويصاحب ذلك توعية إسلامية ، وتبشيرية بالإسلام .

ثانياً : إن ما يقوم به التبشير النصراني في إفريقيا والمجتمعات الإسلامية المختلفة ، من بناء المستشفيات الخيرية ، والمدارس وغيرها مما يقدم للإنسان ، هو عمل خيري في الدرجة الأولى ، لأن الإنسان في مثل هذه المجتمعات في حاجة إلى من يقدم له يد العون أو المساعدة بالعلم ، والخبز ، والعلاج ، فإذا ما أراد المسلمون المواجهة العملية ، فعليهم أن يعملوا مثل ما يعمل المبشرون ويريدون عليهم .

ثالثاً : يجب أن يدرك المسلمون أن التبشير يملك إمكانات هائلة : مادية وبشرية ، فمواجهتنا للتبشير يجب أن تتوفر لها الإمكانات المادية ، والطاقات البشرية .

رابعاً : لابد وأن نواجه التبشير من خلال مخطط دقيق ، ينفذ بحكمة وبصيرة ، توزع الأدوار ليكون هناك التكامل الواعي .

خامساً : يصاحب ذلك كله هجوم ونقد للأفكار الغربية والتبشيرية ، لننتقل من مرحلة المواجهة -(الدفاع)- إلى مرحلة الهجوم والنقد ..

ثالثاً : وإذا كنا عرفنا كيفية مواجهة الاستشراق ، وكيفية مواجهة التبشير - وهما أصلان رئيسيان لكل أدوات الغزو الفكري وتياراته في المجتمعات الإسلامية - **فإن هذه المواجهة لا تتم إلا إذا قامت أجهزة الاعلام في الشعوب الإسلامية بأمرين :**

الأمر الأول : أن تقف أجهزة الاعلام من (صحافة ، وإذاعة ، وتلفزيون ، ومسرح ، وسينما ، وفيديو) عن تقديم أي شئ يتنافى مع مبادئ الإسلام ، لأنه لا فائدة من مواجهة الفكر الاستشراقي والتبشيري في الوقت الذي

نجد فيه أجهزة الاعلام ، تمور بكل ما هو مخالف للإسلام من عرى وخلاعة ، وتقاليد غريبة .

والأمر الثاني : أن تواكب مؤسسات الاعلام هذه المواجهة ، فتتناولها وتقف من ورائها ، وتعمل على مساعدتها بالتوجيه .

وقد لا يكون المرء مجانباً للصواب إذا تأكد لديه أن مؤسسات الاعلام في بعض المجتمعات الإسلامية ، قد نجح الاختراق الاستشراقي والتبشيري في الوصول إليها ، عن طريق عملائه الذين يديرون شئونها ، ولذا كان لابد من تطهير مؤسسات الاعلام من هؤلآء العملاء الذين وقعوا فريسة الغزو الفكري ، وتربوا في مدارسه ومعاهده .

رابعاً : أن تتوجه النقود إلى أي أثر من آثار « الغزو الفكري » الموجود بالمجتمعات الإسلامية دون مجاملة لهذه المجتمعات ، وأقول هذا ، لأن كل مجتمع إسلامي يحب أن يمدح فقط ، وقد يكون فيه من البلاوى ما فيه .

ومشكلتنا : أننا نفرح بالمدح ، وتجامل بعض على حساب ما يمس شخصيتنا وإسلامنا ، يجب أن نضع في الحساب أن أي مجتمع إسلامي هو مجتمعنا دون عنصرية أو إقليمية أو قومية أو حزبية ، وبهذا نستطيع أن نتمكن من المواجهة ، وتقديم النصيحة .

خامساً : لابد وأن تتجه جهود المصلحين في المجتمعات الإسلامية ، إلى التربية لأن المبادئ الإسلامية بمفاهيمها الأساسية ، ومنهجها التربوية تصنع شخصية متميزة لها سماتها وغاياتها الخاصة » .

ولعل أخطر ما استهدفه الغزو الفكري في برامجه التخريبية ، هو هدم شخصيتنا الإسلامية : عقدياً ، وثقافياً ، وسلوكياً ، عاطفياً ..

ولعل معاول « الغزو الفكري » التي أصابت الكثير ، لم تؤثر إلا من جراء انهدام الشخصية الإسلامية .

ولهذا كان لابد من اتجاه فريق من المصلحين إلى تربية الأجيال .
بية إسلامية ، تتولى المسئولية ، والإدارة

= تربية تجعل الإنسان إيجابياً يعيش في حركة فكرية ، ونفسية ،
سدية ، بناءة بعيداً عن السلوك التخريبي .. رافضاً التحجر والجمود
لا يرضى بالسلوك الانسحابي الذي يتهرب من نشاطات الحياة ،
يتعد عن مواجهة الصعاب .

= تربية تؤهل الإنسان للعطاء ، وتنمى فيه القدرة على الانتاج
لإبداع ، بما تفتح له من آفاق التفكير والممارسة .

= تربية تعد الإنسان إعداداً إنسانياً ناضجاً لممارسة الحياة بالطريقة
ي يرسمها ويخطط أبعادها الإسلام ، لأن الحياة في نظر الإسلام : عمل
اء ، وعطاء ، وتنافس في الخيرات ..

= تربية تجعل الشخصية الإسلامية شخصية متزنة ، لا يطغى على
قفها الانفعال ، ولا يسيطر عليها التفكير المادي ، ولا الانحراف
كري المتأتى من سيولة العقل وامتداد اللامعقول ..

= تربية تبنى الإنسان على أساس وحدة ، فكرية ، وسلوكية ،
اطفية ، متماسكة .. على أساس من التنسيق والتوافق الفكري ،
عاطفي ، والسلوكي ، الملتزم ، الذي لا يعرف التناقض ، ولا الشذوذ .

= تربية تجعل الإنسان المسلم يشعر دوماً أنه مسئول عن الإصلاح ،
نه يجب عليه أن ينهض بمسئوليته ، ويقود نحو شاطئ العدل والسلام .

= وإن أمتنا تتطلع إلى غد مشرق ، والتطلع يحتاج إلى علم وعمل ،
جهود بناءة تكون علامات مضيئة في الطريق .

••• • •••

قضية « المصادر » و « المراجع »

[الحلقة الثانية]

دكتور ظفر الإسلام خا

المصدر لا يكون غير منشور بالضرورة :

وليس من الضروري البتة أن أهم مصادرك ستكون مخطوطة وغير منشورة .. ومن الخطأ الظن أن المخطوط أهم - بالضرورة - من المطبوع إلا أن الوثيقة المطبوعة أو المخطوط المطبوع لهما مشكلاتهما هما الآخر . فقد تدخل في النص شخصان هما محقق المخطوط ومصحح المطبعة وقد يسقط المحقق جزءاً من النص بدون علامة تدل على ذلك لظنه أن جزء لا أهمية له . وقد يدمج وثيقتين في وثيقة واحدة لظنه أنه يتعلقان بموضوع واحد . هذا إلى جانب أخطاء التصحيف . ولو كن تستخدم نسخة مطبوعة من مخطوط فلا بأس بأن تراجعها على الأصل إ أمكن . ولو فعلت ذلك فقد تكتشف مفارقات مذهلة .

ولو كنت تستخدم ملخصات لوثائق أو مقالات أو كتب أو رسائل فلا ب لك من الرجوع إلى الأصل وذلك لأن هذه الملخصات لا تخلو من عصب وأفكار مسبقة وأهداف يحملها الشخص الذي قام بالتلخيص . وينبغ عليك أن تعرف ما هو الدافع وراء التلخيص وقد تكتشف هذا بقرا المقدمة .

ولو كنت تنقل عن ملخص أو نسخة منسوخة عن الأصل ولم تر الأص نفسه . فيجب عليك أن تشير بالصراحة بأنك تنقل عن الملخص *النسخة المنسوخة وليس الأصل . وهذا ليس فقط من باب الأمانة الع*

بل هو سيحميك كذلك لو كان هناك خطأ في التلخيص أو النسخ .

وهناك أسئلة ينبغي أن تسألها وأنت تتناول مصدراً أساسياً أو وثيقة من الوثائق : ما غرض كتابته ؟ وما هي الأدلة ومصادر المعلومات التي كانت متاحة لكاتبه ؟ وما هي الأفكار المسبقة التي صنعت للكاتب فكره ونظرته وعالمه ؟ والأجوبة على هذه الأسئلة ستحدد لك أهمية ذلك المصدر أو الوثيقة . وعليك أن تكون ملما أيضاً بأسلوب عمل من سبقوك من كتاب في مجالك . وما هي المصادر والأدلة التي كانت متاحة لهم وكيف استخدموها . وماذا كانت أهداف الكتاب في تلك الفترة . وكيف ألفت بعض أهم الأعمال في تلك الفترة « مثلاً : بواعز ذاتي . أو لاتخاذ موقف تجاه قضية مثارة . أو بتكليف من شخص أو جهة أو سلطة » .

ولا تقبل ما تقوله المصادر على علاته .. حاول أن تكشف إن كانت للكاتب نزعات طائفية أو مذهبية أو دينية أو عداءاً شخصياً للبعض (خصوصاً لمعاصريه) . وكن يقظا لإدارك أي شئ خاص يؤثر في اتجاهات الكاتب وتفسيره لما يتناوله من أحداث أو أفكار . وأحياناً تكون هذه الاتجاهات المذهبية والعقائدية واضحة بدون لبس . بينما تكون خافية في معظم الأحايين .

وانحياز كاتب أو مؤرخ لجانب ضد آخر قد لا يكون مكشوفاً في بعض الأحايين مثل برود ابن الأثير تجاه صلاح الدين الأيوبي والأيوبيين بصفة عامة وذلك لولائه لآل زنكي الذين كان صلاح الدين قد أطاح بهم ليستولى هو نفسه على الحكم في ربيع الأول سنة ٥٧٠هـ . (أكتوبر ١١٧٤م) .

ونعود إلى قضية المصادر فنضيف أنه ليس كل كتاب مطبوع أو حتى مخطوط جدير بالاعتماد عليه . فعليك أن تستخدم عقلك ومعاييرك لتقييم العمل الذي يقع بين يديك . وأذكر لكم . على سبيل المثال . أنني

حين بدأت بحثي لرسالة الدكتوراة بجامعة مانجستر عن « الهجرة في الإسلام » لم أجد خلال بحثي في الهند ومصر وبريطانيا سوى كتاب واحد يتناول مباشرة القضية - أي فلسفة الهجرة في الإسلام - التي كنت أبحثها . إلا أنه اتضح لي بعد قراءة الكتاب أنه سقيم من كل النواحي الفنية والعلمية كما أنه مسروق من كتابات بعض المؤلفين الذين سبقوا المؤلف فتناولوا قضية الهجرة في مختلف أعمالهم .. وبالتالي لم أعتمد على هذا الكتاب . بل لم أقتبس منه حتى فقرة واحدة . وقد أشرت إلى هذا في مقدمة رسالتي في معرض الحديث عن مصادري (ص/ xix) .

وينبغي بسرعة ، وأنت في بداية بحثك ، أن تتعرف على مصادرك ومراجعك . وأين يمكنك الاطلاع عليها . ولأجل هذا يجب عليك فحص الكتالوجات وأدلة الوثائق الحكومية والخاصة . والببليوجرافيات إلخ ، التي سنذكرها في مكانها .

والغرض من هذا هو أن تصل إلى المواد التي تريدها بسرعة وبدون إضاعة وقتك الثمين . ولو أمكنك تصويرها فالأفضل أن تحصل على صور أو ميكروفيلم أو ميكروفيش المواد الهامة التي تحتاج إليها ، بدل القعود ساعات طويلة في المكتبات وأنت تنقل منها على البطاقات .. وفي حالة اكتشافك أي خطأ ستضطر إلى العودة مرة أخرى إلى تلك المكتبة .. بينما لو صورت ما تريد فسيكون بإمكانك الرجوع بسرعة في مكتبتك الخاصة إلى ما تريده .

وعليك أن تراسل المكتبات والشخصيات الأجنبية التي تعتقد أن لديها مواد تتعلق بدراستك (وستجد أن العربيين يسارعون إلى الرد عليك بينما الشرقيون لا يتكلفون عناء الرد عموماً) .

المكتبات :

وجودك الجغرافي سيحتم عليك استخدام المكتبة العامة الكبيرة في

ـنطقتك . فلو كنت في القاهرة يمكنك الاستفادة من دار الكتب المصرية
مكتبات جامعات الأزهر والقاهرة وعين شمس (وحتى الجامعة الأمريكية
ميدان التحرير بإذن خاص) إلى جانب مكتبات مختلف الكليات . وهناك
كتبات متخصصة كالتي توجد في مقر جامعة الدول العربية بميدان
تحرير ومعهد الدراسات العربية بجاردن سيتي إلخ .. وهكذا لو كنت
ي لندن يمكنك الاستفادة من مكتبات عظيمة حقاً مثل المتحف
بريطاني ومكتبة مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية (SOAS) ومكتبة
لكتب الهندي .. وفي دهلي يمكنك الاستفادة من مكتبات (الجامعة الملية
لإسلامية) وجامعات دهلي و (جواهر لال نهرو) و (همدرد) إلخ ..

وعليك أن تكون مستعداً للسفر - إن أتاحت لك ظروفك - إلى مدن
بلاد أخرى للتزود من الذخائر التي توجد بمكتباتها والتي قد لا تتوفر
ي بلدك أو مدينتك .

وستجد في كتاب إسديل مكتبات العالم الوطنية (١) معلومات وافية
حول الخدمات التي توفرها المكتبات الوطنية في أنحاء العالم وكذلك
يمكنك الاستفادة بالطبعة الأخيرة من الدليل السنوي للمكتبات والمتاحف
المعارض الفنية (The Libraries Museume and Arts Galleries Year Book)
لذي يصدر (بلندن) و (نيويورك) سنوياً . و كتاب عالم المعرفة
(World of Learning) وهو دليل دوري ضخم تنشره دار (Europa) بلندن .
سيدلك على أهم المكتبات العامة في العالم وعناوينها . وستجد به كذلك
عناوين المعاهد العلمية في مختلف البلاد ويمكنك مراسلتها لمعرفة المراجع
عناوين الخبراء لو كانت اهتماماتها تقع ضمن اهتماماتك . وستجد
عند البحث أدلة (جمع : دليل) كثيرة حول مكتبات مختلف البلاد

---

(1) A J K. Esdaile National Libraries of the World (London 1957)

وخصوصاً في الغرب ، مثل بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، حيث توجد الخدمات المكتبية على أرقى مستوى ، ثم ستجد دليلاً أو أكثر تنشره المكتبات الكبيرة عما توفرها من خدمات وما نشرته من قوائم ببليوعرافية وما تقتنيه من نفائس المخطوطات والكتب المطبوعة النادرة ، وعلى سبيل المثال قد نشر المتحف البريطاني أدلة كثيرة منها :

= دليل لاستخدام عرفة المطالعة :

A Guide to the use of the Reading Room.

= كتالوغ الكتب العربية بالمتحف البريطاني :

A G. Ellis. Catalogue of the Arabic Books in the British Museum. London. I. 1894. II 1901. III Indexes by a> s> Fulton (1935)

= ملحق كتالوغ الكتب العربية المطبوعة بالمتحف البريطاني :

Fulton and Ellis. Supplementary catalogue of Arabic printed books in the British Museum (London 1926)

= كتالوع مجاميع المخطوطات :

T. C. Şkeat. Catalogue of the Manuscript Collections (London 1962).

= كتالوغ الكتب المطبوعة :

F. C. Francis. Catalogue of the Printed Books (London 1952).

= الكتب المطبوعة والمخطوطات الشرقية :

F. c> francis. Oriental Printed Books and Manuscripts (London 1951).

ونفس الشئ ينطبق على مكتبة المكتب الهندي ومدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية وغيرها من المكتبات البريطانية والأوربية والأمريكية الكبيرة والهامة ، فلكل منها كتالوغات مطبوعة خاصة بالكتب المطبوعة والمخطوطات والدوريات .. ولا داعي لذكرها هنا خوفاً من الإطالة وستجد تفاصيلها عند ما تبدأ البحث عنها .

ومعرفة اسم الكاتب ستساعدك على التوصل إلى الكتاب الذي في المكتبات الكبيرة . ولكنك قد تواجه صعوبات مع الأسماء العربية الإسلامية . إذ أن بعض المكتبات تسجل بطاقاتها باعتماد الاسم الأول

(الذي قد لا يكون مشهوراً) فقد تجد كتاب عمر فروخ تجديد التاريخ مسجلا تحت اسم « عمر فروخ » وليس « فروخ ، عمر » .. ولكن المكتبات الغربية قد أخذت تقلع عن هذا التقليد الذي يسبب المشكلات للباحثين الذين قد لا يعرفون اسم الكاتب بالكامل بل يعرفونه باسمه الأخير أو لقبه الذي اشتهر به .. أما بالنسبة للأسماء الأجنبية فكل المكتبات تعتمد اللقب أو الإسم الأخير لتسجيل بطاقاتها ولكن لا تنس تسجيل بقية الاسم كاملاً - إلى جانب اللقب أو على الأقل الأحرف الأولى منه - وإلا ستقع في مشكلات عند البحث عنه في الكتالوغات وذلك لأن الأسماء الغربية تتشابه كثيراً . مثلاً ستجد مئات الكتاب تحت اسم « سميث » (Smith) أو « ويلسون » (Wilson) وهنا لابد أن تعرف الأحرف الأولى للجزء الأول من اسمه مثل : (James, B) أو الاسم الكامل (James, Bernard) .

ويستحسن أن تقضي بضعة أيام في المكتبة الكبيرة المتاحة لك وأنت تتفصح مراجع القسم الذي يعنيك ، وستجد هذه الممارسة جد مفيدة .

وعليك كذلك أن تطلع على دليل المكتبة ، إن وجد ، وأن تتعرف عن كثب على كافة الخدمات التي تقدمها مكتبتك الجامعية ومختلف أقسامها ، وأن تسأل مدير المكتبة عما إذا كان بإمكانه أن يحجلب لك ميكروفيلم أو ميكروفيش لما لا يوجد عنده من كتب ورسائل جامعية وصور مقالات منشورة بالمجلات من مكتبات أخرى داخل البلاد وخارجها .. و وجود خدمة كهذه (يسمونها Inter-Library Loans أي « الاستعارات فيما بين المكتبات » في بريطانيا) ستوفر عليك عناء السفر إلى مدن وبلاد بعيدة . ويمكن لمدير المكتبة كذلك أن يشتري بناءاً على طلبك بعض المراجع المطلوبة التي لا توجد في المكتبة .

[يتبع]

الإمام النسائي وصناعته الحديثية في سننه

[الحلقة الرابعة]

الدكتور تقي الدين الندوي
أستاذ الحديث في جامعة الإمارات العربية

المبحث الثالث :

٥ - إن الإمام النسائي أحياناً يعقد ترجمتين ويخرج في كل باب حديثين مختلفين يبدو بينهما نوع من التعارض، ويبدو من صنيعه أحد أمرين :

الأول : إما يحاول أن يجمع بينهما كل حديث على محمل لا يتعارض مع الآخر فإن لم يتم له الأمر الثاني فيرى بأن أحدهما ناسخ، وثانيهما : منسوخ، ونضرب مثالاً على هذا :

أ - التوفيق بين الروايتين :

ترجم المصنف « باب غسل الكافر إذا اسلم » أخرج فيه حديث قيس بن عاصم : أنه أسلم فأمره النبي -ﷺ- أن يغتسل بماء وسدر وظاهر هذه الترجمة والحديث تقديم الإسلام على الغسل، ثم ترجم المصنف، « تقديم غسل الكافر إذا أراد أن يسلم » وذكر في الباب حديث قصة ثمامة بن أثال الحنفي، انتقل إلى نخل قريب فاغتسل .. الحديث (١) .

وثبت من هذا الحديث أنه لما أراد الإسلام اغتسل أولاً ثم أسلم، وهذا الذي عليه الفقهاء فقد قال النووي : تحت حديث الباب قال أصحابنا إذا أراد الكافر الإسلام بادر به ثم يغتسل .

والظاهر من هذا الباب تقديم الغسل على الإسلام، فيمكن أن يقال إن ميل المصنف فيه إلى ما ترجم أولاً، وأما هذه الترجمة، فليس الغرض

---

(١) سنن النسائي ج ١، ص/١٠٩

منها ترجيح تقديم الغسل ، بل هي من قبيل الاستفهام على طريق عنوان المسألة ، وما أورد فيه من الحديث الذي فيه تقديم الغسل لم يكن ذلك بأمر النبي -ﷺ- بل هو فعل ثمامة ، فلا يصح التمسك به . ومع ذلك سياق الروايات في تلك القصة مختلف ، ففي رواية أخرجها أحمد وابن خزيمة وغيرهما من حديث أبي هريرة أن ثمامة لما أسلم قال النبي -ﷺ- : خذوه إلى حائط بني فلان فمروه أن يغتسل (١) .

قال البيهقي بعد ذكر الروايتين المختلفتين ، ويحتمل أن يكون أسلم عند النبي -ﷺ- ثم اغتسل ودخل المسجد ، فاظهر الشهادة جمعاً بين الروايتين (٢) .

كما ذكر « باب ترك المرأة نقض ضفر رأسها » وأورد فيه حديث أم سلمة - رضي الله عنها - قالت : قلت يا رسول الله إني امرأة أشد ضفر رأسي أفأنقضها عند غسلها من الجنابة ؟ قال : إنما يكفيك أن تحثى على رأسك ثلاثة حثيات من ماء ثم تفيضين على جسدك ، ثم أورد « باب ذكر الأمر بذلك للحائض عند الاغتسال للاحرام » وأخرج فيه حديث عائشة - رضي الله تعالى عنها - فيه « فقال انقضي رأسك » (٣) .

حديث أم سلمة في الباب الأول دال على عدم وجوب نقض الضفائر ، وحديث عائشة في هذا الباب على خلافه ، فأشار المصنف إلى اختلاف المحملين بأن محمل حديث أم سلمة فهو غسل الحيض ، وأما حديث عائشة فورد في اغتسال الحائض عند الاحرام ، فالغسل الأول واجب ، والثاني للاستحباب لأجل التنظيف ، يناسبه نقض الضفائر والامتشاط (٤) .

---

(١) المنهل المورود : ج/١، ص/٢٤٤ ، وبلوغ المرام : ج/١ ، ص/٨٧ .
(٢) السنن الكبرى : ج/١ ، ص/١٧١ .
(٣) سنن النسائي : ج/١ ، ص/٣١-٣٢ .
(٤) انظر معارف السنن : ج/١ ، ص/٣٦٤ .

كما ذكر النسائي : « موقف الإمام إذا كانوا ثلاثة » وأورد فيه حديث عبد الرحمن بن الأسود عن الأسود وعلقمة قال : دخلنا على عبد الله نصف النهار فقال : سيكون أمراء يشتغلون عن وقت الصلاة فصلوا لوقتها ، ثم قام فصلى بيني وبينه . فقال هكذا رأيت رسول الله -ﷺ- » ثم ترجم إذا كانوا ثلاثة وامرأة وأورد فيه حديث أنس « فقام رسول الله -ﷺ- ، وصففت أنا واليتيم وراءه والعجوز من وراءنا فصلى لنا ركعتين ثم انصرف (١) . فقد أشار المصنف في الباب الأول بحديث ابن مسعود على أن الإمام يقوم بحذائهما لا يتقدمهما ، وأما في الباب الثاني : فاستدل بحديث أنس على أن يتأخر الاثنين عن الإمام . قال السندي : وعليه عمل أهل العلم ولهم فيه أحاديث أخر أقوى من هذا وحملوا الحديث السابق على أنه لعله -ﷺ- فعل لضيق المكان أحيانا أو على النسخ (٢) .

كما جمع المصنف حديث حذيفة - رضي الله عنه - إن النبي -ﷺ- أتى سباطة قوم فبال قائماً إلخ (٣) ، وعقد عليه الترجمة « باب الرخصة في البول في الصحراء قائماً » ثم أخرج حديث عائشة - رضي الله عنها - تحت « باب البول في البيت جالساً » قالت : من حدثكم عن رسول الله -ﷺ- بال قائماً فلا تصدقوه . ما كان يبول إلا جالساً ، فحمل النسائي حديث عائشة على البيت فإنها كانت عالمة بأحواله -ﷺ- في البيت ، فالمعنى من حدثكم أنه بال قائماً في البيت لا تصدقوه ، ومعلوم أن حديث حذيفة كان خارج البيت وهو مراده بالصحراء في الترجمة (٤) .

ب - *الترجمة على الأحاديث الناسخة والمنسوخة* :

ومن عادة النسائي أنه يعقد الباب ويذكر فيه الأحاديث المنسوخة ، ثم

---

(١) سنن النسائي ج/٢ ، ص/٨٤-٨٥

(٢) حاشية السندي ج/٢ ، ص/٨٥ ، وانظر الكوكب الدري ج/١ ، ص/٢٤٩

(٣) سنن النسائي : ج/١ ، ص/٢٥ .

(٤) انظر حاشية السندي على النسائي ج/١ ، ص/٢٧ .

يذكر باباً آخر ، فيورد فيه الأحاديث الناسخة ، ومن ذلك « باب الوضوء مما غيرت النار» أخرج فيه حديث أبي هريرة أنه قال : سمعت رسول الله -ﷺ- يقول : توضأوا مما مست النار (١) ثم عقد باب ترك الوضوء مما غيرت النار ، وأخرج فيه حديث أم سلمة أن رسول الله -ﷺ- أكل كتفا فجاء بلال فخرج إلى الصلاة ، ولم يمس ماء ، فيه كناية عن ترك الوضوء فكأنه ترك الوضوء فغسل اليدين لبيان الجواز ، ثم ذكر في آخر الباب حديث جابر بن عبد الله ، قال كان آخر الأمرين من رسول الله -ﷺ- ترك الوضوء مما مست النار . قال السندي : هذا نص في النسخ ولو لا هذا الحديث لكانت الأحاديث متعارضة (٢) .

كذلك ذكر المصنف « باب وجوب الغسل إلى التقى الختانان » (٣) وأخرج حديث أبي هريرة أن رسول الله -ﷺ- قال : إذا جلس بين شعبها الأربعة ثم اجتهد فقد وجب الغسل ، ويعارضه الحديث « الماء من الماء » فأخرجه النسائي تحت « باب الذي يحتلم ولا يرى الماء (٤) .

قال السندي : ذهب الجمهور إلى أن حديث الماء بالماء منسوخ يقول أبي ابن كعب قال : كان الماء من الماء في أول الإسلام ، ثم ترك بعده ، وأمر بالغسل إذا مس بالختان ، وقال ابن عباس حديث الماء من الماء في الاحتلام لا في الجماع وإليه أشار المصنف في الترجمة توفيقاً بين الأحاديث ، لكن رُد لأن مورد الحديث الجماع لا الاحتلام كما جاء في صحيح مسلم صريحاً ، قال الإمام النووي : اعلم أن الأمة مجتمعة الآن على وجوب الغسل بالجماع وان لم يكن إنزال ، وعلى وجوبه بالانزال ، وكانت جماعة من الصحابة على

---

(١) سنن النسائي : ج/١ ، ص/١٠٥ .
(٢) شرح السندي : ج/١ ، ص/١٠٨ ، وانظر عمدة القاري : ج/١ ، ص/٨٤٩ ، والمسوى والمصفى : ج/١ ، ص/٢٧ . (٣) سنن النسائي : ج/١ ، ص/١١٠ .
(٤) سنن النسائي : ج/١ ، ص/١١٥ .

أنه لا يجب إلا بالإنزال ثم رجع بعضهم وانعقد الاجماع بعد الآخرين ، ثم قال : وأما حديث الماء من الماء فالجمهور علىٰ انه منسوخ (١) .

٦- ***سبب التكرار في بعض التراجم :***

قد وقع تكرار في مواضع من هذا الكتاب ، لا سيما في أوائل الكتاب ، فقد ترجم المصنف من كتاب المياه (٢) ، إلى كتاب الصلاة (٣) بثلاث تراجم ، الأولى : كتاب المياه من المجتبى ، والثانية : كتاب بدأ الحيض والاستحاضة (٤) ، والثالثة : كتاب الغسل والتيمم (٥) ، وقد تقدم أكثر الأحاديث الواردة فيها وكذا تراجم الأبواب كما ترى ، وهذا مما يوجب تشويش البال لناظري الكتاب ، وقد أجاب عن هذا التكرار العلامة السندي -رحمه الله- وحاصل كلامه : الفرق من حيث القصد والاستقلال ، والتتبع والاستطراد يعني أن ما ذكره المصنف قبل ذلك من أول الكتاب إلى ههنا إنما عني المصنف به تفسير الآية الكريمة التي ذكرها في مبدأ الكتاب وجعلها عنوانا وترجمة لكتاب الطهارة ، وهي قوله تعالى : ﴿ إذا قمتم إلى الصلاة فاغتسلوا وجوهكم إلخ ﴾ وقد تضمنت الآية بيان الوضوء والغسل والتيمم فذكر المصنف الأحاديث المتعلقة بهذه الأمور الثلاثة المذكورة بهذه الحيثية أي بقصد التفسير والتأويل ، وقد جاء في ضمن هذه الأحاديث أحكام المياه والوضوء والغسل لكن لا قصداً بل تبعاً ، فالمصنف يذكر هذه الأحكام في كتاب الغسل والتيمم على وجه الاستقلال ، وذكر بعض ما فات من أبحاثهما (٦) . [يتبع]

---

(١) شرح صحيح مسلم : ٤/٢٦ ، طبع دار الفكر .
(٢) سنن النسائي ، ج/١ ، ص/١٧٢ . (٣) سنن النسائي ، ج/١ ، ص/٢١٧ .
(٤) سنن النسائي ج/١ ، ص/١٨٠-١٩٦ .
(٥) سنن النسائي : ج/١ ، ص/١٩٧-٢١٦ .
(٦) سنن النسائي ج/١ ، ص/١٩٧

بين الضعيف والموضوع

من الأحاديث

(الحلقة الأولى)

بقلم الشيخ عبيد الله الأسعدي
عضو هيئة التدريس بالجامعة العربية ، هتورا ، بانده (الهند)

١ - يعاملون الضعيف معاملة الموضوع :

نرى كثيراً من الباحثين اليوم أنهم يضعون الضعيف من الأحاديث مع الموضوع منها ، في كفة واحدة ، ولا يفرقون بينهما بشئ ، فهما كالمترادفين عندهم ، ولذا فإنهم يمرون بالضعيف مرور الكرام ، لا يلقون إليه بالاً ولا يقفون عنده لمحة .

٢ - والحقيقة امتياز أحدهما عن الآخر :

والحقيقة أنهما - مع علاقة خاصة قريبة قوية بينهما - يمتاز أحدهما عن الآخر بوجوه ، ولنا أن ندعى الإجماع على عدم ترادفهما ، وأنهما ليسا في درجة واحدة من الأهمية والقبول ، كما قد جلى ذلك المحدثون والأئمة من هذا الشأن ، الذين ذكروا لكل منهما أحكاماً تخص بهما .

٣ - ما هي العلاقة بينهما ؟

أما العلاقة بينهما فهي علاقة العموم والخصوص ، فإن الضعيف عام يشمل ويضم أنواعاً كثيرة بلغت عشرات ، بل تزيد على مائة في إحصاء البعض (١) .

---

(١) ذهب المناوى إلى انها ١٢٩ نوعاً ، عقلاً (تدريب الراوي : ١/١٧٩) وبلغ عددها إلى ٥١٠ في احصاء الشيخ محمد السماحي ، كما ذكر الدكتور نور الدين عتر وقال مع امكان الزيادة (منهج النقد : ص/٢٨٧) .

٤ - الموضوع وحكمه إجمالاً :

والموضوع أحد تلك الأنواع الكثيرة - ولا شك أنه أشدها ضعفاً وأسوأها حالاً ورتبة (١) بحيث لا يجوز لنا روايته إلا إذا احتجنا إلى بيان حقيقته وحاله فجاز لنا حينئذ روايته بشرط أن نذكر وصفه والحكم عليه بالوضع (٢) .

٥ - الضعيف وحكمه إجمالاً :

أما الضعيف المطلق فلا كذلك ، قال الإمام السيوطي : « إذا قيل - هذا حديث غير صحيح - فمعناه لم يصح إسناده على الشرط المذكور ، لا أنه كذب في نفس الأمر ، لجواز صدق الكاذب و إصابة من هو كثير الخطأ » (٣) .

ولذا فلم يزل العلماء يروونه ويذكرونه في معرض الاستدلال احتجاجاً واستشهاداً ، وتأييداً وترجيحاً ، وحكمه يختلف من حكم الموضوع ، فقد ذكر الشيخ ظفر أحمد التهانوي في كتابه : « قواعد في علوم الحديث » .

« يجوز عند العلماء التساهل في أسانيد الضعيف من غير بيان ضعفه في المواعظ والقصص وفضائل الأعمال لا في صفات الله تعالى واحكام الحلال والحرام » (٤) .

وقال ابن الصلاح : « يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في

---

(١) (تدريب الراوي : ١/٢٩٥) « شر الضعيف الموضوع وهذا أمر متفق عليه .

(٢) (مقدمة ابن الصلاح : ص/٤٧) .

(٣) (تدريب الراوي : ١/٧٥-٧٦) .

(٤) (قواعد في علوم الحديث : ص/٢٦) وللتفصيل في الموضوع راجع « الأجوبة الفاضلة » للعلامة عبد الحي اللكنوي : ص/٢٦-٥٩ .

الاسانيد ورواية ما سوى الموضوع » (١) .

كما ذكر التهانوي ناقلا من كتاب « التعليق الحسن » : « الضعيف يكفي للاعتضاد » وأيضا : « الضعيف يصلح للتقوية » (٢)

وقال السيوطي في تدريبه : « لا بدع في الاحتجاج بحديث له طريقان ، لو انفرد كل منهما لم يكن حجة » (٣) .

وذكر الملا علي القارئ في « موضوعاته الكبير »

قال الحافظ جلال الدين السيوطي : « اتفق علماء الحديث على انه لا يحل رواية الموضوع بخلاف الضعيف فإنه يجوز روايته في غير الأحكام والعقائد وممن جزم بذلك النووي وابن جماعة والطيبي والبلقيني والعراقي » (٤) .

وقال الإمام ابن القيم في كتابه : « تحفة المودود » في صدد تفسير قوله تعالى : ﴿ ذلك أدنى أن لا تعولوا ﴾ (٥) .

روت عائشة عن النبي -ﷺ- ﴿ أن لا تعولوا ﴾ ، قال لا تجوروا .. وهذا المروي عن النبي -ﷺ- ولو كان من الغرائب ، فإنه يصلح للترجيح » (٦).

٦ - بعض ما جاء في الصحيحين بنوع ضعف :

ولذلك نرى الشيخين الإمامين البخاري ومسلما - رحمهما الله تعالى - مع جلالة قدرهما واشتراط ما اشترطا على أنفسهما في كتابيهما

---

(١) (النكت على كتاب ابن الصلاح : ص/٨٨٧) (مقدمة ابن الصلاح : ص/٤٩) .

(٢) (قواعد في علوم الحديث : ص/٦٨) من (التعليق الحسن : ١/٨٧ و ٢/٤٨)

(٣) (تدريب الراوي : ١/١٦٠) .

(٤) (الموضوعات الكبرى : ص/٩) .

(٥) سورة النساء ، الآية : ٣ .

(٦) (تحفة المودود : ص/١٥-١٦) .

الصحيحين ، إنهما جاءا فيهما ببعض الضعاف ولو تبعاً وبعض ما يروي الذين اجمعوا على ضعفهما متابعة أو مقرونا بغيره أو اعتضاداً (١) .

قال الحافظ ابن حجر في مقدمته بشرحه على الصحيح للبخاري : وق سماها بـ « الهدى الساري » ، في ترجمة أحمد بن يزيد بن إبراهي الحراني .

قال أبو حاتم ضعيف الحديث أدركته ولم أكتب عنه ، قلت : « أ الحافظ ابن حجر» روى له البخاري حديثاً واحداً في علامات النبو متابعة » (٢) .

٧- رواية البخاري عمن لم يرو فيه عن أحد توثيقه :

وقال الحافظ ابن حجر في ترجمته : « اسيد بن زيد الجمال » : « لم أ لأحد فيه توثيقاً ، وقد روى عنه البخاري في كتاب الرقاق حديثاً واحـ مقروناً بغيره » (٣) .

قال التهانوي بعد ان نقل قول الحافظ المذكور :

« فمن روى عنه صاحب الصحيح مقروناً بغيره قد يكون ضعيفاً مجمـ على ضعفة » (٤) ، أقول ومثل هؤلآء الرواة الذين يروى عنهم البخار مقروناً بغيرهم عدد كبير ، منهم « اسباط ابو اليسع » و « إسحاق ب سويد » و « إسحاق بن محمد بن إسماعيل الفردي » (٥) .

---

(١) راجع لذلك (الهدى الساري) مقدمة فتح الباري ، (قواعد في علوم الحديث ص/٢٨٩) .

(٢) (الهدى الساري : ص/٤٠٦) .

(٣) (الهدى الساري : ص/٤١١) .

(٤) (قواعد في علوم الحديث : ص/٢٤٦) .

(٥) (الهدى الساري : ص/٤٠٨-٤٠٩) وراجع لبعض ذلك ، التتمة الراد لتعليقات شيخنا عبد الفتاح أبي غده - حفظه الله - على « الموقظة » للإ الذهبي .

٨ - معلقات البخاري :

قال الإمام النووي في كتابه « التقريب » : « إن معلقات الإمام البخاري لتي وردت بصيغة الجزم صحيحة ، وأما التي لم ترد منها كذلك ، فقال : « وليس بواه لإدخاله في الكتاب الموسوم بالصحيح » (١) .

وقال الحافظ ابن حجر في مقدمته وهو يتكلم في معلقات البخاري : « الصيغة الأولى - أي صيغة الجزم - يستفاد منها الصحة إلى من علق منه ، لكن يبقي النظر فيمن أبرز من رجال ذلك الحديث فمنه ما يلتحق بشرطه ومنه مالا يلتحق .. وأما مالا يلتحق بشرطه فقد يكون صحيحاً على شرط غيره ، وقد يكون حسناً صالحاً للحجة ، وقد يكون ضعيفاً لا من جهة قدح في رجاله بل من جهة انقطاع يسير في إسناده » (٢) .

٩ - معلق منقطع عند البخاري :

قال الحافظ ابن حجر ، وهو بصدد تفصيل ما ذكر في ما ورد من معلقات البخاري بصيغة الجزم :

« ومثال التعليق الجازم الذي يضعف بسبب الانقطاع ، قوله في كتاب الزكاة : وقال طاؤوس قال معاذ (يعني ابن جبل - رضي الله عنه-) لأهل اليمن : ائتوني بعرض ثياب خميص أو لبيس في الصدقة مكان الشعير والذرة ، أهون عليكم وخير لأصحاب محمد -ﷺ- (٣) .

هذا الحديث منقطع لأن طاؤوساً لم يسمع من معاذ - رضي الله عنه -

(١) (التقريب مع التدريب : ١/١٢١) .

(٢) (الهدى السارى : ص/١٧) ملخصا .

(٣) (النكت على ابن الصلاح : ج/١ . ص/٣٢١) (الهدى السارى : ص/١٨) (تدريب الراوي : ١/١١٩) .

ورواه يحيى بن آدم في كتاب الخراج له بسنده موصولا إلى طاؤوس عن معاذ ، كما ذكره الحافظ في النكت وفتح الباري (١) ، ولم يثبت - بأي طريق ولا في أي كتاب فيما علمت - اتصاله بين طاؤوس ومعاذ بثبوت الواسطة وصراحة من سمع منه طاؤوس هذا الحديث عن معاذ ، فهو منقطع ومن هذه الجهة ضعيف ، ولذا قال الحافظ بعد أن ذكر انقطاعه .

« فلا يغتر بقول من قال : ذكره البخاري بالتعليق الجازم فهو صحيح عنده ، لأن ذلك لا يفيد إلا الصحة إلى من علق عنه وأما باقي الإسناد فلا » (٢) .

إلا أن الحديث مقبول وذلك لأن ضعفه منجبر بأمر آخر (٣) ، قال الحافظ ابن حجر : « ان إيراده - أي البخاري - له في معرض الاحتجاج به يقتضي قوته عنده - أي البخاري - وكأنه عضده عنده الأحاديث التي ذكرها في الباب » (٤) . وأيضاً إسناده صحيح إلى طاؤوس (٥) وكان طاؤوس عالماً بأمر معاذ وإن كان لم يلقه (٦) .

---

(١) (النكت : ص/ ٣٢٢) (فتح الباري : ٢/ ٢١٢) .

(٢) (فتح الباري : ٢/ ٢١٢) .

(٣) (الهدى الساري : ص/ ١٨)

(٤) (فتح الباري : ٢/ ٢١٢) .

(٥) (النكت : ص/ ٣٢٢) (فتح الباري . ٢/ ٢١٢) .

(٦) (تلخيص الحبير : ٢/ ١٦٠) - والحافظ فصل الكلام في معلقات البخاري في الفصل الرابع من الهدى الساري وفي النكت أيضاً وآخر كلامه في النكت - « فقد لاح بهذه الأمثلة واتضح ان الذي يتقاعد عن شرط البخاري في التعليق الجازم جملة كثيرة وان الذي علقه بصيغة التمريض متى أورده في معرض الاحتجاج والاستشهاد فهو صحيح أو حسن أو ضعيف منجبر وان اورده في معرض فهو ضعيف عنده وقد بينا انه يبين كونه ضعيفاً » (النكت : ١/ ٣٤٢) .

١ - حديث منقطع في صحيح الإمام مسلم :

وقد رأينا الإمام مسلما انه روى أثر عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - في دعاء الاستفتاح للصلاة » وذلك في باب عدم الجهر بالبسملة من كتاب الصلاة » بلفظه بسنده :

« عن عبدة ان عمر بن الخطاب كان يجهر بهؤلاء الكلمات يقول سبحانك اللهم إلخ » .

قال الإمام النووي في شرحه :

« وعبده هذا هو ابن أبي لبابة وهو لم يسمع من عمر (١) .

وقال الحافظ في التلخيص

« في إسناده انقطاع » (٢) .

قال المباركفوري - بعد أن ذكر الإيراد على الإمام مسلم بأنه كيف روى هذا المنقطع ؟ مع انه خلاف شرطه ولو استطراداً - مجيباً عن هذا الإيراد .

« أخرجه استطراداً . ومقصوده الأصلي الحديث الذي بعده وهو صحيح متصل . وإنما فعل هذا لأنه سمعه هكذا فأداه كما سمع » .

ثم قال المباركفوري : « ولهذا نظائر كثيرة في صحيح مسلم وغيره ولا إنكار في هذا كله » (٣) .

---

(١) (شرح النووي على مسلم) كتاب الصلاة ، باب عدم الجهر بالبسملة : ١١١/٤ . (٢) (تلخيص الحبير ١/٢٤٤) .

(٣) (تحفة الأحوذي ٢/٤٩) ونحوه في (شرح النووي) أيضاً ٢/١١٢ . وراجع بعض هذا أواخر كتاب (قواعد في علوم الحديث) و (الموقظة) مع تعليقات الشيخ عبد الفتاح أبي غدة عليهما وأيضاً مباحث المعلقات والمراسيل التي جاءت في الصحيحين من التدريب والنكت وغيرهما .

وقد ألف الحافظ رشيد الدين العطار في مثل هذه الأحاديث عند الإمام مسلم في كتابه الصحيح باسم : « الفوائد المجموعة في شأن ما وقع في مسلم من الأحاديث المقطوعة » كما ألف الحافظ ابن حجر كتبا في معلقات الإمام البخاري .

١١ - حديث منكر في صحيح الإمام مسلم :

روى الإمام مسلم . في فضائل أبي سفيان بن حرب من كتاب الفضائل ، بسنده إلى ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - قال :

« كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه فقال للنبي - ﷺ - : يا نبي الله ثلاث أعطينهن ، قال : نعم ، قال : عندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها ، قال : نعم ، قال : ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك . قال : نعم . قال : تؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال : نعم .

فهذا الحديث بما اشتمل عليه موضع بحث وجدال عند المحدثين والمحققين قبولاً . ورداً وتصحيحاً وتوجيهاً ، قال الذهبي في ترجمة عكرمة بن عمار .

« وفي صحيح مسلم قد ساق له أصلاً منكراً عن سماك الحنفي عن ابن عباس في الثلاث التي طلبها أبو سفيان » (١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :

« *غلطه في ذلك طائفة من الحفاظ* » (٢) .

---

(١) (ميزان الاعتدال : ٢/٩٢) .

(٢) *(قواعد في علوم الحديث ص/٢٨٩) من « قاعدة جليلة في التو[سل] والوسيلة ص ٨٦ » و (مجموع الفتاوى ١/٢٥٦) كلاهما لشيخ الإسلام .*

وقال تلميذه النابغ الإمام ابن القيم في كتابه : « جلاء الافهام في الصلاة والسلام على خير الأنام » : « الصواب أن الحديث غير محفوظ بل وقع فيه تخليط » (١) .

وقد مال هو وابن كثير في « البداية والنهاية » إلى وقوع الخطاء من أحد الرواة فسمى أم حبيبة بدل أختها « عزة » (٢) .

ونقل الإمام النووي في شرحه عن ابن حزم قوله :

« هذا الحديث وهم من بعض الرواة لأنه لا خلاف بين الناس أن النبي - ﷺ - تزوج أم حبيبة قبل الفتح بدهر وهي بأرض الحبشة وأبوها كافر».

وفي رواية عن ابن حزم أنه قال :

« موضوع » - والآفة فيه من عكرمة بن عمار الراوي عن أبي زميل .

ولم ينقل الإمام النووي فيه شيئاً من عند نفسه غير أنه ذكر الإشكال وبعض الكلام فيه من القاضي عياض وابن حزم ، ورد ابن الصلاح على ابن حزم في قوله وختم كلامه بقوله :

« لعله -ﷺ- أراد بقوله : نعم ، أن مقصودك يحصل وإن لم يكن بحقيقة عقد » (٢) .

١٢ - أنواع من الضعيف يقبلونها في الجملة :

نرى من بين أنواع الضعيف أشياءً قد قبلوها أو قبلها الأئمة في

---

(١) (قواعد في علوم الحديث : ص/٢٨٨) من (جلاء الافهام : ص/١٦٨ .

(٢) نفس المصدر : ص/٢٨٨ .

(٢) (شرح النووي على مسلم : ١٦/٦٢-٦٤) وراجع للتفصيل فيما قالوه في هذا الحديث (جلاء الافهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ، لابن القيم ص/١٥٩-١٦٨) و (زاد المعاد : ١/٥٢-٥٦) و (البداية والنهاية : ٤/١٤٢-١٤٥) و (شرح المذاهب اللدنية ، للزرقاني : ٢/٢٤٢-٢٤٥) .

الجملة وربما يصححونها منها :

١ - المعلق .　　٢ - والمرسل .　　٣ - والشاذ .

١ - المعلق ، ضعفه وقبوله من البخاري :

الحديث المعلق وهو الذي حذف سنده من بدايته ، ضعيف اتفاقاً في أصله ، لحذف السند منه أو رواة من سنده ، ومع ذلك قبلوه من البخاري وقد تقدم ما قال فيه النووي والحافظ ابن حجر .

٢ - المرسل ، ضعفه وقبوله عند الأئمة :

أما المرسل فضعفه ومع ذلك قبوله والعمل عليه عند الأئمة فهو في غنىً ، عن أن أذكره هنا ، فإن المرسل بالاصطلاح المعروف عند المحدثين مقبول عند الفقهاء قاطبة ، منهم الأئمة الأربعة ، وأشدهم في رده الإمام الشافعي لكنه أيضاً يقبله مع شروط يسيرة سهلة (١) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - عليه الرحمة - :

« المراسيل قد تنازع الناس في قبولها وردها ، وأصح الأقوال أن منها المقبول ومنها المردود ومنها الموقوف . فمن علم من عالم انه لا يرسل إلا عن ثقة قبل إلخ » (٢) .

وقال الإمام الذهبي في « الموقظة » :

« يقع في المرسل الأنواع الخمسة الماضية » (٣) .

---

(١) (قواعد في علوم الحديث : ص/٨٥) وما بعد و (نزهة النظر : ص/٤١-٤٢) وراجع مباحث المرسل من عامة كتب مصطلح الحديث قديماً وحديثاً منها (النكت على كتاب ابن الصلاح : ص/٥٤٠-٥٧١) (الرسالة : ص/٤٦٢-٤٦٤) .

(٢) (منهاج السنة : ٤/١١٧) .

(٣) (الموقظة : ص/٣٨) .

ويعني بالأنواع الخمسة الصحيح والحسن والضعيف والمطروح والمقبول التي تقدم ذكرها في كتابه :

« وبلغ الأمر من قبوله والاعتماد عليه إلى أن اطلقوا الحكم - بعد التشبت - في قبول مراسيل بعض التابعين منهم الشعبي والنخعي وابن المسيب » (١) .

وأيضاً ليس من حكم المرسل عند الجمهور ، رده مطلقاً بل الأمر كما ذكر العلامة شبير أحمد العثماني في مقدمة شرحه على الصحيح للإمام مسلم الموسوم بـ « فتح الملهم » :

« إن عرف من عادة التابعي الذي أرسل الحديث انه لا يرسل إلا عن ثقة فمذهب الجمهور التوقف فيه لاحتمال أن يكون من أرسل عنه ضعيفاً عند غيره .. واحتمال .. أن يكون الإرسال في ذلك الموضع جرى على خلاف عادته بسبب ما » (٢) .

وجاء في « قفو الأثر» لابن الحنبلي :

« ذهب جمهور المحدثين إلى التوقف » (٣) .

[يتبع]

---

(١) راجع لبعض التفصيل (قواعد في علوم الحديث : ص/٩٢) وما بعد (الموقظة : ص/٣٨-٤٠) .

(٢) (فتح الملهم : ١/ ٢٢) .

(٣) (قفو الأثر : ص/ ١٤) .

تعريف وجيز
بمسانيد الإمام أبي حنيفة النعمان وأصحابها

للمحدث الجليل فضيلة الشيخ عبد الرشيد النعماني

[الحلقة الثانية]

تعريب : بلال عبد الحي الحسني الندوي

١٢ - الحافظ ابن القيسراني ، أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي القدسي المعروف بابن القيسراني ، ولد في سنة ٤٤٨هـ ، وتوفي في ربيع الأول سنة ٥٠٧هـ ، كان من كبار حفاظ الحديث ، تجول في طلب الحديث كثيراً حتى نزف الدم في بوله لأنه كان يسافر حافياً بغير مركب .

أطنب الذهبي في ترجمته في تذكرة الحفاظ وبدأها بهذه الألفاظ « محمد بن طاهر بن علي الحافظ العالم المكثر الجوال » ويقول الحافظ ابن شيرويه في « تاريخ همذان » « كان ثقة حافظاً عالماً بالصحيح والسقيم حسن المعرفة بالرجال والمتون كثير التصانيف » .

جمع أطراف أحاديث الإمام أبي حنيفة في كتاب ذكره في آخر كتابه الشهير « الجمع بين رجال الصحيحين » الذي طبع بدائرة المعارف بحيدرآباد الدكن الهند ، وجمع هذه الأطراف في نوع خاص من التصنيف في فن الحديث يجمع فيه أطراف الحديث البدائية مع سنده ، فيدل اسم كتاب ابن القيسراني أنه جمع اطراف أحاديث الإمام أبي حنيفة من مسانيده .

١٢ - الحافظ ابن خسرو ، أبو عبد الله حسين بن محمد بن خسرو البلخي نزيل بغداد (م ٥٢٢هـ) محدث كبير ، أخذ الحديث عن الحافظ ابن

عساكر .

يقول الذهبي في الميزان : « محدث مكثر» ويقول الحافظ ابن النجار في ذيله على تاريخ بغداد : « أبو عبد الله السمسار الحنفي مفيد أهل بغداد في وقته . سمع الكثير» ثم ذكر شيوخه وقال : « وبالغ في الطلب حتى سمع من طبقة دون هؤلآء وكتب الكثير من الكتب لنفسه ولغيره ، وكان مفيداً للغرباء وجمع مسند أبي حنيفة » .

وكان يمتاز في الفقه . يقول ابن النجار عنه « فقيه أهل العراق ببغداد في وقته » (١) .

له مسند أكبر من مسندى الإمام الحارثي الحافظ ابن المقرئ يقول الحافظ ابن حجر في مقدمة كتابه « تعجيل المنفعة » .

« وفي كتابه زيادات على ما في كتابي الحارثي وابن المقرئ » .

صنف الحافظ شمس الدين أبو المحاسن محمد بن على الحسيني (م ٧٦٥هـ) كتاباً بسيطاً في رجال الصحاح الستة وموطأ مالك ومسند الشافعي ومسنداً حمد ومسند أبي حنيفة وسماه « التذكرة برجال العشرة » فاختار فيه مسند أبي حنيفة للحافظ ابن خسرو من بين مسانيد الإمام أبي حنيفة الأخرى وذكر رجاله في كتابه .

١٤- مسند الدنيا . هو القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري الحلبي البزار المعروف بقاضي المرستان (٤٤٢-٥٣٥هـ) كذلك ذكره الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة شيخ الإسلام أبي القاسم إسماعيل الأصفهاني في وفيات سنة ٥٣٥هـ . وله ترجمة بسيطة في طبقات الحنابلة .

---

(١) انظر ترجمته في « الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية » للحافظ عبد القادر القرشي وجامع المسانيد للمحدث محمد بن محمود الخوارزمي .

محدث شهير . حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ولم تتغير حواسه وأنه بلغ من عمره إلى ثلاث وتسعين . كان يحدث عنه فيقول : « لم أتذكر أني أمضيت دقيقة من عمري في اللهو واللعب . كان جامعاً بين أشتات الفنون .

رد الحافظ ابن حجر في « لسان الميزان » في تذكرة الحافظ ابن خسرو على انه صنف مسند الإمام أبي حنيفة مع أن تلميذه الشهير الحافظ شمس الدين السخاوي يروى مسند القاضي بهذا السند « عن التدمرى عن الميدومي عن النجيب عن ابن الجوزي عن جامع المسند قاضي المرستان (١) . ويروى الحافظ عبد القادر القرشي في « الجواهر المضيئة » في ترجمة نصر بن سيار بن صاعد عن الحافظ السمعاني انه يقول : « سمعت منه الترمذي بروايته عن القاضي أبي عامر الجراحي عن المحبوبي عنه . وكتاب الأحاديث التي رواها الإمام أبو حنيفة - رضي الله عنه - جمع عبد الله بن محمد الأنصاري لجده القاضي صاعد بروايته عنه » وذكر المحدث الخوارزمي أسانيد هذا الكتاب المتعددة منه إلى قاضي المرستان في كتابه « جامع المسانيد » .

١٥ - الحافظ ابن عساكر . ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي الشافعي (٤٩٩-٥٧١هـ) مصنف شهير ومحدث كبير . بدأ الإمام الذهبي تذكرته بهذه الألفاظ : « ابن عساكر الإمام الحافظ الكبير محدث الشام فخر الأئمة . صاحب التصانيف والكتب » أخذ عن ثلاث مائة و ألف شيخ . ثمانون منهم نساء محدثات . ذكره الذهبي بالبسط والتفصيل .

ذكر مسنده المحدث الكوثري في مقدمة تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام الأشعري لابن عساكر والدكتور كرد على في مقدمة تاريخ

(١) انظر مقدمة نصب الراية للمحدث الكوثري .

دمشق لابن عساكر .

١٦ - المحدث عيسى الجعفري المغربي ، من المحدثين المتأخرين الكبار ، توفي في سنة ١٠٨٠هـ . يقول الإمام ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي عنه في كتابه « مشايخ الحرمين » أحد العلماء المتقنين وشيخ أهل الحرمين ومن أوعية الحديث » .

إنه وإن كان من المتأخرين ولكنه صنف مسند الإمام أبي حنيفة بالجد والاهتمام واختار شروطاً لكتابه ذكرها الإمام الدهلوي ، هو يقول :

« إنه صنف مسند الإمام أبي حنيفة ذكر فيه اتصال سنده منه إلى الإمام أبي حنيفة بذلك بطل قول من قال إن أسانيد الأحاديث انقطعت في هذا الزمان » (١) .

١٧ - الإمام الحارثي ، كان من كبار أئمة الحنفية ذكره الإمام الدهلوي في كتابه « الانتباه » بأنه كان من أصحاب الوجوه (٢) ، وقال انه كان مرجع الفقهاء الحنفية في عصره ، أخذ الفقه عن الإمام أبي حفص الصغير وهو أخذ عن والده الإمام أبي حفص الكبير وهو تلميذ شهير للإمام محمد - رحمه الله - .

يقول السمعاني عنه أنه رحل في طلب الحديث إلى خراسان والعراق والحجاز وادرك الشيوخ ، واعترف بفضله وسعة نظره ودقته في فن الحديث الشريف كبار العلماء والمحدثين ، يقول الحافظ الخليلي عنه « كان يعرف بالأستاذ ، له معرفة بهذا الشأن » ويقول السمعاني عنه « كان شيخاً مكثراً من الحديث ، وذكره الحافظ المؤرخ الإمام في فن الرجال شمس الدين الذهبي في وفيات ٣٤٠هـ في ترجمة قاسم بن أصبغ فقال :

(١) إنسان العين طبع دلهي : ص/٦ .

(٢) رتبة بين المجتهد في المذهب ، والمجتهد المطلق المنتسب .

« وفيها مات عالم ما وراء النهر ومحدثه الإمام العلامة أبو محمد عبد لّه بن محمد بن يعقوب بن الحارث الحارثي النجاري الملقب بالأستاذ ، بمع مسند أبي حنيفة الإمام وله اثنتان وثمانون سنة .

وأقر الحافظ ابن حجر في كتابه تعجيل المنفعة بأنه حافظ الحديث ، تتلمذ عليه كبار حفاظ الحديث كابن مندة وابن عقدة وأبي بكر جعابي وغيرهم .

ذكر المحدث الخوارزمي في كتابه « جامع المسانيد » مسند الحارثي قال : « ومن طالع مسنده الذي جمعه للإمام أبي حنيفة علم تبحره في لم الحديث وإحاطته بمعرفة الطرق والمتون .

ويقول ابن حجر في مقدمة تعجيل المنفعة « واعتنى الحافظ أبو حمد الحارثي وكان بعد الثلاث مائة بحديث أبي حنيفة فجمعه في مجلدة رتبه على شيوخ أبي حنيفة » .

واختصر مسند الحارثي كبار الأئمة والمحدثين ذكروا الأسانيد من لإمام أبي حنيفة إلى سيدنا رسول الله -ﷺ- وتركوها من المؤلف إلى لإمام - رحمه الله . وهم .

- الإمام العلامة القاضي صدر الدين موسى بن زكريا االحصكفي ، (٥٨٠-٦٥٠هـ) محدث شهير ، درّس في القاهرة وحلب وتتلمذ عليه لحافظ الدمياطي في الحديث وذكره في معجمه ، والحافظ عبد القادر لقرشي أخذ عن أحد تلاميذه ، ومختصره معروف بمسند أبي حنيفة للحصكفي وشرح عليه المحدث ملا علي القاري الحنفي (م ١٠١٤هـ) وسماه « سند الأنام في مسند الإمام » .

يقول الشيخ أبو الوفاء الأفغاني في رسالته إليّ المؤرخة ٢٤ من ذي القعدة سنة ١٤٥٧هـ) .

« إن مسند الإمام الحصكفي مختصر مسند الحارثي ولكنه التزم بأن

يورد في مسنده الأحاديث المروية عن حماد عن أبي حنيفة فبعض هذه الأحاديث التي هي ليست في مسند الحارثي أخذها من مسند ابن خسرو وهي قليلة » .

٢- الإمام العلامة صدر الدين أبو عبد الله محمد بن عباد الخلاطي الحنفي (م ٦٥٢هـ) محدث كبير ، شارح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري ، أخذ الحديث عن جمال الدين الحصيري .

اختصر مسند أبي حنيفة وسماه « مقصد المسند » وقال حاجي خليفة صاحب كشف الظنون : إنه مختصر جامع المسانيد . ولكن هذا لا يصح في الظاهر لأن عند وفاته كان المحدث الخوارزمي حياً فالقياس دال على انه مختصر مسند الحارثي .

٣- قاضي القضاة محمد بن أحمد بن مسعود القونوي الدمشقي المعروف بابن السراج المتوفى ٧٧٠هـ محدث شهير ، صنف الكتب الكثيرة ذكره صاحب الفوائد البهية باسم محمود بن أحمد ، يحتوى مختصره على ثلاثة وثلاثين باباً رتبه على الأبواب الفقهية ، وسماه « المعتمد في أحاديث المسند » ثم شرح عليه وسماه « المستند في شرح المعتمد » .

٤- عندي نسخة لمسند الإمام أبي حنيفة جمعه أحمد بن إبراهيم في سنة ١٢٤٢هـ ، استنسخه المقرئ محمد صديق الأفغاني من مكتبة « خديويه » بمصر ، وحينما طالعه الشيخ أبو الوفاء الأفغاني فقال : إنه مختصر مسند ابن خسرو ومسند الحارثي ، أولاً ذكر جامعه أحاديث ابن خسرو ثم أحاديث الحارثي ، يحتوي على اثنتين وتسعين ومائة صفحة ، مرسومة على الكراسة .

ورتب الحافظ قاسم بن قطلوبغا مسند الحارثي على الأبواب الفقهية ، ثم رتب خاتمة الحفاظ ملا محمد عابد السندي مسند الحصكفي الذي هو مختصر مسند الحارثي ومرتب على ترتيبه على هذا المنوال ، وهو

المعروف في هذا العصر بمسند الإمام الأعظم . نقله إلى الأردية الشيخ حبيب الرحمن بن أحمد علي السهارنفوري وعلق عليه قبل مدة ، وطبعت هذه الترجمة في سنة ١٢٠٨هـ ونفدت ، والحمد لله أن هذا الكتاب طبع مرة ثانية قبل عدة سنوات مع الترجمة إلى الأردية والتعليقات عليه من الشيخ سعد حسن خان بن أستاذي الجليل المحدث العلامة حيدر حسن خان - عميد دار العلوم لندوة العلماء الأسبق - (١) وهو من أسرة علمية دينية ، أجاد في الترجمة والتعليق .

وشرح على الأصل العربي العلامة محمد عابد السندي - هو رتبه على الأبواب الفقهية - شرحاً حافلاً ضخماً ، وسماه « المواهب اللطيفة في الحرم المكي على مسند أبي حنيفة للإمام الحصكفي » .

وهو في مجلدين ضخمين ، رأيت نسخه في مكتبة « پيرجهنڈو » بحيدرآباد السند والمكتبة الآصفية بحيدرآباد الدكن، وأقول : إن هذا الشرح أعظم الشروح شأناً في هذا الموضوع بعد فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني ويندر نظيره في جمع المتابعات والشواهد وتخريج الأحاديث و إيضاح المشكل ورفع المرسل و وصل المنقطع وبيان الخلافيات .

ثم شرح على هذا الأصل العربي العلامة محمد حسن السنبهلي المحدث (م ١٣٠٥هـ) شرحاً جامعاً بسيطاً ، وهو طبع في أصح المطابع بلكناؤ الهند في سنة ١٣٠٩هـ وإنه يمتاز في جامعيته وإفاديته على التعليق المجد على مؤطأ الإمام محمد للعلامة محمد عبد الحي اللكنوي - رحمه الله - .

[يتبع]

---

(١) أخذت الحديث عنه وقرأت عليه كتب الحديث حين اقامتي بدار العلوم لندوة العلماء لسنتين .

العالم الإسلامي :

﴿ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴾

أسامة أمين الطيب
جبهة تحرير مورو الإسلامية (ملبيس)

لقد استولى العلمانيون على وسائل االاعلام واستحوذوا بها لأنفسهم من تلفاز وإذاعة وصحافة ونشر وكل قناة للنشر أو الاعلام واستعملوها في هدم كيان هذه الأمة المسلمة وأسسها ومبادئها وأخلاقها ورجالاتها و في هدم الإسلام والمسلمين ليلاً ونهاراً وظنوا أنهم سيفلحون في القضاء عليهما، ولكن نقول لهم إنهم سيهزمون بحول الله تعالى : ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ وعما قريب ليصبحن نادمين ، سيندم كل علماني على كل كلمة تفوه بها ، أو مشهد سجله ، أو أحرف سطرها ، هذه الأسماء اللامعة ذات المناظر الخلابة والأصوات الرنانة في نظركم ستصبح صحائف سوداء في تاريخكم بل ستصبح وثائق لادانتكم ، لا كالدانات والشجب الأسمى القائم ولكن للعقاب والخطب ، للجزاء من جنس العمل ، للحساب والعذاب ، سينزعج أحدكم وأيما انزعاج إذا رأى اسمه ذلك اللامع على مقالته الظالمة أو صورته في مشهد أو صوته في كلمة حينما كان يهدم في الأمة ويجرحها ويقلب حقائقها ويشوه وضعها ، إذ سيبصر الحقيقة على واقعها ويندم حيث لا ينفع الندم سيكون ندمكم كندم فرعون لما أدركه الغرق حيث قال : « آمنت بالذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين » فيجيبه الرب بقوله تعالى : ﴿ آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴾

نعم سيكون مصيركم ذلك المصير المشئوم . فهل تدركون ذلك ؟ فلتنفعكم الدهرية أو الطبيعية أو المادة أو اللذة أو الشهوة أو السكرة أو غيرها مما ترونه وتعيشونه حالياً ، أتظنون أن الباطل يدوم . مساكين أنتم صعاف العقول قصيرو النظر حيواني الشهوة . الدوام لله الحق . و إذا كان للباطل جولة فللحق جولات وصولات .

أيها الأغبياء الذين تتصورون أنفسكم أذكياء . أذكياء في طلب العادة وإشباع اللذة والشهوة والنشوة القريبة . لكنكم أغبياء السعد الدائم والنعيم الغير زائل . النعيم الحقيقي دنيا ودين . اللذة الحقيقية بالدنيا لذة الإيمان التي لا يعدلها لذة . لذة مقرونة بأمل قوي حقيقي يعقبها ويدوم . لذة تجعل التعذيب سعادة والموت شهادة ومفارقة الدنيا خلودا بالجنان العالية فهل تشعرون بمثل ذلك .

لا والله ولا تدركون أقل خطوة من خطواته ولو أدركتم ذلك لأسرعتم إليه ولا انقلبت أوضاعكم ومفاهيمكم وموازينكم وأصبح ما تلذذتم به حالياً أقبح الأشياء والمناظر ولوجدتم مجالات اللذة الحقيقية والسعادة الحقيقية في مجالات العمل الإسلامي والإيمان بالله حقاً . ولو كنتم أذكياء لرجعتم إلى تاريخكم الحقيقي لا الزيف والضلال الذي تخادعون به الأمة وتغللون أبناءها به . تاريخ أجدادكم الناصع الذي كسبتم به أمتكم العزة والرقى في تاريخها حيث كانوا على هامات البشر . لا في الحضيض أذلة . كما تعيشون أنتم في الأوحال وبين القيح والصديد وتعتبرونه لذة . أي لذة هذه التي تزعمون . لذة تشبه من يتلذذ على روائح المجاري . وقذوراتها ويحمل جراثيمها من أيدز وزهرى وغيرها . ويغاب عقله في سكره ويعتبرها لذة . أي لذة هذه . لذة لا يستطيع

صاحبها النوم إلا بمخدر أو مفتر ، ولا الراحة إلا بمسكر ولا التنفيس إلا بالهديان ، ولا يرغب إلا ما يرغبه الحيوان : ما الفارق بينكم وبينه إلا أنه ينتهي بالموت ويكون تراباً ، وأنتم تنتهون بالعذاب والتعذيب النفسي والجسدي في الدنيا والآخرة نسأل الله العفو والعافية ، فهل أبصرتم واقعكم وما تعيشون فيه ؟ أيهمأكم هذا القلق النفسي الذي تحسون به « الاثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس » أم هذا الرعب الذي تعيشونه ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فأحذرهم قاتلهم الله أنا يؤفكون ﴾ أم المستقبل الأسود الذي ينتظركم أو تنتظرونه ، يصبحكم أو يمسيكم ، ففرعت عقولكم وتكاد أن تزهق أرواحكم قبل أن يصلكم ما أعد لكم من عذاب وعقاب وحساب شديد ، وما ذلك على الله ببعيد ، أيهنأكم ذلك ؟ أي عقول تعيشون بها ؟ أي ادراك تحسون به ، أي أعين تنظرون بها ﴿ إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ .

١ - ﴿ أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحىً وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ ها أنتم طنطنتم وراء عقول الشمال وركضتم خلفه حتى سقط بغير حسبان منكم ، وأنتم الآن تصفقون وتزمرون وراء الصنم الجديد النظام العالمي ودعائمه وسينهار بحول الله عما قريب ، ستندمون كما ندمتم من قبل وتبحثون عن عجل جديد أو قرد فريد لتقدسوه أو تعبدوه أو تسيرون وراء فضلاته وأوحاله ولو كان على قومكم يصب ذلك ، فأنتم عمي لا تدرون ولا تدركون أو تبصرون كما قال المثل : أنعام لا يدرون ، لعلي أسأت الأدب مع هذه الفئة ولكنهم

يستحقون أسوأ من ذلك . وما ينتظرهم أشد وأنكى ﴿ إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ﴾ ليفتش كل واحد منهم نفسه ويعرف خطواته وحركاته . وليعلم أنها محصورة عليه مرموسة في سجله ﴿ لا يغادر صغير • و لا كبيرة إلا أحصاها و وجدواما عملوا حاضراً و لا يظلم ربك أحداً ﴾ إن لكم حساباً على مرحلتين في الدنيا والآخرة وعقاباً على ثلاث مراحل في الدنيا والبرزخ،وفي الآخرة عذاب شديد فهل هيأتم الأجسام لتحمل ذلك . لاشك أن أجسامكم ستمر به رضيتم أم أبيتم ﴿ كلما خبت زدناهم سعيراً ﴾ ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ﴾ كما أذاقوا غيرهم . وعذاب في جانبين . نفسي وجسمي . نفسي بالحسرة والندامة واليأس والقنوط فلا يصاحبه أمل بالرحمة والخلاص من الخلود . إلا من رحم الله وتاب إلى ربه قبل الموعد والحساب . فإن الله يتوب على من تاب .

أيها العلمانيون و المنافقون ليهنأ لكم ذلك . ضللوا و اختلفوا . وشوهوا . أو سجنوا وعذبوا أو اقتلوا . فإن ذلك رصيد في زيادة حسابكم وعذابكم فافعلوا ما بدالكم من الزيادة والأرصدة . أما نحن فنقول لا يضر السماء نبح الكلاب . وسجننا خلوة . وتعذيبنا سعادة . وتعبنا سياحة . وقتلنا شهادة . ففي كل أمر لنا احدى الحسنيين ولا خسارة . فهل علمتم ذلك . وهل فهمتم أم أفحمتم . وقيسوا على أبدانكم شقاءكم وعذابكم . فعلى ما قدمتم أنتم قادمون . وعلى ما فعلتم معاقبون . وعلى ما فرطتم نادمون ﴿ وسيعلم الذي ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ والسلام على من اتبع الهدى .

•••• •• •••

أخبار اجتماعية وثقافية :

المعاناة في البوسنة والهرسك

أسمعت بتلك الدولة التي قامت في وسط أوربا تحت اسم : البوسنة والهرسك ؟ وهل هناك من لم يسمع بتلك الدولة التي قامت فاعترفت بها دول عديدة وأصبح لها مكان في الأمم المتحدة ؟

إنها ما كادت تعلن أمرها وتكشف هويتها الإسلامية ، حتى منعت عنها الأسلحة وظهرت فيها ذئاب صربية جائعة تفتك بالبشر المسلين وتلغ في دمائهم ، حتى إذا روت غلها وحقدها بالقتل استدارت نحو النساء لتنتهك الأعراض وتغتصب الفتيات والسيدات على السواء . ولم تكف أذاها وشرها إلا بتشريد ما يزيد عن مليون من هؤلآء ممن خرجوا إلى العراء تاركين ديارهم وأرضهم وأموالهم ، ذاهبين إلى حيث لايد ترحم ولا قلب يعطف عليهم ، ولا معين ولا نصير إلا لمن يتنصرون ويتركون الحنيفية السمحة . وصدق فيهم قول الله عن أمثال هؤلآء : ﴿ وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا ﴾ فمن عاد إلى ملة الصرب كفوا عنه الأذى - ولو كان ذلك إلى حين - ومن استمسك بالصراط المستقيم فله من هؤلآء الصربيين سوء الجحيم وعذاب السعير، وهتك الأعراض وإسالة الدماء بالقتل والتنكيل ، دون أن يكون لمثل هؤلآء بكاة يبكون أو نوائح يستغيثون .

<u>موقف العالم</u> : والعالم (الحر) يرى ويسمع ما يدور ، يرى ضحية مقيدة حين منع عنها السلاح ، ويسمع الأنين والتوجع والصراخ ، فلا يهتز منه قلب ، ولا تفر من عينه دمعة ولا يأسي ولا يحزن . ولربما يعطف لسانه بكلمة مواساة حينًا في الوقت الذي يمد يده بالسلاح للصرب ، ويومئ لهم بكل إشارة : إنا لكم مؤيدون مناصرون فافعلوا ما بدا لكم ، فجنودنا من روسيا واليونان وغيرهما تقاتل معكم ، وسلاحنا يأتيكم إلى دياركم حيث أنتم ، والأمم المتحدة بقراراتها المتلكئة المتباطئة المتواطئة تعينكم ولا تتخلى عنكم ، فلماذا تتوقفون أيها الصربيون عن القتل والسفك والسلب والاغتصاب .

<u>نوم هنئ</u> : أمن أجل ما يسمى بالعالم الإسلامي ؟ لقد أعطى الصرب والعالم

مهلة من الزمن في ديسمبر ١٩٩٢م وقال إنه سيتخذ الموقف اللازم نحو إخوانه البوسنيين إذا لم يتصرف العالم مع الصرب بعد ١٥ يناير ١٩٩٣م ، ولما جاء الموعد المضروب كان النعاس قد سيطر على العيون في العالم الإسلامي ، فاستسلمت لنوم لذيذ وديع هانئ مستقر ، وتركت مسلمي البوسنة يعانون مما يعانون ، وصدق على عالمنا الإسلامي القول الذائع :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعـــا

أبشر بطول سلامة يـــا مربع

ولسنا نملك في النهاية إلا أن نقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون . [بقلم الشيخ جاسم مهلهل الياسين - في مجلة « المجتمع » الغراء]

••• ••• •••

أول مسابقة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الرواية والقصة القصيرة

أفاد سعادة الدكتور عبد القدوس أبو صالح نائب رئيس الرابطة ، ورئيس مكتب البلاد العربية ، بأن الرابطة قد أقامت مسابقة أدبية حول كتابة الرواية والقصة القصيرة ، أسهم فيها أدباء وكتاب ، وكان الفائز الأول الكاتب الإسلامي جهاد الرجبي من الأردن الذي استحق الجائزة الأولى عن روايته : « لن أموت سدى » وقيمتها ٢٠٠٠ دولار ، كما حصل الأديب المصري أحمد محمود مبارك على المركز الأول عن قصته القصيرة : « الزلزال » وجائزتها ٥٠٠ دولار .

وقال د/أبو صالح : إن الفائز الثاني في الرواية : « سلام أحمد ادريسو» من المغرب ١٥٠٠ دولار عن روايته : « العائدة » ، والفائز الثالث : « عبد السلام الراغب » (سوريا) ١٠٠٠ دولار عن روايته : « ثقوب في جدار الصمت » .

أما في القصة القصيرة فكانت الجوائز الأخرى كما يلي :

خالد الحروب (الأردن) فاز بالجائزة الثانية ٣٠٠ دولار عن قصته : « وداعًا أجمل الأمهات » .

فاروق حسان السيد (مصر) فاز بالجائزة الثالثة ٢٠٠ دولار عن قصته : « رجل من الزمن الجميل » .

هذا وقد فاز عدد من الأدباء بجوائز تشجيعية في مجالي الرواية والقصة

القصيرة .

وأضاف الدكتور أبو صالح بأن الرابطة كانت قد أعلنت عن هذه المسابقة منذ شهور ، وشارك فيها عدد كبير من الأدباء في الدول العربية . كما اشترك في تحكيمها أدباء ونقاد متخصصون أبدوا إعجابهم بعدد كبير من هذه القصص والروايات ، وأكدوا أن ما يشاع أحيانًا عن أزمة في الإبداع الأدبي هو مجرد وهم ، وأن هناك مواهب تتطلب فقط الكشف عنها . ومن المتوقع أن يعلن عن موعد حفل توزيع الجوائز قريبًا .

كما أن نائب رئيس الرابطة قد وجه دعوة إلى أعضاء الرابطة للحضور في مؤتمر الهيئة العامة الثالث ، الذي سيعقد في مدينة استانبول ابتداً من صباح يوم الأحد في ٥ ربيع الأول ١٤١٤هـ الموافق ٢٢ أغسطس ١٩٩٢م لمدة أربعة أيام فقط وذلك برئاسة سماحة العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية .

وستعقد ندوة على هامش المؤتمر بعنوان (تقريب المفاهيم في قضايا الأدب الإسلامي) يجرى فيها النقاش حول البحوث التي تلقى في الندوة . كما أن أمسية شعرية تقام على هامش المؤتمر في مكان مناسب في مدينة استانبول ، بمشيئة الله تعالى .

يرجى أن يحضر المؤتمر عدد وجيه من أعضاء الرابطة والمعنيين بقضايا الأدب الإسلامي ، وستكون مناسبة أدبية هادفة . إن شاء الله تعالى .

....

تعديلات وزارية في المملكة العربية السعودية

أفادت الأنباء الواردة من المملكة العزيزة بتعديلات وزارية في المملكة العربية السعودية ، وذلك بناءًا على المرسوم الملكي الذي تم عليه تعيين معالي الدكتور الشيخ عبد الله بن عبد المحسن التركي ، وزير الأوقاف و الشئون الإسلامية وتعيين معالي الدكتور الشيخ محمد محمود سفر وزير الحج ، وترقية معالي الشيخ عبد الوهاب عبد الواسع إلى منصب المستشار في القصر الملكي .

كما أفادت الأنباء بترقية معالي الدكتور عبد الله عمر نصيف إلى منصب نائب رئيس مجلس الشورى ، وسينوب عنه كأمين عام رابطة العالم الإسلامي معالي الشيخ محمد ناصر العبودي .

وإن أسرة المجلة إذ تتقدم بالتهاني الخالصة إلى جميع أصحاب المعالي

وتتمنى لهم النجاح المطرد في الشئون الوزارية والإدارية التي يتولونها . تبتهل إلى الله تعالى أن يفضل عليهم بالتوفيق والسداد وإنجاز المشاريع والبرامج التي تحدب عليها حكومة خادم الحرمين الشريفين الرشيدة .

... ...

رسائل حديثة تلقتها إدارة المجلة

وصلت إلى إدارة المجلة رسائل قيمة في موضوع الحديث والسنة بقلم الأستاذ الفاضل فضيلة الشيخ السيد سلمان الحسيني الندوي أستاذ الحديث والتاريخ الإسلامي بجامعة ندوة العلماء لكناؤ . وهذه الرسائل هي على ما يأتي :

١- « **التعريف الوجيز بكتب الحديث الشريف** » هذه الرسالة في الواقع أمال قيمة أملاها الأستاذ على طلاب الدراسات العليا بقسم الحديث الشريف بكلية الشريعة وأصول الدين في موضوع التعريف بكتب الحديث من الصحاح - - الجوامع - السنن - كتب الأحكام - المؤطات - المصنفات - المستدركات - - المستخرجات - المسانيد - المعاجم - الأطراف الأجزاء - كتب الزوائد - كتب المجاميع - كتب الأحاديث المشتهرة - كتب الترغيب و الترهيب - كتب الزهد و الفضائل - كتب الموضوعات الخاصة - كتب الفنون الأخرى - كتب الشروح الحديثية - كتب الموضوعات والضعاف - كتب المفاتيح والفهارس - كتب التخريج - طرق التخريج .

٢- « **لمحة عن علم الجرح والتعديل** » ألف فضيلة الشيخ سلمان الحسيني الندوي هذه الرسالة القيمة في موضوع الجرح والتعديل قام فيها بتعريف هذه العلم ونشأته وحكمه في الكتاب والسنة . واستشهد بكلام السلف الصالح في مشروعيتهما ومنزلتهما في علم الحديث . واعتناء المحدثين بهما . كما تحدث عن قواعد الجرح والتعديل باختصار .

٣- « **مقدمة سنن الإمام الترمذي** » هذه الرسالة الثالثة تحتوى على مقدمة الإمام الترمذي لكتاب السنن وهي لم تعرف في الأوساط الطلابية كما عرفت مقدمة الإمام مسلم لصحيحه . على أنها مدخل لكتابه ومبحث تمهيدي لدراسة أحاديثه . وتعريف للقراء بمناهج المحدثين ومواقفهم ومراتبهم وآرائهم في قضايا مهمة إسنادية ومتنية .

لقد أسدى المؤلف بنشر هذه المقدمة الضافية في رسالة مستقلة إلى الأوساط العلمية كلها فجعلها في متناول كل دارس وطالب لكتاب السنن للترمذي . الذي له فضل علاقة بها . بل وتعتبر تكملة للكتاب . والله الموفق .

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشـــأهـــا :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في عام ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيـــد الندوي

العـــدد الثامن - المجلد الثامن و الثلاثون

جمادى الأولى ١٤١٤هـ - أكتوبر - نوفمبر ١٩٩٢م

ALBAAS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama

P. O. Box, 93, Lucknow (INDIA)

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

هذه الكوكبة الأرضية التي تزدان بأجناس وأنواع كثيرة من الكائنات ، ليست إلا آية واحدة من آيات قدرة الله تعالى . والإنسان فيها هو الذي يتمتع بالعقل والذكاء ، ويتصرف في هذا الكون بوحي من الله تعالى ، فيما يعود نفعه إليه ، ويوظف طاقاته في تنظيم الحياة وتدبير الشئون الحيوية ، و وضع كل شيء في محله ، مما يساعده في البناء والتعمير ، وتخطيط المستقبل اللامع . ذلك أن يميز بين الخير والشر ، ويعرف قدر كل واحد منهما ، ويكون على بينة من دور كل واحد منهما ، في الهدم والبناء ، وفي السلب والإيجاب .

من هنالك كانت وظيفة الإنسان في هذه الكائنات ذات الأهمية البالغة ، كبيرةً ودقيقةً ، وإليه تتجه المسئولية في بيان مواضع الخير والشر ، وتبيين مكامن الخطأ والصواب ، وفي شرح جميع الوسائل والآلات التي تتكفل له بالسعادة أو تدنيه إلى الشقاء . لقد منح الله سبحانه وتعالى هذا الإنسان العاقل وهذا المخلوق المتميز قوة كبيرة نسميها قوة التعبير والبيان ، التي تأتي في الدرجة الثالثة من تعليم القراءة وخلق الإنسان ، حيث إن الله تعالى يقول : ﴿ الرحمن • علم القرآن • خلق الإنسان • علمه البيان ﴾ ومعلوم أن قوة البيان والتعبير تقوم بالدور الرئيسي في إضفاء لون الهدفية العميقة على حياة الإنسان ، ومجهوداته المخلصة التي لها

علاقة وطيدة بالعلم ، الذي لا تظهر نتائجه من دون وسائل التعبير المتعددة ، وهي تتلخص في معظم الأحوال في القلم واللسان ، وريشة الفنان ، وأحيانًا تتحقق بالإشارة والخط وبالعدد والعقد .

بهذه الوسائل البريئة كلها يتمكن الإنسان من بيان أفكاره وآرائه ، والتعبير عن تصوراته وخواطره ، وعن كل ما يدور في خلده ، ويعيش في نفسه من الخوالج والسوانح والمشاعر والأحاسيس ، وكل ذلك في سبيل إسعاد الحياة الإنسانية فردية وجماعية ، وإنقاذها من لوثات النفس الشريرة ومكايد الشيطان ومزالق السيئات والشقاء ، ولقد نالت هذه الوسائل البريئة في الفترات التي سبقت مجئ الإسلام من الضيم والظلم ما لا يجهله المطلع الخبير .

فقد كانت اليونان القديمة بحكم فلاسفتها وحكمائها تعتبر مركز الفنون الجميلة والآداب الإنسانية ، ولكنها – مع الأسف – ضلت الطريق المستقيم في الاستفادة من هذه الفنون والآداب ، في خدمة الإنسانية وتكوين المجتمع الإنساني الأفضل ، وركزت جل عنايتها على تنمية دوافع الجنس والشهوات ، في نفوس أعضاء المجتمع اليوناني ، وبالتالي المجتمع البشري ، كما أنها أطلقت عنانها في تقديم صور مشبوهة للإله والمعاد والعبادة ، والأخلاق السليمة والفضائل الإنسانية ، ولعبت دورًا شائنًا في مجال العلاقات والعبادات ، وإبعاد الشقة بين العبد وإلهه ، وإيجاد الوسائط بينهما ، وتشجيع المنكرات وتحبيبها إلى النفوس .

بذلك كانت لليونان قيادة في مجال الفنون والآداب ، خضع أمامها جميع الأوساط العلمية والمجتمعات الإنسانية على المستوى العالمي ، وهي التي تولت الإساءة إلى الآداب والفنون ، وأكسبتها سمعة سيئة ، ذلك لأن

الأدب أصبح مرادفًا لبيان المفاهيم والتصورات المريضة ، مما يتعلق بالأهواء والشهوات ، وبإبراز معاني الجنس وكشف العورة ، وإثارة العواطف الساقطة في الإنسان ، حتى إن الأديب أصبح معناه هو الشخص الذي يمثل التحررية والإباحية ، والأخلاق السافلة ، ويحارب الطهر والنزاهة والعفة والفضيلة ، لا علاقة له بالدين والفضائل ، ولا همة له في علياء الأمور ومواصفات البر والتقوى ، التي تشقّ الطريق نحو السعادة الحقيقية ، وتربطه بالله تبارك وتعالى .

وكانت الحضارة الغربية التي ليست إلا وليدة الفلسفة اليونانية ، ونسخة صادقة مزيدة منقحة لحضارة اليونان والرومان ، أداة مهمة في قلب الحقائق الخلقية وتشويه المفاهيم الانسانية للهبوط بالإنسان إلى سفاسف الأمور وصرفه عن الموضوعية الحضارية التي تمثلها حضارة الإسلام ، جاءت الحضارة الغربية بحدها وحديدها وأفكارها ونظراتها ، و وجهت سهامها المسمومة نحو العالم الإسلامي ومجتمعات المسلمين ، بأشكال منوعة من الثقافة والعلم والأفكار والآداب ، وجردت العوامل الحضارية والآداب البريئة عن كل معنى من معاني الحسن والإحسان ، وسلبت منها خصائصها التوجيهية ، وجوانبها التربوية ، فلم تعد الثقافة والعلم والآداب إلا صورًا هزيلة لا تسمن ولا تغني من جوع ، وهكذا أساءت الحضارة الغربية إلى مفاهيم الأدب والفن والجمال والعلم والثقافة ، وظن الناس أنها ليست إلا أداة للهدم والفساد فحسب .

إن هذا المفهوم للأدب كان له رواج وانتشار في كل مكان ، فلم يكن الأديب في اعتقاد الناس إلا رجلاً متحررًا لا يتقيد بالدين ولا يلتزم بتعاليم الإسلام ، وظل هذا المفهوم يسيطر على العقول ، حتى في أوساط

علم والدين ، في العصر الحاضر ، حيث كان الناس يرون إليه بنظر شزر ، لا يعتبرونه موضع ثقة في الدين والفضائل ، وما كان ذلك إلا نتيجة لانسياق مع فلاسفة اليونان ورؤيتهم نحو الفن والأدب ، سواء بالشعور . من غير شعور ، ولو أنهم تأملوا في معنى الأدب ومفاهيمه النزيهة التي ضفاها عليه الإسلام ، لما كان منهم هذا الجفاء مع الأدب ، ولما نظروا إليه ظرة ازدراء .

ولقد رفع الإسلام قيمة الكلمة الطيبة التي لا تتحقق إلا بالكفاءة فنية والذوق الأدبي مع السمو الخلقي ، مهما اختلفت وسائلها وتعددت دواتها وتنوعت أشكالها ، وهي الكلمة الهادفة التي قامت بدورها المرجو ي بناء صرح الإنسانية ورفع منارها في عصر تواطأت فيه قوي الكفر الطغيان والجاهلية بأوسع معانيها على تدمير الإنسانية ، وطمس معالم لأخلاق وهدم مقاييس الفضيلة ، يوم نهضت العصبيات على قدم وساق ، رفعت العداوات والحزازات النفسية حواجز الحياء والاحتشام في لمجتمعات ، ولم ير الإنسان بأسًا في قتل أخيه وهتك الأعراض وذبح الأولاد و وأد البنات ، يوم لم يتحرج المرأ في اقتراف الجرائم وتعاطى لمحرمات ، ويوم تظاهر الشاعر العربي الجاهلي بشجاعته واعتز بمراسه ي الحروب وانتقامه من الخصم ، وتغنى بذلك في قصائد الشعر الطويلة .

ولكن الكلمة الطيبة التي أشاد الله بها قامت بتصحيح مفهوم الأدب ، إزالة المزعومات الجاهلية والعصبيات القبلية من ساحة الأدب والبلاغة ، ﴿ مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة • أصلها ثابت وفرعها في السماء • تؤتي كلها كل حين بإذن ربها ﴾ بهذه الشهادة السماوية والإشادة الربانية رتفع الأدب إلى قمة عالية من البيان والبلاغة ، والعطاء والتأثير ، وقام

بالتوجيه الخلقي ، والتربية البناءة في جميع مجالات الحياة ، التي ازدهرت وأثمرت بالسعادة والطهر والجمال والهدوء ، وقدم للعالم نموذجًا مثاليًا للإنسان المسلم بسلوكياته وتصرفاته وعلاقاته وعطاءاته الغالية . الذي هو ضالة المجتمعات الإنسانية الحائرة في دياجير التيه والغواية .

وتعاليم الإسلام كلها وتوجيهات النبي -ﷺ- في أقواله وأحاديثه صورة صادقة للكلمة الطيبة التي مثلها الله تبارك وتعالى بالشجرة الطيبة ذات الأزهار الجميلة والثمار اليانعة الحلوة ، والمناظر البهية الحلابة .

ودعوات النبي -ﷺ- التي ناجى بها ربه تبارك وتعالى ، وبث عن طريقها أشواقه وآلامه وآماله إليه ، إنما هي مثال نادر ورائع للابتهالات والتوجهات المخلصة التي تنبع من قلب المؤمن الصادق ، وهي تمثل البلاغة بأروع أشكالها والأدب الرفيع بأسمى معانيه وتحتوى على جميع الخصائص الفنية والسمات الأدبية والمفاهيم البلاغية في أسلوب طبيعي وأداء واقعي .

إنها تمثل حياة المسلم الواعي بجميع مناحيها وجوانبها وشئونها وتصرفاتها وأحداثها وأعمالها ، وتعلم آداب كل صغير وكبير ، ودقيق وجليل ، سواء في الليل والنهار ، والخلوة والاجتماع ، أو في حالة السرور والألم ، وكل ذلك في أدب رقيق وبلاغة معجزة وأسلوب جميل وبيان ساحر ، وحكمة نادرة ، وموعظة حسنة ، وعاطفة جياشة وبتأثير عريب .

لذلك فإن الأدب الإسلامي يجمع بين الخصائص الفنية والمواصفات الكلامية وبين جزالة الألفاظ ورقة المعاني ، والأساليب الرقيقة والتعابير

الجميلة الخلابة ، لا تنقصه الفنية والموضوعية ، ولا تعوزه البلاغة في التعبير ، والروح الوجدانية والتأثير ، الواقع الذي يلمسه كل شخص يتذوق الأدب ، ويطلع على الجوانب الأدبية المضيئة في الكلام ، ثم إنه يزخر بجميع الأصناف الأدبية والألوان الفنية ، من النثر الفني والشعر الموضوعي .

ومن ثم كان مجئ الإسلام نعمة على الأدب والبلاغة بمصدريه الأساسيين بوجه خاص ، فقد وضع الإسلام تصورًا خاصًا بالأدب ، لم يكن الناس يعرفونه من قبل ، وقد خلع لباس الأدب على الكلمة الطيبة ، والوسائل التعبيرية الأخرى ، وتناول كل كلام سبق الإسلام بالإصلاح والتهذيب ، وأخضعه للمعايير الأدبية والمقاييس الفنية ، لكي يصح أن يسمى ذلك بالأدب الإسلامي الذي يبنى ولا يهدم ، ويصلح ولا يفسد ، ولو لا الأدب الإسلامي الرائد لما نال الإنسان مكانته من القيادة العالمية ، ولما تبين موقفه من الحضارات المادية ، والنظرات الوضعية والفلسفات المريضة ، ولما كانت له وقفة صامدة أمام التحديات الحضارية .

لقد وظّف الإسلام الكلمة وما شاكلها من الوسائل التعبيرية الأخرى ، في صالح النوع البشري ، وبناء الإنسان ، وتأهيله لقيادة البشرية ، ولتعمير أرض الله تعالى بالقدرات الإنسانية البناءة التي توجه أمة الإسلام إلى وظيفتها الطبيعية التي قدرها الله لها ، وأمرها بأدائها بأحسن أسلوب وأجمل طريق ، وهي وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما أعظمها وظيفة ، وما أحلاها مسئولية ، ولكنها لا تستغنى عن الكلمة الطيبة المؤثرة ، ومن الحكمة والموعظة الحسنة التي هي أساس الأدب في الإسلام .

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي

نقاط مهمة في الدعوة الإسلامية

بقلم : سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

إن موضوع الدعوة أيها السادة ! موضوع مطروق معالج كثرت عنه الأحاديث وازدحمت فيه الكتابات والبحوث خصوصاً في الزمن الأخير ، وتكونت فيه مكتبة ذات قامة وقيمة (١) . فأريد أن أحدد بحثي في الحديث عن جبهات الدعوة الحاسمة ، ومجالاتها الرئيسية ، المقررة لمصير العالم الإسلامي . فضلاً عن مسيرة الدعوة ، وأركز على النقاط المختارة العلمية (في ضوء دراساتي القاصرة ، وفي ضوء الواقع وتجارب الماضي) ، لحماية الأقطار الإسلامية من التحديات والفتن ، وبالله التوفيق .

١- تحريك الإيمان في نفوس الشعوب والجماهير المسلمة ، وإثارة الشعور الديني فيها ، فإن تمسك هذه الشعوب والجماهير بالإسلام وتحمسها له ، هو السور القوي العالي الذي يعتمد عليه في بقاء هذه البلاد ، وكثير من القيادات وحكومات العالم الإسلامي في حظيرة الإسلام ، وهي

---

(١) وقد صدرت من قلم المحاضر كتب ورسائل ومحاضرات في هذا الموضوع منها ١- سلسلة « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » (١-٤) ، ٢- « روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة » ، ٣- « الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها » ٤- « حكمة الدعوة وصفة الدعاة » ٥- « الدعوة إلى الله ، وحماية المجتمع من الجاهلية وصيانة الدين من التحريف » ٦- « منهج أفضل في الإصلاح للدعاة والعلماء » ، ٧- « دور الجامعات الإسلامية المطلوب في تربية العلماء وتكوين الدعاة »

مادة الإسلام ورأس ماله ، والخامات الكريمة التي تستخدم لأي غاية نبيلة ، وهي من أقوى المجموعات البشرية وأحسنها سلامة صدر وقوة عاطفة ، وإخلاص .

وذلك مع تحقيق الشروط ، والصفات التي تستحق بها هذه الشعوب النصر من الله ، والتغلب على المشكلات ، والانتصار على العدو ، كتصحيح العقيدة ، وإخلاص الدين لله ، والابتعاد عن كل أنواع الشرك والعقائد الفاسدة ، والعادات الجاهلية ، والتقاليد غير الإسلامية ، وعن القلق ، والتناقض بين العقائد والحياة ، والقول والعمل ، وسير الأمم القديمة التي استحقت بها عذاب الله وخذلانه ، وكذلك سيرة الأمم المعاصرة التي نسيت الله ، فأنساها نفسها ، وقادت العالم إلى النار والدمار .

هذا مع تنمية الوعي الصحيح وتربيته والفهم للحقائق والقضايا ، والتمييز بين الصديق والعدو ، وعدم الانخداع بالشعارات والمظاهر ، حتى لا تتكرر مآسي وقوع هذه الشعوب فريسة للهتافات الجاهلية ، والنعرات القومية ، أو العصبيات اللغوية والثقافية ، ولعبة القيادات الداهية والمؤامرات الأجنبية ، فتذهب ضحية سذاجتها وضعفها في الوعي الديني والعقل الإيماني .

٢- صيانة الحقائق الدينية والمفاهيم الإسلامية من التحريف ومن إخضائها للتصورات العصرية الغربية ، أو المصطلحات السياسية والاقتصادية ، والتجنب عن تفسير الإسلام تفسيراً سياسياً بحتاً ، والمغالاة في « تنظير الإسلام » و وضعه على مستوى الفلسفات العصرية والنظم الإنسانية ، لأن هذه الحقائق الدينية هو أساس للإسلام الدائم ، والأصل الذي منه البداية وإليه النهاية ، وإليها كانت دعوة الأنبياء ، وفي سبيلها كان جهادهم وجهودهم ، وبها نزلت الصحف السماوية .

الحذر من كل ما يقلل من قيمة الصلة بين الله والعبد والإيمان بالآخرة وأهميتها ، ويضعف في المسلم عاطفة امتثال أمر الله وطلب رضاه ، والإيمان والاحتساب والقرب عند الله تعالى ، وهذا التحول يفقد هذه الأمة شخصيتها وقوتها ، وقيمتها عند الله ، وكذلك الحذر من كل ما يقلل من شناعة الوثنية العقائدية ، والشرك الجلي والعادات والعبادات الجاهلية ، والاكتفاء بمحاربة النظم والتشريعات والحكومات غير الإسلامية ، فإن ذلك يتجه بهذا الدين عن منهجه القديم السماوي إلى المنهج الجديد السياسي .

٣- تقوية الصلة الروحية والعقلية والعاطفية بالنبي -ﷺ- والحب العميق له ، الذي يؤثره على النفس ، والأهل والولد ، كما جاء في الحديث الصحيح ، والإيمان به كخاتم الرسل ، وإمام الكل ، ومنير السبل ، والحذر من كل العوامل والمؤثرات التي تسبب تجفيف منابع هذا الحب ، وإضعافه على الأقل ، وتحدث جفافاً في الشعور ، وضعفاً في العمل بالسنة ، وتجرؤاً في القول ، وانصرافاً عن الافتخار به ، والولوع بدراسة سيرته ، وكل ما يحرك هذا الحب ويغذيه ولعل البلاد العربية (بفعل أحداث ، ودعوات قومية) أحوج إلى العناية بهذه النقطة ، وأحق بها من غيرها ، ففيها كانت البعثة المحمدية ، وفي لغتها نزل القرآن ونطق الرسول .

٤- إعادة الثقة في نفوس الطبقة المثقفة ، ومن بيدهم القيادة الفكرية والتربوية والإعلامية في البلاد والحكومات الإسلامية بصلاحية الإسلام وقدرته ، لا على مسايرة العصر وتطوراته وتحقيق مطالبه ، بل على قيادة الركب البشري إلى الغاية المثلى ، وتجديف سفينة الحياة إلى بر السلام والسعادة ، وإنقاذ المجتمع البشري من الانهيار والانتحار الذي تعرض لهما تحت القيادة الغربية الخرقاء ، وأنه ليس « بطارية » قد نفدت شحنتها ، أو ذبالة قد نفد زيتها واحترقت فتيلتها ، بل هو

الرسالة العالمية الخالدة ، وسفينة النجاة التي هي كسفينة نوح ، لا ينجو إلا من ركبها .

إن ضعف هذه الثقة ، أو فقدها هو داء هذه الطبقة المثقفة الناشئة في أحضان الثقافة الغربية ، أو تحت ضغطها ، وهو المسئول عن كل تصرفاتها وسبب الردة الفكرية والحضارية ، والتشريعية التي تكتسح العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، وتعاني منه الشعوب المسلمة - التي لا تفهم إلا لغة الإيمان والقرآن ، ولا تتحمس إلا للإسلام - وسبب حدوث هذا الخليج العميق الواسع بين القيادات والحكومات والشعوب والجماهير . وسبب القلق الذي يساور النفوس ، ويستهلك القوى والطاقات في ما لا يعود على الأمة والبلاد بفائدة .

٥ - قلب نظام التربية والتعليم المستورد من الغرب ، المنتشر السائد في العالم الإسلامي ، رأسًا على عقب ، وصوغه صوغًا إسلاميًا جديدًا ، يتفق مع شخصية هذه الشعوب المسلمة ، وعقيدتها ، ورسالتها ، وقامتها ، وقيمتها ، لا يبعد هذا الصوغ عنه عناصر الإلحاد أو المادية ، وتصور هذا الكون تصورًا ماديًا ، والعلوم وحدات متناثرة متناقضة ، والطبيعة حرة قاهرة ، والتاريخ حوادث غير مرتبطة خاضعة لقلق وصراع دائمين ، ولا يصلح نظام التربية والتعليم إصلاحًا جزئيًا فحسب ، بل يبتكر ابتكارًا جذريًا ، مهما استنفد من الطاقات ، وكلف من الوسائل والنبوغ والعبقريات ، و بغير ذلك لا يقوم العالم الإسلامي على قدميه وبرأسه ، وعقله ، وإرادته وتفكيره ، ولا تدار الحكومات والأجهزة الإدارية ، والمرافق العامة برجال مؤمنين أقوياء أمناء مخلصين ، يطبقون التعاليم الإسلامية في الحكومة والإدارة ، والتربية والإعلام والمجتمع ، فتمثل الحياة الإسلامية بجمالها وكمالها ، وينشأ المجتمع الإسلامي بسماته وخصائصه .

٦- حركة علمية قوية دولية، تعرف الطبقة المثقفة الجديدة بذخائر الإسلام العلمية وتراثه المجيد، وتنفخ في العلوم الإسلامية روحًا من جديد، وتثبت على العالم المتمدن، أن الفقه الإسلامي وقانونه من أرقى القوانين وأوسعها في العالم. وهو يقوم على أساس من المبادئ الخالدة التي لن تبلى ولن تفقد صلاحيتها في يوم من الأيام، وهي تصلح لمسايرة الحياة الإنسانية في كل زمان ومكان، وتغنيها عن كل قانون وضعته أيدي الناس.

٧- الحضارة عميقة الجذور في أعماق النفس الإنسانية وفي مشاعر الأمة وأحاسيسها وتجريد أمة عن حضارتها الخاصة - التي نشأت تحت ظلال دينها وتعاليم شريعتها وكان في صياغتها نصيب كبير للذوق الديني الخاص وطابع هذه الأمة الخاص - مرادف لعزلها عن الحياة، وتحديدها في إطار العقيدة والعبادة والطقوس الدينية الضيق، وفصل حاضرها عن ماضيها. فلابد للحكومة الإسلامية والمجتمعات الإسلامية من التخطيط المدني الإسلامي المستقل، البعيد عن تقليد الغرب الأعمى، والارتجالية، ومركب النقص، ولابد من تمثيل الحضارة الإسلامية في عواصمها وفي دوائرها، وفي بيوتها، وفي مجتمعاتها، وفي فنادقها ومنتزهاتها، و إلى حد في مكاتبها و طائراتها، و سفاراتها، و بذلك لا يعرض العالم الإسلامي نموذجًا للحياة الإسلامية والمثل الإسلامية فحسب، بل يقوم بدعوة صامتة للإسلام.

٨- معاملة الحضارة الغربية - بعلومها ونظرياتها واكتشافاتها وطاقاتها - كمواد خام يصوغ منها قادة الفكر، و ولاة الأمور في العالم الإسلامي، حضارة قوية عصرية، مؤسسة على الإيمان والأخلاق والتقوى، والرحمة والعدل في جانب، وعلى القوة والإنتاج، والرفاهية، وحب الابتكار في جانب آخر، يأخذون من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمتهم،

وبلادهم ، وما ينفع عمليًا ، وما ليس عليه طابع غرب وشرق ، ويستغنون عن غيره ، ويعاملون الغرب كزميل وقرين ، إن كان في حاجة إلى أن يتعلموا منه كثيرًا فهو في حاجة إلى أن يتعلم منهم كثيرًا ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منهم أفضل مما يتعلمونه هم من الغرب .

٩- إقناع الحكومات - في بعض البلاد الإسلامية التي مثلت دورًا رائعًا في تاريخ الدعوة والحضارة الإسلامي - المشغولة بحرب إبادة للعنصر الإسلامي ، أو عملية « تطوير للإسلام » وتفسيره وفق مصالحها السياسية ، أو أهواء قادتها الشخصية ، بأنها سياسة عقيمة لم تنجح في بلد إسلامي ، و إقناعها بتوجيه طاقاتها و إمكانياتها إلى عدو مشترك ، وإلى ما يقوي البلاد والأمة .

وإقناع الحكومات المسلمة - المسالمة للإسلام - بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية ، وتهيئة الجو المناسب ، المساعد على ذلك ، وما يستتبع هذا الأمر من سعادة وبركة ونصر من الله ، وسعي لتكوين قيادة موحدة تقوم على مبدأ الشورى الإسلامي ، والتعاون على البر و التقوى ، والشعور بالتقصير - على الأقل - بعدم وجود الإمامة العامة أو الخلافة الإسلامية التي كلف بها المسلمون وسيحاسبون عليها .

١٠- أما بالنسبة إلى البلاد غير الإسلامية ، فالقيام بالدعوة إلى الإسلام والتعريف به بأساليب حكيمة تتفق مع طبيعة الإسلام وروح العصر ، أما البلاد التي فيها الأقليات المسلمة ، فالاهتمام بتمثيل الإسلام ، والحياة الإسلامية تمثيلاً يلفت إليه الأنظار ، ويستهوي القلوب ، والقيام بالقيادة الخلقية والروحية ، وقبول مسئولية إنقاذ البلاد والمجتمع من الانهيار الخلقي ، و الخواء الروحي ، والتدهور الاجتماعي الذي تعرضت له هذه البلاد ، حكومة وشعبًا ، حتى يتهيأ للإسلام أن يثبت جدارته وحاجة البلاد إليه ، ويتهيأ للمسلمين أن يقوموا بدورهم

البلاغي والقيادي في هذه البلاد .

١١ - وأخيراً لا آخراً هو ما تفرضه طبيعة الإسلام وتاريخه المجيد وتقتضيه الفطرة السليمة ، ونفسية الإنسان الدائمة ، والأوضاع السائدة هو وجود حركة إيمانية دعوية إيجابية قوية ، في العالم الإسلامي تقترن بصفات الرجولة والطموح وعلو الهمة وبعد النظر والقدرة على مواجهة الطاقات الرئيسية القائدة التي تملكت زمام قيادة البشرية وأصبحت تتحكم في مصائر الشعوب والأقطار الإسلامية وغير الإسلامية - من غير حق و مبرر - وذلك بإيمان القائمين بهذه الحركة والدعوة القوي ، وثقتهم بفضل الإسلام و حاجة البشرية إليه .

ويقترن نشاط هذه الحركة أو الدعوة الإسلامية بروح التضحية والبطولة والجلادة والتقشف والقدرة على المغامرات - إن كان لابد منها - لأن الناس ما زالوا مفطورين على تقدير الإيمان القوي ، والاعتزاز بالعقيدة والمبدأ ، والاستهانة بالمادة والشدة ، والعزة ، وروح المخاطرة ، و على الإحلال لشئ لا يجدونه عندهم ، فالضعيف مفطور على احترام القوي والفقير مفطور على احترام الغني والأمي مفطور على احترام العالم ، حتى اللئيم مفطور على احترام الكريم ، ولأن تاريخ الإسلام ملئ بالبطولات والمغامرات ، ولأن الواعين والمتتبعين لواقع الأمم والبلاد ، وأصحاب الضمائر الحية قد سئموا وضاقوا درعًا بسياسة الحكومات والقيادات العربية والشرقية وأصبحوا يمقتونها ويكرهونها كرهًا شديدًا .

إن وجود هذا الفراغ - عدم وجود حركة إيمانية دعوية إيجابية قوية ، ومجتمع قوي سليم من أدواء العصر الحديث والحضارة المادية الراهنة ، يقوم على تعاليم الإسلام وقيمه ومثله - خطر كبير على الوجود

الإسلامي، وعلى العقيدة الصحيحة والحياة الإسلامية، فإن وجود الفراغ في شئ ضروري وفي مصلحة بشرية شئ غير طبيعي لا يصلح للبقاء طويلاً، وقد يسبب ذلك نشوء حركة منحرفة رائعة، فاسدة العقيدة والمنهج، سلبية هادمة مدمرة، ويعرف الدارسون لتاريخ الديانات والدعوات والحركات، و للتاريخ العام انه إذا وجدت هذه الحركة المنحرفة واقترن نشاطها ودعاويها بالتضحيات والمغامرات، وبالتقشف ومظاهر الزهد وهتافات التحدي للطاقات الكبيرة و مواجهتها لتهديداتها وأخطارها، بشجاعة وصمود، ونقدها للأوضاع الفاسدة السائدة في بعض أجزاء العالم الإسلامي التي لا تتفق مع تعاليم الإسلام وقيمه ومثله - ولو كان في ذلك نصيب كبير من الدعاية والظاهرة و وسائل الإعلام الجبارة - كان له سحر على النفوس - خاصة في أوساط المتعلمين وأنصاف المتعلمين، المتألمين من الواقع المدبر الذي تورطت فيه بعض المجتمعات الإسلامية - سحر لا يبطله وعظ واعظ، أو مقال لكاتب، أو استدلال منطقي أو بحث علمي، يشهد بذلك تاريخ الخوارج في القرن الإسلامي الأول، وتاريخ الباطنية والفدائيين في القرنين السادس والسابع الهجريين، وحكايات حسن بن الصباح وما كان يجري في مركزه قلعة « الموت » وتاريخ كثير من الحركات العسكرية الثورية التي ظهرت باسم قلب الأوضاع الفاسدة باسم الإسلام والإصلاح كذبا وزورًا أحيانا كثيرة. وبعض الحركات والثورات المعاصرة التي استطاعت أن تجند ألوفًا من الشباب في تحقيق مآربها السلبية وأهدافها الخطيرة، يضحون بحياتهم في سبيلها متطوعين مندفعين، وقد استرعت انتباه العالم واستجابت لها بعض أوساط المعنيين باليقظة الإسلامية والحالمين لمجد

الإسلام وعظمته ، من غير أن ينقدوها نقدًا بريئًا جريئًا في ضوء النصوص القرآنية والعقائد الإسلامية ، والدراسات المقارنة الأمينة للفرق المنتحلة للإسلام .

ويعرف قادة المسلمين ومفكروهم ، أن السيل لا يمسكه إلا سيل مثله ، والتيار لا يدفعه إلا تيار أقوى منه ، و واقع العالم الإسلامي - ومعذرة - اليوم في الجمود والاستنامة و الإخلادإلى الراحة ، وعدم وجود دعوة إيمانية قوية ، وروح التضحية والفداء في سبيل العقيدة الصحيحة ، والأهداف الصالحة ، وعدم اكتفائهم العسكري والفكري ، نذير خطر دائمًا ، وممهد الطريق للوقوع في شبكة هذه الدعوات المنحرفة الزائفة التي يجد فيها شباب المسلمين والمتدمرون من الأوضاع الحالية طلبتهم ومنشودهم ، وما يرضى طموحهم ويزيل قلقهم ، وإن كان ذلك ﴿ كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إدا جاءه لم يجده شيئًا و وجد الله عنده فوفاه حسابه ﴾ (سورة النور ، الآية : ٣٩)، ولكنها نفسية الإنسان وتجربة الأمم ، والحقيقة الأليمة التي يجب أن يتنبه لها كل معنى بحاضر الإسلام ومستقبله ، وسلامة العقيدة وصحة التفكير ، والإيمان بالله ورسوله وتعاليمه .

وأختم هذا الحديث القصير بقوله تعالى الذي خاطب فيه المجموعة الصغيرة من الأنصار والمهاجرين التي حثها على المؤاخاة وربط بها مصير العالم والإنسانية :

﴿ إلا تفعلوه تكن فتنةٌ في الأرض و فسادٌ كبيرٌ ﴾ (سورة الأنفال ، الآية : ٧٢) .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

....

دلالات رقم الشهر ١٤٢٢

بقلم سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » الرياض

في حديث الأسبوع الماضي استعرضت أمورًا تغزو المجتمع الإسلامي ، ويتلقفها أبناء المسلمين تقليدًا أو تندرًا ، دون نمعن في المغزى البعيد ، الذي ترمز إليه ، أو نعمق في الهدف الذي قصده المهتمون بذلك الأمر ..

وما ذلك إلا أن الملتقى لأي أمر غير الواضع له والمقلد ، لا ينظر بعين الأصيل ، ولا يتبصر في الفكر الذي رمز إليه ..

وكان حديثي في الفترة الماضية عن الرقم [١٣] ، وما يعنيه تشاؤم بعض الناس منه ، حيث ضربت نماذج بقدر ما يسمح بها الحيز المتاح ، يستنير بها القارئ في إيضاح الدلالة عن هذا الرقم ، الذي من أجله اتخذه كثير من الغربيين نذير شئوم ، لارتباطه بجذور تاريخية وعقدية في تاريخ الصليبيين الطويل ، وصراعهم مع الإسلام ، وانعكاسات مؤرخيهم ومفكريهم ، وما حرصوا على ترسيخه في الأصيل بعدهم ليربطهم بتاريخهم الطويل .

ورأيت أن من المناسب أن يكون هذا الرقم ، إذا كان ولا بد من تقليد الآخرين فيما ساروا فيه ، من الاهتمام بأمثال هذه الأمور ، بارقة أمل ، وواجهة استبشار ، لدلالته على نصر الإسلام وأهله ، كما اعتز بذلك

ر بن الخطاب - رضي الله عنه - من قبل ، وغيره من سلف هذه الأمة
ي مثل قوله - رضي الله عنه - : « نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ،
متى طلبنا العز بغيره أذلنا الله » وأن على الفرد أن يعتز بدينه ،
يتروّي من ثقافته ، ولا يتوارى عند تطبيق تعليماته ، ويحمد الله
لى أن هداه لهذا الدين ، الذي لا يقبل الله من البشر دينًا سواه ، وهي
نة من الله كبيرة ، ونعمة لا يعدلها نعمة : ﴿ بل الله يمن عليكم أن
داكم للإيمان إن كنتم صادقين ﴾ (سورة الحجرات ، الآية : ١٧) .

وإن من طلب المسلمين العز بالإسلام ، الحرص عليه قولاً وعملاً ،
الصدور عن تعاليمه عقيدة ومنهج سلوك .. وهذا يقتضي الاهتمام
كل أمر يعرض للإنسان ، و وضعه في محك تعاليم الإسلام ، فما وافقه
خذ ، وما عارضه ترك ونقي .. حيث يقول -ﷺ- : « تركت فيكم أمرين
ن تضلوا ما تمسكتم بهما ، كتاب الله وسنتي » .

وحتى يكون الفرد في البيئة بعيدًا عما يخالف منهج دينه ، فإن
ليه أن يبتعد عن أسلوب حياة وأعمال أهل الملل الأخرى ، المغايرة
دين الإسلام ، حتى لا يكون الركون إلى صغائر الأمور ، مما يجرّئ
لى عظائم الأشياء ، فيتبلد الإحساس ، ويخف الوازع الديني ، ثم
بدأ من هذا نزع عرى الإسلام واحدة بعد أخرى .. حيث أبان رسول
لله -ﷺ- بأن بني إسرائيل لم يبدأ فيهم الشر ، إلا من التساهل في
لصغائر ، وتهاون العلماء في الإبانة عما كان سببًا في إفساد الملة ،
لذا نرى أوربا في نهضتها الحديثة ، عند ما اتجهت للعلمانية ، كان
شعارهم : دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، ثم لما نقمت الطبقة المتعلمة
على تسلط رجال الكنيسة ، بعد الثورة الفرنسية ، كانت الحرب على

رجال الكنيسة شديدة بالسخرية والإشاعة ، ثم تظافرت الجهود لتقليص دور الكنيسة ، ولما قامت الثورة البلشفية ، اشتد الصراع بين الشيوعيين ، ومنهم موسوليني في إيطاليا ، وبين البابا پيوس الثاني عشر ، لأن الشيوعية ، كانت ضد تعاليم الكنيسة ، بل ضد كل دين مهما كان .

فكان من نتيجة ذلك الصراع الذي قصد منه الحد من سلطة الكنيسة باعتبارها رمزًا للتخلف ، كما قال أحد كبار المفكرين الغربيين في العصر الحاضر ، في حكمه على رجال الدين في الكنيسة : ماذا تفعل بهذه الرؤوس النخرة ، التي عشش فيها التخلف ؟!

فلجأ المتعصبون لمعتقدهم إلى ربط الناس منذ الصغر ، ومع النساء لأنهن أكثر تأثيرًا في الناشئة بأمور ذات جذور في العقيدة التي يدينون لها ، وحرص المبشرون منهم إلى نقلها لديار الإسلام على هيئات شتى : ضمن عادات وطقوس في مناسبات شتى ، وهذا مدخل يحسن بكل مسلم الحذر منه ، حتى لا يكون بداية لدلالة حديث رسول الله -ﷺ- ، الذي لابد أن يقع ، لأنه خبر من الصادق المصدوق ، الذي يعلمه ربه أمورًا هي من المعجزات ، ودلائل النبوة ، حيث يقول - عليه الصلاة والسلام - : « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قيل يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال فمن » .

وحديث اليوم عن أشياء من تلك العادات التي يجب الحذر منها والصغائر التي يحسن عدم الركون إليها ، لأن وراءها أمورًا عظيمة ، ذلك أننا نلمس اتجاهًا بدأت تكبر دائرته ، وذلك بإطفاء وإشعال

الشموس في أعياد ميلاد الأبناء والبنات ، يُهيّأ احتفال ، على مائدة طعام أو حلوى ، ويوقد في وسطها شموعًا ، في الغالب تكون ثلاث شمعات ، وتُهيأ شموع بعدد سنوات من يراد الاحتفال بعيد ميلاده ، فيختار رميلاً له ليشعلها ، ويأتي هو لينفخها فتنطفئ ، ويشعل شمعة جديدة تمثل السنة الجديدة في حياته التي بدأت من ذلك اليوم .. أما الثلاث الأساسية فتبقى مشتعلة .. كما هي العادة في أي حفلة رسمية ، أو فندقية ذات بال .

و هذا الأمر معتقد نصراني ، و معتقد بوذي ، و لست أدري أيها الأقدم ، ولا أيها أخذ من الآخر .. وإن كان لكل منهما دلالة معينة .. فعند البوذيين لاحظت في كنائسهم ومعابدهم الكبيرة في نيبال شمالي الهند ، حيث معقل البوذية ومولدها : أن اعتقاد اشعال ثلاث الشمعات المستمر يرمز إلى حربة بوذا ، التي قتل بها الوحوش في الأدغال ، وجاء بها إلى معبده على ظهر الفيل ، فاعترضه أسد ، فقتله بها أيضًا، حتى وصل مدينة « تلهوا » فاستقبله الناس وأقام بها فترة يتعبد تحت شجرة .. فارتبط الرمز الثلاثي في الحربة ، ثم في الشموع في المعبد لاقترانه ببوذا وما تعلق من أسطورة القوة التي لا تقهر ، وقد وُجدت البوذية قبل الميلاد بستة قرون .

أما لدى النصارى فإن الشموع الثلاث التي تتصدر الموائد والمناسبات ، فإنما هو رمز لمعتقد رسخ في ديانتهم : الآب والابن وروح القدس .. وهو التثليث الذي مقتهم الله به ، وأبان جل وعلا كفرهم بسبب ذلك فقال جل من قائل : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة • وما من إله إلا إله واحد • وإن لم ينتهوا عما يقولون • ليمسن

الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾ (سورة المائدة ، الآية : ٧٢) .

فإيقاد هذه الشموع في هاتين الملتين ، يرمز إلى تأصيل العقيدة : الأولى للربط ببوذا ، والثانية : لتمكين عقيدة التثليث ، وكلتا العقيدتين تتباينان مع منهج الإسلام ، وعقيدة الوحدانية مع الله عزوجل .. وبين النصرانية ، والبوذية تقارب من حيث التعلق بشخصية بوذا ، وأن لديه قدرة فوق البشر ، وأنه يخلص البشر ويتحمل عنهم ، وأن لديه معجزات خارقة ، والنصرانية تؤله يسوع الذي هو الأقنوم الثاني من الثالوث ، من حيث رفع مكانته عن البشر ، وأنه جاء لتخليص البشرية من الشرور والفداء بنفسه ، علاوة على ما جاء به من معجزات خارقة للمألوف كإحياء الموتى ، وإيجاده من الطين على هيئة الطير بإذن الله ، وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله ..

ولم يربطوا هذه الأمور بالله ، بل رفعوه في غلوهم إلى درجة الألوهية ..

ويأتي وضع الشموع وتقديمها في المعابد ، كمعتقد ديني للقربات التي تقدم للآلهة التي يميلون إليها ، ورمز لطرد الشرور .

ولذا كانت صناعة الشموع ، والاتجار فيها بجوار المعابد البوذية ، والكنائس النصرانية وغيرهما تحظى بازدهار كبير ، ويغالي رجال الكنيسة في الشموع : تلوينًا وحجمًا ، حيت توقد في المناسبات ، وعن الموتى في الذكرى لوفاتهم ، فيوقد عن كل شخص من الشموع بعدد الأيام التي كانت المناسبة من أجلها ، وبالنظرة المادية فإنها أموال تهدر ، ولا ينال الفقير منها شئ ينتفع به .

وما ذلك إلا أن كثيرًا من الأمور التي يعملها أهل الكتاب وغيرهم ،

في مآتمهم ومناسباتهم ، قد سرت لكثير من المجتمعات الإسلامية ، واتخذوها تقليدًا عندهم ، بحكم اختلاطهم لشعوب تدين بغير الإسلام ، وتسير على طقوس لم تكن من تعاليم دين الإسلام ، ولا ضمن منهجه الذي جاء به محمد -ﷺ- ، وحرص على تحذير الأمة منه في مثل قوله : « خالفوا اليهود » عند ما رآهم يصومون يوم عاشورا .. فأمر بصوم يوم قبله ، أو يوم بعده لمخالفتهم ، كما أمر بالصلاة في النعال .. إذا تأكد الإنسان من طهارتها مخالفة لليهود .. وما اتخاذ الشموع في المعابد والمناسبات ، وما تصدرها بشكل ثلاثي الموائد إلا منهج يرمز لمعتقد لدى أصحاب تلك الديانات ، فالشموع عند هذه الملل تعني قدسية دينية ترتبط بوحدانيات عقدية مستمدة من نظرة المانوية القديمة للنور والظلمة .. أما في الإسلام فإنها تعني منفعة من المنافع ، كجـــزء من مخلوقات الله المسخرة للانتفاع و مصلحة الإنسان في حياتـــه .

وفي رأس السنة الميلادية يهتم النصارى عند الساعة الثانية عشرًا بإطفاء شمعة ترمز للسنة الماضية التي انتهت ، وإشعال شمعة جديدة تمثل السنة الجديدة التي أقبلت مع إطفاء الأنوار في الفترة بين الحالتين .. وأساس هذا الاعتقاد ، كما لوحظ في واحدة من كبرى كنائسهم ذات الشهرة ، أن ما يعتقدونه قبرًا لعيسى ، يكون فيه شخص مختف ، وعند الساعة الثانية عشرة ليلاً ، تطفأ الأنوار ليعيش من حوله في ظلام دامس ، وبحركة تمثيلية لا يدريها المحيطون به ، يفتح شباكين في غرفة القبر يمينًا وشمالاً ، ويضيئ شمعة خاطفة يبتهل لها من في هذا المكان .. لأنه قد وقر بأذهانهم ، حسب المعتقد

بأن عيسى يقوم من قبره ليسلم عليهم ، ويشملهم بغفرانه عن خطايا السنة الماضية ، ويبارك لهم منتهم الجديدة .. ولذا فإن كثيرين ممن يرون نور الشمعة التمثيلي يغمى عليهم لما علق بأذهانهم من أمور ، تأصلت جذورها منذ الصغر ..

ولكي يكون المسلم بعيدًا عن هذه المعتقدات ، ولو قال عن نفسه إنني لا أرمى لما يرمون إليه ، فإنه مدعو لنبذ كل خصلة ليس عليها توجيه رسالة الإسلام ، ولا خاتم تعاليمه .. ومأمور بنبذ كل أمر يرمز لمعتقد عقدى لدى الأمم الأخرى ، سواء أحطنا بما يرمون إليه ، أولم نحط به ، حيث جاء في حديث الذبابة أن رجلاً قيل له : قرب ؟ قال : ماذا أقرب وليس عندي شئ أقربه ؟ قيل : قرب ولو ذبابة .. فقرب ذبابة فدخل النار .. وارتياح القلب لأمر هو من معتقد الأمم المناوئة لمبادئ الإسلام يدخل في حكم الرضا والتقريب القليل .. وهذا من اطمئنان القلب لما يريدونه .. فعلى المسلم أن يستبرئ لدينه ، ويحذر ما فيه شبهة .. فما بالك إذا كان دلالة عن معتقد ، ورمزًا للولاء والاتباع ؟؟!!

فتح بيت المقدس :

ذكر ابن كثير في تاريخه أن ذلك تم في عام ١٥هـ ، وملخص ما جاء في خبر ذلك الفتح الذي تم على يد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وبقيادة أبي عبيدة بن الجراح .. وهذا عن رواية سيف بن عمر قال : إن أبا عبيدة لما فرغ من دمشق كتب إلى أهل إيليا ، يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام ، أو يبذلون الجزية ، أو يؤذنوا بحرب ، فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه ، فركب إليهم في جنده ، واستخلف على

دمشق سعيد بن زيد ، ثم حاصر بيت المقدس وضيق عليهم ، حتى أجابوا إلى الصلح ، بشرط أن يقدّم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .. فكتب إليه أبو عبيدة بذلك فاستشار عمر الناس في ذلك ، فأشار عثمان بن عفان ، بألا يركب إليهم ، ليكون أحقر لهم ، وأرغم لأنوفهم وأشار علي بن أبي طالب بالمسير إليهم ، ليكون أخف وطأة على المسلمين في حصارهم بينهم ، فهوى ما قال علي ، ولم يهو ما قال عثمان ، وسار بالجيوش نحوهم ، واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب ، وسار العباس بن عبد المطلب على مقدمته ، فلما وصل إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ، ورؤوس الأمراء ، كخالد بن الوليد ، ويزيد بن أبي سفيان ، فترجل أبو عبيدة ، وترجل عمر ، فأشار أبو عبيدة ليقبل يد عمر ، فهم عمر بتقبيل رجل أبي عبيدة ، فكف أبو عبيدة ، فكف عمر .. ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس ، واشترط عليهم إجلاء ، الروم إلى ثلاث ، ثم دخلها إذ دخل المسجد من الباب الذي دخل منه ، رسول الله -ﷺ- ، ليلة الإسراء ، ويقال إنه لبّى حين دخل بيت المقدس ، فصلى فيه تحية المسجد بمحراب داؤد ، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد ، فقرأ في الأولى بسورة ص وسجد فيها ، والمسلمون معه ، وفي الثانية بسورة بني إسرائيل ، ثم جاء إل الصخرة ، فاستدل على مكانها من كعب الأحبار ، وأشار عليه أن يجعل المسجد من ورائه فقال ضاهيت اليهودية ، ثم جعل المسجد في قبلى بيت المقدس ، وهو العمري اليوم ، ثم نقل التراب عن الصخرة ، في طرف ردائه وقبائه ، ونقل المسلمون معه في ذلك ، وسخر أهل الأردن في نقل بقيتها ، وقد كانت الروم جعلوا الصخرة مزبلة ، لأنها قبلة اليهود ،

حتى إن المرأة كانت ترسل خرقة حيضتها من داخل الحوز ، لتلقى على الصخرة ، وذلك مكافأة لما كانت اليهود عاملت به القمامة - وهو ما يعرف اليوم بكنيسة القيامة - وهي المكان الذي كانت اليهود صلبوا فيه المصلوب ، فجعلوا يلقون على قبره القمامة ، فلأجل ذلك سمّي ذلك الموضع القمامة ، وانسحب هذا الاسم على الكنيسة التي بناها النصارى هناك .

وقد كان هرقل حين جاءه الكتاب النبوي ، وهو بإيليا ، وعظ النصارى فيما كانوا قد بالغوا في إلقاء الكناسة على الصخرة ، حتى وصلت إلى محراب داؤد ، قال لهم : إنكم لخليق أن تقتلوا ، على هذه الكناسة ، مما امتهنتم هذا المسجد ، كما قتلت بنو إسرائيل على دم ، يحيى بن زكريا ، ثم أمروا بإزالتها ، فشرعوا في ذلك فما أزالوا ثلثها حتى فتحها المسلمون ، فأزالها عمر بن الخطاب ، وقد استقصى هذا كله بأسانيده ومتونة الحافظ بهاء الدين بن الحافظ أبي القاسم بن عساكر في كتابه المستقصى في فضائل المسجد الأقصى .

قال سيف بن عمر : وقد دخل عمر الشام أربع مرات : الأولى : كان راكبًا فرسًا ، حتى فتح بيت المقدس ، والثانية : على بعير ، والثالثة : وصل إلى سرغ ثم رجع لأجل ما وقع بالشام من الوباء ، والرابعة : دخلها على حمار ، هكذا نقله ابن جرير عنه [٧/٥٥-٥٦] .

....

السيرة النبوية وأهميتها في فهم الإسلام

[الحلقة الثانية]

بقلم : الدكتور عمر يوسف حمزة
المدرس بقسم التفسير والحديث ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة قطر

المبحث الثاني :

فهم شخصية الرسول -ﷺ- (النبوية) .

وأريد في بداية هذا المبحث أن أمهد له بكلمة تتعلق بطبيعة الرسالة المحمدية وهي :

العموم قال الله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للنّاس بشيرًا ونذيرًا ﴾ (سورة سبأ ، الآية : ٢٩) وما كانت هذه الرسالة العامة لأحد من الرسل قبله فموسى - عليه السلام - أرسل لبني إسرائيل خاصة ، لقد اقتصرت دعوته على بني إسرائيل ، وقد ذهب موسى وهارون - عليهما السلام - إلى فرعون ليرسل معهما بني إسرائيل فقال له : ﴿ إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ﴾ (١) .

وعيسى - عليه السلام - ، إنما أرسل إلى بني إسرائيل ، ولم يحاول سيدنا عيسى أن يبشر بدعوته خارج فلسطين ، ولم يحاول أن يجاهد من أجلها .

أما رسول الله -ﷺ- : فإنه أرسل إلى الناس جميعًا إنه أرسل إلى

---

(١) سورة طه ، الآية : ٤٧ ، وانظر : قصص القرآن محمد أحمد عادل وآخرون : ص/١٢٧ فما بعدها .

الناس جميعًا من حيث المكان : وأرسل إليهم من حيث الزمان ، فهو الرسول الدئم زمانًا ومكانًا (١) .

يقول تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا ﴾ (سورة الأعراف ، الآية : ١٥٨) .

إن هذا التمهيد الموجز لابد منه لمعرفة شخصية رسول الله -ﷺ- (النبوية) من خلال حياته وظروفه التي عاش فيها ، للتأكد من أن محمدًا - عليه الصلاة والسلام - لم يكن مجرد عبقري سمت به عبقريته بين قومه ولكنه قبل ذلك رسول أيده الله تعالى بوحي من عنده وتوفيق من لدنه .

إن حياة رسول الله -ﷺ- واضحة بينة منذ أن أخرج إلى الوجود وحتى قبل ميلاده -ﷺ- بشرت به الكتب السماوية التوراة والإنجيل فقد حكى لنا القرآن الكريم ما جاء على لسان نبي الله عيسى بن مريم - عليه السلام - : ﴿ وإذ قال عيسى بن مريم يبني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقًا لما بين يديّ من التوراة ومبشرًا برسولٍ يأتي من بعده اسمه أحمد ﴾ (سورة الصف ، الآية : ٦) .

فنسب رسول الله -ﷺ- من أعظم أنساب العرب .

روى الترمذي عن العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - أن النبي -ﷺ- قال : « إن الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم ، ثم جعلهم فرقتين فجعلني خير الفرقتين ، ثم تخير القبائل ، فجعلني من خير قبيلة ثم

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي الإمام الأكبر دكتور عبد الحليم محمود : ص/١٤.

تخير البيوت من خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسًا وخيرهم بيتًا » (١) .

ومن المعلوم أن الرسول - ﷺ - وُلد يتيمًا حيث مات والده وهو في بطن أمه . ولم يمكث كثيرًا مع أمه لخروجه من مكة مع مرضعته حليمة السعدية - رضي الله عنها - إلى بادية بني سعد وحدث لرسول الله - ﷺ - كثير من الإرهاصات وهو مع مرضعته السيدة حليمة السعدية مما يبشر بمكانة هذا النبي الكريم عند الخالق جل وعلا . ويعود إلى مكة بعد حادثة شق الصدر وتخرج به أمه إلى المدينة لزيارة قبر أبيه وليتعرف على أهله وذوى قرباته من بني النجار . و في طريق العودة إلى مكة مرضت آمنة بالأبواء (٢) .

ثم تولى أمر تربيته جده عبد المطلب . وقد ذكر الله تعالى نبيه - ﷺ - بأنه تولى أمره في يتمه فقال جل وعلا . ﴿ ألم يجدك يتيمًا فآوى ٠ و وجدك ضالاً فهدى ﴾ (٣) .

لقد شهد لرسول الله - ﷺ - بالفضل وعلو المنزلة كل منافس ومعاند ، وكل زنديق وجاحد . ولم يجد أحد من خصومه شيئًا يزرى رسول الله - ﷺ - في قول أو فعل أو عمل - ﷺ - فلم يظفر واحد من ألد أعدائه بهفوة في جد أو هزل . فلم يجد إلى ذلك سبيلاً . ولله الحمد والمنة .

أي فضل أعظم من فضل تشهد به الحسدة والأعداء .

---

(١) قال السيوطي في جامعه الصغير : حديث صحيح . وانظر الاصطفا في سيرة المصطفى - ﷺ - . محمد نبهان الخبار . ج/١ . ص/١١ .

(٢) الأبواء قرية بين المدينة والجحفة . بينها وبين المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً . انظر معجم البلدان لياقوت الحموى : ج/١ . ص/٧٩-٨٠ .

(٣) سورة الضحى . الآيتان : ٦-٧ .

شهد الأنام بفضله حتى العداء والفضل ما شهدت به الأعداء (١).

والرسول الكريم -ﷺ- بلغ من الفضائل غاياتها، واستكمل لغايات الأمور أدواتها، أن يكون لزعامة العالم مؤهلاً، وقد صدق الله الكريم حيث يقول عنه في محكم كتابه: ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧).

ولقد شهد للنبي -ﷺ- ألد أعدائه وخصومه قديمًا (النضر ابن الحارث) من بني عبد الدار حيث قال: " كان محمد فيكم غلامًا حدثًا، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثًا وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم، قلتم: " ساحر لا والله ما هو بساحر" (٢).

وهناك كثير من شهادات الأعداء لرسول الله -ﷺ-، ويكفيه فخرًا وشرفًا شهادة خالقه وبارئه في كتابه الكريم في كثير من آياته البينات والذي أريد أن أركز عليه في هذا البحث وهو أنه لا ينبغي لمسلم أن يحاول فهم شخصية رسول الله -ﷺ- على أنه عبقري عظيم أو قائد خطير أو داهية محنك فهذا يخالف الحقائق الكبرى التي كانت تزخر بها حياة المصطفى -ﷺ-.

ومما لا شك فيه أن النبي -ﷺ- كان متصفًا بكل صفات السمو والكمال الخلقي والعقلي والنفسي، ولكن كل ذلك إنما ينبع من أنه رسول من عند الله و من العبث أن نتجاهل هذا الأصل مطلقًا و الرد على مثل هذه المحاولات الفاشلة إنما يكون بلفت النظر إلى الأصل.

---

(١) الاصطفا في سيرة المصطفى، ج/١، ص/٦٧ فما بعدها.

(٢) انظر كتاب " نور اليقين " لخضري بك: ص/١٧.

كما أود أن الفت النظر أيضًا إلى أن المسلم لا ينبغي له أن يتصور أن المعجزة الوحيدة في حياة النبي -ﷺ- إنما هي القرآن ، ما دام أنه لا ينكر أن له - عليه الصلاة والسلام - سيرة يحاول أن يفهم حياته من خلالها . وأما إنكار وجود هذه السيرة فهو أمر لا مبرر له والذي ينكر السيرة فإن عليه أن ينكر معجزة القرآن أيضًا إذ لم تبلغنا معجزات رسول الله المختلفة إلا من حيث بلغتنا معجزة القرآن . وأما تأويل هذا طبق ما يستهوي النفس إسفاف عريب في تصنع البحث والفهم لا يقدم عليه من كان معتزًا بعقله ، كريمًا على نفسه (١) .

وإنني أسوق هذا الحديث لأننا نجد من المسلمين من ينكر المعجزات الأحرى لرسول الله -ﷺ- غير القرآن ، فقد حرص بعضهم على تضييق نطاق الغيبات التي لا تتفق مع علمية الغرب المادية (٢) . فقد راح ينكر كل معجزة لرسول الله -ﷺ- ويستثنى من هذا - كما استثنوا - .

معجزة القرآن الكريم :

ونحن المسلمين لا ننكر أن معجزته الكبرى هي القرآن الكريم ولكننا ننكر حصر معجزاته -ﷺ- في ذلك .

والقرآن الكريم من أعظم معجزاته -ﷺ- لأنه جاء به في زمن البلغاء والفصحاء وسألهم جميعًا أن يأتوا بمثله . قال تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت

---

(١) فقه السيرة دكتور محمد سعيد رمضان البوطي : ص/٩-١٠ بتصرف .

(٢) انظر كتاب « حياة محمد : محمد حسين هيكل : ص/٢٤ » وكتاب « الوحي المحمدي للأستاذ رشيد رضا وعبقرية محمد لعباس محمود العقاد ، » ومحمد والقوى المضادة » لمحمد خلق الله ، وغيرهم من الكتاب ، انظر منهج العقلية الحديثة في التفسير د/ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي : ص/٧٧٢ فما بعدها بتصرف .

الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ الآية (١) . فأعجزهم (٢) فسألهم سورة منه (٣) بحيث تصدق على سورة الكوثر فعجزوا .

فما اقتصر على تعجيزهم حتى أضاف إليهم - أكثر منهم وهم الجن ، ومع ذلك التوبيخ الذي يأباه ذوو المروءات ويثير الحميات لا سيما عند العرب العربا ذوى الأنفة والكبرياء .

وقد اشتمل القرآن الكريم على مثل سورة الكوثر سبعة آلاف مرة . فيكون سبعة آلاف معجزة وفيه من المعجزات وجوه كثيرة جدًا (٤) .

وليس هذا موضع التوسع فيها .

وقد ثبت لرسول الله الكريم -ﷺ- معجزات أخرى غير القرآن فمن معجزاته -ﷺ- . انشقاق القمر (٥) .

وهو أعظم من انشقاق البحر لأن الماء في كل حين يفترق من حيث الجملة .

---

(١) سورة الاسراء ، الآية ٨٨ .

(٢) ورد بعض معارضات تدل على السخف ، والخبل العقلي ، وهي مذكورة في بعض كتب علوم القرآن انظر مثلا الإتقان في علوم القرآن للسيوطي - رحمه الله - ج/٢ ، ص/٢٢٤ فما بعدها .

(٣) بنص القرآن ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ يونس آية ٣٨ .

(٤) انظر وجوه الإعجاز في القرآن الكريم . في كتاب « الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة » للقرافي : ص/٢٦٠ فما بعدها .

(٥) انشقاق القمر ورد في القرآن بصريح اللفظ قال تعالى : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ الآية .

وأجرى الله الماء من أصابعه (١) وهو أعظم من إجراء الماء من الحجر لأن الحجر مكان الماء من حيث الجملة ، وكلمه الحصى (٢) والذراع (٣) .

ومن معجزاته -ﷺ- (تكثير الطعام) ببركته ودعائه ، وقد حدث هذا مرات كثيرة ، وأقر به من صحابته الذين لمسوه وعلموه علم اليقين ومنها (حنين الجذع) الذي كان يضع يده -ﷺ- حين يخطب بالمسلمين على منبره فاستغنى عنه -ﷺ- وتركه فسمع لذلك الجذع حنين بصوت

---

(١) نبع الماء من بين أصابع الرسول -ﷺ- وردت فيه روايات عدة في الصحيح ، والراجح أن هذه المعجزة قد تكررت مرات عدة ، فقد وقعت بالزوراء عند السوق ، وردت في يوم الحديبية وفي غزوة تبوك ، وقد روى ذلك من الصحابة ، أنس وجابر و ابن مسعود ، ويمكن الوقوف على تفصيل هذه الواقعة في الشفا : ج/١ ص/٥٥٠ فما بعدها ، راجع الزرقاني على المؤطأ ١/٦٥ .

(٢) تسبيح الحصى وردت فيه روايات عدة تدل على تكرار الواقعة ، فقد روى عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - عن الرسول -ﷺ- أنه قال : « لما استقبلني جبريل - عليه السلام - بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله » [رواه البزار في مسنده] .

وعن جابر بن سمرة عنه -ﷺ- : « إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم علي[صحيح مسلم] ، وعن أنس - رضي الله عنه - قال : أخذ -ﷺ- كفا من حصى مسبحن في يد رسول الله -ﷺ- حتى سمعت التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن ثم في أيدينا فما سبحن ، انظر تاريخ ابن عساكر ، وانظر الشفا للقاضي عياض : ج/١ ، ص/٥٨٨-٥٩١ .

(٣) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن يهودية أهدت للنبي -ﷺ- بخيبر شاه مصلية سمتها فأكل رسول الله وسلم منها وأكل القوم .. فقال ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة فمات بشر بن البراء ، وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت ؟ قالت إن كنت نبيًا لم يضرك ما صنعت وإن كنت ملكًا أرحت الناس منك ، أخرجه الشيخان .

كصوت الناقة إذا حنت على ولدها، حتى ارتج المسجد ببكاء الناس لذلك ، ولازال يحن حتى نزل الرسول -ﷺ- عن المنبر وضمه وحضنه فسكن (١) ومنها الإسراء والمعراج (٢) .

ومنها : « ما وقع لسراقة بجواده ولبس حلى كسرى » (٣) .

ومعجزاته -ﷺ- كثيرة ليس هذا موضع استيعابها . وقد أجمع أولياؤه وأعداؤه على أنه من أصدق الناس وأكرمهم ، وأشجعهم وأكثرهم أمانة وإعراضًا عن الدنيا وترغيبًا في الآخرة ، لم يختلف في هذه الصفات اثنان ممن خالطه من الكفار والمسلمين . وهذه صفات لا تجتمع إلا لنبي ممن كفر به يلزمه أن لا يعتقد بنبوة غيره من الأنبياء (٤) .

وخلاصة القول : في فهم شخصية الرسول -ﷺ- يجب أن نعتقد الآتي :

١- علينا أن نفهم شخصية رسول الله -ﷺ- من خلال حياته وظروفه التي عاش فيها ، للتأكد من أنه رسول من الله تعالى أيده الله بالوحي .

٢- وصف رسول الله -ﷺ- بالعبقرية المجردة فيه تجن على حقه ومكانته -ﷺ- : والهدف من هذا الوصف هو إنكار الرسالة وإن لم يصرح أصحاب هذا الوصف به .

٣- إن تصوير حياة رسول الله -ﷺ- على أنها حياة بشرية عادية أمر

---

(١) الاصطفا في سيرة المصطفى : ج/٢ . ص/٢٢٢-٢٢٣

(٢) روى قصة الإسراء والمعراج البخاري . انظر صحيح البخاري : ج/١ . ص/١٥٠ . وصحيح مسلم : ج/١ . ص/١٥٠ . وذكره السيوطي في الدر المنثور: ج/٤ . ص/١٤٠ . ومجمع الزوائد للهيثمي : ج/١ . ص/٧٦

(٣) الاصطفا في سيرة المصطفى : ج/٢ . ص/٢٢٢

(٤) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاخرة للقرافي : ص/٢٦٤-٢٦٥ بتصرف .

يخالف الواقع ويطمس الحقيقة الناصعة لأنه -ﷺ- بشر ولكنه يوحى إليه : ﴿ قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليّ ﴾ (١) .

٤ - إن إنكار المعجزات والخوارق في سيرته -ﷺ- وتصوير حياته -ﷺ- على أنها كانت بعيدة كل البعد عن المعجزات والآيات التي يؤيد الله بها في العادة أنبيائه الصادقين ، أمر لا مبرر له سوى الإنكار فحسب .

إن منبع هذه النظرية عن رسول الله -ﷺ- ، إنما قال بها بعض المستشرقين والباحثين الأجانب من أمثال غوستاف لوبون ، وأوجست كونت ، وهيوم ، وجولد زهير وغيرهم ، وأساس هذه النظرية عنهم وسببها ، هو عدم الإيمان بخالق المعجزات أولا ذلك لأن الإيمان بالله عزوجل إذا استقر في النفس ، سهل الإيمان بكل شئ .

ثم تلقف هذه النظرية منهم أناس من المسلمين ، جندوا كل مساعيهم وعلومهم للتبشير بأفكار أولئك الأجانب ، دون أي سبب سوى الافتنان بزخرف خداعهم ، وانخطاف أبصارهم بمظهر النهضة العلمية ، التي هبت في أنحاء أوربا (٢) .

٥ - إن أبرز صفة في حياة المصطفى -ﷺ- هي « النبوة » لا شك في ذلك ولا ريب والنبوة هي من المعاني الغيبية التي لا تخضع لمقاييسنا المحسوسة .

وإذا فإن معنى المعجزة الخارقة قائم في أصل كيانه - عليه الصلاة والسلام - فلا يتسنى نفي المعجزات (٣) والخوارق عنه -ﷺ- إلا بهدم

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ١١٠ .

(٢) فقه السيرة دكتور محمد سعيد رمضان البوطي : ص/١٠٦ .

(٣) المعجزات : هي أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدى ، سالم عـــن >>>

معنى النبوة نفسها ونسخها من حياته ، وذلك يساوى ، إنكار الدين .

٦- إذا نظرنا في حياته -ﷺ- بتدبر وتأمل اتضح لنا جليًا أن الله جل علاه أجرى على يدى المصطفى -ﷺ- ، كثيرًا من المعجزات ، التي لا مناص من قبولها ، ولا مجال لردها وإنكارها لأنها نقلت إلينا بالأسانيد الصحيحة المتواترة التي ترتقى بالفكر و العقل إلى درجة القطع واليقين .

٧- وأخيرًا أن الذي خلق المعجزات وأجراه على يدى الرسول الكريم -ﷺ- هو الله تبارك وتعالى ، خلق الكون وما فيه من معجزات .

وأن الحق الذي يجب أن يفهمه كل عاقل ، أن المألوف وغير المألوف ، معجزة في أصله .

فالكواكب معجزة : وحركة الأفلاك معجزة ، وقانون الجاذبية معجزة ، والمجموعة العصبية في الإنسان معجزة ، والدورة الدموية فيه معجزة ، والروح التي فيه معجزة ، والإنسان نفسه معجزة ، والله يهدي لنوره من يشاء فنسأله تعالى الهداية إلى صراطه المستقيم إنه سميعٌ مجيبٌ

[يتبع]

<<< المعارضة ، وهي إما حسية ، تشاهد بالبصر أو تسمع ، كخروج الناقة من الصخرة ، وانقلاب العصا حية ، وكلام الجمادات .

وإما معنوية تشاهد بالبصيرة ، كمعجزة القرآن ، وقد أوتى نبينا -ﷺ- من كل ذلك ، انظر : اعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة الشيخ حافظ بن أحمد حكمي : ص/٨٢ ، خرج أحاديثه تميم أحمد خليل السلفي .

النهضة الإسلامية ومشكلاتها

بقلم الدكتور علي القاصي - القاهرة

العالم الإسلامي :

في هذه الفترة يجتاز فترة تحوّل .

ويمكن أن توصف بأنها فترة ذات صبغة طفولية يمكن أن يعوق فيها فعل الإنسان المسلم وفكره من جراء مركبات معينة خاصة بوسطه - وفيما عدا ذلك فالمسلم يحتاج لأن يتفوق على بعض مركبات نقصه بازاء عالم راضح للتصميم وللمنهج التيلوري الذي يعمد إلى تنظيم العمل بشكل قيم لحصوله - حيث يستشعر نفسه بطريقة غامضة أنه غير متكيف مع هذا العالم .

وقد اتخذ - بالنسبة له وبسهولة مرموقة - بعض الدعاوي التي تترجم عموماً عن حقائق معينة ثابتة . ونحن عند ما نواصل تحليل الأشياء أبعد من ذلك - فإننا نلاحظ التأثير التنويمي لهذه الدعاوي التي تحدد وعينا - في نوع من الانقياد المترف بإزاء العالم الواضح للتصميم .

إن المادة تتحظى في العالم المخطط بمرتبة القيمة العليا .

لكن المجتمع الإسلامي في العصر الحاضر يتخذ بالنسبة للمادة موقفاً غريباً - والواقع أن المادة قد واكبت تياراً فكرياً مزدوجاً - .

ففي العالم الراضخ للتصميم وللمنهج التيلوري ، توجد نزعة مادية رأسمالية أو برجوازية نوعياً ، و نزعة مادية ماركسية أو بروليتارية نوعياً كذلك .

النزعة الأولى :

تلتقي في الغرب مع رفاهية طبقة مالكة لصالحها وأذواقها وأشيائها .

النزعة الثانية :

تمثل مذهب نضال طبقة كادحة - وتلتقي مع أصول هذا النضال وتصوراته وأفكاره . وإذا بالعالم الإسلامي الذي يريد الانفلات من أسر المادة متخذاً من وجهة نظرية نفس التحفظ بالنسبة إلى كل من الفلسفتين اللتين تواكبهما - يسقط لا شعورياً في النزعة الأولى . ذلك لأنه في الحقيقة ينحصر تعلقه - في المرحلة الراهنة من تطوره - بالأشياء لا بالأفكار .

المرحلة الصبيانية :

ونحن نستطيع أن نفهم هذا الميل على ضوء السيكلوجية الصبيانية فالطفل لا يرى في العالم أفكاراً ولكنه يرى أشياء - فكومة من الحلوى أثمن لديه بكثير من كومة من الجواهر. وهذا النزوع الفكري قد واكب في العالم الإسلامي استمراء السهولة فشراء سيارة وثلاجة أسهل بكثير من الحصول على الأفكار الضرورية لصنعها .

ولذلك فإننا نرى في العالم الغربي أنه كان من نتائج المادة في العالم المصنع لها تنمية كمية من الأفكار وفي العالم الإسلامي كان من نتائج المادة العكسية مضاعفة الأشياء فحسب . فالفكرة ليست لها فاعليتها الكافية في العالم الإسلامي أو هي لا تلعب دورها فيه . وأحد أسباب القصور ما نلاحظه في التطور الراهن للعالم الإسلامي من تخلف بالنسبة إلى التطور العام وهذا المظهر بالذات هو الذي لفت نظر الفيلسوف المسلم مالك بن نبي فألف كتابه « فكرة كومنولث إسلامي » . لأنه يتصل بكل

العوامل النفسية التي تبرز فكرة لكومنولث وقد لفت نظره أن أهم أسباب التخلف في العالم الإسلامي، أن الفكرة لا تلعب دورها في حياته الحاضرة.

التقليد :

والعالم الإسلامي يقوم بتجربة مؤلمة منذ منتصف القرن التاسع عشر (عام ١٨٥٨م) وذلك عند ما استيقظ على ضربات النزعة الاستعمارية وعلى نداء الأفغاني والشيخ محمد عبده، وشبه العالم الإسلامي بالطفل الذي يجتاز مرحلة من التقليد لأبيه وأمه و اخوته من عير أن يفهمهم - يقلدهم في اللغة وفي الأصوات التي لا يفهمها - فإذا ما وصل الطفل إلى سن العاشرة فإنها حالات شاذة أو مرضية يحق لأهله الحيرة واللجوء إلى الاخصائيين.

والأهل يعرفون خطر القدوة أو المثال السيئ بالنسبة لأطفالهم ولذلك فإنهم يعملون على وقايتهم في المنزل والشارع.

العالم الإسلامي واليابان :

عام ١٨٥٨م عام تاريخ طفولة العالم الإسلامي الراهن وعام ١٨٦٨م عام تاريخ طفولة اليابان.

و قد استطاع الطفل الياباني اجتياز طور مقبل اجتماعي في أوربا. فقد قلد أوربا فاشترى الأشياء من غير ما فهم للأفكار التي تمثلها ولكنه سريعاً ما تعلم لغة الكبار واعترف له في عام ١٩٠٥م بأنه قد أصبح يجيد الكلام والتفكير ويطلق المدافع التي صنعها بنفسه في موقعة (ميناء آرسر).

بينما العالم الإسلامي - حتى الآن - لم يتعود لغة الكبار ولا زال يشترى الأشياء بدون أن يفكر فيها. و التطور الاقتصادي للعالم

الإسلامي منذ قرن ونصف اتجه إلى الأشياء يستهلك ولا ينتج ، زاد من حاجاته ولم يزد في وسائله ولا في أفكاره .

ولذلك ظلت الفكرة معزولة ومحايدة ، وحول أية فكرة تجد الناس في المجتمع الإسلامي ينقسمون إلى أقسام :

= قسم يلتزم الصمت تأدباً .

= وقسم يتهكم ويلتقى أفراده فيما بينهم على نظرات وكأنهم يقولون : يا للموت .

= وقسم يتثاءب أفراده من السآمة ثم ينصرفون إلى الاهتمام بأشياء أكثر جديدة كمشكلة لبس السيدات للشوال في الستينيات .

والمجتمع لذلك فقير في الأفكار - مع أن الأفكار هي الثروة الوحيدة التي يعول عليها والتي تخرج المجتمع من أزمته ، وهم يكونون مجتمعاً أعزل تفاهميا وأيدلوجيا - في الوقت الذي يتعين علينا فيه أن نسوى كل المنازعات بالأفكار لا بالأسلحة ، ذلك لأن عالم الأشياء هو الذي يدعم عالم الأشياء - وعصرنا هو العصر الأخصب والأحفل بالتجارب الاجتماعية البناءة .

كيف نصل إلى كومنولث إسلامي : ؟

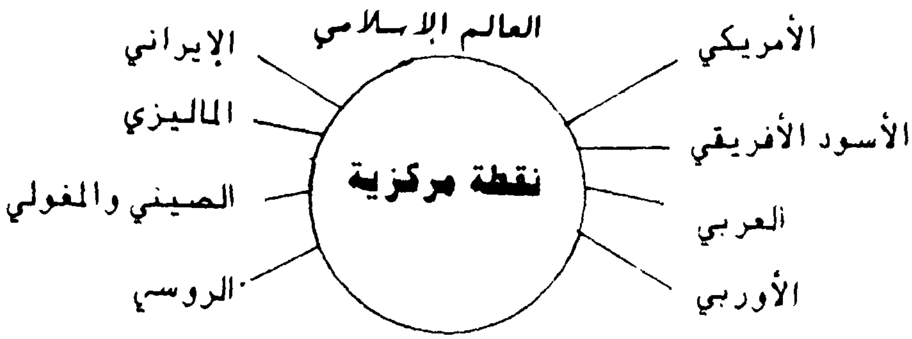
ولكي نصل إلى كومنولث إسلامي يجب أن يجرى العمل من الداخل وعلى المحيط العالمي معاً :

في الداخل : يجب أن يتناول التحقيق موضوع العناصر العضوية الخاصة بالعالم المكتشف - العناصر التي تكوّن هويته وأصالته .

وعلى المحيط العالمي : يجب أن يتناول التحقيق العناصر النفسية التي تكوّن هويته وأصالته والقرابات التي يمكنها أن تضم العالم المشار إليه - إلى العالم الإسلامي الأخرى تحت المبدأ المتكامل - والتحقيق يقع ابتداء من الداخل إلى المحيط فينتهي إلى نقطة التقاء والنزوع إلى

ـداخل يجب أن يأتي من الداخل متجهاً صوب نقطة الالتقاء .

إن بذرة الحياة ليست سوى مجرد رمز في اللحظة التي تضعها العناية لإلهية في رحم الأم . ما وزنها ؟ لا شئ - ومع ذلك فهي البذرة التي نتجت الأنبياء والعبقريات الكثيرة - واللجان الصغيرة قد تبدو بلا ـعنى - ومع ذلك فإن عالماً كاملاً يمكن أن ينشأ عن هذا الالتقاء .



وللتخطيط المخالف لهذا كان يصلح منذ أربعة عشر قرناً .

والآن لا يصلح لأن النقطة المركزية في السياسة قد تؤول باعتبارها إرادة خاصة إلى جانب المصالح الغربية التي ستتولى تأويل الفكرة .

وذلك يعبر عن الإرادة الجماعية الإسلامية ويحقق التكامل بين البلاد الإسلامية . وتوزيع العمل على لجان محلية بدراسة المشروع يمثل الحجر الأساسي في البناية - والعمل الدراسي لهذه اللجان سيكون العمل التكويني - ويكون الكومنولت الإسلامي قد دان له من خلال الأفكار - ولم يبق غير دخوله في عالم الواقع التاريخي - ومواصلة العمل تختم بينها مبادلات تربطها بقاعدة محمية أو جهاز مركزي .

وتيار الفكر الإسلامي هو الهدف الذي أوجدت هذه اللجان من أجله وبذلك يكون الالتقاء في نقطة معينة .

ألمانيا وعالم الأفكار :

خاضت ألمانيا الحرب العالمية الثانية من عام ١٩٣٩ إلى عام ١٩٤٥م

- وقد خربت هذه الحرب عمليا علم الأشياء - خربت المصانع والمناجم وكل شئ ، ومع ذلك فإن ألمانيا المنهكة والمستنزفة جهداً و وسائل ، استطاعت أن تنهض خلال عشر سنوات لأنها فهمت جيداً : أن الإنسان = التراب ، = الوقت ، = الحضارة . فالإنسان هو الذي يحدد القيمة الاجتماعية لهذه المعادلة ، والتراب هو المادة التي يستخدمها الإنسان للتقدم طبقاً للأفكار ، و الوقت هو الزمن الذي يعمل فيه الإنسان وينتج ، وذلك كله ينتهي إلى الحضارة الكاملة بشقيها : الثقافي والمدني .

والألمـــــانـــــي :

أفكاره وحدها هي التي حققت له النهوض . وطريقة ألمانيا في تخطى العقبات والوصول إلى الفكر والعمل والإنتاج ، تتيح لنا أن نستخلص بطريقة علمية :

أن قيمة مجتمع معين في فترة ما من تاريخه ، لا يعبر عنها بمجموعة الأشياء في هذا المجتمع ولكن بمجموعة أفكاره ، وحتى هذه الأشياء الموجودة في العالم اشتريناها من مجتمعات تملك أفكاراً .

المسلم صاحب رســالـــة :

المسلم في هذه الحياة مستخلف من الله سبحانه وتعالى في عمارة الأرض طبقاً لمنهج الخالق سبحانه وتعالى- مستخدماً الأفكار والاتجاهات والأدوات التي منحها الله تعالى إياها وذلك هو مفهوم العبادة الحقيقي في قوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون ﴾ (سورة الذاريات ، الآيه : ٥٦) .

فالعبادة هي عمارة الكون ونشر العدل والأمن والطمأنينة فيه وقد طلب الإسلام تنمية كل جوانب الإنسان : الجسم والعقل والروح ، حتى يستطيع أن يؤدى وظيفته .

ولذلك فإن النهضة بكل جوانبها في الإسلام تقوم على العقيدة التي

تتمثل في قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ (سورة آل عمران ، الآية : ١١٠) .

فالأمة الإسلامية مخرجة إخراجاً وفق نموذج معين يحققه نظام معين قائم على التربية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وبذلك يظهر دور المسلم في الحياة الذي يتمثل في كونه إنساناً صاحب رسالة يبلغها للآخرين ، ويكون شاهداً على الناس شهادة إيجابية : يقول الله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ١٤٢) .

وقد ختم النبي -ﷺ- حجة الوداع بشهادة ذات أهمية خاصة وهي قوله : « فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

فهذه العبارة تسجل رمزياً ختام رسالة النبي -ﷺ- وتسجل اللحظة المشهودة التي تصبح فيها هذه الرسالة بما في محتواها من أسس الرسالة الخاصة بكل مسلم حاضر بإزاء الغائبين .

المسلم الحاضر بسفح جبل عرفات لا يمثل شخصه وجيله فحسب ، ولكنه يمثل الأجيال التي تأتي بعد ذلك .

لأن عبارة النبي التي لم تكف - ولن تكف - عن الرنين في أسماع الأجيال المسلمة المتعاقبة منذ الجيل الأول الذي سمعها - فقد كانت هذه الأجيال جميعها حاضرة في أشخاص السامعين في ذلك اليوم والغائبون ليسوا فقط المسلمين الذين أقعدهم الشغل الشاغل أو المرض بعيداً عن مكة وعرفات ، ولكن تشمل الغائبين في تصور كل الأجيال والغائبين الذين لم تبلغهم الرسالة الإسلامية فكل مسلم كان حاضراً معنوياً في عرفات ، واستمع إلى وصايا الرسول الأخيرة ، ولذلك يتعين عليه اليوم أن يحمل الرسالة الإسلامية إلى كل الذين غابوا في ذلك اليوم ، وإلى كل الذين لا يزالون غائبين الآن وبعد الآن .

المثال البـــــريطـــانــــي :

الكومنولث البريطاني مساحته كبيرة ومشكلاته تتخذ صبغة جغرافية سياسية محددة بالمساحة . والكومنولث الإسلامي بسبب مسافاته المحورية والكتل البشرية التي تشملها مساحته يضع أمامنا مشكلة ذات طابع جغرافي وسياسي في المستوى السابق . والرابطة العضوية بالنسبة للكومنولث البريطاني مجسمة في شخص ملك انجلترا - ولكنها تدار سياسياً بوساطة لائحة « وسنتسر» ومن جهة النظر الاقتصاديه تدار باتفاقيات « أوتاداً » .

والرابطة العضوية للكومنولث الإسلامي تتشخص في فكرة هي (الإسلام) ممثلة في مجمع دائم يجسم الإرادة الجماعية للعالم الإسلامي ويمثل مصالحه الخاصة والعامة . والمقر الرسمي لهذا الجمع يجب أن يكون في دات الوقت (الوحدة القاعدية) التي تتصل على أساسها أجراء الكومنولث المختلفة لتتبادل فيما بينها ما يتعلق بشؤونها الإسلامية - ومركز الدراسة للمشكلات النوعية في العالم الإسلامي ومركز الانجاز والإذاعة للحلول التي تعبر عنها. والكومنولث الإسلامي أساساً مجموعة شعوب - ولدلك ينبغي أن يواجه المشكلات دات الصبغة النفسية والاجتماعية . و هكذا يرسم لنا المفكر الإسلامي الكبير مالك بن نبي ، صورة للوحدة الإسلامية التي يمكن أن تتحقق في العصر الحاضر ، ويضيف الشيخ محمد أبو زهرة إلى دلك قوله : « إن الوحدة التي نبتغيها لا تمس سلطان دي سلطان يقوم بالحق والعدل بين المسلمين ولا شكل الحكم في الأقاليم الإسلامية - فلكل إقليم أسلوب حكمه - مادام يؤدي إلى إقامة الحق والعدل فيه . ويحقق المعاني الإسلامية السامية .

... • ...

أسباب مرض القلب وعلاجه

فضيلة الشيخ سعيد مسفر القحطاني

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين وبعد !

فإن مدار سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة على سلامة قلبه ، لأنه لا ينجو من عذاب الله يوم القيامة ويفوز بالنعيم المقيم إلا صاحب القلب السليم يقول الله عزوجل : ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ ويثني الله على إبراهيم - عليه السلام - بقوله : ﴿ إذ جاء ربه بقلب سليم ﴾ وسلامة القلب كما يفسرها العلماء هي سلامته من كل شبهة تعارض خبر الله ومن كل شهوة تعارض أمر الله ونهيه وقد ذكر الله عزوجل في القرآن الكريم أن القلوب تمرض كما تمرض الأجساد وأنه يعتريها من الآفات ما يعتري الأجساد يقول تبارك وتعالى عن المنافقين : ﴿ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ﴾ لذا كان حرياً بالعاقل أن يكون حرصه على سلامة قلبه أكثر من حرصه على سلامة جسده ، والناس واقعون في هذه الأزمان مع أجسادهم فهم يحمونها من كل آفة ولا يعرضونها لأي خطر ، وعند ما تتعرض لأي إصابة يسارعون في علاجها ويعملون كل الأسباب لوقايتها ، فالجو البارد يقابل بالملابس الشتوية والجو الحار يقابل بالمكيفات والملابس الخفيفة والمستشفيات تعالج الأجساد من جميع الأمراض .

ومع أن الأمر معهم إلا أن التقصير واقع في العناية والاهتمام بقلوبهم لأنهم لا يشعرون بمرضها وهذا أدى بدوره إلى موت كثير من قلوب الناس حتى لم يعد بها إحساس فلا تؤلها جراحات المعاصي ولا يوجعها جهلها

بالحق ، نظراً لانعدام الحياة بها ، على حد قول الشاعر : (ما لجرح بميت إيلام) .

يقول أحد السلف عجباً لهؤلآء الناس يبكون على من مات جسده ولا يبكون على من مات قلبه وهو أشد ، وهذا أوضح فإن كثيراً ممن ماتت قلوبهم بالكفر والمعاصي وترك الفرائض والطاعات لا يبكي عليهم أحد من أقاربهم و معارفهم و لكن إذا ماتت أجسادهم أرتفعت الأصوات و تعالى البكاء .

وعلامة صحة القلب أو مرضه تعرف من خلال عرض الأوامر والنواهي عليه فإن كان مسارعاً إلى أوامر الله مبتعداً عن نواهيه فهي علامة صحة وسلامة قلبه وإن كان واقعاً في محارم الله متقاعساً عن القيام بأوامر الله كان ذلك دليلاً على مرض القلب والعياذ بالله ، ومن علامات مرض القلب عدوله عن الأغذية النافعة ، كالطاعات والقربات إلى الأغذية الضارة كالمعاصي والسيئات ، وعدوله عن الدواء النافع إلى الدواء القاتل .

ومن علامات صحة القلب أن يرتحل عن الدنيا وينزل في الآخرة حتى لكأنه من أهلها وأبنائها .

وهناك أسباب كثيرة لأمراض القلوب أهمها وأخطرها سببين رئيسيين :

الأول : الشبهات التي تورث الشك في دين الله وتوجب فساد الاعتقاد .

الثاني : الشهوات التي تورث تقديم الهوى على أمر الله وتوجب فساد القصد والإرادة .

وهذان الأمران يحصلان كما قال ابن القيم - رحمه الله - من تعرض الإنسان للسموم التي تأتي من فضول الكلام وفضول النظر وفضول

الطعام وفضول المخالطة .

لأنها أشد السموم تأثيراً على القلب ، وسوف نتحدث بشئ من التفصيل عن هذا السموم .

أولاً كثرة الكلام : وذلك لأن الإنسان منفذ على القلب فإن كان صالحا أنفذ إلى القلب شيئاً صالحاً وإن كان فاسد أنفذ إلى القلب الشرور والفساد

ولذا يروى الترمذي عن بلال بن الحارث المزني أن الرسول -ﷺ- قال : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ولا يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله بها رضاه إلى يوم يلقاه » .

وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا وإن فيكتب الله عليه سخطه إلى يوم يلقاه وكذلك كان علقمة يقول كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحارث .

وهذا يعني أن على المسلم أن يحكم الرباط والمراقبة على لسانه وقد روى عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - أنه كان يمسك لسانه بيده ويقول : « هذا الذي أوردني الموارد » ورب كلمة قالت لصاحبها دعني .. دعني .

فيا أخي المسلم : امسك الكلمة ، لأن لسان المؤمن خلف قلبه ولسان المنافق دون قلبه . فأما المؤمن فعند ما يريد أن يتكلم فإنه يعرض الكلام الذي يريد أن ينطق به اللسان على القلب فإن كان خيراً أمضاه وإن كان شراً رفض .

أما المنافق فإن لسانه دون قلبه فإذا خطر على لسانه أي شئ تكلم به دون أن يعرض على قلبه .

ولهذا قال -ﷺ- في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » .

وهذا الحديث يعتبر وسيلة لقياس الرجال ومعرفة موازينهم عند الله .

فإن كان الرجل صموتاً وقوراً لا يتكلم إلا بخير فهو إن شاء الله ممن يحبهم المولى عزوجل . وإن كان الرجل مهدارا كثير الكلام فيما لا فائدة فيه فهذا والعياذ بالله ممن لا يحبهم الله وبذلك تنتفي عنه صفة الإيمان بالله واليوم الاخر .

حطر اللسان يأتي من طريقين :

حطر الكلام بالباطل .

وحطر السكوت عن الحق .

فالمتكلم بالباطل شيطان ناطق . والساكت عن الحق شيطان أخرس .

وطريق السلامة أن تتكلم بالحق وأن تسكت عن الباطل . ولذلك فإن من يتكلمون في غياب الاخرين ويتجهمون على أعراضهم لا يعلمون أن ذلك غيبة . وأن الغيبة ذنب عظيم في الإسلام

سئل رسول الله -ﷺ- فقال : « الغيبة ذكرك أخاك بما يكره » . فإن كان فيه ما تقول فهي غيبة وإن كان ليس فيه ما تقول فهي بهتان .

وهنا نرى أن كلا الحالتين سيئة والعياذ بالله . قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ﴾

وهذا يعني السخرية والاستهزاء بالآخرين فلعل المستسخر منه أفضل عند الله من الساخر .

ثم يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ فكأن لمز الاخرين

بالتصريح أو التلميح كلمز النفس .

قال تعالى : ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾ وهذا يعني عدم مناداة الآخرين بما يكرهون من ألقاب وأسماء وإنما الواجب دعوة المسلم بأحب اسم له ، وأفضل لقب يعجبه كأن يقول المنادي : يا فلان (يناديه باسمه) أو يا أبا فلان ، أو يا أخي في الله ، أما أن يقول يا أسود يا أعوج يا متين يا قصير وغيرها فهذا مما نهي الله عنه قال تعالى : ﴿ بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ﴾ إلى آخر الآيات .

من هذا كله نرى أنه لا ينبغي للمسلم اطلاق لسانه وإنما عليه تقييده بالخوف من الله عزوجل وعدم الكلام إلا فيما يحبه الله ويرضاه .

وهذا السبب هو أخطر الأسباب . ولنا في حديث معاذ حين قال رسول الله -ﷺ- : « أو إنا لمؤاخذون بما نتكلم به » ، قال الصادق المصدوق : « ثكلتك أمك يا معاذ . وهل يكب الناس على وجوههم » ، أو قال على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم .

ثانياً كثرة النظر : لأن النظر طريق موصل إلى القلب فإن كان المنظور إليه مما يحب الله ويرضاه كان الواصل خيراً وإن كان المنظور إليه مما حرمه الله كان الواصل إلى القلب شراً والعياذ بالله .

ولذلك قال تعالى في سورة النور : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾ بعدم النظر فيما حرمه الله عليهم ، ﴿ ويحفظوا فروجهم ﴾ إلا على ما أحل الله لهم من الزوجات لأن .. ﴿ ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ﴾ .

﴿ وقل للمؤمنات ﴾ الأمر موجه للنساء كما هو موجه للرجال ، ﴿ يغضضن من أبصارهن ﴾ حتى ولو كن متحجبات . فالحجاب للمرأة يحميها من عيون الآخرين . ولكن عليها هي أن تغضض بصرها فلا تنظر

إلى الرجال .

ولذلك فغض البصر أمر من الله موجه للنبي -ﷺ- ليقول للمؤمنين . فهم الذين سيستجيبون وحدهم لأنهم رضوا بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد -ﷺ- نبياً ورسولاً .

وعند ما يأتي السؤال عن السبب في غض البصر فإن الإجابة تأتي من الله تعالى بقوله : ﴿ ذلك أزكى لهم ﴾ أي أفضل وأعظم عند الله أن تكون ذو نفس عالية وهمة مرتفعة وعين نظيفة تترفع عن النظر والتلصص على أعراض المسلمين في الأسواق والشوارع والأماكن العامة .

فإنك أن كنت رجلاً مؤمناً فلن ترضى ذلك لمحارمك ولا لأقاربك وأهل بيتك ويكفيك أن تعلم يا أخي المسلم إن الزنا دين ولابد للدين من قضاء قال الشافعي :

أن الزنا دين فإن اقرضته
كان القضاء من أهل بيتك فاعلم
من يزن في بيت بالفى درهم
في بيته يزنى بربع الدرهم
عفوا تعف نسائكم في المحرم
وتجنبوا مالا يليق بمسلم

والمثل يقول : (من دق باب الناس دقوا بابه) فمن أراد أن يصون عرضه فعليه أن يصون أعراض المسلمين لأن الجزاء من جنس العمل .

من هنا نرى أن غض البصر فيه سلامة للقلب وصيانة للعرض ، روى عن بعض السلف قوله : (من ملأ عينيه من الحرام ملأها الله من حجر جهنم) وقال -ﷺ- : « من غض بصره احتساباً لوجه الله تعالى أبد له الله

إيماناً يجد حلاوته إلى يوم يلقاه » ويقول -ﷺ- : « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس » .

وهنا سر بلاغي على المسلم أن يدركه ويعينه ، فالنظرة الحرام اتصفت في الحديث بثلاث صفات هي (أنها سهم وأنها مسموم وأنها من إبليس عدو الناس) .

قال الناظم :

كل الحوادث مبدأوها من النظر
و معظم النار من مستصغر الشرر
يسر ناظره ماضر خاطره
لا مرحبا بسرور عاد بالخطر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها
فعل السهام بلا قوس و لا وتر

وغض البصر يريح القلب ، أما اطلاقه فيسبب للإنسان الآهات والحسرات والزفرات والأمراض والحرقة واللوعة ، قال ابن القيم : (إن القلب الذي يعيش تحت خطر النظر المحرم يعيش كالطير المشوى على النار) .

و أنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك اتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولاعن بعض أنت صابر

وليس هذا فحسب بل إن غض البصر فضيلة قال فيها النبي -ﷺ- : ثلاث أعين لا تمسها النار : « عين بكت من خشية الله ، وعين حرست في سبيل الله ، وعين غضت عن محارم الله » ومن المفيد أن نذكر أن ابن القيم ذكر في كتابه : (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي) اثنتا

عشرة فائدة لغض البصر .

كثرة المخالطة والاحتكاك بالناس ومجالستهم : فالناس في المخالطة على أربعة أقسام :

١ - قسم يجب أن تخالطهم وحاجتك إلى مخالطتهم كحاجتك إلى الطعام والشراب في كل وقت . وهم العلماء والعارفون بالله ويقتضي ذلك حضور دروس العلماء وحلقاتهم ومجالس الذكر . وهناك طريقة أخرى لمخالطة العلماء وهي الاستماع إلى أشرطة العلماء والحرص على اقتنائها .

٢ - قسم تحتاج إلى مخالطتهم كحاجتك إلى الدواء الذي تحتاج إليه عند المرض وتستغني عنه إذا شفيت وهم (من تربطك ظروف المعيشة بالاحتكاك بهم كزملاء العمل الغير ملتزمين أو العصاة الذين تعمل معهم).

وهنا لا ينبغي الأنس بهم وإنما تخالطهم بقدر ضرورة العمل فقط .

٣ - قسم مخالطتهم كالسم الزعاف، وهم أهل البدعة والضلال الذين يظنون أنهم على دين وهم ليسوا على شيء كمن يحتفل بالمولد النبوي ونحوه . وهم ببدعهم وضلالاتهم يريدون التقرب إلى الله ولكن هذه الأمور البدعية لم يأمر بها الله ولا رسوله -ﷺ- . فهي مرفوضة ، لأن الدين ما شرع الله ورسوله . قال -ﷺ- : « من أحدث في ديننا هذا ما ليس منه فهو رد » .

فالدين كامل لا يحتاج إلى زيادة ولا نقصان لقوله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ . هذه هي أسباب أمراض القلوب . أسأل الله تبارك وتعالى أن يعافينا وإياكم من المرض وأن يحفظنا وإياكم من الزلل . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

... .

الطبيعة البشرية الاجتماعية

فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي
عميد كلية اللغة العربية وآدابها - جامعة ندوة العلماء

فائـدة المجتمع :

إن الأفراد الذين يتكون منهم المجتمع يجمعهم نوع من وحدة الأفكار والمشاعر . فالمجتمع في مصطلح علم النفس يطلق على المجموعات البشرية التي تجمعها وتعمل فيها الوحدة الفكرية بعواملها المختلفة ، وإن أهم ما يلاحظ في أفراد المجتمع في وضعهم الاجتماعي أن تأثير القوة العقلية فيهم يضعف إلى حد ما ويشتد بدلاً منه تأثير العاطفة والانفعالية فيهم . وتصبح هذه المجموعة الاجتماعية من الأفراد وحدة تتميز بطبيعتها وأخلاقها ومعتقداتها .

ويحمل الاجتماع البشري فوائد شتى : الأولى منها أنه يتيسر له أداء أعماله بحكم التضافر والتعاون فإن الإنسان بمفرده وبقواه المنفردة لا يستطيع إحراز مطالبه كما يجب . وبذلك لا يستطيع أن يعيش حياة سعيدة في حالة انفراده وانفصاله عن المجتمع . وإنما لابد له من الاستعانة بغيره من بني جنسه . ولن يتحقق ذلك إلا في وضع الحياة الاجتماعية .

الفائدة الثانية من الوحدة الاجتماعية هي : أنها تمنح الأفراد قوة خارقة وطاقة هائلة . فالأعمال التي يعجز الأفراد عن القيام بها منفردين تحققها الحياة الاجتماعية بسهولة ويسر . إن الوحدة الاجتماعية قوة لا تدانيها الجهود الفردية المتفرقة . كذلك الدفاع والذياد عن البلاد لن يقوم

به الأفراد مثلما تقوم به الوحدة الاجتماعية .

الفائدة الثالثة من الوحدة الاجتماعية : أنها تحدد مكانة الفرد و وظيفته فإن كل فرد يعمل في نطاق ضيق محدود حسب قدرته وكفايته ولكنه يجني ثمار أعمال المجتمع ، فكل شخص وإن كانت وظيفته ومكانته تتحدد وتتعين ولكنه يشارك غيره في الانتفاع بالنتائج التي تسفر عنها الجهود الاجتماعية وذلك يرجع إلى توزيع الأعمال والطبيعة التضامنية للوحدة الاجتماعية .

الثبات والتغيير في الطبيعة البشرية :

تنقسم الطبيعة البشرية إلى نوعين « ثابت » و « متغير» .

يقول الله عزوجل في كتابه العزيز : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ ويقول في مكان آخر : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ .

و ورد في الحديث النبوي الشريف : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

« وإذا سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدقوه ، وإذا سمعتم برجل تغير عن خلقه فلا تصدقوا به فإنه يصير إلى ما جبل عليه » .

تدل هذه النصوص في ظاهرها أن الطبيعة البشرية لا تتغير كما ظهر من قوله : « وإذا سمعتم برجل تغير عن خلقه فلا تصدقوا به فإنه يصير إلى ما جبل عليه » . هذه الطبيعة لا يمكن تغييرها ، إنها قد تضمحل وتخف بتأثير بعض العوامل أو الأسباب ولكنها لا تخضع للتغيير والتبدل الكامل ، وإلى هذا المعنى يشير ما قاله النبي -ﷺ- من أن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء .

ولكن هناك جانبًا آخر من الطبيعة البشرية وهو يخضع للتغيير

والتبديل بفعل المحاولات الحكيمة الجادة وهذه الطبيعة هي التي يتناولها التعليم والتربية بالتغيير والإصلاح .

الطبيعة الاجتماعية عاطفية :

نتناول الطبائع الفردية بالدراسة والبحث وذلك للحكم على الأفراد ، ولكن الاهتمام بالطبائع فردية وحدها عند دراسة الوحدة الاجتماعية لا يكفي بل إنما ينظر إلى الطبيعة المشتركة الناتجة من الحياة الاجتماعية للأفراد والتي تتميز بسماتها وخصائصها والتي يضعف فيها ويتضاءل تأثير القوة العقلية وتشتد في مكانها العواطف والمشاعر وذلك لأنه ينشأ في طبيعة الوحدة الاجتماعية وضع شبه شعوري يضمحل فيها تأثير العقل فالأساليب العاطفية والوجدانية تعمل في المجتمع بما لا تعمله البراهين العقلية وتؤثر الأحاديث المثيرة أكثر بكثير من الكلام المنطقي الجاد .

ارتباط المجتمع بمعتقداته :

ومن طبيعة الوحدة الاجتماعية أنها تتمسك بمعتقداتها وتعض عليها بالنواجذ ولا تسمح بإحداث أي تغيير تجاهها بل تعارض بكل قوتها مثل هذه المحاولات وكان ذلك سببًا رئيسيًا فيما واجهته دعوة الأنبياء والمصلحين بصفة عامة من معارضة شديدة ومقاومة حادة من مجتمعاتهم ، وهي لا تحرز النجاح والانتصار إلا بعد جهود مضنية طويلة وصبر يثبط العزائم والهمم . فإن عقلية الهيئة الاجتماعية ترفض كل أمر جديد على معتقداتها وتقاليدها مهما استند هذا الأمر الجديد إلى العقل والبرهان . ويكون دليل معارضتهم دائمًا هو رأيهم : ﴿ ما ألفينا عليه آباءنا ﴾ ، وعلق القرآن على ذلك بقوله : ﴿ وإن كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون ﴾ .

فمن طبيعة الجماعة أنها لا تستجيب لما لم تعهده من قبل . وإذا أرغمت

على ذلك بطريق من الطرق فإنها تلجأ إذن إلى أن تصبغها بصبغتها الخاصة ، وإلى أن تصوغها في قالبها المألوف .

ضعف جانب المصالح الفردية :

إن الوحدة الجماعية لا تهتم بالمصالح الفردية اهتمامًا خاصًا بل إنها تعالج كل قضية ومشكلة وفق المصلحة الاجتماعية . فالجماعة لها طبيعة خاصة وأسلوب متميز ، وفيما يلي بيان الأوضاع المشتركة للطبيعة الجماعية الأساسية :

١ - **الوجدان** : يضعف فعل العقل في الوحدة الاجتماعية ويغلبها وضع شبه شعوري ويسودها الخيال والوجدان ويتحكم فيها حب الغلو والمبالغة وتشتد فيها روح الإقبال على الأوهام والأساطير والخرافات فتؤثر فيها الأكاذيب و الأباطيل بقدر لا يؤثر فيها الواقع العملي والعقلي .

٢ - **العاطفية** : وتمتاز الطبيعة الجماعية بالاستجابة للعاطفة والخضوع أمامها فتعتمد الجماعة على العواطف وتثور بالخطابات العاطفية وتنقاد للعصبية والرجعية وتهاب أصحاب الشوكة والسطوة وتخضع لهم . فالذين يعرفون مواطن الضعف هذه في الجماعة يتحكمون فيها بالحيل الكاذبة أو العادية و يستغلون أوضاعها الانفعالية والثورية .

٣ - **حب الجدة والطرافة** : وتمتاز الجماعة بحب الجدة والطرافة . إنها لا تستقر على الرضا بلون واحد لمدة طويلة . ولذلك يلجأ الزعيم والقائد إلى اختيار الألوان المتجددة والأنحاء المتطرفة في سياسته ليكسب بذلك رضا الجماعة .

٤ - **تدهور المعايير الخلقية** : تمتاز الجماعة كذلك بتدهور المعايير الخلقية فلا يرجى منها المستوى الخلقي الذي يرجى من الأفراد . فإنها تتسم بضعف الجانب الخلقي بل تتسم بالانحلال والخلاعة .

عناصر القوة العسكرية

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم : الدكتور شوكت محمد عليان
أستاذ الثقافة الإسلامية - الرياض

الإعداد الفكري :

حين جاء الإسلام وحال العرب على غير مرام ، أعلن للإنسان أن واقعه الراهن مرفوض ، وأن وجوده هو لغرض إيصال رسالة السماء للكون كله وأنه مسئول عن هذه الرسالة وتبليغها وحمايتها . ولغرض إيصال هذه الرسالة ، فإن الإسلام يأمر أتباعه بالعمل الخالص ، والنية الصادقة ، والأخذ بالأسباب ، والتهيئة والإعداد .

لذا كان من الأخذ بالأسباب ، والتي هي من عوامل النصر ، الإعداد الفكري عسكريًا وعقيديًا أمرًا حتميًا للمقاتل ، وهذا الإعداد يتكون من عدة ركائز ، أهمها :

١- غرس فكرة الإيمان بعقيدة التوحيد :

والإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل ، فمن آمن أن الله تعالى هو وحده خالق هذا الكون العجيب وما فيه من مخلوقات ، وأنه ليس من أحد غير الله يستطيع أن يفعل شيئًا ، فإنه يحب الله ويحب ما يحبه الله ويدعو إليه ، ويبغض ما يبغض له الله ولو كان الأهل والمال ، هذا الحب ينشئ في الإنسان العزة والقوة ، فإنه لا ضار ولا نافع ولا محي ولا مميت إلا هو سبحانه وتعالى ، فلا يخشى موتًا ، ولا يهاب عدوا ، فيقدم على القتال بعزم وإقدام مع شجاعة وجرأة ، لأن الذي يوهن عزمه حبه للنفس والمال والأهل ، واعتقاده بأن هناك غير الله يستطيع تحقيق حاجياته ، وأنه قادر على أن يدرأ عن نفسه الموت بحيلة ما ، فالإيمان بالله وحده

يرفع قدرة الإنسان ، وينشئ فيه العزة والكرامة والشجاعة والإقدام فتقوى إرادته ولا تفتر عزيمته .

٢ - الإيمان بالحياتين - الدنيا والآخرة :

وإيمان المقاتل الحياتين - الدنيا والآخرة - أساس فكرة الجهاد ، والمحور الأساسي للربط بين التفكير العسكري والتفكير الديني ، وبما أن الحياة الدنيا فانية ، وأن الحياة الآخرة هي الأساس لازليتها ، وإن الحياة الدنيا وجدت لتبليغ رسالة الله للكون أجمع ، فإن المقاتل إن أحسن العمل واستشهد فإنه ينتقل فجأة من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة : ﴿ ولا تحسبَن الذين قتلوا في سبيل أمواتًا بل أحياءً عند ربهم يرزقون • فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (١) .

وإن لم يستشهد فله العزة في الحياة الدنيا والثواب من الله في الحياة الآخرة قال -ﷺ- : « تكفل الله لمن جاهد في سبيله ولا يخرجه من بيته إلا جهاد في سبيله وتصديق كلمته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة » (٢) .

وإن خان هذه الرسالة فله الخزى والعار في الحياة الدنيا والعذاب في الآخرة . وهذه العقيدة الإيمانية تحمل الإنسان على الالتزام برسالة السماء ، وهنا يأتي الربط بين التفكير العسكري والتفكير الديني ، إذ للجهاد في نظر المسلم قيمة روحية متجردة عن الأهداف المادية والشخصية ، وهي لله وفي سبيل الله ، فهو جزء متم للعقيدة لا ينفصم عنها ، به تنتشر الدعوة ، ويعم الأمن والسلام .

(١) سورة آل عمران ، الآيتان : ١٦٩-١٧٠ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ، ج/ ١٢ ، ص/ ١٢ .

٣- الالتزام بالضوابط الخلقية :

وبما أن الإسلام قد أوضح للإنسان النظرة الصحيحة للحياة ، وأوضح له كذلك ان وجوده لتبليغ رسالة السماء للعالم أجمع فقد نظم له الضوابط الخلقية لكي يسمو بروحه ، فأقر له العبادات ورتبها ، ونظم له أمور الشهوات والغرائز الفطرية فاعترف بها ولم ينكرها ، لكنه وضع لها نظامًا دقيقًا متينًا لتوجيهها والحصول عليها بالطرق المشروعة ، وأنها ليست مقصودة لذاتها ولكنها وسيلة لاستمرار الحياة وبقاء الكون .

وكذلك التذكير له بأن الفساد عند ظهوره في أي مجتمع معناه حصول الانحراف من هذه الضوابط ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ﴾ (١) ، وعليه فعلى المقاتل أن يجاهد نفسه على قبول الحق ، والابتعاد عن الباطل عندئذ تطمئن نفسه ويكون بإمكانه الوقوف في وجه الظلم والطغيان ، وهذا ولا شك يتطلب من المقاتل صبرًا جميلاً ، وتحملا للمشاق بروح عالية ونفس راضية .

يقول ابن قيم (٢) الجوزية : « إن الصبر مفتاح الفرج ، وما أعطيت أمة من الإيمان قليلاً من الصبر ، فإن احتملت مكروهًا كان صبرها رضا وتسليما بما قدر الله ، وإن كان ضبطاً للنفس كان حلما ، وإن كان قتالاً سمي شجاعة وقوة ، وإن كان صبرًا على الشهوات كان عفة ، فلا يكاد تستغنى عنه الأمة التي وصفها الله بالإيمان » .

٤- عدالة القضية التي يقاتل من أجلها :

إن إيمان المقاتل بعدالة القضية التي سيقاتل من أجلها له دور هام في إعداده ، وعلى المقاتل أن يثبت إزاء الحق الذي يقاتل له ، وأن يثق كل

(١) سورة الروم ، الآية : ٤١ .

(٢) مدارج السالكين : ص/٢٦١ .

الثقة بقيادته التي تسعى لتحقيق الهدف المنشود ، بحيث يكون الأداة التنفيذية ليد قيادته لا سيما وقد اختص الله المسلم لتبليغ رسالته ﴿ و جاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم ﴾ (١) .

وقال جل شأنه : ﴿ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ﴾ (٢) .

٥- الثقة والإيمان بنصر الله :

إن ثقة المقاتل بنفسه وبسلاحه وبقيادته من أهم عوامل تقوية الروح المعنوية فالقرآن الكريم حين يروى لنا قصص الرسل والأنبياء وغير ذلك من حوادث الزمان إنما يعنى بذلك الإعداد النفسي للمسلم لحمله على أداء الرسالة التي خلق من أجلها ، وبذلك تتجه النفس البشرية عن الخط المنحرف نحو ناحية الرقي الخلقي ، وبهذا تسمو الروح بالتمسك بأهداف الرسالة في سبيل الله ، فينتصر لدين الله ويقاتل الطواعيت وأهلها للجزم بطغيانها وفسادها وصدها عن سبيل الله .

﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ (٣) .

﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ (٤) .

﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ (٥) .

٦- محاربة اليأس والغرور :

على المقاتل المسلم أن ينزع من نفسه اليأس والغرور ، وأن يزرع بدلاً منها العزة والإقدام ، فالإيمان بقضاء الله وقدره يحفظ المؤمن من الغرور

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٧٨ .
(٢) سورة النساء ، الآية : ٧٦ .
(٣) سورة محمد ، الآية : ٧ .
(٤) سورة الحج ، الآية : ٤٠ .
(٥) سورة الروم ، الآية : ٤٧ .

المهلك عند الغلبة ، ويحفظه من الحزن المهلك عند الهزيمة . قال تعالى ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أ نبرأها إن ذلك على الله يسير ﴾ (١) .

فالمقاتل الذي يؤمن بأن النصر من عند الله يعلم يقينًا أن الأمر كله بيد الله خلقًا ومشيئة وتقديرًا وإيجارًا ، وإذا كان ذلك كذلك فالمستعان عل حصول المراد ، ودمع المراد هو الله تعالى وحده لا غير . فإذا استعا المؤمن بالله وباشر السبب وحصل المقصود فهذا من فضل الله ، وإن ل يحصل المقصود لم ييأس المؤمن ، فقد يكون في عدم حصول مطلوبه خير له لا يعرف وجهه : ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم وعسى أ تحبوا شيئًا وهو شر لكم ﴾ (٢) .

فالمقاتل المسلم يباشر الأسباب بيده لكن اعتماده على الله تعالى وحد لا على السبب ، فهو حين يقدم على المعركة ، ويبلي فيها بلاء حسنًا ، يعل يقينًا بأن ذلك إنما هو بمحض فضل الله وإرادته ، وهذا يؤدي بدوره إل قمع نزعات الكبر والغرور والعجب بنفسه ، والمن على الناس ، ونحو ذل من الأقذار القلبية . كما يترتب عليه طهارة قلبه من أرجاس كثيرة وبالتالي يستقيم سلوكه وتزكو أخلاقه . وفي ذلك انتصار للنفس البشرية .

٧- التحريض على القتال :

والتحريض على القتال معناه الحث عليه قال تعالى : ﴿ يا أيها النب حرض المؤمنين على القتال ﴾ (٣) ، أي حثهم عليه ورغبهم فيه

---

(١) سورة الحديد ، الآية : ٢٢ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢١٦ .

(٣) سورة الإنفاق ، الآية ، ٦٥ .

وتحريض القائد جنوده على القتال يلفت نظر المقاتلين إلى أن قيادته تثق فيه وتهتم به وتقدر له قوته فهو يحاول دعم هذه الثقة وتأكيدها بجرأة الإقدام على المعركة . وهنا يبرز أهمية دور التحريض على القتال في كسب المعركة .

والتحريض يكون بالترغيب وبالترهيب .

فمن التحريض بالترغيب قوله تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدًا عليه حقًا في التوراة والإنجيل والقرآن • ومن أوفى بعهده من الله • فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ (١) وهذا في منتهى البيان لفضيلة الجهاد والترغيب فيه .

قال أبو السعود : ولقد بولغ في ذلك على وجه لا مزيد عليه ، حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم التي بذلوها في سبيله وإثابته إياهم بمقابلتها الجنة ، بالشراء على سبيل الاستعارة التبعية ، ثم جعل المبيع ، الذي هو العمدة والمقصود في العقد ، أنفس المؤمنين وأموالهم ، والثمن الذي هو وسيلة في الصفقة ، الجنة ، ولم يجعل الأمر على العكس بأن يقال : « إن الله باع الجنة من المؤمنين بأنفسهم وأموالهم ، ليدل على أن المقصد في العقد هو الجنة . وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الأنفس والأموال وسيلة إليها ، إيذانا بتعلق كمال العناية بهم وبأموالهم ، ثم إنه لم يقل (بالجنة) بل « بأن لهم الجنة » مبالغة في تقرر وصل الثمن إليهم ، واختصاصه بهم ، وكأنه قيل : (بالجنة الثابتة لهم ، المختصة بهم » .

قال في الكشاف ولا ترى ترغيبًا في الجهاد أحسن ولا أبلغ من هذه الآية .

---

(١) سورة التوبة ، الآية ، ١١١

لأنه أبرزه في صورة عقد، عاقده رب العزة، وثمنه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلبه بشر، ولم يجعل المقصود عليه كونهم مقتولين فقط، بل إذا كانوا قاتلين أيضًا لإعلاء كلمته، ونصر دينه، وجعله مسجلاً في الكتب السماوية وناهيك به من صك، وجعل وعده حقًا، ولا أحد أوفى من وعده، فنسيئته أقوى من نقد غيره، وأشار إلى ما فيه من الربح والفوز العظيم. وهو استعارة تمثيلية، صور جهاد المؤمنين وبذل أموالهم وأنفسهم فيه، وإثابة الله لهم على ذلك الجنة، بالبيع والشراء. وأتى بقوله: ﴿ يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ﴾ بيانا لمكان التسليم وهو المعركة، وقوله تعالى: ﴿ وعدًا عليه ﴾ مصدر مؤكد لما يدل عليه كون الثمن مؤجلا، وذكر كونه في التوراة وما عطف عليها، تأكيدًا له، وإخبارا بأنه نزل على الرسل في الكتب الكبار وفيه أن مشروعية الجهاد ومثوبته في شرع من قبلنا.

وقوله تعالى: ﴿ فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيآتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابًا من عند الله والله عنده حسن الثواب ﴾ (سورة آل عمران)، أي الذين عملوا هذه الأعمال، وتحملوا الأذى، وغزوا المشركين، واستشهدوا سيكفر الله تعالى عنهم سيئاتهم، ويدخلهم جنات من تحتها الأنهار.

فتكفير السيئات وإدخال الجنة في معنى الإثابة، وإضافة إليه تعالى ﴿ ثوابًا من عند الله ﴾ ليدل على انه عظيم فهو سبحانه عنده حسن الثواب، أي حسن الجزاء لمن عمل صالحًا.

وفي الحديث النبوي عن أنس أن النبي -ﷺ- قال: « لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها » (١).

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج/٦، ص/١٢، رقم ٢٧٩٢

وقال -ﷺ- : « تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في
بيله وتصديق كلماته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج
ه مع ما نال من أجر أو غنيمة » (١) .

وقال -ﷺ-: «من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار» (٢).

ومن التحريض بالترهيب من الإقدام على القتال في سبيل الله ، قوله
الى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفًا فلا تولوهم
بار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفًا لقتال أو متحيزًا إلى فئة فقد
بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ (٣) . والمعنى أنه إذا
اجه المؤمنون بالكفار فلا ينبغي للمؤمنين أن يفروا في وجه العدو .
و كان أكثر منهم عددًا وعدة . وعلى المؤمنين وجوب مصابرة العدو ،
الثبات عند القتال . والفرار يوم الزحف محرم ، وهو من الكبائر التي
عد عليه تعالى وعيدا شديدًا . إلا ما استثنى من حالة التحرف أو
حيز ، فإنه لا يدخل في الوعيد . والتحرف إما بالتوجه إلى قتال
ئة أخرى أهم من هؤلاء . وإما بالفر للكر بأن يخيل عدوه أنه منهزم
ره ، ويخرجه من حصنه ، أو من بين أعوانه ، فيفر عنه ثم يكر عليه
ده أو مع من في الكمين من أصحابه والتحيز هو أن ينضم إلى جماعة
رى من المسلمين يتقوى بهم .

وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في
بيل الله اثاقلتم إلى الأرض ° أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ° فما

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج/١٢ ص/١٢ ، وبرواية أخرى إحكام
حكام شرح عمدة الأحكام : ج/٤ ، ص/٢٢٦
(٢) نيل الأوطار : ج/٨ ، ص/٢٦ .
(٣) سورة الأنفال ، الآية : ١٦ .

متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ﴾ (١). فالاستفهام في قوله عزوجل: ﴿ مالكم ﴾ فيه معنى الإنكار والتوبيخ ، يعنى لماذا تتثاقلون وتتباطؤون وتميلون إلى الدنيا وشهواتها الفانية ، وتكرهون مشاق الغزو المستتبعة للراحة الخالدة ، فما قيمة متاع الحياة الدنيا بالنسبة لمتاع الآخرة .

وفي قوله تعالى : ﴿ إلا تنفروا يعذبكم عذابًا أليمًا ويستبدل قومًا غيركم ولا تضروه شيئًا والله على كل شئ قدير﴾ (٢) . فهذا وعيد شديد لمن يتقاعس عن الجهاد وفيه توبيخ وتهديد أيضًا .

وقال -ﷺ- : « ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب » (٣) .

وقال أيضًا - صلوات الله وسلامه عليه - : « إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » (٤) .

٨- الصبر و الثبات :

كفاح الإنسان في حياته الدنيا لا ينقطع ، وجهاده فيها مستمر مادام حيا على أرضها ، ولذلك فالبذل والعطاء والتضحية بالنفس والمال عمل لا يقدر عليه إلا من كان الصبر من سماته ، وتربى عليه ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ (٥) .

وقال جل شأنه : ﴿ ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين • الذين إذا أصابتهم مصيبة

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٢٨ . (٢) سورة التوبة ، الآية : ٢٩ .

(٣) الترغيب والترهيب للمنذري : ج/٢ ، ص/١٥٤ .

(٤) رواه أبو داؤد : ج/١٥ ، ص/١٢٧ عن ابن عمر .

(٥) سورة آل عمران ، الآية : ٢٠٠ .

قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون • أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ (١) .

على أن هدف المسلم في هذه الحياة يجعله بالضرورة إنسانًا مجاهدًا صبورًا على الجهاد ، يعيش لإنفاذ هذه الرسالة ، ويجاهد في سبيل حمايتها ، والتمكين لها في واقع الناس . فكان من لوازم تحقيق ذلك أن يروض المسلم نفسه على الصبر على الجهاد ، وأن يتحمل متاعبه ونتائجه .

٩- الاجتماع في الرأي :

والاجتماع في الرأي يعتبر من الإعداد الفكري ، والذي هو أحد عوامل النصر الهامة . فقد كان العرب في الجاهلية يعتدون بذلك ، وحين جاء الإسلام أقرهم على ذلك . فقال جل شأنه : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ﴾ (٢) . وقال جل شأنه . ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ (٣) .

والاجتماع في الرأي بحيث لا يشذ أحد في المجموع برأي أو ينفرد بخطة ، أو تختلف الصفوف على بعضها ، أو يتناكر أفرادها في الهدف والغاية مثلا .

... ...

(١) سورة البقرة ، الآيات : ١٥٥-١٥٦-١٥٧

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٢

(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٤٦ .

قضية « المصادر » و « المراجع »

[الحلقة الثالثة]

سعادة الدكتور ظفر الإسلام خان

متطلبات البحث :

من أولى متطلبات البحث في فرع من فروع المعرفة أن تكون ملما بصورة معقولة ليس فقط بذلك الفرع المتعلق مباشرة ببحثك بل وكذلك بالفروع الأخرى ذات العلاقة الوثيقة ببحثك . فلا يكفي أن تكون ملما بالشعر العربي لو كنت تبحث في العروض . بل ينبغي أن تكون على دراية معقولة بكل مجالات الأدب العربي . بل وحتى بالشعر في لغات كلاسيكية أخرى وبالبحوث العصرية التي جرت حولها . وكذلك لو كنت تبحث في تاريخ أوائل الإسلام ينبغي أن تكون على دراية معقولة بالتاريخ الإسلامي العام والدين الإسلامي . فقد لا تفهم أشياء كثيرة بدون خلفية كهذه . وكذلك ينبغي أن تكون على دراية معقولة بمجالات أخرى من المعرفة لو كان بحثك يتناول النقوش والوثائق القديمة والعملات الأثرية إلخ . فعليك أن تتسلح بالقدر الأدنى المطلوب لفهم هذه الأشياء وإلا جاء بحثك سقيما وقد تفشل حتى في الحصول على الشهادة التي تبتغيها . وقد يكون مطلوبًا في بعض الأحايين أن تتسلح بمعرفة عمومية حول قضية ذات علاقة ببحثك . فلو كنت تبحث في الاقتصاد الإسلامي ، لابد لك من الإلمام بعلم الاقتصاد بصورة عامة ، ولو كنت تبحث في السياسة الإسلامية . كتناول كتب السير والأحكام السلطانية ، فلابد أن تتسلح بمعرفة عامة جيدة بتطور علم السياسة و وضعه الحالي .

ولو كنت تبحث في الشريعة فلابد أن تكون على دراية جيدة بالقانون الأوربي العام وتطوره وبقوانين الشعوب الأخرى في العصر الذي تتناوله بالبحث ، فلا يمكن إجراء مقارنات بدون علم كهذا ، وباختصار ينبغي أن تكون على علم جيد بالعصر الذي يتعلق به موضوعك وأن تكون مطلعًا على أهم المصادر والكتب التاريخية التي تناولت ذلك العصر .

علوم فرعية متعلقة :

وموضوعك قد يتطلب منك معرفة متخصصة ببعض الفروع المعرفية . وعلى سبيل المثال : لو كنت تتناول القطع النقدية فعليك بدراسة علم العملات أو القطع النقدية (Numismatics) والأساليب التي توصل إليها الباحثون العاملون في هذا الفرع من المعرفة .

وقد تجد أن من الضروري أن تبحث في تاريخ الكلمات وأصولها . وهذا يحتم عليك معرفة علمي " فـــقـــه الـــلـــغة " (Philology) ودلالات الألفاظ (Semantics) اللذين يبحثان في معاني الكلمات وتاريخها وتطورها .

وقد تجد أن من الضروري أن تبحث عن مختلف طبعات كتاب ما ، وهنا سيسعفك علم الببليوجرافيا . وقد تجد أن من الضروري أن تستعين بشواهد أثرية ، وهنا سيساعدك علم الآثار (Archeology) ، وهكذا على من يبحث في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم أن يلم بالعلوم الطبيعية العصرية .

ولا ينبغي أن تتناول أمورًا كهذه كمبتدئٍ وهاوٍ ، بل كمتمكن من ذلك الفرع العلمي . وقد تحتاج لهذا إلى استشارة خبير في ذلك العلم ليسديك المشورة الصحيحة ويوجهك إلى الكتب المفيدة .

وينبغي عليك قراءة عروض الكتب ونقدها في المجلات العلمية فأحيانًا كثيرة تنكشف عيوب كتاب ما وأخطاؤه من خلال النقد الذي يتعرض له على صفحات المجلات العلمية بعد نشره .

وعليك بقراءة الدوريات المتخصصة التي تصدر في مجال تخصصك والاطلاع على الببليوغرافيات الجديدة التي تصدر من وقت لآخر ، وهذا سيفيدك في معرفة الجديد وما يقوم به آخرون واهتماماتهم ، وكل الدوريات العلمية تتناول عمومًا بالنقد والعرض ، أو على الأقل بالتنويه ، كل ما يصدر من كتب هامة في مجالها .

ومن أهم المصادر للمؤلفات حول الدراسات الإسلامية باللغات الأجنبية وخصوصاً الإنجليزية في السنوات الأخيرة مجلة (The Muslim World Book Review) التي تصدر عن المؤسسة الإسلامية بليستر ببريطانيا ، وهي لا تعاني من انحرافات المستشرقين إذ يقوم على إدارتها وكتابة معظم موادها مسلمون ملتزمون وعنوانها :

The Islamic Foundation
223 London Road, Leicester LE2 IZE, U.K

ومن المفيد جدًا أن تحضر مجالس العلماء والباحثين وأن تحضر الندوات العلمية حيث تستمع إلى الباحثين وهم يذكرون لك المشكلات الفعلية التي تعتريهم خلال عملهم العلمي ، وعليك كذلك بحضور مناقشات رسائل الدكتوراة - إن كان مسموحًا بذلك بجامعتك - فهذه المناقشات مناسبة هامة لتعلم الأخطاء التي يقع فيها الباحثون .

وثائق و مخطوطات :

ولو كنت تستخدم في بحثك الوثائق والمخطوطات ، يجب عليك ألا تقبلها بدون نقاش بل عليك بأن تتأكد من أنها حقيقية وليست مزيفة أو متلاعب فيها أو مبتورة ، وهذا يعني أن تبحث في تاريخ تلك الوثيقة أو المخطوط ، وهنا سيساعدك علم « الببليوغرافيا » (Palaeography) (دراسة الكتابات والنقوش القديمتين) وقد تكتشف أن خط الوثيقة أو المخطوط لم يكن هو الخط السائد في ذلك العصر أو أن الشكل أو الأسلوب

اللذين يحتوى عليهما المخطوط لم يكونا معهودين آنذاك .

ومن المراجع التي ستساعدك على هذا :

= ناجي زين الدين ، مصور الخط العربي (بغداد ١٢٨٨هـ - ١٩٦٨م) .

= صفوان التل ، الخط العربي .

= صلاح الدين المنجد ، الخط العربي .

= ألبوم البيليوغرافيا العربية :

G Vajda Album de paleographie arabe (Paris 1958) .

= فن الخط العربي :

Annemarie Schimmel Islamic Calligraphy (Leiden 1970) .

= البيليوغرافيا العربية :

Bernard Moritz Arabic Paleography a collection of Arabic texts from the first century of the Hidjra till the yer 1000 (Cairo 1905) .

= ظهور الخط العربي الشمالي ..

Nabia Abbort. The Rise of the North Arabian Script and Its Kurcanic Development. with a full description of the kuran manuscripts in the Oriental Institute. (Chicago 1939) .

= نماذج من البيليوغرافيا العربية والفارسية :

Arther John Arberry. Specimens of Arabic and Persian Paleography slected and annotated (London 1939)

= البيليوغرافيا العربية :

Adolf Grohmann. Arabische Paleographie (Vienna 1967-71) .

وكذلك ستكتشف باستخدام علم اللغة عما إذا كانت لغة المخطوط سائدة فعلاً في عصرها أم هي نتاج فترة متأخرة . ويمكن بإجراء بعض الاختبارات العلمية الآن تحديد عمر الحبر والورق .. وهذا بطبيعته يقوم به خبراء .

ثم هناك أيضًا قضية « الشهادة الداخلية » (Internal evidence) المتمثلة في محتوى الوثيقة . وهذه الشهادة وحدها تكفى عمومًا لقبول أو رفض صحة وثيقة ما .

وبعد أن تتأكد من صحة الوثيقة أو المخطوط عليك تقييمها كشهادة ودليل من أدلة بحثك ، وينبغي أن تطّرح عدة أسئلة يطرحها الباحثون عمومًا في مثل هذه الأحوال (١) :

= هل كان الكاتب يعاني من تعصب أو انحياز لفئة ما ؟

= ما كان موقفه في عصره وماذا كانت نواياه ومصالحه عند الكتابة ؟

= ما كانت إمكاناته للتوصل إلى المعلومات الصحيحة ؟

= كيف كان سلوكه في مجتمعه ، وهل كان معروفًا بالصدق ؟

= هل كان يتمتع بالنظرة الناقدة أم كان مغفلاً وساذجًا يصدق - بدون تمحيص - كل ما يصل إليه من أخبار ؟

= ماذا كانت نظرياته وماذا تعني بعض المصطلحات والكلمات التي يستخدمها ؟ وعلى سبيل المثال : كلمة « الديموقراطية » لها معان مختلفة تمامًا عند الشيوعي والليبرالي الأوربي والأمريكي .

هذه أسئلة بديهية ، ولكن من السهل على الإنسان لفرط الاهتمام أو السرور أو الغفلة أن ينسى توجيهها ، ولكن من السهل ، كذلك ، على البعض أن يشكوا في كل شئ أو أن يشكوا إزاء ما يصدر عن جماعة أو طبقة معينة بينما هم يقبلون شيئًا مماثلاً يصدر عن جماعة أخرى أو يسكتون عليه ، وهذا هو عين التعصب : وقد يتجاهل الباحث سقم دليل ما لمجرد أنه يناسبه ، وكل سلوك كهذا غير محمود في أي باحث ، فلا يكفيه أن يكون يقظًا إزاء الأدلة التي يسوقها غيره بل عليه أن يحارب أي تعصب أو انحياز يبدر منه ، وأن « يدور مع الحق حيثما دار» كما قال أسلافنا ...

وتوجد وثائق هامة حول البلاد العربية والإسلامية في مكتبات وخزائن

---

(١) بتصرف عن G. Kitson Clark. Guide for research students working on historical subjects (Cambridge 1969) p 30

البلاد الأوربية التي استعمرت ونهبت هذه البلاد .. ولهذه الوثائق أدلة منشورة في أغلب الأحيان ، والمكتبات التي تقتنيها تحافظ عليها بمنتهى الحرص .. والحكومات الغربية تفتح سجلاتها للباحثين بعد مرور فترة معينة (نحو ٤٠-٥٠ سنة) على عمر وثيقة ما ، وهذه الوثائق - كالوثائق البريطانية حول العالم العربي - تكشف عن خبايا كثيرة في أغلب الأحيان عن الفترة التي تتناولها .

وقد تجد وثائق ومخطوطات حتى في مكتبات لم يدر بخلدك أن بها أشياء من هذا النوع ، مثل مكتبة الجامعة الملية الإسلامية بدهلي ، ودار المحفوظات القومية (National Archives) بدهلي ، ودار السجلات الحكومية ببومباي (حيث توجد وثائق هامة حول التطورات السياسية والتجارية في الخليج العربي خلال عهد الاستعمار الإنجليزي) ومكتبة آراد بعليجراه والمكتبة الوطنية بكلكوتا ، وقد تندهش بما تحتوي عليه مكتبات خاصة في أمكنة مثل لكناؤ وسورت بولاية غوجرات ..

ولو كنت ستعتمد على أوراق و وثائق بحوزة أشخاص وعائلات ، فيجب أن تكون كريماً معهم وتراعي ظروفهم ، فلا ترهقهم بدون لزوم ، ولا تعبث بالأوراق ولا تكتب عليها (يفضل استخدام قلم الرصاص (١) عند استخدام مواد ثمينة كهذه ، لكي لا تتسبب في تلطيخها) ولا تغير من ترتيبها .. ولو فعلت شيئًا من هذا فأنت لن تسئ فقط إلى ضيافة القوم وكرمهم بل ستسد الباب لمن يأتي بعدك من باحثين .. ولا ينبغي لك نشر وثائق كهذه إلا بعد الحصول على إذن مالكها ، كما يجب عليك أن تشكره وكل من ساعدك بأي أسلوب في عملية البحث وذلك في مكان خاص من الرسالة (فــي نهاية المقدمة أو على ورقة « الشكر والاعتراف بالجميل » (Acknowledgements)

[يتبع]

الحلقة القادمة : « بعض المراجع الأساسية »

---

(١) توجب بعض المكتبات مثل مكتبة المكتب الهندي (India Office Library) بلندن على كل من يرتادونها أن يستخدموا أقلام الرصاص فقط (وهو تقليد جيد)

الإمام النسائي وصناعته الحديثية في سننه

[الحلقة الخامسة]

سعادة الدكتور تقي الدين الندوي
أستاذ الحديث في جامعة الإمارات العربية

المبحث الرابع :

كانته في الجرح والتعديل :

تشدد الإمام النسائي في نقد الرجال ، وعرف بشدة التحرى والدقة حتى يل : إن له شرطا في الرجال أشد من شرط مسلم والبخاري (١) .

يقول ابن الصلاح : النسائي إمام حجة في الجرح والتعديل (٢) .

كلام النسائي في الجرح والتعديل تلقته الأئمة من بعده فاعتمدوه جعلوه حجة في هذا الميدان ، فإذا أخذت كتابا فقلما تجد رجلا إلا وقد بدى فيه رأيه ، نقلوا ذلك من سننه أو من كتبه الأخرى ، لكنهم عتبروه من المتشددين ، قال الذهبي في ترجمته وحديث الحارث بن لأعور (٣) في السنن الأربعة ، و النسائي مع تعنته في الرجال فقد حتج به وقوى أمره .

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : في بذل الماعون في فضل الطاعون يكفي في تقويته (أي أبي بلج يحيى الكوفي) توثيق النسائي وأبي حاتم ع تشددهما (٤) ، وقال في ترجمة أحمد بن عيسى التستري (٥) عاب أبو

١) شروط الأئمة الخمسة : ص/٢١ ، والبداية والنهاية : ١٢٢/١١ .
٢) مقدمة ابن الصلاح ١٦/٣ . (٣) ميزان الاعتدال : ٤٢٧/١ .
(٤) الرفع والتكميل : ص/١٧٩ . (٥) مقدمة فتح الباري : ص/٣٨٧ .

زرعة على مسلم تخريج حديثه ولم يبين السبب وقد احتج به النسائي مع تعنته .

كان الحافظ ابن حجر العسقلاني إذا كان شيخ مجهول العين يرتضي برواية النسائي عنه ، إنه ذكر في ترجمة أحمد بن يحيى بن محمد بن كثير الحراني : قال الذهبي : في « الطبقات » أحمد بن يحيى بن محمد لا يعرف ، قلت : (أي الحافظ ابن حجر) بل يكفي في رفع جهالة عينه رواية النسائي عنه وفي التعريف بحاله توثيقه له (١) .

قال أبو علي الحافظ : سألت النسائي ما تقول في بقية ؟ فقال : إن قال حدثنا وأخبرنا فهو ثقة .

وقال النسائي : محمد بن حميد الوازي كذاب (٢) .

وقال الحافظ في ترجمة إبراهيم بن سويد النخعي ، قال النسائي: ثقة ، قلت : ونقل صاحب الميزان ، تبعا لابن الجوزي إن النسائي ضعفه (٣) .

وقال الحافظ صلاح الدين العلائي تعليقًا على حديث : أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم إلا الحدود ، وفي اسناده عبد الملك بن زيد ، وعبد الملك ابن زيد هذا قال فيه النسائي : لا بأس به و وثقه ابن حبان فالحديث حسن - إن شاء الله تعالى- لا سيما مع إخراج النسائي له ، فإنه لم يخرج في كتابه منكرًا ولا واهيًا ولا عن رجل متروك (٤) .

قال في ترجمة أحمد بن عبد الرحمن البسري أبي الوليد ، وقد أخرج له

---

(١) تهذيب التهذيب : ١/ ٨٩ . (٢) سير اعلام النبلاء : ١٤/ ١٢٥ .

(٣) تهذيب التهذيب : ١/ ١٢٧

(٤) انظر بذل المجهود ١٧/ ٢١٦ وتهذيب التهذيب ٦/ ٢٩٤ ، والنقد الصريح للعلائي : ص/ ٢٥

الترمذي والنسائي وابن ماجة ، قال الخطيب : وأبو الوليد ليس حاله عندنا ما ذكر أبو بكر الباغندي عن السكري ، بل كان من أهل الصدق حدث عنه النسائي ، وحسبك به (١) .

واستنتج العلامة التهانوي عن منهج النسائي في الرجال أن من حدث عنه النسائي فهو ثقة وتقيد هذه القاعدة في حالة عدم تضعيفه للراوي ، وقال أيضًا و كـــذا من أخرج له النسائي فـــي المجتبى ، و سكت عنه فهو حجة (٢) .

قبل الانتهاء من هذا المبحث لابد لنا من تحقيق القول في كلام النسائي في أحمد بن صالح المصري وبيان القول الراجح فيه ، وبالله التوفيق .

تحقيق القول في كلام الإمام النسائي في أحمد بن صالح المصري :

أحمد بن صالح حافظ مصر (٢) المتوفى ٢٤٨هـ ، هو الإمام الكبير ، حافظ زمانه بالديار المصرية ، أبو جعفر المصري المعروف بابن الطبري كان رأساً في هذا الشأن قل ان ترى العيون مثله مع الثقة والبراعة ، قال البخاري : ثقة ، ما رأيت أحدا يتكلم فيه بحجة .

ولكن كان النسائي في أحمد بن صالح المصري سيئ الرأى ، قال الحافظ ابن حجر في تـــرجـمـتـــه : « أما النسائي فهو سيئ الرأى فيه ، ذكره مرة فقال : ليس بثقة ولا مأمون أخبرني مساوية بن صالح قال : سألت يحيى بن معين عن أحمد بن صالح فقال : كذاب يتفلسف ، رأيته يخطر (٤) في

---

(١) ميزان الاعتدال : ١/١١٥ . (٢) انظر قواعد في علوم الحديث : ص/٢٢٢ .

(٢) انظر سير اعلام النبلاء : ١٢/١٦٠ ، وتهذيب التهذيب : ١/٣٩ ، وطبقات الحفاظ : ص/٢١٦ .

(٤) معنى قوله : يخطر : أي يتبختر فيمشي مشية المتكبر المعجب ، انظر قواعد في علوم الحديث : ص/٢٩٥ .

الجامع بمصر ، انتهى ، فاستند النسائي في تضعيفه إلى ما حكاه عن يحيى بن معين ، وهو وهم ، حمله على اعتقاده سوء رأيه في أحمد بن صالح فنذكر السبب ، أولا الحامل له سوء رأيه فيه ، ثم نذكر وجه وهمه في نقله عن يحيّى بن معين .

قال أبو جعفر العقيلي : كان أحمد بن صالح لا يحدث أحدًا حتى يسأل عنه فلما أن قدم النسائي بمصر جاء إليه ، وقد صحب قومًا من أهل الحديث لا يرضاهم أحمد فأبى أن يحدثه فذهب النسائي فجمع الأحاديث التي وهم فيها أحمد وشرع يشنع عليه ، وما ضره ذلك شيئًا فهو إمام ثقة من الحفاظ المشهورين بمعرفة الحديث .

وقال ابن حبان : ما رواه النسائي عن يحيى بن معين في حق أحمد بن صالح فهو وهم وذلك أحمد بن صالح الذي تكلم فيه ابن معين هو رجل آخر غير ابن الطبري وكان يقال له الأشموني وكان مشهورا بوضع الحديث ، وأما الطبري فكان يقارب ابن معين في الضبط والاتقان ، انتهى كلام الحافظ » (١) .

قال الذهبي : في « الميزان » إنه آذى نفسه بكلامه فيه والناس كلهم متفقون على امامته وثقته (٢) .

وبعد هذا تبين لنا أن كلام النسائي في أحمد بن صالح مبني على أمرين :

الأمر الأول : امتناع أحمد بن صالح المصري عن تحديث النسائي حين قدم عليه مع بعض أهل الحديث ممن لا يرضاهم ، فكان رد فعل النسائي التشنيع عليه في بعض ما وهم أحمد بن صالح من الروايات ، والنقاد لا

---

(١) هدى الساري : ص/٢٨٦ . (٢) انظر فتح المغيث : ١/٤٨٣ .

يأخذون بقدح القرناء بعضهم ببعض فيسقط قول النسائي في أحمد بن صالح من هذا الطريق .

الأمر الثاني : لعل ما رواه النسائي عن يحيى بن معين في حق أحمد بن صالح هو رجل آخر غير ابن الطبري وقد لقي ظنا عند النسائي أنه المصري وما دام العلماء أشاروا إلى مراد بن معين وان المقدوح فيه أحمد ابن صالح الأشموني فلا يؤخذ نقل النسائي في هذا الموضوع ، إذ العبرة بالراجح من الدليل وبهذا يتفق ما انتهيت إليه مع كثير من اقوال العلماء في توثيق احمد بن صالح المصري . والله أعلم .

المبحث الخامس :

« الإمام النسائي وعلل الحديث » :

معرفة علم علل الحديث من أجل علوم الحديث وأسرمها وأدقها . وإنما يتمكن منه اهل الحفظ والخبرة والفهم الثاقب ولهذا لم يتكلم فيه إلا القليل .

فالحديث المعلل : هو الحديث الذي اطلع فيه على علة تقدح في صحته مع أن ظاهره السلامة منها (١) .

والإمام النسائي : له حظ كبير من بيان العلل في هذا الكتاب ، نذكر بعض الأمثلة منها لتبرز مكانته في هذا الفن .

أ - التنبيه على علل الحديث في الاسناد :

١ - حديث أبي هريرة أن رسول الله -ﷺ- قال : إذا قعد بين شعبها الأربع ثم اجتهد فقد وجب الغسل . أخرجه النسائي بطريقين : بطريق

---

(١) فتح المغيث ١ / ٨٢ . وانظر توجيه النظر ، ص/ ٢٦٥ .

حالد . حدثنا شعبة عن قتادة عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة وبطريق عيسى بن يونس قال حدثنا أشعث بن عبد الملك عن ابن سيرين عن أبي هريرة ثم قال بعد ذلك قال أبو عبد الرحمن : هذا خطأ والصواب أشعث عن الحسن عن أبي هريرة . وقد روى الحديث عن شعبة النضر بن شميل وغيره كما رواه خالد (١) .

فصحح النسائي الطريق الأول وقواه بقوله : وقد روى الحديث عن شعبة إلخ . وزاد المصنف في السنن الكبرى (٢) بعد ذلك ولا نعلم أحدا تابع عيسى بن يونس عليه والصواب أشعث عن الحسن عن أبي هريرة والحسن لم يسمع عن أبي هريرة قال أبو عبد الرحمن أنا أشك . إلخ .

ويستفاد منه أن الوهم من عيسى بن يونس تلميذ الأشعث (٢) ولم يتابعه أحد بخلاف الرواية الأولى التي رواها خالد عن شعبة فإن لخالد متابعا النضر بن شميل وغيره .

كما قال النسائي . وأما الرواية الثانية ففيه علتان : إحداهما ذكر ابن سيرين بدل الحسن . وثانيهما الانقطاع بين الحسن وأبي هريرة ولا انقطاع في السند الأول لوجود الواسطة فيه بين الحسن وأبي هريرة . والله أعلم بالصواب .

٢- حديث عائشة - رضي الله عنها - وفيه فقال : انقضي رأسك وامتشطي وأهلي بالحج ودعي العمرة إلخ . أخرجه النسائي بطريق أشهب عن مالك أن ابن شهاب وهشام بن عروة حدثاه عن عائشة - رضي الله

---

(١) سنن النسائي : ١/١١١ . (٢) السنن الكبرى : ١/١١٧ .

(٢) أشعث بن عبد الملك قال يحيى بن سعيد القطان هو عندي ثقة مأمون وقال ابن معين : ما أدركت أحدًا يحدث عن الحسن أثبت منه : تهذيب التهذيب : ج١/ ص/٢٥٧ .

عنها - به إلخ . قال أبو عبد الرحمن : هذا حديث غريب من حديث مالك عن هشام بن عروة ، لم يروه أحد إلا أشهب (١) .

قال السندي : يريد أن أشهب (٢) رواه عن مالك عن هشام بن عروة والمعروف إنما هو مالك عن ابن شهاب فقط .

قلت : وله طريق آخر أيضًا غريب ففي كتاب الحج من المؤطأ مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة ، الحديث (٣) .

قال ابن عبد البر : هذا الحديث ليس عند أحد من رواة المؤطأ بهذا الاسناد إلا عند يحيى بن يحيى ، وإنما هو في المؤطأ عند جميع الرواة عن مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة وعند يحيى الاسنادان جميعا ، ولم يتابعه أحد على اسناده هذا (٤) .

٣- حديث علي - رضي الله عنه - أخرجه النسائي بطريق شعبة عن مالك بن عرفطة عن عبد خير ، وفيه أنه أتى بكرسي فقعد عليه إلخ . وقال هذا خطأ والصواب خالد بن علقمة ، ليس مالك بن عرفطة (٥) .

قال السندي : أي قول شعبة عن مالك بن عرفطة خطأ من شعبة ، وقد اتفق الحفاظ على تخطئة شعبة في هذا الاسم كالترمذي وأبي داؤد وأحمد

---

(١) سنن النسائي ١٢٢/١ .

(٢) هو أشهب بن عبد العزيز بن داؤد القيس : أبو عمرو المصري ، ثقة ، فقيه ، مات سنة (٢٠٤هـ) تقريب التهذيب ٨٠/١ .

(٣) أنظر مؤطأ مالك : ٤١١/١ . والحديث أخرجه البخاري في كتاب الحج ، باب تقضي الحائض المناسك كلها : ١٧١/٢ ، ومسلم في باب إدخال الحج على العمرة ٢٠٤/٢ .

(٤) أوجز المسالك شرح مؤطأ مالك : ج/٨ ، ص/٧٢ .

(٥) سنن النسائي ٦٩/١ .

كما ذكره المصنف - رحمه الله تعالى - قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : كذا سماه (شعبة) وخالفه الجماعة فقالوا خالد ، هو الصواب (١) .

كذلك ذهب الترمذي إلى أن شعبة أخطأ في اسم شيخه فإنه قال : روى شعبة هذا الحديث عن خالد بن علقمة فأخطأ في اسمه واسم أبيه فقال مالك بن عرفطة (٢) .

وقال : وروى أبو عوانة عن خالد بن علقمة عن عبد خير عن علي قال . وروى عنه عن مالك بن عرفطة مثل رواية شعبة والصحيح خالد بن علقمة . وكذلك أخرج أبو داؤد في سننه (٣) بثلاثة طرق : برواية أبي عوانة وبرواية زائدة بن قدامة والثالث برواية شعبة . فالأولان منهم يقولان : عن خالد بن علقمة ، والثالث : يقول عن مالك بن عرفطة . وعاب بعضهم على أبي عوانة أنه كان يقول مالك بن عرفطة واتبعه ، وقال : شعبة أعلم مني ، وحكاية أبي داؤد تدل على أنه رجع عن ذلك ، ثابتا إلى ما كان يقول أولا ، وهو الصواب (٤) .

وقد روى أحمد بن حنبل عن روح عن شعبة قال : ثنا مالك بن عرفطة وقال أحمد : إنما هو خالد بن علقمة الهمداني ، وهم شعبة (٥) .

[يتبع]

---

(١) تهذيب التهذيب : ١/٢٠ ، و ٢/١٠٨ ، وخالد بن علقمة ، قال ابن معين والنسائي ثقة .

(٢) سنن الترمذي : ١/٦٩

(٣) سنن الترمذي ، ١/٤١-٤٤

(٤) بذل المجهود في حل أبي داؤد ، ١/٢٧٨ ، وتهذيب التهذيب ٢/١٠٨

(٥) مسند أحمد ٦/٢٤٤ .

بين الضعيف والموضوع

من الأحاديث

(الحلقة الثانية)

بقلم الشيخ عبيد الله الأسعدي

عضو هيئة التدريس بالجامعة العربية . هتورا . باندة (الهند)

٢ - الشاذ و حكمه :

ومن الضعاف « الشاذ » الذي عرفوه بـ « أنه ما رواه المقبول مخالفًا لمن هو أولى منه » (١) .

و الشذوذ من أهم العيوب التي يذكرها المحدثون في بيان الصحيح وتعريفه . وشروطه . نفيًا وإثباتًا . فإن الصحيح حسب الاصطلاح المعروف عند القوم اليوم « هو ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة » (٢) .

وعرفه الحافظ ابن حجر - الذي هو كلامه عمدة المحققين من المتأخرين - بقوله « وخبر الآحاد بنقل عدل . تام الضبط . متصل السند . غير معلل ولا شاذ . هو الصحيح لذاته » (٣) .

قال ابن الحنبلي في « قفو الأثر » :

« إذا كانت الزيادة مخالفة فالظاهر التعارض » (٤) وقال الحافظ ابن حجر في : « نزهة النظر» و هو يتكلم في « الشاذ » و حكمه : « هذه

---

(١) تيسير مصطلح الحديث : ص/١١٦ .

(٢) نفس المصدر : ص/٢٢ .

(٣) نزهة النظر : ص/٢٩ .

(٤) قفو الأثر : ص/١٢ .

الزيادة هي التي يقع الترجيح بينها وبين معارضها فيقبل الراجح ويرد المرجوح » (١) .

وقال أيضًا : « فإن خولف أي الراوي بأرجح منه ، لمزيد ضبط أو كثرة عدد أو غير ذلك من وجوه الترجيحات . فالراجح يقال له المحفوظ ومقابله وهو المرجوح يقال له « الشاذ » (٢) .

كيف ومن هذا الباب اختلاف الوصل والإرسال والرفع والوقف بين الثقة والأوثق وذكروا فيه عامة ترجيح الوصل والرفع (٣) والحق أن الفصل فيه قول الإمام السخاوي فقد ذكر في ذلك :

« ومن هنا يتبين أنه لا يحكم في تعارض الوصل والرفع مع الإرسال والوقف بشيء معين بل إن كان من أرسل أو وقف من الثقات أرجح قدم ، وكذا بالعكس » (٤) .

١٢- الشذوذ لا يقدح في الصحة :

هذا - ومن جهة أخرى فإن الشذوذ ليس بعيب قادح في صحة الحديث عند المتقدمين والأئمة والمحققين ، ولذا لم يتفقوا على اشتراط نفي الشذوذ في تعريفه ولم يذكره الأئمة والمتقدمون - قال الإمام الذهبي في «الموقظة » - بعد أن عرف الصحيح بقوله :

« هو ما دار على عدل متقن واتصل سنده » (٥) . « وزاد أهل الحديث سلامته من الشذوذ والعلة . وفيه نظر على مقتضى نظر الفقهاء فإن كثيرًا من العلل يأبونها » (٦) .

---

(١) نزهة النظر : ص/٢٤ . (٢) نفس المصدر : ص/٢٥

(٣) التقريب والتدريب : ١/٢٢١-٢٢٢ ، المقدمة : ص/٢٢-٢٤ .

(٤) فتح المغيث : ص/١٩٤ . (٥-٦) الموقظة : ص/٢٤ .

ونقل الإمام السيوطي في تدريبه من قول الحافظ ابن جدر في ذلك :

« لم يرو ... عن أحد من أئمة الحديث اشتراط نفي الشذوذ المعبر عنه بالمخالفة وإنما الموجود من تصرفاتهم تقديم بعض ذلك على بعض في الصحة » (١) .

كما ذكر هو من قوله أيضًا :

« والمنقول عن أئمة الحديث المتقدمين كابن مهدي ويحيى القطان وأحمد وابن معين وابن المديني والبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم والنسائي والدار قطني اعتبار الترجيح فيما يتعلق بالزيادة المنافية بحيث يلزم من قبولها رد الرواية الأخرى » (٢) .

ولعل البحث تجد فيه كافيًا و وافيًا من هذه الناحية من العلامة شبير أحمد العثماني في شرحه « فتح الملهم » على الصحيح للإمام مسلم وجاء في ختام كلامه قبيل آخر البحث :

« فالإنصاف أن الحكم بالشذوذ من المحدثين لما كان مرجعه الترجيح من حيث كثرة العدد أو قوة الحفظ ونحوهما لا يستلزم كون الحديث شاذا مردودًا عند غيرهم من الفقهاء غير مقبح به في الاحكام إلخ » (٣).

وقال ابن الصلاح في مقدمته - وهو يتكلم في « معرفة زيادات الثقات » :

« مذهب جمهور الفقهاء وأصحاب الحديث فيما حكاه الخطيب أبو بكر ان الزيادة من الثقة مقبولة إذا تفرد بها سواء كان ذلك من شخص واحد

---

(١) تدريب الراوي : ١/٦٥ .

(٢) نفس المصدر: ١/٢٤٦ . وراجع النكت : ص/٦٥٤ .

(٣) فتح الملهم . ١/٥١ وقريب منه ما نقله السخاوي عن الحافظ وذكره في فتح المغيث : ص/١٥ .

أو أكثر» (١) .

ولا شك ان « زيادة الثقة » أيضًا من باب الشذوذ ،مثل اختلاف الرفع والوقف ونحوه ولذا اختار ابن الصلاح هنا التفصيل خلاف ما اختاره في مسألة الرفع والوقف والوصل والإرسال (٢) .

من أين هذا الخطأ ؟ و مسئلة الإسناد

١ - من أين هذا الخطأ :

إنما جاء ذلك ، منهم وتمكن من أدهانهم فجرت به أقلامهم وتفوهت به ألسنتهم ، من أجل الاسناد ، أي من أجل تعظيم الإسناد ، ولما له من الأهمية في الدين ، والبناء عليه في قبول الحديث والعمل به ورده ، فإنهم تشبثوا بأن الإسناد وصحته ، هو العمدة في الباب بحيث إنه كل شئ ، وآخر شئ ولا شئ دون ذلك وفوقه فيردون الضعيف ويتركونه رأساً ، لا يلقون إليه بالاً ، ولا ينظرون فيه نظرًا ، ولو لم يوجد في الباب شئ سوى الضعيف من الحديث .

و كم من مسائل لا ذكر لها في الأحاديث ، وكم منها لا يوجد فيها إلا الضعاف والمراسيل والمنقطعات .

٢ - إلى أين بلغ بهم الأمر في ذلك :

قال الجزائري وهو يتكلم في ذلك :

« اعلم ان هذه المسألة من أهم مسائل هذا الفن الجليل الشأن

---

(١) المقدمة ، ص/٤٠

(٢) نفس المصدر : ص/٢٤ و ٤٠-٤١ ومن قول العراقي في ألفيته فيما يتعلق بزيادات الثقات (والوصل والإرسال من ذا احدا) (راجع فتح المغيث ، بتحقيق الأعظمي : ص/٢٠٨-٢١٢ وفيه تفصيل في الموضوع .

والناظرون في هذا الموضع قد انقسموا إلى ثلاث فرق : الفرقة الأولى : فرقة جعلت جل همها النظر في الأسناد فإذا وجدت متصلاً ليس في اتصاله شبهة ، و وجدت رجاله ممن يوثق بهم حكمت بصحة الحديث قبل إمعان النظر فيه حتى إن بعضهم يحكم بصحته ولو خالفِ حديثاً آخر رواية أرجح ، ويقول : كل ذلك صحيح ، وربما قال : هذا صحيح وهذا أصح ، وكثيرًا ما يكون الجمع بينهما غير ممكن ، وإذا توقف متوقف في ذلك نسبه إلى مخالفة السنن وربما سعى في إيقاعه في محنة من المحن مع ان جهابذة هذا الفن قد حكموا بأن صحة الإسناد لا تقتضي صحة المعنى .. وقد وصل الغلو بفريق منهم إلى ان الزموا الناس بالأخذ بالأحاديث الضعيفة الواهية فأوقعوا الناس في داهية وما أدراك ماهيه ؟ وهذه الفرقة هم الغلاة في الاثبات وأكثرهم من أهل الأثر الذين ليس لهم فيه - فضلاً عن غيره - دقة نظر» .

ثم ذكر الفرقة الثانية : وهم الذين يردون ويقبلون بناء على أن يردعهم شئ أو يروقهم أمره ، ثم أعقَبها بذكر الفرقة الثالثة : قال :

« الفرقة الثالثة ، فرقة جعلت همها البحث عن ما صح من الحديث لتأخذ به فأعطت المسألة حقها من النظر فبحثت في الإسناد والمتن معًا بحث مؤثر للحق إلخ » (١) .

ويقول الإمام الدهلوي الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم العمري وهو بصدد الرد والنقد على مثل الفرقة الأولى التي ذكرها الجزائري :

« ولا ينبغي لمحدث أن يتعمق بالقواعد التي أحكمها أصحابه وليست مما نص عليه الشارع فيرد به حديثاً أو قياساً صحيحاً كرد ما فيه أدنى

(١) *فتح الملهم* : ١/١٧-١٨ .

شائبة الإرسال والانقطاع .. وكقولهم فلان أحفظ لحديث فلان من غيره ، فيرجحون حديثه على حديث غيره لذلك ، وإن كان في الآخر ألف وجه من الرجحان » (١) .

وقال العلامة محمد أنور شاه الكشميري - ولنعم ما قال رحمه الله رحمة واسعة - : « كان الإسناد لئلا يدخل في الدين ما ليس منه ، لا ليخرج من الدين ما ثبت منه من عمل أصل الإسناد » (٢) .

٣ - أهمية الإسناد من الدين وفي الدين :

ونقول نحن « نعم » الإسناد شئ عظيم ، وهو من نعم الله تعالى على هذه الأمة بل من ميزاتها ومما خصت به أمة نبينا محمد -ﷺ- :

« الإسناد من الدين ولو لا الإسناد لقال من شاء ما شاء » (٣) .

وقال الحافظ ابن تيمية - عليه الرحمة - في « منهاج السنة النبوية » :

« الإسناد من خصائص هذه الأمة ، وهو من خصائص الإسلام ، ثم هو في الإسلام من خصائص أهل السنة » (٤) .

٤ - الإسناد مطلوب في جميع أمور الدين :

قال العلامة عبد الحي اللكنوي في كتابه القيم النافع « الأجوبة

---

(١) حجة الله البالغة : ١/١٥٦ .

(٢) الأجوبة الفاضلة : ص/٢٢٨ ، التعليقات .

(٣) راجع للوقوف على ما ورد في فصل الإسناد وأهميته وما ورد فيه وقيل فيه « الأجوبة الفاضلة » للعلامة عبد الحي اللكنوي ص/٢١-٢٦ و « لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث » : ص/٧٤-٨٠ ولا سيما قال شيخنا عبد الفتاح أبو غدة - حفظه الله - « الاسناد من الدين » .

(٤) الإسناد من الدين : ص/٢٩-٣٠ ، وراجعه تجد فيه نقول الفحول وافرة جمة .

الفاضلة » : « لابد من الإسناد في كل أمر من أمور الدين وعليه الاعتماد ، أعم من أن يكون ذلك الأمر من قبيل الأخبار النبوية أو الاحكام الشرعية أو المناقب والفضائل أو المغازى والسير والفواضل وغير ذلك من الأمور التي لها تعلق بالدين المتين والشرع المبين ، فشئ من هذه الأمور لا ينبغي عليه الاعتماد ما لم يتأكد بالإسناد ، لا سيما بعد القرون المشهود لها بالخير» (١) .

وأما أمر الحديث فقد ذكر الملا علي القاري في كتابه « تذكرة الموضوعات » نقلاً عن الحافظ أبي بكر محمد بن خير الأموي :

« اتفق العلماء على أنه لا يحل لمسلم أن يقول : قال رسول الله -ﷺ- : كذا حتى يكون عنده ذلك القول مرويًا ولو على أقل وجوه الروايات » (٢) .

٥ - ولكن الإسناد ليس كل شئ ولا آخره ولا نهايته :

ولكن مع كل ذلك ، ومع كل تعظيم للإسناد وجل تفخيم له في الاعتماد ليس الإسناد كل شئ ولا آخره ولا نهايته بحيث لا يكون وراءه شئ فلا يقبل مما سواه ، ولا يلتفت إلى ما عداه ، ولا ملاحظة لما خلاه .

بل مع كل ذلك نرى القوم ، مع اعظامهم للإسناد وأمره وشأنه ، يقبلون أشياء سواه ، وينظرون إلى أمور آخر أيضًا حتى نراهم يصححون

---

(١) الأجوبة الفاضلة : ص/٢٧ وراجع للوقوف على ما ذكروا من اشتراط الاستناد والاعتماد في النقل من كتب الفقه ونحوها ، نفس المصدر : ص/٢ و ٥٩-٦٢ . و « لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث » ص/٧٦-٧٧ .

(٢) الموضوعات الكبير : ص/١٠ و « الأجوبة الفاضلة : ص/٢٢ و « تدريب الراوي » ١/١٥٠-١٥١، وأراد بقوله « ولو على أقل وجوه الروايات » الرواية باسناد ضعيف . والله تعالى أعلم . وناقش الأموي ، في دعوى الإجماع ، الزركشي . راجع التدريب : ١/١٥١ ، فتح المغيث : ص/٥٧ .

ويحسّنون لأجل ما يرون ويراعون ، غضا عن الإسناد وصرفا عن اتصاله ظاهرًا ولو لا ذلك .

ألف -١- لم نجد أئمة هذا الشأن يردون بعض ما صح و ورد بأسانيد صحيحة وأقواها ، ويحكمون بالبطلان والوضع .

ب- ٢- ولم يكن - في البحث عن حال الحديث ورجاله - لقولهم مجال : « هذا الحديث لا يصح سندًا وان صح معنى » .

ج- ٣- ولم نجد مثل الإمام الترمذي يصحح أحيانًا ويحسّن أخرى مع الانقطاع البين ولابد لي أن أذكر نبذا من هذه الأمور الثلاثة ليتضح ما ذكرت .

٦- ألف- ١- رد بعض ما ورد بصحة الأسانيد :

قال التهانوي :

« يجوز أن يحتج بالضعيف إذا قامت قرينة على صحته كما يجوز أن يترك العمل بالصحيح لقرينة على خلافه » (١) .

وقال المحقق ابن الهمام في الكلام على الاختلاف في الرواة والروايات : « لم لا يجوز في الصحيح السند أن يضعف بالقرينة الدالة على ضعفه في نفس الأمر ، و -(في)- الحسن أن يرتفع إلى الصحة بقرينة أخرى كما قلناه من عمل أكابر الصحابة على وفق ما قلناه وتركهم لمقتضى ذلك الحديث وكذا عمل أكابر السلف » (٢) .

ومن أمثلة ما رده المحققون والأئمة المتقنون ، مع أنه مروي بالأسانيد الصحيحة ، ما رواه الإمام مسلم في « باب ابتداء الخلق وخلق آدم » من

(١) قواعد في علوم الحديث : ص/٢٧ .

(٢) فتح القدير : ١/٢٨٩ .

« كتاب صفة المنافقين واحكامهم » من قوله -ﷺ- :

« خلق الله عزوجل التربة يوم السبت » .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عليه الرحمة ، في كلامه على مثل هذه الأحاديث :

« وكذلك روى مسلم « خلق الله التربة يوم السبت » ونازعه فيه من أعلم منه كيحيى بن معين والبخاري وغيرهما فبينوا ان هذا غلط ، ليس من كلام النبي -ﷺ- ، والحجة مع هؤلآء ، فإنه قد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن الله تعالى خلق السماوات والأرض في ستة أيام وأن آخر ما خلقه هو آدم وكان خلقه يوم الجمعة ، وهذا الحديث المختلف فيه يقتضى ان خلق ذلك في الأيام السبعة وقد روى إسناد أصح من هذا أن أول الخلق كان يوم الأحد » (١) .

وقال ابن كثير في هذا الحديث :

« رواه مسلم والنسائي في كتابيهما من حديث ابن جريج به وهو من غرائب الصحيح ، وقد علله البخاري في التاريخ فقال رواه بعضهم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن كعب الاحبار وهو الأصح » (٢) .

هذا ولم ينبه فيه النووي على شئ من ذلك في شرحه بل مر بالحديث وشرحه مختصرًا (٣) .

[يتبع]

---

(١) تعليقات الشيخ عبد الفتاح على قواعد في علوم الحديث : ص/٢٨٨ ، من قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة : ص/٨٦ .

(٢) تفسير ابن كثير : ج/٤ ، ص/٩٤ .

(٣) شرح النووي على مسلم : ج/١٧ ، ص/١٢٢ .

صورة وأوضاع :

الجهاد المعاصر

واضح رشيد الندوي

عند ما بدأ الكتاب المسلمون الكتابة بعد التقائهم بالغرب ثقافيا وفكريًا في عصر الاستعمار الغربي، كان موقفهم إزاء الشرق موقف الناقد نقدًا كاسحًا وموقفهم إزاء الغرب موقف المقلد، تقليدًا كاملاً، فنوهوا بكل ما في الغرب، وندّدوا بكل ما في الشرق، وخاصة الأدباء والقصصيون والروائيون، الذين قدموا صورة سيئة لمجتمعهم الذي كانوا يعيشون فيه والتقطوا مساوئ الحياة فيه و وسعوها وفخموها في نتاجهم الأدبي، وبلغ هذا التصوير السيئ للمجتمع الشرقي مبلغ الاستخفاف والازدراء به، وقام بعض الكتاب بتأويل أنهم يريدون معالجة مساوئ المجتمع الشرقي بإبراز جوانب الضعف فيه، وعرض جوانب الجمال والصلاح في المجتمع الآخر، لأن الإنسان إذا عرف ما يشينه وعرف ما يزين غيره، كان أقدر على أن يحسن موقفه بأخذ ما يزين غيره، ويمكن أن يكون هذا التأويل سديدًا في حق بعض الكتاب، وأن يكون بعض الكتاب مخلصين ولكن عرض جانب واحد، أو الانتقاد المجرد، يؤدى إلى نوعين من ردود الفعل، السخط، والحقد، وإنكار الفضل، أو مركب النقص، والشعور بالاحباط، والهزيمة الذاتية، وقد مر

المجتمع الشرقي بهذين النوعين من الانفعال ، وكان الانفعال المؤدى إلى الهزيمة ومركب النقص أوسع وأضخم ، واستفاد الغرب بهذه الكتابات لفرض هيبته على النفوس وتحبيب منهج حياته إليها .

ولا يصح أن يقال إن جميع هؤلآء الكتاب كانوا عملاء للغرب ، أو غير مخلصين لأوطانهم ، وبني جلدتهم ، إلا أن هذا الموقف الذي وقفوه كان موقف الانبهار ، وهو أمر طبيعي في المرحلة الأولى ، وخاصة لضعاف العقول والمتطفلين ، ولكن كان من الطبيعي أن يتغير هذا الموقف بتغير الظروف ، وخاصة بعد أن تنكشف حقيقة الأمر ويعرف المندهشون ما يدل على المساوئ ومواطن الضعف ، وقد زالت الحواجز ، وزالت الغربة ، وتعرف الذين زاروا الغرب أو قرأوا عنه ، أو تابعوا سلوكه على حقيقة أوربا . وكل من يزور دولة من الدول الغربية يعاين مساوئ كثيرة ، وان اختلفت في الشكل والمضمون ، حتى النظافة والأمانة ، والأمن ، وهي الأمور التي تأتي في آخر القائمة لم تعد اليوم من خصائص الحياة الغربية . وتتدهور الأوضاع في هذه المجالات وتنقلب الموازين كل يوم ، ولم يعد الجهل ، والفقر ، والعنف ، والعصبية الدينية ، والبطالة من خصائص الحياة الشرقية أو من هموم الشرق ، بل تعم هذه المشاكل في المجتمع الأوربي ، وهي سائدة وشائعة في أوربا الشرقية ، وهناك مساوئ تقف فيها أوربا موقف القيادة كاهدار كرامة الإنسان ، والاستغلال لشقاء الإنسان ، والتمييز العنصري ، والانحراف عن الحقوق الإنسانية وعدم التسامح في اللغة والثقافة ، والفكر ، وافتعال الأحداث ، للاستغلال وقلب الحقائق ، واستخدام وسائل غير مشروعة لتحقيق الأهداف ، أما المساوئ

الخلقية ، فالغرب لا يعترف بالأخلاق والقيم ، فقد وقع المعول الأول على الأخلاق ، وكذلك العقل ، فقد أصبح الغرب مرهقا بالعقل فيتخلى عن العقل أحيانًا ، ويختار اللامعقولية وأصبح ذلك مذهبًا ومنهجًا ، فيقضي وحتى كبار المثقفين والعقلاء أوقاتا في اللامعقولية ، واللامبالاة .

وعلاوة على الحياة الاجتماعية والفردية التي انسلخ الإنسان الغربي فيها عن القيم والعرف ، والمعقولية ، ينكشف لمن يدرس السياسة في أوربا ، أنها الآن تتجه إلى اللامعقولية ، وقد كانت أسس السياسة المعاصرة أن المصلحة هي الدعامة للسياسة ، ولكن السياسة العربية المعاصرة انفصلت عن هذه الدعامة أيضًا ، فأصبحت فوضوية ، و وقعت الدول الأوربية فريسة للتردد ، وضعف الإرادة ، والعجز عن اتخاذ القرار، وفقدت السيطرة على الأمور ، والوضوح والرؤية الصحيحة للأوضاع ، ففقدت كثير من المؤسسات والوكالات فيها تأثيرها ومعنويتها .

ومن أمثلة هذه الميوعة التي حدثت ، الأمم المتحدة التي لم تكن في عصر من العصور منذ إنشائها عاطلة وفاقدة التأثير بل عاجزة عن اتخاذ القرار كما هي الآن وذلك لارتباطها ببعض القوى .

هناك اصطلاح التابع المهمل ، ولا حرج إذا كان أحد تابعًا لقوى ، ولكن العيب كل العيب إذا كان أحد تابعًا لرجل ضعيف ، أو مريض ، إن الأمم المتحدة هذه الأيام تابعة للضعفاء ، الذين لا يقدرون على اتخاذ قرار ، أو تبين طريق ، فأصبحت الأمم المتحدة أسوأ من ناد ، أو منتدى أدبي ، أو مسرح .

إن الأمم مثل الإنسان ، تضعف وتقوى ، وتقوى وتضعف ، وهذه

طبيعة التاريخ ، فقد قامت امبراطوريات ثم سقطت ، وقد كانت تركيا سيد العالم ، ثم تلت مرحلة وصفها الأوربيون ، برجل أوربا المريض ، وتكالبت عليها الأمم ، إنها كانت تقرر مصير الأمم فأصبحت تقرر مصيرها الأمم التي كانت ضعيفة ، كذلك كان مصير ألمانيا واليابان ودول أخرى ، ولكن بعض الدول الأوربية لا تعترف بهذه الحقيقة فتصر على أن تبقى كما كانت و يقال لها إنها قوية وان كانت ضعيفة وكبرى وان كانت صغيرة ، وذات رفاهية وان كانت متخلفة .

إن من يتابع الأحداث في العالم ، وخاصة في البوسنة والهرسك ، والصومال ، ودول الاتحاد السوفياتي ويوغوسلافيا السابقتين ، وفلسطين ، وأماكن أخرى حيث تستمر الأحداث الدامية والأوضاع السيئة ، وتجرى انهار دماء الإنسان ، وتدمر الممتلكات ، وتعقد القضايا ، ان من يتابع هذه الأحداث لا يستطيع أن يتغلب على الانطباع بأن العالم اليوم يسير إلى الفوضوية لعدم وجود قوة رادعة ، تقيم الموازين ، وأنه ليس في العالم اليوم قوي ، ولا كبير ، وقد زعمت أمريكا انها سيدة العالم ، وأن النظام الجديد هو النظام الذي تقرره أمريكا ، ولكن سيادة أمريكا سقطت قبل أن تأتي إلى حيز الوجود ، وعلم العالم أن أمريكا لا تستطيع أن تحتمل خسارة ثلاثة أو أربعة جنود أمريكيين ، وانها لا تستطيع أن تحتمل أعباء حرب إقليمية ، أو تفرض سيادتها على أحد ، أما الدول الأخرى فقد أصابها العجز ، وفقدت صلاحية التحرك والعمل .

لقد انكشف خواء هذه الدول الكبرى ، والدول الراقية المتقدمة سياسيًا كما انكشف خواؤها خلقيا ، وليس من الغريب أن تصاب هذه الدول بهذا «

الضعف ، فقد شاخت ، وأصبحت الأمم المتحدة خاضعة للشيوخ الطاعنين في السن الذين ينتظرون أن يتسلم القيادة من أيديهم أولوا العزم وأولوا الأبصار ، ولا يستقيم سير العالم إلا إذا تغيرت قيادة العالم وانتقلت من أيدي المعوقين إلى أولى الأيدي والأبصار .

ويسعى هؤلآء المعوقون أن يسدوا طريق أولى الأبصار ولكن أعمالهم وسوء تصرفهم وسوء تدبيرهم سيقرب موعدهم ، وظلمهم واستبدادهم ، سيقرب سوء عاقبتهم .

ومما يؤخر هذه العاقبة السيئة ، ويمنع من حدوث ردود فعل مرتقبة استيلاء هذه الدول على الاعلام الذي يقوم بعمل التعتيم ، فيخفى مساوئ هذه الدول ، ويركز على مساوئ الدول خارج المنطقة الأوربية فلا يزال الإنسان المعاصر يعيش في خداع وسوء فهم ، وإذا تصدى أحد من أهل القلم والفكر الحر للكشف عن زيف هذه الدعاية وإبراز جوانب الضعف في سادة العالم المعاصر ، لكان الأجل قريبًا .

إنه من خدمة الإنسانية أن تنهار هذه النظم التي لا تقود الإنسانية إلا إلى الدمار ، والقلاقل ، ولا تسقط هذ النظم بالسيف ، ولا في ساحة القتال ، وإنما تسقط بالقلم الحر ، الناقد ، والفكر الثابت ، الفاحص ، الذي يكشف للعالم زيغ هذه النظم ، ومكرها وخداعها للعالم ، وما سببته من اضلال ، وتضليل ، وتركت الإنسانية في المتاهات ، ويتحمل هذه المسئولية من تعرف على الحضارة المعاصرة ورجالها ، والدول الكبرى ، وقادتها ، وسياستها ، فيزيح اللثام عن وجوههم ، وذلك هو الجهاد الحقيقي المعاصر .

... ...

اجتماع مجلس الأمناء لرابطة الأدب الإسلامي في استانبول

قلم التحرير

انعقدت الدورة السابعة لمجلس الأمناء لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في مدينة استانبول بتركيا ، في ٢٠-٢١ من شهر أغسطس ١٩٩٣م برئاسة سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، اشترك فيها أعضاء مجلس الأمناء من الهند وباكستان والأردن ومصر ، وسوريا ، وعدد من البلدان الأخرى .

بدأت الجلسة بآي من الذكر الحكيم تلاها الأستاذ سعيد الأعظمي ، ثم ألقى سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي رئيس الرابطة كلمته الافتتاحية ، حمد الله تعالى فيها أولا على أن وفق للعمل عملا مركزًا هادفًا لخدمة الإسلام والمسلمين ، بل لخدمة الإنسانية كلها ، وأعرب عن شكره وارتياحه بسير أعمال رابطة الأدب الإسلامي التي تتبنى الفكر الإسلامي الصالح ، وتدافع عن الحضارة الإسلامية التي هو في خير الإنسانية كلها ، ثم أعرب عن شكره على أن وفق الله تعالى أعضاء الرابطة لحضور المؤتمر رغم معوقات سياسية واجتماعية ، واقتصادية ، ودعا الله تعالى أن يوفق الجميع للعمل لما فيه صلاح الإنسانية ، وما فيه عايد حسن لمستقبل الإنسانية بنتاج أدبي هادف ، بناء ، صالح .

وبعد كلمة الرئيس قدم فضيلة الأستاذ محمد الرابع الندوي رئيس مكتب شبه القارة الهندية تقرير مكتبه . وقدم الدكتور عبد القدوس أبو

صالح رئيس مكتب البلاد العربية تقرير مكتب البلاد العربية . وقدم الدكتور عبد الباسط بدر أمين سر مجلس الأمناء تقريره الذي اشتمل على استعراض نشاطات الرابطة خلال العام المنصرم ومشاريعها للأعوام القادمة ، درس الاجتماع بعد الاستماع إلى التقارير موازنة العامين الماضيين لكل من المكتبين ، وقضية الاشتراك ، والعضوية في الرابطة ، وفتح مكاتب جديدة . واستعراض نشاطات المكاتب التي فتحت فعلا وسبل دعم المجلة التي يقترح مكتب البلاد العربية إصدارها . ونقل نتاج الأدباء الإسلاميين في اللغات الإسلامية المختلفة إلى اللغة العربية ومنها إلى اللغات الإسلامية الأخرى . ودفع مكافأة لائقة لتشجيع الأدباء وعقد مسابقات للكتابات الإبداعية . كما درس الاجتماع خطة دليل الأدباء الإسلاميين في العصر الحديث

ودرس الاجتماع أيضًا موعد ومكان توزيع جوائز مسابقة القصة والرواية و تكريم الدكتور نجيب الكيلاني . و وافق المجلس على اللائحة المالية والإدارية بعد دراسة المقترحات التي قدمت . كما درس الاجتماع إمكانيات توسيع نشاطات مكاتب الرابطة في القاهرة ، وعمان ، ولكناؤ ، وإقامة اتصالات بالأدباء الإسلاميين لمد نشاطات الرابطة إلى مناطق جديدة . وأعرب الاجتماع عن ارتياحه بالاستجابة النامية لدور الرابطة وانتشار تصور الأدب الإسلامي ، وإقبال عدد أكبر من الكتاب على قبول هذه الفكرة واقتناعهم بضرورة مثل هذه الرابطة . كما عرضت الإصدارات التي أصدرتها الرابطة بتعاون بعض المكتبات ودور النشر ، في القضايا الإسلامية .

... .

مؤتمر الهيئة العامة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية

انعقدت الدورة الثالثة للهيئة العامة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في ٢٢-٢٥ أغسطس ١٩٩٢م بعد انتهاء اجتماعات مجلس الأمناء لرابطة الأدب الإسلامي في قاعة فسيحة لفندق سلطان باستنبول ، واشترك فيه أكثر من ٤٦ عضوًا من خارج تركيا ، وعدد من أعضاء الرابطة في تركيا . والضيوف والأعيان المهتمون بالأدب الإسلامي في تركيا . ومراسلوا الصحف العربية . والتركية . و وكالات الأنباء .

عقدت الجلسة الافتتاحية يوم الأحد ٢٢ أغسطس ١٩٩٢م في الساعة العاشرة صباحًا بتوقيت تركيا . ألقى فيها سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي رئيس الرابطة كلمة ضافية بين فيها أهمية الأدب الإسلامي . ودوره في بناء منهج صالح للحياة ، وخطورة الأدب الفاسد الذي يحمل أفكارًا وميولاً ، ودوافع ضارة للإنسان ، ليس للمسلم وحده ، وقال إن الأدب يعين اتجاهًا ، وسلوكًا ، ودوافع . فإذا كان الأدب فاسدًا ، ومنتجه صاحب دوافع وميول غير صالحة فإنه سيؤدي إلى ميول فاسدة ، في حياة الفرد والمجتمع وأعرب عن ارتياحه بأن تصور الأدب ينال القبول ويقبله الأدباء في العالم كله .

وألقى الأستاذ محمد قطب كلمة أعضاء الشرف ، فتحدث بتفصيل عن الانحرافات والمتاهات التي وقع فيها المسلمون منذ عهد الاستعمار في السياسة والاقتصاد ، والعقيدة ، والاجتماع ، والفكر ، و وصف هذا الانحراف بالتيه الذي ضل فيه المسلمون عن جادتهم واتبعوا مناهج

متفرقة لا تتناسب مع التصور الإسلامي ، فلم تغنهم هذه المناهج والأفكار . والحمد لله على أن المسلمين بدأوا يعودون إلى المجرى الحقيقي ، ويعمهم الشعور بأن لجوءهم إلى المناهج والمذاهب الأخرى لم تكسبهم السعادة والنجاح ، وذكر بصفة خاصة اتباع الأدباء المسلمين لمذاهب الأدب العربية . مبلغ تقليدهم لأوربا إلى حد أن أحد الأدباء كتب أدبا لا معقوليا . لكيلا يقال إن الأدب العربي لا يوجد فيه الأدب اللامعقول ، وأشاد الأستاذ محمد قطب بتأسيس رابطة الأدب الإسلامي ، التي يقوم بتوجيه مسار الأدب . وأبدى سروره بالالتقاء بهذه النخبة الطيبة من الكتاب والأدباء والشعراء الإسلاميين وعلى رأسهم سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي الذي يرأس هذه الرابطة .

وتحدث الأستاذ محمد الرابع الندوي رئيس مكتب شبه القارة الهندية وشكر القادمين من بلدان مختلفة وتجشمهم لشاق السفر لحضور هذا المؤتمر ، والاشتراك في مداولاته ، وقدم نبذة من نشاطات مكتب شبه القارة الهندية ، كما تحدث الدكتور عبد القدوس أبو صالح نائب الرئيس ، ورئيس مكتب البلاد العربية ، وقدم أهم نشاطات المكتب وفروعه ، ثم تحدث الأستاذ علي نار رئيس مكتب الرابطة في تركيا وفي الجلسات التالية قدمت بحوث حول تقريب المفاهيم في قضايا الأدب الإسلامي ونوقشت هذه البحوث بتفصيل ، وبلغ عدد البحوث أكثر من ثمانية بحوث ، ومثل الهند في تقديم البحوث الدكتور ضياء الحسن الندوي عميد كلية اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية بدلهي - الهند .

وجرت في المؤتمر خلال عرض البحوث مناقشة حول قضايا الأدب ، وإسلامية الأدب ، ودرست المشاكل التي يواجهها الأدباء الإسلاميون في

نشر نتاجهم وبحثت وسائل لتشجيع الأدباء الطامحين ، ودعم جهودهم كما نوقشت مسألة عضوية الرابطة ومسئولية الأدباء الإسلاميين .

وشكلت لجنة لاعداد توصيات في ضوء المناقشات التي جرت في المؤتمر ، وكان أحد أعضائها الأستاذ سعيد الأعظمي ، وقدمت اللجنة توصياتها في الجلسة الأخيرة للمؤتمر ، وأنهى المؤتمر جلساته في ٢٥ أغسطس ، بدعاء سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي .

ولحضور عدد من الشعراء للاشتراك في المؤتمر ، وفي مقدمتهم الدكتور محمد التهامي ، والدكتور جابر قميحة ، والدكتور عبد الرحمن صالح العشماوي وشاعر طيبة ، الشيخ ضياء الدين الصابوني ، والأستاذ علي نار ، وآخرون ، عقدت أمسية شعرية بقرب بحيرة ، في غابة بلغراد ، أنشدت فيها قصائد حول الموضوعات الإسلامية ، وحضرها سماحة الشيخ الندوي رئيس الرابطة ورفقته بصفة خاصة ، واستمع إلى القصائد وأبدى ارتياحه وسروره بهذا المجلس الكريم وختم المجلس بالدعاء .

وانتهى المجلس قرب المغرب ، وأتيحت للضيوف فرصة لزيارة الأماكن الأثرية ، ومواصع الأهمية السياحية في المدينة ، وكان في هذه الرحلة الشيخ أمين السراج ، والأستاذ عثمان ، والدكتور علي نار من استنبول الذين كانوا يشرحون أهمية الأماكن التاريخية .

وبعد انتهاء المؤتمر انعقد اجتماع مجلس الأمناء من جديد لدراسة بعص المواد الدستورية ، والتنظيمية ، وأعيد انتخاب بعض الأعضاء وانتخب جدد للمجلس واستغرق هذا الاجتماع يومين ٢٦-٢٧ أغسطس ١٩٩٢م .

.. .. ..

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في عام ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الإسلامي

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

العدد التاسع - المجلد الثامن و الثلاثون

جمادى الثانية ١٤١٤هـ - نوفمبر - ديسمبر ١٩٩٣م

المراسلات :

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص ب ٩٣ لكناؤ - الهند

ALBAAS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama

P. O. Box, 93, Lucknow (INDIA)

في هذا العدد

الافتتـــــــــــاحية :

التوجيـــــــه الإسلامي :

الدعـــــــوة الإسلامية :

دراسات فـــــي السنة :

دراسات و أبحـــــاث :

صور و أوضـــــــاع :

إلــــــى رحـــمة الله :

إلى كل من يهمه أمر الدعوة الإسلامية :

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

[illegible]

يربو عدد المسلمين في العالم كله على ألف مليون نسمة حسب المؤشرات الإحصائية العالمية ، وهو عدد ضخم لا يستهان به ، بل الواقع أن أقل من هذا العدد يكفي للاعتزاز بالمسلمين بإزاء الشعوب الأخرى العالمية ، ولا يزال هذا العدد الهائل في اتساع وزيادة ، ولا سيما بعد الصحوة الإسلامية التي شملت العالم كله وسببت دخول عدد كبير من الناس في الإسلام ، مما جعل القادة الغربيين ، المناوئين للإسلام والمتهيبين منه في قلق وسهر ، ما قر لهم قرار مع وجود هذا الإقبال العظيم على الانضمام إلى الأسرة الإسلامية العالمية ، وأصبحت قضية الصحوة الإسلامية على رأس « القائمة السوداء » لدى الجهات المعنية الدولية التي يشرف عليها « اللوبي اليهودي » الذي اخترع لمحاربتها أساليب من العلم والفكر تارة واستند إلى عوامل العنف والإرهابية تارة أخرى ، ولم يكن له هناك شئ أخوف من الأمة الإسلامية أن تتحد على كلمة الإسلام وتمثل حضارته وتدعو إلى فكرته وتتسلم زمام القيادة العالمية في جميع مناحي العلم والاجتماع والسياسة والحضارة ، ثم يتسنى لها توفير الأمن والسلام والسعاده والهدوء في جميع المجالات الإنسانية ، من السياسة والاجتماع والفكر والإبداع

ذلك لأن هؤلآء القادة الماديين قد توصلوا بعد دراسات طويلة وعميقة إلى أن الإسلام هو في الواقع دين الإنسان و يزخر بمؤهلات طبيعية هائلة للقيادة و التربية و التوجيه ، لا ينقصه الفكر الإنساني السليم للجمع بين حسني الدين والدنيا بكل توازن ودقة ، ولا تعوزه العدالة

الاجتماعية بجميع مفاهيمها وتصوراتها ، إلا أن الله سبحانه قد كتب لهم الشقاء والحرمان ، لكي لا يستمتعوا من هذه النعمة التي أتمها الله سبحانه على عباده المسلمين ، فامتّلأت قلوبهم بغضًا وعداوة للذين آمنوا ، فسول لهم الشيطان أن يكونوا آلة هدم ودمار لكل ما ينتمي إلى الإسلام والمسلمين ، وأن يحولوا العالم الإسلامي الزاخر بألوان من الحضارة الإسلامية إلى كومة من تراب ، وكل ذلك إشفاءًا للغيظ وإطفاءًا لنار البغض والكراهية التي تشتعل في داخل نفوسهم ضد الأمة الإسلامية ورسالة الإسلام ، فيتفوهون بما ينجزونه من عمليات الإبادة وما يملكونه من وسائل إهلاك الحرث والنسل ، ويضمرون ما يخططونه من مخططات سرية ضد القيادات الإسلامية في العالم الإسلامي ، وخاصة في البلدان التي تنفذ فيها الحدود الشرعية ، ويلتزم فيها أهلها بعقيدة الإسلام الأساسية وشريعتها الخالدة . ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم • وما تخفي صدورهم أكبر﴾ .

وسوف لا نبالغ إذ قلنا إن العالم المادي بحضاراته وفلسفاته وأفكاره السياسية والاجتماعية يدور حول الفكر اليهودي الذي يريدان يسيطر على فكر الإنسان في كل مكان ، ويخضعه للفلسفة اليهودية في كل شأن ، حتى إن الولايات المتحدة الأمريكية التي تفرض قيادتها السياسية والحضارية على العالم كله تخضع اليوم للفكر اليهودي ، وإن ما نسميه اليوم السياسة العالمية ، فهي تابعة لقادة اليهود ، كما أن الأمم المتحدة ليست إلا منبرًا لنفس السياسة اليهودية العالمية ، حيث يسيطر اللوبي اليهودي على جميع قضايا العالم وشعوبه السياسية والاجتماعية ، ومن هنا يحكم هذا اللوبي جميع الشعوب الإسلامية ، ويفرض مرئياته السياسية وفلسفاته الحضارية وأفكاره الشاذة على المستوى الأممي ، ومما هو المشاهد المعلوم لدى الجهات المعنية في كل مكان أن الأمم المتحدة

بتخذ قرارات حول القضايا والمشكلات الساخنة ولكنها لا تجد طريقا نحو التنفيذ لمجرد أنها تتعلق بالشعوب الإسلامية أو بلدان المسلمين ، ذلك أن السياسة اليهودية المسيطرة على الأوضاع لا ترضى بها ، فتحول دون تنفيذها ، ولا حاجة إلى شرح تلك المشكلات والقضايا التي تشكو بثها وحزنها إلى الضمير العالمي الحساس

أليست فلسطين ذلك البلد الإسلامي الحبيب الذي يسعد بوجود المسجد الأقصى ومسرى الرسول -ﷺ- في بيت المقدس ، الذي كان محرما على اليهود أن يدخلوه ، ولكن المؤامرات التي دبرت في المخادع اليهودية والمراكز الصهيونية بتعاون من قادة المعسكرات العالمية وتأييدهم المخلص ، مهدت الطريق إلى إخراج سكانها العرب المسلمين من ديارهم وطردهم إلى العراء والصحاري والجبال من غير مأمن ولا ملجأ ، وتخلية الجو لاستقدام اليهود من جميع أنحاء العالم ، وإسكانهم فيها ، حتى تحقق الحلم اليهودي في تحويل هذه الأرض المقدسة إلى دولة يهودية اسمها إسرائيل ، وتم لهم الاستيلاء على المسجد الأقصى والمقدسات الإسلامية الأخرى ، والاحتلال في القدس ، التي أعلنوها عاصمة لدولة إسرائيل ، هنالك تظاهر اليهود بأفراح الانتصار والابتهاج بروح الفتح ، وقد أثاروا الفتنة والإرهابية في جميع المجتمعات الإسلامية ، حيث لم يسع للمسلمين إلا الصبر على هذا المصاب العظيم والخسارة الفادحة ، والاسترجاع على ضياع بيت المقدس والمسجد الأقصى .

لم يشهد التاريخ الإنساني مأساة إنسانية تكون قد بلغت في عمقها وساحتها الزمانية والمكانية إلى ما بلغت إليه هذه المأساة الفلسطينية ، التي نسجت خيوطها بالدماء والدموع والأشلاء ، والوحشيات التي تخجل أمامها الضواري من السباع والوحوش ، واستمرت هذه المسرحية الذليلة على مرأى من العالم ومسمعه ، وبفصولها البشعة السوداء وأدوارها

بهيمية ، سجلها التاريخ الإنساني بدماء الشهداء الزكية وأقلام
ؤرخين المرتجفة ، وما آن لها أن يُسدل عليها الستار ويعلن عن نهايتها
ليمة ، بل وقد فُتح باب جديد لمسرّحية فلسطين ، لما قد تم من اتفاقية
من المزورة في واشنطن ، يوم ١٢ من شهر سبتمبر على يد زعيم منظمة
تحرير الفلسطينية ، وقد استنكرتها الجهات المنصفة في العالم كله ،
سمتها صفقة الخيانة ، حيث إنها لا تعنى إلا الاعتراف بدولة إسرائيل
فلسطين ، والعيش في ظلها وتحت رحمتها .

وقد علقت الصحف العربية التي تصدر في عواصم العالم الإسلامي على
ه الاتفاقية بشئ كثير من الأسف والألم ، وكشفت عن حقائق مذهلة مما
تعلق بهذه المساومة القاتمة ، ولو لا أن جُنة الصبر والحكمة حالت دون
فضها وضربها عرض الحائط ، لحدث لها رد فعل عنيف ، لم يمسكه إلا
. فعل مثله ، ولكن الله سبحانه لطف بالأمة وصانها من ظروف القسوة
العنف والإرهابية ، ولله في شئونه حكم ومصالح لا يدريها إلا هو .

أما الإسلام فهو مستهدف من دول الغرب والشرق القوية ، ومن جميع
عصبيات المتطرفة التي توجد في جميع أنحاء العالم ، وقد أُعد لإنجاز
هذا المشروع » أفواج من الرجال وأكداس من الأموال ، وأسباب و
سائل ، وتستمر الجهود في هذا السبيل بغاية من الجد والنشاط ،
بينما كانت تنحصر هذه النشاطات ضد الإسلام في نطاق الغزو الفكري
ذا بها تتسع إلى العمليات الإرهابية والتصفية الجسدية ، واليهود هم
نوى عوامل القمع والظلم ، وهم الذين يحاولون اقتلاع جذور الدين
لإسلامي ، بإزالة هيبته وإضعاف عقيدته وتفنيد شريعته وحدودها
أحكامها ، وذلك بإنشاء جيل من المسلمين أنفسهم تكون رؤيتهم نحو
لإسلام مضادة لرؤية السلف الصالح ، فلا ينظر إلى الإسلام إلا من خلال
نظار الغرب المادي ، وهو يتهم الإسلام بالأصولية والتمسك بالجذور ،

ويراه بعيدًا عن الحقائق الحضارية وقضايا العلم المعاصرة .

إن هذا الجيل الذي أشرف على تربيته اليهود المغضوب عليهم ، يوالي سادته ويضم صوته إلى صوتهم بدافع من الحسد والغيظ ضد الدين الإسلامي ، وهو لا يراعي في ذلك إلا ولا ذمةً ، ويستخدم جميع الوسائل المتوافرة لديه لصرف الشباب المسلم عن أي رغبة في هذا الدين وصده عن الإقبال على الشريعة ، وله جولة وصولة في أنحاء العالم شرقًا وغربًا يساعد على إثارة الفتن والشبهات حول الدين ، ويقلل قيمة الإسلام في العالم الحديث ، مستدلاً على ذلك بتخلف المسلمين والعالم الإسلامي في شئون السياسة والعلم والحضارة .

هكذا يبسط اليهود نفوذهم في المجتمعات الإنسانية التي تتعطش إلى الدين ، وتتمنى الخروج من شقاء المادية وعذاب الالتزامات الحضارية إلى منهج عادل للحياة ، يلهمها الأمن والسعادة ، ولكنها تبوء بالخيبة والإخفاق ، فهيهات أن تحقق غايتها وتنال بغيتها ، وتخرج من حصار اليهودية الظالمة .

إن رد المؤمنين المسلمين إلى الكفر والنفاق من أحلى أماني اليهود منذ فجر التاريخ الإسلامي ، لقد كانوا يضللون المسلمين عن دينهم ويدعونهم إلى اليهودية ويؤكدون أن الإسلام لا يحمل لهم أي سعادة أو عزة ، إنما هو النظام اليهودي وحده الذي يتكفل لهم بالهدوء والهناء ، ولذلك نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم حينما وجهت إليهم دعوة الإيمان ، يقول الله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله • قالوا نؤمن بما أنزل علينا • ويكفرون بما وراءه ﴾ وكم كانوا يودون أن يراودوا المسلمن ويردوهم عن دينهم ، وإن كانوا يتظاهرون بالولاء للمسلمين ، ففضحهم الله وكشف عن نواياهم قائلاً : ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ .

من هنالك كان موقفهم من الإسلام موقف البغض والعداء ، وكانوا يرونه دينًا مناهضًا لمكانتهم في المجتمع ، وزعمهم بأنهم شعب الله المختار ، فامترحت هذه العداوة بلحومهم ودمائهم ، وشبت عليها أجيالهم ، فضرب الله عليهم الذلة والمسكنة ، وباءوا بغضب من الله .

لقد أشار إلى هذا الواقع اليهودي الأستاذ الشهيد السيد قطب في سياق حديثه عن اليهود المغضوب عليهم ، يقول : « ولقد كان اليهود يزعمون أنهم شعب الله المختار ، وأن فيهم الرسالة والكتاب ، فكانوا يتطلعون أن يكون الرسول الأخير فيهم كما توقعوا دائمًا ، فلما أن جاء من العرب ظلوا يتوقعون أن يعتبرهم خارج نطاق دعوته ، وأن يقصر الدعوة على الأميين من العرب ، فلما وجدوه يدعوهم - أول من يدعو - إلى كتاب الله ، بحكم أنهم أعرف به من المشركين ، وأجدر بالاستجابة له من المشركين ، أخذتهم العزة بالإثم ، وعدوا توجيه الدعوة إليهم إهانة واستطالة .

ثم انهم حسدوا النبي -ﷺ- حسدًا شديدًا ، حسدوه مرتين : مرة لأن الله اختاره وأنزل عليه الكتاب - وهم لم يكونوا يشكون في صحته - وحسدوه لما لقيه من نجاح سريع شامل في محيط المدينة : « في ظلال القرآن » ج/١، ص/٢٩ .

يتبين بذلك موقف اليهود العدائي من الإسلام ورسول الإسلام والأمة الإسلامية ، وهم مكبون منذ فجر التاريخ الإسلامي على نسج حبائك المؤامرات ضد الإسلام والمسلمين ، وقد استشرت فيهم هذه الطبيعة الانتقامية بدوافعها السيئة الذميمة في العالم الحديث اليوم ، فيريدون القضاء البات النهائي على مجتمعات المسلمين وحكوماتهم ومقدساتهم مراكزهم الدينية والحضارية ، وقد قاموا بتخصيص ميزانية هائلة لتحقيق هذا الغرض ، وبثوا عيونهم وعملاءهم في كل مكان لتنفيذ

المخططات والبرامج الهدامة التي تتولى تشويه سمعة الإسلام وتنفير المسلمين بوجه عام وقطع رجائهم، عن المنهج الإسلامي للحياة، في عصر الحضارات والفلسفات، ولهم في ذلك جولات وصولات وفرص متاحة ووسائل متوافرة من الرجال والأموال.

وهل يخفى على مطلع حصيف أن الإعلام العالمي بجميع أشكاله وآلاته ووسائله يتحكم فيه « العنصر اليهودي » ويفرض سيطرته على جميع البرامج الإعلامية ويتكفل بإدخال أحدث الآلات والأجهزة على آخر المستوى الإبداعي حتى لا يبقى جزء من العالم إلا ويتمتع بالمنتجات الإعلامية وبرامجها الموبوءة التي تكفي لنشر الفساد في المجتمعات الشبابية بوجه خاص وهدم معنوياتهم واهتماماتهم ببناء المستقبل.

كذلك يسيطر الفكر اليهودي الخالص على نظام التعليم العالمي في مناهجه وبرامجه وفي تحديد مواده والكتب التي تدرس في المقررات الدراسية، وكذلك في ترتيب الحصص وتنظيم المحاضرات وتحديد الإجازات ومواعيد الفحوص والامتحانات وتعيين مواعيد افتتاح العام الدراسي ونهايته، وكذلك في تنظيم الرحلات والسياحات للطلاب والمربين في الجامعات.

يحاولون في كل ذلك تغيير الأذهان إلى الفلسفات المادية وتحبيب حضارتهم وتاريخهم إلى النفوس، بما تتضرر به الروح الإسلامية ويتقوى به الشعور بتخلف الفكر الحضاري والإبداعي لدى المسلمين، بل باعتبار الحضارة الإسلامية ومبادئها الأساسية واقعا ضعيفا في المجتمع الإنساني، لم يساعد الإنسان في التقدم العلمي والإبداعي يوما ما.

يتخرج الشباب الجامعي من الجامعات العصرية بهذا الشعور، وهو يعتبر الدين الإسلامي دين الكهوف والمغارات الذي لا يصلح لعصر العلم والحضارة ولا يساير ركب العالم المتغير في شئ.

أما الصرافة العالمية فهي المجال المألوف لليهود من أول تاريخهم يجولون فيه على أوسع نطاق ويتصرفون في الأسواق المالية بحرية كاملة حسبما توحى إليه أهواؤهم وتتطلب منهم ظروفهم الخاصة من ترويج المعاملات الربوية في المجتمعات الإسلامية .

هكذا يتسنى لليهود السيطرة الكاملة على جميع الأجهزة الاقتصادية والمالية وعلى جوانب العلم والاجتماع والحضارة التي تجمعها « كلمة السياسة العالمية » وهي المحور الأساسي الذي يدور حوله اللوبي اليهودي في العالم اليوم ، ويمتلك زمام القيادة العالمية بقبضة من حديد .

إن الحرب التي يشنها اليوم العدو اليهودي علينا من جميع الجهات والجبهات بوسائل القمع والإرهاب مرة ، و من طريق الغزو الفكري والاقتصادي مرة أخرى ، إنما هي تحدٍ سافر للأمة الإسلامية جمعاء ، بقطاعاتها المختلفة ومجتمعاتها ودولها الإسلامية ، فلابد من رد هذا التحدي سواء كان بالصمود في وجه المكائد اليهودية وإيقاف رحى الحرب الصامتة بوسائل لازمة ، واتخاذ الحكمة الدعوية والإيمانية التي واجه بها الرسول -ﷺ- أمة اليهود ، ورد بها مكائدهم في نحورهم ، فذلك هو الطريق السليم لمقاومة الغزو اليهودي والإرهاب الصهيوني ، وما هو إلا أن نعمل بإخلاص وجدٍّ لنشر الدعوة الإسلامية على وجهها الصحيح ، وبث الوعي الديني والفكر الإسلامي في المجتمعات الإسلامية ، وتبليغ رسالة الإسلام إلى الناس كافة مع استخدام الوسائل الحديثة للإعلام والاستفادة من العلوم والخُبرات والتجارب التاريخية والحضارية التي يعتمد عليها العالم البشري اليوم ، مع الحفاظ على روح الإيمان والورع ، والتضحية بالنفس والمال ، في هذا السبيل على بصيرة كاملة ، يقول الله تعالى ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني • وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ .

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي

إلى الشباب المسلم المقيم في ديار الغرب

سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

اخوتي الأعزاء !

تحياتي إليكم على بعد الدار ومن وراء البحار . تحيات صادرة من قرارة القلوب وأعماق النفوس . معمورة بالحب والإخلاص وعاطفة الأخوة الإسلامية الصادقة

إن وجودكم في قلب أوربا أو أمريكا وهي مصدر الحضارة العربية العالمية والنشاط الثقافي أو الصناعي الذي غزا العالم ، لا أعتبره حادثة اضطرار لم تكن عن رضا واختيار ، ولا مأساة تستحق المواساة ، إنما اعتبره - مهما كانت الأسباب والدوافع لهذه الهجرة المؤقتة أو الدائمة - هبة من الله وتيسيرا منه وفتحا من الفتوح التي سعد بها الإسلام والمسلمون في تاريخهم الطويل .

إنها سعادة ومكسب لكم في حياتكم الشخصية المحدودة ، وسعادة ومكسب للمجتمع الذي تعيشون فيه ، المجتمع الذي قدر له أن يسوق العالم ويملي عليه إرادته وهواه . المجتمع الأوربي بالمعنى الواسع الذي يشمل بريطانيا وأمريكا والقارة الأوربية بأسرها .

إنها فرصة تفتح فيكم كوة جديدة للإيمان والثقة بالإسلام ، والاقتناع بما حواه القرآن ، ودعوة الأنبياء في عصورهم ، ودعوة آخر الرسل في عصره الذي لا نهاية له إلا بنهاية هذا العالم ونهاية الحضارة البشرية ،

كوة لا تنفتح إلا في مثل المجتمع الذي تعيشون فيه اليوم وفي « معمل » الحضارة العربية الذي لا يوجد في الشرق وفي بلاد الإسلام ومهد الحضارة الإسلامية .

وهي تفتح كوة جديدة في المجتمع الأوربي ، تجربة جديدة في عالم الأفكار والقيم ، وصدمة للفكر الأوربي وتحريك له بعد ما جمد وتوقف عن الابتكار و الثورة منذ زمن طويل ، و اشتغل بالإعادة و عمل « الاجترار » (١) لا يطلب جديدا ولا يأتي بجديد

أما في ما يخص نفسكم - أيها الشباب المسلم المغترب - فقد قالوا إن المجتمع الإنساني المتمدن يمكن لا بل يجب ان يقوم على غير أساس الإيمان وتعاليم الأديان والقيم الخلقية والرسالات السماوية ، إنه يستطيع ان يقوم على أساس العلم ، والتنظيم والصناعة والاقتصاد ، والوعي السياسي والقومية ، والوطنية ، والاتفاقات ، والتعهدات الاجتماعية والدستورية ، وإن المجتمع ليسعد ويترفه بالوسائل والالات التي تمنحها علوم الطبيعة والكيمياء ، وتسخير الكون والطبيعة لصالح الانسان ورغباته وطموحه ، وتذليل العقبات التي كانت نتيجة الجهل للعلوم الكونية والطاقات البشرية ، وإن سر شقاء الإنسان في العصر الماضي صعوبة التعارف والتفاهم بين أعضاء الأسرة الإنسانية في أنحاء الأرض وفي مختلف القارات والأقاليم

لقد ألح الغرب على هذا المعنى ، وتحمس له تحمس المؤمنين الجدد ، وكان هتافه « لا إله ولا دين ، ولا غيب ، ولا إيمان ، ولا روح ، ولا أخلاق ،

---

(١) اجتر البعير : أعاد الأكل من بطنه فمضغه ثانية

ولا آخرة، ولا مبادئ » فأصبحوا في الزمن الأخير يحاربون المتقيدين أو المحترمين للمبادئ الدينية أو الخلقية ويسمونهم (Fundamentalists) (المبدئيين)، وإنما هو حس وتجربة، أو لذة أو منفعة، أو قومية و وطنية، أو غريزة وعاطفة، أو ديمقراطية وجمهورية، أو اشتراكية وشيوعية، وبرز في الميدان أئمة هذه الفلسفات وأبطال هذه الدعوات وتلاميذهم ومعارضوهم على اختلاف فلسفاتهم ونزعاتهم وكثرة مذاهبهم، وتوزعوا العالم الغربي، وخضع لهم كل شئ وازدهرت مدارسهم مدة طويلة، ولا تزال تسيطر على العقول والآداب، ومراكز السياسة ودور الاختيار، والمجتمع الأوربي المعاصر قد اقتبس من كل هؤلاء وتأثر بمجموعهم في قليل أو كثير، وآمن بالقدر المشترك بينهم وهو « المادية ».

منحت أوربا فرصة تحقيق هذه المبادئ التي آمنت بها، في سخاء وحرية لا نظير لها في تاريخ الحضارات، وهي أطول فرصة مع أعظم مقدار من الآلات والوسائل والتسهيلات التي تمنح القيادات في التاريخ، على يد عمالقة نوابغ عبقريين في العلم والاختبار والتنظيم والإدارة، وليست على وجه الأرض قيادة تعارض هذه القيادة أو دولة قوية تعرقل سيرها وقد وضعت الكنيسة النصرانية أوزارها قديما أمام طموح أوربا المادي والفكري والنهضة العقلية الوثابة التي لا قبل لها بها، وخضع الشرق الإسلامي لغزواتها السياسية والفكرية في القرن التاسع عشر المسيحي، و خلا لها الجو، و دان لها العالم، بشرقه و غربه، و شماله وجنوبه.

لقد أمكن أوربا المادية أن تبرز جميع مواهبها، وأن تمثل « المادية » على المسرح في جو مملوء بالهتاف والتصفيق، والتأييد والتصديق،

ماذا كان لمسرحية في العالم أن تنجح كان ذلك لهذه المسرحية التي يمثلها أسرع رجال في أوفق أحوال .

ولكن ماذا كان ؟ أخفقت هذه المسرحية التي كانت حصيله أذكى عقول بشرية وأعنى قرائح إنسانية في أهدافها ومراميها إخفاقا لم نعرف في التاريخ .

عداء داخلي وخارجي ، وصراع بين الأفراد والطبقات والشعوب ، غيوم الحرب الكثيفة التي تغشى العالم كله وبركان متهيئ للانفجار لأدنى مناسبة ، ونذر صارخة لنهاية البشر الأليمة ، وفقدان الثقة والهدوء والأمن العاطفي ، وتسلط الذعر والفزع على الأعصاب وقلق دائم ، وتفسخ خلقي فظيع يتخطى القياس ، وفراغ روحي هائل لا يملؤه شئ ، وسآمة لا نهاية لها ولا علاج ، وتشاؤم ويأس وحيرة .

إن فرصة إخفاق الحضارة الغربية قصة معادة مكررة ، ولكنها قصة يجب أن تروى وتتلى وتعاد وتكرر ، وهي قصة تهمّ الإنسان في كل مكان وتتصل به وبحياته من أقرب طرق ، ولأن في الشرق من لا يزال يؤمن بعصمة هذه الحضارة وقداستها ولا يصدق أن مثلها يحقق ويخيب ، أو أنها قد أفلست في معنوياتها وهو يراها تبرهن على وجودها وقوتها في الشرق والغرب .

إنكم أيها الشباب المسلمون المغتربون ، بمسمع ومرآي من هذه الحضارة ، تكتوون بنارها و تعيشون في وسطها و تشاهدون إخفاقها و تهيّؤها للانهيار في كل مكان ، تشاهدون ذلك في أخلاق الساسة وقسوتهم وموت العاطفة الإنسانية في قلوبهم ، وفي أخلاق الشعب ورخص قيمة الأعراض في عينه ، وهدر الكرامة الإنسانية وضياع القيم الخلقية وفشو الجنايات

والسفالات في المجتمع ، وعجز قادة الفكر والسياسة عن إيجاد رسالة إنسانية تنفخ روحا جديدة في المجتمع وتسوق الأمم نحو هدف واحد وتجمع شملها ، وعن ملء الفراغ الروحي ، وعن إعادة الهدوء والأمن والثقة بالإنسان ومستقبله إلى غير ذلك مما يتسم به هذا المجتمع الراقي الذي بلغ أوج الحضارة والتنظيم والوعي

ويتجلى لكم بعد ما تشاهدون هذه الآثار ، كل مجتمع لا يقوم على أساس " الإيمان " إنما هو مجتمع يقوم على شفا جرف هار لابد له أن ينهار وإن طال أمده واتسع سلطانه ، ولا سبيل إلى " الإيمان " إلا بعد الأنبياء والرسل [illegible] سيرتهم الذين يمثلون الأمم الواسعة والنماذج الكثيرة [illegible] الشاهقة [illegible] الإيمان والإنسانية السامية التي لا تفوقها إلا الصفات الإلهية ، [illegible] قلوب الأنبياء - من غير مثال [illegible] والتأثير [illegible] إيمانا وجهادا وزهدا في المطامع والزخارف وقوة مقاومة للشهوات وإيثارا للآخرة على العاجلة وإيثارا لغيرهم على أنفسهم ، وحبا لله الذي لا يرونه بعيونهم ولا تتناوله حواسهم والتفاني في رضاه ، وهذه سيرتهم ، وكتب التاريخ تحكي عنهم وعن أتباعهم كل غريب وكل عجيب ، ولولا التواتر ، ولولا الآثار لسارع المتقدمون إلى تكذيبه والشك فيه وهم الذين أنقذوا البقية الباقية من الحضارة والمجتمع البشري من الغرق في آخر لحظة ، ونقلوا التراث الحضاري وكل ما شاده البشر في الآلاف من السنين ، وصانوا القيم الخلقية والمفاهيم الصالحة من الضياع والتلف إلى آخر الأبد ، وهدوا من أجل السلالة البشرية ونجدتها - بجهادهم الطويل وإخلاصهم العميق حق البقاء وجدارة الحياة

ومن المقرر المشاهد الذي لا شك فيه أن هذه الأديان التي أسعفت الإنسانية في أزماتها ومحنها المختلفة - وفضلها لا ينسى في تاريخ الإنسانية - قد فقدت قوتها وحياتها مع امتداد الزمان وطوارق الحدثان وأصبحت فتيلة قد نفد زيتها واحترق حبطها، أو كحبوب عصرت إلى آخر قطرة، فهي لا تسمن ولا تغني من جوع وهي ليست من القوة والحياة بمكان تستطيع فيه أن تقاوم هذ المدنية القوية وزعماءها ودعاته. وليس في الذين لا يزالون يدينون بها ويحملون أسماءها ثقة بهذه الأديان وصلاحها لكل زمان ومكان، وحماسه للدعوة إليها والجهاد في سبيلها، ولمواجهة المدنية العصرية وتحدياتها، وجلهم أو كلهم قد ألقى أوزاره أمام المادية الغربية واعتزل المعترك وآمن بأن « المادية » لا مفر منها، وأنها مصير الإنسانية المحتوم.

إنما هنالك - أيها الإخوة المسلمون الشباب - دين لا يزال في حياته وأصالته ونقائه، ولا يزال أهله يعتقدون أنهم مأمورون بتبليغ الرسالة وبنقد المدنية والحسبة على الإنسانية، ومسئولون أمام الله وأمام الخلق عن اتجاهات هذا العالم، ويمتازون بين أهل الأديان بأربع ميزات بارزة.

الميزة الأولى: وجود هذا الكتاب العظيم المتدفق بالحياة، الكفيل بسعادة البشرية وتوجيهها، يحمل أعظم علم وأعمقه بين دفتيه، وبملك أعمق تأثير في القلوب والعقول، وهو ثروة البشرية العظمى والمعين الذي لا ينضب، والمدد الذي لا ينفد، قد أحدث أعظم ثورة في تاريخ البشرية، ويستطيع إذا أطلق له العنان وحكم في قيادة الإنسان أن يحدث أعظم ثورة مرة أخرى.

والميزة الثانية: هذه السيرة النبوية العطرة التي هي أجمل صورة على

الإطلاق في مجموع الصور البشرية الفنية ، وأعظم صفحة مشرقة في تاريخ البشر ، تعيد إلى الإنسانية كرامتها ومكانتها ، وتعيد الثقة والاعتزاز في نفس الإنسان بأشرفية النوع الإنساني ، الصورة التي لا يملك أمامها الإنسان - إذا لم يفقد حس الجمال وحب الكمال - إلا أن يفتخر بأنه من نوعه ومن بني جنسه ، ويتمنى أن يتسامى بتقليده للصور التي يجد فيها كل إنسان قوة وسكينة وأسوة وقدوة وحياة وتوجيها وجوانب مشرقة تفتح منافذ جديدة ، وتثير معاني جديدة ، وهذه الصورة لا تزال بملامحها وقسماتها الأصيلة لم تطوها يد الزمان .

والميزة الثالثة : وجود الشريعة الإسلامية كما تركها صاحب الرسالة محفوظة في أصلها وأساسها غنية في ثروتها الفقهية ، صلبة مرنة لا تتنازل عن القديم ولا تتجهم للجديد ، لا تخجل من ماضيها ولا تفر من حاضرها ، تالدة خالدة ، صالحة لكل عصر وبيئة ، تعطي الأسس الحكيمة التي يقوم عليها مجتمع جديد وحضارة صالحة .

والميزة الرابعة : وجود العاطفة الدينية القوية في المسلمين ، على علاتهم ومواضع الضعف فيهم ، وانقيادهم للدعوة الدينية وخضوعهم لها، إذا وجد الدعاة المخلصون ، وهذه قوة قد فقدها وأفلس فيها عامة الأمم الغربية ، وهي قوة لا يعرف قيمتها إلا من اشتغل بالدعوة والتجديد الديني في أمة من الأمم ، ومن رأى إخفاق هؤلاء الدعاة في إعادة الحياة الدينية والروح الدينية في هذه الأمم .

وأنتم أيها الاخوة المسلمون المغتربون في أوربا وأمريكا ! تشاركون هذه الأمة العظيمة في هذه الميزات ، وأنتم عضو في هذه الأسرة العظيمة [illegible] الإسلامية العالمية . ليس بالمعنى الذي يفهمها

الجهلاء من عضوية أسرة كريمة فاضلة . وليس بمفهوم التراث كما يتصوره كثير من الباحثين والمستشرقين فيضعون كتبا في التراث الإسلامي (Legacy of Islam) ولكن بالمعنى الرفيع العميق الذي يفهمه العقلاء من أعضاء أسرة مثلت دورًا ممتازًا في خدمة العلم والدين . فعليكم أيها الاخوة الفضلاء ! أن تدرسوا الإسلام من جديد . وفي ضوء هذه الميزات التي عرضناها باختصار . وأن تفقهوا الإسلام وتجيدوا فهمه وتتعمقوا في دراسته . وأن تقبلوا على استعراض القرآن والتدبر فيه كأنه كتاب عرفتموه حديثا . وإن شئتم فقولوا نزل آنفا جديدًا . وأن تدرسوا السيرة النبوية والحديث النبوي وتكثروا من قرائتها . وتحاولوا أن تتصلوا بالرسول الأعظم -ﷺ- اتصالا شخصيًا . اتصالا مؤسسا على الدراسة والتفكير والحب والعاطفة . والإجلال والتقدير . والاتباع والتقليد .

ثم عليكم أن تمثلوا هذا « الإسلام » تمثيلا صحيحًا في أوربا وتظهروا بالعقيدة الإسلامية وتحافظوا على فرائض الإسلام وأخلاقه وشعائره في شجاعة وثقة . لأنكم تمثلون أفضل دين وأصح عقيدة في بيئة تفتقر إليها أشد افتقار . وبذلك تحسنون إليها وتحسنون إلى كثير من زملائكم واخوانكم المسلمين . وإلى الذين هم في سنكم في الشرق الإسلامي الذي يخجلون من تمثيل الإسلام والظهور في مظهره في الحواضر الإسلامية والجامعات العربية . وتسنون لهم سنة حسنة لكم أجرها وأجر من عمل بها . وبهذه الحياة الإسلامية النزيهة العفيفة التي فيها الصلاح والتقوى . والصدق والأمانة . والذكر والعبادة . والرضا والقناعة . والنشاط والقوة . و رقة العاطفة وإشراق الروح . تستطيعون

أن تجذبوا إلى الإسلام عددًا كبيرًا من أصدقائكم وزملائكم وأساتذتكم وجيرانكم ، وهكذا دخل العدد الأكبر من المنصفين والعقلاء في حصانة الإسلام في البلاد التي لم يغزها جيش إسلامي ولم يلمع فيها سيف مجاهد .

قد تكونون أيها الاخوة الأعزة تلاميذ في جامعة ، أو عاملين في مصنع ، أو موظفين في مصلحة ، وقد تكونون صغارا في ثقافتكم أو وظيفتكم أو مكانتكم الاجتماعية ولكنكم كبار في عقيدتكم ودعوتكم ، فأساتذتكم في الفنون التي تدرسونها أساتذة وشيوخ ، لهم عليكم حقوق وفضل ، والإسلام أول من يعرف لصاحب الفضل فضله ، ولكنهم في حاجة إلى أن يفهموا الإسلام ويروه ممثلا في شخصكم ، وأنتم بذلك في منزلة المرشد والموجه ، فاعرفوا قيمتكم ، وقدروا مسئوليتكم وأدوا حقوقها وأحسنوا القيام بهما .

وأعود فأقول ان وجودكم في أوربا وأمريكا فرصة غالية يجب أن تنتهزوها ويجب أن تستغلوها لصالح الإسلام ولصالح الإنسانية ، و وجودكم في هذه البلاد يقوى إيمانكم وثقتكم بالدين الذي أكرمكم الله به ، ويفتح طريقا جديدا لتقدم الإسلام في هذه البلاد وانتشاره في هذه الناحية التي حرمت نعمة الإسلام من زمن بعيد ، وتهيأت لها القيادة والسيطرة على العالم فكان في ذلك شقاؤها وشقاء الناس ، لأنها كانت من غير منهاج سوي ، ورسالة سماوية عالية ، ومؤهلات خلقية وروحية ، ولعل وجودكم وجهادكم يتدارك هذا الخلل ويملأ هذا الفراغ .

والله ولي التوفيق ...

••• •• •••

السيرة النبوية وأثرها في نشر الإسلام
[الحلقة الثالثة]

بقلم سعادة الدكتور عمر يوسف حمزة
المدرس بقسم التفسير والحديث كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة قطر

المبحث الثالث :

الرسول الكريم -ﷺ- **هو** المثل الأعلى في حياة المسلم .

إن الدارس لسيرة المصطفى -ﷺ- يجد بين يديه صورة المثل الأعلى في كل شأن من شؤون الحياة الفاضلة ، كي يجعل منها دستورا يتمسك به ويسير عليه وما من شك أن الإنسان مهما بحث عن مثل أعلى في ناحية من نواحي الحياة ، فإنه واجد ذلك في حياة الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام - في أنصع صورة ، وعلى درجة من الكمال لم يبلغها غير رسول الله الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - (١) في حال السلم والحرب ولذا جعله خالقه قدوة للبشرية كلها على اختلاف أجناسها وألوانها وألسنتها يقول ربنا جل علاه : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا ﴾ (٢) .

يقول شهيد الإسلام الأستاذ سيد قطب وهو يتحدث عن غزوة الأحزاب :

« وقد كان رسول الله -ﷺ- على الرغم من الهول المرعب والضيق المجهد ،

---

(١) فقه السيرة د/البوطي ، ص/١٤ - بتصرف

(٢) سورة الأحزاب ، الآية ، ٢١

مثابة الأمان للمسلمين ، ومصدر الثقة والرجاء والاطمئنان .

وإن دراسة موقفه -ﷺ- في هذا الحادث الضخم لما يرسم لقادة الجماعات والحركات طريقهم . «فيه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخــــر ، و تطلب نفسه القدوة الطيبة ، و يذكر الله و لا ينساه اهـ (١) .

والأسوة بكسر الهمزة وضمها اسم لما يؤتسى به أي يقتدى به ويعمل مثل عمله ، وحق الأسوة أن يكون المؤتسى به هو القدوة ، ولذلك فحرف (في) جاء على أسلوب ما يسمى بالتجريد المفيد للمبالغة إذ يجرد من الموصوف بصفة موصوف مثله ليكون كذا اتين ، كقول أبي خالد الخارجي :

وفي الرحمن للضعفاء كاف .

أي الرحمن كاف ، فالأصل : رسول الله أسوة ، فقيل : في رسول الله أسوة . وجعل متعلق الائتساء ذات الرسول -ﷺ- دون وصف خاص يشمل الائتساء به في أقواله بامتثال أوامره ، واجتناب ما ينهى عنه .

والائتساء بأفعاله من الصبر والشجاعة والثبات وفي الآية دلالة على فصل الاقتداء بالنبي -ﷺ- وأنه الأسوة الحسنة لا محالة . ولكن ليس فيها تفصيل وتحديد لمراتب الائتساء والواجب منه والمستحب (٢) و يقودنا الحديث عن هذه الآية إلى بيان أفعاله -عليه الصلاة والسلام- بإيجاز .

أفعال النبي -ﷺ- :

قسم العلماء أفعال النبي -ﷺ- إلى ثلاثة أقسام :

---

(١) في ظلال القرآن سيد قطب : ج/٥ ، ص/٢٨٤١ .

(٢) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور : ٢٠/٢٠٢-٢٠٣ .

أولها : أعمال تتصل ببيان الشريعة : كصلاته -ﷺ- وصومه وحجه ومرراعته واقتراصه فإن هذا النوع يكون شرعا متبعا . فالبيوع التي تولاها النبي -ﷺ- يكون توليه لها دليلا على اباحتها . وما كان فيه من اعمال دينية يكون تفسيرًا لمجمل القرآن .

وعلى ذلك نقول إن أفعال النبي -ﷺ- تكون بيانا للشريعة . قسمان : أعمال هي بيان لمجملها ، وأفعال فعلها يدل على اباحتها . وكلا القسمين يفيد العموم في أحكامه . فلا يختص بالنبي -ﷺ- .

القسم الثاني : أفعال من النبي -ﷺ- قام الدليل على أنها خاصة به . ومن ذلك التزوج بأكثر من أربع زوجات (١) .

القسم الثالث : أعمال يعملها بمقتضى الجبلة البشرية أو بمقتضى العادات الجارية في بلاد العرب كلبسه -ﷺ- وأكله وما كان يتناوله من خلاله وطرق تناوله . وغير ذلك . فهذه أفعال كان يتولاها بمقتضى البشرية ، والطبيعة الإنسانية وعادات قومه . ومن الأمور ما اختلف فيه بعض العلماء ، من حيث كون فعل النبي -ﷺ- أو تلبسه به كان من قبيل بيان الشرع أو من قبيل العادات كتربيته لحيته - عليه السلام - بمقدار قبضة اليد . فذهب كثير من أهل العلم على أنه من السنة المتبعة ، واستدلوا على ذلك بقول النبي -ﷺ- : « قصوا الشارب و أعفوا اللحى » (٢) فقالوا إن هذا دليل على أن إبقاء اللحية لم يكن عادة بل

---

(١) وكاكتفائه في اثبات الدعوى بشهادة خزيمة وحده لأن النصوص صريحة في أن البيّنه شاهدان . انظر علم أصول الفقه عبد الوهاب خلاف ص/٤٤ ، دار القلم الكويت . ط ٦ . سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م .

(٢) ورد هذا الحديث بروايات كثيرة،فرواه مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة - وفروا . - والبخاري في اللباس والنسائي في الزينة (ارخوا) والترمذي في الأدب واللفظ الذي اثبته رواه البخاري في اللباس . ومسلم في الطهارة .

كان من قبيل حكم شرعي .

والذين قالوا انه من قبيل العادة لا من قبيل البيان الشرعي قرروا أن النهي الذي لا يفيد اللزوم بالإجماع وهو معلل بمنع التشبيه باليهود والأعاجم الذين كانوا يطيلون شواربهم ويحلقون لحاهم وهذا يزكى أنه من قبيل العادة ، وقد اختار هذا القول الشيخ محمد أبو زهرة (١) ، ومن المستغرب بشأن هذا الرأى أنه شائع في أوساط شيوخ ينتسبون إلى العلم ، ومع قولهم هذا - أي أنها من قبيل العادة - يقدم أكثرهم على حلقها ، مع أنه يفترض في أهل العلم أن يتأسوا بالرسول -ﷺ- لا جرم أنهم دعاة والداعية قدوة لمن يدعوهم .

أهمية هذا الرأى هو أنه بموجب اعتبار اللحية ، سنة عادة ، فإنه يجيز حلقها طالما كانت السنن غير واجبة الأداء .

والمرتكز لرأى هؤلاء العلماء هو قاعدة أصولية أيضًا ، ولكن « في الأوامر» فالأوامر التي تصدر عن الله عزوجل ، أو عن رسوله مختلف في مقتضياتها أي : « إن كان الأصل في الأمر أنه للوجوب » .

ولا ينصرف عنه إلى الندب أو غيره إلا بقرينة أو أن الأصل فيه أنه للندب أو غير ذلك مما لا متسع لتفصيله هنا (٢) .

---

(١) انظر أصول الفقه الشيخ محمد أبو زهرة ، ط. دار الفكر العربي : ص/١١٥ .

(٢) اختلف الأصوليون في صيغة « افعل » فذهب فريق منهم إلى أنه حقيقة في الوجوب فقط ، ونسبه الإمام الشوكاني في « إرشاد الفحول » إلى الجمهور وقال : « وصححه ابن الحاجب والبيضاوي ، قال الرازي : وهو الحق ، وذكر الجويني أنه مذهب الشافعي : قيل وهو الذي أملاه الأشعري على أصحابه » اهـ (المقصد الرابع - مباحث الأمر- الفصل الثالث : « أقول : وهو مذهب الظاهرية والسلفيين ، وذهب الآمدي في الاحكام إلى أن صيغة الأمر حقيقية في الطلب ، >>>

وقد اصطلح أهل الأصول على جعل التأسي لقباً لاتباع الرسول في أعماله التي لم يطالب بها الأمة على وجه التشريع (١) .

ويشرح العلامة ابن كثير الآية المتقدمة وهي قول الله تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ (٢) .

يقول : هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله -ﷺ- في أقواله وأفعاله وأحواله ، ولهذا أمر الله تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي -ﷺ- يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظار الفرج من ربه عزوجل . صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين . قال ولهذا قال للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ أي : هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله -ﷺ- ولهذا قال تعالى : ﴿ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا ﴾ (٣)

والتأسي برسول الله -ﷺ- هو اتباع للقرآن الكريم لأن - عليه الصلاة والسلام - كان يجسد القرآن بسلوكه القولي والعملي ، وخير ما يصف لنا

<<< والقرائن هي التي تصرفه إلى مقتضاه ، وهو خمسة عشر اعتبارا » انظر الاحكام في أصول الاحكام .

الأصل الرابع - النوع الثاني - الباب الأول - القسم الأول - الصنف الأول - البحث الرابع المسألة الثانية كما أن في المسألة تفاصيل تراجع في كتب الأصول مبحث الأوامر والنواهي .

(١) انظر التحرير والتنوير : ٢٠/٢٠٢-٢٠٣ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٢١ .

(٣) تفسير ابن كثير : ج/٣ ، ص/٤٠٦ . وانظر زاد المسير في علم التفسير : ج/٦ ، ص/٢٦٨ .

ذلك هو ما روى عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - حينما سئلت عن خلق رسول الله -ﷺ- فقالت : « كان خلق رسول الله -ﷺ- القرآن ، ثم قالت : أتقرأون سورة المؤمنين ؟ » .

قلنا : نعم ، فقالت ليزيد بن بابنوس اقرأ ، فقرأ : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ حتى بلغ قوله تعالى : ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون ﴾ (١) .

و قــد اثنى الله تعالى على خلق نبينا الكريم في القرآن بقوله جل شأنه : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ (٢) . قال أهل العلم : المراد بالخلق العظيم ، هو الإسلام والدين ، حكى ذلك الواحدى عن الأكثرين ، وقيل هو القرآن ، روى هذا عن الحسن والعوفي ، وقال قتادة : هو ما كان يأتمر به من أمر الله وينتهى عما نهى الله عنه ، قال الزجاج : إنك على الخلق الذي أمرك الله به في القرآن ، وقيل هو رفقه بأمته .

وهذه الأقوال يمكن أن تكون جميعًا معنى للآية الكريمة فلا شك أن أخلاق الرسول -ﷺ- كانت تمثل الإسلام والدين الذي جاءت أحكامه في القرآن الكريم فكان -ﷺ- متبعا لأحكام القرآن منفذا لأوامره مجتنبا لنواهيه ، ولا غرو أن تصف أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - خلق رسولنا الكريم -ﷺ- بقولها وكان خلقه القرآن (٣) .

ولا عجب أن يكون الرسول -ﷺ- على هذا الخلق العالي فإنه اقتدى بهدى الرسل جميعا - عليهم الصلاة والسلام - كما أمره ربه بقوله : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ (٤) .

---

(١) سورة المؤمنون ، الآيات ١-٥ . وانظر كتاب أخلاق النبي -ﷺ- للحافظ الأصبهاني ، ص/٢٨

(٢) سورة القلم ، الآية ٤

(٣) انظر فتح القدير للشوكاني ٥/٢٦٧ ، وانظر : المسند لأحمد : ٦/٥١ ، والمستدرك : ٢/٤٩٩ .

(٤) سورة الأنعام ، الآيات : ٨٢-٩٠ .

فإن الأنبياء قد وصفهم الله تعالى بالهداية و الإحسان و الصلاح والفضل على العالمين ، والهداية إلى الصراط المستقيم وبأنهم أوتوا الكتاب والحكم والنبوة ثم اقتدى بهم رسولنا -ﷺ- في هداهم وأخلاقهم ومناقبهم ومن يتخلق بأخلاق هؤلآء الرسل الكرام جميعًا ، ويهتدى بهداهم في أقواله وأفعاله وأحواله . لا شك أن يكون على أعظم خلق وأكمل هداية (١) .

ومن كان هذا شأنه كان أسرع الناس في الخيرات وأبعدهم عن المعاصي والموبقات .

ومن كانت هذه أخلاقه كان هو المثل الاعلى في حياة المسلم . والقدوة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا .

خلاصــــة القــول :

إن رسول الله -ﷺ لم يكن إنسانًا عاديًا وإنما هو شخصية فذة امتازت بقوى بدنية وعقلية ونفسية وروحية تكاد تكون خارقة للعادة ، وهو بهذه الأخلاق العالية كان المثل الأعلى للمسلم كما كان المثل الأعلى في سلوكه الفردي ، و في قيامه بحق الله تعالى . و في صلاته بأسرتا وأصحابه وسائر أصدقائه ومعاشريه .

وفضلاً عن ذلك فإن الرسول -ﷺ- كان المثل الأعلى في ثباته في الحق وتضحيته من أجله ومواجهته الصعاب التي تعترضه بقوة وبسالة .

وهو المثل الأعلى في حربه وسلمه ، في أحكامه وقضائه ، في قيادته

(١) عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم . ص/١٩٥ . بتصرف د/محمد أبو النور الحديدي وانظر زاد المسير لابن الجوزي · ج/٨ . ص/٤٢٨ والدر المنثور للسيوطي · ج/٦ . ص/٤٩٩

وتفسير ابن كثير الجزء الرابع في تفسير سورة القلم . الآية : ٤ .

وسياسته وفي زهده في الدنيا وعزوفه عنها .

فكان العابد المتبتل ، والقاضي العادل ، والسياسي المحنك والهادي الرشيد ، والأب الحاني ، والمعلم البار ، والقائد المظفر ، والصديق الوفي ، والزوج الرقيق ، والنبي الصالح الذي لم يعرف الناس بشرا سبقه في كماله أو لحق به .

وهو بهذا كان القدوة الطيبة ، والأسوة الحسنة ، والكمال المجسم والنموذج المحتذى .

وإذا أردنا تحديد مكانة رسول الله -ﷺ- فعلينا مراجعة القرآن الكريم . لمعرفة منزلة الرسول -ﷺ- في ضوء آياته ، البينات وبدراسة آيات القرآن الكريم نجد أن رسول الله -ﷺ- تتمثل وظيفته فيما يأتي :

١- الرسول -ﷺ- هو المبين للكتاب العزيز قال جل شأنه : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ (١) .

٢- وضحت آيات القرآن الكريم أن النبي -ﷺ- هو الأسوة : الحسنة : التي يجب على المسلمين اتباعه ، يقول تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا ﴾ (٢) .

٣- وهو -ﷺ- مطاع وجوبا ، قال جل شأنه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ﴾ (٣) . وقال تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ (٤) .

٤- الرسول -ﷺ- صاحب سلطة تشريعية (٥) ، قال تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات

---

(١) سورة النحل ، الآية ، ٤٤ . (٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٢١ .

(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٢٠ . (٤) سورة النساء ، الآية : ٨٠ .

(٥) دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه : ج/١ ، ص/١٢ ، د/محمد مصطفى الأعظمي .

ويحرم عليهم الخبائث ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ (١) .

تضمنت هذه الآيات الأمر بالإيمان بالله ورسوله : كما تضمنت مقتضى هذا الإيمان وهو اتباع النبي -ﷺ- فيما يأمر به ويشرعه .

واتباعه كذلك في سيرته وعمله . ولا يكفي الإيمان به بالقلب ما لم يتبع الإيمان الاتباع العملي الكامل لرسول الله -ﷺ- فيما يبلغه عن ربه وفيما يشرعه ويسنه (٢) .

ومما هو معلوم أن الله تعالى بعث رسوله -ﷺ- بمكارم الأخلاق كما ورد عنه في الحديث المشهور فقد قال -ﷺ- : « بعثت لأتمم محاسن الأخلاق » (٣) .

٥- إن ما صدر عن رسول الله -ﷺ- من أقوال وأفعال في حال من الحالات الثلاث التي بيناها فهو من سنته . ولكنه ليس تشريعا ولا قانونا واجبا اتباعه .

وأما ما صدر عنه -ﷺ- من أقوال وأفعال بوصف أنه رسول ومقصود به التشريع العام . واقتداء المسلمين به فهو حجة على المسلمين وقانون واجب اتباعه (٤).

٦- فالرسول -ﷺ- هو المثل الأعلى في طريقته في الحياة فكل ما صدر عنه من قول أو فعل أو تقرير مقصود به التشريع واقتداء الناس به لاهتدائهم . إلا ما صدر عن رسول الله -ﷺ- ودل الدليل الشرعي على أنه خاص به . وأنه ليس أسوة فيه .

فليس تشريعا عامًا : كما وضحنا ذلك بالأمثلة فيما تقدم هذا . وبالله التوفيق .

[يتبع]

---

(١) سورة الأعراف . الآيات : ١٥٧-١٥٨ .

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي ٢/٢٧٢-٢٧٣. وتفسير ابن عطية ٦٠/١٠٤.

(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ . ولفظه : « بعثت لأتمم حسن الأخلاق » وقد قال في شرح الزرقاني ان الحديث مروي برجال الصحيح عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح . عن أبي هريرة . رواه أحمد وقاسم بن أصبغ . والحاكم وغيرهم . والرواية المشهورة : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

(٤) انظر علم أصول الفقه عبد الوهاب خلاف . ص/٤٤ - بتصرف . وأصول الفقه للشيخ محمد أبو زهرة : ص/١١٤-١١٥ - بتصرف .

الدعوة الاسلامية :

التحديث .. بين الصواب والخطأ

بقلم سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » الرياض

في الحديث الماضي ، تطرقت ضمن الحديث عن القلب ومسئوليته ، إلى رسالة وقعها مرسلها باسم مصري متنصر يقيم في أمريكا ، عن جمعية الصوت الصارخ وقد أوضحت صندوق بريد هذه الجمعية ، ليكون من دون الضرورة والاحتساب ، من يساهم في الرد ، ويدخل في الحوار بأسلوب حسن ، ونقاش هادئ ، لعل الله أن يهدي به قلوبًا غلفًا ، ويفتح له آذانًا صمًا ، وأعينًا عميًا ، ليكون في ذلك تظافر في الدعوة ، وتكاثر في الحجة ، وتعاون في قمع الشبهات .

وهذا هو المنهج السليم للدعوة إلى الله ، حسبما سار عليه أنبياء الله ، ومن تبعهم من الدعاة إلى دين الله في كل زمان ومكان ، ومع أي أمة ، وبأي لسان ، حتى تؤدى الرسالة التي أمر الله بها على الوجه الصحيح ، بدون تهديد أو وعيد ، وبدون هيجان أو إثارة ، لأن منهج الإسلام ينبعث من توجيه هذا النص الكريم : ﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن • إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ (سورة النحل ، الآية : ١٢٥) ، إذ بعكس ذلك الأسلوب المقنع الذي يخاطب القلب ، ويتفاعل مع الإحساس ، نجد هذه الرسالة ، التي يحكم عليها من يقرؤها ، بأنها تنبعث من أسلوب العاجز

القصر في طرح الحوار ، وذلك بما تحمله من تهديد ، وما تطفح به من اختلاق للأكاذيب في سيرة رسول الله -ﷺ- ، حيث يريد بذلك الهجوم تخويفا وتهديدًا على خصومه - وهذا ما تحويه النقطة الثانية من غاية رسالته - والخصوم هنا هم المسلمون في شخصية نبيهم محمد -ﷺ- ، ضمن شبهات لا تستند إلى أصل ، وأقاويل مفتريات ، لم يكن لها ارتباط من قريب أو بعيد ، بمن وجهت إليه ، لأن ما ذكره كاتب الرسالة ، لا يعدو ارجاعا لأصداء ما تحمله افتراءات وتجنيات أعداء الإسلام ، قديمًا وحديثا ، والتي يرددها المستشرقون والمبشرون ، ومن يشايعهم من أعداء الملة المحمدية ، تلك الشبهات التي يكذبها الواقع المرصود علميا وتاريخيًا ، كما يردها الدليل النقلي ، والمنطق العقلي .

وقبل أن نتناول بما ييسر الله ، ما تحمله رسالة ذلك الكاتب ، الذيلة بمجهول ، لأن لتلك الرسالة نظائر كثيرة ، تترى على ديار المسلمين ، بأساليب ملتوية ، وهي شنشنة نعرفها من أخزم ، كما جاء في المثل العربي ، ويبذل في سبيلها كثير من المال والجهد والوقت .. ومع هذا فإننا نتفاءل بأن تكون النتيجة ، محتومة ، كما وعدنا الله جلت قدرته ، في قوله الكريم ، الذي هو حق لا مراء فيه : ﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم • ليصدوا عن سبيل الله • فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ﴾ (سورة الأنفال ، الآية : ٣٦) .

نقول : قبل أن ندخل في نقاش يتلاءم مع الحجم المخصص لهذه الكلمة ، يجدر بنا الإدراك بأن الناس على وجه الأرض يعيشون في انتمائين ، لا ثالث لهما ، رغم اختلاف الطرق عند كل ملة ، وتشعب الأحزاب والانتماءات في كل مكان ، وكل يستمر عقيدته وحماسته من مصدر حزبه ،

إلا أن الاتجاه الأساسي لحزبين فقط : حزب كاسب في نتائجه ، مفلح في مسعاه ، سعيد في المسار الذي وجهه إليه حزبه ، وما يسترشد به من دلالات توصل إليه ، فذلك هو حزب الله ، الذي قال الله فيه : ﴿ أولئك حزب الله • ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ (سورة المجادلة ، الآية : ٢٢) ، فهؤلاء لهم الغلبة والفوز ، مهما وقف في طريقهم الحاقدون ، ومهما تطاول عليهم المفترون ، ولا يضرهم أي تهديد مهما كان مصدره ، لأنه لا تتحرك قلوبهم في خوف إلا من الله ، ولا يرعبهم إلا ما جاء في مصدري التشريع في دين الإسلام ، فذلك هو التهديد الصادق ، والقول اليقينية نتائجه .

وحزب خاسر في جهوده وأعماله ، شقي في مسعاه وضعيف في مستند أقاويله ، ومميع أفكاره ، فذلك هو حزب الشيطان الذي قال الله فيه : ﴿ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله • أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾ (سورة المجادلة ، الآية : ١٩) ، فهؤلاء يبوؤن بالخسارة والندامة ، وتكون جهودهم وأعمالهم حسرات عليهم ، لأنهم يستمدون أساسيات أعمالهم من شياطين الجن ، التي يرينها لهم شياطين الإنس ، الذين لا يجدون طريقة لفرصها إلا بالتهديد والوعيد ، لعدم قدرتهم على الإقناع - كما عمل كاتب هذه الرسالة - وهذا أسلوب يتنافى مع المنطق السليم ، ويأباه النقاش المقنع .

وهذا يدعونا إلى أن نفرق بين تهديد وتهديد ، إذ من التهديد ما هو سليم في طرحه ، مقنع في نتائجه ، ومنه ما هو أهوج الطرح ، سيئ النتائج ، وبين هذا وذاك فاصل يجعل لكل منهما نتائجه وغاياته ، فما كان من مصدر صادق ، ومنبع مكين ، فإن نتائجه الموعودة ، واقعة لا محالة ، وهو تنبيه وتحذير ، كما نجد ذلك بارزًا في نماذج سياق من

القرآن الكريم ، في الترغيب والتهذيب بعد سياق التحذير والترهيب ، حتى لا يبتعد الفرد عن الطريق السوي الذي رسمه القرآن الكريم في حسن الاستجابة لأمر الحق تبارك وتعالى ، عقيدة وجدانية ، وعملاً بدنيًا ، ولفظا لسانيًا ، فهذا وعد و وعيد نتائجه صادقة و واقعة ، لأنه من كلام رب العزة والجلال ، ومثل هذا ما يحصل من سنة رسول الله -ﷺ- ، لأنه عليه الصلاة والسلام- لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، ولذا أمرنا الله باتباع ما يأمر به ، واجتناب ما ينهى عنه ، كما في قوله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ (سورة الحشر ، الآية : ٧) .

وهناك التهديد الأهوج ، الذي لا يضمن مطابقة النتائج على نفسه ، فضلاً عن إيقاعها على الآخرين ، كتهديد صاحب الرسالة ، ولهذا أشباه ونظائر في حياة الناس الاجتماعية ، إذ هو يهدد من ينشر الكتب ، ومن يبين الآراء التي تكشف أخطاء عقيدته ، وما كذبه أبناء ملة على الله جل وعلا وعلى عيسى عبد الله ورسوله ، وافتراءاتهم على شرع الله الذي شرع لعباده ، ثم يزيد في التهديد بأنه سينشر آراء بني ملته الكاذبة ، وغيرهم من الحاقدين على الإسلام ، وما يطرحون من شبهات ويختم رسالته بتكرار التهديد بترجمة كتاب سلمان رشدي ، « آيات شيطانية » إلى العربية لينشره بين المسلمين في أمريكا وكندا وغيرهما ، والمسلمون طالما سمعوا في كل زمان ومكان مثل هذه التهديدات والأراجيف لكنها لا تغير الإسلام شيئًا ، ولا تنقص من قدره ، سواء نشرت أم ذكرت باللسان لأن البقاء للأصلح ، ولا يخامر أحدًا شك ، أو يعتريه مراء ، بأن دين الله الحق ، لم يكن هو الأصلح ، إلا لما فيه من الخير ، لأن رسول الله تعرض

للتهديد من مشركي قريش ، وغيرهم فثبت ، وأظهر الله دينه ، وهلكوا بباطلهم .

ومثل هذا القول لا يزيد المسلمين إلا صلابة في دينهم ، وتمسكًا بتعاليمه : عملاً و وعيًا ، لأنها أسس متينه وقواعد ثابتة جاءت من عند الله ، ويحرص عليها المسلم طمعًا فيما عند الله من أجر .

وفي هذا الموقف أعيد إلى ذهنك أيها المهدد ما قاله القائد الروماني ، وهو يجمع فلوله في أنطاكية ، بعد أن انسحب الرومان من سوريا إلى غير رجعة ،إثر هرائمهم المتكررة ، أمام جيوش المسلمين في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقد قال حسبما رصدته كتب التاريخ في كلمة أمام من بقي من جيوشه : سلام عليك يا سوريا ، سلام لا رجعة بعده أبدًا ، ثم بعد أن تأسف على انحسار ظلهم من ديار العرب ، سأل مَن معه مِن القادة والفرسان : ما لنا نتراجع ، وعددنا كثير ، وعدتنا قوية ، أمام هؤلاء الأعراب ، وهم أقل منا عددًا ، وأضعف منا عدة ، وأقل خبرة بفنون الحرب ، فسكت الجميع ، ولم يجبه منهم أحد ، فقال : مالكم لا تجيبون ، فقام إليه شيخ منهم فقال : أتأذن لي أيها القائد ؟ قال : نعم قل ما عندك ، فقال : لأنهم يحبون الموت ، ونحن نحب الحياة ، ولأنهم يتوقون لما بعد الموت ، الموعودين به في دينهم ، ونحن نطمع في نعيم الحياة ، وما نتلذذ به المكاسب ، ولن يكون لنا غلبة عليهم ما داموا على هذه العقيدة .

فقال له القائد : لقد صدقتني ، فهل نطمع بأن نتغلب عليهم في يوم من الأيام ؟ قال : نعم ، ففرح القائد ، وقال : متى ؟ قال : عند ما يركنون إلى الدنيا ، ويهملون دينهم ، ثم يرغبون فيما نرغب فيه ، عند ذلك يرفع الله

يده عنهم ، فنغلبهم بقوتنا .

وتهديد هذا الكاتب لابد أن يكون له آثار طيبة لدى المسلمين ، لأن النظرية العلمية تقول : كل فعل له رد فعل .. و ردّ الفعل هنا تحرك الحماسة عند المسلمين ، وتوقد الغيرة في نفوسهم ، حمية لله وأثرة لدينه أن يمتهن ، وحفاظًا عليه أن يعتدى عليه .. لأن من رسخ الولاء في قلبه لأمر يغار عليه ، والمسلمون يغارون على دينهم ، ويحمون عرض بنيهم احتسابًا لما عند الله ، لكنهم لا يهاجمون الآخرين بغير الحق ، ولا يفترون عليهم ما ليس له أساس في المعتقد .. لأن دينهم علمهم الأدب في الدعوة ، والأدب في الدين ، والأدب في التعامل والصدق في القول كما قال الله سبحانه : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله • فيسبوا الله عدوًا بغير علم ﴾ (سورة الأنعام ، الآية : ١٠٨) ، ويدركون دلالة ما تعنيه الآية الكريمة في كبت ألم النفوس كما قال سبحانه : ﴿ إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون • وترجون من الله ما لا يرجون ﴾ (سورة النساء ، الآية : ١٠٤) .

ذلك أن المسلم لا يتعالى في دعوته ، ولا يتكبر في انتمائه ، ولا يريد الضرر لمن ليس على ملة الإسلام ، بل يدعو لهم بالهداية ، وبإنارة الطريق ، حتى يعرفوا الحق بعلاماته ، ويتبصروا في عواقب الأمور ، ولا يبادلون التهويش بالكذب ، ولا التهديد بالافتراء ، لأنهم يعرفون من حتمية المثل العربي : لا يضر السحاب نبح الكلاب .. إن شرع الله طود شامخ لا يؤثر فيه حقد الحاقدين ، ولا ينقص من مكانته أكاذيب المفترين ، وما ذلك إلا أن أعداء الإسلام يهاجمونه منذ بدء البعثة ، بل إن القرآن الكريم قد أثبت نماذج من هجوم المعاندين لأنبياء الله ومن تطاول

المشركين ، وتهديداتهم لمحمد -ﷺ- . وكان الثبات والصبر ، والحكمة ومقارعة الحجة بالحجة ، والجدال بالتي هي أحسن ، أمكن سلاح في هذا الميدان ، يعطي ثمارًا ، ويفتح آفاقًا ، ويثبت أقدامًا ، وهي دعوة نوجهها لحملة العلم والأقلام في حوار غير المسلمين ، وبيان مكانة الإسلام في كل أمر .

وما وقف داعية على درب الدروب المرشدة إلى دين الله ، قديمًا وحديثًا وحتى اليوم ، إلا وقد هوجم وأوذي ، لكن كما قال سبحانه : ﴿ فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ (سورة هود ، الآية :٤٩) . فقد انتصر دعاة هذا الدين ، وظهرت حجته ، وانخذل خصومه .. وما ذلك إلا أن دين الله يبقى شامخًا ، أما شبهات وأقاويل خصومه ، فإنها أصبحت دروسًا يستفيد منها المسلم في ثبات العقيدة ، ومعرفة مداخل الشر حتى يتجنبها ، ومواطن الخطر حتى يتدارى الوقوع فيها ، كما روى عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - أنه قال : كان الناس يتعلمون الخير ، وكنت أتعلم الشر مخافة الوقوع فيه ، وشاهد ذلك من كتاب الله جل وعلا : ﴿ إن الذين جاؤا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرًا لكم • بل هو خير لكم • لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم ﴾ (سورة النور، الآية : ١١) ، ولذا لم اتعرض لنماذج من الافتراءات التي أورد ونسبها لرسول الله -ﷺ- في حياته الخاصة ، لأنها أقاويل مكررة امتلأت الساحة بالردود عليها وتكرارها ، لأن ذلك يرفع من شأنها ، وسيرة رسول الله أرفع من الركون لمثل هذه الأمور ، بل لا غرابة فقد كذبوا على أنبياء الله جميعًا أكاذيب مماثلة .

كفى بالأجل حارساً : روى أن فاطمة بنت أحمد بن علي ، زوجة ناصر الدولة ، اتهمت عاملاً كان لها ، يقال له ابن أبي قبيصة من أهل الموصل

بخيانة في مالها ، فقبضت عليه ، وحبسته في قلعتها ، ثم رأت أن تقتله ، فكتبت إلى الوكيل بالقلعة بقتله ، فورد عليه الكتاب ، وكان لا يحسن أن يقرأ ، ولا أن يكتب ، وليس عنده من يقرأ أو يكتب ، إلا ابن أبي قبيصة ، فدفع الكتاب إليه ، وقال له : اقرأ علي ، فلما رأى ابن أبي قبيصة في الكتاب الأمر بقتله ، قرأ الكتاب بأسره إلا حديث القتل ، ورد الكتاب عليه .

قال ابن أبي قبيصة : ففكرت في الأمر ، وقلت أنا مقتول ، ولا آمن أن يرد كتاب آخر في هذا المعنى ، ويتفق حضور من يقرأ ويكتب غيري ، فينفذ فيّ الأمر ، وسبيلي أن أحتال بحيلة ، فإن تمّت سلمت ، وإن لم تتم ، فليس يلحقني أكثر من القتل ، الذي أنا حاصل فيه ، قال : فتأملت القلعة ، فإذا فيها موضع يمكنني أن أطرح نفسي منه إلى أسفلها ، إلا أن بينه وبين الأرض ، أكثر من ثلاثة آلاف ذراع ، وفيه صخر لا يجوز أن يسلم منه من يقع عليه .

قال : فلم أجسر ، ثم ولد لي الفكر أن تأملت الثلج قد سقط عدة ليال ، وقد غطى تلك الصخور ، وصار فوقها منه أمر عظيم ، يجوز إن سقطت ، وكان في أجلي تأخير ، أن تنكسر يدي أو رجلي فأسلم ، قال : وكنت مقيدًا ، فقمت لما نام الناس ، وطرحت نفسي من الموضع ، قائمًا على رجلي ، فحين حصلت في الهواء ، ندمت وأقبلت أستغفر الله وأتشهد ، وأغمضت عينيّ حتى لا أرى كيف أموت ، وجمعت رجلي بعض الجمع ، لأني كنت سمعت قديمًا أن من اتفق له أن يسقط قائمًا من مكان عال ، إذا جمع رجليه ، ثم أرسلها إذا بقي بينه وبين الأرض ذراع أو أكثر قليلاً ، فإنه يسلم ، وتنكسر حدة السقطة ، ويصير كأنه بمنزلة من سقط من ذراعين .

قال : ففعلت ذلك ، فلما سقطت إلى الأرض ، ذهب عني أمري ، وزال

عقلي ، ثم ثاب إلى عقلي ، فلم أجد ما كان ينبغي أن يلحقني من ألم السقطة من ذلك المكان ، فأقبلت أجس أعضائي شيئًا فشيئًا ، فأجدها سليمة ، وقمت وقعدت ، وحركت رجلي ويدي ، فوجدت ذلك سليمًا كله ، فحمدت الله تعالى على هذه الحال ، وأخذت صخرة ، وكان الحديد الذي في رجلي قد صار كالزجاج لشدة البرد .

قال : فضربته ضربًا شديدًا فانكسر ، وطنّ الجبل ظننت أن سيسمعه من في القلعة لعظمه ، فيتنبهون على صوته ، فسلم الله عزوجل من هذا أيضًا ، وقطعت تكتي ، فشددت ببعضها القيد على رجلي ، وقمت أمشي في الثلج .

فمشيت طويلاً ، ثم خفت أن يرى أثري من غد في الثلج على جادة الطريق ، فيطلبوني ويتبعوني فلا أفوتهم ، فعدلت عن وسطه إلى نهر يقال له : الخابور ، فلما صرت على شاطئه ، نزلت في الماء إلى ركبتي ، وأقبلت أمشي كذلك فرسخًا ، حتى انقطع أثري ، وخفي مكان رجلي ، ثم خرجت لما كادت أطرافي تسقط من البرد ، فمشيت على شاطئه ، ثم عدت أمشي فيه ، وربما حصلت في موضع لا أقدر على المشي فيه ، لأنه يكون جرفًا فاسبح .

فأمشي على ذلك أربع فراسخ حتى حصلت في خيم فيها قوم ، فأنكروني وهموا بي ، فإذا هم أكراد ، فقصصت عليهم قصتي ، واستجرت بهم ، فرحموني وغطوني ، وأوقدوا بين يدي نارًا ، واطعموني وستروني ، وانتهى الطلب من غد إليهم ، فما أعطوا خبري أحدًا .

فلما انقطع الطلب سيروني ، فدخلت الموصل مستترًا .

وكان ناصر الدولة ببغداد - إذ ذاك - فانحدرت إليه ، فأخبرته بخبري كله ، فعصمني من زوجته ، وأحسن إلي وصرفني [الفرج بعد الشدة : ٢/١٠٨-١١١] .

•• ••• ••

دراسة أدبية لكلام الرسول -ﷺ- :

أدب الرسول ﷺ

بقلم الأستاذ عبد الخالق الأعظمي الندوي

إذا أردنا أن نتكلم عن أدب الرسول -ﷺ- فلابد لنا أولا أن نرجع إلى عصره الذي نشأ وترعرع فيه ، ذلك لأن كل أديب هو نتيجة لثقافته وموهبته وبيئته وعصره ، و لاختلاف هذه المؤثرات الأربعة تختلف درجات الأدب وتختلف أحيانًا ضروبه وأنواعه .

ولا يهمنا هنا إلا عصر النبي -ﷺ- الذي بلغ فيه العرب مرتبة رفيعة من البلاغة والبيان ، وصور القرآن الكريم ذلك في غير موضع منه ، من مثل : ﴿ الرحمن • علّم القرآن • خلق الإنسان • علّمه البيان ﴾ (سورة الرحمن ، الآية : ١ - ٤) ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٢٠٤) كما صور شدة عارضتهم وقوتهم في الحجاج والجدل بمثل : ﴿ فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد ﴾ (سورة الأحزاب ، الآية : ١٩). ﴿ ما ضربوه إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ﴾ (سورة الزخرف ، الآية : ٥٨) . " ومن أكبر الدلالة على ما حذقوه من حسن البيان أن كانت معجزة (١)

(١) إن المعجزة لابد أن تتلاءم مع المستوى الاجتماعي الذي يبعث فيه الرسول ، ولهذا فقد كانت معجزة الرسالة الإسلامية متلائمة مع المستوى الاجتماعي الذي بعث فيه رسولنا محمد بن عبد الله - صلوات الله وسلامه عليه - فقد كان المجتمع العربي قد نضج في لغته حتى بلغ الكمال ، ولهذا كانت المعجزة من جنس ما وصل ذلك المجتمع من الرقي اللغوي فنزل القرآن الكريم بلغة عربية >>>

الرسول الكريم وحجته القاطعة لهم أن دعا أقصاهم وأدناهم إلى معارضة القرآن الكريم في بلاغته الباهرة ، وهي دعوة تدل في وضوح على ما أوتوه من اللسن والفصاحة والقدرة على حوك الكلام ، كما تدل على بصرهم بتمييز أقدار الألفاظ والمعاني وتبين ما يجري فيها من جودة الأفهام وبلاغة التعبير» (١) .

ويروى أن الوليد بن المغيرة أحد خصوم الرسول الألداء استمع إليه وهو يتلو بعض آي القرآن ، فقال : والله لقد سمعت من محمد كلامًا ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ، وإن له لحلاوةً ، وإن عليه لطلاوةً ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق (٢) .

كلام الوليد إن دل على شئ فإنما يدل دلالة واضحة على انهم كانوا يعربون عن إعجابهم ببلاغة القول في تصاوير بيانية ، ويعرض علينا الجاحظ في كتابه البيان والتبيين : « كيف كانوا يصفون في شعرهم وخطابتهم ببرود العصب الموشاة بالحلل و الديباج و الوشي و أشباه ذلك » (٣) .

وكذلك كانوا يلقبون شعراءهم بألقاب تنم عن سليقتهم البيانية وتدل

>>> بأساليب أرفع من أساليبهم فأعجزهم بفصاحته وبلاغته ، فعرفوا من ذلك أنه ليس من كلام البشر ، وقد كان أحدهم يسمع الآية أو السورة فيخر لها ساجدًا فإذا سئل عن سبب سجوده ، قال سجدت لفصاحته وبلاغته وأشهد أن لا يقول هذا مخلوق (كما ذكره القاضي عياض في الشفاء وغيره) .

(١) البلاغة تطور وتاريخ للدكتور شوقي ضيف : ص/٩ .

(٢) انظر التفصيل في سيرة بن هشام : ١/٢٤٢ ، وانظر تفسير الزمخشري في سورة المدثر أو التصوير الفني في القرآن لسيد قطب . ص/١٢ .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ : ١/٢٢٢ .

على فطرتهم السليمة ، مثل : المهلهل ، المحبر ، النابغة ، كعب الأمثال طفيل الخيل ، كما كانوا يطلقون على قصائد بأعيانها من أسماء تدل دلالة واضحة على عبقريتهم في الأخذ بناصية البيان والافتنان في أساليب القول و وجوه الفصاحة . ومن ذلك ما رووه أن علقمة الفحل قدم على قريش ذات مرة فأنشدهم ميميته .

هل ما علمت و ما استودعت مكتوم

أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

مشبهوها لحسنها وتجويدها بالسمط ، أي القلادة التي تتزين بها المرأة . وقالوا هذه سمط الدهر . وقيل إنه وفد عليهم في العام التالي ، فأنشدهم بائيته :

طحا بك قلب في الحسان طروب

بعيد الشباب عصر حان مشيب

فألحقوها بسابقتها وقالوا : هاتان سمطا الدهر (١) ومن هذا اللون أيضا أنهم لقبوا قصيدة سويد بن أبي الكاهل اليشكري التي مطلعها :

بسطت رابعة الحبل لنا

فوصلنا الحبل منها ما اتسع

باليتيمة ، كما أسموا إحدى خطب سحبان بن وائل بالشوهاء لما فيها من إحسان وجمال فني (٢) .

وفي تلقيبهم للشعراء وحكمهم على القصائد ما يظهر لنا على أنهم

(١) الأغاني لأصفهاني : ١٢/٢١ ، بأدنى تغيير وتفصيل

(٢) تاريخ النقد العربي عند العرب لأستاذ طه أحمد إبراهيم ص/١٤-١٥ ، بأدنى تفصيل .

كانوا يتمتعون بمنزلة عالية ومكانة مرموقة في حسن البيان واللسن، ونظم ضروب الكلام، مع علمهم له، وانفرادهم به، وكما يظهر لنا على أنهم قد وصلوا إلى أرقى تطوراتٌ نضجهم اللغوي و استحكامهم فيها « هذا وكثيرًا ما وصفوا خطباءهم بأنهم مصاقع لسن، كما وصفوهم باللوذعية والرمى بالكلام العضب القاطع، وفي أمثالهم جرح اللسان كجرح اليد، ويروى أن الرسول الكريم استمع إلى بعض خطبائهم، فقال: إن من البيان لسحرا » (١).

ونفس أدبهم الذي خلفوه يحمل في طياته ما يصور فصاحة منطقهم، وكما تحمل أسواق العرب (٢) وبخاصة سوق عكاظ - في طياتها ما يدل على نضجهم وكمالهم، وكيف كانوا يتأتون للكلام حتى بلغوا منه كل ما كانوا يريدون من استمالة القلوب والأسماع، وأحس بذلك الجاحظ من قديم فقال: « لم نرهم يستعملون مثل تدبيرهم في طوال القصائد وفي صنعة طوال الخطب وكانوا إذا احتاجوا إلى الرأي في معاظم التدبير ومهمات الأمور وبيتوا (ذللوا) الكلام في صدورهم وقيدوه على أنفسهم، فإذا قومه الثقاف وأدخل الكير وقام على الخلاص أبرزوه محكما منقحا ومصفى من الأدناس مهذبًا » (٣). « فبلغاؤهم من الخطباء و الشعراء لم يكونوا يقبلون كل ما يرد على خواطرهم بل ما يزالون ينقحون

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ: ص/١٠.

(٢) ومعلوم أن هذه الأسواق غدت في أخريات العصر الجاهلي بمثابة منتديات أدبية مفتوحة إلى جانب قيامها بوظيفتها التجارية المعروفة، فإن النابغة الذبياني كانت تضرب له فيها قبة حمراء من جلد فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها، انظر التفصيل في تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ص/١١-١٢، والحياة الأدبية: ص/٢٦-٢٣.

(٣) البيان والتبيين: ج/٢، ص/١٤.

ويجودون حتى يظفروا بأعمال جيدة ، وهي أعمال يجيلون فيها الفكرة ويعاودون النظر ، متكلفين جهودًا شاقة في التماس المعنى المصيب تارة والتماس اللفظ المتخير تارة ثانية ، يقودهم في ذلك بصر محكم ، يميزون به المعاني والألفاظ بعضها من بعض ، بحيث يصونون كلامهم عما يفسده أو يهجنه » (١) . وقد وقف الجاحظ في كتابه البيان مرارًا يدوه بما كانوا يرسلونهم في خطابتهم وكلامهم من أسجاع محكمة الرصف ، وكرر القول في أن من شعرائهم (٢) .

« من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كاملاً وزمنًا طويلاً ، يردد فيها نظره ويجيل فيها عقله ويقلب فيها رأيه اتهاما لعقله ، وتتبعا على نفسه ، فيجعل عقله زماما على رأيه ، ورأيه عيارا على شعره - وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمقلدات والمنقحات والمحكمات ، ليصير قائلها فحلاً خنديذًا وشاعرًا مفلقًا » (٣) .

فنخلص من هذا الاستعراض السريع إلى أن أوضح ظاهرة في حياة الأمة العربية قبل البعثة النبوية وأقوى قوة عاملة فيها هي الكلمة . فالكلمة في حياتهم هي تاريخ أمة بأسرها ، هي عقلها المفكر ، وهي قلبها النابض ، وهي مشاعرها المتدفقة وهي خيالها المطلق : وهي كل شئ عندها : تمسك بوجودها كله ، وتستولى على كل خالجة منها . وإن كنت تشك فيما أقوله

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ للدكتور شوقي ضيف ص/١٠ .

(٢) مثل النابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى اللذان كانا يدعان القصيدة حولا كاملا ويجيلان الفكرة فيها ويعاودان النظرة فيها ، انظر التفصيل في كتب تاريخ الأدب العربي .

(٣) البيان والتبيين : ج/٢ ، ص/٩

فانظر فيما جاء أن بعض المشركين كان يتسلل في ظلام الليل (١) إلى حائب بيت رسول الله -ﷺ- ليستمع القرآن لما يجده في نفسه من تذوق لألفاظ القرآن وأساليبه . واقرأ قصة إيمان عمر - رضي الله عنه - في كتاب الداعية الكبير سيد قطب - رحمه الله - التصوير الفني في القرآن - ستجد طلبتك المنشودة وستقتنع بما نقوله لك .

ومن هنا نستطيع أن نقول : إن عصره -ﷺ- كان عصر بلاغة وفصاحة وحسن بيان ولسن . ولهذا كان من أكبر العوامل المؤثرة في تكوين شخصيته الأدبية الفذة . كما كانت هناك عوامل أخر كثيرة سنذكرها بالتفصيل في الفصل الذي يليه .

... .

---

(١) يروى أن أبا سفيان والأخنس بن شريق وأبا جهل حيث كان الثلاثة يجلسون إلى جانب بيت رسول الله -ﷺ- من العشاء إلى الصبح يستمعون إلى قراءته فينصرفون عند الفجر فيلتقون على مفرق الطرق فيعاتب كل منهم صاحبه ويتفقون على عدم العودة لئلا يفتتن بهم غيرهم ثم يعودون ليلة ثانية ويحدث منهم ما حدث في الليلة الأولى ثم يعودون ثالثة فتجمع بهم الطرق كذلك فيتعاهدون على عدم العودة وفي الضحى يذهب الأخنس إلى أبي سفيان فيسأله عما سمع فيقول سمعت كلاما أعرف بعضه وأنكر بعضه قال الأخنس : وأنا كذلك فيذهب الأخنس إلى أبي جهل فيسأله عما سمع فيقول أبو جهل وماذا سمعت ؟ لقد كنا نحن وبنى عبد مناف كفرسى رهان أطعموا فأطعمنا وسقوا فسقينا حتى إذا تحاكت الركب قالوا : منا نبي والله لا أسلم : انظر التفصيل في سيرة بن هشام : ١/٢٧٥-٢٧٦ .

دراسات في السنة :

الإمام النسائي وصناعته الحديثية في سننه

[الحلقة السادسة]

سعادة الدكتور تقي الدين الندوي
أستاذ الحديث في جامعة الإمارات العربية

المبحث الرابع :

٤- **حديث** بسرة بنت صفوان أخرجه النسائي بطريق هشام بن عروة قال أخبرني أبي عن بسرة بنت صفوان أن النبي -ﷺ- قال : من مس ذكره فلا يصلي حتى يتوضأ . قال أبو عبد الرحمن هشام بن عروة لم يسمع من أبيه هذا الحديث . والله سبحانه وتعالى أعلم (١) .

وأخرجه بطريق هشام بن عروة قال أخبرني أبي عن بسرة بنت صفوان . إلخ .

بما قال النسائي جزم به الإمام الطحاوي في شرح معاني الآثار (٢) حيث قال فإن قالوا فقد روى هذا الحديث أيضًا هشام بن عروة عن أبيه . وهشام فليس مما يتكلم في روايته بشيء . ثم ذكروا في ذلك ما حدثنا ابن أبي عمران بسنده عن هشام بن عروة الحديث . قيل له إن هشام بن عروة أيضا لم يسمع هذا من أبيه . وإنما أخذه من أبي بكر أيضًا فدلس به عن أبيه ثم ذكر الطحاوي بطريق همام عن هشام وفيه واسطة أبي بكر بن حزم بين هشام وعروة . ثم قال الطحاوي : فرجع الحديث إلى أبي بكر . مختصرا .

---

(١) سنن النسائي : ١/٢١٦ .

(٢) سنن النسائي : ١/٥٧

وأما الحافظ ابن حجر فالراجح عنده السماع . والحديث عنده ثابت من وجهتين بالواسطة وبلا واسطة . وتكلم عليه حيث قال : هذه الرواية لا تدل على ان هشاما لم يسمع من أبيه . بل فيها أنه أدخل بينه وبينه واسطة . والدليل على أنه سمعه من أبيه أيضا رواه الطبراني ، حدثنا عبد الله بن أحمد حدثني أبي ثنا يحيى بن سعيد قال : قال شعبة : لم يسمع هشام حديث أبيه في مس الذكر . قال يحيى فسألت هشاما فقال : أخبرني أبي رواه الحاكم من طريق عمرو بن علي عن يحيى عن هشام حدثني أبي . وكذا هو في مسند أحمد ثنا يحيى بن سعيد عن هشام حدثني أبي . وكذا هو عند النسائي فذكر حديث النسائي هذا ثم ذكر قال النسائي : هشام بن عروة لم يسمع من أبيه هذا الحديث (١) لكن الإمام النسائي لم يلتفت إلى تصريح سماع هشام عن أبيه في حديث يحيى وحكم على الحديث بالانقطاع فالظاهر أنه لم يحكم على هذا الحديث بالانقطاع إلا وقد ثبت دليل قوي على ذلك (٢) .

٥ - حديث علي - رضي الله عنه - في المذي . أخرجه النسائي بطريقين : بطريق مخرمة بن بكير عن أبيه عن سليمان بن يسار عن ابن عباس قال : قال علي - رضي الله عنه - : أرسلت المقداد إلى رسول الله - ﷺ - يسأله عن المذي . إلخ .

قال أبو عبد الرحمن : مخرمة لم يسمع من أبيه شيئًا (٣) .

ثم أخرج المصنف هذا الحديث بطريق الليث بن سعد عن بكير بن

---

(١) التلخيص الحبير . ١/١٢٢

(٢) انظر أماني الاحبار : ١/٢٤٩ . طبع الهند .

(٣) سنن النسائي . ٨/٢١٤

الأشج عن سليمان بن يسار وقال : أرسل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - المقداد إلى رسول الله -ﷺ- ، إلخ .

ففي الرواية الأولى وهي رواية مخرمة عن بكير واسطة ابن عباس بين سليمان وعلي . والرواية الثانية : وهي رواية الليث عن بكير خالية عن تلك الواسطة . وقد أخرج مسلم هذا الحديث بطرق وبطريق مخرمة عن أبيه أيضًا (١) .

قال الإمام النووي : هذا الإسناد مما استدركه الدارقطني . قال قال حماد بن خالد سألت مخرمة هل سمعت من أبيك ؟ فقال : لا . وقد خالفه الليث عن بكير ، فلم يذكر فيه ابن عباس . وقال النسائي أيضًا في سننه : مخرمة لم يسمع من أبيه شيئًا . وروى النسائي هذا الحديث من طرق وبعضها من طريق مسلم هذه المذكورة . وقد اختلف العلماء في سماع مخرمة (٢) من أبيه فقال مالك : قلت لمخرمة ما حدثت به عن أبيك سمعته منه ؟ فحلف بالله لقد سمعته . وكذا قال معن بن عيسى : إن مخرمة سمع من أبيه . وذهب جماعات إلى أنه لم يسمعه . قال أحمد . لم يسمع من أبيه شيئًا . إنما يروى من كتاب أبيه وكذا قال يحيى بن معين : (٣) .

٦- وكذلك إذا كان في السند تحريف يبينه :

ومن هذا قال أخبرنا محمد بن منصور عن سفيان عن بيان بن بشر عن موسى بن طلحة عن ابن الحوتكية عن أبي ذر أن النبي -ﷺ- قال لرجل عليك بصيام ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة . قال أبو عبد

---

(١) انظر صحيح مسلم : ١/٢٤٧   (٢) انظر تهذيب التهذيب ١٠/٧٠

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم : ٢/٢١٤ .

الرحمن : هذا خطأ ليس من بيان ولعل سفيان قال حدثنا اثنان فسقط الألف فصار بيان ثم ساق إسناد هذا الحديث لبيان هذا التصحيح وقال : أخبرنا محمد بن المثنى قال حدثنا سفيان قال حدثنا رجلان محمد وحكيم عن موسى بن طلحة عن أبي الحويكة عن أبي ذر أن النبي -ﷺ- أمر رجلا بصيام . إلخ (١) .

ب - التنبيه على علل المتن :

ينبه الإمام النسائي على علل المتن كما ينبه على علل الإسناد ونوردها بعد ذلك

١ - أخرج النسائي في باب كيف صلاة القاعد ، حديث عائشة - رضي الله عنها - بطريق أبي داود الحفري عن حفص عن حميد عن عبد الله بن شقيق عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : رأيت النبي -ﷺ- يصلي متربعا قال أبو عبد الرحمن . لا اعلم أحدا روى هذا الحديث غير أبي داود وهو ثقة ، ولا أحسب هذا الحديث إلا خطأ ، والله اعلم (٢) .

وقد انتقد عليه الحافظ ابن حجر العسقلاني وقال : رواه ابن خزيمة والبيهقي من طريق محمد بن سعيد ابن الأصبهاني بمتابعة أبي داود فظهر أنه لا خطأ (٣)

ولكن أيد شيخنا العلامة محمد زكريا موقف النسائي في هذا الحديث وقال : إن الثقات كلهم رووا هذا الحديث ولم يذكروا فيه التربع فصار غريبا وما يقال انه لا يخالف الروايات فكيف تخطئته ، ففيه أن ظاهر

---

(١) سنن النسائي ٤/ ٢٢٣ ، والحديث أخرجه الترمذي ، ٣/ ١٢٤ ، عن موسى ابن طلحة عن أبي ذر والبيهقي في السنن الكبرى ٤/ ٢٤ .
(٢) سنن النسائي ٣/ ٢٢٤
(٣) التلخيص الحبير ١/ ٢٢٦ ، وانظر صحيح ابن خزيمة ١/ ٢٣٦ .

الروايات بأسرها تدل على جلوس النبي -ﷺ- في صلاته كهيئة القعدة هذه الرواية تخصصها بالتربع ولو بمرة أو مرتين فصار خطأً (١)

إليه ذهب محمد بن نصر في كتابه قيام الليل (٢) حيث ذكر. قال أبو عبد الله لم يأت في شيئ من الأخبار التى رويناها عن النبي -ﷺ- أنه صلى جالسا صفة جلوسه كيف كانت إلا في هذا الحديث أخطأ فيه حفص حديث الصلاة جالسا رواه عن حميد عن عبد الله بن شقيق غير واحد من رواه الناس عن عبد الله بن شقيق ولا ذكر للتربع فيه

٢- حديث إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليرقه إلخ أخرج النسائي من طريق علي بن مسهر عن الأعمش عن أبي رزين وأبي صالح عن أبي هريرة، قال. قال رسول اللّه -ﷺ- . إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليرقه ثم ليغسله سبع مرات. قال أبو عبد الرحمن لا أعلم أحدا تابع علي بن مسهر على قوله فليرقه (٣).

قال ابن عبد البر: لم يذكره الحافظ من أصحاب الأعمش وقال ابن منده لا يعرف عن النبي -ﷺ- بوجه من الوجوه إلا عن علي بن مسهر بهذا الاسناد. وقال الحافظ ابن حجر قد ورد الأمر بالإراقة أيضا من طريق عطاء عن أبي هريرة مرفوعا أخرجه ابن عدى لكن في رفعه نظر، والصحيح أنه موقوف وكذا ذكر الإراقة حماد بن زيد عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة موقوفا وإسناده صحيح أخرجه الدار قطني وغيره (٤).

---

(١) إفادات العلامة محمد زكريا الكاندهلوي على سنن النسائي ص/ ٦٠، ط الهند

(٢) قيام الليل ص/ ١٨٤، ط باكستان (٣) سنن النسائي ١/ ٥٢

(٤) حاشية السندي ١/ ٥٤١، وانظر التلخيص الحبير ١/ ٢٢

قلت : ولفظ رواية البخاري إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعا (١) . قال الحافظ : وزاد مسلم والنسائي من طريق علي بن مسهر عن الأعمش في هذا الحديث فليرقه ، و هو يقوى الأول بأن الغسل للتنجيس إذ المراق أعم من أن يكون ماء أو طعاما فلو كان طاهرا لم يؤمر بإراقته للنهي عن إضاعة المال ، لكن قال النسائي : لا أعلم أحدا ، إلخ . وقال حمزة الكناني : إنها غير محفوظة (٢) .

وظهر مما تقدم أن بعضهم مال إلى أنه من قبيل زيادة الثقة فهي معتبرة ، ومال بعضهم إلى أنه شاذ غريب ، وعلي بن مسهر وإن كان ثقة بالاتفاق وأيضًا من رواة الكتب الستة إلا أن له غرائب وذلك ما أضر (٣) .

٢- حديث فاطمة بنت أبي حبيش أخرجه النسائي من طريق ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن فاطمة أنها كانت تستحاض ، فقال لها رسول الله -ﷺ- : إذا كان دم الحيض دما أسود يعرف فإذا كان ذلك فأمسكى عن الصلاة ، وإذا كان الآخر فتوضئ وصلي ، قال أبو عبد الرحمن : قد روى هذا الحديث غير واحد ، لم يذكر أحد منهم ما ذكره ابن أبي عدى .

ثم أخرج هذا الحديث من طريق حماد بن زيد ، وقال النسائي : لا أعلم أحدا ذكر في هذا الحديث « وتوضئ » غير حماد بن زيد ، وقد روى غير واحد عن هشام ولم يذكر فيه « وتوضئ » فقد أشار النسائي إلى اعلال « فتوضئ » (٤) .

---

(١) الجامع الصحيح للبخاري ، ١/٢٤ . (٢) فتح الباري ، ١/٢٧٥ .

(٣) انظر تقريب التهذيب ، ١/٤٥ ، وله ترجمة في تذكرة الحفاظ ١/٢٩٠ ، وتهذيب التهذيب ٧/٣٨٢

(٤) سنن النسائي ١/١٢٢ .

قلت : لكن حماد بن سلمة والإمام أبا حنيفة رويا هذه الزيادة عن هشام (١) .

فقول المصنف : لا أعلم أحدا .. إلخ . إنما هو بحسب علمه . ورد الحافظ ابن حجر على من يقول إنه مدرج ومن جزم بأنه موقوف على عروة . وأما ما أدعى النسائي أن حمادا تفرد بهذه الزيادة أوما مسلم أيضا إلى ذلك . وليس كذلك فقد رواها الدارمي من طريق حماد بن سلمة والسراج من طريق يحيى بن سليم كلاهما عن هشام وفيه فتتوضأ لكل صلاة فهي مؤداة أو مقتضية لظاهر قوله ثم توضئ لكل صلاة (٢)

٤ - أخرج النسائي من طريق يوسف بن صهيب ، قال حدثني عبد الله بن بريدة : أن امرأة خذفت امرأة فأسقطت المخذوفة فرفع ذلك إلى النبي - ﷺ - فجعل عقل ولدها خمسمائة من الغر ونهى يومئذ عن الخذف . قال أبو عبد الرحمن : هذا وهم ينبغي أن يكون أراد مائة من الغر (٣) .

هذا الحديث أخرجه أبو داؤد في سننه ففيه فجعل في ولدها خمسمائة شاة . ونهى عن الحذف . قال أبو داؤد : كذا الحديث خمسمائة شاة والصواب مائة شاة (٤) وفي نسخة . قال أبو داؤد : قال عباس : وهو وهم .

قال شيخنا : في بذل المجهود . قلت لعله في الحديث خمس مائة درهم فوقع في موضع درهم شاة (٥) .

---

(١) شرح معاني الآثار ١/٦٢ .

(٢) انظر فتح الباري : ١/٤١٠

(٣) سنن النسائي ٨/٤٧ .

(٤) سنن أبي داؤد

(٥) بذل المجهود ٨/٩٨ .

٥ - أخرج النسائي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال كان النبي -ﷺ- : يصلي ركعتي الفجر ،"إذا سمع الآذان ويخففهما ، قال أبو عبد الرحمن : هذا حديث منكر (١) .

لم يتكلم السيوطي ولا السندي على وجه النكارة وبينه شيخنا العلامة محمد زكريا الكاندهلوي ، وقال : لأنه لم يروه عن ابن عباس أحد ، إنما هو عن حفصة أو عائشة .

قال : فتفرد ابن عباس برواية هذا السياق وإلا فروايات ابن عباس مذكورة بسياق آخر في ركعتي الفجر في كتب السنة (٢) .

قال الحافظ ابن حجر : تقدم في أول أبواب الوتر في حديث ابن عباس ، إن اضطجاعه -ﷺ- وقع بعد الوتر قبل صلاة الفجر ولا يعارض ذلك حديث عائشة لأن المراد به نومه -ﷺ- بين صلاة الليل وصلاة الفجر ، وغايته انه تلك الليلة لم يضطجع بين ركعتي الفجر وصلاة الصبح (٣) .

قلت : يبدو من رواية النسائي هذه أنه -ﷺ- يصلي ركعتي الفجر بعد الاذان متصلا وهذا يخالف ما جاء في البخاري وهو الراجح عند الحافظ ابن حجر . فظهر ان ابن عباس متفرد بهذه الرواية .

[يتبع]

---

(١) سنن النسائي : ٢/٢٥٦ .

(٢) افاداته على سنن النسائي : ص/٦١ .

(٣) انظر فتح الباري : ٢/٢٦ ، ط : دار الباز للنشر والتوزيع - مكة المكرمة .

بين الضعيف والموضوع
من الأحاديث

[الحلقة الثالثة]

بقلم الشيخ عبيد الله الأسعدي
عضو هيئة التدريس بالجامعة العربية . هتورا . باندە (الهند)

ومن هذا الباب ما رواه الإمام الترمذي من قصة سفر النبي -ﷺ- مع عمه أبي طالب إلى الشام ثم رده عمه إلى مكة حينما أمره بذلك الراهب بحيراء وجاء فيها . أرسل أبو بكر معه بلالاً (١) .

وقد حسنه الترمذي . قالوا كيف هذا وبلال لم يخلق بعد . وأبو بكر كان صبيًّافإنه أصغر من النبي -ﷺ- بسنتين . وكان النبي -ﷺ- إذ ذاك اثنتا عشرة سنة ولذا ضعفوا هذا الحديث بل حكموا ببطلانه (٢) وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة :

« الحديث رجاله ثقات . وليس فيه منكر سوى هذا اللفظ فيحتمل انها مدرجة فيه . متقطعة من حديث آخر وهما من أحد رواته » (٣) .

ونقل المباركفوري عن الجزري انه قال :

« اسناده صحيح . ورجاله رجال الصحيح أو أحدهما . وذكر أبي بكر وبلال فيه غير محفوظ . وعده أئمتنا وهمًا وهو كذلك » (٤) .

---

(١) الترمذي مع التحفة أبواب المناقب . باب ما جاء في بدء نبوة النبي -ﷺ-

(٢) لمعات التنقيح شرح مشكاة المصابيح . من هامش مشكاة المصابيح ص/٥٤٠ . طبع الهند

(٣) الاصابة ١/١٧٧

(٤) تحفة الأحوذي ١٠/٩٢

وقال الذهبي في ميزان الاعتدال :

« قيل مما يدل على بطلان هذا الحديث قوله و « بعث معه أبوبكر بلالاً » وبلال لم يخلق بعد وأبو بكر كانْ صبيًا » (١) .

وقال ابن القيم في زاد المعاد :

« هو من الغلط الواضح فإن بلالاً إذ ذاك لعله لم يكن موجودًا وان كان فلم يكن مع عمه ولا مع أبي بكر» (٢) .

والمثال الثالث : حديث رواه أبو داؤد والترمذي وعيره ورواه الترمذي في باب ما جاء إذا استكرهت المرأة على الزنا من أبواب الحدود وقال فيه :

« إنه حسن غريب صحيح » (٣) .

قال الذهبي في التذكرة :

« حديث منكر جدا ، على نظافة إسناده صححه الترمذي » (٤) .

٧- ب -٢- صحة المعنى مع عدم صحة السند :

ومن هذا القبيل حديث معاذ المشهور عند الفقهاء وفي كتب الفقه وأصوله ، ورواه بعض أصحاب السنن وغيرهم ، الذي جاء فيه انه -ﷺ- لما بعثه إلى اليمن .

« فقال : كيف تقضى ؟ قال : أقضى بما في كتاب الله ، قال : فإن لم يكن في كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله ، قال : فإن لم يكن في سنة رسول الله ؟ قال : أجتهد رأيي ، الحديث » (٥) .

---

(١) ميران الاعتدال ٢/٥٨١

(٢) راد المعاد ١/١٧ ولفط البرار في مسنده (وأرسل معه عمه رحلاً)

(٣) الترمذي مع التحفة ٥/١٧-١٨

(٤) الكوكب الدري من تعليقات الشيخ محمد ركريا ٢/٢٨٤ . تذكرة الحفاط .

(٥) الترمذي مع التحفة ٤/٥٥٧

قال ابن الجوزي فيه :

« لا يصح وان كان الفقهاء كلهم يذكرونه في كتبهم ويعتمدون عليه ، ولعمري إن كان معناه صحيحًا إنما ثبوته لا يعرف » (١) .

وراجع تحفة الأحوذي تجد فيه كلمة الحافظ ابن القيم ، في مثل هذه الأحاديث وهو يثبت حجية الحديث المذكور :

« وإن كانت هذه الأحاديث لا تثبت من جهة الإسناد » (٢) .

وروى ابن حزم في المحلى ان رجلاً كان يسوق امه فجاء رجل على فرس يركض فنفر الحمار من وقع حافر الفرس فوثب فوقعت المرأه فماتت فاستأذن عمر بن الخطاب :

« فقال عمر : ضرب الحمار ؟ فقال : لا . فقال : أصاب الحمار من الفرس شيئ ؟ قال : لا ، قال : أمك أتت على أجلها فاحتسبها » .

قال ابن حزم :

« أما الرواية عن عمر فهي وان لم تصح من النقل فمعناها صحيح وبه نأخذ » (٣) .

ونجد في كتب الموضوعات والأحاديث المشهورة على ألسنة الناس كثيرًا من الأحاديث ، يقول فيها الأئمة و المحققون - « انه صحيح معنى » - .

مثل الحديث « حب الوطن من الإيمان » قال السخاوي « معناه صحيح » (٤) .

---

(١) العلل المتناهية ، ٢/٢٧٢

(٢) تحفة الأحوذي . ٤/٥٥٨

(٣) اعلاء السنن : ١٨/٢٢٨ من (المحلي لابن حزم) ١١/٩ .

(٤) (كشف الخفاء ومزيل الالباس) ١/٢٤٥ (الموضوعات الكبير) ص/٢٥ .

ومثل حديث « لولاك لما خلقت الافلاك » قال العجلوني « معناه صحيح ن لم يكن حديثًا » (١) ونحوه قول العلامة الكشميري (٢) وجاء في توجيه النظر» .

إن في كثير من الأحاديث الضعيفة .. ما هو صحيح المعنى فصيح منى (٣) .

ج - ٢ - التصحيح والتحسين مع الانقطاع الظاهر :

ومن الباب الثالث الذي ذكرته ، ما روى الترمذي في أبواب اللباس نده إلى جعفر بن محمد عن أبيه قال : كان الحسن والحسين يتختمان ي يسارهما : وقال « هذا حديث صحيح » (٤) .

قال الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي :

« يشكل على المصنف تصحيح الحديث مع ان محمد الباقر لم ير حسين - رضي الله عنهما - والحديث منقطع » (٥) .

وتوضيحه ان هذا الحديث رواه حفيد الحسين بن علي - رضي الله نهما - وهو محمد الباقر ، عن جده الحسين وأخي جده الحسن - رضي ه عنهما - مع ان محمد الباقر ولد بعدهما بعشرات من السنين ولم درك أحدهما ففيه انقطاع غير خفي ، ومع ذلك صححه الإمام الترمذي ، من الجدير بالذكر ان الشارح المباركفوري لم ينبه عليه مع انه ذكر في رحه رواية البيهقي عن محمد الباقر وفيه زيادة .

---

١) (كشف الخفاء) ١ / ١٦٤ .

٢) (ملفوظات المحدث الكشميري) ص / ٢١١ .

٣) (توجيه النظر) ص / ٧٥ .

٤) (الترمذي مع التحفة) ٥ / ٤٢٢ .

٥) (تعليقات الشيخ علي الكوكب الدري) ٢ / ٤٤٨ .

« كان النبي -ﷺ- وأبو بكر وعمر وعلي » الحديث (١) نقلاً عن فتح الباري - والحافظ ابن حجر أيضًا مرّبه بدون كلام فيه فقد قال : « أخرج البيهقي في الأدب من طريق أبي جعفر الحديث . وأخرجه الترمذي موقوفًا على الحسن والحسين فحسب » (٢) .

و عنده حديث آخر كذلك رواه في « باب ما جاء في قطيعة الرحم » من « أبواب البر والصلة »وهو حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال اشتكى أبو الدرداء فعاده عبد الرحمن بن عوف . الحديث وصححه أيضا . قال المباركفوري :

« قال المنذري وفي تصحيح الترمذي له نظر . فإن أبا سلمة بن عبد الرحمن لم يسمع من أبيه شيئا قاله يحيى بن معين وغيره (٣) .

ومن العجيب إن أبا داؤد وابن حبان وغيرهما روياه .

« عن معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن الرداد الليثي عن عبد الرحمن ابن عوف » (٤) . وأشار الترمذي أيضا إليه ثم حكى عن البخاري قوله :

« حديث معمر خطأ » .

وذلك مع ان البخاري رواه في « الأدب المفرد له » عن الزهري عن أبي سلمة إن أبا الرداد الليثي أخبره عن عبد الرحمن . الحديث » إلا أنه رواه عن محمد بن أبي عتيق عن الزهري « لا عن معمر عن الزهري » (٥) .

والحافظ ابن حجر ذكر حديث عبد الرحمن بن عوف المذكور في فتح

---

(١) (تحفة الأحوذي) ٥ / ٤٢٢ .

(٢) (فتح الباري) ٩ / ٢٢٧ .

(٣) (تحفة الأحوذي) ٦ / ٢٤ .

(٤) (أبو داؤد) كتب الزكاة . باب صلة الرحم

(٥) (الأدب المفرد) فصل صلة الرحم ورواه الحاكم أيضًا في (المستدرك) ٤ / ١٥٧

الباري (١) لكنه لم يتكلم هناك فيه بشئ ، نعم انه تكلم فيه في التهذيب في ترجمة .

فقال : « روى أبو داؤد حديث معمر عن الزهري عن أبي سلمة - وهو الصواب - أن ردادًا أخبره عن عبد الرحمن بن عوف ، إلخ » .

قال : « ورواه البخاري في « الأدب المفرد » من حديث محمد بن أبي عتيق عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي الرداد الليثي » .

قال : « قلت وتابعه شعيب بن أبي حمزة عن الزهري كذلك وهو الصواب وقال أبو حاتم الرازي إن المعروف « أبو سلمة عن عبد الرحمن » وأما الرداد الليثي فإن له في القصة ذكرا . إلا أن رواية شعيب بن أبي حمزة تقوى رواية معمر وللمتن متابع رواه أبو يعلى بسند صحيح من طريق عبد الله بن قارط عن عبد الرحمن بن عوف من غير ذكر أبي الرداد فيه » (٢) .

كما أن الإمام الترمذي حسن أيضًا مع الانقطاع الظاهر . فمن ذلك ما رواه في « باب ما يقول عند دخول المسجد » بسنده أبي عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عن جدتها فاطمة الكبرى - رضي الله تعالى عنها - قالت كان رسول الله -ﷺ- الحديث » و قد حسنه مع انه قال : « ليس اسناده بمتصل و فاطمة بنت الحسين لم تدرك فاطمة الكبرى (٣) » .

---

(١) (فتح الباري) ١٠/٤١٨ .

(٢) (تهذيب التهذيب) ٢/٢٢٤ . (التعليقات على جامع الأصول) ٦/٤٨٦ . قول رواه الإمام أحمد أيضًا من طريق ابن قارط عن عبد الرحمن بن عوف (مسند أحمد) ١/١٩١ . كما رواه الحاكم في (المستدرك) ٤/١٥٧. وقد استوعب الحاكم جميع طرقه التي جاء ذكرها هنا راجع (المستدرك) ٤/١٥٧-١٥٨ .

(٣) (الترمذي مع التحفة) ٢/٥٥-٢٥٢ .

قال الشارح المباركفوري :

« الظاهر انه حسنه لشواهده وقد بينا في المقدمة ان الترمذي قد يحسن الحديث مع ضعف الاسناد للشواهد (١) » .

وقال البنوري في امالي شيخه : « وقد تكلف من تأول أنه حسنه نظرا إلى شواهده فإن مثل ذلك من قبيل الحسن لغيره ، والمتبادر في مثل ههنا الحسن لذاته على انه لو نظر إلى شواهده لكان يستحق أن يجعله صحيحا ولا ينزل إلى حسنه » (٢) .

أقول ما أدعاه الشيخ البنوري من كونه « حسنا لذاته » لعل ذلك نظرًا إلى رواته وأحوالهم فإنه لا يوجد فيهم أحد تكلموا فيه غير « ليث بن أبي سليم » وهو صدوق اختلط أخيرًا ولم يتميز حديثه فترك (٣) لكن قال الهيثمي فيه « هو ثقة مدلس » (٤) وقد حسن له الترمذي حديثا في ابواب الحج ومع هذا الخلاف فيه لا ينزل حديثه عن رتبة الحسن لذاته مع تفاهة رجال الحديث سواه ، والله تعالى أعلم

وحديث آخر حسنه الترمذي كذلك ، ما رواه في « باب ما جاء في مقدار القعود في الركعتين الأوليين » بسنده إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، كان رسول الله -ﷺ- إذا جلس في الركعتين الأوليين كأنه على الرضف » .

ثم قال الترمذي :

« هذا حديث حسن إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه » .

---

(١) (تحفة الأحوذي) ٢/٢٥٥ (٢) (معرف السنن) ٢/٢٩٢

(٣) (التقريب) ٢/١٢٨

(٤) (مجمع الزوائد) ٢/١٦ ، باب في المساجد المشرفة والمزينة

قال الشارح المباركفوري :

« فالحديث منقطع » (١) .هـ

٩ - الحكم على الحديث بالذوق الخاص :

أقول وأيضًا لعل التصحيح والتحسين لمثل هذا قولاً وصراحةً أو عملاً ودلالةً - وذلك بذكر هذه الأحاديث فيما التزم فيه بإخراج الصحيح والحسن واشترط فيه لذلك - بإدراك الاتصال من خارج السند وسيأتي بعض التفصيل وكذا بالذوق الذي يحصل لأهل الفن وأصحاب الممارسة . فقد ذكر إمام العصر العلامة محمد أنور الكشميري في أماليه على سنن الترمذي بعد أن ذكر تحسين الترمذي لحديث فاطمة بنت الحسين الذي تقدم :

« ذلك يدلنا على أن أصحاب الفن ربما يحكمون على الحديث نظرا إلى أذواقهم الخاصة ولا يراعون القواعد العامة والأصول المدونة » (٢) .

ويقول الإمام الذهبي في كلامه على الحديث الموضوع ومراتبه . ولهم في نقد ذلك طرق متعددة وإدراك قوي تضيق عنه عباراتهم ، من جنس ما يؤتاه الصيرفي الجهبذ في نقد الذهب والفضة أو الجوهري لنقد الجواهر والفصوص لتقويمها . فلكثرة ممارستهم للألفاظ النبوية ، إذا جاءهم لفظ ركيك ... فيحكمون بأن هذا مختلق » (٣) .

وقال البنوري في كلامه بترجيح الإمام الترمذي لرواية أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود مع عدم سماعه عن أبيه في المشهور :

---

(١) (تحفة الأحوذي مع الترمذي) ٢/٢٦٢ .

(٢) (معارف السنن) ٢/٢٩٢ .

(٣) (الموقظة) ص/٢٧-٢٦ .

« وغرضه ان رواية أبي إسحاق عن أبي عبيدة أثبت ، وربما يكون الانقطاع أصح من الاتصال كما يكون الوقف أصح أحياناً عن الرفع باعتبار نفس الثبوت ، وأما الترجيح بينهما فلمكن من باب آخر فلم يلاحظ ضابطة الترجيح في المنقطع والمتصل ومن هنا يعلم أن العلم هو ثلج الصدر لا اتباع الضوابط المخرجة كما يقول الشاه ولي الله الدهلوي في « حجة الله البالغة » (١) » .

نصوص من الأئمة تدل على ان المقصود من الاسناد هو التثبت و الاعتماد :

كل هذا - ومثل هذا يرشدنا إلى ما ذكرت أن الإسناد مع انه شيء عظيم لكنه ليس كل شيء وآخر شيء ، ومن المستحسن بل من الواجب تقديم نقول من فحول المحققين والأئمة تدلنا على هذا وعلى ما مشوا عليه في قبول الحديث والعمل به أو رده وطرحه - مع ما ذكرنا من مكانة الإسناد وعظمته في الدين ، فيتضح به لنا ما أرادوا بأهمية الإسناد من الدين وما قصدوه .

وجملته انهم قصدوا بذلك الاعتماد والاستناد واطمئنان القلب أو غلبة الظن - بثبوت ما نكون بصدده ، فليس الإسناد إلا وسيلة إلى ذلك وقد يطمئن القلب بل يستيقن المرء بثبوت بعض الأشياء بدون اتصال السند وبدون الإسناد - كما أنه ربما يرده رداً وامراً مع السند واتصاله والوثوق به وتقدمت الأمثلة .

١١ - ما يقوم مقام الإسناد من هذا الاعتماد والاستناد :

قال العلامة أبو الحسنات عبد الحي اللكنوي :

---

(١) (معارف السنن) ١/١٢٥

« إن كان لابد للإسناد في كل أمر من أمور الدين لكن قد يقوم مقامه نقل من يعتمد عليه وتصريح من يستند إليه ، لا سيما في الأعصار المتأخرة لفوات اهتمام الإسناد فيها بالشروط المقررة ، فإن شدد فيها بطلب الإسناد في كل أمر فات المراد فيكتفي بتصريح من عليه الاعتماد ولهذا جوزوا العمل والإثبات بالأحاديث المدونة في الكتب المتعمدة وإن لم يوجد لها عند العامل والمثبت طريق متصل إلى صاحب الحديث أو إلى مؤلف الكتب المدونة » (١) .

ونقل عن العز بن عبد السلام أنه قال بصدد ذلك :

« وكتب الحديث أولى بذلك من كتب الفقه وغيرها لاعتنائهم بضبط النسخ وتحريرها فمن قال إن شرط التخريج من كتاب يتوقف على اتصال السند إليه فقد خرق الإجماع » (٢) .

وحكى الأستاذ أبو إسحاق الاسفرائيني :

« الإجماع على جواز النقل من الكتب المعتمدة ولا يشترط اتصال السند إلى مصنفيها وذلك شامل لكتب الحديث والفقه » (٣) .

١٢ - ليس الأمر بمجرد الرواية :

أما أهل العلم فلا يصدقون بالنقل ويكذبون بمجرد موافقة ما يعتقدون بل قد ينقل الرجل أحاديث كثيرة فيها فضائل النبي - ﷺ -

---

(١) (الأجوبة الفاضلة) ص/٥٩-٦٠ . ونحوه قول محمد بن إبراهيم الوزير اليماني (الروض الباسم) ١/٢٩٧

(٢) نفس المصدر ص/٦٢ . و (تدريب الراوي) ١/١٥٢ .

(٣) (الأجوبة الفاضلة) ص/٦٢ . ونحوه في (فتح المغيث) ص/٥٦ . نقلاً عن ابن برهان وغيره بل عقد في ألفية العراقي وفي فتح المغيث فصل خاص بهذا ص/٥٢-٥٨

أمته وأصحابه . فيردونها لعلمهم بأنها كذب ويقبلون أحاديث كثيرة صحتها وإن كان ظاهرها بخلاف ما يعتقدونه . إما لاعتقادهم أنها منسوخة ، أولها تفسير لا يخالفونه ونحو ذلك .

فالأصل في النقل أن يرجع فيه إلى أئمة النقل وعلمائه وأن يستدل على الصحة والضعف بدليل منفصل عن الرواية فلابد من هذا وهذا .

وإلا فمجرد قول القائل « رواه فلان » لا يحتج به . لا أهل السنة ولا شيعة . وليس في المسلمين من يحتج بكل حديث رواه كل مصنف فكن حديث نطالبه في أول مقام بصحته (١) .

وذكر صاحب فتح الملهم أنه قال السمعاني في القواطع

« إن الصحيح لا يعرف برواية الثقات فقط وإنما يعرف بالفهم والمعرفة كثرة السماع والمذاكرة » (٢) .

وسيأتي قول العلامة الكشميري :

« إنما القواعد للفصل فيما لم ينكشف أمره من الخارج على جهه » (٣) . [يتبع]

---

(١) (منهاج السنة) ٤/١٢ . (قواعد في علوم الحديث) ص/٢٧٤-٢٧٥ .

(٢) (فتح الملهم) ١/١٦ .

(٣) (الأجوبة الفاصلة - التعليقات) : ص/٢٢٨ و (فيض الباري) ٢/٤٠٩ .

تعريف وجيز
بمسانيد الإمام الأعظم أبي حنيفة وأصحابها

للمحدث الجليل فضيلة الشيخ عبد الرشيد النعماني
[الحلقة الثالثة]
تعريب : بلال عبد الحي الحسني الندوي

كانت هذه التراجم لكبار الأئمة والمحدثين الذين أفردوا الكتب بجمع مرويات الإمام أبي حنيفة بأسانيدهم . ثم جمع قاضي القضاة المحدث أبو المؤيد محمد بن محمود الخوارزمي (م ٦٥٥هـ) خمسة عشر مسندًا من هذه المسانيد . وسمى كتابه : « جامع مسانيد الإمام الأعظم » .

يقول في مقدمة هذا الكتاب : إني سمعت من بعض الجهلاء بالشام أنه ليس للإمام أبي حنيفة أي مسند وانه يروى عدة أحاديث فقط . فانبعثت فيّ الحمية المسلكية الحنفية . فأردت أن أجمع خمسة عشر مسندًا له ، جمعها مشاهير العلماء المحدثين . وهذه المسانيد هي :

١ - مسند الإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب الحارثي البخاري المعروف بعبد الله الأستاذ .

٢ - مسند الإمام الحافظ أبي القاسم طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد .

٣ - مسند الإمام الحافظ أبي الحسين محمد بن المظفر .

٤ - مسند الإمام الحافظ أبي نعيم الأصفهاني .

٥ - مسند الإمام أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري .

٦ - مسند الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدى الجرجاني .

٧ - مسند الإمام حسن بن زياد اللؤلؤي .

٨ - مسند الحافظ عمر بن الحسن الأشناني .

٩ - مسند الحافظ أبي بكر أحمد بن محمد بن خالد بن خلى الكلاعي .

١٠ - مسند الإمام الحافظ أبي عبد الله حسين بن محمد بن خسرو البلخي .

١١ - مسند الإمام أبي يوسف القاضي الذي سمى بنسخة أبي يوسف .

١٢ - مسند الإمام محمد بن الحسن الشيباني ، هو سمى بنسخة محمد .

١٣ - مسند الإمام حماد بن أبي حنيفة .

١٤ - مسند الإمام محمد الذي سمى بالآثار .

١٥ - مسند الإمام الحافظ أبي القاسم عبد الله بن أبي العوام السعدي .

إن المحدث الخوارزمي ذكر سائر كتب الحديث المروية عن أبي حنيفة التي رواها عنه الإمام حماد والإمام أبو يوسف والإمام محمد باسم المسند، وفي الحقيقة هي نسخ كتاب الآثار (١) ، وكذلك مسند الحافظ أبي بكر الكلاعي نسخة لكتاب الآثار التي يرويها عن جده محمد بن خالد الوهبي المتوفى قبل تسعين ومئة من الهجرة . وصرح الخوارزمي في الباب الأخير لجامع المسانيد في ترجمة أبي بكر الكلاعي بأن هذا المسند وإن كان منسوبا إليه ، ولكن جمعه محمد بن خالد الوهبي وهو يرويه عن الإمام أبي حنيفة بغير واسطة ، فإن هذا المسند نسب إلى أبي بكر الكلاعي من حيث الرواية لا من حيث الجمع والتدوين .

وذكر العلامة الشيخ عبد العزيز بن ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي - رحمه الله - جامع المسانيد في كتابه : « بستان المحدثين » فقال :

« إن مسند الإمام أبي حنيفة الذي هو معروف بين العلماء هو من

(١) فليراجع للتفصيل مقالتنا « كتاب الآثار وصاحبه » في هذه المجلة.

مصنفات قاضي القضاة أبي المؤيد محمد بن محمود بن محمد الخوارزمي - رحمه الله - ، نشره سنة أربع وسبعين وست مائة من الهجرة (١) وهو جمع مسانيد الإمام الأعظم التي صنفها العلماء المتقدمون ، وما ترك شيئًا من الأحاديث المروية عنه ، كما هو يزعم ، والمسانيد التي سبق بها العلماء كثيرة ، ذكر الخوارزمي في مقدمة كتابه أسماءها وأسماء جامعيها وأسانيدها منه إلى أصحابها ، ولكن أشهرها مسندان تلقاهما العلماء بالقبول ، وهما مسندا حافظ الحديث عبد الله بن محمد بن يعقوب الحارثي ، وحافظ العصر حسين بن محمد بن خسرو - رحمهما الله - وقد حصلت لي إجازة هذه المسانيد الثلاثة من شيوخي » .

ولا يصح زعمه هذا أنه استوعب أحاديث الإمام أبي حنيفة في هذا المسند ، لأن عدد مروياته يبلغ إلى أربعة آلاف حديث . يقول الإمام حسن بن زياد اللؤلؤي :

« كان أبو حنيفة يروي أربعة آلاف حديث . ألفين لحماد ، وألفين لسائر المشيخة (٢) . وليس في مسند الخوارزمي نصف مروياته بل كما صرح الشيخ أبو الوفاء الأفغاني في مقدمة كتاب الآثار لأبي يوسف - رحمه الله - أنه لم يستوعب جميع آثار المسانيد التي قال إنه جمعها كما تتبعته وقابلته على كتاب الآثار للإمام محمد ومسند الحارثي »

ويقول الشيخ الأفغاني في رسالته التي كتب إلى في ٢ من ربيع الثاني سنة ١٣٧٢هـ

---

(١) هذا لا يصح لأن المحدث الخوارزمي توفي قبل هذا بتسعة عشر عامًا في سنة ٦٥٥ من الهجرة

(٢) مناقب الإمام الأعظم لصدر الأئمة موفق بن أحمد المكي ١/٩٦ ، طبع دائرة المعارف بحيدرآباد الدكن - الهند

« إن الحافظ ابن خسرو أخذ في مسنده كتاب الآثار للإمام حسن بن زياد وذكره الخوارزمي في جامع المسانيد كما أخذ الكلاعي كتاب الآثار لمحمد بن خالد الوهبي بتخريجه ، والخوارزمي جمع في كتابه عشرة مسانيد تقريبا . ولكن الأسف أنه ترك كتاب الآثار للإمام أبي يوسف ومسند أبي نعيم الأصفهاني ومسند ابن عدي ومسند الحافظ ابن أبي العوام ، لا أعلم ما هي أسبابه إنه ذكر أسانيد هذه الكتب في بداية كتابه ، ولم يذكر كتاب الآثار لأبي يوسف وأما غير ذلك فذكر في بعض الأحيان وترك الأكثر . فهذا الكتاب ناقص . وبات المشايخ فيه ناقص الأبواب ، وفيه أغلاط ، ولو يذكر مسند أبي نعيم لكان يسهل علينا تصحيحه » .

ولأن المحدث الخوارزمي جمع في كتابه أكثر أحاديث المسانيد لأبي حنيفة فطار صيته في الآفاق وصارت به الرفاق وشرحه بعض كبار العلماء ، منهم الحافظ زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي (م ٨٧٩هـ) شرحه في مجلدين ضخمين . انتفع بهذا الشرح الحافل العلامة السيد مرتضى الزبيدي في كتابه : « عقود الجواهر المنيفة » ومنهم الحافظ جلال الدين السيوطي الشافعي (م ٩١١هـ) فإنه سمى شرحه « التعليقة المنيفة على مسند أبي حنيفة » واختصر هذا الكتاب بعض كبار المحدثين والعلماء منهم الإمام شرف الدين إسماعيل بن عيسى بن دولة الأدنماني المكي (م ٨٩٢هـ) له « اختيار اعتماد المسانيد في اختصار أسماء بعض رجال الأسانيد » ذكر في بداية كتابه مناقب الإمام أبي حنيفة أيضا . ومنهم الإمام أبو البقاء أحمد بن أبي الضياء محمد القرشي المكي . له « المستند في مختصر المسند » حذف فيه الأحاديث المكررة والأسانيد التي ساقها المؤلف منه إلى الإمام أبي حنيفة - رحمه الله - ومنهم الشيخ أبو عبد

الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الحنفي وذكر الجلپي مختصراً آخر له غير هذه الثلاثة وما عثرنا على صاحبه . وجمع العلامة حافظ الدين محمد ابن محمد الكردري المعروف بالبزازي (م ٨٢٧هـ) زوائده على الصحاح الستة . وذكر صاحب كشف الظنون الكاتب الجلپي كتابا للمحدث أبي حفص زين الدين عمر بن أحمد الشماع الحلبي الشافعي (م ٩٣٦هـ) باسم « لقط المرجان من مسند أبي حنيفة النعمان » ولعله هو مختصر مسند الخوارزمي .

وفي العصر الاخير أخذه العلامة المحدث السيد مرتضى الزبيدي الحنفي (١٢٠٥هـ) وانتخب منه أحاديث الأحكام التي وافق فيها الأئمة الستة أو بعضهم في كتبهم . وهذا كتاب مفيد طبع بمصر في مجلدين بالآلة الكاتبة بالحروف الصغيرة . يورد فيه المؤلف رواية الإمام أبي حنيفة . ثم يسوق روايات أصحاب الستة بألفاظها وسماه : « عقود الجواهر المنيفة في أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة فيما وافق فيه الأئمة الستة أو بعضهم » ورتبه على أبواب الفقه . ذكر أولا أبواب العقائد . ثم ذكر أبواب الأعمال

طبع جامع المسانيد للخوارزمي بدائرة المعارف الإسلامية في حيدر آباد الدكن . في مجلدين ضخمين . ويبلغ فيه عدد تلاميذ الإمام الذين رووا عنه بغير واسطة إلى خمس مائة .

والأسف أنه ما طبع مسانيد الإمام التي رتبها كبار المحدثين سوى هذا الجامع . وأربعة من هذه المسانيد موجودة في « مجلس إحياء المعارف النعمانية بحيدرآباد الدكن . وهي :

١ – مسند ابن أبي العوام .　　　　٢ – مسند الحارثي (١) .

---

(١) طبع مختصره للعلامة الحصكفي الذي رتبه العلامة عابد السندي على أبواب الفقه

٢- مسند أبي نعيم الأصفهاني .   ٤- مسند ابن خسرو .

المكانة العلمية لمسند أبي حنيفة :

يقول الشيخ المحدث محمد بن جعفر الكتاني في كتابه : « الرسالة المستطرفة في بيان كتب السنة المشرفة » الذي هو من أبدع كتبه في بيان طبقات كتب الحديث بعد ما ذكر الصحاح الستة ومسند أبي حنيفة وموطأ مالك . ومسند الشافعي ومسند أحمد .

« فهذه كتب الأئمة الأربعة وبإضافتها إلى الستة الأولى تكمل الكتب العشرة التي هي أصول الإسلام وعليها مدار الدين » (١) .

ويقول الحافظ أبو عبد الله محمد بن علي بن حمزة الحسيني الدمشقي في مقدمة التذكرة برجال العشرة . الذي يحتوي على رجال كتب الأئمة الأربعة والصحاح الستة . وأخذ منه الحافظ ابن حجر في : « تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة »

« مسند الشافعي موضوع لأدلته على ما صح عنده من مروياته وكذلك مسند أبي حنيفة » .

وكذلك عد الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي مسند أبي حنيفة في أمهات كتب الحنفية . وصرح في كتابه : « قرة العينين في تفضيل الشيخين » .

« بناء الفقه الحنفي على مسند أبي حنيفة وآثار الإمام محمد - رحمه الله - (٢) » .

قد سلف رأى الحافظ الحسيني وهو من كبار الحفاظ والمحدثين

---

(١) الرسالة المستطرفة : ص/١٦ . طبع بيروت سنه ١٣٣٢هـ

(٢) قرة العينين في تفضيل الشيخين طبع المطبعة المجتبائية بدلهي : ص/١٨٥ و ١٧١

شافعية ومن الحذاق المهرة في فن الحديث (١) . ويقول العلامة الإمام عارف الجليل الشيخ عبد الوهاب الشعراني وهو أيضًا من كبار العلماء شافعية .

« وقد من الله تعالى عليّ بمطالعة مسانيد الإمام أبي حنيفة الثلاثة من سخة صحيحة ، عليها خطوط الحفاظ آخرهم الحافظ الدمياطي ، فرأيته يروى حديثًا إلا عن خيار التابعين العدول الثقات الذين هم من خير قرون بشهادة رسول الله -ﷺ- كالأسود و علقمة و عطاء و مجاهد مكحول والحسن البصري وأضرابهم - رضي الله عنهم أجمعين - فكل رواة الذين هم بينه وبين رسول الله -ﷺ- عدول ثقات أعلام أخيار يس فيهم كذاب ولا متهم بكذب ، وناهيك يا أخي بعدالة من ارتضاهم لإمام أبو حنيفة - رضي الله عنه - لأن يأخذ عنهم أحكام دينه مع شدة ورعه ، وتحرزه وشفقته على الأمة المحمدية » (٢) .

و يقول : « كل حديث وجدناه في مسانيد الإمام الثلاثة فهو صحيح » (٣) .

وليعلم أن الإمام الشعراني قد صرح قبل ذلك « إني لم أجب عن الإمام بي حنيفة وغيره بالصدر وإحسان الظن كما يفعل ذلك غيري ، وإنما جيب عنه بعد التتبع والفحص (٤) » فعلم من قوله هذا أنه أبدى رأيه من مسانيد أبي حنيفه بعد الفحص التام والبحث والتحقيق .

[يتبع]

---

(١) فليراجع فيه ذيل الحافظ ابن فهد وذيل الحافظ السيوطي على تذكرة لحفاظ للذهبي .

(٢) الميزان الكبرى : ١/٦٤ . طبع مصر .

(٣) أيضًا : ١/٦٥ . (٤) أيضًا : ١/٦٢ .

دراسات و أبحاث :

تصارع الحضارات

بقلم سعادة الدكتور شوكت محمد عليان
أستاذ الثقافة الإسلامية - الرياض

كانت السمات الحضارية السابقة للإسلام، تبرز في الاهتمام بالمطالب المادية للإنسان، والتي غالبا ما تتمثل في حب الذات، والأنانية المفرطة، والتماير العنصري المتمثل في الاستعلاء الطبقي، وهذا من شأنه أن يجعل أصحاب هذه الحضارات يعتمدون على القوة المادية وحدها في تفاعلهم مع تلك الحضارات وتفهم لها.

وتأييدا لما ذكرت، نسترشد بالقرآن الكريم، ومن ذلك :

قوله تعالى : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد • إرم ذات العماد • التي لم يخلق مثلها في البلاد • وثمود الذين جابوا الصخر بالواد • وفرعون ذي الأوتاد • الذين طغوا في البلاد • فأكثروا فيها الفساد • فصب عليهم ربك سوط عذاب ... ﴾ (١).

فعاد قبيلة من العرب البائدة، وتلقب بارم أيضًا، وهم الذين بعث الله فيهم رسول الله هود - عليه السلام -، فكذبوه فأهلكهم بريح صرصر عاتية، وقد كانت لهم خيام ذات اعمدة عالية، وهم أهل قوة وبطش، من الله تعالى بها عليهم، حيث قال جل شأنه :

﴿ و اذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بصطة • فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون ﴾ (٢) . فقد كان لهم يد طولى على من

---

(١) سورة الفجر، الآيات ٦-١٢ (٢) سورة الأعراف، الآية : ٦٩ .

سواهم ، مغرورين بقوتهم ، متجاهلين الحق والعدل والكرامة الإنسانية .

﴿ فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة • أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة •• ﴾ (١) .

وأما ثمود فهم قوم صالح - عليه السلام - قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا ، وفرعون صاحب الجند الذين يشدون له أسره ، أو صاحب أوتاد يشد بها من يعذبه ، أو بمعنى القوة تم له بها ملكه ، ورسخ بطشه وسلطانه .

وهؤلآء جميعًا أفسدوا في البلاد ، فألحقوا الضرر بالناس ، وهضموا حقوقهم ، فأنزل الله بهم عذابه ، وأحل بهم نقمته بما طغوا في البلاد ، وأكثروا فيها الفساد .

﴿ و إلى مدين أخاهم شعيبًا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ (٢) ، أي بالبغي على أهلها ، وقطع الطريق على الناس وظلمهم ، وأكل حقوقهم ، ﴿ فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾ (٣) ، وهذه هي عقوبتهم بسبب جورهم وإفسادهم ، معتمدين على قوتهم وشوكتهم .

﴿ وقارون و فرعون و هامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين ﴾ (٤) ، أي : ما كانوا يفوتون الله أن يفعل بهم ما يريد (٥) .

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ١٥ .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية : ٣٦ .

(٣) سورة العنكبوت ، الآية : ٣٧ .

(٤) سورة العنكبوت ، الآية : ٢٩

(٥) زاد المسير في عالم التفسير : ٦/٢٧٢ .

قال تعالى : ﴿ فكلا أخذنا بذنبه ﴾ أي عاقبناه بتكذيبه ، ﴿ فمنهم من أرسلنا عليه حاصبًا ﴾ يعني قوم لوط ﴿ ومنهم من أخذته الصيحة ﴾ يعني ثمودا وقوم شعيب ﴿ ومنهم من أغرقنا ﴾ يعني قوم نوح وفرعون ﴿ وما كان الله ليظلمهم ﴾ فيعذبهم على غير ذنب ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ بالإقامة على المعاصي .

وهكذا كانت نظرة الأقوام السابقة للحضارة الإنسانية على أنها القوة والغلبة والبطش في الأرض .

وأما العدل والمساواة واحترام حقوق الإنسان وتوحيد الله الخالص وعبادته وحده فلم يكن يعرف ذلك إلا قلة ممن آمن برسل الله وبقوا على إيمانهم .

ولذا قال جل شأنه : ﴿ فكلا أخذنا بذنبه • فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ﴾ أي ريحا عاصفا فيها حصباء وهم قوم لوط .

﴿ ومنهم من خسفنا به الأرض ﴾ كقارون .

﴿ ومنهم من أغرقنا ﴾ كقوم نوح وفرعون وقومه . إلى غير ذلك من الأقوام التي تعرضت لعقاب الله بفعلهم ما يوجب ذلك من البغي والفساد .

ويصور الله تبارك وتعالى الذين يعملون في هذه الحياة الدنيا بمحض قوتهم وإراداتهم وتكتلاتهم دون اعتبار لقدرة الله وإرادته كمثل العنكبوت الذي يتخذ له بيتا معتمدا على قوته . يدفع به الحر والبرد . ولكن هذا البيت من أوهن البيوت أي أضعفها . لأنه لا يحتمل مس أدنى الحيوانات . وأضعف الرياح . ولا يدفع شيئًا من الحر والبرد .

والناظر بعين البصيرة يرى أن معظم حضارات العالم لم تقم على أسس أخلاقية ثابتة . بل قامت على أسس نفعية مادية . وما دامت هي كذلك فلا ضير عند أصحابها أن تنتشر في ظلها الفواحش والمنكرات . ويألفها

الجميع ، فتصبح عرفا سائدًا في مجتمعاتهم ، وعادة مقبولة في نفوسهم كشرب الخمر مثلاً ، واعتبار الزنا تكسبا ، والنهب والسلب وأكل أموال الناس بالباطل شجاعة ، إلى غير ذلك من الأمور التي اعطتها الأعراف والقوانين صبغة نفعية مادية .

الحضارة في ظل المفهوم الإسلامي :

إذا رجعنا إلى المفاهيم العامة للإسلام ، وقد احطنا بمبادئه وتعاليمه أيقنا بما لا يدع مجال للشك ان للحضارة في الإسلام مفهوما يتسامى على سائر المفاهيم التي سادت عند الأمم (١) .

فهي في ظل تعاليم الإسلام ، أنواع من الخبرة والمعرفة يستخدمها الإنسان في تهذيب الغرائز والسلوك ، وتقويم الاستجابة لها ، ويستخدمها كذلك في سائر مختلف أنشطة الحياة المادية في سبيل رقي حياته .

ويمكن تلخيص النظرة الإسلامية للحضارة فيما يلي :

أولا : في مجال تصور الألوهية ، نجد انحرافا كبيرًا في العقيدة لدى كثير من الأمم يتمثل هذا ، في الشرك بالله تعالى ، والتشبيه والتمثيل ببعض مخلوقاته ، كقولهم الملائكة بنات الله ، وتسميتهم الله أبا ، وغير ذلك من أنواع التمثيل والتشبيه .

والإسلام يرفض هذا وذاك ، فهو سبحانه ﴿ ليس كمثله شئ ﴾ (٢) ، ﴿ قل هو الله أحد • الله الصمد • لم يلد • و لم يولد • و لم يكن له كفوًا

---

(١) و للمريد ، انطر الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع : ص/٩٨ ، و ما بعدها لفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن سعد اللحيدان ، فقد أوفى الموضوع حقه حول حملة المفاهيم ، فأفاد وأجاد .

(٢) سورة الشورى ، الآية : ١١ .

أحد ﴾ (١) وهو ﴿ رب العالمين ﴾ (٢) وليس أبا العالمين .

ثانيا : في مجال النظر إلى الكون : يقرر الإسلام ان الله تبارك وتعالى ، هو خالق الكون وما فيه ، وانه تعالى وحده المتصرف فيه . وان الجميع يخضع لإرادته ومشيئته ، وإن العلم لم يخلق النظريات ، أو المادة ، ولم ينشئها ابتداء ، وكل ما عمله الإنسان أنه اكتشف هذه النظريات والقوانين العلمية ، واستخدمها بحسب أنظمة الله في الكون . فالله تعالى خالق كل شئ ، ومالك كل شئ ، ومعلم كل شئ ، و واهب كل شئ .

والإنسان مهما بلغت قوته ، وعظمت سطوته ، ومهما قهر من قوى الطبيعة ، وسخرها لمشيئته فهو عبد الله ، وقد أنعم الله عليه بكل شئ ، فحرى به أن يستخدم نعم الله وفق إرادة الله ، وطبقا لمشيئته ، فهو مستخلف في الأرض لعمارتها وعبادته وحده تعالى . وأكد الإسلام عليه ذلك ، ونهاه عن السلبية ، بأن يتهاون في حياته أو حياة غيره من إنسان أو حيوان أو نبات ، أو يتهاون في الانتفاع بما سخر الله له في هذا الكون ، سواء برًا وبحرًا وجوا .

قال تعالى : ﴿ ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤف الرحيم ﴾ (٣) .

وقال سبحانه : ﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبًا فمنه يأكلون • وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من

---

(١) سورة الصمد .

(٢) سورة القصص من الآية : ٢٠ ، وقد تكررت في كثير من الآيات من القرآن الكريم .   (٣) سورة الحج ، الآية ٦٥

العيون • ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون • سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴾ (١) .

ورغب الإسلام الإنسان في المحافظة على البيئة ، فحرم عليه الاسراف والتبذير في استعمال المياه .

ونهى عن التبول في الماء الراكد .

ونهى عن التبرز في ظل الناس وفي الطريق العام .

ونهى عن قطع الأشجار إلا لحاجة ضرورية ، وحتى في الحروب ، نهى عن تخريب العامر ، وقطع الأشجار ، كل هذا من قبيل المحافظة على البيئة .

ثالثا : وفي ظل مجال العلوم ، دعا الإسلام الإنسان إلى النظر والتأمل والتفكر والتدبر .

قال تعالى : ﴿ قل انظروا ماذا في السماوات والأرض ﴾ (٢) .

ودعوة القرآن الكريم إلى ايقاظ العقل ، وحسن النظر ، وأعمال الفكر ، جاءت في كثير من آيات الله ، بل لا تكاد تخلو منها سورة من السور ، واستيعاب ذلك مما يضيق به هذا المقام ، ونكتفي بالإشارة إلى مثال واحد لذلك :

قال تعالى : ﴿ وفي الأرض قطع متجاورات من أعناب و زرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ (٣) ، فالأرض فيها قطع

(١) سورة ياسين ، الآيات : ٣٢-٣٦ .

(٢) سورة يونس ، جزء من الآية : ١٠١ .

(٣) سورة الرعد ، الآية : ٤ .

متجاورات تختلف بنية كل منها عن الأخرى رغم تجاورها ، ورغم انها تسقى من ماء واحد فتجد بعضها ينبت الزرع ، وبعضها لا ينبته ، وبعضها يصلح لأنواع معينة من الزروع دون غيرها .

وقال تعالى في سياق مخاطبته العقل البشري : ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون • سيقولون لله قل أفلا تذكرون • قل من رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم • سيقولون لله قل أفلا تتقون • قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون • سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴾ (١) .

فإذا سلم الإنسان ابتداء بأن الأرض ومن فيها من صنع الله وإنشائه ، وهو مالكها والمتصرف فيها .

وإذا سلم بأن السماوات السبع هي لله هو منشئها ، وهو ربها ، ورب العرش العظيم ، وإذا سلم بأن ملكوت كل شئ لله هو المدبر فيه وحده ، وهو الذي يجير بقوته ولايجار عليه .

إذا سلم الإنسان بكل هذا فقد لزمه أن يسلم بالنتيجة التي تؤدي إليها هذه المقومات ، وهي أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولذا وقع التكرار بعد كل مقدمة من المقدمات ﴿ أفلا تذكرون ﴾ ﴿ أفلا تتقون ﴾ ﴿فأنى تسحرون ﴾ وقد عاب القرآن الكريم الذين يهملون العقل ويعطلونه عن إدراك العلوم والمعارف ، ويكتفون بتقليد الآباء ، أو يتبعون الأهواء والملل والنحل .

قال جل شأنه : ﴿ و إذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آبائنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون ﴾ (٢)

---

(١) سورة المؤمنون ، الآيات : ٨٤-٨٩ . (٢) سورة البقرة ، الآية : ١٧٠ .

فيتبعون على ما سلكوا من الطريق الذي كان عليه آباءهم ويأتمون بهم في أفعالهم ، ولا يتعقلون فيتدبرون ويهتدون لرشد يهتدى بهم غيرهم ، ويقتدى بهم من طلب الدين ، وأراد الحق والصواب .

فإذا روعيت هذه المعاني النبيلة في مجتمع ما ، وكانت أمور الحياة قائمة فيهم على العدل والمساواة والإيثار والمحبة والرأفة والرحمة ، ورعاية العجزة والضعفاء فقد صار هذا المجتمع متحضرا متقدمًا بأخلاقه وقيمه ونظرته المتأملة لما يجري في هذا الكون .

وكلما كان الإنسان أكثر تحررًا من نزعته الفردية الأنانية ، مراعيا حق الجماعة والمصلحة العامة كان أكثر تحضرا وتقدمًا ، ذلك أن حضارة البشر لا تقاس بالتقدم المادي (الصناعي - العلمي) إلا بقدر ما يخدم هذا العلم ، وهذه الصناعة الإنسانية .

وعليه فإذا كانت هذه أو هذا العلم من شأنه أن يهدم البشرية ، أو يلحق أضرار بها ، فإنه ليس من الحضارة في شئ ، وإنما هو عامل إفساد ودمار .

وإذا قيل : أن تقدم الصناعة يعني تقدم العلم ، والعلم جانب عظيم من جوانب الحضارة إن لم نقل أساسها .

قلنا : نعم ، لكنه إذا اسئ استعمال هذا العلم ، وهذه الصناعة ، فلن يكن الذين أساؤا الاستعمال من أصحاب الحضارة .

« إن الإنسان قد يصنع الحضارة ، ولكنه نفسه قد يكون غير حضاري ، أو غير متحضر ، قد ينتج بطاقته الفكرية على الأخص ما يسهم في بناء جانب الحضارة الفكرية الفلسفية ، أو العلمية والقانونية ، ولكن طاقته الأخرى الوجدانية أو السلوكية العملية ليست من التهيؤ والنضوج بحيث تجعل متحضرًا ، بالإضافة إلى ماله من اسهام في الحضارة الفكرية » (١) .

يقول الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني (٢) : إن الذي يميز الحضارة

---

(١) الدين والحضارة الإنسانية ص/٦٨ للدكتور محمد البهي .
(٢) موقف الفكر الإسلامي المعاصر من الحضارة الحديثة ١١٢ بحث مشارك في ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المنعقدة بالبحرين في شهر فبراير ١٩٨٥م

لإسلامية . أن العرب يوم آمنوا بالإسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة .
ستفوه في حياتهم . وحملوا رسالته إلى غيرهم واقعا وسلوكًا ودعوة .
ي صورتها الإيمانية والعملية . فكانوا بناة حضارة إنسانية . وكانوا
حضاريين لأن سلوكهم العملي كان سلوكا إنسانيًا . حملوا مبادئ الحق
العدل والمساواة . وطبقوها بأمانة مع الصديق والعدو . والغني والفقير .
القوي والضعيف . وكانت مؤسساتهم مدارس لأخلاقهم وقيمهم ومبادئ
ينهم وكانوا حضاريين في إقامة المجتمع على أسس إنسانية من
لأخوة و المحبة و الرحمة و الإيثار . و البعد عن الأنانية و الفردية
الاستغلال . والتحكم لمصلحة طبقة على طبقة . أو مذهب على مذهب .

ويعتبر الرسول -ﷺ- وما صدر عنه من أقوال وأفعال قمة الحضارة
لإنسانية . فهو حين هاجر إلى المدينة كان أول عمل يقوم به بناء
لمسجد الذي يجتمع فيه الناس لعبادة الله وحده وتطهيرًا لنفوسهم .
تهذيبًا لها . وشكرًا للمنعم على ما تفضل به عليهم من نعم . ثم آخى بين
المهاجرين والأنصار تحقيقًا للأمان . واستقرار النفوس . ثم أمر ببناء
سوق للمسلمين بعيدًا عن سوق اليهود الذي يتعامل بالبيوعات الممنوعة
شرعا . وحرر الوثيقة المعروفة التي تبين علاقة المسلمين بغيرهم . و وزع
لأرض على المسلمين . فقد مكن ذوي اليسار من احياء الأرض الميتة .
وملكها لهم بإحيائهم لها . ودعى إلى البناء والأعمار . وإصلاح الطرقات .
حفر آبار المياه وغير ذلك من متطلبات الحياة . حتى إنه - عليه الصلاة
والسلام - جعل الناس جميعًا شركاء في الماء والكلأ والنار . وهذا ما يدل
على عمومية الحضارة الإسلامية وشموليتها . وإنها تستهدف أسعاد
الناس بإقامة الحق والعدل والمساواة . ورعاية الضعفاء . ونصرة
لمظلومين . وكبح جماح الظالمين والبغاة والمفسدين . والمتسلطين على
قات الناس والمستبدين من حكام ومحكومين . لإقامة مجتمع فاضل .
تسوده شريعة الله الخالدة . عقيدة وسلوكًا ومنهجًا .

ومن هنا يصبح الجهاد في الإسلام صراعا حضاريا بكل المفاهيم ﴿ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ (١) .

وقال سبحانه : ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون﴾ (٢) .

وقال جل شأنه : ﴿يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال﴾ (٣)

وهكذا تتصارع الحضارات ، ولكل منها أنصارها إن حقا فحقا وإن باطلا فباطلا ، ذلك أن العلم وحده لا ينفع دون عاصم من خلق ، والقوانين واللوائح والأنظمة لا تصلح دون وازع الضمير ، لذا كانت حضارة الإسلام يغلب عليها الطابع الأخلاقي الذي يلاحظ في تربية الفرد ، وفي تكوين الأسرة وبناء المجتمع ، كما يلاحظ في إقامة الدولة ، وعلاقتها بالأفراد والدول في السلم والحرب ، وتنظيم شؤون الناس في شتى مجالات الحياة .

إن الخلق الكريم هو الضمان الوحيد لكل مجتمع من الانحراف ولكل دولة من الظلم ولكل حضارة من الفساد .

هذا هو سبيل تكوين الأمم وإنشاء الحضارات ، فإذا ما أردنا لحضارة الإسلام الثبات والدوام ، فلنبدأ بمجاهدة النفس صيانة لها ، وحفاظا على فطرتها ، فتغيير النفوس هو الانقلاب الكبير ، والإصلاح الشامل لكل مجتمع وأمة ، وإن القوانين والعقوبات وحدها لا تكفي مهما كانت رادعة قاسية ، ومن ثم كان ميدان جهاد النفس والضمير الوسيلة الأولى للارتقاء بالإنسان إلى أسمى درجات الكمال .

... ...

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥١ .
(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ١٨ .
(٣) سورة الرعد ، الآية : ١٧ .

نظرة تاريخية سريعة حول علم الدلالة

بقلم الدكتور محمد عبد الشهيد النعماني
رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كراتشي - باكستان

علم الدلالة :

لا شك أن علم الدلالة (Semantics) من العلوم التي اكتشفت حديثا ، بل من أحدث فروع علم اللغة كلها وبدأ الاهتمام بهذا الفرع من اللغة في القرن التاسع عشر .

ولكن الدلالة والبحث حولها من البحوث القديمة شغل بها الفلاسفة والمناطقة من اليونان والرومان والهنود وأسهب في بحثها علماء العرب اللغويين ونحن نعرف جهود اللغويين والبلاغيين من العرب في هذا .

كان اهتمام فلاسفة الرومان واليونان منحصرا في بحث العلاقة بين أصوات الكلمات ومدلولاتها وبين الكلمات نفسها ومدلولاتها وعما إذا كانت هذه العلاقة رمزية أو أنها مجرد مصادفة أو بألفاظ أخرى : بين الدال والمدلول أو اللفظ والمعنى .

وكذلك بدأ النقاش بين فلاسفة الهنود واللغويين في موضوع علم الدلالة منذ بدأ التفكير اللغوي عندهم وخاضوا فيه خوضا عميقًا حتى ظهرت فيهم مدارس في مسألة العلاقة بين اللفظ والمعنى فمنهم من أثبتوا أن العلاقة بينهما علاقة فطرية قديمة وطبيعية ومنهم من أثبتوا أن علاقتهما ضرورية شبيهة بالعلاقة اللزومية بين النار والدخان .

وادلى أصوليو العرب والمناطقة دلوهم في هذا الموضوع أيضًا فنقل عن

الرازي أنه قال : لا يجب أن يكون .. معنى لفظ لأن المعاني التي يمكن أن تعقل لا تتناهى والألفاظ متناهية لأنها مركبة من الحروف والحروف متناهية والمركب من المتناهي متناه .

واستدل عليه جماعة بأن اللفظ يتغير بحسب تغير الصورة في الذهن فإنه مثل المعنى . وذهب الأصوليون في أبحاثهم في الوضع إلى ضرورة وجود المناسبة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله .

واختار هذا المذهب جماعة من اللغويين منهم ابن جني فإنه عقد له بابا في مصنفه الكبير « الخصائص » تحت عنوان : « مناسبة الألفاظ للمعاني » .

وللمناطقة كذلك باع طويل في مسألة « الدلالة » اللفظية فقد بحثوا هذا الموضوع في كتبهم ومصنفاتهم وقسموا الدلالة إلى ثلاثة أوجه متباينة :

١ - المطابقة . ٢ - التضمين . ٣ - الالتزام .

كما ذكرنا أن أول بحث ظهر حديثا في علم الدلالة (Semantics) كان في أواخر القرن التاسع عشر . وأول من استخدم كلمة سيمانتيك كان هو العالم الفرنسي بريال (Breal) عام ١٨٩٧م في بحث له بعنوان : « مقالة في السيمانتيك » (Essai de Semantiqui) .

واعتبر بحثه وقتئذ ثورة في دراسة علم اللغة وأول دراسة حديثة لتطور معاني الكلمات .

وقد استعمل فيما بعد المصطلح الإنجليزي (Semantics) كمقابل للمصطلح الفرنسي (Semantique) واختار جماعة استخدام المصطلح الإنجليزي (Semasiology) ولكن الفضل والغلبة للمصطلح الأول نظرا

لقصرة وسهولة نطقه .

ومن الواضح أن علم الدلاله بالمعنى العلمي الدقيق من أصعب المستويات اللغوية وأشقها على نفس الدارسين لأنه يعرض لمشكلة المعنى . والمعنى اللغوي كما هو معروف موضوع يتعلق بكل شئ في حياة الإنسان ثقافاته وحضراته . وقيمه ومثله وعاداته وليس من السهل على الدارس أن يحدد هذا كله ويتعرف عليه تعرفا دقيقا إلا بدراسة طويلة شاقة

ولهذا ذهب طائفة من اللغويين إلى إخراج مشكلة المعنى نهائيا من البحث اللغوي

ويرى فريق آخر أن علم الدلاله نفسه ليس من فروع علم اللغة وإنما هو حقل للدراسة يرتبط بميادين أخرى كثيرة كالمنطق والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع .

وأما من تعرف من اللغويين لهذا العلم ولدراسة المعنى فقد ظهر الخلاف فيما بينهم فيما يتعلق بوظيفة هذا العلم وفي المعنى نفسه

ومعظم العلماء يعرفون علم الدلاله بانه ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى . وهذا التعريف يستلزم أن يكون موضوع علم الدلاله هو اي شئ أو كل شئ يقوم بدور العلامة او رمز هذه العلامات او الرموز قد تكون كلمات وجملا

ورغم اهتمام علم الدلاله بدراسة الرموز وأنظمتها حتى ما كان منها خارج نطق اللغة فإنه يركز من بين أنظمة الرموز على اللغة باعتبارها ذات اهمية خاصة في حياة الإنسان .

ومن أجل اهتمام علم الدلالة بكل ما يحمل معلومات فإنه يشتمل بحوثا كثيرة استقل الان كل من الأخرى واصبح موضوع شعبة دراسة قائمة

بذاتها وأهم هذه البحوث ما يلي :

١ - البحث في معاني الكلمات ومصادر هذه المعاني وصوت بعض « معاني الكلمة ونشأة معان جديدة » .

٢ - البحث في القواعد المتصلة باشتقاق الكلمات وتصريفها وتغير ابنيتها بتغير المعنى وما يتصل بذلك . ويطلق على هذا البحث اسم المورفولوجيا « علم البنية » .

٣ - البحث في أقسام الكلمات وأنواع كل قسم و وظيفته في الدلالة وأجزاء الجملة وترتيبها وأثر كل جزء منها في الآخر . ويطلق على هذا البحث اسم السنتكس .

٤ - البحث في أساليب اللغة واختلافها باختلاف فنونها وباختلاف العصور والأمم الناطقة بها والطرق التي تسلكها الأساليب في تطورها ويطلق على هذا البحث اسم « استيليستيك » .

وعلم الدلالة لا يقف فقط عند البحوث المذكورة بل يهتم كذلك بالإنسان وعادته الاجتماعية وطرق الاتصال القائمة بين الأفراد والالات المستخدمة في ذلك . وأكثر اهتمامه يتوجه للعمليات العضوية المركبة في الفم وأعضاء النطق بالنسبة للمتكلم وتتبع ما تحدثه من اهتزازات هوائية تلتقطها أذن السامع .

وكذلك يهتم علم الدلالة بمبحث العلاقة بين الدال والمدلول أو اللفظ والمعنى .

من أشهر علماء علم الدلالة الحديثة :

١ - وتني (Withne) من بريطانيا وأشهر مؤلفاته :

أ - حياة اللغة (ظهر عام ١٨٧٥م) .

ب- اللغة ودراستها ظهر عام (١٨٦٧م) .

٢ - آرسيني دارمستتير (Arsene Dranesteter) (فرنسي) .

أشهر مؤلفاته : حياة الكلمات (La Vie Des Mots) .

٣ - بريال (Breal) (فرنسي) أشهر مؤلفاته :

بحث في السيمنتيك (Essais de Semantique) ظهر في طبعة إنجليزية بعد ثلاث سنوات فقط . عنى المؤلف فيه ببحث الدلالة في بعض ألفاظ اللغات القديمة التي تنتمي إلى الفصيلة الهندية الأوربية مثل اليونانية واللاتينية والسنسكريتية وأعتبر بحثه وقتئذ ثورة في دراسة علم اللغة وأول دراسة حديثة لتطور معاني الكلمات .

٤ - ألبير دوزا (Albert Dauzat) (فرنسي) أشهر مؤلفاته .

أ- فلسفة اللغة . في موضوع السيمنتيك

ب- حياة اللغة . في موضوع السيمنتيك

ج- اللغات العامية أو الريفية

د- دراسات لغوية للهجات أو فيزي السفلى .

هـ- كروس (Croce) من إيطاليا .

و- فونت (Wundt) من ألمانيا

ز- تام (Thumb) من ألمانيا .

ح- مارب (Marbe) من ألمانيا

وأما : رتشرد (Richard) . و أوكدين (Ogden) .

فاشتهر تأليفهما :

معنى المعنى (The Meaning of Meaning) أنهما وضعا في هذا الكتاب نظرية للرموز والعلامات وعرفا ستة عشر تعريفا للمعنى وعالجا مشاكل

الدلالة من نواحيها المتعددة المعقدة وبحثا في ضوء النظم الاجتماعية وفي ضوء علم النفس من شعور وعاطفة .

١ أولمان (Ulman) من ابرز المتخصصين الحاليين في دراسة المعنى ، أشهر مؤلفاته :

أ - علم المعنى (Semantics) .

ب - أسس علم المعنى (Principle of Semantics) .

ج - دور الكلمة في اللغة (Words and their use) .

« ترجم الدكتور كمال بشر هذا الكتاب إلى اللغة العربية ، ونشر من القاهرة أكثر من مرة » .

من المؤلفين العرب :

الدكتور إبراهيم أنيس : أشهر مؤلفه في السيمانتيك ، دلالة الألفاظ (طبع مرارا) .

حاز به مؤلفه جائزة الدولة التشجيعية للأدب عام : ١٩٥٨م .

موقف قدماء العرب في موضوع علم الدلالة :

من المعروف أن اللغويين القدماء لم يعتنوا ببحث الدلالة كما اعتنوا ببحوث أخرى من اللغة وخاصة ما يتعلق بشكل الكلمة ومادتها مثل الاشتقاق والأبنية المتعلقة بشكل الكلمة ومادتها .

ومع ذلك نرى أنهم عالجوا كثيرا من المسائل المتعلقة بمعاني الألفاظ ودلالاتها وكانت مصنفاتهم المعجمية وخبرتهم الميدانية سابقة على النظر العقلي في قضية الدلالة .

إن أول مجهودهم باللغة في علم المفردات العربية وهو على يد من اللغويين الذين عاشوا في القرن الثاني للهجرة . ومن أشهرهم خليل بن

أحمد الفراهيدي سنة ١٧٠ والأصمعي سنة ٢١٢ وأبوزيد سنة ٢١٤ .

هؤلاء خرجوا إلى البادية وألفوا كتبا في موضوعات الحياة البدوية ، وليس هذا العمل إلا تصنيفا للغة بحسب الموضوعات والمعاني .

وبجانب هذا الجهد المعجمي الذي ظهرت ثماره في مئات المجلدات هناك دراسات حول القضايا الدلالية بعضها مما يدرس في علم اللغة الحديث وبعضها مما يطرح اطراحا .

فذهب معظم اللغويين في بحث حول الدلالة إلى بحث كيفية اكتساب اللفظ لدلالته وأبحاثه له وقضية الحقيقة والمجاز والمشترك والاضداد وقضية الترادف وغير ذلك من القضايا اللغوية .

وسبب وقوف العرب عن البحث حول الدلالة حرصهم وحفاظهم على اللغة القديمة ، لذلك نرى أنهم يسمون الاستعمال بالمولد وقصروا قبولهم على لغة القدماء التي حدودها بزمان معين وأمكنة معينة ، وقد وضعوا في هذا مصنفاتهم التي أسموها لحن العامة أو ما يشير إلى ظاهرة التطور الدلالي .

حتى قرر ابن فارس أن أي تغير يطرأ على المعنى موقوف على ما سمع . إلا أن ذلك كله لم يوقف الحركة المستمرة لتطور الدلالة اللفظية .

ولتطور الدلالة وتغيرها في اللفظ طرائق مختلفة نص الدارسون وأهمها :

١ - التعميم . ٢ - التخصيص . ٣- تغير مجال الدعوة .

٤ - الاستعارة والمجاز .

وهناك عوامل أخرى للتطور الدلالي وهي عوامل نفسية اجتماعية منها :

١ - رقي الدلالة وانحطاطها ٢ - المحظور .

٣ - التحول نحو المعاني المضادة. ٤ - حسن التعبير .

٥ - سوء فهم المعنى . ٦ - تماثل صورة اللفظ .

٧ - تغير المعنى تبعا لتغير اللهجة .

وغير ذلك مما كان له الأثر الكبير في تطور معاني المفردات .

بعض المؤلفات القديمة حول الدلالة :

ظهرت في اللغة العربية منذ وقت مبكر كتب كثيرة تحتوي من قريب أو بعيد للبحث في اللفظ وصلته بالمعنى . وكان لكتب غريب القرآن ومشكل القرآن أكبر الأثر في توجيه البحوث اللغوية في مدلول اللفظ .

ونهج اللغويون في بحوث المدلول مناهج مختلفة وتتبين بعض المناهج من هذه الدراسات لتعكس ألوانا من الدراسات الدلالية :

١ - سيبويه :

عقد للدلالة فصلا في مصنفه الكبير « الكتاب » قسم فيه ألفاظ العربية حسب انصرافها إلى دلالتها معنونا إياه (باب اللفظ للمعاني) .

٢ - قطرب :

« مثلثات » نشرها الدكتور ادغست هتر ضمن « البلغة في شذور اللغة » من بيروت سنة ١٩١٤م .

وهو نمط فريد من التأليف في الدلالة لأنه أول من ألف في المثلثات والمقصود بالمثلثات هو الألفاظ التي وردت على ثلاث حركات بمعان مختلفة من مثل قوله :

إن دموعي غَمِرُ و ليس عندي غِمرُ
يا أيها ذا الغُمُر اقصر عن التعتب

والمثلثات نوع من المشترك اللفظي وهو من الموضوعات التي تصور نمطًا خاصا من أنماط البحث في دلالة اللفظ له القيمة الكبرى في تحديد كثير من المعاني الخاصة باللفظ الواحد التي اختلط الأمر فيها على الدارسين في ظواهر اللغة .

٣- أبو العميثيل الأعرابي : (٢٤٠هـ) « عبد الله بن خليد »

كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه « إلا أن شهرة الكتاب » « بالمأثور » يتناول المشترك اللفظي بوجه عام وهو معجم للألفاظ المشتركة ذكر المؤلف بعد ذكر كل مادة على عدد معانيها

والملاحظ على المؤلف إغفاله الروابط الدلالية الواضحة بين معاني الكلمة فقد يعتبر ما هو في الأصل معنى واحد عدة معان هي أوجه اللفظة مثال ذلك .

القلت على ستة أوجه :

١ - الحفرة أو النقرة تكون في الجبل يجتمع فيها ماء السماء .

٢- ما اطمأن من الخاصرة . ٣ - ما بين الترقوتين

٤ عين الركبة . ٥ - ما بين الابهام والسبابة

٦ - النقرة في أصل عين الفرس والبعير ما بين العينين والأذن .

و واضح من الأوجه التي ذكرها أنها تلتقي في المعنى الحسي الأول وهو النقرة أو الحفرة في الجبل . ونعرف أن في الأمر تطورا دلاليا دعته المشابهة مرة والتخصيص تارة حتى صارت اللفظ منصرفة إلى هذه المعاني جميعا وهي في الأصل شئ واحد وهو النقرة مهما كان حجمها وسعتها وأين ما كانت . وعلى كل حال كتاب أبي العميثيل صورة صادقة للبحث القديم في مسألة الدلالة .

٤- أبو عبيد قاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ .

« كتاب الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى » .

يتناول الكتاب كلمات المشترك اللفظي في الحديث النبوي طابع المؤلف فيه الاختصار الشديد والاكتفاء في معظم الأحيان بذكر الكلمة ومعناها دون ذكر أمثالها أو اقتباس شاهد عليها .

وهذا الكتاب مستخلصة من كتابه المشهور « غريب الحديث » .

٥- المبـــــرد :

« كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد » موضوع الكتاب كلمات المشترك اللفظي التي وردت في القرآن الكريم ولكن المؤلف لم يكتف بذلك فقيد نفسه أكثر من المشترك .

٦- كراع النمل أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي سنة ٢٢٠هـ .

المنجد في ما اتفق لفظه واختلف معناه قسمه المؤلف إلى ستة أبواب .

وترجع قيمة الكتاب إلى ما يأتي :

أ- انه أقدم كتاب يحتوي على قرابة ٩٠٠ كلمة .

ب- أول كتاب تبدو فيه روح النظام .

ج- من أوائل الكتب التي روعي فيه ترتيب المادة اللغوية وصورة الكلمة التي تنطق بها لا جذرها .

د- إنه من أوائل الكتب التي روعى في ترتيبه ثوانى الكلمات كذلك .

هـ- إن كثيرا من مادته اللغوية مأخوذ من المراجع القديمة لم تصل إلينا ولذا يعد كتاب الكراع أقدم كتاب يحتوي عليها .

و- إنه يحتوي على مجموعة لا بأس بها من التعبيرات المحلية وبخاصة

تلك المنسوبة إلى جنوب العرب ومصر .

٧- ابن دريد (٣٢١هـ) . اللاحن (هي الكنايات أو التوريات) .

وهو لون آخر من ألوان البحث في الدلالة . يقوم على ما يمكن أن يرمز إليه اللفظ من معنى غير معناه الشائع المألوف على سبيل الكناية واللغز والمحاجاة .

وذكر ابن دريد في هذا الكتاب بالألفاظ وما يمكن أن يقسم عليه من معانيها ويبين المعنى الأصيل والمستعار .

نشر هذا الكتاب إبراهيم طفيش الجزائري من القاهرة .

فهذه الكتب هي نماذج من مئات الكتب المدونة في دلالة الألفاظ تعكس ألوانا مختلفة من هذه الدراسات المتشعبة الكثيرة في هذا الميدان الواسع .

وكان من الضروري دراسة الدلالة دراسة موسعة تبسط فيها كل الآراء والنظريات المتعلقة بدلالة اللفظ ودلالة الصوت وعوامل التطور والتعرف على نماذج مما ألف القدماء في هذا الموضوع .

... .

بعض المراجع :

(١) علي عبد الواحد وافي : علم اللغة . مصر دار نهضة مصر عام ١٩٦٧م .

(٢) علي عبد الواحد وافي : فقه اللغة

(٣) دكتور أحمد مختار عمر : من قضايا اللغة والنحو . مصر : عالم الكتب عام ١٩٧٤م .

(٤) محمود فهمي حجازي : علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة . مصر : الهيئة المصرية العامة عام ١٩٧٠م

(٥) إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ . مصر : مطبعة الانجلو المصرية عام ١٩٧٦م .

(٦) استيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة . مصر . مطبعة الشباب .

(٧) محمد حسين آل ياسين : الأضداد في اللغة . بغداد : مطبعة المعارف عام ١٩٧٤م .

(٨) ج. وندريس : اللغة . مصر : مطبعة الانجلو المصرية .

(٩) كمال محمد بشر : دراسات في علم اللغة . مصر : دار المعارف سنة ١٩٧١م .

(١٠) تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها . مصر : الهيئة المصرية العامة عام ١٩٧٣م .

الكارثة الطبيعية ، وكارثة طبيعة الإنسان

واصع رشيد الندوي

اجتاحت سلسلة من الهزات الأرضية منطقة واسعة في ولايه مهاراشترا بغربي الهند في ٢٠ سبتمبر ١٩٩٢م ، ودمرت ثمانين قرية في لاتور وعثمان آباد ، في دقائق . ويقدر عدد السكان في المنطقة بأكثر من مائة وثلاثين ألفا ، وأفادت التقارير الأولى بأن أكثر من ٢٥ ألفًا قد دفنوا تحت الانقاض ، وتم اخراج حوالي عشرة آلاف جثه من المدفونين تحت انقاض ودمرت البيوت المتهدمة بكاملها ، وتفيد التقارير الصحفيه بأن عدد المنكوبين أكبر من العدد الذي تقدره الجهات الرسمية .

ومن الغريب أن المنطقة التي نكبت بهذه الكارثة كانت تعتبر من المناطق المأمونة من الزلزال ، ولذلك لم تتخذ إجراءات للوقاية من الزلزال كما هو من العادة في المناطق التي تحدث فيها الزلازل لوقوعها في حزام الهزات الأرضية ، كآسام وبنغال ، ومنطاق أخرى في شمالي الهند ، حيث تتكرر حوادث الزلزال . ولذلك كانت الخسائر في هذه المنطقة المنكوبه أخيرا ، أوسع . وقد هزت هذه الكارثة البلاد بكاملها ، واثرت هذه الكارثة في العالم الخارجي أيضًا ، وقدمت دول كثيرة مواد الاسعاف ، حسب إمكانياتها ، وحسب صلتها بالهند ، وحسب مصالحها ، وقدمت دولة

لكويت معونة محترمة ، تزيد عن معونات بعض الدول الكبرى ، ما يدل على صلة الكويت الوثيقة بالهند ، وقدمت كذلك باكستان مواد الإسعاف ، وأبدت تأثرها بهذه الكارثة الإنسانية ، رغم الخلافات الشديدة بين البلدين ، وذلك واجب إنساني ، وتلقت الهند هذه المساعدات بطيب الخاطر مشكورة واعتبرت هذا العمل مواساة ، وتعبيرًا عن العاطفة الإنسانية .

وقد قدمت الدول المساعدة هذه المساعدات بدون أي اعتبار للعنصر الذي نكب بهذا الحادث ، ولطبيعة الصلات القائمة بينها وبين الهند ، فإن بعض الدول التي قدمت المساعدة لم تكن على صلة طيبة مع الهند ، بل يوجد بينهما صراع ، لوجود قضايا ، معقدة بينهما ، ويتهم كلاهما الآخر بالتدخل في الشئون الداخلية ، وإحداث قلاقل في البلاد ، ولكن لم تحل هذه القضايا دون تقدم أي بلد من هذه البلدان بالمساعدة الإنسانية ، ولم ترفض الهند هذه المساعدة باعتبارها تدخلا في الشئون الداخلية .

هذا هو الشعور الإنساني النبيل الذي يبرز عادة أثناء كل نكبة أو مأساة إنسانية ، ولمواجهة مثل هذه الأوضاع الطارئة توجد في العالم جمعيات ، ومنظمات للإغاثة ، كجمعية الصليب الأحمر ، والهلال الأحمر ، وهناك وكالات تابعة للأمم المتحدة ، وهناك منظمات لإنقاذ المباني الأثرية ، والمعابد القديمة ، تعمل عملها إذا حدثت نكبة ، وهو عمل مشكور ، ويجب أن يعترف بهذا الجميل ، وكثير من هذه المنظمات توجد في الدول الأوربية فتسرع هذه المنظمات لعملية الإنقاذ ، وكذلك إذا تعرضت سفينة ، أو طائرة ، لحادثة تسرع جميعات الإنقاذ والإسعاف للنجدة ،

أو إذا شب حريق ، فلا يرى أحد من هو المنكوب ، وما هو جنسه ، وعنصره وعقيدته ، لأنه واجب إنساني ، وتزداد أهمية هذا الواجب في عصر الحضارة والحقوق الإنسانية التي وضعت لها مواثيق عالمية ، ويعتز بها دستور كل بلد .

ولكن في الوقت الذي يتقدم العالم للاستجابة لنداء الضمير الإنساني في مثل هذه الكوارث الطبعية ، ويتخذ الإجراءات اللازمة ، و تتجاوب الدولة المنكوبة مع هذه الإجراءات ، من الغريب انه إذا وقعت الأحداث التي تصبح فيها طبقة مستهدفة لأعمال القتل ، والنهب ، والمعاناة ، والحرق ، واستهاك الحرمات ، و تتعرض المباني ، و المعابد للهدم ، و الإهانة ، ويتصاعف عدد المصابين بجراء أعمال طبقة أخرى من الإنسان لا يثور ضمير الإنسان ، وإذا ثار ضميره اعتبر ذلك تدخلاً في الشئون الداخلية إنها ظاهرة غريبة .

ويمكن أن يقال إن ضمير الإنسان لا يثور لأن الإنسان هو سبب هذه المعاناة ، ويصبح فريق من فرقاء هذه الحوادث معتديًا ، وآخر معتدى عليه ، ولكن أليس من واجب الضمير الإنساني الحر أن يأخذ بحجر المعتدى ويمنعه من الاعتداء ، للحد من معاناة البشر ، ولتضييق نطاق التدمير ، ولصيانة حقوق الإنسان .

لقد لقي في هذه الهزات الأرضية ثلاثون ألف شخص حتفهم ودمرت ممتلكاتهم ، ولكن لهم دولة ذات إمكانيات هائلة ترعى شئونهم ، وشعب كامل يستعد لإنقاذهم ويتبرع كل مواطن من دخله لتخفيف معاناتهم ، وهو حق مشروع ، و واجب إنساني ، ويتقدم أعضاء الأسرة البشرية

لاسعافهم ، و لكن تتعرض مجتمعات بشرية في بعض أنحاء العالم اليوم لحوادث خسائرها أوسع من خسائر هذا الزلزال . ومعاناة الإنسان فيها أكبر من معاناة الإنسان في الزلزال الأرضي الموقت الذي لا يدوم إلا دقائق .

لقد قتل ٢٥٠ ألفًا في البوسنة والهرسك ودمرت مساكنهم ومساجدهم . ولا تزال تحدث هذه الوقائع المؤلمة . ويواجه عنصر كامل من العناصر الإنسانية الإبادة الكاملة . وتنتهك حرمات النساء ، بطريق وحشي لا نظير له في التاريخ لمجرد اختلافهم في العقيدة . ويقوم بمثل هذه المجزرة اتباع دين يدعون بالمحبة والإنسانية ، ويتهمون المعتدى عليهم بالإكراه .

إن هذه الكارثة أكثر من زلزال هركيان منطقة مهما كانت هذه المنطقة شاسعة ، وأكثر تدميرًا و معاناة ، ولكن لا يسمع نداء هؤلآء المنكوبين بل تفرض عليهم قيود . وتملى عليم الشروط للمساعدة ، وتمنع عنهم الوسائل للدفاع عن أنفسهم ، وتتفرج على معاناتهم الدول الكبرى وتبدى كأنها عاجزة عن الدفاع عن هذه الطبقة من الناس .

هل قوة الصرب أكبر من قوة أمريكا التي تدعى أنها سيدة العالم . ومن قوة حلف ناتو ، والاحلاف الأخرى ، فلا يتصدى أحد لمنع هؤلآء الطغاة الوحوش من ممارسة أعمالهم الوحشية . ولا تصل إليهم المعونات المالية والمادية ، إلا فلوس الفقراء والمساكين من المسلمين ، أما الدول الإسلامية فضلا عن الدول غير الإسلامية فهي مكبلة بالقيود التي وضعتها عليها الدول الكبرى التي ترتبط بها مصالحها .

إنها أيضًا كارثة إنسانية ، وهناك كوارث مماثلة في أنحاء العالم الأخرى يشقى المجتمع البشري فيها ، تتصارع المصالح السياسية والتحفظات القومية والميول الفكرية ، وتتفاقم الأوضاع وتتسع دائرة المعاناة لعدم تحرك قوى الإنقاذ .

لقد كان من واجب الإنسان أن يتقدم لإسعاف كل من هو منكوب ، وينصر المعتدى عليه ، بدون التمييز على أساس العنصر والجنس والعقيدة كما يتقدم في أحوال الكوارث الطبيعية ، لأنها كوارث تنشأ من طبيعة الإنسان الفاسدة ، والإنسان إذا فسدت طبيعته فهو أخطر من أي زلزال وخسائره أوسع من خسائر الزلزال .

ولا يعتقدن من الناس أن الزلازل الطبيعية تحدث أيضًا نتيجة لفساد طبيعة الإنسان ، وانغماسه في المعاصي ، وإذا درست خلفيات مثل هذه الكوارث الطبيعية عرفت حقائق مؤلمة ، فإن دعوة المظلوم قد تكون سببًا لزلزال ، وانتهاك حرمة امرأة قد يكون سبب زلزال أو كارثة ، وليس ذلك من المستغرب ، بل له أمثاله في التاريخ . وقد سقطت امبراطوريات كثيرة بسبب ظلم أو اعتداء على إنسان ضعيف ، رفع يده بدعوة المظلوم فاهتز به العرش الإلهي .

... .

[يقول الله تعالى في كتابه العظيم : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم • إن زلزلة الساعة شئ عظيم • يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت • وتضع كل ذات حمل حملها • وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ (سورة الحج)]

إلى رحمة الله :

الأستاذ عبد العزيز الرفاعي

بقلم: فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي
نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية

لقد فقد العالم الإسلامي بوجه عام والعالم العربي بوجه خاص شخصية كبيرة من الشخصيات الإسلامية الأدبية و الاجتماعية في الأيام الماضية و هي شخصية الأستاذ الكبير عبد العزيز الرفاعي أمين عام مجلس الوزراء في المملكة العربية السعودية سابقًا وعلم من اعلام الأدب وعضو شرف لرابطة الأدب الإسلامي العالمية .

فقد كان همه الأكبر بعد أداء مسئوليته في المنصب الحكومي هو الأدب فقد كان يعقد ندوات أدبية في منزله بالرياض يحضرها المهتمون بالأدب ، ورجال الثقافة و العلم يتبادلون الراي ويتناقشون موضوعات أدبية مهمة وبذلك خدم الأدب خدمة مشكورة جليلة وقد أصدر بجنب ذلك عددًا من مؤلفات قيمة في الأدب والثقافة

كان الأستاذ الكبير - رحمه الله تعالى - بمثابة منتدى أدبي للمهتمين بالأدب ، و كان مركزًا للنشاطات الأدبية التي كان يقوم بها عدد منهم ، وكان منزله بذلك كعكاظ أدبية .

لقد كان المرحوم يقوم بتشجيع النشاطات الأدبية وبخاصة منها الإسلامية فقد حضر مؤتمر الأدب الإسلامي الأول الذي عقدته ندوة العلماء في عام ١٤٠١هـ في لكناؤ وكان المؤتمر عظيما حافلا اشتمل على شطرين شطر عربي وشطر للغات الأخرى من إنجليزية وأردية وهندية ، واختير فيه المرحوم الأستاذ عبد العزيز الرفاعي مقررًا عامًا للشطر العربي وقد ألقيت في هذا الشطر بحوث كثيرة ، وشكلت بقرار من المؤتمر أمانة دائمة للأدب الإسلامي واختير الأستاذ المرحوم أحد النواب الثلاثة للرئيس في هذه الهيئة وهي التي أسفرت فيما بعد عن تشكيل رابطة

الأدب الإسلامي العالمية في جلسة للمهتمين بالفكرة الإسلامية في مكة المكرمة .

لقد جاءت وفاة الأستاذ المرحوم عبد العزيز الرفاعي كحادثة كبيرة لأنصار الأدب العربي والأدب الإسلامي ولقد سمع سماحة أستاذنا الشيخ الجليل السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي خبر وفاته بأسى وحزن كبيرين ، وأبدى أسفه الشديد ودعا الله سبحانه وتعالى أن يتقبل من المرحوم صالح أعماله ويعفو عن الخطايا و ينزله في عظيم جناته ، ويلهم ذويه الصبر والسلوان وإنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد كان الشيخ عبد العزيز الرفاعي وقورا مع دماثة في الخلق ورقة في الشعور اهتم بنشر الثقافة والأدب وعرف بهذا الاهتمام وبذوقه الأدبي في أوساط الأدب والعلم وارتبط اسمه بمنجزات ثقافية عديدة في المملكة السعودية . من بينها سلسلة المكتبة الصغيرة وهي سلسلة ثقافية سعودية شارك في تحريرها عدد من الكتاب والأدباء وصدرت له جملة من المؤلفات منها : الرسول كأنك تراه - حديث أم معبد - الحج في الأدب العربي ، يوميات مئذنة مكية - خولة بنت الأزدر - من عبد الحميد الكاتب إلى الموظفين - توثيق الارتباط بالتراث الإسلامي - زيد الخير - أم عمارة الصحابية الباسلة - ارطاة السهمي - ظلال وأغصان - رحلتي من المكتبات - رحلتي مع التأليف - أعلام العلماء - الإعلام ببناء المسجد الحرام - وكان من المشاركين في إصدار مجلة « عالم الكتب » و هو عضو في لجنة الاشراف على مجلة « العربية » كان عضوا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ، والمجلس الأعلى للاعلام ، ومجمع اللغة العربية بمصر. وكان قد اختير عضوا في المجلس الشورى السعودي في عام ١٤١٤هـ . وكان قد نال جوائز تقديرية عديدة من الدول السعودية وغيرها . رحمه الله رحمة واسعة .

••• •• •••

إلى كل من يهمه أمر الدعوة الإسلامية :

تونس اليوم

قلم التحرير

سبق أن نشرنا في العدد الخامس للمجلد الثامن والثلاثين عدد محرم - صفر ١٤١٤هـ رسالة بعثها إلينا الملحق الصحفي بسفارة تونس في لهند . وطلب منا نشرها وأكد لنا أنها تعبر عن الحقائق الراهنه في هذا البلد الإسلامي . الذي له تاريخ إسلامي حافل بأمجاد الحضارة الإسلامية والتراث الإسلامي .

ونشرنا هذه الرسالة . ونحن متفائلون بما جاء في الرسالة من بشائر تقر عين كل مسلم . ما كنا نظن أنها لغة السياسة المعاصرة ومجرد دعاية تجعل الرائد لا يلتزم بالمثل العربي الذي يقول : « الرائد لا يكذب أهله » .

لقد كان عجبنا شديدًا وأسفنا بالغًا حينما اطلعنا على بعض الحقائق المنشورة في بعض الصحف الهادفة الرائدة . وهي تكذب كل ما جاء في الرسالة المذكورة أعلاه . وإلى القراء الكرام بعض المقطوعات مما يجري في تونس الإسلامية اليوم .

١- ملاحظات زائر

قمنا بزيارة إلى تونس وصدف أننا يوم الجمعة . فلما ذهبنا إلى المسجد وقت صلاة الجمعة فلم تقم الصلاة في موعدها ولكن أخروها إلى وقت العصر .

وعندما سألنا عن ذلك كان الجواب : إن صلاة الجمعة تؤخر إلى وقت العصر كل جمعة .

فغير معقول أن يحدث هذا الشئ في بلد إسلامي وعربي . هذا من ناحية . ومن ناحية ثانية فإن العطلة الأسبوعية في هذا البلد هي يوم الأحد ليست يوم الجمعة . وكأن تونس تدين بالدين المسيحي وليست بالدين الإسلامي .

وبعد فهذه بعض مشاهداتنا خلال زيارتنا لهذا البلد العربي الإسلامي .

عايد حامد الرشيدي - الكويت

[مجلة المجتمع العدد ١٠٦٢ ، ٢٤ أغسطس سنة ١٩٩٢م]

٢- وزير الأوقاف المصري يزور تونس

في زيارته الأخيرة لتونس حضر وزير الأوقاف المصري الدكتور محمد علي محجوب إحدى الاحتفالات التي تحدثت فيها « وسيلة بلعيد » الأستاذة بكلية الشريعة وأثناء إلقائها لكلمتها خاطبت وزير الأوقاف المصري قائلة : « لن تنجحوا في مواجهتكم للتطرف في مصر طالما أنكم تسمحون للنساء بارتداء الحجاب » فبدت الدهشة على وزير الأوقاف المصري الذي تدخل نظيره التونسي/ علي الشابي لتلطيف الجو وبيان موقف الحكومة التونسية في محاربة الحجاب .

[مجلة المجتمع ، العدد ١٠٦٤ ، ٢١ أغسطس سنة ١٩٩٢م]

••• •• •••

٣- الآن تخلصت الزيتونة من عقدتها

أشرف علي الشابي وزير الشئون الدينية في تونس على سباق في مسبح بكلية الشريعة في تونس ، وقد شاركت في المسابقة طالبات كلية الشريعة في تونس وكن يرتدين « البكيني » وبعد إعطائه لإشارة الانطلاق لطالبات الشريعة اللائي يرتدين البكيني في تونس علق الوزير مبتهجًا على ذلك بقوله : « الآن تخلصت الزيتونة من عقدتها » .

« س علي »

[مجلة المجتمع ، العدد ١٠٦٣ ، ٢٤ أغسطس سنة ١٩٩٢م]

فهل لهذه الحقائق السافرة المعلومة من تأويل ؟ وهل لها من مبرر ؟ في بلد كان يعتبر ذا تاريخ مجيد وتراث إسلامي ومنارة للإسلام ؟

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشـــأهـــا :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في عام ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الإسلامي

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

العدد العاشر - المجلد الثامن و الثلاثون

رجب - شعبان ١٤١٤هـ + ديسمبر١٩٩٢م - يناير١٩٩٤م

المراسلات :

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٣ لكناؤ - الهند

ALBAAS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama
P. O. Box, 93, Lucknow (INDIA)

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية :

واقع المسلمين .. ومخططات المناوئين !

هل يمكن أن يعيش الإنسان والمجتمع الإنساني - ولا سيما في العالم المعاصر اليوم - في عزلة عن مجريات الأمور والأحداث ، وينفصل عن تيار الحياة الجارف ويصرف عنه النظر ، دون أن يأخذ موقفه مما يجرى حوله من الأوضاع ، ويرى رأيه نحوها ؟

لكي نرد على هذا التساؤل الضروري نحتاج إلى دراسة الاتجاهات والعوامل النفسية التي تدفع الإنسان إلى متابعة الأحداث وتعيين موقفه منها وتصحيح مسيرته في خضم الحياة الصاخبة والالتزامات الحضارية ، إن هذه الاتجاهات والعوامل تختلف لدى الناس باختلاف وجهات الأنظار والأفكار ، ذاك أن الإنسان المادي له اتجاهات خاصة وعوامل نفسية لا توجد عند الرجل الديني الذي تتميز عوامله النفسية وميوله الفكرية عن الرجل المادي المحدود ، وكذلك أفراد المجتمعات المختلفة يحملون أفكارًا ووجهات أنظار مضادة ، وهم يرون إلى الأوضاع والأحداث من خلال منظارهم ، ويقررون مواقفهم منها في ضوء ما يتراءى لهم من مرئيات حول القضايا والمشكلات .

إن الرجل المسلم مسئول عن التدبر في شئون الخلق والأمر قبل كل شئ ، وهو مسئول عن التأمل في آيات الله تعالى المنبثة في كل مكان ، فذلك ما يفتح فيه آفاق الفكر ويساعده في التوصل إلى حقيقة الحياة

الموجودة في هذا الكون ، و وظيفة الإنسان فيه ودوره في التوجيه والإرشاد والقيادة العالمية ، وبهذه الشمولية والتكامل يتوفر الرجل المسلم على أداء دوره الرائع في جميع مجالات الحياة وساحات العمل والنشاط ، ويبذل مجهوداته الخالصة في توثيق صلة الإنسان بالإنسان وتوطيد علاقته بالله تعالى ، ويضع إمكانياته الفكرية والعملية كلها في نشر النصح والخير والسعادة ورفع منار الاخوة والعدل ، ومحاربة الشر والفساد والطغيان والظلم ، ولا يدخر وسعًا في بناء السيرة المثالية وتثبيت دعائم الحضارة الإسلامية التي تقوم على أسس من الخلق الجميل والعقيدة الراسخة ، وتتولى توجيه الإنسان إلى مكانته الصحيحة في هذا الكون وموقفه الواضح من الحياة وما يجرى حولها من الأوضاع والأحداث .

يعاني المسلمون اليوم على المستوى العالمي من ظروف قاسية ، ويواجهون حروبًا تُفرض عليهم من جهات الرفض والأنانية ، وصراعات تتبدى في صفوفهم الداخلية ، وتمهد الطريق نحو التمزق والانشقاق ، وبالتالي إلى تصفية وجودهم أو تغيير جوهرهم ، ومن هنالك يعيشون أزمات قاسية تحاول أن تبدد طاقاتهم المعنوية والمادية وتنال من تميزاتهم الإسلامية التي هي مفخرة الإنسانية ومعجزة الإسلام ، وإن الأمة الإسلامية لم تنل العزة في يوم من الأيام إلا بما أكرمها الله به من منصب الخلافة والزعامة ، وبما من الله عليها من منهج للحياة كامل عادل ، ومن دستور خالد شامل يتمثل في كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة • وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ .

من طبيعة الحضارات المادية القائمة على المنافع الشخصية والمصالح المحدودة ، أن تفرز كل يوم أزمات جديدة ، وتستهدف معالم الأمن والإيمان والحب والسلام ، ولقد جنت هذه الحضارة على المجتمعات الإنسانية ما يفوق التصور ، وأقامت حولها من دوائر الشؤم والبلاء ومن حلقات المحن والشدائد ما الله به عليم ، وكان المجتمع الإسلامي هدفها الخاص الذي وجد نفسه محدقًا بالمصائب ، والمشكلات ، ومحاطًا بعوامل الدمار والفساد ، ولو لا أن الله سبحانه وتعالى كان قد كتب لديه البقاء والخلود وللمسلمين العز والنصر لما وُجد للمجتمع الإسلامي عين ولا أثر، ولدانت الأمة الإسلامية كالملح ، وصارت ضمن الأمم البائدة ، ولكنها أمة الخير والسعادة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأمة التوحيد والدعوة والهداية ، تعود عليها مسئولية عن إصلاح الأوضاع ، وتغيير المنكر بالمعروف ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن عبادة النفس والشيطان إلى عبادة الله وحده .

هذه المعاناة المنوعة والشديدة التي تفرض اليوم على الأمة الإسلامية من قبل الطغاة المجرمين ، وأدعياء العلم والحضارة في بلدان المسلمين ومجتمعاتهم ، تثير كوامن التساؤل في النفوس ، وهي : لماذا يستسلم المسلمون أمام الظروف ويقبلون كل ضيم وعدوان على دينهم وأخلاقهم وتاريخهم المشرق ؟ لماذا يحملون الانهزامية والتراجع إلى الوراء ويرضون بكل ما يوجه إليهم أو يفرض عليهم ؟ ولا يجدون إلى الدفاع عنهم ومقاومة الظروف سبيلا ؟

والجواب واضح لا غبار عليه ، ذلك أننا نحن المسلمين مصابون – في الواقع – بداء الوهن الذي أشار إليه رسول الله -ﷺ- في أحد أحاديثه

الشريفة وفسره بحب الدنيا وكراهية الموت . لقد كان المسلمون في سابق عصورهم يعرضون عن الدنيا ويزهدون في زخارفها فكانت الدنيا ترتمي على أقدامهم راغمة ، وكانوا يقبلون على الآخرة ولقاء الله عزوجل . فيعدون لذلك عدتهم ، ويقدمون زادًا لصالح أعمالهم ، وكانوا يمثلون إسلام الرعيل الأول من الأمة الإسلامية . فلم يكن هناك وهن ولا عجز ولا تخاذل ولا انتكاس ، ولا كانوا يعرفون للذل والشقاء معنى . لقد كانت الشعوب غير المسلمة ترتجف منهم وتخشى أن لا تدرك على غفلة وتدور عليها دائرة إذا صدر منها ما يتأذى به قلب المسلم أو يمس كرامته . ودام المسلمون على عهدهم هذا . وفي هذه المكانة ما داموا يمثلون الإسلام بوجهه الناصع الجميل ويربطون حياتهم بكتاب الله وسنة رسوله -ﷺ-. وكانوا صادقين في كل شئ وفي كل حين . دون أن تتسرب إليهم ريبة أو يخامرهم شك في أي معنى من معاني الإسلام . وقد أشاد الله بهم في كتابه فشهد بإيمانهم وقال : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا و جاهدوا بأموالهم و أنفسهم في سبيل الله • أولئك هم الصادقون ﴾ .

ثم دار بهم الزمان ، وهبطوا من قمة العز والكرامة إلى الدرك الأسفل من الذل والاهانة . ولعبت بهم الشعوب الكافرة وسخرت منهم . وتناولتهم بأقسى أنواع الظلم والعدوان . لا لشئ سوى أنهم انحطوا في الإيمان والأخلاق ونسوا الله فأنساهم أنفسهم . وقد صرح الله سبحانه بأنهم فاسقون . وكيف ينالون العزة ويعيشون في علو وهدوء وكيف يتمكنون من التظاهر بالشجاعة الإيمانية والبسالة الخلقية أمام قوى الظلم والبغي والاعتداء . وهم ممن نسوا الله فأنساهم أنفسهم . والله سبحانه وتعالى

ينهاهم عن التوصل إلى حد يستحقون فيه هذا العقاب : ﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم • أولئك هم الفاسقون ﴾ .

فالواقع الذي يعيشه الرجل المسلم في الفترة الأخيرة من التاريخ المعاصر ليس إلا أن يعتبر نفسه من ذوي الانتماءات واللافتات الإسلامية دون أن يشعر باهتزاز في قلبه على ما أكرمه الله به من نعمة الإسلام فيعيش - لذلك - مسلما من غير عاطفة إيمانية . وإذا واجهته ظروف صعبة فلا يرى بأسًا في التنازل عن بعض خصائصه الإيمانية ، سماته الإسلامية ، التي لا تكتمل شخصية المسلم بدونها إلا أنه لا يرى في هذا التنازل نقصا أو عيبا بل يحمله على المصالح الاجتماعية ومن الضرورات الحضارية .

من هنا يفترق الطريق للمسلم الواعي والمؤمن الكامل الذي ينظر الى الإسلام من خلال المنظار الإيماني والعقدي ويراه سفينة نجاة في هذا البحر الهائج المائج بالشهوات والأهواء والاعتداءات ، وبالحضارات المادية التي تعلم أتباعها فنونا من الظلم والبغي والطغيان .

والطريق الذي تتخذه فئات من جماهير المسلمين والطبقات المتوسطة والمثقفة بالثقافات العصرية التي لا يتعمق فهمها للإسلام ومتطلباته وتأثيره على الحياة ولا يتضح رؤيتها نحو الإسلام الحقيقي فهو لا يخلو من المزالق والمزلات التي تبعدها من واقع الإسلام الأصيل .

ومن هذا المفترق تتجه المسئولية إلى الطبقة الواعية والفئة الداعية إلى الإسلام ، نحو بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة وتربية الجيل المسلم على خلال الإيمان والعقيدة والأخلاق مع تأكيد أن الإسلام منهج سماوي خالد لحياة الإنسان أنزله الله تعالى عن طريق نبيه محمد - ﷺ -

إلى الناس كافة وجعله منهج الإنسان بصفة دائمة باقية في جميع الظروف والأحوال وعلى اختلاف الزمان والمكان والتطورات العلمية والتقنية ، و وجود أحدث الأساليب الوضعية للحضارة والاجتماع ، ولكن ذلك لا يتم إلا بتقديم القدوة المثالية والأسوة العملية الفائقة التي يمثلها رجال العلم والفكر والدعوة في العالم الإسلامي .

وتأتي مشكلة تربية الجيل والنش ء الحديث في رأس القائمة وهي مشكلة ذات أهمية بالغة تتطلب العناية المخلصة والسريعة في مجال إنقاذ الجيل الحديث من الشباب والأطفال - ذكورا وإناثا - من محاضن الهدم والتخريب ومراكز التدمير والتسريب التي تركز اهتمامات كبيرة على سلخ الإيمان من نفوس الأحداث والناشئة وصهرهم في بوتقة الكفر والالحاد والذوبان .

هذه القضية ليست كسائر القضايا والمشكلات بل إنها من صميم المسئوليات التي لا تحتمل أي تأخير ، وإن قليلا من الإهمال والغفلة والانتظار يؤدي إلى إبادة النسل الإسلامي وإماتة الضمير الإيماني والعاطفة الدينية من قلوب أولاد المسلمين ويسبب إخراج هيبة الإسلام وعظمته من أفراد هذا الجيل الصغير ، بل وقد يقرّبُهم من أبواب الكفر والمادية المعادية للإسلام .

أما تنظير الإسلام واعتباره دينا سماويا جاء بنظريات أخلاقية واجتماعية وسياسية واقتصادية أو ما شاكلها ، فليس مما يتفق وطبيعة الإسلام الحنيف إنما هو دين وشريعة ومنهج إلهي جاء من عند الله بغاية من الاعتدال والتوازن والشمولية والكمال فنسخ جميع الديانات السابقة والأفكار الدينية والفلسفات الأخلاقية والأساليب الحضارية ، إنه أكرم

الإنسان بحضارة إنسانية إيمانية عالمية توجه الحياة الإنسانية والمجتمع البشري إلى ما يوفر لهما السعادة والأمن والعظمة . ويمهد لهما الطريق نحو العزة والتمكين والخلافة ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلّنهم من بعد خوفهم أمنًا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئًا و من كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾.

ومع توافر شريطة الإيمان والعمل الصالح التي صرحت بها هذه الآية من كتاب الله تعالى وقيام الحياة الإنسانية على هذا الاساس المتين تنال جميع المشكلات والقضايا طريقها إلى حلول سليمة وتنتهي العقبات والأزمات التي تتعرض في سبيلنا نحو أداء شعائر الإسلام وتطبيق شريعة الله على الحياة والمجتمع . ولا شك فإن وجود الإيمان والصالحات من الأعمال يتكفل بتطهير الساحة عن كل مشكلة وقضية معقدة تهدد بالمستقبل وتنذر بشر مستطير .

ليست المسألة مسألة ضعف الوازع الديني في المسلمين بل المشكلة الرئيسية هي ما نعبر عنه بمحاربة الدين واعتباره عائقا كبيرا في سبيل التقدم الحضاري والرقى العلمي والثقافي ثم حسره في نطاق ضيق محدود لا يخرج منه إلا في بعض المناسبات من الأعياد والعبادات وإبداء الفرح والنشاط في أيام معلومات . أما أن يكون له توجيه عام في جميع الشئون الفردية والجماعية والسياسية والحضارية والعلمية والصناعية وما إليها من جوانب حيوية فليس ذلك من وظيفته وليس له دور في الحضارات والسياسات والفلسفات والقيادات الإنسانية الأخرى . ذلك لأن

الدين أمر ذاتي في الإنسان .

هذا ما يزعمه كثير من رواد العلم والسياسة والاجتماع ، أولئك الذين يعيش في قلوبهم سوء الظن بالدين الإسلامي ، ويظنون أنه فقد تأثيره وغناءه في شئون الحياة والإنسان والمجتمع ، ولا سيما بعد ما شهد العالم البشري هذه التطورات الحضارية الهائلة والتقدم العلمي الرائع ، لذلك فإنهم لا يكادون يستسيغون الدين ويسمحون له بالعودة إلى منصة الحكم والقيادة .

إن هذا النوع من التفكير في قضية الإسلام ، ليس إلا من التصورات المشبوهة التي يتظاهر بها أعداء الإسلام في الغرب ويرددونها في المناسبات واللقاءات وفي المجالس والاجتماعات رجاء أن يرسخوها في أذهان المسلمين ويعمقوا جذورها في المجتمعات والدول الإسلامية على اختلاف أحجامها و مقاديرها ، و يثبتوا أن الإسلام دين الرجعية والأصولية ، وهو يحارب التقدم والرقي العلمي والحضاري ، فيدعو إلى عبادة « الأصول » ويعلم اتباعه أن يكونوا « أصوليين » رجعيين .

هذا واقع يشهده المطلعون على الحقائق المعاصرة ، وقد اتخذ الآن صورة لمشروع عالمي ضد الإسلام ، وقد أصبح له أنصار وأعوان كبار في الدول الغربية التي يوجهها العنصر اليهودي الصليبي ، ذلك هو المشروع المهم الذي يتصدر قائمة المشاريع السياسية والاجتماعية التي تأخذ طريقها نحو التنفيذ وهم يستخدمون لتحقيق هذا الغرض أحدث الوسائل السريعة ذات الفعاليات العميقة الواسعة ، ونحن لا نختار نحو هذه المخططات الهدامة الخطيرة إلا موقف السكوت والغفلة ، الذي لا يغني عن قضية الإسلام شيئًا .

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي

التوجيه الإسلامي للعلوم،

مفهومه وأهدافه وأسسه العامة

سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد، فإذا كانت في التاريخ البشري شخصية جديرة بأن يقال عنها بتأكد وثقة أنها غيرت مجرى التاريخ، ومنحت العالم حياة جديدة أو صاغها صياغة جديدة، وفتحت أبواب العلم، ودفعت الإنسانية إلى كسب المعرفة، وحملتها على الاهتمام بتحصيل العلم والتعمق في الدراسة بدلاً من أن تتسكع في ظلمات الجهل، وتقع في الأوهام والأباطيل والخرافات، وحرضتها على تنمية العقل، وتوسيع آفاق المعرفة، وفتح منافذ الذهن، بدلاً من أن تكون خاضعة للتقاليد البالية العتيقة وعودتها على استخدام الذكاء، والتدبر في الأمور، بدلاً من التقليد الأعمى للآباء والأجداد.

إذا كانت في تاريخ العالم شخصية بهذه الصفة، فهي شخصية نبينا محمد -ﷺ- الوحيدة التي نراها على مفترق طريقين للتاريخ، ينفصل طريق يلمع بنور الأدلة والبراهين، عن طريق تغشاه سحب كثيفة من التقليد والجمود.

جاء نبينا محمد -ﷺ- بتعاليم تقوم بتنوير عقول الناس وصقل

ومرحيايهم وكفاءتهم ، وجلاء أذهانهم وقوة إدراكهم ويدل على ذلك الوحي الأول الذي أنزله الله تعالى على رسوله الكريم . وذكر فيه أنه أنعم على الإنسانية باعطاء ثروة العلم . واعتبر فيه القلم الذي يقود هذه الرحلة العلمية التاريخية . ويقوم بحركة عالمية للتأليف والتدريس ينقل العلم من فرد إلى فرد ، ومن أمة إلى أمة ، ومن عهد إلى عهد ومن جيل إلى جيل ، وسيلة له . ويفتخر بأنه نشر العلم وأشاعه حسب حاجات الإنسان . وعمرت المدارس والجامعات بحركته ونشأت المعاهد والمكتبات

ما كانت التنبؤات والتكهنات البشرية مهما تعمقت في التفكير تستطيع أن تتصور بأن الوحي الأول يشيد بالقلم لأن هذا الوحي كان ينزل على إنسان أمي ، وفي منطقة متخلفة ، وفي قوم فشا فيهم الجهل ، وعمت فيهم الأمية . وكان القلم عندهم شيئًا نادرًا مستطرفا . ولذلك لقب العرب بالأميين .

﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة • وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ (سورة الجمعة ، الآية : ٢) .

بداية لا تتوقــــع :

نزل هذا الوحي على رجل لقب بأمي وذلك في غار حراء فكان المتوقع أنه يبدأ بالإيمان بالله والعبادة له ، وينهى عن عبادة الأصنام ، ويستنكر العادات الجاهلية ، والتقاليد الوثنية ، رغم أن هذه الأشياء كلها كانت ذات أهمية قصوى في هذا الدين ، وقد ذكرت في مواضع كثيرة مختلفة بإيضاح وتفصيل . لكن هذا الوحي الأول بدأ بكلمة . ﴿ إقرأ ﴾

﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق • خلق الإنسان من علق ﴾ (سورة العلق ،

الآية : ١ - ٤) .

وهكذا حدثت تلك الحادثة التاريخية التي منحت للمفكرين والمؤرخين جوانب التفكير الجديدة ، وفتحت لهم آفاقًا واسعة حديثة ، وتشير هذه الحادثة إلى بدء عهد جديد في تاريخ الإنسانية والديانات ، بيد نبي أمي ، وتدل على أن هذا العهد سيكون عهدًا راقيًا ذهبيًا ، ينتشر فيه العلم ، وتعم فيه القراءة ، وتتبدد فيه سحب الجهل ، وتكمل فيه الإنسانية ، ويكَونها العلم والدين تكوينًا جديدًا .

يلفت القرآن نظر القارئ إلى الأشياء التي يجب أن تدرس للحصول على العلم والمعرفة ، ويسترعى الانتباه إلى الأنفس والأرواح والآفاق وأحوال الأمم السابقة التي عبر عنها القرآن بأيام الله ، وسنة الله ، ونحن نسميه بالتاريخ ، وذلك لكي يفكر الإنسان فيه ، ويستنتج منه نتائج نافعة ويصل إلى نتائج مفيدة بعيدة المدى ، وتؤثر في مستقبله تأثيرًا عميقًا .

يقول الدكتور محمد إقبال - رحمه الله - في خطبته الشهيرة (١) وهو يذكر ما قام به الإسلام من دور فعال في تنمية العقل ، وتوسيع المدارك ، وتوفير الوسائل والمصادر للعلم ، فيقول :

« لكن مشاهدات الباطن وسيلة لا غير ، للعلم الإنساني ، ويبين كتاب الله تعالى مصدرين له ، أحدهما عالم الطبيعة ، وآخرهما عالم التاريخ ، ظهرت روح خيره للعالم الإسلامي في الاستفادة منهما » .

إن الشمس والقمر ، وامتداد السنين والأعوام ، واختلاف الليل والنهار ،

---

(1) Reconstruction of Religius Thought in Islam .

وفوارق اللون واللغة ، والفوز في حياة الأقوام والفشل فيها ، وكل ما ندركه ونعرفه بالحواس ، كل ذلك آيات للحقيقة المطلقة في تصور القرآن الكريم ، ولذلك يجب على كل مسلم أن يفكر فيها ويتدبر ، بدلاً من أن يعرض عنها ، شأن الأصم والأبكم والأعمى ، لأن الإنسان إذا أعمش عينيه وحول نظره عن هذه الأشياء ، وأعرض عنها ، يبقى على حاله من العمى في مراحل حياته الأخرى .

إن المسلمين عند ما وصلوا بدراسة القرآن الجادة إلى حقيقة أن الكون يتحرك ويدور ، ويتصاعد ، ويستمر في حراكه ودورانه ، بالإضافة إلى ما عليه الله من دعوة إلى لفت النظر إلى الحقائق والمحسوسات الثابتة الصلبة ، انصرفوا عن الفلسفة اليونانية وأنكروها ، وقد كانوا قبل ذلك مفتونين بها ، وكانوا يدرسونها بشغف ونهامة .

إنهم لم يشعروا في بداية أمرهم بأن كتاب الله وآياته تتعارض مع روح الفلسفة اليونانية ، ولذلك درسوا القرآن أيضًا في ضوء الفكر اليوناني والفلسفة اليونانية ، ثقة واعتمادًا على حكمة اليونان .

لكن القرآن الكريم يؤكد على الحقائق المحسوسة الثابة المحكمة ، وحكمة اليونان تدور حول الأفكار والنظريات ، والمفاهيم ، بدلاً من الحقائق والمحسوسات ، فكان من الطبيعي أن تفشل هذه المحاولات في يوم من الأيام ، وهكذا حدث ، فتغلّبت الروح الأصيلة للحضارة الإسلامية ، والثقافة الإسلامية ، حتى بعض جوانب الحضارة الغربية المهمة أيضًا مدينة للحضارة الإسلامية ، واستطرد يقول :

اطلق القرآن الكريم على التاريخ اسم أيام الله ، واعتبر التاريخ مصدرًا مهمًا للعلم والمعرفة ، وذكر أن محاسبة الأقوام والأمم تجري على

المستوى الفردي والجماعي كليهما ، وإنها تعاقب في هذه الدنيا أيضًا على أعمالها السيئة . وهذا هو الذي أثبته القرآن بالحوادث التاريخية في مواضع كثيرة .

وبالإضافة إلى ذلك دعا القارئ إلى أن يفكر في أحوال الأمم الماضية ، والأحوال الراهنة .

﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور • وذكرهم بأيام الله • إن في ذلك لآيات لكل صبّارٍ شكور﴾ (سورة إبراهيم ، الآية : ٥) .

﴿ وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون • والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾ (سورة الأعراف ، الآية : ١٨١-١٨٢) .

﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ (سورة آل عمران ، الآية ١٢٧) .

﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ (سورة آل عمران ، الآية : ١٤٠) .

﴿ ولكل أمة أجل • فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ (سورة الأعراف ، الآية : ٢٤٠) .

الربط بين الوحدات العلمية المفرقة :

إن ما مثلته البعثة المحمدية - على صاحبها ألف ألف تحية وسلام - من دور رائد في توجيه الناس إلى هدف العلم الأصيل ، وفي جعله نافعا إيجابيًا وبناءًا وسيلة لليقين ، هو أهم من دورها الذي قامت به في توسيع آفاق العلم ، وتنشيط الحركة العلمية .

كان العلم عبارة عن معلومات مفرقة ، بل كانت أجزاء مضادة متباينة ، كان علم الطبيعة يحارب علم الدين ، وكان الأطباء والرياضيون يأتون

بنتائج سلبية إلحادية في بعض الأحيان .

ولذلك نجد علماء اليونان الذين كانت لهم اليد الطولى في الفلسفة والعلوم الرياضية إلى قرون طويلة . إما مشركين وإما ملحدين . وكانت المدارس اليونانية وعلومها تشكل خطرا على الدين وتعاليمه . وتقدم شهادة ونموذجا للملحدين والمشركين .

كانت منة الإسلام الكبرى في هذه الظروف أنه أنشأ وحدة بين العلوم المتنوعة وربط الوحدات العلمية بعضها ببعض . وهان عليه ذلك العمل . لأن الرحلة العلمية كانت قد بدأت من منطلق أصيل . ومن مبدأ حقيقي . وبدأ الإسلام هذه الرحلة اعتمادا على الإيمان بالله . وعلى الاستعانة به . والثقة بتأييده . وعلى العمل بالآية الكريمة : ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ إذا كانت البداية طيبة فتكون العاقبة طيبة في معظم الأحيان .

كشف الإسلام القناع عن الوحدة التي تربط الوحدات كلها بفضل الايمان . وهذه الوحدة هي المعرفة بالله . ومدح الله تعالى عباده المؤمنين من أجلها فقال : ﴿ ويتفكرون في خلق السماوات والأرض • ربنا ما خلقت هذا باطلاً • سبحانك فقنا عذاب النار﴾ (سورة آل عمران . الآية ١٩١) .

كان الإنسان يرى الوحدات العلمية مصادة في الزمن الماضي . وتدهشه . وتذهله . وتوقعه في القلق والاضطراب . وحينما تضطره وتبلّغه إلى أن جعل يلوم ربه . ويدينه . وينال من مجده . فنظرًا إلى ذلك منح العلم الإسلامي الذي ينبثق من الإيمان والقرآن . ويقوم عليهما الإنسان . وحدة علمية ربطت الوحدات كلها . وهي إرادة الله العالية . وحكمته الكاملة .

يقول العالم الألماني هيرالد هوفدنغ (Herald Hoffding) وهو يذكر اكتشاف الوحدة . وتأثيرها على الحياة الإنسانية . وعلى الرحلة العلمية

والخلقية والتاريخية ، فيقول :

« إن كل دين يقوم على أساس عقيدة التوحيد التي تقول إن علة وجود كل شيئ في هذا الكون واحدة فريدة ، ويؤثر ذلك الاعتقاد على الإيمان والاعتقادات والطبيعة الإنسانية تأثيرًا حسنًا ومهمًا ، بصرف النظر عن المشاكل التي تحدث بهذا الفكر وجوبا ، ويسهل بذلك على جميع من يحمل هذه العقيدة ، الاعتقاد بأن أشياء العالم كلها - بِغَضّ النظر عن الحلامات الفرعية وتعاصيلها - تنخرط في سلك وحدة قانونية واحدة ، لأن وحدة العلة تقتضي أيضًا وحدة القانون .

رسخت الفلسفة الدينية في القرون الوسطى تصور الوحدة في الكثرة في أذهان كثير من الناس ، الذي كان يجهله الإنسان غير المثقف لكثرة المظاهر الطبيعية ، وكان حائرًا بمشاهدة هذه الكثرة ، ولم يكن يعرف الطريق إلى إيجاد صلة ذاتية بينها » (١) .

نهضة أوربا وإسهام الإسلام في عهد العلم والحضارة المعاصرة :

يقول رابرت بريفارت (Robert Briffault) في كتابه : (The Making of Humanty) « ليس هناك جانب من رقي أوربا إلا وعليه منة المدنية الإسلامية ، وطبعها العميق » .

وأضاف قائلاً : « ليست العلوم الطبيعية وحدها (التي لا تنكر منة الإسلام عليها) مسئولة عن حياة أوربا الجديدة ، و وجود روح جديدة فيها ، بل خلفت المدنية الإسلامية آثارًا عميقة على حياة أوربا ، ويبدأ ذلك العهد من العهد الذي بدأت فيه الأشعة الأولى للمدنية الإسلامية

(1) Historm of Modern Philssphy P.S.

والحضارة الإسلامية .

يقال كثيرًا : إن النشأة الثانية لأوربا هي ثمرة لإحياء الفكر اليوناني ، لكن المؤرخ الشهير (H G Vells) يرفض أن القوة والعلم قد حصل عليهما العالم عن طريق اليونان ، فيقول : « إن العلم الذي كان بدأه اليونانيون ، ثم ودعوه ، وتخلوا عنه ، أقبل عليه العرب ، بحماس جديد ، وعاطفة جديدة ، وجعلوه موضوعا لهم ، وتبنوه ، وقاموا بتهذيبه وتنقيحه .

إذا كان اليونانيون مبتكرين للاكتشاف العلمي للحقيقة ، كان العرب مهديين لأنهم قاموا بتسهيله ، وشرحوه شرحا سائغا ، وحلوه بألفاظ وكلمات موزونة وملائمة ، ونقد إيجابي ، إنهم كانوا العرب لا اللاطينيين ، الذين منحوا العالم الجديد هدية غالية ثمينة للعلم والقوة (١) .

تفوق المسلمين العلمي الماضي ودورهم الرائد في العلوم النافعة والتجريبية :

إنني أستطيع أن أدعي في ضوء دراستي للتاريخ أن المسلمين لم يقوموا بتأسيس دول واسعة كبيرة فحسب ، بل كانوا يمتازون أيضًا عن الأمم الأخرى بالعناية بالعلوم والبراعة في الفنون ، وكانوا يتفوقون عليها من كل جانب ، وقد أنجبت الأمة الإسلامية في جميع العصور نبغاء ذاع صيتهم ، وطبقت الآفاق شهرتهم في التعمق في الدراسة ، والرغبة في العلم ، والتأليف فيه بإخلاص .

وبرز في القرن الأول عدد كبير من أئمة الفكر من المسلمين بالإضافة إلى المفسرين والمحدثين ، والفقهاء الذين لا يوجد لهم نظير في التاريخ

(1) The Making of Humanity P 202

العلمي الإنساني ، كان لا يدانيهم أحد من علماء الأمم الأخرى .

لم يحصر المسلمون دائرة علومهم في العلوم الدينية من التفسير والحديث ، والفقه ، وأصول الفقه ، والدراسة المقارنة للأديان والمذاهب فحسب ، بل أبدوا براعتهم في علوم حديثة كثيرة ، وخدموها خدمة جليلة كالجغرافية ، والطبيعة ، والهندسة ، والطب ، والكيمياء ، والتاريخ ، والنباتات ، والمدنية ، وقاد معظمهم العالم في هذه العلوم والفنون إلى قرون طويلة ، وخلفوا آثارا ورسومًا لا تطمس أبدًا .

نذكر هنا بعض هؤلآء العلماء المسلمين لأن استقصاء جهود جميع هؤلآء العلماء يحتاج إلى مجلدات ضخمة ، ويستغرق وقتًا طويلاً .

أئمة العلوم و واضعو العلوم من المسلمين :

الخوارزمي (م ٨٥٠/٢٢٦) ، هو أول من ألف كتابًا عن الجغرافية العالية ، ويليه محمد بن محمد الإدريسي (م ١١٥٢/٥٦٠) الذي بين في كتابه : « الممالك والمسالك » : الطرق التجارية للعالم الإسلامي مع عرض خريطتها الجغرافية .

ألف ابن الهيثم (م ١٠٢٩/٤٢١) حوالي مأتى كتاب ، سبعة وأربعون منها ألفت حول موضوع العلم الرياضي ، وثمانية وخمسون عن الهندسة وهو أول من قدم اقتراحًا لبناء سد اسوان ، واكتشف اكتشافات مفيدة في علم البصارة ، وعرض في كتابه : « المناظر» : نظرية عن الإدراك البصري ، فقال :

« إن البصارة تنحصر على الأشعة التي تعود بعد الاصطدام بها » .

« محمد بن موسى الخوارزمي (م ٨٥٠/٢٢٦) هو أول من أضاف الصفر في العدد ، وقام بتعيين مكانة الأعداد ، وهو الذي اخترع الجبر .

وكان البتاني (م ٩٢٩/٢١٧) الذي سماه العرب بالبتيني (Albategni) أو الباطنيوس (Albatenus) كان بارعا في الفلكيات وهو الذي قام بتقدير عوج الخسوف تقديرًا صحيحًا . وقام باكتشاف مدة السنة الشمسية والفوارق في الموسم . ومحور الشمس الأوسط . ورفض اعتقاد بطليموس أم محور الشمس لا يتحرك .

أبو بكر محمد الرازي (م ٩٢٧/٢١١) الذي دعاه العرب بـ ريزز (Rhazes) كان أكبر طبيب بالإضافة إلى أنه كان فيلسوفا عظيما ، وكيمياويا أريبا . وقدم في كتابه الشهير : « الحاوي » استعراضا للطب اليوناني والمصري والعربي القديم والهندي .

كانت لابن البيطار (م ١٢٤٨/٦٤٦) اليد الطولى في الأدوية في عصره ، وذكر في كتابيه « المغنى في الأدوية » و « الجامع لمفردات الأدوية » علامات للأمراض المختلفة . وذكر أربعمائة من الحيوانات . والنباتات والمعادن باطناب وتفصيل من قبل نفسه أو على أساس مشاهدة ١٥٠ من البارعين .

أبو على ابن سينا (م ١٠٢٧/٤٢٨) الذي عرفه الغرب بـ آوى سينا (Avicena) ألف على موضوع الفلسفة كتابه الشهير «النجاة» و «الشفاء». وعلى موضوع الطب كتابه : « القانون في الطب » وعلى علم النفس « أحوال النفس » وقد اشتهر بمائتين و واحد وثلاثين كتابا . ويقال ان مائة وعشرة كتب أخرى تنسب إلى غيره هي من تأليفه . وتقدر مكانته في الطب أن كتابه في الطب ظلّ كتابا منقطع النظير مدة خمسة قرون أي إلى أواخر القرن السابع عشر للميلاد . وكان حجة في موضوعه .

ومن هؤلاء الأعلام أو نجوم العلم اللامعة ابن خلدون (م ١٤٠٦/٨٠٨)

الذي كان أكبر عالم للعلوم الاجتماعية ، والذي لفت الانتباه إلى البحث عن القوانين التي توجه الإنسانية ، ولفت الاهتمام إلى العلوم الاجتماعية قبل الفيلسوف الغربي كومْتى (Comte) بخمسين سنة .

ولمع في هذه السلسلة العلمية اسم أبي ريحان البيروني (م ١٠٠٥/٤٤٢) لسعيه المشكور ، الذي كانت له اليد الطولى في الطبيعة وما بعد الطبيعة ، والأدوية ، والكيمياء ، والجغرافية ، والتاريخ ، بصفة خاصة ، وهو والعالم المسلم الآخر ابن الهيثم أساس البحوث العلمية لأوربا المعاصرة .

كارثة علمية تاريخية :

قبل أن أنتهي من هذا البحث أريد أن ألفت نظركم إلى هذه الحقيقة الثابتة الأساسية ، ينبغي لنا أن لا ينسى الإنسان انه خليفة الله في الأرض ، وليس بذاته مصدرا للعلم ومنبعا له ، إنما هو خليفة الله في الأرض ، يعمل بما يرضيه ، ويمتثل أوامره ، وينتهي عن نواهيه ، وذكر القرآن الكريم تعليم الأسماء لآدم - عليه السلام - بعد أن ذكر تمكينه في الأرض ، واستخلافه فيها ، وذلك يدل على أنه كان مأمورًا باستخدام علمه كخليفة الله في الأرض .

كانت المأساة الكبرى لتاريخ العلم بل لتاريخ العالم أن نسى الإنسان انه كان خليفة الله ، وكانت مسئولية العالم تقع على كأهله ، ولم يبعث إلى هذه الدنيا سيدا ومالكًا يستخدم خزائن الأرض داخلها وخارجها للمصلحة الذاتية والقومية ، والعنصرية ، والطبقية ، أو لإحراز التفوق السياسي .

كان يومًا سيئًا مشئومًا اختار فيه الإنسان هذا الطريق المؤدى إلى الدمار والهلاك .

يستطيع هذا الشعور بأن الإنسان خليفة الله في الأرض ، ولم يكن خالقها ومالكها أن يسيره على الصراط المستقيم ، لأن المعرفة بهذه الحقيقة هي التي تستطيع أن تردعه من الحرية المطلقة .

انقطاع صلة العلم عن مالكه فتنة عظيمة في الحقيقة ، وقد نال الإنسان العلم وبرع فيه ، لكنه نسي خالق العلم .

أقول لكم بكل صراحة وأنا أعتذر إلى العلماء والقادة السياسيين في أوربا وأمريكا ، وإلى كل من يفتخر بحضارة الغرب أن الإنسان وقع في خطاء كبير عند ما اعتبر نفسه مالكا أصيلا للعلم ، ومستقلا وحرا ، لما نسي بداية أمره نسى غاية حياته وهدفها الحقيقي .

وأقول لكم بكل شعور بالمسئولية ، أن الإنسان لا ينجح في تغيير ظروف العالم وإصلاحها إذا لم يعترف بأنه مخلوق محض يقدم إلى خالقه ويسأل عن أعماله ، وعليه أن يعتقد بأنه يقوم على جانب علمه ، والله سبحانه وتعالى خالق العلم يقوم على جانبه الآخر .

فإذا انقطعت هذه الصلة نسي الإنسان هدف خلقه ، وتحولت الدنيا إلى ساحة قتال ، ومجزرة للإنسانية ، وتكون فيها سيطرة لإهانة الإنسانية ، وغلبة لأصناف الظلم والعبودية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

... • ...

الحجاب .. ورغبات المبشرين

بقلم سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر

رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » الرياض

يقول زعيم المبشرين في النصف الأول من هذا القرن : صموئيل زويمر . لا يشرفنا أن يرجع المسلمون عن دينهم ليدخلوا في المسيحية ، فإن هذا لا يفيدنا شيئًا . ولكن الذي يهمنا أن يتجرد المسلم من الدين ، فهذا يخدم هدفنا أكثر مما يخدمه أعداد كبيرة من المبشرين .

ويقول غيره : إن مطيتنا لإبعاد المسلمين عن دينهم : المرأة وجهالة المسلمين ، فهم يقدمون لنا أدوارًا تفوق جهودنا وما نبذل من أموال في التبشير بالمسيحية .

ولذا فإن المرأة المسلمة عند ما بدأت تفيق من غفوة الجهالة ، وتدرك أهمية تعاليم دينها الإسلامي ، التي جعلها الله حلية تميز المسلمة عن غيرها ، فقد حرصت بعد إدراك موطن الخطأ أن تعرف الطريق السليم الذي وجهت إليه ، حتى لا تكون موطنًا للإيذاء ، لأنها رأت ببصرها الثاقب ، وعلمت بما سعت إليه من علم بأمور الدين ، أن توجيهات الإسلام قد وهبتها وقارًا ، كما أضفت عليها الهيئة الإسلامية مكانة ، بما فرضت لها من الاحترام والمهابة ، حيث نوهت عن ذلك آية كريمة في كتاب الله عزوجل ، فقال سبحانه : ﴿ ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورًا رحيمًا ﴾ (سورة الأحزاب ، الآية : ٥٩) .

فمع حرص المرأة المسلمة في يقظتها الجديدة ، رأت أن الواجب يحتم عليها الابتعاد عن محاكاة وتقليد المرأة غير المسلمة بمظهرها وملبسها ، وعاداتها وتبرجها ، خاصة عند ما تكون في بلاد الغرب ، أو في جهات اندفعت في تقليد أعمى للغرب أو الشرق في كل أمر ، حتى إن المرأة المسلمة أصبحت كالمرأة في تلك الجهات ، ولا تتميز المرأة المنتمية للإسلام إلا بالاسم والإدعاء .

وذلك لأن الضرورة أحوجت كثيرًا من المسلمين والمسلمات إلى طلب لقمة العيش في تلك الديار ، أو التماس الدراسة في بلادهم لتقدمهم في كثير من العلوم الحديثة ، ولأن بعضًا من ديار المسلمين قد ضاقت بأهلها ، وضاقت صدور الجهلة بعمق ما تعانيه تعاليم شريعة الإسلام ، بما يجب أن يكون عليه المسلم والمسلمة ، من فهم وعلم لأمور دينه ، وما يزين ذلك من عمل وتطبيق .. لأن جوهر العلم العمل

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

فكان من فضل الله أن جعل من هؤلاء وهؤلاء في البلاد التي نزحوا إليها ، شرقًا أو غربًا أثرًا ظاهرًا حيث انجذب للإسلام كثير من أبناء تلك الديار ، فصاروا أقلية تنمو ، وبراعم تتفتح لتجذب برحيقها أعدادًا أخرى لحظيرة الإسلام ، وليستظلوا بفيء دوحته ، حتى كان للإسلام دور بارز في كثير من تلك الأصقاع ، لم يرض عنه الحاقدون على الإسلام ، ولا المتباينون معه فكرًا ومنهجًا ، حيث حملات الدسّ والتعمية ، من قبل كل من المستشرقين والمبشرين ، ومن تأثر بهم أو تتلمذ عليهم ، فبدأت المجابهة السافرة عند ما شعروا بمكانة الإسلام تعلو بتعاليمه وتستأثر على النفوس ، فخافوا على شبابهم الخاوي الوفاض ، والمتعطش إلى من

ينقذه من الضياع الغارق فيه ، فظهر منهم أثر ذلك ، كما في قصة الفتاتين عائشة وفاطمة ، اللتين أصرتا على الحجاب في المدرسة الفرنسية ، ولم تفلح مساعي المدرسة بحرمانهما من الدراسة ، مما آثار ضجة كبيرة ، بعد أن رفضت إدارة المدرسة بإصرار السماح لها بالدراسة ما لم تخلعا الحجاب ، فصار المجتمع والصحافة هناك على قسمين : منهم من يؤيد هاتين الطالبتين باعتبار أن الحجاب من الحرية الشخصية التي لا يكره عليها الإنسان ، ولم يكن في القوانين التعليمية ما يمنع ذلك ، والقسم الآخر : رفض السماح لها بدخول المدرسة ، ما دامتا مصرتين على ارتداء الحجاب ، بحجة أن ذلك غير مألوف ، ويفتح بابًا يصعب إغلاقه مما يتنافي مع اللباس الموحد في المدرسة ، وإفساح المجال لظاهرة لا ينبغي السماح لها في المحيط التعليمي .. إلى غير من تعليلات متباينة ، مع أن المرأة البوذية والهندوسية لم تمنع من تغيير لباسها هناك لا في المدرسة ولا في غيرها .

هذا في ظاهر الأمر ، أما السر الذي لم يفصحوا عنه ، فهو خوفهم من التفات الشباب عندهم ذكورًا وإناثًا لدلالة الحجاب ، وما وراء ذلك من أمور هي من تعاليم الإسلام التي تخاطب الوجدان ، وتهفو إليها الأفئدة المتعطشة ، وفي قراراة نفوس المناوئين لمسلك هاتين الفتاتين ، أن الإسلام يجب اخفاء تعاليمه عن الشباب حتى لا ينجذبوا إليه ، ويدركوا عمق أسراره وما يدعو إليه .

وقد أثارت هذه القضية ضجة كبيرة لدى الرأي العام الفرنسي ، خاصة ، وغيره عامة ، فتضامن الأغلبية الشعبية مع مطلب هاتين الفتاتين وتبرع بعض المحامين للدفاع عن حقهما ، وتخطئة إدارة المدرسة ومن

يشايعها .. ولما كان الحق هو المنتصر دائمًا ، فقد وفق الله ، وانتصرت قضية الحجاب ، وعادت الطالبتان للدراسة باللباس الذي اختارتاه ، رضاء لشريعة رب العالمين ، بعد أن أصرتا عليه ، و وقفتا ضد من يناوئه بصلابة وعزم ، وما ذلك إلا أن هذا الأمر كان تلبية لنداء الله الذي يأمر المؤمنة بحماية نفسها ، وستر ما يخدش كرامتها من مفاتن وعورات ، وذلك بالحرص على الحجاب الشرعي ، الذي فرضه الله على المرأة المسلمة ، وهو سبحانه أعلم بما تصلح به أحوالها وأحوال المجتمع كله ..

وما ذلك إلا أن الحجاب حلية للمرأة ، وحماية لكرامتها ، يدرك هذا من يتابع أوضاع المجتمعات المتحللة من قيوده ، والمنفلتة من كل تعليم شرعي ، حسب الواقع العملي في كل بيئة مهما كانت عقيدة أهلها واتجاهات ذوي الرأي فيها ، أولئك القوم الذين جعلوا المرأة متعة يتلهون بها ، فإذا ذبلت رميت كما ترمى الزهرة بعد ذهاب النفع منها .

كما أنه تاج يجب أن تفخر به المسلمة ، لأنه أمر فوق جميع الأوامر البشرية ، مهما كانت مكانة أصحابها قدرًا ودوافع ، فهو أمر الله جل وعلا في أمره لنبيه -ﷺ- ، بإبلاغ أزواجه وبناته ونساء المؤمنين بانتهاج درب متميز للمرأة المسلمة ، في أمر إلزامي لا تراجع بعده ، فقال سبحانه : ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ﴾ (سورة الأحزاب ، الآية : ٥٩) ، والإدناء لا يكون إلا من الخلف إلى الأمام ، والجلباب هو غطاء يوضع على الرأس .

وفي هذه القضية علت كلمة المنافحين عن الحجاب ، وانتصر مطلب الفتاتين بانهزام خصوم الحجاب ، ولئن كان المدافعون لم يكونوا يهدفون لنصرة الإسلام وتعاليمه ، لأنهم أو أغلبهم لا يدينون بالإسلام

ولم يتحمسوا لانتصار مبادئه ، ولكنهم أرادوا انتصار الديموقراطية ، وغلبة الحرية الشخصية ، فكان في هذا الجانب نصر للإسلام ، واستعلاء لتعاليمه من حيث لا يقصدون ، وقد يستدل على هذا بمغزى حديث رسول الله -ﷺ- : « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» ذلك أن الله جلت قدرته إذا أراد شيئًا هيأ أسبابه ، وألان القلوب من أجله ، كما يظهر أمامنا جليًا إلانة قلب فرعون لموسى عند ما كان صغيرًا حتى ربى في بيته ، مع أن الله سبحانه قد قضى في حكمه أن يكون هلاك فرعون بسبب موسى .

وكما ألان الله قلوب بعض جبابرة قريش لمحمد -ﷺ- ولأبي بكر - رضي الله عنه - وغيره من الصحابة - رضوان الله عليهم - إبان الصدر الأول من بدء الدعوة المحمدية التي جاءت من عند الله ...

ومثلما حصلت الضجة في فرنسا حول حجاب المرأة المسلمة ، حصلت ضجة مماثلة في بلد إسلامي عندما أصرت طالبة تدعى خديجة على دخول الجامعة بالحجاب ، فرفضتها الجامعة ، وكبرت القضية وتعقد الأمر ، وتناولت ذلك الصحافة العالمية بمختلف اللغات . وقد كثر في ذلك البلد خصوم الحجاب ، باعتباره نافذة لتوعية الشباب : ذكورًا وإناثًا ، ووقف دون إفساح المجال له من يتسمون بأسماء إسلامية ، موقف التحدي والإصرار ، باعتبار ذلك بادرة يجب التصدي لها .. وإن كانت ظاهرة الحجاب لم تكن المقصودة عند بعضهم ، وإنما الهدف التصدى للإسلام وتعاليمه ، لأنهم أساؤا إليه فاستوحشوا منه ، وذلك بعدهم عنه منهجًا وعملاً ، مع أنهم يدعون الانتماء إليه ، ويتسمون بأسماء إسلامية .. ومعلوم أن الإسلام ليس بالتحلي و لا التمني ، و لكنه سلوك و عمل

وعقيدة .

ولما حرصت مجموعة من الفتيات في مصر في الآونة الأخيرة ، بعد أن فقهن الله بالعودة للدرب الصحيح ، وبعد أن استجاب كثير من الفتيات في المدارس والجامعات لأمر الله بدعوة المرأة المسلمة لمعرفة دورها في الحياة ، وتلمس ما يجب عليها أن تعمله فاهتم الجميع بأمر الحجاب الشرعي وحرصن على التستر وعدم التبرج وبعد من كان من أهل الفن عن جوه وما في مساربه من مياه آسنة واهتم من يعمل بالتلفاز بعدم الظهور أمام المشاهدين إلا بستر ووقار ، وامتنع عدد كبير من طالبات الجامعات عن الاندماج في هذه البيئة إلا بالحجاب الشرعي ، الذي يحمي حياء المرأة ، ويضفي عليها مهابة واحترامًا

حرصن جميعًا على الابتعاد عن كل طريق يسوق المرأة إلى درب يجانف منهج الإسلام السليم ، ويباعد عن الدور الذي أراد الإسلام للمرأة : قدوة وعملا ، وفق التوجيه الكريم الذي دعيت إليه نساء النبي -ﷺ- ، ونساء المؤمنين لهن تبع في الدعوة والتوجيه والعمل . فقال سبحانه : « يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن في القول فيطمع الذي في قلبه مرض • وقلن قولا معروفا • وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة • وأطعن الله ورسوله » (سورة الأحزاب الآيتان ٣٢ ٣٣) الآيات

بعد هذه الاستجابة التي تزايد عددها كثرت التهم المقصود منها التنفير والصد ، وتتابعت الأصوات المعادية لهذه الظاهرة وتبع ذلك الدس وتشنيعات ترمز إلى تحقير وتشويه غير هؤلاء النسوة الصالحات العفيفات من عفوة الجاهلية

وقد كتب كثير من ذوى الأقلام الصحفية في مصر وغيرها، محاولين تشويه الصورة، باعتبار الحجاب في نظرهم يفقد المرأة أنوثتها وحاديتها وجمالها، وأن الحجاب في الإسلام قيد ورجعية وتخلف، ومنهم من قال: إن الحجاب رد فعل نتيجة للمعاناة الاقتصادية والمعيشة التي تعيشها المرأة، واندفع آخرون إلى وصم الفنانات بالذات، بالطمع المادي إلى مبالغ مالية دفعت لهن من باب الإغراء لكي يرتدين الحجاب، إلى غير هذا من شبهات عديدة طرحت، وأقاويل باطلة روّجت، يراد منها أن تتراجع المرأة المسلمة عن هذا المنهج الذي رضيته، وتشويه الصورة حتى يقتدى بها غيرها من غير الملتزمات، وغاب عنهم أنهن بهذا العمل تخلين عن أموال كثيرة، وذلك لأن طعم الاستجابة لشرع الله ألذ كل شئ، وكان من المناوئين لهذا المنهج الذي سارت فيه فتيات عن قناعة وعلم، الكاتب المصري محمود السعدني وهو واحد من مجموعة الكتاب المتأثرين بثقافة الغرب، والمتشبعين بفكرهم عند ما كتب في جريدة أخبار اليوم ليوم السبت ٢/٤/١٩٩٢م تحت عنوان: « أما بعد: قائلاً بانزعاج: في مصر الآن ظاهرة لافتة للنظر، وهي انتشار الحجاب بين طالبات المدارس الإعدادية والثانوية، والعبد لله لا يصدق ما يقوله البعض بأن السبب وراء حجاب الطالبات الصغيرات هو ارتفاع أجر الكوافير، لأن هناك وسائل أخرى لتصفيف الشعر بالجهود الذاتية، ولا ترهق ميزانية الفقراء.. الى آخر ما جاء في مقاله هذا الذي يفهم مضمونه من مقدمته.

وهذا الصوت وراءه واحد من أصوات كثيرة انبعثت هناك وهنالك لأن هاجسًا دينيًا انجذبت إليه الطالبات وعبرن عن الاستجابة بقناعة

بالحجاب ، الذي يحمي المرأة من الذئاب الجائعة ، ويعيدها إلى وظيفتها الاساسية التي وجهها إليه الإسلام ، ملكة متصرفة في البيت ، وأما تنجب وتربي أبطال الأمة ، وسكنًا للروح كما قال سبحانه : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (سورة الروم ، الآية : ٢١) .

ولا يكاد المسلم أن يصدق بأن مثل هذه الحملة ، وبأقلام يتسمى أصحابها بأسماء إسلامية ، ويدعي بعضهم اهتمامه بالإسلام والدفاع ، لكنه الهوى والاندفاع ، وتزيين سوء العمل ، بحيث يراه أمثال هؤلاء حسنا ، نسأل الله السلامة والعافية .

وقد كشف شيئًا من أسرار الهجوم على الحجاب وما قيل عن أحد الفنانات اللواتي احتجبن عن قناعة ورضا وابتعدن عن درب الفن والتبرج ، بعودة صادقة إلى الله أموالا ، الاستاذ ياسر فرحات في كتاب صدر له مؤخرًا ، بعنوان معركة الحجاب ، أسرار وراء الحجاب المدفوع ، أبان فيه شبهات المغرضين واكاذيبهم على ألسنة من اهتدين من أهل الوسط الفني أنفسهن ، وقد عرج على ما يقرب من عشرين سيدة ، كانت إجاباتهن أن المدفوع لنا ليس مالا ولا شهرة فقد تخلينا عن ذلك بطواعية وحسن اختيار ، ولكن المدفوع لنا جزاء ننتظره من الله ، لقاء حسن الاستجابة ، وهو فوق كل مغريات الدنيا ، وقد بدأنا نحس لذاذة طعم ما أقدمنا عليه ، وراحة النفس التي لا تعدلها راحة .

كما استشهد بدفاع أكثر من عشرين شيخًا وسيدة ، هم قمة الشهرة والسمعة الحسنة في الدفاع عن الحجاب واختيار المرأة له عن طواعية ، ومن ذلك ما قالته السيدة فوزية سلامة رئيسة تحرير مجلة سيدتي ، تحت

عنوان : هم وأنا والحجاب : « الذين أخذوا على عاتقهم محاربة المسلمة المحجبة ، وقذفها بالألقاب والإتهامات بهدف اضعاف إيمانها بما اختارت ، فهم حتمًا من السفهاء ويؤسفني حقًا أنني لا أبرئ بعض بنات جنسي من هذا الاتهام ، فمنا من تنظر إلى المحجبة وكأنها مخلوقة من طينة غير الطينة التي خلقت منها ، وتنظر إليها وكانها أقل ذكاءً ، وأقل جاذبية ، او أقل استجابة لمتطلبات التطور و العصرية ، من اهتدت إلى قناعة ثابتة ، نابعة من العدل والروح بضرورة تطبيق تعاليم دينها، فطوبى لها وليس لاحرى أن تسخر منها او تقلل من شأنها ، لأن الاحتشام واجب إسلامي على المرأة ، والتعفف والطهر واجبان على الجنسين

لقيط بن زرارة :

جاء في قصص العرب نقلا عن الاصبهاني في الأغاني ، أن زرارة بن عدس كان رجلا شريفا فنظر ذات يوم الى ابنه لقيط فرأي منه خيلاء ونشاطا ، وقد جعل يضرب غلمانه - وهو يومئذ شاب - فاراد ان يهذب من طباعه ، فقال له : لقد أصبحت تصنع صنيعًا كأنما جئتني بمائة من هجان ابن المنذر بن ماء السماء ، والهجان البيض الكرائم من الإبل أو تزوجت بنت قيس بن خالد قال لقيط . لله عليّ أن لا يمس رأسي غسل ، ولا آكل لحما ولا أتلذذ بشراب حتى أجمعها جميعًا أو أموت .

فخرج لقيط ومعه ابن خال له ، يقال له القراد بن إهاب ، وكلاهما كان شاعرا شريفًا ، فسارا حتى اتيا بني شيبان ، فسلما على ناديهم ، ثم قال لقيط أفيكم قيس بن خالد ؟ وكان سيد ربيعة يومئذ ، قالوا : نعم ، قال : فأيكم هو ؟ قال قيس : أنا قيس فما حاجتك ؟ قال : جئتك خاطبًا ابنتك ، وكان قيس قد آلي يمينا ألا يخطب إليه أحد ابنته علانية إلا

أصابه بشر ، وسمع به - أي فضحه وشتمه - فقال له قيس : ومن أنت ؟ قال : لقيط بن زرارة بن عدس . قال قيس : فما منعك هلا كان هذا بيني وبينك ؟ قال : لم يا عم ؟ فو الله إن فيك لرغبة ، وما بي من عيب ، ولئن جئتك لا أخدعك ، ولئن عاليتك لا افضحك .

فأعجب قيسا كلامه ، وقال : كفء كريم ، بني قد زوجتك ، ومهرتك مائة ناقة ليس فيها ناب ولا كزوم - الناب المسنة أو التي ذهبت أسنانها - ولا نبيت عندنا عرسا ولا نحره ما .

ثم أرسل إلى أم الجارية : أن قد زوجت لقيط بن زرارة ابنتي فلانة ، فاصنعيها ، واصرفي لها ذلك الدمق - أي القطائف - فإن لقيط بن زرارة لا نبيت فينا عرسا .

وجلس لقيط يتحدث معهم ، فذكروا الغزو فقال لقيط : أما الغزو فأرأها للقاح ، وأهزلها للجمال ، وأما المقام فأسمنها للجمال ، وأحبها للنساء .

فأعجب ذلك قيسا ، وأمر لقيطا فذهب إلى ابنتو فجلس فيه ، وبعثت أم الجارية إليه بمجمرة وبخور ، وقالت للجارية : اذهبي إليه فو الله لئن ردها ما فيه خير . فلما جاءته الجارية بالمجمرة بخر شعره ولحيته ، ثم ردها إليها . فلما رجعت الجارية إلى أمها حدثتها بما صنع ، قالت : إنه لخليق للخير .

فلما أمسى لقيط أهديت الجارية إليه ، فسرحها بكلام أشارت منه ، فنام وطرح عليها طرف قميصه - والقميص كساء أسود مربع له علمان - وباتت قريبا منه .

فلما استثقل انسلّت فرجعت إلى أبيها ... لقيط فلم يرها ، فخرج

حتى أتى ابن خاله قرادًا وهو في أسفل الوادي ، فقال : ارحل بعيرك ، وإياك أن يسمع رغاؤها ، فتوجها إلى المنذر بن ماء السماء ، وأصبح قيس ففقد لقيطًا ، فسكت ولم يدر ما الذي ذهب به ، ومضى لقيط حتى أتى المنذر فأخبره ما كان من قول أبيه وقوله ، فأعطاه مائة من هجائنه . فبعث بها قراد إلى أبيه زرارة ، ثم مضى إلى كسرى فكساه وأعطاه جوهرًا ، ثم عاد إلى قيس بن خالد فجهز بنته ، ولما أرادت الرحيل قال لها : يا بنية ، كوني لزوجك أمة يكن لك عبدًا ، وليكن أكثر طيبك الماء ، فإنك إنما يذهب بك إلى الأعداء ، واعلمي أن زوجك فارس مضر وأنه يوشك أن يقتل أو يموت ، فلا تخمشي عليه وجهًا ، ولا تحلقي شعرًا .

قالت له : أما والله لقد ربيتني صغيرة ، وأقصيتني كبيرة ، وزودتني عند الفراق شر زاد .

وارتحل بها لقيط ، فجعلت لا تمر بحي من أحياء العرب إلا قالت : يا لقيط ، أهؤلآء قومك ؟ فيقول : لا ، حتى طلعت على محلة بني عبد الله ابن دارم ، فرأت القباب ، والخيل الصراب ، فقالت : يا لقيط ، أهؤلاء قومك ؟ قال : نعم ، فأقام أيامًا يطعم وينحر ، ثم أقامت عنده حتى قتل يوم جبلة .

فبعث إليها أبوها أخًا لتحمل إليه ، فلما ركبت أقبلت حتى وقفت على نادى بني عبد الله بن دارم ، فقالت : يا بني دارم ، أوصيكم بالغرائب خيرًا ، فو الله ما رأيت مثل لقيط بن زرارة لم تخمش عليه امرأة وجهًا ، ولم تحلق عليه شعرًا ، فلو لا أني غريبة لخمشت وحلقت ، فأثنوا عليها خيرًا .. ثم ذهبت لأبيها . [مجموع الأمثال : ٢/١٥٢] .

الدعوة الاسلامية :

السيرة النبوية وأسبقيتها في نشر الإسلام

[الحلقة الرابعة]

بقلم سعادة الدكتور عمر يوسف حمزة
المدرس بقسم التفسير والحديث كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة قطر

المبحث الرابع :

دراسة سيرة رسول الله -ﷺ- تعين على فهم القرآن الكريم فهماً صحيحاً

إن الذي يدرس سيرة رسول الله -ﷺ- يجد فيها ما يعينه على فهم القرآن الكريم وتذوق روحه ومقاصده إذ أن كثيراً من آيات القرآن إنما تفسرها وتوضحها الأحداث التي مرت بالمصطفى صلوات الله وسلامه عليه ومواقفه من تلك الأحداث

كيف عرض القرآن الكريم سيرة رسول الله -ﷺ- ؟

من المعلوم أن القران الكريم هو المصدر الأول لفهم الملامح العامة لحياة الرسول -ﷺ- وقد عرض القران الكريم للسيرة النبوية بأحد أسلوبين :

الأول : سرد بعض مشاهد من حياته وسيرته

الثاني : التعليق على الوقائع والأحداث ، التي تعرض لرسول الله -ﷺ-

أما فيما يتعلق بالأسلوب الأول فإننا نجد القران الكريم ، يتناول جوانب من حياته و سيرته ، و ذلك كالآيات نزلت في وصف مراحل

الدعوة الإسلامية (١) .

---

(١) لقد مرت الدعوة الإسلامية بأربع مراحل :

أ- المرحلة الأولى : الدعوة سرًا ، واستمرت ثلاث سنوات .

ب- المرحلة الثانية : الدعوة جهرًا وباللسان فقط دون قتال ، ونزل القرآن الكريم يأمر الرسول أن يجهر بالدعوة حينما نزل عليه قول الحق جل شأنه ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ (سورة الحجر ، الآية : ٩٤) ، وقال له خالقه : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن عصوك فقل إني بريٌ مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم • وتقلبك في الساجدين ﴾ (سورة الشعراء ، الآية : ٢١٤-٢١٥-٢١٦-٢١٧-٢١٨-٢١٩) وحين استجاب الرسول -ﷺ- لأمر ربه وقام بتنفيذه ، وقد صعد على الصفا فجعل ينادي . يا بني فهر ، يا بني عدي ، واكتنفه الناس من كل جانب قال بعد أن بين لهم ما كان عليه قبل هذه الدعوة : « فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تبالك سائر اليوم .. أ لهذا جمعتنا ؟

فنزل قوله تعالى : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتبّ ﴾ (سورة كاملة) وهذا الخبر رواه الشيخان رواه البخاري : ج/٨، ص/٥٦٧ ، ورواه مسلم : ج/١، ص/١٩٥، بمعناه ، ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره : ج/٢٠ ، ص/٢٢٦ ، وأورده ابن الجوزي في زاد المسير: ج/٩ ، ص/٢٥٨ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور: ج/٦ ، ص/٤٠٨ ، وزاد نسبته لغير واحد من أهل العلم .

ج- المرحلة الثالثة : الدعوة جهرًا ، مع قتال المعتدين والبادئين بالقتال واستمرت هذه المرحلة إلى عام صلح الحديبية .

د - المرحلة الرابعة : الدعوة جهرًا مع قتال كل من وقف في سبيل الدعوة أو امتنع عن الدخول في الإسلام ، وهذه المرحلة هي التي استقر فيها أمر الشريعة الإسلامية وحكم الجهاد في الإسلام ، انظر : كتاب « خاتم النبيين -ﷺ- الإمام محمد أبو زهرة : ج/١ ، ص/٢٢٢-٢٢٣ ، وفقه السيرة د/البوطي : ص/٦٢ .

ومن ذلك آيات العتاب التي تبين جزءاً مهما من سيرته - عليه الصلاة والسلام - (١) .

كما وردت آيات تتحدث عن استماع نفر من الجن لرسول الله حين انصرافه من الطائف (٢) .

---

(١) وذلك حينما جاء بعض زعماء قريش إلى رسول الله -ﷺ- ، فانصرف إليهم يكلمهم ويشرح لهم طمعًا في هدايتهم . وقد أعرض عن الصحابي الضرير عبد الله بن أم مكتوم حينما مر بهم موقف إلى جانبهم يستمع ، وأخذ هو الآخر يسأل رسول الله -ﷺ- . وكان ذلك منه - عليه الصلاة والسلام - حرصا على الفرصة أن لا تفوته وأملا في أن يجيب عبد الله بن أم مكتوم في أي وقت آخر فعاتبه الله على ذلك في سورة ﴿ عبس وتولى • أن جاءه الأعمى ﴾ وأنكر عليه اجتهاده هذا ويؤخذ من هذا أنه ليس لأحد من الناس أن يغير شيئًا من أحكام الإسلام ومبادئه ، أو يتجاوز شيئًا من حدوده أو يستهين بها ، باسم اتباع الحكمة في النصيحة والدعوة ، لأن الحكمة لا تعتبر حكمة إلا إذا كانت مقيدة ومنضبطة ضمن حدود الشريعة ومبادئها وأخلاقها

(٢) فقد أورد قصة ذلك ابن إسحاق في سيرته ، وهذا دليل على وجود الجن وأنهم مكلفون وأن منهم من آمن بالله ورسوله ، ومنهم من كفر ولم يؤمن وقد ارتفعت هذه الدلالة إلى درجة القطع ، بحديث القرآن عنهم في نصوص قاطعة صريحة ، كالآيات التي في صدر سورة الجن ، وكقوله تعالى في سورة الأحقاف : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ويجركم من عذاب أليم ﴾

وقد أورد قصة الجن التي ساقها ابن إسحاق ورواها ابن هشام في سيرته ، فقد ذكرها البخاري ومسلم والترمذي على نحو قريب وبتفصيل آخر . انظر صحيح البخاري : ج/٦ ، ص/٧٢ ، وفتح الباري ج/٨ ، ص/٤٧٢ ، وانظر : عيون الأثر لابن سيد الناس ، ج/١ ، ص/١١٨

وتحدثت آيات أخرى عن معجزة الاسراء والمعراج (١) وقد عرض القرآن الكريم كذلك لهجرته حينما تآمر المشركون على قتله (٢) وقد صف القرآن بعض عرواته مثل غزوة بدر (٣) وأحد (٤) والخندق (٥) حنين التي كانت درسا في العقيدة الإسلامية . وقانون الأسباب

---

١) قال تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ﴾ (سورة الإسراء ، الآية : ١) .

(٢) قال تعالى ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ (سورة الأنفال ، الآية : ٣٠) ويقول جل علاه :

﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذا أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار ﴾ (سورة التوبة ، الآية . ٤٠) .

(٣) غزوة بدر الكبرى التي أعز الله تعالى فيها الإسلام ونصر رسوله -ﷺ- والمؤمنين نزلت فيها آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ لقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴾ (سورة آل عمران ، الآية : ١٢٢) كما نزلت فيها آيات أخرى تنظم توزيع الغنائم كما في سورة الأنفال : ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن الله خمسه و للرسول و لذي القربى و اليتامى والمساكين ﴾ (الآيات : ٤١-٤٢-٤٣-٤٤-٤٥) .

(٤) أنزل الله تعالى في غزوة أحد آيات آل عمران تعليقا على ارجاف اليهود والمنافقين وبيانا لحكمه ما حصل في غزوة أحد ، هي تبدأ بقوله تعالى : ﴿ و إذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فأدرأوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ﴾ (سورة آل عمران : الآيات : ١٤٩-١٦٨) أنظر البخاري : ج/٥ ، ص/٤٩ .

(٥) ونزلت فيها سورة الأحزاب ، وبينا كل ما يتعلق بظروف هذه الغزوة وان الله تعالى نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده .

والمسببات من نوع ذلك الدرس الذي أوحت به غزوة بدر ، بل متمما له .

فإذا كانت موقعة بدر قد قررت للمسلمين أن القلة لا تضرهم شيئًا في جنب كثرة أعدائهم إذا كانوا صابرين ومتقين ، فإن غزوة حنين قد قررت للمسلمين أن الكثرة أيضًا لا تفيدهم إذا لم يكونوا صابرين ومتقين .

كما نزلت آيات من كتاب الله تعالى في تقرير غزوة « بدر »فقد نزلت آيات منه أيضًا في تقرير العبرة التي ينبغي أن تؤخذ من « حنين » وأنزل الله جل علا هذه العظة البليغة في كتابه الكريم : ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئًا • وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين • ثم أنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين • وأنزل جنودًا لم تروها • وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين • ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم ﴾ (سورة التوبة ، الآية : ٢٥-٢٦-٢٧) .

كما تناولت آيات الكتاب العزيز قصة زواجه - عليه الصلاة والسلام - من أم المؤمنين زينب بنت جحش - رضي الله عنها - ، يقول الله تعالى : ﴿ و إذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطرًا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرًا وكان أمر الله مفعولاً ﴾ (سورة الأحزاب ، الآية : ٢٧) ، إلى غير ذلك من الآيات التي تناولت هذا الجانب من سيرة المصطفى -ﷺ- .

أما الأسلوب الثاني :

الذي عرض به القرآن الكريم سيرة رسول الله -ﷺ- .

فهو التعليق على الوقائع والأحداث ، وذلك للإجابة على ما قد استشكل في شأنها ، أو لكشف بعض الغوامض بها ، أو لفت نظر المسلمين إلى وجه العبرة والموعظة فيها ، وكل ذلك إنما يرتبط بجانب ما من سيرته -ﷺ- أو شأن من شئونه ، فهي بذلك تجلى لنا الكثير من مراحل حياته ومختلف شئونه وأعماله .

من ذلك قصة الإفك وما فيها من دروس وعظات فقد أنزل الله تعالى عشر آيات ببراءة أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وإدانة المنافقين والخاطئين ، يقول الله جل شأنه :

﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرًا لكم بل هو خيرٌ لكم • لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم • والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ولو لا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم ﴾ (سورة النور، الآيات : ١١-٢٠) .

ومثل حادثة الظهار التي نزل فيها قول ربنا جل علاه : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشكى إلى الله • والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير • الذين يظاهرون منكم من نسائهم ﴾ الآية إلى قوله تعالى : ﴿ وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم ﴾ (١) وفي اسم هذه

---

(١) سورة المجادلة : الآيات ١-٢-٣-٤ . قال ابن كثير أصل الظهار : مشتق من الظهر ، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا ظاهر أحدهم من امرأته قال لها : أنت على كظهر أمي ثم في الشرع كان الظهار في سائر الأعضاء قياسا على الظهر . وكان الظهار عند الجاهلية طلاقا فأرخص الله لهذه الأمة ، وجعل فيه كفارة . >>>

المجادلة ونسبتها وسبب نزول هذه آراء لأهل العلم (١) .

وكسورة التحريم التي يقول الله تعالى في مطلعها : ﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم ﴾ (سورة التحريم . الآيات : ١-٢-٣-٤-٥) واختلف أيضًا في سبب نزول هذه الآيات (٢) .

كما تولى القرآن الكريم الإجابة على الأسئلة التي كانت توجه للنبي -ﷺ- ومن ذلك الأسئلة التي يطرحها بعض أهل الكتاب من اليهود مثل سؤالهم لرسول الله -ﷺ- عن الروح (٣) ولقد أجاب القرآن الكريم عن سؤالهم هذا يقول الحق جل علاه : ﴿ يسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ (سورة الإسراء الآية : ٨٥) .

إلى غير ذلك من آيات القرآن الكريم التي نزلت تتحدث عن جوانب

>>> ولم يجعله طلاقا كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم . هكذا قال غير واحد من السلف ا هـ . انظر تفسير ابن كثير ج/٤ ، ص/٢٤٢ . دار المعرفة بيروت سنة ١٩٨٦م

(١) انظر : زاد المسير ج/٨ ، ص/١٨٠-١٨١ . وأسباب النزول للواحدي : ص/٢٠٤ . وتفسير الطبري ج/٢٨ ، ص/٦٠٥ . والمستدرك للحاكم ٢/٨١ . وسنن ابن ماجه برقم/٢٠٦٢ . والسنن الكبرى للبيهقي : ج/٧ ، ص/٢٨٢

(٢) انظر صحيح البخاري ج/١١ ، ص/٢٩٥ . وصحيح مسلم : ج/٢ ، ص/١-١١ . ٢-١١ . وأسباب النزول للواحدي ص/٢٢٥ . وتفسير الطبري ٢٨/١٥٦ . وزاد المسير : ج/٨ ، ص/٢٠٢-٢٠٣-٢٠٢

(٣) فقد أورد هذا البخاري في صحيحه في كتاب العلم : ج/٢ ، ص/٤٧ . انظر : « حوار الرسول -ﷺ- مع اليهود . الأستاذ الدكتور محسن بن محمد عبد الناظر . ص/١٧ فما بعدها .

كثيرة ومتعددة من سيرة المصطفى - صلوات عليه وسلامه عليه - .

خلاصة القول :

١ - إن الفهم الصحيح لكتاب الله جل شأنه إنما يكون من خلال الدراسة المتأنية والفاحصة لسيرة رسول الله الكريم -ﷺ- والوقوف على حكمها البالغة : وأسرارها الدقيقة .

٢ - إن القرآن الكريم تناول الملامح العامة لسيرة رسول الله -ﷺ- وتحدث عنها من خلال أسلوبين :

الأول : تناول بعض مشاهد من حياة المصطفى -ﷺ- وسيرته تمثل ذلك في الآيات التي نزلت في وصف غزواته ، وحياته مع أزواجه - رضي الله عنهن - ومعاملته لأصحابه ، وأسلوبه في الدعوة إلى الله تعالى .

الثاني : تولى القرآن الكريم التعليق على الأحداث والوقائع - وذلك من خلال الإجابة على ما قد يشكل ، وكشف الغوامض التي تحيط بالأحداث . ولفت نظر المسلمين إلى ما فيها من عبرة وموعظة .

٣ - إن حديث القرآن الكريم عن ذلك إنما يأتي بإيجاز ، فهو لا يتعدى بيان الملامح العامة والعرض الإجمالي السريع للوقائع والأخبار ، والله تعالى أعلم .

[يتبع]

يقول الله تعالى :

﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾

دراسة أدبية لكلام الرسول -ﷺ- :

أدب الرسول ﷺ

[الحلقة الثانية]

بقلم الأستاذ عبد الخالق الأعظمي الندوي

العوامل المؤثرة في تكوين شخصيته الأدبية :

لقد عرفنا فيما سبق أن عصره -ﷺ- كان عصر بيان وفصاحة ، كما عرفنا مدى تأثيره في تكوين شخصيته الأدبية ، والآن نريد أن نعرف عوامل أخر أثرت في الرسول -ﷺ- فإن أول عامل أثر فيه هو نشأته اللغوية التي نشأها -ﷺ- فقد كان لهذه النشأة اللغوية تأثير بالغ في فصاحته فهو من قريش ، وأخواله من بني زهرة ، واسترضع في بني سعد ابن بكر (١) .

---

(١) هم بنو سعد بن بكر - وقد ذكرهم الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في الجزء الأول من تاريخ آداب العرب ، في أفصح القبائل ، وكانوا من العرب الضاربة حول مكة وكان أطفال القرشيين يتبددون فيهم وفي غيرهم يطلبون بذلك نشأة الفصاحة ، ولا يزال كبراء مكة إلى اليوم يرسلون أحداثهم إلى أماكن هذه القبائل من البادية ، وخاصة قبيلة عدوان في شرق الطائف وهي قريبة من بني سعد وإنما يطلبون بذلك إحكام اللهجة العربية ، وصحة النشأة وحرية النزعة ، وما إليها مما هو الأصل في هذه العادة يتوارثونها في التربية العربية من قديم .

و بنو أسد هؤلاء غير بني سعد بن زيد مناة بن تميم الذين من لغتهم إبدال >>>

وخالط في حياته بطون قريش والأنصار ، فكانت لهذه النشأة مرانٌ حيّى ، بأحسن الأساليب وأفصح اللهجات في العرب قاطبة وفي الرسول -ﷺ- خاصة (١) ، فقد كان النبي -ﷺ- يعتز بما منحه الله من صفاء القريحة ونقاء الفطرة وخلابة المنطق ، ورجاحة الفكر وسجاحة الأسلوب ، فيقول : أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في سعد ابن بكر (٢) .

هذه النشأة اللغوية النقية الخالصة صقلت تلك الموهبة الفذة التي لا نظير لها في المواهب البشرية وتتمثل هذه الموهبة في فطرة صافية ، وذهن جوال ، وبصر نقاد ، ونفس مجتمعة فاضلة ، وإحساس دقيق مرهف وبديهة حاضرة (٢) .

وليس غريبًا أن يجتمع كل ذلك لرسول الله -ﷺ- لأن الله أعلم حيث يجعل رسالته وهو سبحانه يصنع رسله على عينه بما تقتضيه حكمته .

فقد سمعه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يخاطب وفد بني نهد

>>> الحاء هاءً لقرب المخرج وليست لغتهم خالصة في الفصاحة .

والرواة جميعا على أن بني سعد بن بكر خصوا من بين قبائل العرب بالفصاحة وحسن البيان (انظر حاشية إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ص/٢٨٥-٢٨٦)

(١-٢) من يريد التفصيل فليراجع إعجاز القرآن ، للأستاذ عبد الكريم الخطيب : ص/١٢٨ وما بعدها ، والحياة الأدبية في عصرى الجاهلية وصدر الإسلام ، للأستاذ دكتور محمد عبد المنعم خفاجي والأستاذ الدكتور صلاح الدين محمد عبد التواب : ص/٢٧٢-٢٧٤ . وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية للأستاذ الرافعي : ص/٢٨٥ .

(٢) انظر التفصيل في « إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، للأستاذ مصطفى صادق الرافعي : ص/٢٨٢ وما بعدها ، وكتاب « الحديث النبوي » للأستاذ محمد صباغ : ص/٥٤ .

بقوله : « اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وفرقها وأبعث راعيها في الدثر بيانع الثمر ، وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد ، من أقام الصلاة كان مسلماً ومن آتى الزكاة كان محسنًا، ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصا ، لكم يا بني نهد ودائع الشرك و وضائع الملك (١) لا تلطط في الزكاة ، ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل عن الصلاة (٢) .

فقال علي - رضي الله عنه - : يا رسول الله نحن بنو أب واحد نراك تكلم الوفود بما لا نفهم أكثره . فقال : أدبني ربي فأحسن تأديبي و ربيت في بني سعد (٣) .

أجل لقد أدبه ربه وعلمه ، ففاق أدبه كل أدب وسما بيانه كل بيان ، وعلم بذلك ما لم يعلم أهله وأصحابه مع أنهم بنو أب واحد .

وأكبر عامل حاسم - فيما أعتقد - من العوامل التي أثرت في تكوين شخصيته -ﷺ- والتي مكنت لفصاحته -ﷺ- أن تنمو وتقوى ، هو ما تأثر الرسول -ﷺ- بأسلوب القرآن الكريم ، وذلك أمر طبعي جلي ، فعلى قلبه المتصل بجلال الله تنزل القرآن : ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ (سورة الشعراء ، الآية : ١٩٤) ، ومن لسانه تلقاه المسلمون : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ (سورة المائدة ، الآية : ٦٧) ، وبأمره سجله الصحابة وكتبوه وبالقرآن كان

---

(١) الوضائع جمع وضيعة وهي الوظيفة التي تكون على الملك وهي ما يلزم الناس من أموالهم من الصدقة والزكاة أي لكم الوظائف التي تلزم المسلمين لا نتجاوزها معكم ولا نزيد عليكم شيئًا منها

(٢) انظر المثل السائر للأستاذ ضياء الدين ابن الأثير ١/١٦٠

(٣) والحديث ضعيف وانظر أحاديث القصاص لابن تيمية رقم الحديث /٧٨ وأخرج نحوه السمعاني في أدب الاملاء والاستملاء ونصه هناك « إن الله أدبني وأحسن أدبي ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال خذ العفو وأمر بالعرف (حاشية الحديث النبوي) ص/٦١

-ﷺ- يحكم بين الناس : ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ﴾ (سورة المائدة ، الآية : ٤٩) .

ومهمته -ﷺ- شرحه وبيانه للناس : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ (سورة النحل ، الآية : ٤٤) . وبتلاوته أمر ، فكان يقرؤه آناء الليل والنهار : ﴿ وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن ﴾ (سورة النمل ، الآية : ٩١-٩٢) . ﴿ أتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة ﴾ (سورة العنكبوت ، الآية : ٤٥)

فلا شك أن يتأثر به الرسول -ﷺ- وأن يتخرج في مدرسته ، ولقد وصفت عائشة - رضي الله عنها - رسول الله -ﷺ- حينما سئلت عن خلقه ، فقالت : « كان خلقه القرآن » (١) .

وقد ذكر الأستاذ محمد الخضر حسين حديثا نبويًا في وصف الصحابة ، جعل رجلا يقول له : يا رسول الله ما أفصحك ، ما رأينا الذي هو أعرب منك ، فقال -ﷺ- : حق لي فإنما أنزل على القرآن بلسان عربي (٢) .

ومن الأمثلة على تأثيره بأسلوب القرآن قوله : « إن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون » (٣) ، وقوله -ﷺ- : « يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله أو الذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون » (٤) .

---

(١) رواه مسلم ٦٠/٢٦ ومسند أحمد ٦٠/١٨٨ ، وانظر في البداية والنهاية : ٦/٢٥ . .

(٢) محمد رسول الله للأستاذ محمد الخضر حسين : ص/٨٠ .

(٣) رواه الترمذي في كتاب الفتن : ص/٤٨٢ ، وانظره في رياض الصالحين (باب التقوى : ص/٥٢)

(٤) رواه البخاري : ٤/١٦٠ .

هذه هي أهم العوامل التي أثرت في الرسول -ﷺ- والتي مكّنت له وجعلته أفصح ناطق عربي . فلم يتكلم إلا بأفصح اللغات ، وأحسن التراكيب وأشهرها وأجزلها . وإذا تكلم بلغة غير لغته فإنما يتكلم بذلك مع أهــل تلك اللغة على طريقة الإعجاز و تعليم الله ذلك لــه من غير معلم (١).

ففصاحته -ﷺ- أمر لا يشك فيه عاقل (٢) ذلك لأن القوم الذين أرسل إليهم هم أئمة البيان وهم في خصومته قوم لد ، لا تنقطع بهم حجة ، ولا يعوزهم منطق بليغ . قد نعتوا الرسول بأوصاف عديدة كيدا ومخاصمة ، ولكنهم لم يستطيعوا أن ينعتوه بما ينال من فصاحته ، لأنهم يعلمون أن مثل هذه الفرية زائفة باطلة لدى دهماء الناس جميعا

وهو -ﷺ- أفصح العرب . لكن الفرق بينه وبين الفصحاء يتفق مثله في الناس ويبقى في حدود الطاقة البشرية وليس أمرا خارقًا للعادة بالكلية ، بل إن الفرق بينه وبين الفصحاء يشبه الفرق بين البليغ والأبلغ ، والحسن والأحسن . ولذا فقد استطاع بعضهم أن يأتي بقريب من كلامه -ﷺ- وبذلك يفسر وجود الحديث الموضوع ، إذ أن هؤلاء الوضاعين كانوا يتحرون احتذاء الرسول -ﷺ- بأسلوبه وخصائصه البيانية (٢) .

---

(١) انظر : خزانة الأدب للبغدادي . ١/١١-١٢ . أو المزهر للسيوطي ١/٣٥. أو الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات الإسلامية - اللغوية والنحوية ، للدكتور محمد ضاري حمادي . ص/٦٨

(٢) كما ستتضح فصاحته -ﷺ- في خلال المباحث الآتية إن شاء الله

(٢) الحديث النبوي للدكتور محمد صباغ ص/٥٢

هذا ، ولم تكن فصاحته -ﷺ- مقصورة على جودة الأسلوب وعمق المعنى ، بل جاوزت ذلك إلى الأداء ، فكان -ﷺ- ضليع الفم ، يستعمل فمه جميعه إذا تكلم ، ولا يقتصر على تحريك الشفتين فحسب ، وكان -عليه الصلاة والسلام- طويل السكوت ، لا يتكلم إلا في حاجة ، وإذا تكلم لم يسرد سردا بل فصل وتمهل وأبان ورتل .

روى البخاري عن أنس أن النبي -ﷺ- كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا (١) ولو أراد العادّ أن يحصي كلماته لأحصاها (٢) وكان كلامه فصلا يفهمه كل من سمعه . وتقول السيدة عائشة -رضي الله عنها- : " إن رسول الله -ﷺ- لم يكن يسرد الحديث كسردكم (٣) وكان يعطى الكلام ما يستحق النهجة حتى إن ما يختلج في صدره يبدو على وجهه ، وصفه جابر -رضي الله عنه- فقال : كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته ، واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم (٤) .

وكان لحركته وإشارته موضع كبير في إجادة الأداء فحركته معبرة تستلفت النظر وتنبه الغافل وتعين على الحفاظ والتذكر ، وكان كلامه -ﷺ- في الذروة من البيان ، ولا يرتفع فوقه في مجال الأدب الرفيع إلا كتاب الله بلاغة وفصاحة وروعة ، وما أجود ما قال الجاحظ في شأنه (٥).

---

(١) انظر في رياض الصالحين (باب استحباب بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب ص/٢٠٧ ، وانظر تحفة الأحوذي : ٢٠٤/٤ . (٢) صحيح البخاري : ١٥٢/٤ .

(٣) صحيح البخاري : ١٥٢/٤ ، ومسلم : ١٦٧/٧ ، وسنن أبي داؤد : ٢٨٨/٢

(٤) رواه مسلم : ١١/٣ ، وذكره الإمام النووي في رياض الصالحين (باب النهي عن البدع)

(٥) البيان والتبيين للجاحظ : ١٧/٢-١٨ ، بحذف سطر واحد من الوسط .

هو الكلام الذي قل عدد حروفه . وكثرت معانيه وجل عن الصنعة ونزهه عن التكلف . واستعمل المبسوط في موضع البسط . والمقصور في موضع القصر . وهجر الغريب والوحشي ورغب عن الهجين السوقي . فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة وشيد بالتأثير . ويسر بالتوفيق وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة . وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام . لم تسقط له حكمة ولا زلت به قدم . ولا بارت له حجة . ولم يقم له خصم . ولا أفحمه خطيب . بل يبذ الخطب الطوال بالكلم القصار . ولا يحتج إلا بالصدق . ولا يطلب الفلج إلا بالحق ولا يستعين إلا بالحلابة . ولم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ولا أقصد لفظا . ولا أعدل وزنا . ولا أجمل مذهبا . ولا أكرم مطلبا . ولا أحسن موقعا . ولا أسهل مخرجا . ولا أفصح معنى . ولا أبين في فحوى من كلامه -ﷺ- .

القول عن فصاحته -ﷺ- :

عرفنا فيما سبق العوامل التي أثرت في الرسول -ﷺ- والتي جعلته أفصح العرب قاطبة . والآن نريد أن نوجز القول عن فصاحته -ﷺ- .

من المعلوم أن الله سبحانه قد أولاه برعاية خاصة واهتم بعنايته منذ الطفولة حتى كان يتكلم بأفصح اللغات وأحسن التراكيب وأشهرها وأجزلها . ذلك لكي تقوم الحجة على الناس بأفصح بيان ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسول ﴾ (سورة النساء . الآية ١٦٥) . فلا تقوم الحجة إلا بالبيان الكامل .

وسفارة بين الخالق والمخلوق لا جرم أن تعتمد على البيان الخلاب والمنطق الجذاب . والقول المتحير الفائق . والكلام العذب الذي تملك به النفوس وتؤسر الألباب .

وهذا هو موسى أرسله ربه إلى بني إسرائيل فطلب منه أن يشد أزره

ويقوى ظهره ويفلح حجته ويسدد دعوته بأخيه هارون : ﴿ وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون ﴾ (سورة القصص ، الآية : ٣٤) وتمنى على ربه وهو صفيه وكليمه أن يطلق لسانه ويفتق بيانه ويحل عقدته ويفك جسته ، فقال : ﴿ واحلل عقدةً من لساني يفقهوا قولي ﴾ (سورة طه ، الآية : ٢٧) .

وهذا نبي الله داؤد ، أفاض الله عليه ومنحه فصل الخطاب (١) وامتن عليه بذلك ، فقال : ﴿ وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾ (٢).

وإذا كان العرب أمة البلاغة وأئمة الفصاحة ، فلا بد أن الرسول الذي أرسل إليهم أن يكون بيانه أسمى من بيانهم ومنطقه أروع من منطقهم . ومن أجل ذلك أولاه الله بالرعاية والعناية الكبيرتين كما قال الأستاذ مصطفى صادق الرافعي (٣) ولا نعلم أن هذه الفصاحة قد كانت له -ﷺ- إلا توفيقا من الله وتوقيفا . إذا ابتعثه للعرب وهم قوم يقادون من ألسنتهم ، ولهم المقامات المشهورة في البيان والفصاحة .

ثم قال الجاحظ بعد أن بين فصاحته -ﷺ- (٤) ولعل من يتسع في العلم ولم يعرف من مقادير الكلام يظن أنا تكلفنا له من الامتداح والتشريف ، ومن التزين والتجويد ، من ليس عنده ولا يبلغه قدره ، كلا والذي حرم التزيد على العلماء وقبح التكلف عند الحكماء ، وبهرج الكذابين عند الفقهاء ، ولا يظن هذا إلا من ضل سعيه ، وانه لقسم لو تعلمون عظيم .

بهذا نستطيع أن نقول إنه -ﷺ- كان يتمتع بمنزلة رفيعة من البيان واللسن ويحتل مكانة مرموقة في الفصاحة والبلاغة : ﴿ وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا ﴾ (سورة النساء ، الآية : ٦٢) . [يتبع]

---

(١) سورة الصاد : ٢٠

(٢) الحياة الأدبية للأستاذين الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، والدكتور صلاح الدين محمد عبد التواب : ص/٢٧٣ .

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية . ص/٢٨٣ .

(٤) المصدر السابق : ٢/١٨ .

المحدث الفاضل الإمام ابن مندة :

نبذة من حياته وخدماته العلمية

الأستاذ أبو القاسم محمد عبد القادر
قسم العربية والفارسية جامعة شيتاغونغ - بنغلاديش

هو الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة (واسم مندة إبراهيم) (١) بن الوليد بن مندة بن بطة بن استندار ابن جهار بخت العبدي الأصبهاني (٣١٠هـ - ٣٩٥هـ) (٢) الذي ولد بأصبهان (٣) ونشأ بها - قد اعتنى ابن مندة منذ صغر سنة إلى التقى وحب السنة المطهرة - وكان أول سماعه في السنة السابعة أو الثامنة من عمره - في أول الأمر هو بدأ حياته بقراءة القران الكريم - وجدير بالذكر أنه كان صاحب ذهن وقاد . حتى صار من أعلام الحفاظ في عصره - إنه سمع الأحاديث ثم تحمله وتحدثه في صغر سنة (٤) - إن أسرته وأهل بيته كانوا من اعلام الحفاظ منذ زمن طويل (٥) - حيث قال الإمام الذهبي : ما علمت بيتا في الرواة مثل بني مندة . وبقيت الروايه فيهم من خلافة المعتصم العباسي (م ٢٤٧هـ) وإلى بعد الثلاثين وستمائة (٦) - وكان والده إسحاق (م ٣٤١هـ) سمع عبد الله بن محمد بن النعمان وابن أبي عاصم والبزار - وكان جده محمد بن يحيى (م ٣٠١هـ) وجده الأعلى يحيى بن مندة كانا من أبرز المحدثين - هكذا نرى ان بيت ابن مندة بيت علم ورواية - وكان الأمر كذلك في أبنائه وأحفاده (٧) - .

قد عاش ابن مندة من سنة ٢١٠هـ إلى ٢٩٥هـ - في هذه الفترة بدأ انقسام الدولة الإسلامية إلى دويلات صغيرة - فضعف بذلك أمر الخلافة، حتى انه لم يبق للخليفة حكم في غير البغداد وأعمالها (٨) قد استبد البويهيون (٣٢٤هـ/٩٣٢م - ٤٤٧هـ/١٠٥٥م) على أمور الدولة - فلم يبق للخلفاء العباسيين إلا الرسم والاسم - والحالة الاجتماعية أيضا في هذه الفترة لم تكن طيبة ثابتة - إذ تسيطر الرعب والفزع في قلوب الناس بحيث لا يطمئن أحد على نفسه وماله - وأما من الناحية العلمية، فإن الحضارة الإسلامية قد بلغت اوجها وتعددت مراكزها - حتى أصبح العالم الإسلامي مشتعل الدنيا ومنارها - فإن الحركة العلمية قد شملت مراكز تلك الدويلات في الوطن الإسلامي كله - كما نالت تشجيعا عظيما من الخلفاء والأمراء - قد أنشأت في هذا العصر المكتبات العامة لطلاب العلم - وكان مقرها المساجد من حيث حلقات الدرس - ذلك من عادات العلماء أن يوقفوا كتبهم على الجامع - فكان في كل جامع كبير مكتبة - وايضا انشأت هناك مؤسسات علمية أخرى - فمن تلك المؤسسات مؤسسة جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي الفقيه الشافعي (م ٣٢٢هـ) ومؤسسة ابن حبان القاضي (م ٣٥٤هـ) وجامع المنصور ببغداد ودار الحكمة بالقاهرة - هكذا قد بلغت العلوم كلها في هذا العصر أعلى مستواها - فإلى جانب التأليف في الحديث وعلومه بلغ الفقه الإسلامي أعلى مستواه - فقد استقرت المذاهب الفقهية الكبرى وتوطدت أركانها

إن الإمام الحافظ ابن مندة هو صاحب الجاد في تحصيل العلوم والحرص على جمعه وتطبيقه في المسائل الدينية، خصوصا ما يتعلق منها بالأمور الاعتقادية - فهو قد صنف على الحديث وعلومه والتاريخ

وفروع العقيدة - وذلك لعلمه ان مصدر العقيدة الإسلامية الصحيحة بعد كتاب الله تعالى السنة المطهرة (٩).

إن الحافظ ابن مندة قد بدأ حياته العلمية بالتحمل لأحاديث النبي -ﷺ- من شيوخ بلده أصبهان - فسمع من أبيه إسحاق وعم أبيه عبد الرحمن بن يحيى بن مندة ومحمد بن القاسم بن كوفي الكراني ومحمد بن عمر بن الحفص وعبد الله بن إبراهيم المقري ومحمد بن حمزة بن عمارة وأبي عمرو بن حكيم وعبد الله بن يعقوب بن إسحاق الكرماني وأبي علي الحسن بن محمد بن النضر وهو ابن أبي هريرة وأحمد بن محمد التباني وخلق سواهم بأصبهان (١٠)

قد مضى ابن مندة على سنن المحدثين من قبله بمناسبة الرحلة التعليمية - فرحل في طلب العلم إلى بلاد إسلامية شتى وأخذ عن عدد ضخم من المحدثين البارزين في المدن التي زارها - فقد كان واسع الرحلة في طلب الحديث وسماعه وتحصيله وجمعه وتصنيفه - إذ بقي في الرحلة زمنا طويلا - .

قد بدأ ابن مندة رحلته التعليمية إلى نيسابور في سنة ٣٣٠هـ - وكان عمره حينئذ تسع عشرة سنة - وانه سمع بها نحوا من خمسمائة ألف حديث (١١) - فسمع بها من أبي حامد بن بلال ومحمد بن الحسين القطان . وأبي علي محمد بن أحمد الدائني وحاجب بن أحمد وأبي العباس الأصم وأبي عبد الله الأخرم وأبي بكر بن محمد بن علي بن محمد ومحمد ابن علي بن عمرو أبي عثمان عمرو بن عبد الله البصري وطبقتهم - .

ثم رحل إلى العراق وهو في تسع وثلاثين - فسمع بها وبالشام . وأقام بمصر سنين - فسمع ببغداد من إسماعيل الصفار وأبي جعفر بن

ختري الرزاز وطبقتهما - وبدمشق من إبراهيم بن محمد بن صالح بن
نان القنطري وجعفر بن محمد بن هشام وعلي بن يعقوب بن أبي العقب
بي عبد الله بن أبي مروان وأحمد بن سليمان بن حذلم ويحيى بن عبد
له بن الحارث الزجاج وأبي ميمون البجلي وأحمد بن القاسم بن معروف
أبي بكر أحمد بن عبد الله بن أبي دجانة وإسحاق بن إبراهيم بن هاشم
وزاعي وهارون بن محمد الموصلي والحسن بن أحمد بن عمير وعدي بن
عقوب الخطيب (١٢)- وبمصر من أبي طاهر أحمد بن عمرو المدائني
لحسن بن يوسف الطرائفي وحمزة بن محمد الكناني الحافظ ومحمد بن
حسن المدائني وأقرانهم.

وأيضًا يوجد اسماء بعض المدن التي رحل إليها ابن منده لطلب حديث - فسمع بالمدينة من جعفر بن محمد بن موسى العلوي وببيت قدس من أحمد بن زكريا المقدسي وبسرخس من عبد الله بن محمد بن نبل وبعمرو بن محمد بن أحمد بن محبوب ونظائره وبطرابلس من يثمة بن سليمان القرشي ومحمد بن الحسن بن منصور الإمام وبتونس ن عثمان بن محمد السمرقندي وبغزة من علي بن العباس الغزى بقيسارية من إبراهيم بن معاوية القيسراني وببيروت من موسى بن عبد الرحمن الصباغ - ولكن المؤرخين لم يذكروا تاريخ هذه الرحلات - يقول الذهبي : وسمع من خلق سواهم بمدائن كثيرة . لا أعلم أحدا كان أوسع رحلة منه ولا أكثر حديثا منه مع الحفظ والثقة - فبلغنا ان عدد شيوخه ألف وسبعمائة شيخ (١٣) - فنبغ في هذا الفن . سئل سعد بن علي الحافظ (م ٤٧١هـ) بمكة عن الدار قطني وابن مندة والحاكم وعبد الغني - فقال : أما الدار قطني فأعلمهم بالعلل واما ابن مندة فأكثرهم

حديثا مع المعرفة التامة . واما الحاكم فأحسنهم تصنيفا وأما عبد الغني فأعرفهم بالأنساب (١٤) - قال الحافظ شمس الدين محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد الدمشقي (م ٨٤٢هـ) : أبو عبد الله الإمام أحد شيوخ الإسلام - وهو إمام حافظ جبل من الجبال - ولما رجع من رحلته كانت كتبه أربعين حملا على الجمال . حتى قيل : إن أحدا من الحفاظ لم يسمع ما سمع ولا جمع ما جمع (١٥) - .

إن مذهب ابن مندة هو مذهب السلف أهل السنة والجماعة القائلين بأن الإيمان اعتقاد القلب وقول باللسان وعمل بالجوارح يزيد وينقص (١٦) - إن ابن مندة من كبار العلماء واعلام الحفاظ للسنة المطهرة والمفسر لكتاب الله تعالى - ومن بلغ هذه الرتبة في العلم لا يكون مقلدا - إن ابن مندة من هؤلاء العلماء الذين بلغوا درجة الاجتهاد - قد ترجم له أبو يعلي في طبقات الحنابلة مما يدل على انه حنبلي (١٧) - .

إن عدد شيوخ ابن مندة الذي ذكرنا أعلاه أكثر من ألف وسبعمائة شيخ الذين سمع منهم وأخذ عنهم - سواء كان ذلك ببلده أصبهان أم البلدان الأخرى التي رحل إليها - وذلك العدد الضخم لم يحصل لأحد من علماء زمانه - فقد كان أول سماعه من أبيه ثم من عم أبيه عبد الرحمن بن يحيى بن مندة - وذلك لأن أهل بيته هم أهل الرواية واعلام الحفاظ في الدنيا - فمن هؤلاء الشيوخ انه كتب عن أربعة أربعة آلاف جزء - وهم : أبو سعيد أحمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري الصوفي المعروف بابن الأعرابي (م ٢٤٠هـ) وأبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل ابن سنان الأموي النيسابوري (م ٢٤٦هـ) وأبو الحسن خيثمة بن سليمان القرشي الطرابلسي (م ٢٤٢هـ) وأبو سعيد الهيثم بن كليب بن

شريح بن معقل الشاشي (م ٣٢٥هـ) - .

وإلى جانب هؤلاء سمع ابن مندة من عدد كبير من العلماء الذين لهم دور بارز في الحفظ والاتقان - فمن أبرز هؤلاء : القاضي أبو أحمد محمد بن إبراهيم العسال وأبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف الشيباني وأبو على إسماعيل بن محمد الصفار وإسماعيل بن يعقوب البغدادي ومحمد ابن إبراهيم بن مروان الدمشقي ومحمد بن محمد بن يونس الأبهري وحسان بن محمد الشافعي ومحمد بن الحسين بن الحسن القطان النيسابوري وأحمد بن إسحاق بن يعقوب الصبغي ويحيى بن عبد الله ابن الحارث الدمشقي وأبو القاسم حمزة بن محمد بن العباس الكناني وأحمد بن سليمان بن أيوب بن حدلم وغيرهم - .

لقد أخذ الحديث عن ابن مندة شيوخه وأقرانه وغيرهم من التلامذة الذين عنوا بتلقى الحديث وسماعه - فقد أخذ عنه حافظ أصبهان الإمام محمد عبد الله بن محمد بن حيان الأنصاري وهو أحد شيوخه والإمام أبو عبد الله الحاكم وهو من أقرانه كما أخذ عنه تلاميذه تمام بن محمد الرازي وأبو عبد الله الغنجار وأبو الطيب أحمد بن عمر التاجر وزياد بن محمد بن زياد البقال وحمزة بن يوسف السهمي وأحمد بن الفضل الباطرقاني وأبو سعيد الإدريسي وأحمد بن علي بن عقبة وأحمد بن محمد بن مسلم الصباغ الأعرج وأبناؤه عبد الرحمن بن مندة وأبو عمرو عبد الوهاب بن مندة وعبيد الله بن مندة وإسحاق بن مندة - .

إن ابن مندة قد لعب دورا خطيرا في شتى ميادين العلوم - فمصنفاته تتناول أهم جوانب الثقافة الإسلامية ولا سيما في الحديث وعلومه وفي التفسير والعقائد والتاريخ - .

إن ابن مندة كما ذكرنا أعلاه قد كتب عن أربعة من شيوخه أربعة آلاف جزء - لما رجع من رحلته الطويلة كانت كتبه أربعين حملا - وفيها تسميه عاليه ومصنفاته من الحديث (١٨) - فمصنفاته في هذا (الموضوع -١) (الحديث ٢) (الامالي -٣) (الفوائد - ٤) مسند أحاديث إبراهيم ابن ادهم (م ١٦٢ هـ)

إن التاليف في علم الرجال قد بدأ منذ القرن الثالث الهجري ، واستمر إلى القرن الرابع الذي عاش فيه الامام ابن مندة حيث ساهم في هذا الفن - فألف عددا من الكتب وأسماؤها كالتالي :

١ - كتاب معرفه الصحابة - هو كتاب يزيد على أربعين جزءا - .

٢ - كتاب فتح الباب في الكنى والالقاب - هذا الكتاب يزيد على ثمانية اجزاء -

٣ - كتاب تسميه المشائخ .

٤ - كتاب الاسامي والكنى

٥ - كتاب الكنى (١٩) .

٦ - رسالة في بيان نقل الاخبار وشرح مذاهب أهل الآثار وحقيقه السنن وتصحيح الروايات - وهي معروفة بشروط الأئمة - .

٧ - نقد لمسند أبي حنيفة

٨ - التاريخ المستخرج من كتب الناس (٢٠) - هذا كتاب كبير جدا - وهو معروف بكتاب تاريخ أصبهان (٢١)

فمصنفات ابن مندة في موضوع العقائد هي :

١ - كتاب الرد على اللفظية

٢ - كتاب الصفات .

٣ - كتاب في النفس والروح

٤ - كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته على الاتفاق والتفرد - هذا الكتاب يقع في سته أجزاء -

٥ - كتاب الرد على الجهمية .

٦ - كتاب الإيمان على الاتفاق والتفرد - يمكننا أن نقول بأن له مصنفات كثيرة في حكم المفقود - .

قد رجع ابن مندة إلى وطنه أصبهان بعد رحلته الطويلة في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة الهجرية - ويليق بالذكر بأنه كان عاد إلى وطنه بعد الرحلة الأولى - فبقى فترة في وطنه ثم استأنف الرحلة - و هذا قد عبره تلميذه العلامة الباطرقاني : سمعت أبا عبد الله يقول : طفت الشرق والغرب مرتين (٢٢) - فأقام هناك سنتين ، ثم توفي ليله الجمعة في شهر ذي القعدة من سنة خمس وتسعين وثلاثمائة الهجرية (٢٢) - ودفن من الغد بعد صلاة الجمعة وصلى عليه ابنه أبو القاسم ودفن بمقبرة دولكاباز - تغمده الله تعالى برحمته - .

••• •• •••

المراجع :

(١) الإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي : كتاب تذكرة الحفاظ ، الطبعة الرابعة ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ١٩٦٨م ، ٧٤١/٢.

(٢) إسماعيل باشا البغدادي ، هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، مكتبة المثنى - بيروت ، ج/٢ ، ص/٧٥ ، وأيضًا ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، مكتبة النهضة المصرية - ١٩٤٧م ، ج/٢ ، ص/٤١٦-٤١٧ .

(٣) أصبهان : مدينة عظيمة مشهورة من اعلام المدن وأعيانها .. فتحت في خلافة عمر بن الخطاب ، سنة ١٩ هجرية ، على يد عبد الله بن عتبان صلحًا - الحموي : معجم البلدان ، دار صادر بيروت - المجلد الأول - ص/٢٠٦-٢١٠ .

(٤) ابن الصلاح ، علوم الحديث - تحقيق نور محمد عتر - المكتبة العلمية بالمدينة - ص/١١٤-١١٥ .

(٥) ابن الأثير: البداية والنهاية . مكتبة النصر بالرياض - ١٩٦٦م ، ج/١١ ، ص/٢ .

(٦) الذهبي: سير اعلام النبلاء . المدينة المنورة ج/١١ ، ورقة : ٩

(٧) ابن منده: كتاب الإيمان: المجلس العلمي . الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - ١٩٨١م . ١/٢٤-٢٥ وأيضًا وفيات الأعيان . المصدر السابق -

(٨) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب . بيروت ج/٢ . ص/٢٠٥

(٩) ابن منده: المرجع السابق ج/١ ، ص/٢٦

(١٠) الذهبي: سير اعلام النبلاء ج/١١ ، ورقة ٧ ألف

(١١) المصدر السابق

(١٢) ابن عساكر الدمشقي: تواريخ دمشق . المجمع اللغوي بدمشق . ج/١٥ ورقة ٢٢ ب

(١٣) الذهبي: سير اعلام النبلاء ج/١١ ، ورقة ٨

(١٤) المصدر السابق ج/١١ ورقة ٨ ب

(١٥) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ج/٢ . ص/١٤٦

(١٦) ابن منده: كتاب الإيمان ج/١ ص/٤٢

(١٧) المصدر السابق ص/٤٧

(١٨) المصدر السابق ص/٦٤

(١٩) ذكر الذهبي اسم هذا الكتاب في سير اعلام النبلاء ج/١١ . ص/١٨ ب ، ولست أدري أ هو كتاب الاسامي والكنى السابق أم هو كتاب مستقل

(٢٠) خير الدين الزركلي: الاعلام . الطبعة الثانية . ج/٦ ، ص/٢٥٢

(٢١) وفيات الأعيان: المصدر السابق

(٢٢) الذهبي: سير اعلام النبلاء ج/١١ ، ورقة ٨-٩

(٢٣) ابن عساكر: تواريخ دمشق ج/١٥ ورقة ٢٤ .

... .

الإمام النسائي وصناعته الحديثية في سننه

[الحلقة السابعة]

سعادة الدكتور تقي الدين الندوي
أستاذ الحديث في جامعة الإمارات العربية

المبحث السادس :

ابن الجوزي وسنن النسائي (هل في السنن أحاديث موضوعة ؟) :

ألف الإمام ابن الجوزي (٥٩٧هـ) كتاب الموضوعات وأورد فيه أحاديث صحيحة وحسانا . لذلك كثر الانتقاد عليه وشنع عليه الحافظ .

قال الذهبي : ربما ذكر ابن الجوزي في « الموضوعات » أحاديث حسانا قوية . قال : ونقلت من خط السيد أحمد بن أبي المجد قال : صنف ابن الجوزي كتاب الموضوعات فأصاب في ذكر أحاديث شنيعة مخالفة للنقل والعقل ما لم يصب فيه . إطلاقه الوضع على أحاديث بكلام بعض الناس في أحد رواتها . كقوله فلان ضعيف أو ليس بالقوي أولين . وليس ذلك الحديث مما يشهد القلب ببطلانه . ولا فيه مخالفة ولا معارضة لكتاب ولا سنة ولا إجماع . ولا حجة بأنه موضوع سوى كلام ذلك الرجل في رواية . وهذا عدوان ومجازفة . انتهى .

وقال شيخ الإسلام : غالب ما في كتاب ابن الجوزي موضوع . والذي ينتقد عليه بالنسبة إلى ما لا ينتقد قليل جدًا . وقال : وفيه من الضرر أن يظن ما ليس بموضوع موضوعًا (١) .

---

(١) تدريب الراوي للسيوطي : ج/١ . ص/٧٥-٢٧٤ .

وقال النووي : ذكر كثيرًا مما لا دليل على وضعه بل هو ضعيف (١) .

وبسبب تسرعه إلى رمي بعض الأحاديث بالوضع ، تعرض العلماء لكتابه بالنقد وبيان ما تساهل فيه ، فألف الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) كتابه « القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد » وأجاب فيه عن الأحاديث التي رماها ابن الجوزي بالوضع في مسند الإمام أحمد ، وهو مطبوع في مجلد (٢) وذيل على هذا الكتاب السيوطي (ت ٩١١هـ) واستدرك ما فات ابن حجر ثم ألف السيوطي ذيلا لهذين الكتابين وسماه « القول الحسن في الذب عن السنن » (٣) .

وكان السيوطي (ت ٩١١هـ) من أشهر العلماء قاموا بالنقد والتعقب على كتاب الموضوعات لابن الجوزي فألف كتابه : « اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة » و « التعقبات على الموضوعات » قد جمعهما أبو الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني (ت ٩٦٢هـ) في كتابه : « تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة ، فلخصهما وزاد عليهما زيادات » وقد طالعت كتابي السيوطي ، اللآلي المصنوعة والتعقبات ، وكتاب ابن عراق ، فوصلت إلى أن هناك خمسة أحاديث من سنن النسائي (المجتبى) أدرجها ابن الجوزي في سلك الموضوعات ، وبعد دراسة هذه الأحاديث تبين أنها ليست بموضوعة كما ظن ابن الجوزي ، بل هي تدور بين الصحة والضعف ، والآن : ننتقل إلى بيان الأحاديث التي رماها ابن الجوزي بالوضع .

---

(١) المنهل الراوي من تقريب النواوي : ص/٨١

(٢) وعليه ذيل لصبغة الله المدارسي وهو مطبوع مع القول المسدد ، بدائرة المعارف الهندية .

(٣) تدريب الراوي ، ج/١ ، ص/٢٨٠ .

حديث « لا تقطعوا اللحم بالسكين » :

أخرجه النسائي من طريق أبو معشر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي -ﷺ- لا تقطعوا اللحم بالسكين ولكن انهسوا نهسا . وقال النسائي : أبو معشر المدني اسمه نجيح ، وهو ضعيف ومع ضعفه أيضًا كان قد اختلط عنده أحاديث مناكير . وعد النسائي هذا الحديث من مناكير أبي معشر (١) .

أورد ابن الجوزي هذا الحديث في كتابه . « الموضوعات » ونقل عن أحمد بن حنبل أنه قال : ليس بصحيح ، وقد كان النبي -ﷺ- يحتز من لحم الشاة (٢) .

وأخرج أبو داؤد هذا الحديث في سننه من طريق أبي معشر وقال : ليس هذا بالقوى (٣) .

قال الذهبي : في « أبي معشر » الفقيه صاحب المغازي كان من أوعية العلم على نقص في حفظه . قال ابن معين : ليس بالقوى . وقال أحمد بن حنبل : كان بصيرا بالمغازي صدوقا وكان لا يقيم الإسناد . قد احتج به النسائي ولم يخرج له الشيخان (٤) .

قال ابن عراق : أخرجه أبو داؤد في سننه من طريق أبي معشر وقال :

---

(١) سنن النسائي : ج/ ٤ ، ص/ ١٧٢ .
وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى : ج/ ٧ ، ص/ ٢٨٠ .
والسيوطي في اللآلي المصنوعة ج/ ٢ ، ص/ ٢٢٦ .
والمغنى في تذكرة الموضوعات : ص/ ١٤٥-١٤٦ .
(٢) الموضوعات لابن الجوزي : ج/ ٢ ، ص/ ٣٠٢ .
(٣) سنن أبي داؤد حديث رقم/ ٣٧٧٨ ، باب في أكل اللحم من كتاب الأطعمة .
(٤) تذكرة الحفاظ : ج/ ١ ، ص/ ٢٢٤-٢٢٥ .

ليس بالقوى . والبيهقي في الشعب . وذكر أنه ورد ما يعارضه كما مر عن احمد . ثم قال . فإن صح حديث أبي معشر فيكون هذا في لحم لم ينعم نضجه . وحديث أبي معشر في لحم قد تكامل نضجه انتهى . وجاء من حديث أم سلمة أخرجه الطبراني من طريق عباد بن كثير الثقفي وهو ضعيف (قلت) بل متروك متهم (١)

وقد أخرج البيهقي حديث ابي معشر عن عائشة وسكت عليه . ولم يعلق عليه ابن التركماني ثم خرج حديثا آخر عن عمرو بن أمية أنه رأى رسول الله ﷺ - يحتز من كتف شاة في يده فدعى إلى الصلاة فألقاها والسكين التي كان يحتز بها ثم قام فصلى ولم يتوضأ .

قال البيهقي . رواه البخاري في الصحيح عن أبي اليمان وأخرجه مسلم من وجه آخر عن الزهري . وفي هذا دلالة على جواز قطعه بالسكين وأن النهي الذي قبله إن صح فإنما أراد به - والله اعلم - أنه إذا نهسه كان أطيب (٢) .

تبين في ضوء ما نقلنا أن حكم ابن الجوزي على هذا الحديث غير سديد لأنه ضعيف وليس بموضوع وقد نبه النسائي على ضعفه لأنه اخرجه في كتاب الصيام لبيان أن أبي معشر ضعيف يروي المناكير ، وشتان بين الضعيف والموضوع

حديث « لا تمنع يد لامس » :

أخرج النسائي من طريق هارون بن رئاب عن عبد الله بن عبيد بن عمير وعبد الكريم عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن ابن عباس قالا : جاء

---

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة ج/٢ ص ٢٤٨ وانظر حديث أم سلمة في مجمع الزوائد ج/١ ، ص/٧ . وبذل المجهود ج/١٦ ص/١٠٣

(٢) السنن الكبرى ج/٧ ص/٢٨٠ باب ما جاء في أكل اللحم

رجل إلى رسول الله -ﷺ- فقال : إن عندي امرأة هي من أحب الناس إلي وهي لا تمنع يد لامس ، قال : طلقها ، قال : لا أصبر عنها ، قال : استمتع بها ، قال النسائي : عبد الكريم يرفعه إلى ابن عباس ، وهارون لم يرفعه ، وهذا الحديث ليس بثابت ، وعبد الكريم ليس بالقوى وهارون أثبت منه ، وقد أرسل الحديث ، وهارون ثقة وحديثه أولى بالصواب من حديث عبد الكريم (١)

طعن فيه ابن الجوزي وقال : لا أصل له ونقل عن أحمد بن حنبل هذا الحديث لا يثبت عن رسول الله -ﷺ- (٢) .

قلت : قال ابن حجر : إنه حسن صحيح ، وقال : لم يصب من قال إنه موضوع (٣) .

وقال السندي : قيل هذا الحديث موضوع و رد بأنه حسن صحيح ورجال سنده رجال الصحيحين فلا يلتفت إلى قول من حكم عليه بالوضع (٤) .

وقد أخرج النسائي هذا الحديث أيضًا من طريق الحسين بن حريث ، قال حدثنا الفضل بن موسى ، قال حدثنا الحسين بن واقد عن عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : جاء رجل إلى النبي -ﷺ-

---

(١) سنن النسائي : ج/٦ ، ص/٦٧-٦٨ ، باب تزويج الزانية . والبيهقي في السنن الكبرى : ج/٧ ، ص/١٥٤-١٥٥ .

(٢) اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة : ج/٢ ، ص/١٧١ ، والموضوعات : ج/٢ ، ص/٢٧٢ ، باب ثبوت الرجل مع المرأة الفاجرة .

(٣) انظر تنزيه الشريعة : ج/٢ ، ص/٢١٠ .

(٤) حاشية السندي على سنن النسائي : ج/٦ ، ص/٦٨ .

فقال : إن امرأتي . الحديث (١)

وأخرج أبو داؤد هذا الحديث أيضا عن ابن عباس وسكت عليه (٢) .

وقال ابن حجر في التلخيص الحبير إسناده أصح (٣) . قال الحافظ زكي الدين المنذري في مختصر السنن رجال إسناده محتج بهم في الصحيحين على الاتفاق والانفراد علة عليه السيوطي . يريد بالنسبة إلى مجموع الصحيحين لا إلى كل فرد فرد منهما فإن البخاري ما احتج بالحسين بن واقد وكذلك لم يحتج مسلم بعمارة ولا بعكرمة . فلو سلم أن الحديث على شرط الصحيح لم يسلم أن الحديث على شرط البخاري ولا على شرط مسلم وإنما لم أجسر على إطلاق القول بتصحيحه . لأن الحسين ابن واقد ربما أخطأ والفضل بن موسى قال أحمد : إن في روايته مناكير . وكذلك نقل عن علي بن المديني (٤) ولهذا الحديث شاهد أخرجه النسائي من طريق إسحاق بن إبراهيم قال حدثنا النضر بن شميل . قال حدثنا حماد بن سلمة قال أنبأنا هارون بن رئاب عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن ابن عباس موصولا قال النسائي هذا خطأ والصواب مرسل (٥)

قال السيوطي هذا الإسناد قوي وإذا انضمت هذه الطرق إلى الطريق

---

(١) سنن النسائي ج/٦ . ص/١٦٩-١٧٠

(٢) سنن أبي داؤد ج/٤ ص/٢٢٠ ـ النهي عن ترويج من لم يلد من النساء

(٣) التلخيص الحبير ج/٢ ص/٢٢٤

(٤) اللآلي المصنوعة ج/٢ ص/١٧١-١٧٢

(٥) سنن النسائي ج/٦ . ص/١٧٠

الأخرى المباينة لها في أعيان رجالها إلى ابن عباس علم أن للحديث أصلا .
ثم قال السيوطي : للحديث شاهد عن جابر بن عبد الله أخرجه الخلال والطبراني من طريق عبد الكريم وأخرجه البيهقي من طريق معقل بن عبد الله ورجال الطريقين موثوقون . وقال ابن حجر : لو انضمت هذه الطرق إلى ما تقدم من طريق حديث ابن عباس لم يتوقف المحدث عن الحكم بصحة الحديث ولا يلتفت إلى ما وقع من أبي الفرج ابن الجوزي حيث ذكر هذا الحديث في الموضوعات . ولم يذكر من طرقه الا الطريق التي أخرجها الخلال من طريق أبي الزبير عن جابر . واعتمد في بطلانه على ما نقله الخلال عن أحمد . فأبان ذلك عن قلة اطلاع ابن الجوزي وغلبة التقليد عليه حتى حكم بوضع الحديث بمجرد ما جاء عن إمامه (١) .

فتبين مما تقدم من أقوال العلماء ونقاد الحديث أن لهذا الحديث أصلا ثابتا وأنه حسن صحيح . كما قاله ابن حجر وعيره . وبعد بيان طرقه المتقدمة وشواهده . لم يُلتفت إلى قول ابن الجوزي ولا من اقتدى به البتة .

حديث « عن الخضاب بالسواد » :

أخرجه النسائي من طريق عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رفعه أنه قال : قوم يخضبون بهذا السواد آخر الزمان كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة (٢) .

---

(١) اللآلي المصنوعة : ص/١٧٢-١٧٣ .
(٢) السنن النسائي (المجتبى) : ج/٨ . ص/١٢٨ . باب النهي عن الخضاب بالسواد .

>>>

أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات وقال : هذا حديث لا يصح عن رسول الله -ﷺ- . والمتهم به عبد الكريم بن أبي المخارق أبو أمية البصري . قال أيوب السختياني : والله إنه لغير ثقة . وقال يحيى : ليس بشيء . و قال أحمد بن حنبل : ليس بشيء يشبه المتروك ، قال الدار قطني : متروك

وقال المنذري في " مختصر السنن " أخرجه النسائي وفي إسناده عبد الكريم ولم ينسبه أبو داؤد ، ولا النسائي . وذكر بعضهم أنه عبد الكريم ابن أبي المخارق أبو أمية البصري ، فضعف الحديث بسببه (١) .

قلت : لقد وقع ابن الجوزي في خطأ كبير دل على تساهله في الحكم على الحديث ، هو ومن تابعه ولو استوعبوا أسانيد الحديث لوجدوا أنه من رواية عبد الكريم الجزري لا عبد الكريم المخارق . وهو ثقة ثبت عند العلماء

قال العلائي : ذكره ابن الجوزي في « الموضوعات » وأخطأ في ذلك خطأ فاحشا . لأنه بنى ذلك على أن عبد الكريم هو ابن أبي أمية أبو المخارق البصري ، وأنه ضعيف ، وليس الأمر كما ظن بل هذا عبد الكريم بن مالك الجزري صرح بنسبه البيهقي في هذا الحديث بعينه في كتاب « الاداب » له (٢) .

>>> والحديث أخرجه أبو داؤد في السنن رقم ٤٢١٢ باب الخضاب
وأحمد في المسند ج/١ ص/٢٧٣
والبغوي في شرح السنة رقم/٣١٨٠
والبيهقي في السنن الكبرى ج/١ ص/٢٠٠
(١) درجات مرقاة الصعود للدمنتي ص/٧١
(٢) النقد الصحيح لما اعترض عليه من أحاديث المصابيح ، ص/٢٦

وقال ابن حجر في « القول المسدد » أخطأ في ذلك (أي ابن الجوزي) فإن الحديث من رواية عبد الكريم الجزري الثقة المخرج له في الصحيح (١) .

وتابعة السيوطي في « التعقبات على الموضوعات » (٢) .

وقال العلائي : عبد الكريم الجزري . ثقة متفق عليه . فإسناد الحديث على شرط الصحيحين (٣) .

وقال الذهبي في تلخيص الموضوعات : عبد الكريم ما هو ابن أبي المخارق والحديث صحيح (٤) .

ثبت من هذا كله أنه حديث صحيح من رواية عبد الكريم الجزري وهو ثقة عند المحدثين . ومن زعم أنه عبد الكريم بن أبي المخارق فقد أخطأ في ذلك .

لكن قال العلائي : ثم لو سلم أنه أبو المخارق . فقد روى عنه الإمام مالك ، ولا يروى إلا عن ثقة عنده . وأخرج له البخاري تعليقا . ومسلم في المتابعات فلا يجوز أن نحكم ما انفرد به بالوضع (٥)

خلاصة القول : حديث الخضاب بالسواد حديث صحيح كما اتفق الأئمة عليه . ولا يلتفت إلى طعن ابن الجوزي البتة ولا إلى من تابعه .

[يتبع]

---

(١) القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد : ص/٤٩ .

(٢) التعقبات على الموضوعات : ص/٢٢

(٣) النقد الصحيح : ص/٢٦ .   (٤) تنزيه الشريعة : ج/٢ . ص/٢٧٥ .

(٥) النقد الصحيح : ص/٢٦-٢٧ . وانظر أقوال العلماء في ابن أبي المخارق في تهذيب التهذيب : ج/٦ . ص/٢٧٧ .

حول قضايا العالم :

النظام العالمي الجديد

سعادة الدكتور مصطفى محمد الطحان
الأمين العام لاتحاد المنظمات الطلابية

١ - مقدمــــة :

تتباين الآراء حول قضية (النظام العالمي الجديد) ، بين فريق يؤكد قيام هذا النظام ويتحدث عن أهميته ومواصفاته ودوره ، وبين فريق يتردد في قبول الفكرة ، وفريق ثالث يرى أن ما يجري اليوم على الساحة الدولية لا يعدو أن يكون تخطيطًا للنظام العالمي الذي تعارف عليه العالم في أعقاب الحرب العالمية الثانية ومؤتمر يالطا عام ١٩٤٥م ، ومهما تباينت الآراء حول المصطلحات إلا أنه لابد من التسليم أن أحداثا خطيرة حدثت على المستوى الدولي . كان يظنها الاستراتيجيون غير واقعة ، أو توقعوا آمالا أطول بكثير لوقوعها . منها :

= التغيرات في أوربا الشرقية وانحسار المظلة السوفياتية من فوق رأسها . وتوقيع معاهدة باريس في ديسمبر (كانون الأول)١٩٩٠م لترتيب البيت الأوربي

= الوحدة الألمانية : وبروزها كقوة رئيسية في أوربا .. تنافس القوى العالمية الأخرى .

= انهيار الاتحاد السوفياتي وتفككه إلى خمس عشرة جمهورية مثخنة بجراحات التخلف والحروب الأهلية ، وقد كان القوة العظمى التي تشكل أحد ركني النظام العالمي السابق .

= حرب الخليج : التي أعدت لها أمريكا كل الوسائل عبر عقد من
ان . ليتزامن إعلانها مع إعلان رئيس الجمهورية جورج بوش يوم
/١/١٩٩١م عن ميلاد نظام عالمي جديد ، يكون فيه حكم القانون هو
يحكم تصرفات الأمم . وحيث تستطيع أمم متحدة تتوافر لها الصدقية .
تخدام دورها كصانعة سلام لإنجاز وعد موجديها وتحقيق رؤاهم ، أن
مية الكويت ليست مجرد بلد صغير يتعرض للخطر . بل فكرة كبيرة
يوية هي فكرة النظام العالمي الجديد » ويومها أكد جورج بوش » أن
لايات المتحدة وحدها من بين أمم العالم هي التي تتوافر لها على حد
واء المكانة المعنوية والوسائل اللازمة لحماية النظام العالمي الجديد » .
نظام العالمي الجديد هو كما خطط له من أعلنه . هو نظام تنفرد به
لايات المتحدة بالقيادة . وتعمل فيه باسم الشرعية الدولية مستخدمة
ظمة الأمم المتحدة .

- من الأمريكان من يرفض هذا المنطق :

« مايكل ماكيبري » كتب في الواشنطن بوست يوم ٢٠/٩/١٩٩٠م
ال : هل الحديث عن القانون الدولي يرد فقط حين يكون مناسبا لنا
ن الأمريكيين .. ؟ إن مبدأ ريغان كان رفضا واضحًا للقانون الدولي .
ن إدارتي ريغان وبوش أولتا انتباها ضئيلا في غرينادا ونيكاراغوا
بنما . لاعتبارات سيادة الدول . بل ذهب فريق من أنصار المدرسة
واقعية إلى اعتبار الأمر في جملته ضارا لمصالح الولايات المتحدة .
حذروا الرئيس بوش بأنه سيندم على سيره في طريق القانون الدولي
لالتزام بالنظام العالمي الجديد . لأن هذا الالتزام سيعني أن نسلم
لتخلي عن حريتنا في العمل في بعض المناسبات . كما سيعني احترام

سيادة حكومات نحن لا نرغب فيها ، ودعا هؤلآء الولايات المتحدة إلى الاستمرار في اعتماد سياسة توازن القوى ، فهي السياسة التي اكسبت الولايات المتحدة الحرب الباردة (١) .

٣- والدول الأوربية متحفظة كذلك :

واشتدت هده التحفظات الأوربية في أعقاب إعلان وثيقة وزارة الدفاع الأمريكية التي تتضمن استراتيجية الولايات المتحدة حتى مطلع القرن المقبل ، والتي تؤكد أن الولايات المتحدة ستكون القوة العظمى الوحيده في النظام العالمي الجديد بفعل تفوقها العسكري والنووي والتقني ، وإن عليها الحفاظ على دلك ولو أدى إلى استمرار الإنفاق العسكري وإعضاب دول أخرى مثل ألمانيا واليابان . ولقد عبر الأوربيون حين واجهوا جيمس وزير خارجية أمريكا في اجتماع مجلس التعاون للحلف الأطلسي في بروكسل في مارس (آدار) ١٩٩٢م ، عن قلقهم من النزعة الأمريكية للهيمنة على كل شئ .

٤ - أما دول العالم الثالث :

وهي الدول المتضررة أساسا ، والتي مارست القوى العظمى تجاربها فوق رأسها ، فاستعمرت أرضها ، وانتهكت استقلالها ، واستغلت ثرواتها الطبيعة ، وفرضت عليها مبادئها ونرواتها وأسواقها ، وشرّعت لها النظام الدولي وأجبرتها على قبوله ، تارة باسم عصبة الأمم (١٩٢٠م) وتارة باسم الأمم المتحدة (١٩٤٥م) وتارة باسم النظام العالمي الجديد (١٩٩١م) الذي ما زالوا مختلفين في تحديد معالمه النهائية .

---

(١) النظام العالمي الجديد - أحمد صدقي الدجاني (الحياة اللبنانية ١٥/٦/٩٢م) .

العالم الثالث متردد في قبول فكرة النظام العالمي الجديد وإنها مبنية على العدل والقانون الدولي .. ومن أسباب تردده :

= مواقف الأمم المتحدة المتباينة ، فهل موقفها في حرب الخليج هو نفسه موقفها في البوسنة والهرسك ، وهل موقفها في فلسطين وقبرص والصومال وارتيريا وليبيا هو نفس موقفها تجاه كرواتيا وسلوفينيا ودول البلطيق وإسرائيل ، على سبيل المثال .. ؟ إن المسلمين يجدون أنفسهم في موقع الاتهام بانتهاك الشرعية الدولية ، في الوقت الذي تنتهك فيه إسرائيل الشرعية الدولية كل يوم وتحل الأرض العربية من دون أي توجه نحو تطبيق الشرعية الدولية ضدها .

= ثم هل يمكن أن يطمئن العالم الثالث لقيادة أحادية القطب .. وهل محيت من ذاكرته أفعال الأقطاب السابقين . الاستعمار الفرنسي والاستعمار البريطاني والنازية والفاشية والأمريكية اليوم . إن أخطر ما يتعرض له النظام العالمي الجديد هو أن تتحكم فيه غطرسة القوة . وقد عرفها فولبرايت (في كتابه الذي كتبه تحت هذا الاسم عام ١٩٦٨) : « إنها حالة نفسية تعتري الأمم وتبدو أثناءها أمة ما في حاجة نفسية إلى إثبات أنها أكبر من الأمم الأخرى وأفضل وأقوى » يقول نابليون بونابرت : « إن جميع الإمبراطوريات تموت بالتخمة » مشيرا إلى نزعة التوسع والتسلط .

= ثم ما هي حدود ممارسة مبدأ التدخل الدولي في أمور داخلية للدول .. ؟ النظام الدولي الجديد يدعو إلى صور من التدخل الخارجي باسم القانون الدولي والأمن الجماعي ، والتدخل لأسباب إنسانية ، أو لأسباب أمنية ، أو لأسباب بيئية .. فهل سيراعي في هذه التدخلات العدل وحقوق

الإنسان حقًا وصدقا . أم هو ستار جديد لنوع جديد من الهيمنة والاستعمار ... ؟

= إن النظام العالمي السابق واللاحق هو نظام أوربي قام على توازن المصالح بين الدولة الأوربية وفق الخطوط التي توافق عليها المنتصرون في الحرب العالمية الأولى أو الثانية . وكما راعي هذا النظام مصالح الأوربيين فقد أهدر بالمقابل مصالح القوى والشعوب الأخرى في العالم الثالث أو العالم الإسلامي . فإذا كان المسلمون يشكلون ربع سكان الكرة الأرضية . ولهم من الموقع الاستراتيجي المهم والثروات الهائلة .. والتاريخ العظيم والمبادئ الحضارية القويمة . إلا أنهم ومنذ دالت دولتهم في مطلع هذا القرن . يعيشون في ظروف قاسية يتحكم بهم وبقضاياهم المستعمر الأوربي

إن العالم اليوم بحاجة فعلا إلى نظام عالمي جديد ليس على نفس النسق السابق الذي تحكم فيه الرجل الأبيض بالآخرين . بل إلى نظام يسود فيه العدل كقيمة مبنية على الحق لا على القوة . إلى نظام تتحكم فيه الأخلاق بالسياسة . لا السياسة بالأخلاق . إلى نظام يسترد فيه الإنسان كرامته وقيمته من تكريم خالقه له . لا من لغته أو موقعه أو لونه أو زرقة عينيه أو أي اعتبار آخر . إلى نظام يؤكد حق الإنسان في الأمن والحرية والحياة الكريمة في وطنه . كما يؤكد على العلاقات بين الشعوب وحقها في العيش في عالم خال من التهديد والاستعباد أو الاستبعاد .

٥ - نوع آخر من الصراع :

يظهر لنا مما تقدم أن النظام العالمي الجديد . هو مجرد رغبة أمريكية لم تحظ بالقبول بعد . لا في داخل الولايات المتحدة .. ولا في خارجها ..

بل هناك من يتصور ان الحرب الباردة التي توقفت ظاهرا بين أمريكا والاتحاد السوفياتي (الذي تحطم وتناثر) ما زالت قائمة على أشدها ولم تتبدل فيها غير ساحات الصراع و وسائله.. لقد تحول التنافس العالمي من صراع سياسي وأيديولوجي وعسكري . بين الغرب والاتحاد السوفيتي . إلى صراع اقتصادي بين أمريكا من ناحية واليابان وألمانيا من ناحية أخرى .. بل إلى تنافس أوربي - أمريكي وأوربي - أوربي . على كل الساحات العالمية . وحتى في أمريكا نفسها . صاحبة شعار النظام العالمي الجديد . فقد فشل الرئيس بوش في أن يقنع الرأي العام الأمريكي بأهمية إنجازاته في مجال السياسة الخارجية فجروه رغما عنه إلى البحث في المشكلات الاقتصادية الداخلية وصرف النظر عن كل أمر آخر سواها . وبذلك خسر رهانه على البيت الأبيض أمام كلنتون الذي ضرب على الوتر الحساس وخاطب الأمريكيين في الأمر الذي يهمهمونه في الوقت الحاضر .

إن انتهاء الحرب الباردة لا يعني مطلقا انتهاء الصراعات السياسية . لكنه يعني تحولا كميا وكيفيا في مفهوم الصراع الدولي . لقد انتهى الصراع الأيديولوجي بين الغرب الرأسمالي والشيوعية ليحل محله الصراع الاقتصادي أو الديني أو القومي بين الشعوب المختلفة . إن الصراع من طبائع الأمور . ولا يمكن لعالم أن يستقر بقطب واحد . وستبقى الأوضاع العالمية قلقة . والحرب الباردة التي زعموا انتهاءها ستشتد إلى أن تظهر أقطاب دولية أخرى جديدة أو قديمة تتوازن مع بعضها توازن رعب أو توازن مصالح . وفي هذه الفترة الانتقالية هناك فرصة لكل القوى الفكرية أو الحضارية أو الاقتصادية أن تظهر وتصبح

جزءًا من تواريات العالم فهل يدرك ذلك عالمنا الثالث المتخلف .. ؟ أم نواصل سيرتنا الأولى ننتشي بنقد النظام العالمي الجديد كما انتشينا زمنا بنقد الإمبريالية ، ولا شئ بعد ذلك .. ؟

٦ - النظام العالمي وفراغ القيادة :

في ظل القلق العالمي ، والبحث عن نظام عالمي جديد ، ومحاولة كل طرف تسلم قيادة العالم ، أو على الأقل المشاركة في هذه القيادة ، وإلى أن تسفر المعركة عن منتصر ومهزومين يبدو العالم اليوم وكأن كرسي زعامته فارغة . فالولايات المتحدة التي أعلنت على لسان رئيسها بوش، بأن أمريكا تقود العالم ، عادت وتراجعت لتقول ان القيادة يمكن أن تتمثل في القدرة على تشكيل تحالف دولي وتخطيط أهداف التحالف وتوزيع المهمات على أعضائه ، وضمان أن يصب العائد كله أو معظمه في خانة أرصدة القوة الأمريكية ، ثم عادت ثانية وتراجعت وأعلنت ان القيادة الدولية في يد مجموعة وليست في يد دولة منفردة ، قيادة تجمع الأقوى عسكريا مع الأقوى اقتصاديا مع الأقوى سياسيًا ، وهي التي تتخذ القرارات المهمة في المسائل التي تتعلق بمصير العالم .

وقد اجتمعت هذه القيادة مرتين منذ انتهاء الحرب الباردة ، وفي الاجتماعين اتضح ان مجموعة السبعة عاجزة عن حل مشكلاتها الداخلية ، ناهيك عن عدم وجود اتفاق بينها على مشكلات العالم الخارجية ، عجزت عن حل الخلاف حول دعم المنتجات الزراعية ، وحول الحرب التجارية ، وحول الفوائد على القروض ، وانكشف اختلاف الرؤى بين الأعضاء حول مستقبل الدور الأمريكي في أوربا ، ومستقبل الدفاع عن أوربا ، ودور حلف الأطلسي ودور قوة الدفاع الأوربية الجديدة ،

ـناقصت المواقف حول التعامل مع روسيا ، وحول حجم المعونات الغربية ـها ، وتوزيع الحصص والمسئوليات ، واختلفت قمة السبعة حول تجديد إصلاح المفاعلات النووية في روسيا وأكرانيا ودول شرق أوربا . امتنعت خمس دول في مجموعة السبعة عن قبول الاقتراح الأمريكي ضم روسيا إلى القيادة العالمية عضوا ثامنا ، إذ يوجد بين الدول الخمس ثلاث على الأقل لا تغفر للولايات المتحدة احلالها روسيا محل الاتحاد لسوفياتي في مجلس الأمن ، ورفضها إدخال تعديل يسمح لليابان ألمانيا بمقعدين دائمين في هذا المجلس .

فراغ القيادة سبب خطير من أسباب المعاناة التي يعيشها العالم .. والجميع ينتظر الحل (١) .

٧ - الإسلام والنظام العالمي الجديد :

يشكل المسلمون حوالي ١,٥ مليار نسمة .. أي ربع سكان الكرة الأرضية ، دولهم أكثر من ٥٠ دولة مستقلة ، تضم هذه الدول أفقر مناطق العالم مثل بنغلاديش والصومال وأغناها مثل دول الخليج ، عدد السكان ي كل دولة يتراوح من بضع مئات الآلاف كالبحرين وما يزيد عن المائة مليون كأندونيسيا ، تحكمهم أنظمة مختلفة من ثورية وملكية وديمقراطية .. والرابط الوحيد الذي يجمعهم هو الإسلام ، ورغم عدم التجانس البشري والاقتصادي فإن المشاعر العامة بين المسلمين مشتركة . تتضح بصورة أوضح عند ما تتعرض أحدى مناطق الإسلام للخطر .. مثل فلسطين والبوسنة والهرسك والصومال وغيرها .. وباستثناء بعض

(١) فراغ القيادة في العالم - جميل مطر (٢٤/٧/٩٢م)

الأنظمة التي تعلن انتسابها للإسلام وتعتبر القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجعًا في الأحكام الشرعية . فإن معظم أقطار العالم الإسلامي تتبنى أنظمة مغايرة . علمانية أو اشتراكية . وتقف الحركات الإسلامية أو الإسلام السياسي كما يسمونه في الجهة المعارضة . ولقد مرت الحركات الإسلامية في معظم الدول الإسلامية بمحن قاصمة ماحقة . ومع ذلك فقد صمدت وما زالت تشكل التيار الأقوى بين جميع التيارات السياسية في المنطقة وفي حالات قليلة عندما كانت تلجأ بعض الدول إلى الانتخابات البرلمانية كان الإسلاميون يحرزون أعلى الأصوات .. وكثيرًا ما انقض العسكر أو الأنظمة الفردية لتبطش بالإسلاميين ومجالسهم وانتخاباتهم بحجة حماية الديمقراطية من الإسلاميين الذين يتسلقون بالديمقراطية ولا يؤمنون بها . هذه الكتلة الإسلامية التي تمتد من المغرب إلى جاكرتا والتي انضمت إليها مؤخرًا الدول الإسلامية المستقلة في آسيا الوسطى . يجمعها الإسلام . ويوحدها نداء الإيمان .. هذه المنطقة التي يسميها الغرب منطقة قوس الأزمات هي في الحقيقة من أكبر مشاكل الغرب الفكرية والسياسية بل والاستراتيجية وإذا كانت مصالح دول الغرب متفاوتة فإنها تتفق في أنهم أبناء حضارة واحدة .. أما نظرتهم إلى دول العالم الإسلامي أو إلى الإسلام السياسي الذي يدعو إلى وحدة العالم الإسلامي فهي النظرة إلى البديل الحضاري . وإذا كانت الحركات الإسلامية المعتدلة تدعو إلى التعاون الاستراتيجي مع الغرب .. فإن الغرب يدعو إلى اجتثاث الحركات الأصولية التي يصفها كلها بالإرهاب ..

....

من شبهات المعارضين للأدب الإسلامي

الحلقة الأولى

سعادة الدكتور عبد القدوس أبو صالح
نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية

شبهة المصطلح :

لقي مصطلح « الأدب الإسلامي » معارضة عند ما طرح في الساحة الأدبية و تراوحت هذه المعارضة بين رفض المصطلح وبين وضع بدائل عنه .

فأما المعارضون الذين رفضوا هذا المصطلح ، فقد كانوا فريقين :

ألف - فريق تدفعه الغيرة على الأدب العربي والحماسة له ، فلا يريدون مصطلحا يظنون أنه لا مسوّغ له .

ب - فريق يعارض المصطلح ، كما يعارض بدائله الأخرى .

وذلك من منطلقين متفاوتين في الدافع ، وإن كانا متوافقين في النتيجة .

أما الفريق الأول الذي تدفعه الغيرة والحماسة ، فيذهب إلى أن الأدب العربي بجملته أدب إسلامي ، وما يعرض في تاريخه القديم أوالحديث من نصوص مخالفة هي من القلة بحيث لا تبطل ما يذهبون إليه ، وقد غالى بعض هؤلاء المتحمسين فذهبوا إلى القول بأن الأدب الإسلامي هو الأدب المكتوب باللغة العربية فقط ، وعلى الأدباء المسلمين من غير العرب أن يتعلموا العربية و يبدعوا أدبهم بها كما فعل أسلافهم في العصور السابقة

ونقول لهذا الفريق مع تقديرنا للغيرة والحماسة لأدب العربية ولغة القرآن: إن ما يذهبون إليه غير مقبول إنسانيًا، ولا إسلاميًا، ولا واقعيًا

فهو غير مقبول إسلاميا لأن هذا الموقف قد يدخلهم في العصبية التي نهى عنها الإسلام. وهذا الموقف يمثل نوعا من الاستعلاء على الشعوب الإسلامية. ويذكرنا بما كان من بعض الخلفاء الامويين من تعصب للعرب مما كان في جملة اسباب سقوط الخلافة الأموية لشعور الموالي باستعلاء العرب عليهم، واضطهاد بعض الولاة لهم

وهذا الموقف غير مقبول إنسانيا لأن فيه ظلما للأدباء الإسلاميين من غير العرب حين ننكر أن يكون نتاجهم الأدبي داخلا في الأدب الإسلامي وإن كان صادرا عن التصور الإسلامي الصحيح. فإن الله عزوجل لم يخص العرب ولا الناطقين بالعربيه بالمواهب الأدبية دون غيرهم من الناس، ولم يحظر الإسلام على غير العرب أن يمارسوا نشاطا إنسانيا هو في فطرة الناس وطبائعهم إذ يعبرون عن مشاعرهم تعبيرًا أدبيا باللغة التي يتكلمون ويكتبون بها

وهذا الموقف مرفوض من جهة الواقع الذي نراه أمامنا، فهو يدحض هذه النظرة الضيقة. فالشعوب الإسلامية بأسرها لها أدبها القومي أو المحلي، ولهذا الأدب وجود قديم قبل ان تسلم هذه الشعوب وبعد إسلامها.

وإذا كان كثير من أدبائها في القديم تعلموا العربيه وصاروا من شعرائها وكتابها فذلك لأن عز المسلمين جعل اللغة العربية لغة الخلافة التي تحكم أنحاء العالم الإسلامي، كما أنها لغة العلم والحضارة، بالإضافة إلى أنها لغة القرآن التى يتعبد بها المسلمون ربهم على اختلاف أجناسهم.

أما أن يقصر الأدب الإسلامي على اللغة العربية وحدها فهذا أمر مستغرب وكثير من المذاهب الأدبية العالمية ، كالواقعية الاشتراكية والوجودية ، يكتب أتباعها بلغات مختلفة ، لأن الجامع في المذاهب الأدبية العالمية من أسس عقدية أو نظرية أدبية أو منهج نقدي ، كل هذه الأمور لا علاقة لها بلغة معينة ، يحجر على أتباع المذاهب الأدبي أن يكتبوا بها .

والأدب الإسلامي ، وإن كانت لغته الأولى هي لغة القرآن ، إلا أنه لا يجوز أن تحصر نظريته أو مذهبه في لغة واحدة ، مهما كانت دوافع الغيرة والحماسة للغة القرآن الكريم .

أما الفريق الآخر الذي يعارض المصطلح مع بدائله الأخرى ، فإن المنطلق الأول فيه هو منطلق بعض المسلمين الذين أصابهم الوهن ، وبعدوا عن الالتزام بالإسلام ، وهم ما ينفكون يرددون عبارات بعينها فيقولون : لماذا تدخلون الإسلام في كل شيء ؟ وكأن هؤلاء يجهلون - أو يتجاهلون - أن الإسلام كما أراده الله يشمل كل شيء في حياة المسلم ، بدءا من العقيدة إلى إماطة الأذى من الطريق ، وهذا الإسلام لم يترك للمسلم أمرا لم يبين فيه وجهة الإسلام الصحيحة .

والمنطلق الثاني لهذا الفريق المعارض للمصطلح مع بدائله هو منطلق الصراع « الايديولوجي » العقدي ، الذي تصدر عنه فئة ممن لا يؤمنون بالإسلام أصلا ، وإن كان بعضهم مسلما بالهوية والاسم ، وهذه الفئة ترى في الدعوة إلى الأدب الإسلامي والاقتصاد الإسلامي ، والفكر الإسلامي بعامة إعادة للعرب إلى عهود التخلف ، لأنهم يعدون الإسلام نفسه تخلفا وجمودا وتأخرا ، وهم يرون في الأدب الإسلامي خطرا يتهدد ما يؤمنون به

من مذاهب الأدب الدخيل سواء كان أدب الماركسية الذي انتكس بسقوط الشيوعية، أو أدب الحداثة بمفهومها الفلسفي الشامل المدمر، أو أدب الوجودية، أو العبثية، أو غير ذلك مما تجد له أتباعا متحمسين يريدون أن ينسوا أمتهم مالا يوافق ذوقها وأصالتها ودينها وتراثها الأدبي.

بدائل المصطلح:

سبق مصطلح الأدب الإسلامي أو رافقه طرح بدائل أخرى عنه، وقد تراوحت هذه البدائل بين مصطلح «الإسلامية» ومصطلح «أدب الدعوة» ومصطلح «الاتجاه الإسلامي» ومصطلح «الأدب المسلم».

وكان أول من نادى بمصطلح «الإسلامية» قبل طرح مصطلح الأدب الإسلامي في الساحة الأدبية هو الدكتور نجيب الكيلاني، وذلك في كتاب صدر له بعنوان «الإسلامية والمذاهب الأدبية» ثم ما لبث أن تخلى عن هذا المصطلح عندما طرح مصطلح الأدب الإسلامي، وبعد قيام رابطة عالمية أصبح الدكتور الكيلاني أحد العاملين فيها. ولكن هذا المصطلح لا يزال لدى بعض النقاد ومنهم الدكتور محمد عادل الهاشمي الذي يرى فيه بديلا لا عن مصطلح الأدب الإسلامي وحده بل بديلا عن مصطلح الالتزام الذي يرفض الأخذ به.

والحقيقة أن مصطلح «الإسلامية» مصطلح عائم لا جامع إذ يمكن إطلاقه على أي حقل معرفي ينتسب إلى الإسلام، وبهذا يمكن أن نقول: «الإسلامية» ونريد بها مذهبا سياسيا أو اقتصاديا أو فكريا، ويمكن أن نطلقها على ما يسمى بالصحوة الإسلامية، وهكذا نجد أنه ليس في مصطلح «الإسلامية» أي إشارة إلى الأدب [illegible] الناس أن

يفهموا من « الإسلامية » أنها تعني الأدب الإسلامي وهو مصطلح مركب من لفظين :

الأدب : وهو الفن الذي أداته الكتابة .

والإسلامي : وهو وصف لهذا الأدب يميزه عن الآداب الأخرى التي تنسب إلى لغة معينة أو ايديولوجية محددة .

وهناك مصطلح « أدب الدعوة » الذي درس بهذا الاسم في أحد جامعات المملكة .

ونقول في هذا المصطلح : إن أدب الدعوة يتوج الأدب الإسلامي . ويمثل قمة العطاء الفني حين يهدف إلى خدمة الدعوة في أي مجال من ميادينها الفسيحة شريطة أن يكون من حيث الأداء بالغ الروعة . وإلا حرج عن أن يكون أدبا .

ولكن الأدب الإسلامي لا ينبغي أن ينحصر في أدب الدعوة فقط . لأنه كما يدل تعريفنا له يشمل أي موضوع . وأي تجربة إنسانية تتعلق بالكون الفسيح والحياة المتشعبة . والإنسان الذي يحيا حياته في هذا الكون .

وهكذا نقول : إن الأدب الإسلامي يشتمل على أدب الدعوة . لكنه لا ينحصر في ميادينها مهما كانت متعددة ومتسعة .

وهناك مصطلح « الإتجاه الإسلامي » :

وهو مصطلح طرحه بعض المعارضين لمصطلح الأدب الإسلامي ليكون حلا وسطا . لا يتهم أصحابه بأنهم يعارضون الأدب الإسلامي جملة وتفصيلا فهم يقبلون به إتجاها أدبيا . يكون في غرض من الأغراض الشعرية . أو لدى شاعر او كاتب ظهر في نتاجه هذا الإتجاه في صوره بارزة لا يمكن تجاهلها

ويقول في هذا المصطلح إنه يهون من شأن الأدب الإسلامي . ويجعله مجرد إتجاه يظهر حينًا ويختفي حينًا آخر . وكأن الإسلام الذي أوحد الأمة الإسلامية وميزها - بما فيه من خصائص التصور الإسلامي - لم يوجد في أدب هذه الأمة قديما . ما يتجاوز الإتجاه الأدبي ليكون أدبًا إسلاميًا له مفهومه المتميز وسماته الخاصة به

وهكذا نجد في مصطلح الإتجاه الإسلامي حين يراد له أن يكون بديلا عن مصطلح الأدب الإسلامي . تهوينا من شأن هذا الأدب بل تهوينا من أثر الإسلام في الأمة الإسلامية قديما وحديثا في جانب مهم من جوانب حياتها العامة وهو جانب الحياة الأدبية ومن العجيب أن يرى الداعون إلى الاكتفاء بمصطلح الإتجاه الإسلامي كثيرا من المذاهب العالمية تقوم على فلسفات وضعية تخطئ أكثر مما تصيب . ويضنون على الإسلام - الذي هو من صنع حكيم خبير ، الذي هو أرقى من كل النظم البشرية - أن يكون له مذهب أدبي متميز

وهناك أخيرا مصطلح " الأدب المسلم "

وكان آخر من دعا إلى هذا المصطلح الناقد الدكتور محمد أحمد العزب ، وقد بنى دعوته على ما اعترض به على مصطلح " الأدب الإسلامي " حيث يقول (١) " إن مشكلة " الأدب الإسلامي " تتلخص في [illegible] - لرحابة [illegible] الأدب الذي يلتقي مع التصور الإسلامي وشموله يدخل فيه ذلك [illegible] [illegible] هذه [illegible] الإسلامي وإن كان قائمه غير مسلم [illegible]

[illegible]

المقولة ليست إسلامية لمجرد صدورها عن فنان غير مسلم ، خاصة إذا كانت لا تشكل أي تحد من أي لون لأي قيمة إسلامية . وأتصور أنه تخلصًا من هذا الإشكال لابد أن يغير المصطلح إلى « الأدب المسلم » وليس « الأدب الإسلامي » لأنه غير دقيق . وهو غير دقيق لأنه ليس « مانعًا » وإن كان « جامعًا » أي أنه لا يستطيع أن يمنع دخول غير الإسلامي - إذا لم يتصادم - إلى ساحة الإسلامي » .

وأقول للناقد الكريم (١) : لقد نجوت من واحدة فوقعت في أخرى .. لأن الاصطلاح الذي تقترحه وهو « الأدب المسلم » ليس مانعًا ولا جامعًا . أما أنه ليس مانعًا فلأنه يدخل في « الأدب المسلم » الذي عرفته بأنه « كل أدب صدر عن مسلم » أي نص كان . مهما كان مضمونه موافقًا أو مخالفًا للتصور الإسلامي . وأنت تعرف أن كثيرا من الأدباء المسلمين أنتجوا على مر العصور ، وفي الأدب القديم والحديث نصوصًا فيها من الكفر والإلحاد والزندقة والمجون ما يصادم التصور الإسلامي ، ويخرج عن ثوابت الإسلام . فكيف نعد هذه النصوص من « الأدب المسلم » وهي في مضمونها أبعد ما تكون عن الإسلام . بل ربما دعت إلى نبذ الإسلام بكل ما فيه .

وأما أن مصطلح « الأدب المسلم » ليس « جامعًا » فذلك لأنه يقع في الإشكالية التي أخذتها على مصطلح « الأدب الإسلامي » .. وإلا فكيف تفرق بين نصين متفقين في المضمون الموافق للتصور الإسلامي لمجرد أن القائل الأول مسلم والثاني غير مسلم .

---

(١) صحيفة (المسلمون) العدد/٤٤٤-١٨/٢/١٤١٤هـ-٦/٨/١٩٩٢م (تعليق على ندوة الأدب الإسلامي بالمنصورة)

ثم أين تكون « المعيارية » في مصطلح « الأدب المسلم » ؟ وهي كما يدل المصطلح ذاته تكمن في دين الأديب . ولا تنظر إلى مضمون أدبه ، وهذه « معيارية » غير دقيقة أبدا . ولم تعرف في أي مذهب من المذاهب الأدبية . بالإضافة إلى أن كلمة « مسلم » لم تعد تتجاوز لدى كثير من « الأدباء المسلمين » بل لدى كثير من « المسلمين » غير الأدباء .. ما هو مثبت فيما يسمى ببطاقة الهوية أو حفيظة النفوس . دون أن يكون للإسلام تأثير في أدب كثير من « الأدباء المسلمين » ولا في عقيدتهم ولا في أخلاقهم .. بل ربما وجدت لديهم وفي أدبهم بالذات مصادمة لكل ما يدعو إليه الإسلام .

ونحن حين اعترفنا بإشكالية النص ذي المضمون الذي يلتقي مع التصور الإسلامي مع أن قائله غير مسلم . ورأينا أن المخرج من هذه الإشكالية أن نقول إن هذا النص « موافق للأدب الإسلامي » فإننا لم نخرج عن المعيارية الدقيقة التي استظهرناها من تعريف الرابطة للأدب الإسلامي بأنه « التعبير الفني الهادف عن الحياة والكون والإنسان وفق التصور الإسلامي لها » .

أما الأخذ بمصطلح « الأدب المسلم » في مثل هذه الحالة فإنه يلزمنا أن نقول : إن هذا النص الذي يلتقي مع التصور الإسلامي وقائله غير مسلم يوافق نص « الأديب المسلم » .. مع أن هذا الأديب المسلم لا يلزم حسب تعريف الأدب المسلم بأنه « كل أدب صدر عن مسلم » بأن يكون مضمون أدبه إسلاميا . بل لقد صرح الدكتور العرب بقوله : « وكل أدب صدر عن غير مسلم - حتى ولو لم يتناقض (أي لم يتناقض مع التصور الإسلامي) فهو غير مسلم » .. وهذا أمر مستغرب جدًا .

وهكذا يؤدي مصطلح « الأدب المسلم » بهذا التعريف إلى أن نكون سية الأدب الإسلامي دعوة إلى ارتباط أدباء منتمين إلى الإسلام ، على عم من احتلاط أدبهم دي التصور الإسلامي بأدب مضاد لهذا التصور . نما تقوم الدعوة إلى « الأدب الإسلامي » على ارتباط الأدباء المؤمنين لإسلام حقا لا اسما ولا تقليدا . ما داموا يصدرون جميعًا في أدبهم عن صور الإسلامي الذي يؤمنون به .

ومن هنا أقول للدكتور العرب : إن الدعوة إلى مصطلح « الأدب المسلم » تعريف الذي عرفه به .. تؤدي إلى نسف أصل الدعوة إلى الأدب سلامي نظرية متكاملة أو مذهبًا أدبيًا يقف أمام المذاهب الأدبية العالمية قائمة على تصور غير إسلامي . فكيف ندعو إلى تلك النظرية أو ذلك ذهب وكل منهما ينبغي أن يبنى على التصور الإسلامي السليم .. إذا لنا حسب مصطلح « الأدب المسلم » وتعريفه أن يدخل باسم هذا صطلح « أدب كل مسلم » وإن كان منحرفًا عن الإسلام . أو مصادمًا له لكلية .

وما دام مصطلح « الأدب الإسلامي » قد سارت به الركبان كما يقولون . عد أن تبنته رابطة الأدب الإسلامي العالمية التي تنتشر مكاتبها في حاء العالم الإسلامي . وبعد أن أخذ به معظم الأدباء الإسلاميين في كل كان .. فقد آن للأدباء والنقاد الإسلاميين أن يقبلوا هذا المصطلح ، الذي لب على عدة مصطلحات أخرى كالإسلامية أو الإتجاه الإسلامي في الأدب ، أدب الدعوة الذي يعد تاج الأدب الإسلامي ولكنه لا يشتمل على عطاء لأدب الإسلامي في سائر أجناسه وفنونه . كما أن لنا أن نتجاوز تلك لإشكالية التي تدور حول أدب غير المسلم بما اقترحناه أنفًا من تسميته الأدب « الموافق » للأدب الإسلامي .

[يتبع]

صور و أوضاع :

واقع مؤلم و بشائر خير

واضح رشيد الندوي

من يتابع الأحداث الواقعة في العالم فيما يخص بالمسلمين يجدها مخيبة ومؤلمة . إذا استعرض المحن والشدائد في مختلف أنحاء العالم . وما يجري من تطويق للحركة الإسلامية . وتضييق خناق العاملين للإسلام . والدعاة إلى اتباع تعاليمه . وإصلاح الأحوال الشخصية . والرقابة على المؤسسات الإسلامية . وإثاره الشكوك والشبهات في المنتسبين إلى الجمعيات الإسلامية . في الدول الإسلامية نفسها . وما يجري من صراع بين مختلف الطبقات . والفتن والحوادث التي تعرض صورة قاتمة للمجتمع الإسلامي . وتخيب الظن . وتثير الشبهات في مستقبل المسلمين .

بجانب هذه الأوضاع السياسية المؤلمة في العالم الإسلامي . تستمر العمليات الوحشية التي تقوم بها الجهات المعادية للإسلام . من قمع وكبت وتعذيب . وتشريد للعناصر الدينية . وتواصل المنظمات الإرهابية في العالم نشاطاتها لمعاداة الإسلام والمسلمين . ويواجه المواطنون المسلمون في كثير من دول العالم معاكسات بالإضافة إلى الحرب البربرية التي يواجهها المسلمون في البوسنة والهرسك . وأماكن أخرى .

وبالإضافة إلى هذه الأحداث المؤلمة تزداد ضغوط الدول الأوربية الاستعمارية على دول العالم الإسلامي . وفي مقدمتها أمريكا . التي تولت سيادة العالم بعد تهافت الاتحاد السوفيتي . واشتدت سيطرتها على

مجريات الأمور وتوجيه النظام السياسي في كل بلد حسب مصلحتها ، وبدأت هذه الدول تؤثر حتى على النظام التعليمي والتربوي ، فتدخل في المنهج الدراسي ما تشاء وتخرج منه ما تشاء ، وتعين الأساتذة والمعلمين في المدارس الرسمية حسب أعراضها السياسية ، وتعيد إلى هذه الدول ما كان الاستعمار يمارسه من وسائل ترويز وإجراءات قمع قبل الاستقلال ، كإخراج مواد علمية لا تلائم مصالح الدول الأوربية من المناهج الدراسية حتى اللغة العربية والثقافة الإسلامية ، والدراسات الشرعية في بعض الدول العربية والإسلامية ، أصبحت مطاردة ، ويجرى إحياء لغات وثقافات كانت شائعة فيها قبل الاستقلال ، بل قبل الإسلام .

وفي الوقت نفسه تتأزم الروابط بين الدول الإسلامية وتلتزم الحياد في القضايا التي تخص بالمسلمين ، ويشعر المسلمون المستضعفون ، والمضطهدون بالجفاء والخذلان من إخوانهم ، بينما يزداد التقارب بين الدول الإسلامية والدول التي تعادى الإسلام ، وتكتسب هذه الدول من ثروات الدول الإسلامية ، وينكمش عدد العاملين المسلمين ، ويتضخم عدد غير المسلمين ، في عدد من الدول الإسلامية ، ويسمح لزعماء المعتقدات غير الإسلامية بنشر معتقداتهم واتجاهاتهم الثقافية ، ويتجرأ بعض الاقلام المسعورة على الاستخفاف بالقيم الإسلامية في البلدان الإسلامية ، وتصر على أفكارها المسمومة التي تتعارض مع الأفكار الأساسية للمجتمع المسلم .

هذه رؤوس الأحداث في كثير من دول العالم الإسلامي ، وهي منشورة في الصحف والمجلات ، ومعروفة ومشهودة ، ولا شك أن كل من يتابع هذه الأحداث يساوره الهم إن كان له قلب واع ، وشعور مرهف ، وصلة باخوته المسلمين ، فهو إدا وجد إخوانه في معاناة ، و وجد ثقافته في أزمة ، و

وجد أن دينه يتعرض للاستخفاف به في بلاده ، فمن الطبيعي أن يتأثر قلبه ويحزن .

ولكنَّ هناك وجه آخر للأحداث ، وزاوية أخرى للمشهد ، وهذا الوجه يبعث على الأمل ويخفف من الهم ، ويقوي العزم ، وهو تسخير الإسلام لأراض جديدة ، وجذبه لقلوب جديدة ، وهو بدون شك مكسب عظيم .

نشرت صحيفة صنداي تلغراف (Sunday Telegraph) الصادرة من لندن وهي معروفة بمواقفها العدائية للإسلام والمسلمين ، تقريرا عن انتشار الإسلام في بريطانيا

« يقول التقرير الذي نشرته الصحيفة ، إن عشرين ألفا من البريطانيين البيض اعتنقوا الإسلام منذ عام ١٩٨٩م ، وجاء في التقرير أن السبب الرئيسي لدخول البعض في الإسلام يرجع إلى شعورهم بالخيبة في ديانتهم ، وقيمها ، وتذمرهم بالجو المادي في أوربا ، وأضاف التقرير يقول : إن بعض كبار الشخصيات ، وأبناءها اعتنقوا الإسلام ، كان منهم ، ابن اللورد القاضي اسكوت ، وإحدى بناته ، ويقول التقرير : إن الإسلام وصل إلى القمة في المجتمع البريطاني الرفيع ، ويجذب إليه المثقفين والمتعلمين ، وشباب الجامعات ، ورجال الأعمال .

وذكرت الصحيفة سببا غريبا للرجوع إلى الإسلام ، وهو جو الكراهية والعداء النامي للإسلام في المجتمع الأوربي ، وخاصة حملة الكراهية التي تصعدت بعد رواية سلمان رشدي ، وفتوى الخميني بقتله ، فإن هذه الكراهية أوجدت في بعض النفوس الرغبة في دراسة هذا الدين ، وأقبلت هذه النفوس على الكتب التي ترشدهم إلى معرفة الإسلام ، فتوثقت في نفوسهم صداقة الإسلام ، و عرفوا أن الإسلام دين رحمة ، وإنسانية ، واقتبست الصحيفة من أقوال بعض المعتنقين للإسلام حديثا ، يقول

أحدهم

إننا ننظر إلى الإسلام كحل للغرب، وإن المسيحية والإسلام أخوان، وإنما انحرفت المسيحية عن هذه الاخوة، وشنت الحرب على الإسلام (١).

ويدعو البروفيسور جون اسبوسيتو مدير جامعة جورج تاؤن بالولايات المتحدة الأمريكية، إلى إعادة النظر في موقف أوربا إزاء الإسلام، والحركات الإسلامية. فيقول: إن كثيرًا من العلماء الغربيين بالرغم من اتسامهم بالحكمة فشلوا في استيعاب أن تحليلاتهم للمجتمعات الإسلامية متأثرة بشكل بالغ إن لم يكن مدمراً، بالفكر العلماني، وقد أدى ذلك إلى فشلهم في فهم طبيعة وحوافز الحركات الدينية التي تعارض مفاهيمنا في الغرب عن الحياة. وأصبح الحال كما كان في زمن الحرب الباردة حيث أن أي شخص لا يقوم بترويع العامة من المسلمين فإنه يخاطر بأن يوهم بأنه متعاطف مع الأعداء.

ويقول: لكي نفهم الآلية الحالية في الكثير من المجتمعات الإسلامية فإننا نحتاج للعديد من الدراسات التي تقدر المدى الذي حققته الصحوة الإسلامية، في التسعينات وانجازاتها في بناء مؤسسات، والاندماج بالجماهير في العديد من البلدان، فمن مصر إلى إندونيسيا هناك طيف عريض من المسلمين ذوى التعليم العالي. كما أن المؤسسات الإسلامية قائمة بالفعل ومكرسة لتكامل الإسلام مع الحياة العامة. إنهم يقدمون بديلا اجتماعيا وسياسيًا لقوى الحكم مدارس ومستشفيات وعيادات طبية، ومكاتب استشارية قانونية وبنوك، ومطابع وأندية شبابية، وأحزاب سياسية (٢).

ويعتقد البروفيسور جون أن الحكومات القائمة في كثير من دول

(1) Dawa, pakistan

(٢) المجتمع - الكويت.

العالم الإسلامي هي حكومات لا تستند إلى تأييد الشعب وإنما تقوم بقوة الجيش ومساندة الغرب ، فيدعو إلى اتخاذ موقف إيجابي واقعي .

وتدل على هذا التفكير الجديد إزاء العالم الإسلامي والإسلام ، الكلمة التي ألقاها الأمير تشارلس ولي العهد البريطاني في الجلسة الافتتاحية للمركز الإسلامي في ٢ أكتوبر ١٩٩٣م ، بأوكسفورد ، قال فيه : إن الصراعات تحدث بسبب سوء استخدام القوة ، وتصارع المثل ، فضلا عن النشاطات المهيجة لزعماء ... وأنها تنشأ أيضا بصورة مأسوية بسبب عدم قدرة الناس على التفاهم ، والعواطف الثائرة التي تعجز عن التفاهم ، وتعاني من عدم الثقة والخوف ، وقال : إن مجرد محاولة فهم البعض لما يعتقده غيره يأتي بالعجائب .

وقال : رغم التقدم الهائل في التكنولوجيا وو سائل المواصلات وأجهزة الاتصالات والروابط المباشرة ، يستمر سوء التفاهم بين الإسلام والغرب ، وأعرب عن رأيه أن الغرب هو المسئول عن بقاء هذا الوضع وضع سوء التفاهم والذي لا يتضاءل بل يتفاقم

وقال : إن الخطأ الفاحش الذي وقع فيه الغرب هو أنه يعتبر التطرف الظاهرة العامة في العالم الإسلامي ، وقال : إن احداث القتل والنهب وخطف الأطفال تقع في بريطانيا ، ويوجد اتجاه متطرف ، فهل يصح أن يعتبر ذلك أساسا لقياس الوضع العام في بريطانيا ، انه مثل هذه الأحداث لا تعطى صوره عامه للمجتمع ، وهكذا وضع المرأة ، فيعتقد الغرب بصورة عامة أن المرأه مضطهدة في المجتمع الإسلامي ، بالنظر إلى حالات خاصة تقع في المجتمع الاسلامي والواقع أن القرآن يبين حقوقا كثيرة للمرأة ، منها حق الملكية ، حق الوراثه ، وحق الصيانة بعد الطلاق ، وحق العمل والتجارة ، وذلك منذ ١٤ قرنا ، بينما لم تتمتع المرأة في بريطانيا ببعض هذه الحقوق إلا حديثا .

إننا في الغرب في حاجة أشد إلى فهم الإسلام ، و وجهات نظر العالم الإسلامي ، إزاء الغرب ، وإننا لم نكسب شيئًا بل نخسر ، إذا رفضنا أن نفهم أن العالم الإسلامي ينظر إلى الحضارة الغربية المادية ، بنظرة خوف ، ويعتبرها خطرا على ثقافتهاالإسلامية ومنهج الحياة فيه .

ودعا الأمير تشارلس إلى اتخاذ موقف هادئ جاد بدل اتخاذ موقف عاطفي منفعل إزاء العالم الإسلامي .

وأضاف يقول : يجب أن نتعلم التفاهم فيما بيننا ، ونعلم أولادنا وأجيالنا القادمة كذلك ليكون موقفهم ونظرتهم الثقافية مختلفة عن موقفنا ونظرتنا ، وعلينا أن نوجد جو الثقة والاحترام المتبادل ، إذا أردنا أن نبحث عن رصيف مشترك للعمل من أجل حل مشاكل الإنسان ، إنه ليس في صالح الإنسانية أن يستمر جو المجابهة الأقليمية والسياسية ، التي كانت في الماضي ، يجب أن نشارك الخبرة والتجربة ، واني واثق بأن هناك مجالا واسعًا لتبادل الخبرة ، والاقتباس المتبادل بين العالمين ، الإسلامي والغربي (١) .

ومثل هذه الاتجاهات الجديدة في العالم الغربي ، لإعادة النظر في موقف الغرب إزاء الإسلام والعالم تظهر هذه الأيام وتتناقلها الصحف ، ويتصاعد هذا الاتجاه وهو تطور له أهمية ، وهو عنصر تفاؤل كبير ، وهو عنصر خير تجلى في اعقاب الأحداث الدامية المؤلمة التي وقعت أو تقع في العالم الإسلامي ، وإذا وضعنا هذا التطور بعين الاعتبار كان ذلك مكسبًا فوق جميع المكاسب الأخرى ، و بالإضافة إلى صمود المسلمين في وجه هذه المآسي ويقظتهم ، وثقتهم النامية بدينهم وتاريخهم .

... ...

(1) Arab News .

أخبار اجتماعية وثقافية :

تأسيس دار الشريعة في مدينة بنجلور بجنوب الهند

خطة هامة لتطبيق الشريعة والنهضة الإسلامية الجديدة

لقد أنشئت مؤسسة علمية باسم (دار الشريعة) برئاسة فضيلة الشيخ محمد شهاب الدين الندوي رئيس الأكاديمية الفرقانية . وهذه الدار فرع لها لتطبيق الشريعة وإبراز القيم الدينية وإثبات معقولية الشريعة الإسلامية خاصة . افتتحها رسميا فضيلة الدكتور عبد الله عباس الندوي أستاذ جامعة أم القرى بمكة المكرمة في ٢٤ ربيع الأول ١٤١٤هـ المطابق ١٢ سبتمبر ١٩٩٢م في بنجلور بجنوب الهند . وقد أقيم احتفال كبير بهذه المناسبة تحت إدارة الأكاديمية الفرقانية وكان يوما مباركًا . بحيث أسست أول ندوة علمية لهذا الغرض النبيل في هذه البقعة . فريدة عن المؤسسات والندوات العلمية في ميدان البحوث لإبراز المحاسن العقلية والحقائق الأبدية للقوانين الربانية التي تتعلق بالفقه الإسلامي وأحكام الأحوال الشخصية خاصة . التي ثارت عليها من كل جانب عاصفة شديدة من النقد وكثرت عليها الاعتراضات خاصة في الهند في هذه الأيام . فلابد من إزالة شكوك الأجانب ومعارضتهم بالأدلة العلمية الحديثة . ليوقنوا بأن هذه القوانين أبدية تلائم كل عصر ومصر ، ولا تتبدل في أي حال . بل هي معجزة من معجزات الله سبحانه وتعالى ، الذي أبدع هذا الكون وخلق السماوات والأرض . لا تبديل في خلقه وتقديره وأنظمته الكونية . فكذلك لا مبدل في كلماته وشرائعه جل وعلا .

وستكون لجنة من العلماء البارزين كمجلس الشورى لهذه الدار .

اجتمع بهذه المناسبة كبار رجال العلم والدين . وأبدوا إعجابهم و سرورهم لتأسيس هذا المركز الإسلامي المتفرد وأشادوا بمجهودات الكاتب

الإسلامي فضيلة الشيخ العلامة محمد شهاب الدين الندوي، الذي أنشأ الأكاديمية الفرقانية قبل خمس وعشرين سنة وألف أربعين كتابا علميًا، لمقاومة الإلحاد والتحديات المادية ضد الإسلام، على موضوعات شتى هامة والتي يواجهها العالم الإسلامي اليوم، وعدة كتاباته تشتمل على المسائل الفقهية الراهنة التي يواجهها المسلمون في الهند والتي يستغلها غير المسلمين ضد الإسلام والمسلمين سياسيا. وهذه الكتب التي أصدرتها الأكاديمية الفرقانية لقيت إقبالا عظيما وتداولتها الأوساط العلمية، لما لوحظ فيها في التطبيق بين الفكر العلمي والفكر الإسلامي الأصيل. وهذه الكتب تجدر بأن تترجم إلى لغات عصرية أخرى. فقد صدرت طبعات كثيرة لكتابات الشيخ شهاب الدين الندوي في الهند وباكستان ونالت قبولا عاما كما أصدرت رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة كتابه الهام (بين علم آدم والعلم الحديث) بالعربية في ١٩٨٦م تحت سلسلة دعوة الحق فقامت بنشره وتوزيعه في أنحاء العالم الإسلامي.

وإنه أنشأ أيضا مكتبة شاسعة تجمع ثلاثين ألف مجلد من امهات الكتب الإسلامية والعلمية بمجهود فردي ثم وقفها للشعب المسلم. وهذه المكتبة التي تشتمل على أنفس الكتب الإسلامية وأثمنها مفتوحة أبوابها لكل مسلم ولكل طالب وهي الآن تحت دار الشريعة. يراجعها رواد الفكر والبحث والعلماء البارزون وطلاب العلم.

والذين باركوا أعماله وأبدوا ثقتهم وهنأوا على إنشاء دار الشريعة هذه، منهم سماحة الشيخ الكبير العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي الرئيس العام لندوة العلماء بالهند، فقد أرسل رسالة التهنئة يبارك ويبدي انطباعاته ويقدر مجهودات الشيخ محمد شهاب الدين الندوي، الذي أنجز في مراميه مع قلة الوسائل اللازمة وقام بعمل مجيد وخدمة مشكورة.

وقال فضيلة الدكتور الشيخ عبد الله عباس الندوي في خطبته

الافتتاحية بهذه المناسبة . يشيد بمحرات الشيخ محمد شهاب الدين الندوي بأنه كاتب إسلامي وباحث معروف ومؤلف كتابات كثيرة ، ذاع صيته من الشرق إلى الغرب ومن الهند إلى البلاد العربية . وحفلة اليوم حفلة مباركة أنشئت فيه ندوة علمية وافتتحت جرائة علمية تحت إدارة الأكاديمية الفرقانية التي هي بطوله . حل واحد وسيديع صيته كلجنة الترجمة والتأليف والنشر بالقاهرة والمجمع العلمي بدمشق ، و تكون مرجعا للعلماء والباحثين إن شاء الله تعالى - فليبارك الله في أعمال الشيخ محمد شهاب الدين الندوي و وفق المسلمين القادرين على تقوية عضده ليسهموا بما يسر الله لهم . والحق أن عمله فوق مستوى الشبهات وأرفع من الحاجة إلى الدعايات . الذي نسعى له جدير ما أتمناه للعاملين في الله .

أهداف دار الشريعة التابعة للأكاديمية الفرقانية :

١ - اثبات عقلانية الشريعة الإسلامية وتفوقها بالأدلة العلمية الحديثة

٢ - مقاومة التحديات المادية على المستوى العلمي .

٣ - إعداد كتب لتعريف الإسلام باللغة العربية والأردية والإنجليزية وغيرها

٤ - عرض حقائق الفكر والفلسفة الإسلامية وقانون الشريعة على الأجانب غير المسلمين

٥ - توفير الإمكانيات والتسهيلات اللازمة للباحثين في دار الشريعة .

٦ - استخراج الأحكام الشرعية بالاجتهاد الجماعي في القضايا الجديدة .

٧ - تكوين المجلس الاستشاري الذي يضم العلماء الأفذاذ وأصحاب الرأي المعروفين والأخذ من أفكارهم و آرائهم

٨ - تقديم خطة شاملة للنهضة الإسلامية الحديثة للمسلمين .

... .

أخبار اجتماعية وثقافية :

الشيخ الخليفي الحافظ الورع في ذمة الله تعالى

بقلم معالي الدكتور محمود بن محمد سفر
وزير الحج

يلتقي المرء في حياته بنماذج فذه من الرجال الأخيار فتنحفر في ذاكرته صفاتهم ويستقر في وجدانه مسلكهم ويبقى في نفسه الذكر الحسن عنهم والصدى الطيب لهم .

والشيخ عبد الله بن محمد الخليفي - يرحمه الله - كان أحد هؤلاء الرجال المتميزين بالخلق الكريم والصفات الطيبة وستظل ذكراه عالقة في الأذهان بما وهبه الله من خلال حميدة ومحاسن معروفة .

لقد كان الشيخ مثالاً للإمام الصالح التقي وطالب العلم الزاهد الورع والحافظ لكتابِ الله المتدبر والمعتبر .

لقد ظلت نبرات صوته الرخيم الشجي الأليف والأنيس ، وهو يرتل القرآن في صلاته بخشوع لله طوال عقود من الزمن في المسجد الحرام ، بجوار بيته الطاهر المقدس يدعو ، كل من يأتم به أن يتدبر في محكم آياته . وكل من يستمع إليه أن يتمعن في معانيه . فشهد الجميع له بالورع ورقة القلب تضرعًا وخيفة فبكى من فرط تأثره بما يدعو به فأبكى من سمعه و ردد دعاءه كل المؤتمين به والمتابعين له عبر وسائل الإعلام المسموعة والمرئيه خاصة خلال صلاة القيام في المسجد الحرام طوال شهر رمضان .

إن ما نقوله في حق الشيخ الزاهد الورع ليس تزكية له على ربه ولكنه

شهادة حق يذكر محاسنه يدلي بها بعد وفاته وقد أفضى الشيخ إلى ما قدم، ويكتفي بها وجه الله ويستحث بها همم طلاب العلم - وكلنا طلاب علم - لكي يتأسوا به في ورعه وزهده ورفقه وتؤدته وصلاحه وحكمته ..

رحم الله الشيخ الحنيفي رحمة واسعة، وجعل القرآن الذي اعتمر به وجدانه أنيساً له في وحشة قبره حتى يبعث الله من في القبور يوم يقوم الأشهاد

والعزاء لإخوانه وأهله وطلابه ومحبيه وعارفي فضله . توفي في شهر الربيع عام ١٤١٤هـ ١٩٩٢م

... ...

فضيلة الشيخ محمد إسماعيل نير رباني في ذمة الله

نعت الأنباء الواردة من مدينة بنغلور جنوبي الهند، فضيلة الشيخ محمد إسماعيل نير رباني رئيس قسم النشر والتوزيع وأستاذ الأدب العربي في دار العلوم سبيل الرشاد بمدينة بنغلور (الهند) وعضو المجلس التنفيذي لندوة العلماء لكناؤ (الهند) وذلك في شهر ربيع الثاني ١٤١٤هـ الموافق شهر أكتوبر ١٩٩٢م . فإنا لله وإنا إليه راجعون

فاجأته المنية عقب نوبة قلبية ألمت به بعد العودة من سفر إلى منزله، ولم تكن عليه أي أثر للمرض من قبل . ولكنه تقدير من الله العزيز العليم .

لقد كان الفقيد يشرف على كثير من المؤسسات الإسلامية الخيرية، في مدينة بنغلور . وكانت له نشاطات دينية متنوعة وخاصة في الدعوة والتبليغ . فحصلت له بذلك شعبية في بنغلور وخارجها من المدن المجاورة .

كانت له علاقة وطيدة بسماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وبجامعة ندوة العلماء ورجالها العاملين فيها ، وقد اختير عضوًا للمجلس التنفيذي منذ مدة قريبة ، فكان يحضر جلساته باهتمام خاص .

كان ذا علم غزير وعلى جانب كبير من الخلق الإسلامي ، وكان يجيد عدة لغات عالمية ، ويفيد طلبة العلم بمعلوماته وأفكاره السديدة ، رحمه الله رحمة واسعة ، وغفر له زلاته وأدخله فسيح جناته ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

... ...

منصب أستاذ كرسي

للدكتور محمد يونس النجرامي

مستشار رابطة العالم الاسلامي لشئون القارة الهندية

قام المجلس التنفيذي لجامعة لكناؤ العصرية بتعيين الدكتور محمد يونس النجرامي مستشار رابطة العالم الإسلامي لشئون القارة الهندية على منصب أستاذ كرسي للأدب العربي بجامعة لكناؤ في جلستها الأخيرة في ١٦/١٠/٩٢م والجدير بالذكر أن البروفيسور محمد يونس النجرامي كان حاز على جائزة الدولة التقديرية في الأدب العربي والعلوم الإسلامية سنة ١٩٩٢م و لـــه بحوث و مقالات و عدة كتب ، و منها العالم الإسلامي المعاصر ، و مساهمة علماء الهند فـــي اللغة العربية والعلوم الاسلاميه ، وقدم لهما سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي الذي أشاد بجهود المؤلف و أهمية الموضوع ،

البروفيسور محمد يونس النجرامي درس في ندوة العلماء وقد قضى مدة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة يحمل جميع المؤهلات العلمية من البداية إلى درجة الدكتوراة بتقدير ممتاز، ويكتب أسبوعيا في صحيفة الرائد زاوية بعنوان " نافذة على الهند " يقوم بتقديم البرامج في الإذاعة والتلفزيون حول الفكر الإسلامي والأدبي بصفة مستمرة. والدكتور النجرامي يحضر الندوات والمؤتمرات الإسلامية العالمية. وله نشاطات مكثفة في الأوساط الدينية والاجتماعية والسياسية

...

جامعة الاسكندرية تمنح شهادة الدكتوراه للأخ ولي الدين الندوي

منحت جامعة الاسكندرية في جمهورية مصر العربية، شهادة الدكتوراه بدرجة الشرف الأولى لأطروحة الدكتور ولي الدين الندوي بحثه المحدث الشيخ الذي ... الندوي أستاذ الحديث بجامعة الإمارات.

وقد أعد الأخ ولي الدين رسالة تحقيقية حول ... اللكنوي وجهوده في علم الحديث " وكان المشرف على هذه الرسالة سعادة الدكتور مصطفى الصاوي الجويني الذي أكرمه بتوجيهاته القيمة في إعداد الرسالة

ونحن إذ نهنئ الأخ الدكتور ولي الدين الندوي على هذا الشرف العلمي نرفع آيات التهاني القلبية إلى والده ... سعادة الدكتور تقي الدين الندوي، وندعو الله سبحانه أن يتقبل منه ويبارك في جهوده العلمية

سماحة العلامة الندوي يسافر إلى جمهورية أوزبكستان

سافر سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي إلى أوزبكستان ، وزار سمرقند ، طاشقند وبخارا ، وذلك لافتتاح خطة أعدها المركز الإسلامي بأوكسفورد حول إعادة بناء مسجد ومدرسة الإمام محمد بن إسماعيل البخاري - رحمه الله - في مدينة سمرقند في ٢٢/أكتوبر ١٩٩٢م المصادف ٦/من شهر جمادى الأولى ١٤١٤هـ ، ومعلوم أن سماحة العلامة الندوي هو رئيس ومؤسس المركز الإسلامي بأوكسفورد . وقد رافقه في هذه الرحلة سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي عميد كلية اللغة العربية وآدابها بجامعة ندوة العلماء .

وقد حضر في المناسبة على دعوة من المركز الإسلامي ، كبار المسئولين والعلماء والقادة من جميع أنحاء العالم ، ومن بينهم معالي الدكتور عبد الله عمر نصيف نائب رئيس مجلس الشورى للمملكة العربية السعودية ومعالي الدكتور حامد الغابد السكرتير العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي وسعادة الدكتور يوسف القرضاوي ، ونائب رئيس وزراء أوزبكستان وحاكم ولاية سمرقند ، وسعادة الدكتور فرحان نظامي ، ومثّل في هذا المؤتمر الشيخ محمد ناصر علي الندوي والشيخ سلمان الحسيني الندوي ، جامعة ندوة العلماء في الهند

وقد كانت المناسبة تاريخية وافق فيها الحاضرون على هذا المشروع الجليل ، الذي يحتوي على عدة مؤسسات إسلامية وعلمية ، وقد تسمى المشروع فجامعة سلطان بروناني المعظم .

وعاد سماحته في سلامة الله تعالى إلى لكناؤ في ٢٧ أكتوبر ١٩٩٢م .

... ...

حفلة دينية في الجامعة الإسلامية

مظفر فور أعظم كره (الهند)

في ٢٨ من شهر ربيع الثاني ١٤١٤هـ الموافق ١٦ من شهر أكتوبر ١٩٩٢م ، نظمت الجامعة الإسلامية في مظفرفور بمديرية أعظم كره (الهند) أول حفلة دينية كبيرة بإشراف مؤسسها فضيلة الدكتور الشيخ تقي الدين الندوي أستاذ الحديث بجامعة الامارات . حضرها سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي وشخصيات لكبار العلماء والشيوخ من الهند وخارجها ، كان لها تأثير كبير في هذه المنطقة ، ويقدر عدد المستمعين الذين حضروا الاحتفال من المناطق المجاورة ، عشرة آلاف شخص

.....

العـدد القادم

يبتدئ به المجـلد التاسع و الثلاثون بمشيئة الله تعالى ، وسيصدر بعد فترة شهر إن شاء الله تعالى ويتضمن شهر رمضان ١٤١٤هـ ، فبراير و مارس ١٩٩٤م .

[التحرير]

☎ 72336 — 73864 REGD N LW/NP 6?

MAJALLAH **ALBAAS-EL-ISLAMI** (MONTHLY)

DECEMBER & JANUARY — 1993-94

صدر حديثا :

مجموع فتاوى و مقالات متنوعة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

بالنشر و التوزيع شاهد حسين (مؤسسة الصحافة و النشر) ندوة العلماء